
Bibliotheca Alexandrina
0144515

كتابي

الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية

حلمي مراد

فتاة من غرب جاوة !

للفنان الأندونيسي "بازوكي عبد الله"

كتابي

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره : حلمي مراد

الكتاب السادس والتسعون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة)

تليفون ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

٣٧ كتابا يساهم بها (كتابى)
فى آداب آسيا وافريقيا

عزيزى القارىء ..

فى هذه الايام التى تسعد فيها القاهرة باستقبال ضيوفها من ادباء آسيا وافريقيا ، استميحك عذرا فى ان أقف وإياك برهة لنستعيد ذكريات الكتب السبعة والثلاثين ، من (كتابى) و (مطبوعات كتابى) ، التى قدمت لك فيها نماذج منتقاة من روائع الانتاج الأدبى لصفوة كتاب القارتين ، خلال نحو ٩ سنوات . . فمنذ العدد الثالث من كتابى ، كان رائدى دائما أن أنتهز كل فرصة تسنح لى ، كى أنقب لك عن أروع النماذج من آداب القارتين ، فأقدمها لك ، سواء مترجمة ترجمة كاملة فى (مطبوعات كتابى) ، أو ملخصة تلخيصا وافيا فى كتابى . . ومن هنا قدمت لك ، سبعة وثلاثين كتابا ، تضمنت روائع من انتاج : تاجور ، وبريم جاند (من الهند) ، تولستوى ، جوجول ، لوشون ، ولين يوتانج (من الصين) ، دستويفسكى ، يوكيو ميشيما ، ولافكاديو هيرن (من اليابان) ، جوركى ، بوشكين ، مبرورة سامى ، وعرفان أورجا (من تركيا) ، ترجنيف ، ايفان بونين ، اندرييف ، تشيكوف ، شولوخوف ، باسترناك ، نابوكوف ، وليام كونتون (من غرب أفريقيا) .. الخ .

واذا كانت هذه حصيلة الجهد المتواضع من جانب (كتابى) و (مطبوعاته) قبل أن يصبح تضامن شعوب آسيا وافريقيا حقيقة واقعة وحدثا عالميا ضخما ، فهل ترانى فى حاجة الى أن أعدك بمزيد من الجهد فى الاعداد القادمة من السلسلتين ، فى سبيل تعريفك بانتاج أدباء القارتين ؟

ومرة أخرى : مرحبا بضيوفنا الاعزاء ..

حلمى مراد

٤٨ ساعة فى المدينة الخالدة

عزيزى القارىء ..

تركتك فى الفصل السابق والطائرة تتاهب للهبوط بى فى مطار روما ، حيث قضيت فى « المدينة الخالدة » يومين ، قبل أن اغادرها الى (بانجكوك) ، عاصمة مملكة (تايلاند) ، أو (سيام) ..

وكان أول ما لفت نظرى حين غادرت الطائرة ، مطار روما الجديد (فيوميتشينو) ـ او « ليوناردو دا فنشى » ، كما يطلقون عليه أحيانا ـ وقد كان أول ما يطالعنى فى روما فى زياراتى السابقة لها مطارها القديم (تشامبينو) . **والفرق بين المطارين ـ رغم ان المطار القديم كان مطارا دوليا أنيقا ـ هو كالفرق بين القرية المتواضعه والعاصمة الخلابة !** .. واذا كان أهل روما قد اعتادوا فى الأعوام العشرة الأخيرة أن يحسوا بالزهو كلما جاء ذكر محطة السكة الحديدية الجديدة التى تختال بها عاصمتهم ، (وهى تعتبر ثانى محطة فى العالم من حيث جمالها وضخامتها ، وقد حدثتك عنها بالتفصيل فى العدد ٣٣ من كتابى) ، فان زهوهم قد تضاعف الآن حين صار لهم مطار رائع يعتبر بدوره من أجمل وأكبر مطارات الدنيا ! .. ويظهر أن المعماريين الذين صمموه قد تعمدوا أن يجىء متناسقا من حيث الطراز مع محطة السكة الحديدية لمدينتهم ، فكلاهما يعتمد فى تشييده اعتمادا عجيبا على الزجاج والبللور ، حتى ليخيل اليك لأول وهلة ان جميع جدرانه وسقوفه وأرضياته من البللور ، بحيث ترى وأنت واقف فى أية ردهة أو قطاع من قطاعاته ، كل ما يجرى فى بقية الأبهاء والصالات والقطاعات ..

وقبل أن اجتاز ـ مع الصديق « أحمد حمروش » ـ

الساحة الفسيحة التى تفصل بين الطائرة التى هبطنا منها وبين مبنى المطار ، فوجئنا بسيدة ايطالية لا نعرفها تحيينا مصافحة وهى تنادينا باسمينا ، (**وان حارت المسكينة لحظة فلم تعرف أينا سنيور « همروش » وأينا سنيور « موراد » !)** . . . وكانت « السنيورا بيانكا » ، مندوبة شركه الطيران السكندنافية التى أعدت برنامج هذه الرحلة الصحفيه حول الأرض ، قد جاءت ترحب بنا فى رحاب المدينة الخالدة ، حيث سنقضى يومين قبل أن نواصل رحلتنا على متن الطائرة الجبارة D.C. 8 الى . . بانجكوك !

وفى ردهة فندق (يونيفرسو) ــ القريب من محطة روما الجميلة ــ صافحتنا السنيورا بيانكا ، متمنية لنا قسطا من الراحة ، قبل أن نبدأ جولتنا لرؤية معالم المدينة ، بصحبتها . . ولكننا شكرنا لها طيب استعدادها ، وطمأنها كلانا الى أن هذه الرحلة ليست أول عهده برؤية روما ومعالمها ، واننا نود انتهاز فرصة مرورنا بها هذه المرة لاجراء بعض التحقيقات الصحفية فيها ، للصحف التى نمثلها . . ثم مضى كلانا الى غرفته .

ولم أكد أفرغ من غسل وجهى وابدال ثيابى ، حتى طلبت من عاملة تليفون الفندق أن توصلنى بسفارة بلدى فى روما . كنت أبغى من المكالمة شيئين : **أولهما تهنئة سفيرنا الجديد**

صورة الصفحة المقابلة : ليست جميع نساء روما سمراوات . . فصاحبة هذا الشعر الأشقر الطويل الذى تطالعك من تحته ابتسامة غامضة ــ شبيهة بابتسامة « الجيوكندا » ! ــ هى حسناء جامعية من فتيات روما ، تدرس اللغات فى جامعتها ، وتدعى « باتريتسيا نابى » .



السيد احمد نجيب هاشم — الذي سعدت بمعرفته ومرافقته طوال ٤٧ يوما خلال رحلتنا الى الصين الشعبية عام ١٩٥٧ ضمن الوفد الثقافى المصرى — لكنى علمت ، آسفا ، انه لم يصل بعد الى مقر منصبه الجديد فى روما ، وانه ينتظر أن يصل اليها فى غضون أيام .. بعد ان أكون غادرتها الى الشرق الأقصى .

وكان **هدفى الثانى** من المكالمة التليفونية شوقى الى **رؤية — وتصوير — تمثال شاعرنا الكبير ((شوقى)) الذى اقيم فى حدائق بورجيزى ، بين تماثيل عظماء رجال الادب والفن من شتى انحاء العالم .** وكنت قد حدثتك عن هذه التماثيل فى نفس العدد من كتابى .

لكن امنيتى الثانية باءت بدورها بالفشل ، فقد قيل لى أن التمثال ما يزال مغطى ، لم يزح عنه الستار بعد !

وبعد أن انتهى حديثى مع موظف السفارة الذى اجابنى على السؤالين ، **وهو الصديق القديم ((ميشيل داجاتا))** ، اعدت سماعةالتليفون الى مكانها ، واستلقيت على الفراش ، استرجع ذكريات ما قبل ستة عشر عاما .. عدت بذاكرتى الى أول عهدى بمعرفة الصديق «ميشيل» ، يوم كان يعمل مترجما بقسم الاخبار الخارجية باحدى صحف القاهرة اليومية ، وكنت أتولى تلخيص كتاب للصفحة الاخيرة بالصحيفة المذكورة ، كل يوم سبت . يالها من ايام ! .. **لا أدرى لماذا قفزت الى ذهنى من ذكرياتها العديدة ذكرى الكتاب الذى قرأته ولخصته وراجعته واشرفت على طبع تلخيصه ، فى يوم واحد !** .. كان ذلك يوم نشرت صحف

صورة الصفحة المقابلة : وجه جميل فى روما .. من جيل ما بعد الحرب !

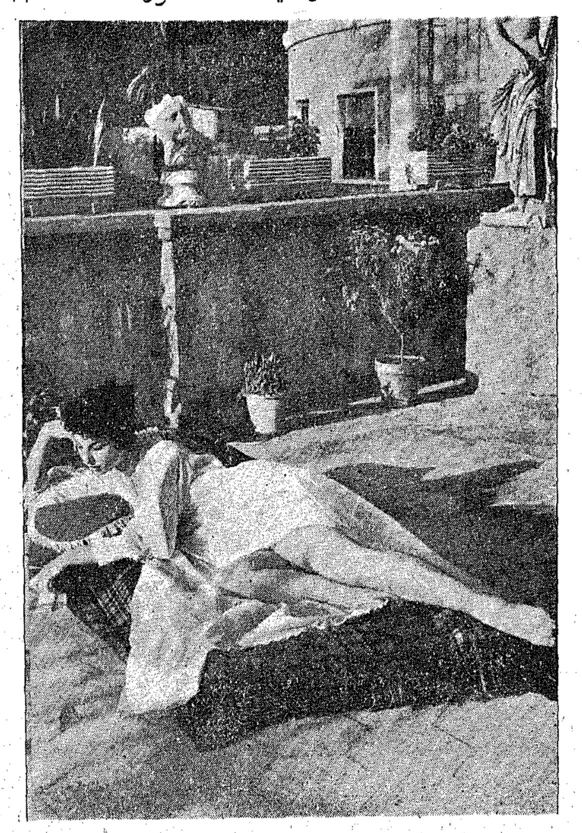


الصباح — وكان اليوم يوم جمعة — خبر وفاة فرانكلين روزفلت ، رئيس جمهورية الولايات المتحده آنذاك ، وأحد اقطاب الحرب العالمية الثانية التى كانت ما تزال دائرة الرحى فى ذلك الوقت .

ورغم انى كنت قد أعددت من قبل ملخصا لكتاب آخر ، كى ينشر فى تلك الليلة ، أى فى عدد الصباح التالى ، السبت .. فاننى تذكرت على الفور ، بعد قراءة خبر وفاة روزفلت ، كتابا فرنسيا عن حياة روزفلت (بقلم والدته) كنت قد لمحته فى احدى مكتبات شارع عماد الدين منذ أسابيع ، وكان عنوانه : « ابنى فرانكلين » Mon Fils Franklin **وفيما أنا أرتدى ملابسى ، أخذ خاطر ((شبيه مستحيل)) يلح على ذهنى** : ماذا لو اسرع الآن الى المكتبة فأبتاع الكتاب ، واحاول قراءته وتلخيصه وارساله الى المطبعة أولا بأول ، ورقة بورقة ، الليلة ؟ .. صحيح ان فى وسعى نشر التلخيص فى عدد السبت التالى ، بعد اسبوع واحد ، وان يعتبره القراء يومئذ موضوعا « قديما » .. ولكن نشره الليلة يكون .. « أوقع » !

وقد كان ! .. ابتعت الكتاب ، وشرعت فى قراءته .. فى الوقت الذى كلفت فيه الرسام والخطاط بعمل الرسوم والخطوط اللازمة للصفحة التى سينشر فيها .. وجلست

صورة الصفحة المقابلة : فى كثير من بيوت روما ، شرفات مكشوفة للشمس والهواء ، يستمتع سكانها باغفاءة فيها بعد الغداء ، احيانا على حشية على الأرض ، كما فعلت هذه الحسناء «ادريانا فيورنتينى» التى تعمل « نموذجا » للفنانين .. وترى وقد استلقت فى وضع فنى أمام احد الرسامين .



الى مكتبى أعمل ، بسبعة أرواح ، كالدينامو .. وحان موعد الغداء وانصراف زملائى فى الصحيفة — وكان منهم الزميلان العزيزان ميشيل داجاتا ، وابراهيم موسى — **لكنى كنت فى شغل شاغل عن الطعام ، والشراب ، و .. الدنيا بأسرها .. فبقيت أعمل بلا انقطاع ستة عشر ساعة متوالية** ، لم اتناول أثناءها حتى « سندوتش » واحد !.. حتى فرغت من مراجعة بروفة التلخيص فى الثانية صباحا ، فانصرفت .. محطما من الاعياء !

وكان نصرا صحفيا وأدبيا من الطراز الأول !

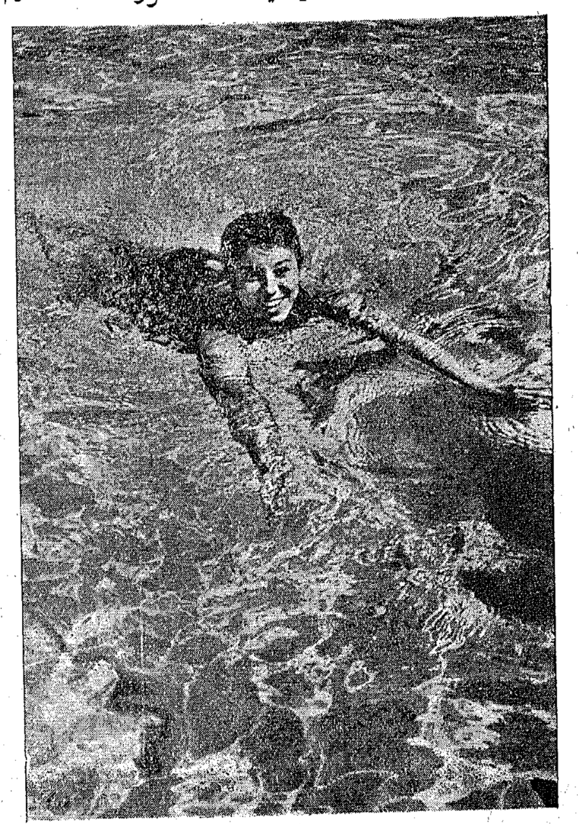
عاصمة السياحة فى اوربا !

وافقت من طوفان ذكرياتى — فى غرفتى بفندق (يونيفرسو) — فنهضت ، وخرجت من الفندق .. دون ان تكون لى وجهة معلومة !

خرجت الى روما الجميلة .. خرجت الى (المدينة الخالدة) — كما يطلق العالم عليها — او الى (المدينة العريقة) ، كما يحلو لى أن أطلق عليها ..

وان احدثك اليوم عن معالم روما التاريخية والفنية ، فقد حدثتك عنها حديثا مستفيضا فيما مضى ، **وانما أوثر**

صورة الصفحة المقابلة : من الاندية الرياضية المرموقة فى روما نادى (لاتسيو) ، الذى يتخصص فى رياضتى السباحة وكرة القدم ، وبه حوض كبير من أحدث طراز ، تسبح فيه — فى الصورة — البطلة الرياضية « أنا بينيك » التى فازت ببطولة ايطاليا فى سباحة المائة متر والمائتى متر ، منذ ثلاثة أعوام .. وكانت يومئذ فى الخامسة عشرة من عمرها !



اليوم أن أطوف بك شوارع روما الحديثة لنلتقط فى كل بقعة منها لقطة ، ونسجل من صور حياة أهلها فى كل حى صورة ..

وكان اول منظر لمحته وانا ادلف من باب الفندق الى الطريق ، امرأة هندية تخرج من باب الفندق المواجه ، مرتدية (السارى) الجميل ، فأحسست كأن (بساط الريح) قد نقلنى فجأة الى شوارع (بومباى) ، حيث تختال نساء الهند بالسارى رائحات غاديات وقد تركن شريحة من بطونهن عارية ، اشبه بالحزام العريض ، وحلين جباههن بطابع الحسن القرمزى الذى يتوسط الجبهة على شكل دائرة ، كما تحلى الماسة الثمينة قلنسوة مهراجاتهم الأثرياء ، فى وسطها تماما .. وكم هو جميل أن ترى نساء الهنود يتهادين بزيهن القومى أينما حللت ، فى كل مدن الأرض : فى روما ، وكوبنهاجن ، ولندن ، وطوكيو ، وهونج كونج ، وجنيف ، ومدريد .. الخ

انه منظر شرقى ساحر ، ليس اروع منه غير منظر نساء اليابان وقد ارتدين ((الكيمونو)) المزركش وحملن المظلة التقليدية ، وسرن ((يتدحرجن)) بقباقيبهن فى خطوات قصار ..!

صورة الصفحة المقابلة : فى حى (فيا مارجوتا) — وهو حى أهل الفن ، الذى يقابل (مونمارتر) فى باريس — وقف المثال ((أسين بيكوف)) ينحت تمثالا لرأس سيدة من ذوات الاسماء اللامعة فى مجتمعات روما ، هى السيدة ((ماريا رومانا كاتى دى جاسبيرى)) ، ابنة الرئيس الراحل للحزب المسيحى الديمقراطى فى ايطاليا .



و (روما) تكاد تكون الآن عاصمة السياحة فى العالم.. فيها تلتقى بنماذج منتقاة من كل شعوب الأرض ، وتسمع شتى لغات البشر ولهجاتهم ، وكأنك فى (بابل) حديثة !.. وقد أفتن القوم فى اجتذاب السياح من كل حدب وصوب ، وفى توفير كافة وسائل الراحة والمتعة لهم .. وفى مقدمتها طبعا ، العدد الوفير من الفنادق : ففى البقعة المحيطة بفندق يونيفرسو الذى نزلت فيه ، وخلال جولة قصيرة لم تزد على عشر دقائق ، على قدمى ، استطعت أن أحصى الفنادق العديدة التالية ، وكلها متجاورة ومجاورة لمحطة روما الرئيسية : جراند أوتيل .. كونتيننتال .. متروبول .. تورينو .. ديانا .. سان ريمو .. البرجو ديورنو .. كازا دل باساجيرو .. لوزد نيتزا .. الخ .. الخ .. ناهيك بفنادق شارع (فنيتو) العالمية الفاخرة ، وفى مقدمتها : ريجينا ، امباسكياتورى ، واكسلسيور .. الخ .

فاذا علمت أن عدد السائحين الذين زاروا ايطاليا فى العام الماضى بلغ ٣٧ مليونا ، وقدرت الحد الادنى الذى ينفقه السائح الواحد ، فى اليوم الواحد ، استطعت أن تستنتج كم من « مئات الملايين » من الجنيهات تستطيع السياحة أن تدر على البلد الذى يتقن « صنعتها » !

.. هذا برغم ان ايطاليا تعتبر الآن من أغلى بلاد العالم .. ويكفى أن أسوق اليك من أمثلة هذا الغلاء ان زجاجة الكوكاكولا فى مقهى (كافيه دى بارى) تكلفك ٢٥٠ ليرة ايطالية ، اى ما يوازى اربعة اضعاف ثمنها فى (جروبى) بالقاهرة مثلا !.. وقس على ذلك أسعار وجبات الطعام فى المطاعم والمشارب ، ونفقات المعيشة جميعها بوجه عام .. بل أن أسعار الأدوية والروائح العطرية المستوردة ، تفوق أثمانها ــ فى صيدليات روما ــ أسعارها فى القاهرة بكثير !

.. وكذلك الأمر بالنسبة للاقمشة « غير الايطاليــــة » ، وشتى انواع البضائع المستوردة ، سواء من انجلتـــرا أو الولايات المتحده أو غيرهما ..

والآن ، تعال نقم بجولة فى أحيـــاء روما ، وميادينها ، وشوارعها التى تعج بعابريها ، من الايطاليين والاجانب .. ان بعضهم يســير على الاقــدام ، مســتمتعا بشمس روما الساطعة وطقسها المعتدل ـ الشــبيه بطقس القــاهرة ـ وبعضهم تمرق به سيارات « الفيات » الصغيرة مسرعة ، فى كل اتجاه .. والبعض الثالث ينطلق كالصــاروخ على « الفسبا » التى تتفشى فى شوارع روما تفشــيا ذريعــا ، ويركبها الرجال والنساء على السواء .. وأحيانا تقودها فتاة ووراءها ـ على المقعد الخلفى ـ شاب يحيط خصرها بذراعيه ..

ولنبدأ جولتنا من حى « شــعبى » لطيف من احيــاء روما ، ذى طابع جذاب ـ أو هكذا هو فى رأيى على الأقل ـ ويدعى حى (ترا ستيفيرى) .. **ولهذا الحى قصة** : ففى صيف كل عام ، فى أواخر شهر يوليو ، يحتفل أهل الحى ـ فى مرح صاخب ـ بمهرجان خاص بهم ، يطلقــون عليــه « عيدنا الخاص » (فيستا دى نوانتــيرى) ، ويســتمر أسبوعا كاملا ، تظل الشوارع خلاله مضاءة طول الليل ، ويقبل الجميع ـ حتى الأطفال ـ على السهر الى ســاعة متأخرة من الليل .. وخلال ذلك الاسبوع يســتهلك أهل الحى « اطنانا » من الشطائر (السندويتشات) ، وتختفى « جبال » من شرائح البطيخ البارد الشهية (ويســمونه Cocomero) داخل الحلوق الظمأى من شدة الحر .. حلوق أهل الحى ، والقادميــن من احيــاء روما الاخرى للمشاركة فى العيد ، ثم السائحين الاجانب الذين يجذبهم

الفضول الى هذا المرح الصاخب .. **والبطيخ فى عرف أهل الحى ثلاث فوائد : فهم يأكلونه ، ويشربونه ، ويغسلون فيه وجوههم بعد ان يفرغوا من قضم شرائحه بأسنانهم !**

.. وترى فتاة واقفة على عتبة حانوت للرماية ، وهى تمسك ببندقية وتبتسم ، داعية الجماهير الى المراهنة على مباريات « انيشان » !

ورغم الفقر الذى يخيم على الحى ، فان فيه بعضا من المطاعم الصغيرة التى اشتهرت بجودة اطعمتها و « جوها » التقليدى ، بحيث صارت ملتقى السياح الذين يعشقون الاجواء الشعبية الاصيلة فى البلد الذى يزورونه .. سيما وان الحياة الليلية ــ بالمعنى المعروف ، أى حياة الملاهى والكباريهات ــ ليست فى روما بذات بال ، وبرامجها اقل من « العادية » ، بحيث لا تعتبر من سمات المدينة التى تجذب زائريها ..ومن ثم يكثر الاقبال على قضاء السهرات فى المطاعم الصغيرة المندسة فى بعض الأزقة الشعبية او الاماكن ذات الاهمية التاريخية ، ومنها مطعم ــ دعتنا

صورة الصفحة المقابلة : من أهم « أحداث » المجتمع الايطالى فى روما ، المباريات الدولية لسباق انخيل ، (التى يطلقون عليها بالايطالية « كونكورسو ايبيكو ») ، وتقام فى حلبة « بياتزا دى سيينا » الفسيحة ــ التى أقيمت فيها مباريات سباق الخيل اثناء الدورة الاوليمبية عام ١٩٦٠ ــ وفى الصورة احدى رائدات السباق تتحدث الى صديق خلال فترة الاستراحة بين الأشواط ، وفى يدها قدح من عصير الليمون .



اليه « مدام بيانكا » فى المساء ـ يشرف على أطلال أثرية تفوح منها رائحة التاريخ الرومانى العريق ! .. ويملك المطعم المذكور ، ويديره ، عضو بارز من اعضاء البرلمان الايطالى ..

وفى حى (ترا ستنيفيرى) مطعم صغير ذو سحر خاص ـ شبيه بسحر قهوة ((ألفيشاوى)) فى القاهرة ، مثلا ـ وتملكه امراة تدعى ((شسنشيو)) ، لها مكانة ((فنية)) خاصة فى الحى ، اذ لا يكاد ينتصف الليل حتى تنطلق تغنى لرواد مطعمها أغانى شعبية باللهجة العامية ، بل السوقية ، فتمسى الشخصية الرئسية التى تقوم على تسلية الحاضرين . اما قبل ذلك ، فى الساعات المبكرة من المساء ، فيقوم بهذه المهمة سقاة المطعم وندله ، الذين يرفعون عقيرتهم بالغناء وهم يروحون ويجيئون بين الموائد ، حاملين اطباق الاطعمة !.. وبين الحين والآخر ، يقطعون الخدمة لينضموا معا فى اغنية جماعية .

وفى بقعة اخرى من الحى ، بالقرب من ميدان(دى سانتا

صورة الصفحة المقابلة : التقليد الوحيد الحتمى الذى تحرص عليه كل زائرة لروما ـ من النساء ـ هو أن تلقى الى الوراء ، من فوق كتفها ، قطعة من العملة المعدنية فى نافورة (تريفى) المشهورة ، التى تقول الاسطورة الشائعة ان كل من يرمى فيها قطعة من العملة لابد أن يعود مرة أخرى الى روما ، الراقدة على ضفة نهر (التيبر) . وفى الصورة خمس فتيات استراليات يحرصن على العودة الى روما ثانية !



ماريا) ، تجد امرأة جاوزت طور الشباب تعزف على الكمان المنفرد فى وسط الطريق ، كى تجلب الرواد الى مطعم آخر يقع على الرصيف المواجه ، فى الهواء الطلق ..

وهذه حسناء باهرة الجمال تطل من نافذة متواضعة فى شارع (فيكولو دى رينزى) وأمامها حبل الغسيل قد انتشرت عليه بعض الثياب ، والى جوارها صبى لا تستر جسمه سوى « فانلة » بلا أكمام .. ان الجمال يزدهر احيانا فى الاسمال !

وفى شارع ضيق ، أرضه من الاحجار المتآكلة ، وعلى عتبة باب بيت عتيق ، وقفت امرأة تأكل « ساندويتش » ، وفوق رأسها نافذة ذات قضبان حديدية تجعل المكان يبدو كأنه مدخل سجن قديم . **والمفارقة العجيبة ان هذا الزقاق الفقير يسمى « فيا ديللا بيليشيا » ، أى شارع « الفراء » !**

وكثير من مظاهر الحياة فى حى (تراستيفيرى) يجرى فى الطريق ، فترى امرأة تجلس على مقعد خارج باب بيتها وهى تقشر البطاطس فى الهواء الطلق ، فى الصباح الباكر ، بينما تلتقط — وتتبادل — مع جارتها آخر الشائعات !

وهذه فتاة تملأ « فياسكة » نبيذ فارغة بالماء ، من صنبور على قارعة الطريق .. ذلك ان الماء فى روما — على

صورة الصفحة المقابلة : مرة فى كل عام ، تقام فى حدائق (فيللا بورجيزى) بروما مسابقة فى الأناقة .. حيث يتبارى — فى محاولة لفت الانظار — الابتكار فى طراز السيارات ، مع السيقان الرشيقة والخصور المشوقة ، وأحدث ازياء الثياب والقبعات !



العكس مما يعتقده كثير من الاجانب ، ولاسيما الامريكيون — عذب لذيذ ، صحى . رائع الشفافية ..

وفى نهاية ذلك الحى ، عند اتصاله بحى (بورتا بورتيزى) ، تقع سوق ((الكانتو)) — وتدعى سوق (فليا) — والتجول فى هذه السوق ، سواء للشراء او لمجرد « الفرجة » ، متعة لافراد الطبقتين المتوسطة والفقيره ، ولاسيما صباح يوم الاحد ، حين يكثر روادها وتكثر المعروضات .. فهناك يجد المرء الكثير من الأشياء الثمينة ، بأسعار زهيدة . ومن أمثلة البضائع التى تعرض فيها : اللوحات الفنية ، والتماثيل ، والقطع الاثرية ، وسواها .. فضلا عن الملابس الجاهزة بجميع انواعها .. ولما كانت السوق تخلو بطبيعة الحال من غرف لاستبدال الثياب ، فان من المناظر المألوفة هناك أن ترى الزوج أو الصديق يساعد امرأة على قياس معطف أو « بول اوفر » ، أو .. الخ .

أسواق الزهور .. واللحوم .. والقطط الضالة !

وللزهور فى روما أسواق كثيرة ، أكبرها سوق ميدان « فيتوريو » — أو « فيكتور عمانوئيل » — حيث تجد كل ما يخطر بالبال من أصناف الورود والزهور ، منسقة تنسيقا بديعا ، متجانس الألوان ، فى عربات متراصة .. وفيما عدا هذه السوق ، فان الزهور تباع فى روما فى كل مكان : فى ميدان « المجدلية » ، (بياتزا ديللا مادلينا) ، بجوار الكنيسة المعروفة بنفس الاسم ..وفى ميدان (كامبو دى فيورى) المجاور لمبنى السفارة الفرنسية الاثرى المشهور — المعروف باسم قصر فارنيزى — حيث ترى عجوزا ذات وجه يبدو كالآثار المنحوتة ، تبيع ازهار « التيوليب » الهولندية ..

ومن أطرف ما تراه أيضا في ميدان (فيتوريو) ، امرأتين من عضوات « جمعية الرفق بالقطط » ، تعنيان باطعام القطط الضالة . ويبلغ عدد القطط التي ترعاها الجمعية حوالي ٢٥٠ قطة ، وأغلب العضوات ينفقن على اطعامها من جيوبهن الخاصة ..

وفى نفس الميدان ، تجد أشهرأسواق اللحوم والخضروات فى روما ، واكبرها ، وأحبها الى النساء . ورغم انتشار الثلاجات الكهربائية فى البيوت ، فان أكثر نساء روما لا يزلن يخلصن لعادة التردد يوميا على أسواق المأكولات ، لانتقاء ما يلزمهن . هناك تجدهن يتهافتن ويتصايحن فى طلب لحوم الضأن الصغيرة (ويطلقن عليها « أباكشيو ») ، كى يطهينها فى الفرن ، بعد تزويدها بالثوم والتوابل ! .. ثم يعرجن على احدى بائعات الخرشوف ، فيبتعن منها بعض ثماره المنتقاة .. وأهل روما يطهون الخرشوف بطريقتين ، كلاهما أشهى من الأخرى : الأولى يخلط فيها بالنبيذ ، والزيت .. والطريقة الاخرى (ويطلقون عليها « الا رومانا ») يطهى فيها بالتوابل والثوم والزيت ..

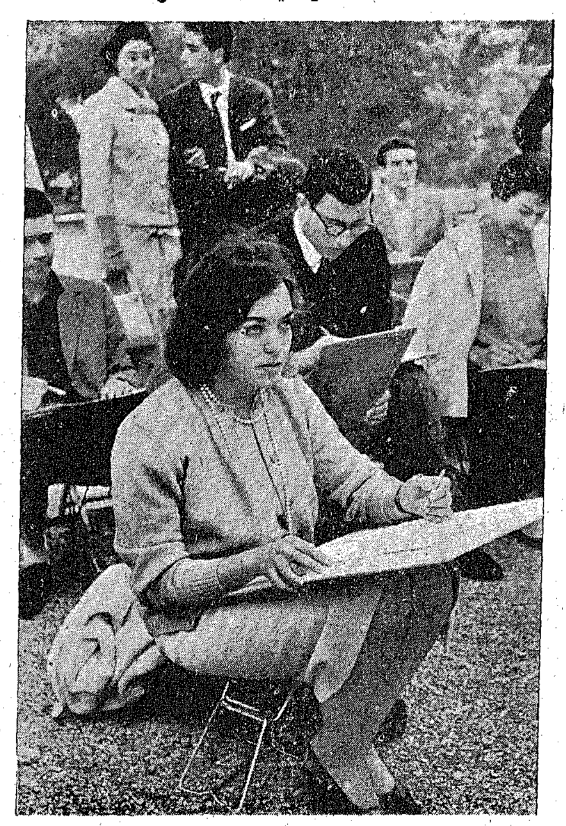
هل فرغت من التزود بفكرة سريعة عن سوق اللحوم وسوق الخضروات ؟ .. اذن تعال نعرج على سوق الفاكهة . انها فى روما عامرة بالفواكه ، الايطالية والمستوردة ، سواء من البلاد الحارة أو الباردة .. ففيها تجد الخوخ الايطالى الممتاز ، والعنب بكافة أصنافه وألوانه ، الى جانب شرائح البطيخ الباردة (التى تباع بالشريحة وليس بالبطيخة) .. ثم البرتقال الوارد من (صقلية) ، والتفاح ، والبرقوق ، والموز .. الخ .

والآن ، تعال نترك ميدان (فيتوريو ايمانويل) هذا ، لنمضى الى ميدان آخر من أشهر ميادين روما ذات الطابع

التقليدى .. انه ميدان اسبانيا (بياتزا دى سبانيا) ، ذو الطابع الخاص النادر . وأول ما يلفت النظر فيه انك تستطيع الوصول اليه من طريقين : احدهما مستو ، يتفرع من قلب المدينة وشوارعها الرئيسية .. والآخر طريق علوى مرتفع يهبط بك الى الميدان من ساحة (ترينيتا دل مونتى) بواسطة عشرات السلالم العريضة (التى يبلغ عرضها فى بعض المواضع عشرات الامتار) ، والتى تتفرع فى منتصفها ، اكثر من مرة ، الى فرعين يلتقيان حول ساحة وسطى تعتبر بمثابة طابق ثان أو ثالث، وهكذا . . **والى يسار السلالم المذكورة يقع المنزل الذى كان يقطنه الشاعر الانجليزى ((جون كيتس)) ، وقد صار الآن متحفا يزوره السياح والشعراء ، وعشاق أدب كيتس من قراء الانجليزية .**

وتعتبر سلالم ميدان اسبانيا من أشهر معالم روما التى يتواعد الاصدقاء على اللقاء والجلوس على جوانب درجاتها العريضة ، دون أن يؤثر ذلك بحال على مواكب الهابطين والصاعدين . . واذا تأملت الجالسين على جانبى الدرجات ، تجدهم خليطا عجيبا من البشر : سائحات وسياحا من شتى الاقطار ، ومختلف الاعمار ، جلسوا يستريحون بعد طول التجوال بين معالم المدينة الخالدة ، وفى يد كل منهم ، او

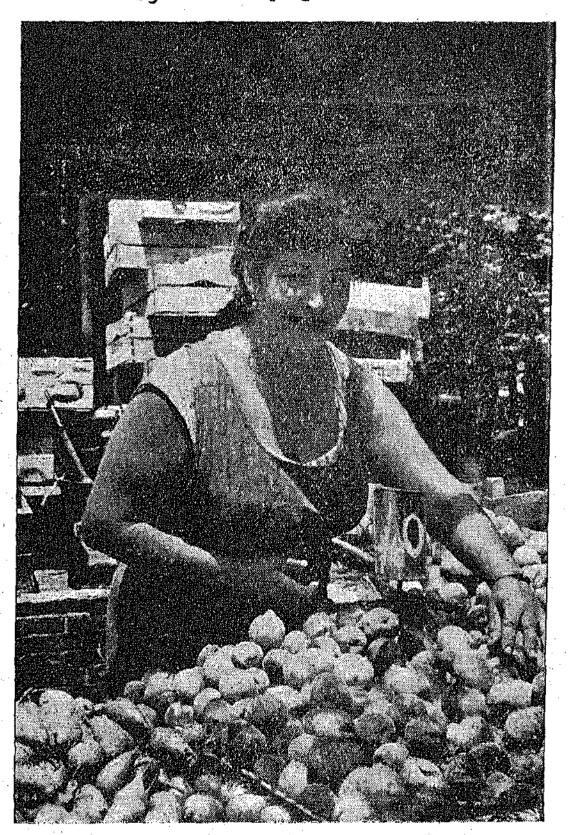
صورة الصفحة المقابلة : فوق مقاعد متنقلة انيقة ، جلست طالبات وطلبة كلية هندسة المعمار بجامعة روما ، أثناء حصة تمرين على الطبيعة ، فى حدائق (فيللا بورجيزى) — التى أقيم فيها تمثال شاعرنا شوقى .



ذراعه ، آلة تصوير .. وفتيات وفتيانا ايطاليين من طلبة جامعات روما ومعاهدها ، يستذكرون محاضراتهم فى فترة فراغ .. ورسامين أو نحاتين يمارسون فنهم فيرسمون حسناء . أو يصنعون لها تمثالا .. وبائعات زهور يعرضن بضاعتهن ذات الالوان الزاهية والعطر الفواح .. وموسيقيا يعزف ألحانه على كمان أو « أكورديون » .. وعجائز بدينات يلاعبن أحفادهن وقد احضرنهم للنزهة واستنشاق الهواء ، أثناء انهماك الامهات فى أعمالهن ؛ فالتقين بصديقات وجارات وانهمكن فى الثرثرة معهن بالصوت المرتفع المأثور عن شعوب البحر الابيض !

.. **فاذا صعدنا السلالم الى الساحة العليا ، التى تشرف على منظر خلاب للمدينة يكشف للانظار قطاعا كبيرا منها** ، رأينا العشاق أزواجا قد انتحوا أركانا متباعدة ، وراحوا يتناجون وقد استثار المنظر خيالهن ؛ وحرك عواطفهن .. وهذه عجوز قد استسلمت للوحدة فى ساعة الغروب ، مستمدة من الضياء الناعم للشمس الغاربة ، ومن الهدوء الشامل الذى يسود الساحة فى تلك الساعة ، فرصة للتأمل واستعادة الذكريات ..

صورة الصفحة المقابلة : احدى بائعات الخوخ الشهى فى شوارع روما ، أمام عربتها فى ميدان « فيتوريو — فيكتور — عمانويل » ، وقد نصبت بين حبات الخوخ لافتة كتبت عليهاسعر الكيلو منه وقدره ٤٠ ليرة فقط ، (أى سدس ثمن زجاجة الكوكاكولا فى مقاهى شارع فينيتو !)



جنات العشاق .. فى المدينة الخالدة

والعشاق فى روما أماكن كثيرة أخرى للقاء ، منها طريق (آبيا أنتيكا) القريب من سراديب اختباء المسيحيين من الاضطهاد الرومانى فى القرن الاول للمسيحية .. **فهناك تحلو الخلوة فوق بعض الاطلال الأثرية ساعة الغروب ، حين تبدو أشجار الصنوبر ، بل والمقابر القديمة ذاتها ، وكأنها تزفر انفاسا ناعمة ، تحنو على العشاق وتطلق كامن الهوى المكبوت فى الصدور ..**

.. وفى ذلك الطريق ، يكثر المتنزهون بالـ « فسبا » ، وقد تعلقت كل فتاة عليها بخصر صاحبها الذى يقودها منتفخ الأوداج زهوا ، وكأن ضجيج الآلة الصاخبة المنطلقة بأقصى سرعتها تعبير عن قوته ورجولته !

ومن جنات العشاق ايضا فى روما ساحة (بنشيو) ، المطلة على منظر رائع آخر للمدينة ، وميدان (دل بوبولو) بالذات .. وفيها يلتقى الشباب من الجنسين ، وتتزاحم السيارات فوق الربوة ، ولا سيما ساعة الأصيل ، أو صبيحة يوم الأحد ، حين ينسلون اليها من حدائق بورجيزى التى تحيط بها .. وما أكثر من يأتون الى تلك الساحة فرادى ، ويعودون أزواجا !.. أو يأتون أزواجا ليقضوا وقتا طيبا فى استنشاق الهواء ، والثرثرة ، والفرجة ، والتحدث فى السياسة ، وفى الحب !.. وأحيانا يأتى الى

صورة الصفحة المقابلة : يحلمان بعش المستقبل ، وهما يطلان على مياه نهر (التيبر) .. وفى الخلف جانب من السلالم التى تكثر فى روما ، والتى يصعد المارة عليها من شارع الى شارع !



الساحة حبيبان للنزهة ، فيتناولان غداء بسيطا على احد المقاعد ، ثم يدلفان الى « غابة » بورجيزى ، حيث يستلقيان على الحشائش بين الاعشاب الكثيفة ، ليقضيا ساعة القيلولة ، فى ذلك الجو الحالم الذى يقول اهل روما ان المرء يستطيع أن يقضى فيه نصف عمره !.. وهم يتندرون بالقول ان قبلة فوق الحشائش فى حدائق بورجيزى ، غالبا ما تؤدى الى .. ارتداء طرحة الزفاف !

الدنيا تمر امامك .. فى مقاهى (فيا فينيتو) !

وحسبنا هذا من ساحة (بنشيو) وحدائق بورجيزى ، ولنخرج من الطرف الآخر للحدائق ، عبر احدى البوابات الأثرية ، الى الطريق المؤدى بعد دقائق الى قلب روما النابض .. الى شارع (فينيتو) المشهور ، الذى يزدحم — على الجانبين — بالمقاهى المتراصة على أرصفته فى الهواء الطلق ، والذى يبدو — ولا سيما فى الاعياد وأيام الآحاد والعطلات — شبيها بالشارع الخامس (فيفث افينيو) فى نيويورك .. أما فى العصارى ، وليالى الصيف ، فهو خليط من (الجران بوليفار) والشانزليزيه بباريس !.. وتعتبر مقاهيه فى نظر اهل روما ، فى مكانة مقهى (فوكيه) بالنسبة لأهل باريس . أما بالنسبة للسياح ، فكل مقاهيه هى (كافيه دى لابيه) .. وهو على أى حال ، بالنسبة للجميع ، أمتع مكان تجلس فيه لتتحدث وترى الدنيا — ونساء روما — تمر امامك !

وفى الفصل القادم نغادر روما معا .. الى (بانجكوك)



ترجمة : حسين القباني

عزيزى القارىء :

يصدر هذا العدد من « كتابى » ، والعالم يستقبل عيد السلام .. **عيد مولد السيد المسيح .**

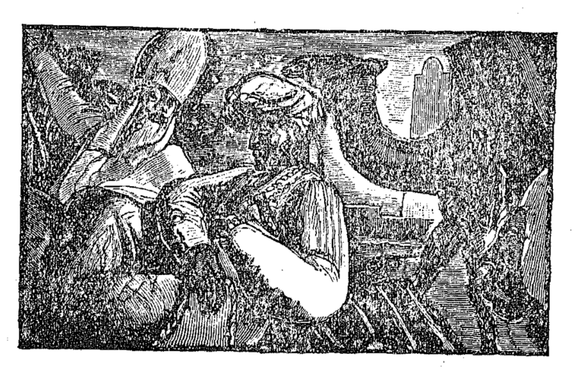
ولقد كتب كثيرون عن هذا الحدث الذى كان من الانقلابات الكبرى فى تاريخ البشر .. كتبوا عن الظواهر التى سبقته .. وكتبوا عن الظواهر التى صاحبته .. ثم كتبوا عن السيد المسيح وحوارييه وأعدائه ورسالته الدينية والانسانية .. وكتبوا عن الأحداث التى توالت بعده ، اذ أصبحت المسيحية أكثر من مجرد رسالة دينية ، وأكثر من مجرد دعوة .. **وأكثر من مجرد اشراقة فى عالم كان قد ساده الظلام .. ظلام العقول ، وظلام النفوس ، وظلام القلوب ..**

والقصة التى أقدمها لك اليوم ، من أروع ما كتب الأديب الفرنسى الخالد الذكر **« اناتول فرانس »** ، استوحاها مما ورد فى « التوراة » عن الظواهر التى سبقت مولد السيد المسيح ، ولكن خياله الشاعرى أسبغ عليها غلالة رومانسية جعلتها قصة عاطفية طريفة ، وتحليلا نفسيا دقيقا ، وعرضا روائيا مشوقا ..

***

كان « بلتازار » ــ الذى يسميه الأغريق « سراسين » ــ ملكا على اثيوبيا . وكان شابا ، اسود الاهاب ، جميل الملامح كريم النفس ، طيب القلب .

وفى العام الثالث من حكمه ــ وقد بلغ الثانية والعشرين من عمره ــ غادر مقر ملكه ، فى زيارة لبلقيس ــ ملكة سبأ ــ مصطحبا الحكيم « سيمبوبيتس » ، والسمير « مينكرا » ،



وخمسة وسبعين جملا محملة بالعطور ، والتحف ، والعاج ..
وراح الحكيم يحدث الملك الشاب ــ خلال الرحلة ــ عن أسرار النجوم ، وخصائص الأحجار الثمينة .. بينما كان السمير ينشد له مقطوعات من الأساطير ، حتى بلغ الركب ــ بعد مسيرة اثنى عشر يوما فى جوف الصحراء ــ مكانا ظليلا يشرف على الحدائق الغناء المحيطة بمدينة (سبأ) . ومن هناك ، سار الركب فى درب يؤدى الى أسوار المدينة . واذا الملك ورفاقه يلمحون باقات من العذارى الفاتنات ، يرقصن تحت أشجار الرمان المزهرة ، رقصات تفتن الألباب .. فقال الحكيم « سيمبوبيتس » ، وهو يرنو اليهن :

ــ ان الرقص يامولاى دعاء .. وصلاة !

وقال السمير ، وهو يلعق شفتيه :

ــ هؤلاء العذارى يساوين ثروة طائلة ، فى سوق الجوارى !

ودخلوا المدينة ، فأدهشهم ما رأوا من متاجر ، ومصانع ،

ومعابد . . ومن البضائع الوافرة ، من كل صنف ولون . وبعد ان ساروا فترة فى شوارع مزدحمة بالمركبات والحمالين والمكاريين ، طالعهم قصر «بلقيس» بجدرانه المرمرية ، وقبابه الذهبية . .

***

واستقبلتهم ملكة سبأ فى قاعة فسيحة من القصر ، يرطب جوها رذاذ من الماء المعطر . كان ينبثق – على هيئة الورد – من نافورات مرمرية مموهة بالذهب .

وبدت الملكة باسمة ، وقد ارتدت ثوبا مرصعا بالجواهر . **أما جمالها ، فكان يشع النور حولها . فلا عجب ان خفق قلب الملك الشاب وهو يراها أفتن من احلام اليقظة ، وأروع من أعذب الأمانى !** . . ومال الحكيم على اذن مولاه هامسا : «لا تنس يامولاى أن تعقد معها معاهدة تجارية !» . . بينما همس السمير بدوره : « حذار من فتنتها يامولاى ، فانه يقال انها تحمل تميمة سحرية تأسر بها قلوب الرجال ! »

وما لبثت حاشيتا الملكين ان انسحبتا ، ليخلو الملك الشاب الى الملكة الفاتنة . . وحاول «بلتازار» أن يقول شيئا ، ولكن سحر جمال الملكة عقل لسانه ، فظل صامتا . ومن ثم بدأت هى الحديث . **فقالت بصوت أعذب من ايقاع النغم : « مرحبا بك يامولاى . . هلا تفضلت بالجلوس هنا . . بجانبى ! »** . **واشارت باصبع دقيقة ، انيقة – كأنها صيغت من شعاع الفجر – الى وسادة من الحرير . فجلس بلتازار وهو يتنهد** . ثم امسك بوسادتين فى عنف وهتف : «مليكتى . ليت هاتين الوسادتين عملاقان من أعدائك ، فكنت امزقهما هكذا . . »

وراحت أصابعه الابنوسية القوية تعمل فى تمزيق

الوسادتين وهو يتحدث ، فتطاير منهما ريش النعام الناعم . وترنحت منها ريشة فى الجو ، ثم استقرت على صدر الملكة ، التى قالت وقد توهجت وجنتاها : « ولماذا تريد ان تقتل العمالقة يامولاى ؟ »

ـ لانى احبك !

فبادرت الى تغيير مجرى الحديث ، قائلة : « اخبرنى .. هل مياه الآبار فى مملكتك عذبة صافية ؟ » . فدهش الملك للسؤال ، ولكنه رد بالايجاب . فعادت تسأله ، وهى تخفى ارتباكا ألم بها : «اغفر لى فضولى اذا سألتك : كيف تصنعون الحلوى من الفواكه المجففة ؟ »

واذ حاول الملك أن يجيبها بقدر ما يعلم ، اذا هى تقاطعه وكأنها لم تسمع كلمة واحدة ، مما قال : « **مولاى .. يقال انك تحب جارتك الملكة كانديس ، فهل تراها أجمل منى ؟ .. صارحنى !** » . فهتف الشاب وهو يلقى بنفسه عند قدميها : « أجمل منك ؟! .. وهل على ظهر الأرض من هى أجمل منك ؟ »

ـ اذن صف لى عينيها ، شفتيها ، لون بشرتها ، جمال عنقها ، ارتفاع صدرها .. !

فبسط بلتازار ذراعيه ، وصاح : « **امنحينى هذه الريشة الصغيرة ، التى استقرت على صدرك ، أهبك نصف مملكتى ، ومعها الحكيم سيدوبيتس والسمير مينكرا ! »**

ولكن الملكة نهضت من مكانها واسرعت تغادر القاعة ، مخلفة وراءها أصداء عذبة لضحكة كرنين الفضة !

***

وفى المساء ، جلس « بلتازار » مع الملكة الى مائدة العشاء . وراح يحتسى خمر البلح ، وهو ينصت اليها .. ومضت

تقول فى معرض الحديث : « اذن فالملكة كالديس ليست على شىء من جمالى ؟ » . فقال : « انها سوداء البشرة ! »

ـ قد يكون المرء أسود اللون ، ولكنه جذاب الملامح !

فهتف الملك الشاب وهو يأخذها بين ذراعيه : «بلقيس ! »

وشرع يضغط شفتيها بشفتيه ، فى قبلات حارة ملتهبة . ولكنه لم يلبث أن فوجىء بدموعها تنحدر كحبات اللؤلؤ على وجنتيها . فأخذ يناجيها بصوت رقيق هامس ، ويسألها فى لوعة : « لماذا تبكين يامولاتى ؟ . . خبرينى ماذا أصنع لأمسح الدموع عن عينيك ! »

وامسكت عن البكاء أخيرا ، ثم قالت بعد برهة من التفكير :

((لكم اتمنى ان اعرف .. ماهو الخوف !))

ثم راحت تذكر له أنها تمنت كثيرا لو تعرضت لأخطار خفية ، ولكنها كانت محرومة من تحقيق هذه الأمنية ، لأن آلهة بلادها ، وجنودها الأقوياء ، كانوا يسهرون على سلامتها . واستطردت تقول : ((**كثيرا ما أهفو ـ فى سكون الليل ـ الى هذا الاحساس العذب المثير .. الاحساس برعب ينفذ الى أعماقى .. بفزع تشيب له خصلات من شعرى .. آه ، ما أمتع الاحساس بالخوف .. انه سر الحياة !))**

ثم لفت ذراعيها حول عنق الملك الأسمر ، وقالت بدلال : « لقد اتى الليل يا مولاى ، فهلا جئت معى ، نجوس خلال المدينة متنكرين ؟! » .

فلما أعرب عن رضاه ، أسرعت الى نافذة فى القصر ، فأطلت على الميدان الممتد وراء الأسوار ، وقالت وهى تتنهد : « أرى متسولا يقترب من أسوار القصر ، فاسرع اليه ، واستبدل ملابسك بملابسه ، ريثما اتنكر أنا فى ملابس عادية ! »

وانفلتت من القاعة ، وهى تصفق فى مرح كالأطفال !

وما أن استبدل « بلتازار » بملابسة الموشاة بالذهب ، ملابس المتسول المنسوجة من وبر الابل ، حتى أقبلت « بلقيس » متنكرة فى جلباب أزرق ، من النوع الذى ترتديه الفرويات . ثم تقدمت ضيفها فى سراديب ضيقة ، حتى بلغا بابا صغيرا يفضى الى الحقول .

وفى ظلمة الليل الحالكة ، بدت الملكة صغيرة الجسم ، وهى تمضى مع « بلتازار » الى حانة كانت ملتقى لطلاب اللهو وبنات الليل . وهناك جلسا الى احدى الموائد القذرة ، والهواء الفاسد يكاد يخنقهما .. وراحا يشاهدان بعض الوحوش الآدمية وهم يتضاربون بالمدى واللكمات ، من أجل بغى أو فى سبيل قدح من الخمر الرخيصة . وكان بعض السكارى يرقدون تحت الموائد مخمورين ، وصاحب الحانة جالسا على بعض البراميل ، يرقب ما كان يجرى فى غير اكتراث .

واذ رأت « بلقيس » بعض الأسماك المجففة ، معلقة فى سقف الحانة ، قالت لبلتازار هامسة : « كم أود أن أتذوق بعض هذه الأسماك ، مع مسحوق البصل ! » . وسرعان ما أمر « بلتازار » الساقى بأن يحضر ما طلبت . **ولكنه اكتشف ـ بعد الفراغ من الأكل ـ انه كان قد نسى نقوده فى الرداء الذى أعطاه للمتسول ، فقرر أن يتسلل هاربا مع بلقيس .**

بيد أن صاحب الحانة لمحهما وهما يتسللان ، فاعترض سبيلهما ، وراح يصب على رأسيهما وابلا من الشتائم والسباب . وعندئذ هجم « بلتازار » عليه ، ووجه اليه لكمة ألقت به على الأرض .

وسرعان ما تجمع بعض السكارى حوله وحول بلقيس ، مشهرين مديهم وخناجرهم . ولكن الملك الشاب القوى التقط مدقا مصريا ـ مما يستعمل لسحق البصل ـ وأسقط به اثنين



من المهاجمين ، وأرغم الباقين على التراجع . وكانت قـوته تتضاعف كلما شعر بجسد « بلقيس » الدافىء ، وهى تلتصق به فى خوف وفزع !

وعمد السكارى ــ حين عجزوا عن مقاومتــه ــ الى قذفه بأقداح الشراب ، وأوعية الطعــام ، والمصابيح المشتعــلة ، والآنية النحاسية الضخمة .. وسقط أحد هذه الآنية على رأس « بلتازار » فشجها . ولكن الشــاب استجمع قوته ، وراح يقذف بالآنية على أعدائه ، فى قوة هائلة ، فكان لها دوى مروع ، اختلط بصيحات النزع وأنين الجرحى والمحتضرين ..

وانتهز بلتازار هذه الفرصة ، فحمل «بلقيس» بين ذراعيه ، وانطلق بها خلال شوارع جانبية ضيقة يخيم عليها السكون والظلام .. حتى اذا بلغ شاطىء جدول صغير ينساب بين المزارع ، توقف برهة مأخوذا بالســكون الرهيب ، وقطرات

الدم تتساقط من رأسه على صدر « بلقيس » التى استكانت بين ذراعيه .

وهمست الفاتنة بصوت متهدج خافت : ((**أحبك !**))

وعندئذ ، برز القمر من فجوة بين السحب ، فرأى « بلتازار » على ضوئه الناعم وجه الملكة الحسناء .. وفيما هو يرتوى بنظراته من نبع جمالها ، زلت به قدمه على العشب الندى ، فسقط بحمله .. والتصق الجسدان فى عناق طويل ، لم يفيقا منه الا حين اقبل موكب الفجر ، وفى ركابه المها والغزلان تسعى من وراء الصخور والأشجار ، لترتوى من الغدير .

***

ومر فى تلك اللحظة جماعة من قاطعى الطريق ، فلما رأوا الحبيبين المتعانقين ، قال بعضهم لبعض : « انهما ــ كما يبدو من مظهرهما ــ فقيران ، ولكنهما فى ميعة الصبا .. يساويان مبلغا كبيرا فى سوق الرقيق ! »

وسرعان ما أحاطوا بهما ، فقيدوهما ، وشدوهما الى ذيل حمار ، وانطلقوا بهما ..

وبينما راح ((بلتازار)) يهدد اللصوص بالموت والدمار ، كانت ((بلقيس)) تبتسم فى سرور !

وسار الجميع على هذه الحال فى دروب موحشة مهجورة ، حتى ارتفعت الشمس ، واقتربت الظهيرة . وعندئذ ، سمح للأسيرين بالاستراحة برهة فى ظل صخرة ، ودفع اليهما الأشقياء بكسرات من الخبز الجاف ، عف عنها « بلتازار » ، ولكن « بلقيس » أقبلت عليها فى شراهة ونهم .

وضحكت . .واذ سالها كبير اللصوص عما أضحكها ، قالت :



وسرعان ما أحاطوا بهمـا ، فقيدوهمـا ..

« انما أضحك لمنظركم جميعا ، يوم أصدر الأمر بتعليقكم على أعواد المشـــانق ! » . فصاح اللص ساخرا : « أحقـــا ؟! .. لا عجب أن يصـــدر هذا الحديث من بغي مثلك .. ترى هل سيساعدك حبيبك هذا الأسود على شنقنا ؟ »

وأضرمت هذه الاهانة سورة الغضب فى دماء « بلتازار » ، ودفعته الى أن ينقضّ على اللص ويقبض على عنقه بيدين من حديد ، ولكن اللص استطاع أن يغمد سكينا فى جســـد الملك الشاب .. وفى اللحظـــة التى سقط فيها « بلتـــازار » على الأرض ، وعيناه معلقتـــان بوجـــه « بلقيس » الخائفـــة ، اذا



بكوكبة من الفرسان تتقدم نحو الجميع ، فتنفست « بلقيس » الصعداء حين رأت حارسها الأمين « آبنر » ، وقد انطلق على رأس الكوكبة يبحث عنها ، بعد أن اكتشف غيابها عن القصر !

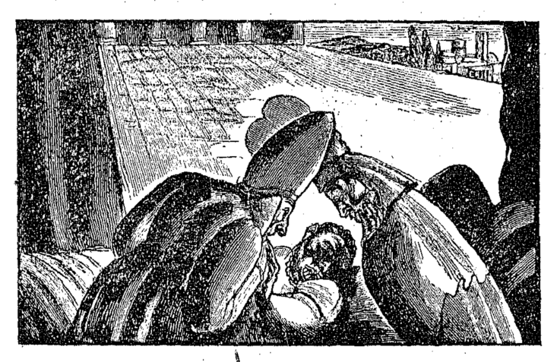
وبعد أن اعتلت الملكة المحفة الخاصة بهـــا ، التفتت الى

اللصوص الذين تم القبض عليهم ، وقالت لكبيرهم : « ستعرف يا صاحبى الآن صدق ما وعدتك به ! »

***

اما الحكيم « سيمبوبيتس » والسمير « مينكرا » ، فقد صاحا فى حزن ، عندما رأيا سيدهما « بلتازار » مسجى على الأرض مطعونا . فأسرعا اليه ، وحملاه فى رفق وعناية . **وما كان أشد سرورهما اذ تبينا انه ما زال على قيد الحياة ، فضمدا جراحه ، وحملاه الى جواد ، وسارا به الى قصر الملكة ..**

وقضى الملك أسبوعين فى بحران الحمى ، يهذى فى غير انقطاع عن الرغبة الملتهبة فى ضم بلقيس الى صدره . وفى



اليوم السادس عشر ، فتح عينيه ، وقال للحكيم والسمير الجالسين بجانبه : « أين هى ؟ .. بلقيس .. ماذا تفعل

الآن ؟ » .. فقال مينكرا : « **انهـا الآن يا مولاى فى خلوة مع ملك كوما جينا** » .

وقال سيمبربيتس : « أرجو يا مولاى ألا تحفل بالأمر ، حتى لا تعاودك الحمى ! » . فوثب « بلتازار » من فراشـه ، وصاح مزمجـرا : « لابد لى من ان أراها .. حذار أن يقترب منى احد ! »

ولما دنا من مخدعها ، اذا به يرى ملك (كوماجينا) يدخل الى الكلة ، وقد ارتدى ثوبا ثمينا .. ورأى بلقيس مستلقية على وسادة من الحرير ، مسبلة الأجفان ، باسمة الثغر ..

وهتف « بلتازار » فى لهفة : « بلقيس .. بلقيس ! »

فقالت فى خشونة : « ماذا تبغى ؟ »

فانفجر الشاب باكيا ، وهو يقول : « اوتسألينني ؟ » .. ثم أدرك فجأة ـ اذ رآها تنظـر اليه فى دهشـة واسـتنكار انهـا قد نسيته تمـاما . ولكنـه راح يذكرها بالجـدول ، والضفاف الخضراء .. فقاطعته قائلة : « **الحق يا سيدى اننى لا أفهم ماذا تعنى ! .. يبدو أن خمر البلح قد ملأت راسك بالخيالات والأحلام !** »

فصاح الملك الشـاب وهو يدق كفا بكف : « عجبا ! .. هل كانت قبلاتك سرابا ؟ .. ان آثار السكين لا تزال فى جسـدى ، فهل كانت أيضا من الخيالات والاحلام ؟ » . فنهضت بلقيس قائلة : « ان وزراء مملكتى مجتمعون الآن ، فليس ثمة وقت أضيعه فى تفسـير ما يصوره لك ذهنك المضطرب . اذهب واسترح .. وداعا ! »

***

وشعر « بلتـازار » بالأرض تميد تحت قدميه ، ولكنـه تحامل على نفسـه ، حتى لا ترى هذه المرأة الشريرة ضعفه .

ثم أسرع الى غرفته ، حيث سقط مغشيا عليه ، وقد عاودته الحمى ثانيــة .

ومضت ثلاثة أسابيع وهو فى غيبوبة متواصلة . وفى اليوم الثــانى والعشرين ، استرد صوابه . وتنــاول يد الحكيم « سيمبوبيتس » ، الذى كان يسهر عليه مع مينكرا ، وقال لهمــا باكيــا : « **أواه ، آه يا صـــديقى .. مــا أســعدكما بشيخوختكما ! .. ولكن لا ، ليس فى هذه الدنيا ســعادة أو سلام .. كل شىء فى الحياة باطل ، ما دام الحب خطيئة .. وبلقيس غانيــة !** » .. فقــال سيمبوبيتس : « ان الحكمــة توحى بالسعادة يا مولاى ! »

ــ اذن سألتمس هذه الحكمة أينما تكن .. هلم نعد الى بلادنــــا !

وغادر « بلتازار » ــ وحاشيته ــ مملكة (سبأ) ، وهو أشد ما يكون نقمة على الغانية اللعوب الغــادرة ، التى وضعتهــا الأقدار على راس هذه المملكة .

***

وقرر الملك الشاب ــ بعد أن عاد الى وطنه كسير القلب ــ أن يكرس حياته للحكمة ، وان لم يبعث هذا القرار سكينة فى نفســه المحــزونة . وراح يجلس ــ فى شرفة قصره ــ كل مساء ، مع الحكيم سيمبوبيتس والسمير مينكرا ، يحدق فى النخيل وهى منتصبة عند الأفق ، ويتأمل ــ فى ضوء القمر ــ أسراب التماسيح وهى تسبح على صفحة النيل كأنها جذوع نخل عائمة ..

وقال الحكيم ذات ليــلة : « ان المرء لا يمل قط جمــال الطبيعة ! » . فقال الملك : « أجل ، ولكن .. فى الطبيعــة ، ما هو أجمل من النخيل فى ضــوء القمر ! » . وكان يفكر فى

بلقيس ، حين تفوه بهذه العبارة ، فقال الحكيم محـاولا أن يبدل مجرى نفكيره :

ــ أجل يامولاى .. هناك ــ مثـلا ــ هــذه القوى الخفية التى تجعل النيل يفيض بالخير فى كل عام ، والنى شرحت لك بعض أسرارها يوما .. لقد خلق الانسان ليتعلم ..

ــ بل خلق الانسان ليحب .. وهنـاك فى الحيـاة أسرار لايستطيع الانسان أن يدركها ..

ــ ما هى هذه الأسرار يامولاى ..

ــ خيانة المراة ، يا رجل !

وكان الملك الشاب ــ حين كرس نفســه للعلم والحكمة ــ قد شيد برجا عاليا من الحجارة الصلبة ، يستطيع من يعتليه أن يرى الممالك الأخرى عن بعد ، وأن يدير عينيه فى جنبات السماء .. واعتاد « بلتازار » ان يصعد ــ فى كل ليلة ــ الى قمة البرج مع الحكيم سيمبوبيتس ، لينصت اليه وهو يقول : « ان كواكب السماء يامولاى تكشـف عن بعض ما يخبئه لنا القدر ! »

ــ ربما .. ولكنى لا أكاد أرى فيها شـيئا .. انما أنظـر اليها لأنسى « بلقيس » ، وهذا حسبى !

ويمضى الشيخ فيشرح للملك خصائص النجوم ومميزاتها ، فيبهر الملك بما يســمع ، ويقول : « هكذا تكون الحكمة التى تنسى الانســان « بلقيس » وغـيرها .. ان فى التماس العلم راحة وسـلاما ، فهو يجنب الانسان التفكـير فى سـفاسف الحياة ! »

***

وهكذا استمر الحكيم الشـيخ يعلم الملك الشاب اسرار الحكمة ، ويلقنه الرقيات التى تكشف عن أسرار القوة . وكان

«بلتازار» ـ كلما اوغل فى دراسة ابراج الشمس الاثنى عشر ـ ازداد ابلقيس نسيانا ، حتى امتلأ قلب السمير مينكرا بالبهجة ، وشرع يسخر منها امامه ، وينال من محاسنها ، وقال له يوما : « الهم يعرفون أن الملكة بلقيس انها تخفيها تحت ثياب طويلة ، لانهما تشبهان حوافر الماعز ! »

ـ منذا الذى قال لك هذا الهراء ؟

ـ انها شائعة معروفة بين الناس فى سبأ .. كلهم يعلمون ان ساقى بلقيس هزيلتان ، عجفاوان ، متشعرتان .. تنتهى كل منهما بظلف اسود !

وهز الملك كتفيه فى غير اكتراث ، فقد كان يعلم ان لبلقيس ساقين جميلتين . ولكن حديث السمير ـ مع هذا ـ أفسد عليه كثيرا من الذكريات التى احتفظ بها لهذه المرأة التى حمل لها اعنف الحب . وبدا هذا الحديث يترسب فى اعماق نفسه ، ويزيد من نفوره نحو « بلقيس » ، حتى جاء اليوم الذى اصبح فيه لا يشتهى النظر اليها !

وراح الشاب يتقدم حثيثا فى علوم الحكمة والفلك ، فدرس بعناية علم ميلاد النجوم الجديدة ، واستطاع أن يلحق باستاذه الحكيم سيمبوبيتس ، فى دراسة الطوالع .. وفى ذات ليلة ، سأل الملك الحكيم : «هل تستطيع ياسيمبوبيتس أن تحدد بعلمك مواضع النجوم الجديدة التى اكتشفها ؟ »

ـ مولاى .. ان العلم لا يخطىء ، ولكن رجل العلم غير منزه عن الخطأ ..

ـ ان الحقيقة الهية يا « سيمبوبيتس » ، وكل ما هو الهى خفى علينا ، ولكننا نحاول الوصول اليها . وقد اكتشفت فى السماء نجما جديدا .. نجما جميلا يخيل لى أنه ينبض بالحياة ، فاذا أرسل نوره ، فكانه عين علوية ترنو الى الكون فى حب وحنان .. يخيل لى يا سيمبوبيتس انى اسمعها

تقول : « سعيد سعيد هذا الذى سيولد تحت هذا النجم الجديد » !

وظل « بلتازار » يردد هذه العبارة فى سكون الليل ، وهو وحيد . وما لبث ان أونى أشرافا غريبا ، فشاع فى اثيوبيا كلها ان الملك الشاب قد شفى تماما من داء وجده وهيامه ببلقيس !

***

ولما تناهت هذه الانباء الى مدينة سبأ ، قفزت «بلقيس» فى غضب ، وأسرعت الى ملك (كوماجينا) — الذى كان بعد مقيما فى سبأ — وقالت له فى حنق : « أعرفت ياصديقى ماذا يقولون ؟ ! .. يقولون ان بلتازار قد نسينى ولم يعد يشتهينى ! »

— وفيم يعنينا هذا ، ونحن سعداء بغرامنا ؟

— ولكن .. الا ترى أن فى هذه الأقوال اهانة لى ؟ !

ولم يقرها الملك على رأيها ، فلم يزدها موقفه الا سخطا . وصرفته من مجلسها ، ثم أمرت كبير وزرائها ليعد لها اسباب السفر الى أتيوبيا . وقالت : « يجب أن نبدأ الرحيل الليلة .. وسأطيح برأسك اذا لم تكن كل الاستعدادات قد اكتملت عند الغروب ! » .. حتى اذا انفردت بنفسها ، أخذت تبكى وتقول : « انه لم يعد يحبنى ، وأنا مازلت أهواه ! »

وفيما كان « بلتازار » فوق برجه الشاهق ، يرقب النجم الجديد ، حانت منه نظرة الى الارض ، فاذا به يرى خطا طويلا أسود يتلوى فى جوف الصحراء ، كأنه جيش من النمل البرى . ولما دنت طلائع الجيش تبين فيه رجالا وفرسانا وابلا وفيلة . وعندما بلغ الموكب أسوار المدينة ، تعرف «بلتازار» على السيوف المحدودبة ، اللامعة ، والجياد المطهمة السوداء ،

التى كانت تميز حرس الملكة « بلقيس » .. ثم شاهد الملكة نفسها فى هودجها ، فشعر باضطراب شديد وخيل اليه أنه يوشك ان يقع مغشيا عليه ..

***

وكان النجم الجديد يرسل من السماء نوره الالهى العجيب ، بينما راحت « بلقيس » ترسل من الأرض نور حسنها الفاتن . وأحس « بلتازار » بقوة طاغية تدفعه للاسراع اليها ، ولكنه رفع رأسه ــ وهو يكافح نفسه باستبسال ــ الى السماء ، وراح يتطلع الى النجم الجديد ، فشعر كأن صوتا عذبا رقيقا ينساب فى اذنيه انسياب الماء الزلال فى جوف الظامىء الصادى :

« المجد لله فى الأعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة ..

« خذ حفنة من المر أيها الملك الوادع بلتازار ، واتبعنى ..

« لسوف أقودك الى قدمى طفل يوشك ان يولد فى مزود ثور وأتان ..

« وسيكون هذا الطفل ملكا دونه ملوك الأرض جميعا ..

« يواسى كل من هو فى حاجة الى مواساة ..

« انه يدعوك اليه يا بلتازار ، لأن قلبك خال من الادران كقلب طفل ، بعد أن كانت نفسك فى سواد بشرتك ..

« لقد اختارك بالدعوة لأنك تعذبت ، وسوف يعطيك الثراء والسعادة والسلام ..

« وسيقول لك : كن فقيرا نافعا ، تكن أغنى الأغنياء ..

« السعادة الحقة هى فى اسعاد الغير .. أحبب الله يحبك ، فالله هو الحب .. »

وما ان حفظ «بلتازار» هذه الكلمات ، حتى اشرق وجهه الأسمر يفيض من نور الاسلام ، وأحس كما لو أنه خلق فى تلك اللحظة من جديد !

وعندما التقت « بلقيس » به ، أيقنت لفورها أن غرامها لن يعرف الطريق الى قلبه ــ مرة أخرى ــ الى الأبد . فقد افعم ، هذا القلب بالحب الالهى الجديد ! . . وتولاها غضب جامح . اختلط بيأس جائح ، فأمرت حاشيتها بالعودة الى (سبأ) .

***

وفى اليوم التالى ، حمل « بلتازار » مقدارا من المر ، وجهز ركبا ، وسار فى طريقه مسترشدا ببريق النجم الجديد .. وظل الركب ماضيا ، والنجم الجديد يهديه . حتى بلغ مفترق طرق ثلاث . وهناك ، رأى بلتازار موكبين ملكيين يتقدمان فى طريقين منهما . فلما اقترب أحدهما منه ، اذا على رأسه ملك شاب جميل الوجه ، حيا « بلتازار » قائلا :

« ان اسمى جاسبار . . ملك ، وأحمل هدية من الذهب الى طفل يوشك أن يولد فى قرية (بيت لحم) » !

ولما أقبل الموكب الثانى ، اذا على رأسه شيخ انسدلت لحيته البيضاء حتى غطت صدره ، فحيا الملكين قائلا : « ان اسمى ملشوار . . ملك ، وأحمل هدية من البخور الى الطفل المقدس ، الذى سيهدى الناس الى طريق الحق والسلام » .

وقال بلتازار لهما : « وأنا ماض فى طريقكما . . لقد هزمت الشهوة ، ولهذا تحدث النجم الى ! »

وقال الملك العجوز ملشوار : « **وأنا هزمت الكبرياء والغطرسة ، ولهذا دعيت ! ! »** .

وقال الملك الشاب جاسبار : ((**وأنا هزمت القسوة ، ولهذا دعيت !**))

ومضى الحكماء الثلاثة فى طريقهم ، مستهدين بالنجم الذى رأوه يولد فى الشرق ، الى ان وصل النجم فوق المكان الذى ولد فيه الطفل ، فوقف. واذ رأوا ان النجم وقف ، استخفهم الفرح الطاغى .

ودخلوا البيت ، فوجدوا الطفل ، وامه ((مريم)) .. واذ ذاك انبطحوا على الارض فى اجلال وتعبد .. ثم فتحوا امتعتهم وقدموا للطفل هدايا‌هم : ذهباً ، ولبانا ، ومرا ، كما ورد فى الانجيل .





من روائع المسرح الغنائي :
بلقيس
(ملكة سبأ)
THE QUEEN OF SHEBA
تأليف : موزنتال
ألحان : كارل جولدمارك

عزيزى القارىء :

لم تحظ حسناء فى التاريخ كله بقدر ما حظيت ((**بلقيس**)) **ملكة (سبأ)** .. فقد خلدت الكتب السماوية اسمها مرتبطا باسم النبى ((سليمان)) الحكيم .. وظلت شخصيتها مصدر وحى والهام للشعراء والقصصيين على مر الأجيال ..

على أن خيال الكتاب لم يشأ أن يتقيد بالنطاق المحدود ، الذى ورد فيه ذكر ((بلقيس)) فى الكتب السماوية ــ نطاق علاقتها بـ ((سليمان)) ــ **بل تجاوزه الى مغامرات عديدة ، قد يكون لبعضها سند من الحقيقة والتاريخ ، ولكن معظمها من ابداع الخيال الخلاق ..**

ولقد قرأت ــ فى الصفحات السابقة ــ مثالا من هذا النوع .. قرأت كيف صور ((اناتول فرانس)) هذه الملكة الفاتنة ، فى علاقاتها مع ملكين .. أحدهما انغمس فى هواها حتى أذنيه ــ وهو ملك (كوماجينا) ــ **والآخر دفعه هجرها وتنكرها ، الى طريق أخرى ، استطاع أن يلمح ــ فى نهايتها ــ الشفق الذى سبق مولد المسيح .. وهى اشارة ــ فيما أعتقد ــ الى الهداية والتطهر .**

وفى الصفحات التالية ، أقدم لك مثالا آخر .. أقدم لك ((اوبريت)) عن ((بلقيس)) ، صور فيها المؤلف علاقة تخيلها بين الملكة الفاتنة ، ورئيس حرس ((سليمان)) .. وهى من تأليف : ((**موزنتال**)) ، وموسيقى : ((**كارل جولدمارك**)) . وقد مثلت لاول مرة

فى (فيينا) ، فى سنة ١٨٧٥ ، وفى (لندن) و (نيويورك) فى سنة ١٨٨٥ .

والملاحظ فى القصة وفى « الأوبريت » ، ان المؤلفين اتفقا على أمر واحد .. هو أن ((**بلقيس**)) **كانت متقلبة الفؤاد** .. وانها كانت تتجاهل عاشقها ، حتى تكاد توردة موارد الهلاك ، جزعا ولوعة .. **فاذا قدر له أن يقالب الهوى المغدور ، وأن يتحول عن حبها ، عاودتها الأنانية ، وخيل اليها أن ((كرامة انوثتها)) تقتضيها أن تستعيد هذا العاشق ..**

وفى القصة و « الأوبريت » معا ، عجزت « بلقيس » عن ارضاء هذه الأنانية !

أطلت عليك ؟ .. أشعر بهذا ، فاليك ملخص « الأو بريت » ..

شخصيات الرواية :

الملك سليمان ((الحكيم)) : نبى التوراة
بلقيس : ملكة سبأ
عشتروت : الوصيفة الخاصة لبلقيس
أسعد : الرسول الخاص للملك سليمان
سلامى : ابنة كبير الكهنة وخطيبة أسعد
كبير الكهنة ــ حاشية سليمان ــ حاشية بلقيس
الزمان : القرن العاشر قبل الميلاد
المكان : مدينة القدس (أورشليم) .

«١»

• **نحن** فى قصر الملك سليمان الحكيم بمدينة القدس (اورشليم) .. والاستعدادات تجرى على قدم وساق ، تأهبا لحدثين هامين : زيارة ملكية ، وحفلة زفاف كبرى..

ذلك ان ملكة سبأ ـ «بلقيس» ـ كانت قد سمعت الكثير عن فخامة القصر الذى يعيش فيه الملك سليمان ، والحياة المترفة التى يحياها ، والحكمة الخارقة التى يتحلى بها .. وقد ارسلت اليه رسلها ينبئونه برغبتها فى زيارته ، وشوقها الى رؤية عرشه ـ المصنوع من الذهب والعاج ، والمرصع بالجواهر الكريمة ـ وتحفه الثمينة ، واغطية فراشه الحريرية المطرزة ، وبلاطه الباهر ، وولائمه العظيمة ، وثيابه المحلاة بالزمرد والياقوت .. والقرود والطواويس التى تحفل بها حدائقه .. الخ .

وكانت بلقيس ـ وهى بدورها ملكة على مملكة قوية تقع فى الجنوب الغربى من شبه جزيرة العرب ـ قد تلقت بالشك وعدم التصديق ، أكثر ما تناقلته الألسن وتداولته الاقاويل ، عن بذخ الملك سليمان ، وحكمته التى تبهر العقول . فاعتزمت ـ اشباعا لفضولها ـ أن تذهب بنفسها لترى ذلك الملك العجيب ، « سليمان » ، فى أوج مجده .

اما «سليمان» ، فلم يكد يقف على رغبة ملكة سبأ الجميلة فى زيارته ، حتى امتلأ زهوا وخيلاء. فأرسل فرقة من خيرة حرسه الخاص ، وعلى رأسهم رسوله الخاص « أسعد » ـ وهو شاب انيق من أصل نبيل ـ كى يستقبلوا الضيفة العظيمة ويرافقوها وركبها الى ابواب العاصمة . وكان المنتظر ان تتغيب هذه الحامية من الحرس ، فى مهمتها تلك ، بضعة ايام ، **على ان يزف أسعد ـ بمجرد عودته ـ**

الى ((سلامى)) ابنة رئيس الكهنة التى يحبها اعمق الحب ..
فقد كان زفاف الخطيبين المحبوبين خليقا بأن يتم فورا ، لولا ان اعلنت ملكة سبأ نبأ زيارتها الرسمية للملك سليمان فى تلك الآونة بالذات ..

ولكن ، لا بأس ! .. فان المهمة السامية التى انتدب لها « أسعد » ، لا تعنى أكثر من التأجيل المؤقت للزفاف السعيد ، فضلا عن أنها ستتيح للعروسين شرف الحظوة بحضور الضيفة العظيمة حفل قرانهما المرموق .

وهكذا .. لايكاد يعرف نبأ قرب وصول الملكة بلقيس ، فى حراسة الحامية التى يراسها « أسعد » ، حتى يسود الانفعال جو القصر كله .. ويجلس سليمان على عرشه الفاخر ، يحيط به كبار رجال بلاطه .. **وتقف الى جواره العروس العذبة الرقيقة ((سلامى)) ، التى تكاد تعجز عن ضبط مشاعرها وأخفاء لهفتها على لقاء حبيبها ، الموشك أن يصير زوجها ..**

ويدخل المبعوث الشاب ، فتعدو عروسه نحوه باسطة اليه ذراعيها فى لهفة وترحيب .. لكنه ـ لدهشتها البالغة ـ يتراجع عنها مجفلا ، شاحب الوجه ..ويغض بصره عنها كما لو كان مرآها قد أفزعه و أبأسه . ثم يتدارك موقفه فيهرع نحو عرش مولاه بخطوات واسعة ، كى يعلن اليه مقدم ضيفته العظيمة .. ملكة سبأ ، التى كانت فى طريقها الى قاعة العرش .

***

ويدرك الملك فورا ـ من اضطراب رسوله المفاجىء ونظراته الشاردة ـ ان فى الامر سرا ، فيستجوبه ! .. واذ ذاك ، يجثو « أسعد » على ركبتيه ، تحت قدمى الملك ،

ويبوح له باعتراف يثير دهشته .. فبينما كانت الحامية تتقدم موكب ملكة سبأ ــ **التى لبثت طيلة الطريق تضع الحجاب على وجهها** ــ توقف الركب فى الغابة ليأخذ المسافرون قسطا من الراحة ..

وخلال الساعات القليلة التى استغرقتها راحتهم ، التقى أسعد ــ وهو يقوم وحيدا بجولة فى دروب الغابة ــ بحورية فاتنة تستحم فى عين ماء .. وما ان رأته الحسناء حتى أعجبت به ، فبادرت الى التقرب منه ، ثم صارحته بحبها المبالغ له . وامام سطوة حسنها الصاعق وجاذبيتها القاهرة ، فقد « أسعد » كل قدرة له على المقاومة ، ونسى كل من غداها .. حتى خطيبته ! .. **ومنذ ذلك الحين ملأت صورتها قلبه وخياله وملكت عليه لبه ، ومن هنا كان ابتئاسه عندما وقع بصره على « سلامى » !**

وحين ينتهى الرسول من اعترافه ، يرى الملك سليمان ــ على ضوء خبرته بغواية النساء ــ أن لا يقيم الشاب وزنا لذلك الحادث العاطفى العابر ، وينصحه بأن لا يفكر فى حوريته الفاتنة ، بعد أن أبرأ ضميره بالاعتراف ، وانما الأجدر به أن يمضى فى اتمام زواجه من «سلامى» فى الغد ، كما كان مدبرا من قبل .. عسى أن يجد أسعد فى حب عروسه الطاهرة ما يعيد اليه توازنه .

ولكن حكمة سليمان ذاتها ، تنحنى أحيانا لحكم القدر صاغرة .. فبينما يستدير الشاب الحائر كى يحيى خطيبته المبتئسة ، تدخل ملكة سبأ القاعة ، تتبعها حاشيتها . وحين تقترب من العرش لتؤدى التحية للجالس عليه ، ترفع النقاب عن وجهها ! .. ويتعرف أسعد عليها لفوره .. وللدهشته ورعبه ! .. **فلقد ابصر فيها حورية الغابة**

وعين الماء ، التى فتنته جمالها الحسى ، الى الحد الذى أنساه شرفه وقسمه ووعوده لخطيبته ..

واذ ذاك ، وتحت تأثير حسن « بلقيس » . وجاذبيتها الآسرة ، يندفع « أسعد » نحوها وهو يطلق صيحة فرح اذ وجدها .. لكنه يكاد يصعق ، ويتراجع متعثرا ، مرتبكا ، مضطربا : **عندما تنظر اليه الملكة كأنها لا تعرفه ، وتمضى عنه متجاهلة ، متعالية !** .. ثم تتجه الضيفة ـ فى وقار وجلال ـ الى الملك العظيم ، فتقدم لجلالته ولاءها التام وتحيتها العاطرة ، وتشير الى عبيدها كى يفرشوا الأرض تحت قدميه بالهدايا والهبات الثمينة ، بينما تجلس هى الى جواره ، تضنيها اللهفة الى سماع الحكمة من فمه !

« ٣ »

• **على ان** «بلقيس» لم تكن تنوى ان تخذل الشاب الذى عشقته فى الغابة ، ولا ان تمضى فى تظاهرها فى حضرة الملك بأنها لا تعرفه .. فان المرأة فيها كانت تعانى شوقا شديدا اليه . ولا تكاد تعلم بنبأ عقد قرانه على ابنة كبير الكهنة ، فى اليوم التالى ، **حتى تستبد بها غيرة مشتعلة ، فتعتزم أن توقعه مرة أخرى فى شباك مفاتنها الحسية !**

وفى تلك الليلة ، ترسل اليه ـ فى جناحه الخاص ـ وصيفتها وكاتمة اسرارها « عشتروت » ، كى تدعوه الى لقائها فى حديقة القصر بجوار النافورة .. ويعجز الشاب عن مقاومة هذا الاغراء الجديد ، فيسارع الى موافاتها فى الموعد الذى حددته ..

وهناك ، تحت ضوء القمر ، فى جو من الخلوة الكاملة ، تفلح ((بلقيس)) ـ بفضل فنون غوايتها ـ فى اشعال جذوة عاطفته التى لم تكن بعد قد انطفأت .. فينسى « سلامى »

العذبة ، وينسى شرفه المثلوم .. ينسي «أسعد» كل شيء ، ويضيع فى نشوة عناق الملكة المحمومة ، ويغيب فى قبلاتها المجنونة !

«٣»

• ويحين اليوم التالى ، فاذا جميع الاستعدادات قد تمت ، فى هيكل الملك سليمان الفاخر ، لاقامة حفل زفاف « أسعد » و « سلامى » .. ويقف كبير الكهنة ومساعدوه ، وجمع غفير من الناس ، ينتظرون — فى الموعد المحدد — وصول العروسين .. وعندما يصل الملك «سليمان» نفسه ، محوطا برجال حاشيته ، وقد بدوا جميعا فى ابهى حللهم ، يبدأ الاحتفال الرائع ..

وتقف « سلامى » — العروس العذبة الرقيقة — بقرب المذبح ، الى جوار « أسعد » .. ويبدو الأخير شاحب الوجه ، مضطرب الاعصاب ، **وان استقر عزمه على الوفاء بعهود خطبته .. وهو يأمل ان تهدأ ثورة نفسه الجياشة بعد ان يسبق السيف العذل !**

ولكن .. لا يكاد كبير الكهنة يسلم خاتم الزواج الى العريس ، كى يحيطه به اصبع عروسه ، حتى تحدث مفاجأة رهيبة .. ففى ذات اللحظة ، يدخل الهيكل موكب آخر صاخب ، تتقدمه ملكة سبأ فى أبهى زينتها ، مرتدية أروع جواهرها ، **وهى تحمل فى يدها كأسا ذهبية ملئت حتى حافتها بالجواهر التى لا تقدر بقيمة .. هدية منها الى الرسول الذى رافقها فى رحلتها فى اليوم السابق !**

ومرة أخرى ، وقد بهره سناء الملكة اللألاء ، يفقد « أسعد » اتزانه ، وينسى عزمه ، فيلقى عنه خاتم الزواج العتيد ، ويرتمى عند قدمى فاتنته التى لا تقاوم .. فيلثم

القدمين المحليين بالجواهر ، وهو يناشد صاحبتهما ــ فى حرارة وابتهال ــ أن ترمقه بابتسامة الرضى وتتقبل حبه منه !

لكن أمله يخيب ، حين تحرص الملكة ــ فى اعتداد ــ على الاحتفاظ بوقارها الملكى أمام الملك ، فتتلقى توسلات « اسعد » فى فتور ، وتستقبل احتجاجاته ــ بعد ذلك ــ ببرود ، وتنكر اى اهتمام سابق من جانبها بأمره .. فيهيج جنون الشاب ، ويحدث هرجا ومرجا شديدين !

عندئذ يخيل لكبير الكهنة وأتباعه أن الشاب قد أصيب ــ فجأة ــ بنوع من الجنون .. فيشرعون فى اقامة مراسم حفلة خاصة لطرد الأرواح الشريرة ، التى اعتقدوا انها قد تملكته .. وبعد قليل ، يبدو كأن « أسعد » التعس قد استرد شيئا من هدوئه .

ولكن هذا الهدوء لايدوم لأكثر من لحظة .. **اذ ان بلقيس ــ ذات العواطف المضطرمة ــ لاتقوى على تحمل منظر معشوقها واقفا الى جوار عروسه الموعودة ، فتناديه باسمه ، بصوتها الناعم الذى تفوح منه الغواية** .. ومن فوره ، يندفع الشاب نحوها ، فيرتمى عند قدميها مكررا توسلاته ، مناشدا اياها ــ فى حرارة ــ ان تتقبل حبه قربانا ، كما تتقبل الآلهة القرابين من عبادها !

وهنا ترتفع صيحات الفزع والاستنكار ــ من كل جانب ــ لهذا الكفران الآثم .. **ويعلن كبير الكهنة واتباعه غاضبين ، ان «أسعد» قد دنس الهيكل المقدس ، وهى جريمة لاعقوبة لها غير الموت !**

وتدرك الملكة ما جره حبها المدمر على الشاب من كوارث ، فتتراجع عن غيها نادمة ، بينما تنهار « سلامى » التعسة يأسا وقنوطا .. اما أسعد ، فيعرب عن اشتياقه

للموت ، اذ لم يعد لقوة سواه ان تريحه من عذابه ..
ويشهد الملك سليمان فصول المأساة ، وهو محتفظ بوقاره الملكى المعهود ، برغم حنقه المكتوم على صفيه المحبوب ، من أجل فعلته التى دنست حرمة الهيكل .. ولا يلبث الملك ان يعلن انه وحده الذى يحاكم الشاب على ما اقترف ، فيحكم عليه بالموت أو يعفو عنه ، وفق ما يستحق !

((٤))

• **ولا يحجم** الملك فى اثناء ذلك ، عن تكريم ضيفته العظيمة — والمزعجة ! — وفق مراسم التكريم الملكية .. فيقيم — احتفاء بها — سهرة كبرى رائعة ، يدعم بها ما بلغ مسامع «بلقيس» من قبل عن مجده العظيم ، وبذخه ، وأبهة بلاطه وقصره .. **وتلمس الملكة فى خلال ذلك من امثلة حكمته الخارقة لطبائع البشر ، وخبرته العجيبة بطوايا النفوس وخبايا القلوب ، ما ينطق لسانها بالقول : ((ان ما سمعته لم يبلغ نصف ما شهدته بعينى !))** .
وعقب انتهاء الحفلة ، تحاول الملكة اغراء سليمان بالعفو عن معشوقها الشاب ، مستخدمة فى سبيل ذلك أفانين سحرها وفتنتها .. **لكن الملك الحكيم ياخذ حذره من اساليبها الخطرة ، ويابى أن ينصاع لسلطان حسنها .**
وحين تعمد الى محاولة خداعه بالتظاهر بأن الأمر لا يعنيها كثيرا ، يكشف لها خبيئة نفسها ، فيفهمها انه أعرف الناس بما تبطن من نية ، بشأن معاودة استمالة « أسعد » اليها ، وايقاعه مرة أخرى فى شباك هواها الفاتك الأثيم !
وأمام هذه المصارحة من جانب الملك الحكيم ، تخرج بلقيس غاضبة ، ناقمة عليه اكتشافه سرها الدفين ، مقسمة

على الانتقـام منه باعـلان الحرب على دولته .. فى الوقت الذى يسـتجيب فيه الملك الرحيم لتوسـلات العـروس التعسة «سلامى» ، من أجل أسعد . فيصدر أمرا باستبدال حكم الاعـدام بآخر تخفف فيه عقوبة الشـاب الأحمق الى النفى المؤبد !

وهكذا يقتاد التعس الى منفاه فى الصحراء . أما عروسه المحطمة ، التى انكرت الاقدار عليها حبها الدنيوى ، فتمضى يائسة الى دير على حدود الصحراء ، كى تقضى بقية حياتها فى التعبد لله ، مع غيرها من النساء والعذارى اللواتى كرسن حياتهن لمحبة الخالق ، دون سواه من عباده !

((٥))

• وفى الصحراء يهيم أسـعد على وجهه .. وحيـدا ، شريدا ، منبوذا .. مكفرا عن نزوته الطائشـة نحو المرأة الشريرة التى تسببت فى نكبته ونكبة العذراء الرقيقة العذبة التى كان يحبها أعمق الحب ، وأقواه ، وأنقاه !

وحين تخطر « سـلامى » بباله ، تتملكه نوبة من اليأس المرير ، فيحس بشـوق جارف الى ان يعيش حتى يقضى مدة عقوبته فيتـاح له ان يراها ، وان يلتمس منها الصفح والمغفرة ، قبل أن يموت . لكن هـذه الأمنية تبدو له شبه مستحيلة ، من فرط ما اضناه التجوال فى الصحراء وصيره مشرفا على الموت .

ويفيق من خواطره .. فاذا قدماه قد قادتاه ــ دون أن يشعر ــ حتى أشرف على أسوار الدير الرابض على حدود الصحراء ، **وهو لا يعلم ان عروسه المنبوذة التى يحن الى لقائها تعيش وتتنفس على قيد خطوات منه .. خلف الأسوار التى أمامه !**

وفيما هو يشرع فى طرق باب الدير التماسا لقسط من الراحة فى الظل قبل أن يعود ادراجه .. **يلمح من بعيد موكب ملكة سبأ مقبلا فى طريقه الى مملكتها البعيدة ، فيغريه الفضول بالتوقف لرؤيتها !** ..ويقع بصر بلقيس على ضحيتها ، فتعرفه من فورها ، برغم التبدل الذى آلت اليه حاله . وتهرع الى جانبه ملهوفة ملاطفة ، ثم تعرض عليه ان يصحبها الى بلادها ، كى يعيش فى كنفها وقصرها ، ويتقلب فى أحضان النعيم واحضانها !

لكن ((أسعد)) يظهر انه مخلص فى توبته ، فيرفض فى اباء وكبرياء أن ينصاع لارادتها وأهوائها ، ويتركها تستأنف رحلتها بينما يستأنف هو طوافه العقيم فى الصحراء .. يضرب فى أرجائها على غير هدى ، وقد هده الاعياء ، والهبت رأسه شمس الظهيرة المحرقة ..

وانه لفى تجواله ، تهب عاصفة عاتية من عواصف الصحراء الهوجاء ، تعجز قواه المنهكة عن مقاومتها .. فيسقط على الرمال الساخنة ، التى لا تلبث ان تطمر أكثر جسمه ، وتتركه شبه جثة هامدة !

ثم تسكن العاصفة وتهدأ ثورة الصحراء ، فتخرج « سلامى » ساعة الأصيل مع فريق من قاطنات الدير كى يقمن بنزهة الغروب .. وأثناء سيرهن يعثرن بالجسد المطمور بين الرمال ، فتتعرف الفتاة فيه على حبيبها .. **وتقبل عليه مضناة من اللهفة والشوق والفرحة بالعريس الغالى الذى كان ضالا فوجد !**

لكن فرحتها لا تطول.. فانها لا تكاد تأخذه بين ذراعيها ، وتشرع فى اسعافه ، حتى يناشدها بصوت خائر أن تصفح عنه .. ثم يلفظ انفاسه الأخيرة على صدرها !


من كنوز الكتب القديمة
الإفادة والاعتبار
في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة
بأرض مصر
للرحالة العربي القديم
موفق الدين أبو محمد
عبد اللطيف البغدادي

عزيزى القارىء :

قدمت لك ـ فى مناسبات سابقة ـ عددا من كنوز الكتب القديمة . بعضها من التراث العربى . واذكر منها . على سبيل المثال : ((**حى بن يقظان**)) لابن طفيل ـ فى العدد الخامس من «كتابى» ـ و ((**رسالة الغفران**)) لأبى العلاء المعرى ـ فى العدد ٢٥ ـ و ((**آراء اهل المدينة الفاضلة**)) للمفكر الفيلسوف ابى نصر الفارابى ـ فى العدد ٦٥ ـ و ((**المنقذ من الضلال**)) لحجة الاسلام الغزالى ، فى العدد ٩٢ .

واليوم أقدم لك لونا من كنوز التراث القديم ، يختلف عن خيال ابن طفيل ، وفلسفة ابى العلاء ، والآراء السياسية والاجتماعية للفارابى ، وعن الاعترافات الذاتية للغزالى .. **انه لون طريف من الكتابة التاريخية ، عالجه الرحالة العربى القديم ((ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى))** بأسلوب رقيق ، خال من التعقيد والتكلف ، ورسم فيه صورة متعددة المعالم ، لما كانت عليه مصر فى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى .

وقد ترجم هذا الكتاب أخيرا للانجليزية ..

على اننى قبل ان أقدم لك الكتاب ، أحب ان اعرفك بالمؤلف . فهو : الشيخ الامام موفق الدين ابو عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن ابى سعد ، ويعرف بابن اللباد ، كما اشتهر بالبغدادى ، لأنه بغدادى المولد ، وان كان موصلى الاصل .

وقد ولد عام ٥٥٧ هجرية ، وتلقى تعليمه على ايدى علماء العصر من لغويين وفقهاء ومناطقة وأطباء ، كما

كانت الحال فى ذلك العهد . حتى اذا قطع شوطا طويلا من الخبرة والدراية بعلوم عصره ؛ ارتحل عن بغداد ، وساح فى كثير من البلاد ، الى ان جاء مصر فى اواخر عهد صلاح الدين الايوبى ..

هكذا دخل مصر ..

• **يروى** « البغدادى » قصة دخوله الى مصر ، قائلا :
« .. ثم انى توجهت الى زيارة القدس، ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا . فاجتمعت ببهاء الدين شداد ، قاضى العسكر يومئذ . وقد اتصلت به شهرتى ؛ فانبسط الى ، واقبل على ، وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب. فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين ، فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز ؛ بقلم الثلث (بضم الثاء واللام) ، من غير مسودة !

« وقال : « هذا كتاب الى بلدكم » ! .. ثم ذاكرنى فى مسائل من علم الكلام وقال : « قوموا بنا الى القاضى الفاضل ! » .. **فدخلنا عليه ، فرأيت شيخا ضئيلا ، كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملى على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات ، لقوة حرصه فى اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه .**

« وسألنى القاضى الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها » ، أين جواب «اذا » ، وأين جواب « لو » فى قوله تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال » ، وعن مسائل كثيرة . ومع هذا فلم يقطع الكتابة والاملاء . وقال لى : « ترجع الى دمشق ، وتجرى عليك الجرايات » . فقلت : ((**أريد مصر !**)) . فقال : « السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل

المسـلمين بها » . فقلت : ((**لابد لى من مصر !**)) . فكتب لى ورقة صغيرة الى وكيله بها .. »

وهكذا جاء الرجل الى مصر ـ قبل أن ينقضى القرن الثانى عشر الميـلادى بقليل ـ وأقام بها مدة . وكان يتقاضى راتبا وجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين .

ولما حل بالبلاد ذلك الغـلاء الفاحش والقحط الشديد ، اللذان أشار اليهما مؤرخو القرون الوسطى ، عكف البغدادى على أوراقه ، وكتب يصف ما شاهده ومما سمعه من أحوال ووقائع .

ثم اختار لكتابه ـ الذى نقـدمه لك ملخصا فى الصفحات التـالية ـ عنوان : « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهـدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » .

(١) فى خواص مصر العامة لها

• **أرض** مصر من البلاد العجيبة الآثار ، الغريبة الأخبار . وهى واد يكتنفه جبلان : شرقى وغربى ، والشرقى أعظمهما . وهما يبتدئان من أسوان ، وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا ، حتى اذا حاذيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه . ثم يتباعدان أكثر من ذلك ، والنيل ينساب بينهما ، ويتشعب بأسـافل الأرض (أى الاراضى المنخفضـة والقريبـة مـن السواحل) . وجميع شـعبه تصب فى البحر الملح . **وهذا النيل له خاصتان : الأولى بعـد مرماه ، فما نعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافة منه . أما الخاصة الثانية ، فهى أنه يزيد عند نضوب سائر الأنهار** . وعلة ذلك أن مواد زيادته أمطـار غزيرة دائمة ، وسيول متواصلة تمده فى هذا الأوان .

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص ، منها انه لايقع بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصا صعيدها . فأما أسافلها فقـد

يقع بها مطر جود ، لكنه لايفى بحاجة الزراعة . واما دمياط والاسكندرية وماداناهما فغزيره المطر .. وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها .

ومنها ان أرضها رملية لاتصلح للزراعة ، لكنه يأتيها طين أسود فيه دسومة كثيرة يسمى « الابليز » . ويأتيها من بلاد السودان ، مختلطا بماء النيل ، فيستقر الطين ، وينضب الماء ، فيحرث ويزرع .

ومن هذه الخواص أيضا ، أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها . ففى الصيف والخريف تكثر الرطوبة ، وفى الشتاء والربيع تشتد القحولة واليبس ، ومن ثمة تكثر الأمراض والعلل .. وأكثر امراضهم — أى أهل مصر — فى آخر الخريف وأول الشتاء ، لكنها يغلب عليها حميد العاقبة ، وتقل فيهم الأمراض الحادة والدموية .. وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد سن العشرين . **واما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية ، لأن رطوبته عرضية** . ولهذا كان أهل الصعيد أفحل جسوما ، وأجف أمزجة ، والغالب عليهم السمرة .. وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا ، والغالب عليهم البياض !

(٢) فيما تختص به من النبات

• **ومن** ذلك البامية ، والملوخية — ويسميها الأطباء « الملوكية » — وهى ردية للمعدة ، لكنها تسكن الحرارة ، وتبرد ، ويسرع انحدارها لتزلقها !

ومن ذلك البلخ الذى يقولون عنه أنه كان بفارس سما قاتلا ، ثم نقل الى مصر فصار غذاء ! .. أما الجميز فهو بمصر كثير جدا ، ويصلح دواء لبعض العلل ، كلسع الهوام ، وأوجاع المعدة .

ومن ذلك أيضا القلقاس ، والموز .. وأما المحمضات فيوجد بأرض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق ، منها الليمون المركب والمختم ، وهو أحمر شديد الحمرة ، شديد الاستدارة . مفلطح من رأسه وأسفله ، مفضوخ (أى مشقوق) فيهما بختمين . كما أن منها ليمون البلسم . وهو فى قدر الابهام .

ومن الفاكهة صنف من التفاح يوجد بالاسكندرية ، ببستان واحد يسمى (بستان القطعة) ، **ينتج تفاحا قانى الحمرة ، رائحته تفوق الوصف ، وتعلو على المسك** . هذا عدا النخيل والأقاقيا .

ومما تختص به مصر الأفيون ، وهو يجتنى من الخشخاش الأسود بالصعيد ، وكثيرا ما يغشه جناته ! .. **كما يوجد بمصر بطيخ يسمى « العبدلى » و « العبدلاوى » ، قيل أنه نسب الى عبد الله ابن طاهر والى مصر عن المأمون** .. وقلما تجد فى بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة ، ولكنه لايوجد فيه مدود ولا فسد ، بل الغالب عليه التفاهة المائية ! .. وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان ، سوى البطيخ الأخضر .

وأما الباقل الأخضر ، المسمى عندهم بالفول ، فانه يتواصل نحو ستة أشهر ، وكذلك الورد والياسمين يدوم جميع السنة . والبنفسج بمصر عطر جدا ، لكن لايحسنون اتخاذ دهنه ولا معجونه . والسفرجل بمصر ردىء جدا ، صفير ، عفص ، غال . وأما تفاحها فلا بأس به وان كان رديا . وأما رمانها ففى غاية الجودة ، الا أنه ليس بصادق الحلاوة ..

(٣) فيما تختص به من الحيوان

• **من ذلك** حضانة الفراريج بالزبل (أى فقسها بدفن البيض فى الزبل) . فانه قلما ترى بمصر فراريج عن حضان

الدجاجة .. فذلك عندهم صناعة ومعيشة يتجر فيها ، ويكتسب منها ، وتجد فى كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك . ويسمى الموضع « معمل الفروج » ..

ومن ذلك الحمير . وهى بمصر فارهة جدا ، وتركب بالسروج ، وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ، ولعلها تسبقها . وهى مع ذلك كثيرة العدد ، **ومنها ما هو غال ، بحيث اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات ، يركبه رؤساء اليهود والنصارى ، ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى اربعين .**

وأما ابقارهم فعظيمة الخلق ، حسنة الصور . ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة ، ويسمى البقر «الخيسية» ، وهى ذوات قرون كأنها القسى ، غزيرات اللبن . وأما خيلهم فعتاق سباقة ، ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار الى اربعة آلاف .

ومن ذلك التماسيح ، وهى كثيرة فى النيل ، وخاصة فى الصعيد الأعلى وفى الجنادل . هذا عدا « الدلفين » ، ويوجد فى النيل ، وخاصة قرب (تنيس) ودمياط .. و «الاسقنقور» ويكون بالصعيد ، وهو من فصيلة التمساح .. **وفرس البحر ويوجد بأسافل الأرض ــ وخاصة ببحر دمياط ــ وهو حيوان عظيم الصورة ، هائل المنظر ، شديد البأس ، يتبع المراكب فيغرقها ، ويهلك من ظفر به منها** .. ومن ذلك أيضا السمكة المعروفة بالرعاد ؛ لأنه من أمسكها وهى حية ارتعد رعدة لايمكنه معها أن يتماسك . وهى رعدة بقوة ويصحبها خدر شديد . وخبرنى صيادها أنها اذا وقعت فى الشبكة ، اعترت الصياد ذلك (اى الرعدة والخدر) اذا بقى بينها وبينه مقدار شبر أو أكثر ، من غير أن يضع يده عليها ! ..

وهي اذا ماتت بطلت هـذه الخاصة منها . وتكثـر بأسافل الأرض وبالاسكندرية ..

وأما أصناف السـمك عندهم فكثيرة ، لأنه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح . ولايفى القول بنعتها لكثرة أصنافها واختـلاف أشـكالها وألوانها . ومنـها ثعبان الماء والسرب (**تصاد من بحر الاسكندرية ويحدث لآكلها أحـلام ردية مفزعة ، ولاسيما الغريب ومن لم يعتدها ، والأحدوثات المضحكة فيـها مشهورة !**) والترسة وهى سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير ..

(٤) فى اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة

. **أما** ما يوجد بمصر من الآثار القديمة ، فشىء لم أر ولم أسمع بمثله .. فمن ذلك الأهرام ، وهى كثيرة العدد جدا ، وكلها بين الجـيزة وعلى سمت مصر القديمة ، وتمتد فى نحو مسافة يومين . **وقد كان منها بالجـيزة عدد كثير لكنـها صغار ، فهدمت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، على يدى قراقوش ..**

وأما الأهرام المتحـدث عنـها ، المشار اليـها ، الموصوفة بالعظم ، فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة ، قبالة الفسطاط ، وبينها مسافات يسيرة ، وزواياها متقابلة نحو الشرق . واثنان منها عظيمان جدا ، وفى قـدر واحد ، **وبهما أولع الشـعراء ، وشبهوهما بنهدين قد نهدا فى صدر الديار المصرية !** .. وأما الثالث ، فينقص عنهما بنحو الربع ، لكنه مبنى بحجارة الصوان الأحمر المنقط ، الشديد الصلابة ، بينما الآخران مبنيان بالحجارة البيض .

وقد سـلك فى بناية الأهـرام طريق عجيب من الشـكل والاتقان ، **ولذلك صبرت على مر الزمان ، بل على مرها صبر**

الزمان ! .. وفى أحـد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس ، يفضى بهم الى مسـالك ضيقة . واسراب متنافـذة ، وآبار ومهالك ، وغـير ذلك مما يحكيه من يلجه ويتوغله .. وأما المسلوك فيه ، المطروق كثـيرا ، فزلاقة تفضى الى أعـلاه ، فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر . وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له فى اصـل البناء ، **وانما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا وذكر أن المأمون هو الذى فتحه** . وجل من كان معنا ولجوا فيه . وصعدوا الى البيت الذى فى أعلاه ، فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوا ، وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها ، حتى يكاد يمنع السالك !

وكان الملك العزيز « عثمان بن يوسف » ــ لما استقل بعد أبيه ــ سول له جهلة أصحابه ان يهدم هذه الأهرام ، فبدأ بالصغير الأحمر . **وأخـذ رجاله وخيله سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة (هجرية) فى هدم الهرم ، وأقاموا هناك نحو ثمانية أشهر** . فلما طال ثواؤهم . ونفذت نفقاتهم ، وتضاعف نصبهم ، ووهت عزائمهم ، وخارت قواهم ، كفوا محسورين مذمومين ، لم ينالوا بغية ، ولا بلغوا غاية ، بل كانت غايتهم أن شوهوا الهرم ، وأبانوا عن عجز وفشل . ومع ذلك فان الرائى لحجارة الهدم ، يظن أن الهرم قد استؤصل ، فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شىء ، وانما جانب قد كشط بعضه !

وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوة (!) صورة رأس وعنق بارزة من الأرض ، فى غاية العظم ، يسميه الناس أبا الهول . ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض !.. وفى وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطراوة . وهو حسن الصورة مقبولها ، عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما !

وقد سألنى بعض الفضـلاء : « ما أعجب ما رأيت ؟ » ؛

فقالت : « تناسب وجه أبي الهول » .. **فان أعضاء وجهه ــ الأنف والعين والأذن ــ متناسبة ،كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة !**

شاهدنا هذا الآثار التى بعين شمس ، وهى مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقا بها ، مهدوما . ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة . وفيها من الأصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة (اى الحجر المنحوت) ، يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعا ، وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم .

زيارة آثار الاسكندرية

• ورأيت بالاسكندرية عمود السوارى ، وهو عمود أحمر منقط من الحجر المانع الصوان ، عظيم الغلظ جدا ، شاهق الطول ، لايبعد ان يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمس أذرع .. ثم انى رايت بشاطىء البحر ، مما يلى سور المدينة ، أكثر من اربع مائة عمود مكسرة أنصافا وأثلاثا ، حجرها من جنس حجر عمود السوارى . وزعم أهل الاسكندرية قاطبة أنها كانت منتصبة حول عمود السوارى ، وأن بعض ولاة الاسكندرية رأى هدمها وتكسيرها ، ثم القاها بشاطىء البحر . كى يكسر بذلك سورة الموج عن سور المدينة ، وكى يمنع مراكب العدوان من الاستناد الى السور ..

أما المنارة فعلوها مشهور يغنى عن وصفها . وقد ذكر ذوو العناية أن طولها مائتا ذراع وخمسون ذراعا .

ومن ذلك أيضا الآثار التى بمصر القديمة . وهذه المدينة بالجيزة ، فويق الفسطاط . وتجد فيها من العجائب ما يفوت وهم المتأمل المتامل ، ويحسر دون وصفه البليغ اللسن . ومن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر ، **وهو حجر واحد ، تسع**

أذرع ارتفاعا فى ثمان طولا ، فى سبع عرضا ، وقد حفر فى وسطه بيت جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين ، والباقى فضاء البيت ، وجميعه - ظاهرا وباطنا - منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم ، وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلى مطلعها ، وصور كثير من النجوم والأفلاك ، وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات ، فمن بين قائم وماش وماد رجليه وضامهما ، ومشمر للخدمة . وحامل آلات ، ومشير بها .. وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة ، فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعا فى المطالب ؛ فتغير وضعه ، وفسد هندامه ؛ واختلف مركز ثقله ، وثقل بعضه على بعض ، فتصدع صدوعا طفيفة يسيرة ..

وإذا رأى اللبيب هذه الآثار ، عذر العوام فى اعتقادهم عن الأوائل بأن أعمارهم كانت طويلة ، وجثثهم عظيمة ، أو أنه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم !

غير أن الناس حسبوا كل علم يلوح لهم أنه علم على مطلب ، وكل شيء مفطور فى جبل أنه يفضى الى كنز ، وكل صنم عظيم أنه حاصل لمال تحت قدميه . فصاروا يعملون الحيلة فى تخريبه ، ويبالغون فى تهديمه ؛ ويفسدون صور الاصنام افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف ؛ وينقبون الأحجار نقب من لا يتمارى أنها صناديق مقفلة على ذخائر ! .. ومن كان من هؤلاء له مال اضاعه فى ذلك . ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير (ميسورى الحال) وقوى طمعه وقرب أمله ، حتى يخسر ذلك عقله وماله .

ومما يقوى أطماعهم ، ويديم اصرارهم ، أنهم يجدون نواويس تحت الأرض ، فسيحة الأرجاء ، محكمة البناء ، وفيها من موتى القدماء الجم الغفير ، والعدد الكثير ، قد

لفوا بأكفان من ثيـاب القنب ، لعله يكون على الميت منهـا زهاء ألف ذراع !.. هذا الى جوار ما يوجد معهم من ذهب، وما فى مدافنهم من أصناف الحيوان والطير والحشرات !

(٥) فيما شوهد من غرائب الأبنية والسفن

• **وأما** أبنيتهم ففيهاهندسة بارعة ،وترتيب فىالغاية ،حتى انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا . ودورهم أقبح ، وغالب سكناهم فى الأعالى ، ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة .. وهم يحكمون قنوات المراحيض ، حتى أنه تخرب الدار والقناة قائمـة ! .. **وأما حماماتهم ، فلم أشاهد فى البلاد أتقن منها وصفا ، ولا أتم حكمة ، ولا أحسن منظرا ومخبرا ..**

أما سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال ، وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشرى » ، قـد سطح بألواح من خشب ثمينة محكمة ، وأخرج منها أفاريز كالرواش نحو ذراعين ، وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب ، وعقدت عليه قبة ، وفتحت له طاقات و « روازن » بأبواب الى البحر من سائر جهاته . ثم تعمل فى هـذا البيت خزانة مفردة ، ومرحاض . ثم يزوق بأصناف الأصباغ ، ويدهن بأحسن دهان .

وهـذا يتخذ للملوك والرؤساء ، بحيث يكون الرئيس جالسا فى وسادته وخواصه حوله ، والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن ، وأطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب . والملاحون تحت السطح أيضـا وفى باقى المركب ، يجدفون به ، لا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ، ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم ، بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده .

(٦) فى غرائب أطعمتها

• **فمن** ذلك **النيدة** . وهى حمراء الى السواد ، حلوة لا فى الغاية . وتتخذ من القمح بأن ينبت ، ثم يطبخ حتى يخرج نشاه وقوته فى الماء ، ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ . ثم يذر عليه الدقيق ، ويعقد ، ويرفع ، فيباع بسعر الخبز ، وهذه تسمى « نيدة البوش » . وقد يطبخ ذلك الماء وحده ، حتى ينعقد من غير دقيق . وتسمى «النيدة المعقودة» ، وهى أغلى من الأولى وأعلى .

وأما أطبختهم ، فالحوامض منها والسواذج هى المعهودة أو قريبة من المعهودة . وأما المحليات (الحلوى) فغريبة . **وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات .** وسبيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمى فى الجلاب ، ويلقى عليها بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو بذر رجلة أو ورد ويطبخ حتى ينعقد ، ثم يتبل ، ويرفع . **وتسمى هذه الأطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية .**

وأما الحلويات المتخذة من السكر ، فأصناف كثيرة .. وكثيرا ما يستعملون الفستق فى أطبختهم وحلوائهم عوض اللوز ، **وهو مما يفتح سدد الكبد !** .. ويتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق ، وهى لذيذة جدا مسمنة، وموادها لحم دجاج مسلوق ، منسر جزء وجلاب جزءان ، ومثل ثمن (اى جزء من ثمانية) الجميع أو تسعه فستق مقشور مهروس . وكيفية عمله أن يمسح اللحم المنسر بالسيرج، ويجعل بالدست (آنية الطبخ) بحيث يشم النار، ويسكب عليه الجلاب ، ويضرب حتى ينعقد ، ثم يلقى على الفستق ، ويضرب حتى يختلط ، ثم يرفع ..

وأما عوامهم ، فقلما يعرفون شيئا من ذلك . وأكثر

اغذيتهم « الصبر » و « الصحناة » والخبز و « النيدة » ونحو ذلك . وشرابهم « المزر » ، وهو نبيذ يتخذ من القمح .. ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد فى الصحارى والغيطان عند انحطاط النيل ، ويسمونه « سمانى الفيط » .. وبالصعيد قوم يأكلون الثعابين والميتات من الحمير والدواب ! .. وبأسفل الأرض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الأخضر ! .. وبدمياط يكثر أكل السمك .

(٧) فى النيل وزيادته

• **اعلم** أن نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الأرض ، فيعلو على الأرض ، ويقيم أياما . فاذا نزل عنها حرثت وزرعت ، ثم يكثر الندى فى الليل جدا ، وبه يتغذى الزرع الى أن يحصد ..

وأما النيل فهو من نال ينال نيلا ، ومن نال ينال نولا . وهو اسم ما ينال مثل الرعى للمصدر والرعى لما يرعى .

واتفق أن زيادة النيل بلغت سنة ست وتسعين وخمس مائة اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا . وهذا المقدار نادر جدا ، فانه لم يبلغنا منذ الهجرة الى الآن أن النيل وقف على هذا الحد قط الا فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، فانه وقف على دون هذا المقدار بأربع أصابع .. وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة ، وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو عشرين مرة ، وأما خمس عشرة ذراعا فأكثر من ذلك كثيرا ..

(٨) فى حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مائة

• **ودخلت** سنة سبع مفترسة أسباب الحياة ، وقد

يئس الناس من زيادة النيل . وارتفعت الأسعار ، واقحطت البلاد ، وأشعر أهلها البلاء ، وهرجوا من خوف الجوع . وانضوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد ، وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا فى البلاد ايدى سبا ومزقوا كل ممزق ، ودخل الى القاهرة منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ، ووقع فيهم الموت ؛ واشتد بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث ، **ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صغار بنى آدم ، فكثيرا مايعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون ، فيأمر صاحب الشرطة بإحراق الفاعل لذلك والآكل ! ..**

ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع ، لوقعنا فى التهمة أو فى الهذر . وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ، ولا تتبعنا مظانه ، وانما هو شيء صادفناه اتفاقا ، بل كثيرا ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره ! ..

وأما القتل والفتك فى النواحى فكثير فاش فى كل فج ، ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية . وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الأجرة على الركاب ، فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا أسلابهم . وظفر الوالى منهم بجماعة فمثل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا أن الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار !..

وبالمثل موت الفقراء جوعا وهزالا . فقد هلك أناس كثيرون .. حدثنى بذلك غير واحد . قال أحدهم : دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا فى الأرض ولا فى السماء !.. فتخللنا البيوت فألفينا أهلها كما قال الله عز وجل : « جعلناهم حصيدا خامدين » !..

ونهاية سعر القمح فى هذه السنة خمسة دنانير ، وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير .

(٩) فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة

• **ودخلت** هـذه السنة والأحوال التى شرحناها ــ فى السنةالخالية ــ على ذلك النظام او فى تزايد ، الى زهاء نصفها .. فتناقص مـوت الفقـراء لعلتهم ، لا لارتفـاع السبب الموجب ، وتناقص أكل بنى آدم ، تم انقطع خبره اصلا .. وقل خطف الاطعمة من الاسواق ، وذلك لفناء الصعاليك .

تم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد ، ولا سيما عنـد وقت الزراعة ، فلعله يموت على المحراث الواحد عـدة فلاحين ! .. **حكى لنا أن الذين بذروا غير الذين حرثوا ، وكذلك الذين حصدوا ! ..** وسمعنا من الثقاة عن الاسكندرية أن الامام صـلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة ، وأن تركة واحـدة انتقلت فى مدة شهر الى اربعة عشر وارثا !

واتفق سحرة (وقت السحر) يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان ، أن حدثت زلزلة عظيمة ، اضطرب لها الناس ، فهبوا من مضاجعهم مدهوشين • ولبثت مدة طويلة وكانت حركتها كالغربلة ، أو كخفق جنـاح الطائر . ومادت بها الابنية ، واصطفقت الأبواب ، وصرصرت السقوف والاخشاب ، وتداعى من الابنية ما كان واهيا ، أو مشرفا عاليا .. ووردت كتب (رسائل) من الشام (دمشق) وحماة تتضمن خبر الزلزلة .

واما خبر النيل فى هذه السنة ، فانه قد تأخر فى الزيادة حتى ساءت ظنون الناس وشملهم اليأس .. لكنه ما لبث أن اندفع بقوة وزيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة ، فزاد ثمانى أذرع فى مدة عشرة ايام .. ثم اخذ ينحط !


الحب .. في سياسة العالم !
FRÉDÉGONDE
& BRUNEHAUT
PAR
GUY BRETON
للمؤرخ الفرنسي :
جي بريتون
تلخيص : ماهر مينا

عزيزى القارىء :

أعتقد أنك اقتنعت الآن بأن الحب عنصر هـام من العناصر التى توجـه سياسة العالم ، وتشكل تاريخه ، بعد أن قرأت ((**ابتسامة توحد مملكة**)) ــ فى العدد ٩٤ من ((كتـابى)) ــ و ((**معـا الى المجـد !**)) ، فى العدد (٩٥) .

على أن أثر الحب يتباين ، فهو أحيـانا يقود الى المجد والعزة وجلائل الأعمال ، بينما يؤدى ــ فى أحيان أخرى ــ الى الفشل والهوان والهلاك .. والقصة التى اخترتها لك فى هذه المرة ، عن المؤرخ الفرنسى المعاصر ((جى بريتون)) ، خير مثال يصور الأثر المدمر للحب ، اذا اسىء اسـتغلاله ، أو اتخـذ اداة للعبث .. فان أبطالها جميعا كانوا مغرقين فى الحب الآثم ، والجشع الدنس ، مما انتهى بهم الى أسوأ النهايات ..

ولكننى لا أريد أن أفسد عليك لذة اكتشاف الأحداث بنفسك ، فاليك القصة التى استقى المؤلف وقائعها من كافة مصادر التاريخ الممكنة ..

الغدر .. من تقاليد الأسرة !

• **عندما** مات الملك ((كلوتير)) ــ فى القرن السادس ــ عمد أبناؤه الثلاثة الى تقطيع أوصال مملكته ، ليستقل كل منهم بقسم منها .. فآلت مملكة (باريس) الى ((شيلبريك)) ، ومملكة (ميس) الى ((سيجبيرت)) ، ومملكة (أوتان) الى ((جونتران)) .. **على أن هـذا التقسيم لم يفلح فى تجـريد أنفسهم من البغضاء ، بل انه اذكى نيران الغيرة فى صدر كل منهم** ، فراح يتطلـع الى أخويه فى حسد ، ويحدث نفسـه

بالتخلص منهما والاستيلاء على مملكتيهما . . حتى لقد سول الجشع اشيلبربك ـ أكثر من مرة ـ أن يفتال شقيقيه !

ولم يدهش الشقيقان لمسلك « شيلبريك » نحوهما ، فقد عرف بحدة الطباع ، وسوء الخلق . . **فضلا عن أن الغدر والقسوة كانا من الصفات التى توارثها الاخوة الثلاثة ،** لا سيما وقد تفتحت أعينهم على الدنيا ، فى وسط شاعت فيه الفظاعات . وقد شهدوا من تصرفات أبيهم البشعة ما رسب فى نفوسهم . فان « كلوتير » كان لا يتورع ـ اذا ضايقه زائر على نحو ما ـ عن اصدار الأمر بالاطاحة برأسه ، غير مكترث بتقاليد الضيافة ، ولا حافل بما فى هذا التصرف من غدر ممجوج . . **فاذا كان صافى المزاج ـ وقلما كان يصفو مزاجه ـ اكتفى بأن يقطع لسان الضيف الثقيل !**

وقد بلغ به الغدر ، انه عندما توفى اخوه « كلودومير » ، رأى ان الاطفال الصغار الثلاثة الذين خلفهم هذا الاخ ، خليقين بأن يفسدوا عليه مطامعه . فدعاهم الى قضاء ليلة فى قصره ، قائلا لأمه « كلوتيلد » : « انما دعوت الاعزاء الصغار ، ليلهوا فى القصر وينعموا ! » . . وكان من الطبيعى ان يفرح الصغار بعطف عمهم الملك ، وان يسارعوا الى تلبية دعوته . وما ان وصلوا ، حتى بعث « كلوتير » برسالة مقتضبة الى امه ، قال فيها : « **أريد ان أعرف ما تختارينه لهؤلاء الصغار : أتفضلين ان يعيشوا مقصوصى الشعر ، أم ان يموتوا مذبوحين ؟** »

وكان قص الشعر ـ فى ذلك الوقت ـ دليل الخزى والعار . وقد جزعت « كلوتيلد » كل الجزع ، ولكنها كانت تعرف ما جبلت عليه نفس « كلوتير » ، فلم تلبث ان قالت لمبعوث الملك ، وهى مشتتة الحواس : « **لئن اراهم قتلى أهون**

على من ان اراهم مقصوصي الشعر ! » • ولم يكن « كلوتير » يرجو غير هذا . فما ان بلغه ردها ، حتى سار الى القاعة التى كان الصغار يلعبون فيها ، وقضى عليهم بيده ، ليستأثر بما كان لأبيهم « كلودومير » من اراض !.

يهيم بخادمة أحب زوجاته !

• **هذه** الاساليب ــ التى تقابل اليوم بالدهشة والاستهجان ــ كانت من الامور المألوفة ، فى ذلك العهد . لذلك كان من الطبيعى أن يعيش كل من اولاد « كلوتير » الثلاثة ــ شيلبريك ، وسيجبيرت، وجونتران ــ وهو موجس من اخويه ، حريص على التزام الحذر تلقائهما ، وعلى ان يحتاط كل الحيطة من غدرهما .. وان لم يحل هذا دون ان يعيش كل منهم حياة حافلة بشتى الوان الفسق والمجون !

وكان « شيلبريك » اكثر الاخوة الثلاثة فسادا وانحلالا ، حتى لقد كان له عدد من النسوة ، أفرد لهن قصرا كبيرا ، وأطلق على كل منهن لقب « ملكة » .. وان لم تكن ملكات رسميات ، اذ كانت الملكة الرسمية هى أولى نسائه : « اودوفير » .

وقدر له ــ يوما ــ ان يرى عند ملكته الاثيرة « اودوفير » خادما ، لم يكد بصره يقع عليها ، حتى هام بها . فقد كانت حسناء من «انفرنجة» ، ذات جمال خلاب ، تدعى **«فريديجوند»** .. على ان الوقت لم يتسع لشيلبريك كى يستمتع بهواه ، وبالحبيبة الجديدة . فان الحرب لم تلبث ان شبت ، اذ هاجم « السكسون » اراضيه ، فاضطر الى ان يخرج لقتالهم .

خطة ماكرة ..

• **وتصادف** ان وضعت «أودوفير» طفلة فى غياب زوجها ..وكانت حاملا قبل رحيله.ولم تحل الحرب دون الاحتفال بالاميرة الجديدة ، فاقيمت المآدب والحفلات اياما متتالية .

وكانت «فريديجوند» لاتكف ـ فى تلك الاثناء ـ عن التفكير والتدبير . **فان ما رأته فى عينى الملك من شغف بها ، ايقظ طموحها ، وغذى مطامعها** .. فلما ولدت الأميرة الجديدة ، سول لها الخبث ان تستغل الفرصة ، وأوحى اليها بخطة انطوت على دهاء عظيم . ففى أعقاب احدى الحفلات ، سعت الى الملكة ، فقالت لها : «خليق بك يامولاتى ان تعمدى الطفلة دون انتظار عودة الملك » .. ثم اردفت بخبث :

ـ وانا على يقين من انه سيغتبط كل الاغتباط ، لو انك كنت اشبينتها !

وكانت « أودوفير » سليمة الطوية ، طيبة النفس ، فلم يداخلها أى توجس ، ولم يخطر ببالها ان ترى ما يدعو الى الريب فى ان تكون « اشبينة » ابنتها ..واخذت بالنصيحة ، فسرعان ما تم تعميد الطفلة .

وبعد شهر ، عاد « شيلبريك » من حملته ، فأسرعت «فريديجوند» اليه ، وتساءلت فى انكسار مصطنع : **((مع من سيقضى مولاى ليلته ؟))** .. وقبل ان يتمالك نفسه من الدهشة لسؤالها ، استطردت تقول ، وهى تبتسم فى دهاء :

ـ لقد اصبحت الملكة « اشبينة » ابنتك !

وكانت العلاقة بين والد الطفلة و ((اشبينتها)) امرا محرما ، فى ذلك العهد .. فما ان سمع الملك قول « فريديجوند » ، ولمح ابتسامتها الماكرة ، حتى ادرك خطتها ، وفهم الحيلة البارعة التى قامت بها ..وما كان له ان يغضب ، وهو الذى

كان مشغوفا بالفرنجية الحسناء ، بل انه اعجب بذكائها ، واومضت عيناه بالنشوة ، وقال :

ـ حسنا ! .. ما دمت لا أستطيع أن أقضى ليلتى مع الملكة ، فلأقضها معك انت !

وان هى الا ساعات ، حتى كانت « فريديجوند » قد أصبحت ملكة (باريس) .. وتنكر « شيلبريك » لمليكته الاثيرة السابقة ـ اودوفير ـ فطلقها ، وطردها من قصره ، لتأوى الى احد الاديرة !

يتزوج .. غيرة من اخيه !

• **اما** «سيجبيرت» ، فكان أقل اغراقا فى المجون من أخيه .. فلم تكن له سوى خمس عشرة عشيقة .. فقط !

وفى ذات يوم ، قرر ان يقطع علاقاته بتلك العشيقات ، وان يكف عن اقتناء ملكات عابرات ، فيتزوج من «برونو» ـ ابنة ملك اسبانيا ـ ويعيش فى احضان زوجة شرعية واحدة !..

والحق ان « برونو » كانت جديرة بأن يضحى بملذاته ، وان ينفض يديه من عشيقاته . فقد كانت رائعة الجمال ، انيقة المظهر ، رشيقة القوام ، ناضجة التفكير .. فلم يجد الملك ما يأسى عليه اذ تخلى عن حياة اللهو والمجون !

وتم الزفاف فى (ميس) ، فى حفل رائع ، وزينات لم تشهد لها البلاد مثيلا من قبل.. وما ان سمع «شيلبريك» بذلك ، حتى أخذت الغيرة تفرى قلبه . وزاده كمدا ، ان سمع ان أحد الشعراء ألقى ـ فى نهاية الحفل ـ قصيدة تغنى فيها بمناقب العروسين .. فقد كان امتداح الشعراء للملك ـ فى ذلك الحين ـ من علامات التكريم والاجلال !

وفى غمرة حسرته ، فطن الى ان « حريمه » لم يكن بالشىء الذى يليق بملك مثله .. **وتبين ان حياته الخاصة كانت أبعد**

عن صون كرامة الملك ، من حياة أخيه ! .. وهداه خياله العقيم الى أن يحذو حذو أخيه ، فيسعى الى ملك اسبانيا بالذات ، ويسأله أن كانت لديه ابنة اخرى تصلح زوجة له !

واجاب ملك اسبانيا : « لم تعد لدى سوى ابنتى الكبرى .. وانى لعلى أستعداد لأن ازفها اليك ، اذا انت تعهدت بالانصراف عن جميع محظياتك ! »

الشيطان الكامن فى قصر الملك

• **ودفعت** الغيرة « شيلبريك » الى ان يقبل الشرط لفوره . فقد كان راغبا فى أن يتشبه بأخيه ، باى ثمن ! .. **لذلك بادر الى التخلص من جميع عشيقاته .. حتى « فريديجوند » . وتزوج من « جالزوبيت » الفاتنة ، ابنة ملك اسبانيا !**

واقيم الزفاف فى مدينة (روان) .. وقد زاد من بهائه ان العروس حملت الى عريسها ـ كبائنة ـ عدة صناديق مملوءة بالجوهرات والاحجار الكريمة .

وعاش « شيلبريك » مع عروسه فى سعادة وهناء بضعة أشهر . ولكن الشيطان لم يكن قد بارح القصر الملكى .. وكان قد اتخذ له فيه اداة . اذ أوحى الى «فريديجوند» ان تتوسل الى الملك ان يستبقيها وصيفة ـ او خادما ـ بعد ان فقدت حبه واحضانه . فلان قلب الملك لها واستبقاها . وقد حرصت ـ فى بادىء الامر ـ على ان تتوارى عن عينيه ما استطاعت ، **ثم أخذت تدبر المصادفات ، كى تلتقى به من آن لآخر ، فتتظاهر بأنها تفر من طريقه ، بأساليب تثير الجماد .. مما كان يحيى موات شوقه اليها ، ويذكى وقدة حبها فى فؤاده .**

وظل يتذرع حينا بالخوف من اغضاب ملك اسبانيا ،

فيقاوم هواه ما استطاع . ولكن جلده وهن على مر الأيام ، حتى انهارت مقاومته تماما . فلم يلبث ان وجد نفسه مسوقا الى مخدع « فريديجوند » الساحرة الماكرة !

هكذا قضى على وحشة لياليها !

• **وحاول** «شيلبريك» — في باديء الامر — ان يبقى هواه سرا مكتوما .. ولكن مفاتن «فريديجوند» لم تلبث ان ذهبت بكل حرص ، فلم يعد يتستر على علاقته بها .. واذ ذاك ، انقلبت حياة الملكة « جالزونيت » الى جحيم ، **وأصبحت تتعرض — طيلة النهار — لهوان الغزل المتبادل بين زوجها وعشيقته ، ولمذلة الشامتين من الحاشية والخدم .. حتى اذا جن الليل ، انزوت في مخدعها البارد وحيدة ، حزينة .**

وعندما فاض بها الكيل ، التمست من زوجها ان يسمح لها بالعودة الى أهلها ؛ ولكنه أبى أن يستجيب لرغبتها .. ولعله خشي نقمة ابيها . وراح يلتمس الحيلة معها ، حتى يسترضيها . ووعدها بأن يتلطف معها في المستقبل ، وان يجعل لياليها اقل وحشية وضجرا ..

وقد بر بوعده . اذ أمر أحد الأوفياء من خدمه ، بأن يزهق انفاسها — اثناء نومها — في الليلة التالية !

وماتت « جالزونيت » .. وان هي الا أيام ، حتى تزوج « شيلبريك » من « فريديجوند » ، ونصبها ملكة رسمية — في هذه المرة — على باريس !

((سيجيبرت)) يحتل (باريس)

• **وكان** من الطبيعي ان تثير وفاة « جالزونيت » شكوك اختها « برونو » . فلما قدر لهذه ان تعرف أن أختها ماتت

هيلة وغدرا ، حنقت على « شيلبريك » بقـدر ما كانت تحب اختـها ، وراحت تحرض زوجـها « سـيجبيرت » على أن ينتقم ..

وطفق الشقيقان يتبادلان الاتهامات والتهـديدات .. ثم عكف كل منهما على حشد قواته ، واعداد العدة .. **وفجاة ، سار ((شيلبريك)) ، على رأس جيشـه . فحاصر (ميس) على حين غرة . ولكن ((سيجبيرت)) كان يعمل لهذه اللحظة حسابها ، اذ انه لم يكن غافلاً عما جبل عليه اخوه من غدر .** لذلك استقبله وقواته بجيش مسـتعد اتم اسـتعداد ، ولم يلبث ان اوقـع به هـزيمة نكـراء ، ثم اندفـع يطارد فلوله المدحورة ، فاضطر «شيلبريك» الى ان يلوذ و «فريديجوند» بمدينة (تورنى) .

ودخل « سـيجبيرت » مدينة (باريس) دخول الغـزاة الفاتحين .. ثم سار الى مدينة (فيترى) ــ التى كانت مقرا رسميا للملك ــ كى ينصب فيها ملكا على مملكة أخيه .

وبدا ان ملك «شيلبريك» قد دال ، وان القدر قد ابتسم لسيجبيرت ، وساعده على ان يصبح ملكا على مملكتين !

ملك فى الخامسة من عمره !

• بيد ان جعبة المكر والخيانة لم تكن قد فرغت .. فما ان انتهت مراسم تنصيب « سيجبيرت » ، حتى انقض عليه رجلان من وسط جموع الشعب ، فأوسعاه طعناً بخنجرين .. **وظهر ان ((فريديجوند)) هى التى اوفدتهما ، وانها غمست بيديها طرفى الخنجرين فى سم زعاف !**

وقلب مصرع « سـيجبيرت » الموقف رأساً على عقب ، اذ ان رجال «سيجبيرت» ــ الذين كانوا يحاصرون «شيلبريك» فى (تورنى) ــ ما لبثوا ان عادوا الى بـلادهم .. واذ ذاك ،

هرع «شيلبريك» الى (باريس) ، فاستردها واعتقل زوجة شقيقه الصريع ـ التى لم تكن قد علمت بالتطورات السريعة ـ وابنهما الصغير « شيلدبيرت » .. الذى كان فى الخامسة من عمره .

ورضخت « برونو » للأمر الواقع . بيد أنها لم تشأ ان تجنى على صغيرها . فراحت تبتدع الحيل لتهريبه .. وفى ذات ليلة ، وضعت « شيلدبيرت » فى سلة من خشب الصفصاف ، **وأدلته بحبل طويل من نافذة المعتقل ، الى حيث تلقاه صديق وفى ، أسرع به الى (ميس) ، حيث احتفل رسميا بتنصيبه ملكا ، لعرقلة مطامع ((شيلبريك)) .**

وكان من سخرية القدر ، ان شيلبريك بهر بجمال اسيرته .. وما كانت نظراته الولهانة لتخفى على « فريديجوند » ، فاذا الغيرة تتأجج فى صدرها ، **اذ ادركت ان الارملة الشابة كفيلة بأن تستأثر بلب ((شيلبريك)) الماجن ، المتقلب العاطفة ..**

وانتهى بها التفكير الى ان تنفيها الى (روان) ، لكى تقصيها عن القصر ، وعن انظار الملك .

الأب والابن يتزاحمان فى الهوى !

• على ان جمال « برونو » لم يشغل شيلبريك وحده ، بل ان فتنتها أسرت لب شخص آخر فى قصر الملك ، لم تكن تشعر به .. شاب يافع ، شاء القدر ان يكون من ابناء الملك الذين كان قد انجبهم من « اودوفير » ! .. وهكذا قدر للأب والابن ان يتزاحما على .. الاسيرة ، الكسيرة !

ولقد أمض العاشق الصغير فراق محبوبته ـ بعد نفيها ـ فغادر القصر سرا ، وسعى الى لقائها .. ولكم ادهشها ان رأت الشاب اليافع يقتحم عليها خلوتها .. وقبل ان تسأله

عن سر مقدمه ، بل قبل ان يحييها . القى بنفسه عند قدميها، وهتف فى لوعة : « اننى مشغوف بك ! »

وانطلق يبثـها حبه المشبوب ، ولوعتـه المضنية .. وكان الهوى قد أسقمه حقا ، **حتى ان قلب الارملة الاسيرة لان له ، وهو ابن غريمـها وقاتل زوجـها .. وشيئا فشيئا ، تحول الاشفاق الى حب ، و .. جرفهما التيار !**

وفى ذات يوم ، وصل الى قصر « شـيلبريك » بباريس ، رسول موفد من (روان) . يحمل اليه قصة هذا الغرام !

وذهل الملك عنـد سماعه النبـأ .. ثم أفسح الذهـول السبيل الى غضب أهوج .

وكانت « فريديجوند » ـ فى تلك الاثنـاء ـ قد استطاعت أن تقضى على « اودوفير » فى الدير الذى اعتكفت فيه ، وأن تتخلص من أولاد هذه الغريمة ، لتفسـح طريق الملك لأولادها .

على ان دهاءها ما كان ليحيط بكل الامور . فبينما كانت توغـل فى الدماء ، لتضمن العـرش لأولادها ، اسـتطاعت «برونو» ان تفر من معتقلها ، وان تعود الى (ميس) ، حيث اقبلت تمارس الحكم باسم ابنها « شـيلدبيرت » ، الذى لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره .

وحشية فى البطش

● **على ان** القدر ساق للمملكتين ظروفا ادت الى تهادنهما .. وهدأت الأحوال اعواما ، بدت فيها «فريديجوند» قانعة بحياتها . ولكنـها ـ فى الواقع ـ كانت تطوى جوانحها على الحقـد والغـدر . ولم تكن السنون تزيدها سـوى قسوة وطغيانا ، حتى لقـد كانت تتفنن فى البطش بكل من يقف فى طريقها ، او يتوانى فى خدمتها .. **بل انها كانت توقع العذاب**

بانتعساء ، لمجرد ان قسمات وجوههم ، او تركيب خلقهم لم يكن يصادف هوى من نفسها !

ولقد حدث ان غضبت يوما على قائد الحرس فى القصر الملكى ، فأمرت بأن يوثق الى عجلة التعذيب ، وان يجلد بالسياط حتى يموت • ووقفت بنفسها تشهد العملية فى استعذاب وحشى ، ثم انصرفت .. وبعد خمس ساعات ، أقبلت تتفقد سير التعذيب ، فما ان اقتربت من المسكين ، حتى سمعت صوتا يهيب بها : « حسبك ! .. حسبك ! »

وغاظها ان المسكين لم يكن قد فقد كل قواه ، ولكنها لم تكد تقترب منه ، حتى تبينت انه لم يكن صاحب الصوت.. **كان « الزبانية » هم الذين توسلوا اليها كى تامر بالكف عن التعذيب ، فان العملية كانت قد انهكت قواهم هم .. فما بالك بالضحية ؟ !**

ولكن « فريديجوند » لم تكن تعرف رحمة .. فكان جزاء انجلادين — على انهم شعروا بالارهاق — ان قطعت أيديهم وارجلهم .. ثم امرت الملكة أحد أتباعها بأن يغرس الشوك تحت اظافر قائد الحرس ، الذى لم يحتمل العذاب ، فمات !

اخيرا .. قضت على زوجها !

• **واجتاح** فرنسا — فى عام ٥٧٧ — وباء الجدرى بصورة مروعة ، فراح يحصدالارواح حصدا..وفقدت «فريديجوند» كل اولادها • فى أيام معدودة ! .. غير انها — بحكم نزعتها الواقعية — لم تحزن طويلا لهذه الفاجعة التى كانت كفيلة بأن تقصم ظهور الرجال ، بل تحولت تضاعف من اغرائها لزوجها ، عسى أن تنجب ولدا يعوضها عن المفقودين .

ولكن « شيلبريك » كان قد اكتهل ، لذلك لم تتورع « فريديجوند » عن ان تلجأ الى رجال الحاشية والحرس ،

عسى ان يمكنوها من تحقيق رغبتها .. وقدر لها ــ فى النهاية ــ ان ترزق بولد اسمته « كلوتير » .. فغمرها مولده بفيض من الانتعاش والحيوية. ولكنها بدلا من ان تكرس هذه الحيويه وذلك الانتعاش للوليد الجديد ، تولتها لهفة طارئة على شبابها وسحرها ، فأخذت تستقبل فى مخدعها عشيقا ، فى كل ليلة ..

وكان خليقا بمسلكها هذا ان يجرها يوما الى المتاعب .. وفعلا تصادف ان دخل « شيلبريك » مخدعها يوما ، وهى ترتدى ثيابها ، وقد شغلت عن تعرف القادم . واراد ان يداعبها ، فدق على كتفها بعصاه . واذا بها تهتف دون أن تلتفت اليه : « وبعد ياالاندرى ؟ »

وقبل ان تفيق الى ان القادم لم يكن عشيقها ، وتدرك زلة اللسان التى كانت كفيلة بأن تفضح سرها ، كان « شيلبريك » قد انصرف وهو يتميز غضبا . واستبد بها الجزع ، وقد كانت أدرى الناس بغدر زوجها ، فلم تتوان عن ان امرت أحد اتباعها باغتياله ، اثناء احدى رحلات الصيد .

وحدة .. ثم انقسام !

• **ومنذ** ذلك الحين ، انغمست «فريديجوند» فى حمأة من الفسق والانحلال .. واصبح الفجور يسول لها أن تستبيح كل شىء ؛ **حتى انها كثيرا ما كانت تستقبل فى مخدعها عشرة أو خمسة عشر عشيقا ، فى الليلة الواحدة .. وكانت تنتقى هؤلاء العشاق من الشباب الذين يفيضون حيوية وقوة !**

وفى عام ٥٩٧ ، لفظت فريديجوند آخر أنفاسها ، دون أن تأسف الا على شىء واحد ، هو عدم تمكنها من قتل غريمتها « برونو » . وكانت هذه ــ فى تلك الآونة ــ فى أحسن حال ، وان كانت قد فقدت ابنها «شيلدبيرت» ، الذى كان قد صار

ـ بعد وفاة عمه الملك جونتران ــ ملكا على (ميس) و (اوتان) معا .. وكانت هاتان المملكتان تشغلان مساحة كبيرة ، وان كان قد قدر لهذه المساحة ان تنقلب ثانية الى مملكتين ، بعد موت « شيلدبيرت » ، اذ لم يكن العرف يقضى لدى الفرنجة بأن يخلف الابن الاكبر أباه . فاقتسم وانداه ملكه ، وتبوأ « تيودبيرت » ــ ابنه الاكبر ــ عرش (ميس) ، بينما ورث الابن الآخر « تيرى » مملكة (اوتان) ، واطلق عليها (بورجونيا) .

تفسد حفيديها لتستأثر بالسلطان !

• **ولكن** شهوة السلطان كانت قد تملكت «برونو» ، فحاولت ان تكون صاحبة الامر والنهى فى (ميس) ، كما كان شأنها فى عهد ابنها . ولكن حفيدها « تيودبيرت » رفض الانصياع لرغباتها والخضوع لسطوتها ، **واذ ذاك سعت لاضعافه وضعضعة مكانته ، فاخذت تغريه بالوان اللهو والعبث ، كى تشغله عن شؤون الحكم** . وأدارت رأسه ــ بالفعل ــ حياة الملذات ، فبدأ يهمل مسئولياته وينصرف عن واجباته ، لولا ان احدى محظياته ــ وكان قد هام بها حبا ــ راحت تحثه على استعادة نفوذه المنهار وطرد جدته الشديدة الطموح ، فلم يلبث ان استجاب لها .

ولجأت « برونو » الى (بورجونيا) ، عند حفيدها الآخر .. وما ان استقر بها المقام هناك ، حتى أعلنت ضرورة انقاذ البلاد من الفوضى المستشرية ، ووضع طائفة من المشروعات لاصلاح أمورها .. وقالت لحفيدها الملك « تيرى » :

ــ أن كل شىء فى حاجة الى تنظيم جديد .. وسأتولى أنا هذه المهمة !

وكخطوة أولى من خطواتها الاصلاحية ، أمرت بقتل رئيس

الديوان الملكي ، وأحلت محله احـد عشاقها • ثم أسـندت جميع المناصب الرئيسـية الأخـرى الى اتباعها وعمـلائها المقربين • واخـيرا ، عمدت ــ لكي تستأثر وحدها بالسلطة المطلقة ــ الى دفع تييري بين احضان الرذيلة والفجور • واذ حاول أحد أنصاره ان يعيده الى الطريق السوي ، لم تتورع «برونو» عن معاقبة هذا الوفي برجمه بالحجارة في غير ما رحمة !

النهاية المروعة !

• **وفي** عام ٦١٠ ، مات « تيودبيرت » مقتولا بتحريض من أخيه ، الذي ما لبث ان قضى نحبـه بدوره ، بعـد أن انهك الفسـاد قواه •

وفيما كانت برونو ــ وقـد بلغت السبعين من عمـرها ــ تتهيأ لكي تكرر مع أولاد حفيديها ما سـبق ان اقترفته مع تيوديرت وأخيه تييري ، اذا بكبار المسئولين في (ميس) ــ يضيقون ذرعا بأفعالها ــ فيسـلمونها لابن « فريديجوند » ــ الملك كلوتير الثاني ــ الذي أمر على الفور بتعذيبـها لمدة ثلاثة أيام ••

وامعانا في اذلالها وامتهان كرامتـها ، وضعوها فوق ظهر احد الجمال ، بعد ان جردوها من ملابسها ، وراحوا يطوفون بها شوارع المدينة ! •• وأخيرا ، قيدوا ذراعيها وقدميها الى ذيل أحـد الجياد الجـامحة ، فأخذ يجـرها فوق الأحجار والحصى التي كانت الطريق مليئة بها • وعندما توقف الحصان عن السير ، كانت جثة برونو الفاتنة ، والعاشـقة الملتهبة ، القاسية ، قد استحالت الى كتلة مشوهة من اللحم المختلط بالدماء !

حوافز الحياة



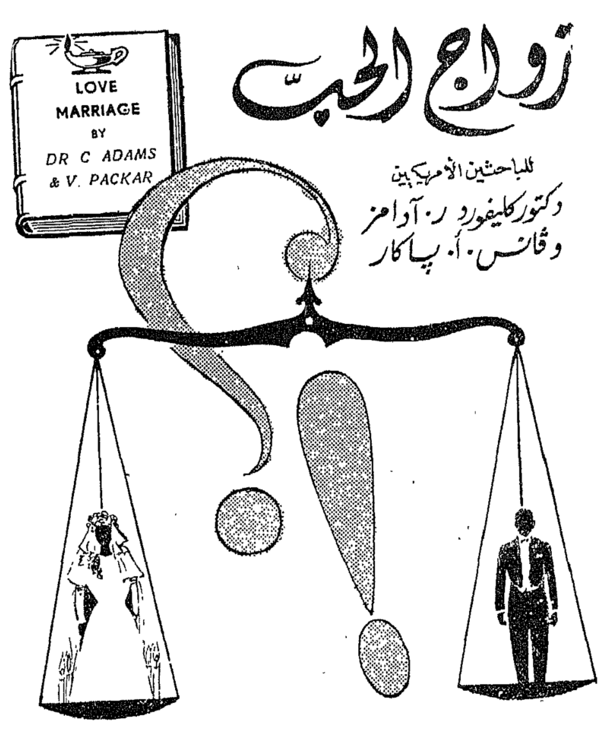
النفس والجنس.. والمجتمع..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية ، الكتب الآتيه على التوالى :

• كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية • طريق السعادة الزوجية • مركب النقص • كيف تقهر الخجل • كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة • فنون الحياة : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الزعامة ، فن التفكير ، فن الاستمتاع بالشيخوخة • غزو السعادة • التحليل النفسى • الجنس الآخر • الحب (لاوفيد) • فن الانتصار على الخوف • كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة • ابواب الحب المغلقة • تاريخ الغزل • كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة • السلوك الجنسى عند الرجل • السلوك الجنسى عند المرأة • لا تخنق عقلك •

واليوم .. اقدم لك كتابا جديدا ..



خير دراسة عملية تمكنك من أن تتعرف مدى نضجك واستعدادك لأن توفق إلى زواج ناجح سعيد

تلخيص : زكى شنودة المحامى

عزيزي القارىء :

موضوع « الزواج » من الموضوعات التى لا تبلى جدتها ، فهو لا يفتأ يجتذب الكتاب والمفكرين .. وقد كان من نتائج الأسلوب العلمي ـ الذى يسود الفكر فى عصرنا ـ ان الخوض فى « الزواج » لم يعد مجرد ابداع انشائى ، أو اجتهاد فلسفى ، **وانما هو اقترن بالبحث العلمى السليم ، وأصبح له اخصائيون وخبراء .. بل ان من المعاهد العلمية ـ فى بلاد مثل الولايات المتحدة ـ ما انشأ برامج دراسية خاصة للزواج !**

وتشير نتائج معظم البحوث ، الى ان الميل الجنسى هو السبب الرئيسى الذىيدفع معظم الناس الىالزواج، ولكنه ـ فى الوقت ذاته ـ **ليس العامل الأساسى الأوحد لسعادة المتزوجين .. وان لم يمنع هذا من أن يكون عاملا جوهريا فى نجاح الزواج أو فشله ..**

فما هى ـ اذن ـ العوامل الأخرى التى تقوم عليها السعادة الزوجية ؟

هذا هو موضوع الدراسة التى نقدمها لك فى الصفحات التالية ، والتى تعاون فى اعدادها عالمان نفسنيان امريكيان وخبيران فى شؤون الزواج ، هما الدكتور « **كليفورد آدامز** » ، و « **فانس باكار** » .. وقد قرنا دراستهما هذه باختبارات بسيطة ، ولكنها كفيلة بأن ترشدك الى جدوى زواج الحب ، ومدى استعدادك له ، سواء كنت قد تزوجت فعلا ، أو كنت بعد فى مرحلة التفكير .

هل الزواج « قسمة ونصيب » ؟

• **يستنكر** كثير من الناس أن يقحم شخص ما نفسه عليهم ، ليعلمهم كيف يختارون أزواجهم . فهم يعتبرون ذلك نوعا من التطفل . ويعتقدون أن الزواج شيء شخصي ، للحظ أو القدر فيه دور كبير ، فلا ينبغي أن يجرى على قواعد ، وانما هو — قبل كل شيء — مسألة « قسمة ونصيب » !

ولكن الزواج — في الواقع — ليس من تدبير القدر . وانما الذي يحدث ان الناس يتزوجون — عادة — **اما لأنهم يقعون في الحب ، واما لأن أهلهم يصورون لهم أن الزواج لعبة لطيفة، فيقدمون عليه بتأثير هذا الاغراء !**

وسواء كان الذي يحدث هو هذا أو ذاك ، فسرعان ما يتبين للزوجين ان الزواج أمر خطير ، يستغرق الحياة كلها .. وأنه اذا كان تعيسا ، ففيه الدمار والهلاك للزوجين معا . لذلك نجد كثيرا من الناس يتحاشون الزواج اليوم ، أو يتخلصون منه بالطلاق أو بسواه .. ومن ثم يزداد عدد الرجال الذين يظلون عزابا باطراد ، وعدد النساء اللاتي يفضلن العمل على الزواج .

لماذا لا يتزوجون ؟

• **لهذا** يجدر بنا أن نبدأ البحث بهذا السؤال : « **لماذا نتزوج ؟** » .. ولكي نجيب عنه ، تجدنا أمام سؤال آخر : **« لماذا يحجم بعض الناس عن الزواج ، أو ينفرون من الاستمرار فيه ؟ »**

كثيرون هم الذين لا يتزوجون لأنهم لا يستسيغون التخلي عن حريتهم ، ويأبون اغلال المسئوليات العائلية ، ورتابة الارتباط بامرأة واحدة .. وكذلك شأن بعض الاناث ، اذ يتمسكن بالاستقلال الذي اعتدنه ، لاسيما اذا كن من اللائي يشتغلن

وينكسبن .. وآخرون ـ من الرجال والنساء على السواء ـ لا يتزوجون لأنهم ينشدون صوره مثاليـــة للزوج المرجو ، ولا يهتدون الى من يماثلها فى الحياة الواقعية .. وهناك من لا يتزوجون لأن الفرصة المناسبة لم تسنح لهم ، فهم يخشون أن لا يسعدوا اذا ما تزوجوا بعد الاوان ..

وثمة طائفة كبيرة من الناس ، لا يتزوجون بسبب الفشـــل فى الحب ، اذ انه يخلف لديهم جراحا عاطفية تجعلهم ييأسون من الظفر بالسعادة فى الزواج من غير الحبيب المفقــود ! ..

ومن الناس من يأبى الزواج تضحية منه ، فى سبيل الالتزام بمسئوليات عائليـــة يرى انها لا تدع له ســـبيلا الى أن يكفل زوجة.. كأن يكون مسئولا عن اعاله أم أرملة ، أو اخوة أيتام !

ومن أسباب عدم الزواج ، اعتلال الصحة بدرجة تجعل من المستحيل استساغة فكرة الزواج أو توقع السعادة فيه . كما أن من الناس من يكونون أنانيين ومحبين لذواتهم بدرجـــة تجعل من غير الممكن لهم التوافق مع الغير ، **فى حين أن الزواج شركة تقتضى أن يكون الشريكان فيها قادرين على أن يضحى كل منهما برغباته الخاصة من أجل سعادة الآخر .**

ومن أنصار عدم الزواج ، أولئـــك الذين لم يعدهم أهلهم لتحمل المسئوليات ، والاعتماد على أنفسهم .. كأن يسرفوا فى تدليلهم وتحقيق كل رغباتهم ، والسيطرة عليهم ، ومعاملتهم كأطفال ..

وأخيرا فان كثيرين ـ وخاصة بين الاناث ـ يقفون من الزواج موقفا غير سليم . اذ تتملكهم المخاوف من الاختلاط العضوى :

ومن ذلك أن زوجة فى التاسعة والعشرين من عمرها ، اعترفت أخيرا ـ بعد أربع سنوات من زواجها ـ بأنها كانت تخاف من الصلة الجنسية مع زوجهـــا . وقد قدمت هذه الزوجـــة الدليل ـ بغير وعى منها ـ على برودها الجنسى ، حين ذكرت

أن أمها كانت تتحدث أمامها – وهى بعد طفلة – عن متاعبها أثناء الولادة ، وأن الاتصال العضوى هو أحد أعباء الزواج التى لابد للزوجة من أن تتحملها . ثم حدث بعد ذلك – وقد كبرت الطفله – أن كانت تسير فى الطريق ذات ليلة ، فأوقف شاب سيارته فى الطريق وأراد معانقتها ، فتملكها الذعر بسبب الفكرة المغروسة فيها ، ومن ثم فانها حتى اليوم – وقد مرت أثنتا عشرة سنة ، تزوجت خلالها – لاتزال تخشى السير وحدها ليلا !

.. ولماذا يتزوجون ؟

• « أما وقد استعرضنا أسباب عدم الزواج ، فقد آن لنا أن نتساءل : « لماذا يتزوج الناس ؟ »

ان ثمة ٣٠ مليون زوجين فى أمريكا وحدها اليوم . وهم – بطبيعة الحال – لم يتزوجوا لمجرد أن الناس اعتادوا ذلك . وانما تزوجت نسبة كبيرة منهم ، اقتناعا بأن الزواج ينطوى على ميزات ومرغبات . فان كنت فى شك من ذلك فضع فى اعتبارك الحقائق التالية :

أن المتزوجين يعيشون – عادة – أطول مما يعيش العزاب : فطبقا لتقرير عن الأعمار ، نجد أن عدد من يموتون من الرجال العزاب ، فى سن تتراوح بين ٣٠ و ٤٥ سنة ، ضعف عدد المتزوجين الذين يموتون فى هذه السن . وأن عدد من يمتن من النساء غير المتزوجات بين ٣٠ و ٦٥ سنة ، يزيد ١٠٪ عن عدد المتزوجات اللائى يمتن فى هذه السن .

وفضلا عن هذا السبب الجوهرى ، ثمة أسباب عملية جدا للزواج : **فمن الأوفر – اقتصاديا – لشخصين أن يعيشا معا ، من أن يعيش كل منهما منفردا ..** لأن تكاليف الاثنين مجتمعين توازى ثلثى تكاليفهما منفصلين .

وبالزاوج تزداد فـرص العمل امام الرجل .. لأن الرجل المتزوج ، ينظر اليـه عاده باعتبـاره اكثر اسـتقرارا من الأعزب - واجدر بالثقة ، وأقدر على تحمل المسئولية .. كما انه اقل استعدادا لترك وظيفته ، أو ــ بالأحرى ــ أكثر حرصا عليهـا .. ويعتبر المتزوج ــ كذلك ــ رجلا اجتماعيا أكثر من الأعزب ، فهو اقرب الى المجتمع وأوثق صلة به . والواقع ان كثيرا من الناس ينظرون فى ريب الى الرجل الناضج الذى يظل بلا زواج .

واخيرا ، فان الزواج يتيح ارضاء الرغبـة الجنسية بغير تعرض للمؤاخذات القانونيـه ، وبدون الشـعور بالاثم ولوم النفس .. **وقد أكد علم النفس الحديث أن الارضاء الجنسى ليس عملية عضوية للتناسل فحسب ، وانما هو نشاط يؤدى للراحة النفسية** .. فضلا عن انه يخفف من الأجهاد العصبى والتوتر الناشىء عن حاجات هرمونية أو غددية .

هل أنت كفؤ للزواج ؟

• **الزواج** من اخطـر الخطوات التى يخطوها الانسـان فى حياته . فالواقع أن الحياة ــ بالنسبة لأغلب الناس ــ تشغلها ثلاث مشاكل كبرى هى : تعلم التعامل مع الناس ، واختيـار مهنة والنجاح فيها ، واختيار زوج والسعادة معه .

فهل أنت كفؤ للزواج ؟

ان الاجـابة على هذا السؤال ليست بالبسـاطة التى تتصورها . فأنت لا تكون على استعداد للزواج، الا اذا كنت ناضجا بدرجة كافية . والنضوج الذى يدل على استعدادك للزواج، يرتبـط بخمس نواح على الأقـل هى : النـواحى **العضوية والعقلية والمهنيـة والجنسية والعاطفيـة** .. وقد يكون ثمة أشخاص لم يستكملوا النضوج الكافى على الرغم

من بلوغهم الخامسة والثلاثين ! .. لذلك يجدر بك أن تراعى ما يلى ، قبل البت فى أمر الزواج :

١ — **كم سنك من الناحية العضوية ؟** .. ان المراهقين يتصفون بالنمو الجسدى السريع : من حيث الطول ، والوزن ، والنضوج الجنسى . بيد انك — فى سن الثامنة عشرة — تصل الى الطول الذى ستبقى عليه طول عمرك تقريبا ، ويكون نموك الجنسى قد وصل الى حد القدرة على التناسل . ولكن هذا لا يعنى انك تكون قد أصبحت فى النضوج الذى يؤهلك للزواج .. فان هذا النضوج لا يتحقق الا فى سن العشرين ، وربما بعد ذلك . اذ أن الأمر يتوقف على غددك .

٢ — **كم سنك من الناحية العقلية ؟** .. ولا نعنى قدرتك على استيعاب المعلومات ، وانما ما تكون قد حصلته فعلا منها . **فان الشخص ينبغى أن يعيش ٢١ أو ٢٢ سنة على الأقل ، ليستوعب قدرا كافيا من الحياة ، يؤهله للاضطلاع بالمسئوليات التى تترتب على الزواج** . فاذا كنت قد عشت جانبا واحدا من الحياة ، أو عشت فى ظل حماية شخص ما ، فقد يتطلب الأمر مدة أطول من هذه .

٣ — **كم سنك من الناحية المهنية ؟** .. أن الرجل لا يكون ناضجا قبل أن يثبت أنه يستطيع أن يكسب عيشه . فالدرجة الجامعية ليست كافية لذلك ، وانما يجب أن ينجح الشخص فى عمله — بعد ذلك — بأن يستعمل معلوماته المهنية ليعيش منها . وقد كان الظن — فى وقت ما — أن الفتيات لا يحتجن لخبرة مهنية خاصة ، الا أن هذه الفكرة زالت وأصبحت المرأة الحديثة تعتد بالاستقلال ، ومن ثم فهى تجتهد فى استغلال قدرتها على اكتساب المال ، الى جانب قدرتها على ادارة المنزل .

٤ ـ **كم سنك من الناحية الجنسية ؟..** فالنضج الجنسي يتضمن أكثر من القدرة على النسل والحمل . وهو يتحدد فى سن الطفولة . **فالمراهق الذى رباه والدان متزنا العواطف ، اعتادا أن يستمعا لمشاكله ويشرحا له سر الأمور الجنسية وسحرها ، يغدو ـ فى العادة ـ مستعدا لمواجهة مشاكل المراهقة الجنسية** .. حتى اذا بلغ سن الثامنة عشر من عمره ، يكون قد نضج من الناحية الجنسية ، ما لم يكن ثمة كبت أو منع جنسى ، أو نفور من الجنس ، أو حب استطلاع غير طبيعى وتطلع زائد عن حد الاعتدال للمعلومات والخبرة الجنسية . وقد يظل المراهق خجلا أو شديد الشعور بالذات فى حضور الجنس الآخر ، ولكنه لا يلبث أن يتغلب على ذلك ، حين يشترك مع ذلك الجنس فى أى وجه من وجوه النشاط .

٥ ـ **كم سنك من الناحية العاطفية ؟..** وهذه أكثر النواحى دلالة على مقدار استعدادك للزواج . فقد دلت الأبحاث على أن الأشخاص الذين ينقصهم « النضج العاطفى » ، نادرا ما يحققون زواجا سعيدا .. ولكن ما هو النضج العاطفى ؟.. انه حالة عقلية تتضمن القدرة على التعامل مع الناس .. القدرة على استحقاق الرضا فى العمل .. القدرة على حل المشاكل التى تنشأ فى علاقاتك مع الآخرين .. **وأخيرا فان النضج العاطفى هو التحرر من الاضطرابات العصبية وعدم الاستقرار . والأعوام العشرة الاولى من سنك ـ كما هى الحال فى النضج الجنسى ـ هى التى تحدد النضج العاطفى** . وفى سن الثامنة عشرة ، يتخذ الشخص ـ بالتأكيد ـ وضعا عاطفيا مستقرا . فاذا هو لم يكتسب هذا التوازن بين الحادية والعشرين والثانية والعشرين من عمره ، كان عليه أن يعمل على تحسين قدرته على ضبط النفس .

مظاهر النضج العاطفى

• **ولكى** نزيد « النضج العـاطفى » توضيحا ، نورد هنا ثمانى صفات تلاحظ فى غير الناضجين عاطفيا ، وثمانى صفات مقابلة لدى الناضجين ..

فصفات الشخص غير الناضج :

ميال للعنف والعـدوان ـ متمرد ، مشاكس ، عنيد ـ حقود ، متحامل ، مبغض ـ صريع للأوهام غالبا ـ كثير المخاوف والمثبطات ـ يعـانى آلامـا وهميـة ، وهستيريا ، وارتعاشا ، وأرقا ـ متـوتر الأعصـاب ـ فريسة للقلق والتردد .

أما صفات الشخص الناضج ، فهى :

يعامل الناس بمودة وتفاهم ـ حياته العائلية راضية ، هادئة ـ يستفيد من أخطائه ـ ناضج فى عمله ـ يحترم السلطات والعادات ـ يواجه المشكلات فى اقـدام وغير تهيب ـ مستقيم ، معقول التصرفات .

ونخرج من هذه الاعتبارات جميعا ، بأن **من الخير للفتـاة أن لا تفكر فى الزواج قبل سن التاسعة عشرة أو العشرين على الأقل .. كما أن الفتى يجب ألا يفكر فى الزواج قبل الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين** . فهذا هو الحد الأدنى لسن الأهلية للزواج ، بالنسبة للأشخاص العاديين . وعلى الذين يبطئون فى النمو عن المعدل ، أن يتأخروا ـ فى الزواج ـ الى ما بعد هذه السن .

ما هو .. الحب ؟!

• **وما من** شك فى أن « الحب » كلمة أسىء استعمالها . فمن الناس من يحبون القطط والكلاب ، ومن يحبون « الآيس كريم » . والاولاد الذين يحاولون اختطاف قبلة من فتاه صغيرة يغمغمون بشىء عن الحب .. وان لم يفقهوا له معنى !

واثنتان من كل خمس فتيات تأتيان الى مستشار الزواج وفى اعتقادهما انهما قد وقعتا فى الحب ، وهما ــ فى الواقع ــ واهمتان .

ولقد ذهبت فتاة ــ ذات يوم ــ الى مستشار الزواج ، تزعم انها مدلهة فى حب طالبين ، فى آن واحد .. احدهما بطل فريق « الباسكت بول » ، والآخر نجم فرقة موسيقية . وكان كل همها أن تعرف أيهما تختار . ولكن المستشار لم يلبث أن تبين أنها لم تكن ــ فى الواقع ــ تحب أحدهما ، وانما زينت لها الأضواء المسلطة عليهما ، أنها واقعة فى هواهما !

ولكن ماذا عن « الحب من أول نظرة » ؟.. أنهــا فكرة رومانتيكية ، ولكنها قليلــة القيمة فى الواقع . ففى بعض الأحيان يشعر اثنــان « بافتتان من أول نظره » ، قد يتطور أو لا يتطور الى حب . ويقوم « الأفتتان » عادة على الميــل الجنسى ، فى ٨٠ فى المائة من الحالات !

وقد يقع « الحب من أول نظرة » كذلك ، حين يحدث أن ترى شخصا مطابقا لـ « مثلك الأعلى » الذى تتخيله لشريك حيــاتك .. ولكن هذه مصــادفة لا تسنح لكل امرىء ، فهى حالة استثنائية !

فالحب من أول نظرة بعيد الأحتمال .. **ولكن لماذا ؟**

هنا نصل الى جوهر الحب . فاذا نحن رجعنا الى تعريفه فى القاموس ، نجد انه « الرغبة فى شخص آخر ، وبذل الجهد

الصدق لتحقيق سعادته » . فالحب ليس شركا تقع فيه ، وانما **هو زمالة واحترام متبادل بين اثنين ، على أساس أن لهما ذوقا واحدا ، وأفكارا واحدة ، واتجاهات واحدة .** ومثل هذه الزمالة المقترنة بالاحترام ، لا يمكن أن تأتى نتيجة لحظة واحدة ، أو نظرة واحدة .

ولو أن حياتك الباكرة كانت تتسم بالنزاع فى البيت ، والتوتر فى علاقتك مع اترابك ، فانت غير مهيء للزمالة التى يقتضيها زواج الحب ، وقد يصعب عليك أن تجد السعادة فى الزواج . أما اذا كانت علاقتك بالناس حسنة . فسوف يكون من اليسير عليك أن تميل الى شخص آخر ، وان ترضيه وترضى به !.. **ومع مرور الوقت ، وتوثق المعرفة ، لا يلبث شعوركما المتبادل بالتقدير والعطف ، أن يبلغ درجة الحب .** وبينذاك تترعرع فى نفسيكما الأحاسيس الجنسية ، وتتبادلان الميل الجسدى الذى يزداد قوة الى ان ينتهى بكما الى التفكير فى الزواج .. حتى اذا وضحت حاجة كل منكما للآخر ، ولم يعد فى الوسع انكارها ، حق لكما ان تتزوجا .

ما الذى تتطلبه فى الزوج ؟

• **والشاب** الذى يهتم بالزواج ، لا يفكر عادة الا فى أمر واحد ، هو الشروط التى يريد توفرها فى زوجته . الا أن الشخص الذى يواجه المشكلة بتفكير واقعى ، يجب أن يضع فى اعتباره ثلاثة أمور ، وهى : **مايرغب فيه ، ومايحتاج اليه ، وما يمكنه الحصول عليه .**

وغالبا ما يكون ظنك أن الزواج الذى ترغب فيه ، هو الذى تحتاج اليه . الا أن رغبات الأنسان ، كثيرا ما تقوم على اعتبارات طائشة أو غير عملية ، أو على مجرد الزواج من أجل

غرض أو غاية غير زمالة العمر .. وأن لم تفطن الى هذا !
فقد سئل طلبة قسم علم النفس بمعهد امريكى عال عن المبلغ الذى يعتبرونه الحد الادنى للدخل المناسب للحياة الزوجية ، **فاتضح أن الحد الذى تطلبه الفتيات أعلى بكثير مما يطلبه الشبان !..** اذ قرر ١٠٪ من الفتيات أنهن لن يتزوجن حتى يكون لعريسهن دخل لا يقل عن خمسة آلاف دولار .
ومن الواضح أنهن بذلك يطلبن دخلا أكبر مما يحتجن اليه ، ومما يمكنهن الحصول عليه .
ولزيادة ايضاح الفكرة ، نأخذ حالة فتاة معينة من الطالبات ـ تدعى « ميريام » ـ مثلا .. فقد طلبت « ميريام » أن يكون دخل عريسها اربعة آلاف دولار ـ على الاقل ـ فى العام . **وتبين انها لم تقدر هذا المبلغ الا لأنها لم تكن تعرف شيئا عن الطهو والتدبير المنزلى ، فكانت تقدر انها ستضطر الى استخدام من يطهو ويعنى بالمنزل !..** كذلك اشترطت « ميريام » ان يكون عريسها عالى الثقافة ، مع أنها هى متوسطة الثقافة .. وأن يكون طوله ست أقدام ، أسمر البشرة ، جميل الطلعة ، قوى التقاطيع ، عريض المنكبين ، بارعا فى الرقص ، وماهرا فى « البريدج » .. وأن يكون من عائلة كبيرة ، ويكون اما طبيبا أو محاميا .. وأخيرا قالت أنه يجب أن يكون رجلا بمعنى الكلمة !.. ولم تكن لدى ميريام الا فكرة غامضة عن الأطفال ، ومع ذلك فقد ذكرت أنهم يجب الا يجيئوا قبل خمس سنوات على الأقل ، حتى يمكنها أن تتفرغ للرقص واللهو !

.. بعد فوات الوقت المناسب !

• **ومثل** « ميريام » قد تجد هذا الرجل ، ولكن .. هل يتزوجها ؟ .. واذا تزوجها ، هل يرضيها كزوج ؟

ان ما نريده فى الرفيق كثيرا ما يكون قائمـا على أساس رغباتنا فى لحظة معينة ، أكثر ممـا هو قائم على احتياجات الحياة كلها !

وبعض الناس يجعلون أهداف زواجهم عالية جدا ، حتى أنهم يفضلون أن يبقوا بغير زواج ، على أن يتزوجوا من هو أقل من المستوى الذى يطلبونه .. حتى اذا مرت سنوات دون ان يحققوا خيالهم ، شعروا بالخيبة والحبوط . وقد اعترفت بعض المعلمات غير المتزوجات ، بأنه كن فى أمكانهن الزواج وهن فى مقتبل الشباب ، ولكن « الرجـل لم يكن ملائمـا بدرجة كافية » .. ولكنهن ـ بعـد فوات السن المناسبة ـ أصبحن يتمنين لو انهن كن عمليات وحكمن العقل ، عنـدما كن فى مقتبل الشباب !

فما هى الاشياء التى نحتاج اليها فى الرفيق ؟ .. ان ثمة صفات معينة ، يعتبرها الجميع مطلوبة ، وهى : الصـحة الجيدة ، والجمال ، والاستقامة ، والاعتمـاد على النفس ، وعدم الانانيـة ، وقوة الاحتمال .. كمـا أن أغلب النـاس يشترطون أن يكون ثمة تقارب بين الزوج والزوجة فى السن والثقافة والمسـتوى الاجتماعى والاقتصادى .. وان يكون كلاهما من ذات الجنسية ، والعنصر ، والدين .

وعلى هدى هـذه البيانات ، نقـدم لك عشرة اختبارات لتعرف مقـدار أستعدادك للزواج وترى كم انت مهيـأ له فضلا عن أن هذه الأختبارات ستعينك على فهم شخصيتك ، وتريك حقيقتك كمـا يراها الآخرون . ولذلك كن أمينا مع نفسك فى الاجابة ولا تخدعها .

والآن ابدأ الأجابة عن الأسئلة حسب التعليمات الموضحة :

الاختبار الأول : النشاط الاجتماعى

هل تحب كل وجه من وجوه النشاط التالية ؟
اذا كنت تحبه جدا ، فارسم دائرة حول الحرف (م) .. واذا كنت تحبه بدرجة متوسطة ، فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت تحبه قليلا ، فارسم دائرة حول (ل) .. واذا كنت لا تحبه فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ التعرف بالغرباء فى الحفلات م س ل ن
٢ ـ استضافة مجموعة من الأصدقاء م س ل ن
٣ ـ جمع الأموال من أجل الأغراض الخيرية م س ل ن
٤ ـ الاشتراك فى مباراة رياضية م س ل ن
٥ ـ الخروج للتنزه والتريض م س ل ن
٦ ـ مزاولة ألعاب كرة القدم وكرة السلة والجولف م س ل ن
٧ ـ قراءة أخبار الرياضة فى الصحف م س ل ن
٨ ـ مزاولة لعب البريدج والبلياردو م س ل ن
٩ ـ الاحتفاظ بحيوان أليف كقطة أو كلب م س ل ن
١٠ ـ حضور حفلة تنكرية م س ل ن
١١ ـ القاء حديث فى الراديو م س ل ن
١٢ ـ تمثيل احدى الجهات فى مؤتمر م س ل ن
١٣ ـ ارسال دعوات لأصدقاء يقيمون فى أماكن بعيدة م س ل ن
١٤ ـ الاستذكار مع الزملاء استعدادا للامتحـــان م س ل ن
١٥ ـ مساعدة سائق السيارة بالحاول محله حين يتعب م س ل ن

الاختبار الثانى : الانسجام مع المجتمع

هل توافق على صحة كل عبارة من العبارات التالية ؟
اذا كنت توافق ، فارسم دائرة حول الحرف (ا) .. واذا كنت توافق ، ولكن مع بعض تحفظات ، فارسم دائرة حول (ر) .. واذا كنت لا توافق فارسم دائرة حول (د) :

١ ـ يجب منع ظهور الممثلات على المسرح بملابس فاضحة **ا ر د**
٢ ـ لا يصح للشخص المثقف أن يكون ملحدا **ا ر د**
٣ ـ يجب اعطاء حق التصويت لمن فى الثامنة عشرة **ا ر د**
٤ ـ يجب الا يرخص بحمل السلاح الا لرجال البوليس **ا ر د**
٥ ـ ليس ثمة سبب اطلاقا يبرر الانتحار **ا ر د**
٦ ـ للآباء فضل على الأبناء يفوق فضل هؤلاء عليهم **ا ر د**
٧ ـ بعض الناس موتهم أفضل من حياتهم **ا ر د**
٨ ـ الأغنياء ليسوا أسعد حالا من الفقراء **ا ر د**
٩ ـ الموارد الطبيعية يجب ان تكون مملوكة للأفراد لا للدولة **ا ر د**
١٠ ـ من الممكن للأب اعالة وتعليم طفلين فى مستوى مناسب بدخل كلى يقل عن خمسين جنيها فى الشهر **ا ر د**
١١ ـ يجب التصريح للوالدين بضرب أبنائهم تأديبا **ا ر د**
١٢ ـ السرقة لا يمكن تبريرها بأى اعتبار **ا ر د**
١٣ ـ كل شيء يضر بجسم الانسان يجب تحريمه **ا ر د**
١٤ ـ ذوو التعليم العالى اسعد من متوسطى التعليم **ا ر د**
١٥ ـ الشخص المتوسط أكثر حاجة للأقتصاد من الشخص الغنى **ا ر د**

الاختبار الثالث : قوة الاحتمال

هل يضايقك كل من الأمور الآتية ؟

اذا كان يضايقك جدا فارسم دائرة حول الحرف (م).. واذا كان يضايقك بدرجة متوسطة فارسم دائرة حول (س) .. واذا كان يضايقك قليلا ، فارسم دائرة حول (ل).. واذا كان لا يضايقك فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ ظهور اشارة النور الأحمر وأنت منطلق بسيارتك م س ل ن

٢ ـ سقوط شيء منك ويداك محملتان بأشياء كثيرة م س ل ن

٣ ـ أن تقف فى « الأتوبيس » المزدحم م س ل ن

٤ ـ أن تضطر الى الكلام وأنت كاره م س ل ن

٥ ـ أن يقطع عليك أنسان قراءة قصة شائقة م س ل ن

٦ ـ أن يأتيك ضعف طارىء ويطيل البقاء م س ل ن

٧ ـ أن يستوقفك انسان وأنت فى عجلة م س ل ن

٨ ـ أن تستمع الي « الراديو » برغم انه يحدث شوشرة م س ل ن

٩ ـ رجوع شخص فى اتفاقه معك فى آخر لحظة م س ل ن

١٠ ـ أن يقاطعك شخص وأنت تتكلم م س ل ن

١١ ـ أن يشاركك شخص قراءة الصحيفة التى بيدك م س ل ن

١٢ ـ أن يفوتك القطار أو « الأوتوبيس » م س ل ن

١٣ ـ أن ينقطع « فيلم » تشاهده عند نقطة مثيرة م س ل ن

١٤ ـ أن يلهب الطعام أو الشراب الساخن فمك م س ل ن

١٥ – أن يغلق عليك باب بيتك أو عربتك مصـــادفة م س ل ن

الاختبار الرابع : الإعتماد على النفس

هل توافق على صحة كل من العبارات التالية ؟
اذا كنت تعتبرها صحيحه ورسم دائرة حول الحرف (ت)
.. واذا كنت تشك فى صحتها فارسم دائرة حول (د)..
واذا كنت تعتبرها غير صحيحة فارسم دائره حول (ن) :

١ – تحريم الخمر يغرى كثرين ممن لا يشربونها بتعاطيها ت د ن
٢ – يستطيع الشخص أن يغدو مشهورا بالتبذل فى تصرفاته ت د ن
٣ – اللجاج فى شروط الزواج يوقعك فى زوجة سيئة ت د ن
٤ – المتفوقون فى الدراسة يحاولون دائما جذب الأنظار اليهم بعد الدراسة ت د ن
٥ – رجال البوليس لايبدون الشدة الا لارضاء شعورهم بأهميتهم ت د ن
٦ – المتمسكون بالمبادىء العليا قليلو الأصدقاء ت د ن
٧ – كثيرا ما يفشل الانسان لسمو اخلاقه ت د ن
٨ – الجميلة أكثر نجاحا من سواها وان كانت أقل كفاءة ت د ن
٩ – ليس المهم ماتعرفه ، وانما المهم من تعرفه ت د ن
١٠ – اكتساب الأصدقاء والمعارف أهم من الكفاءة والمقدرة ت د ن

١١ ـ قلة الموظفين لا تؤثر فى الانتاج لو انك اجزت لهم الاجر ت د ن
١٢ ـ ليس للانسان قوة ولا حول أمام الحظ ت د ن
١٣ ـ يحاول الناس دائما أن يؤثروا فى الغير بادعاء الولع بالموسيقى والثقافة الراقية ت د ن
١٤ ـ القانون أقسى على الفقير منه على الغنى ت د ن
١٥ ـ ينجح الانسان بالتهويش أكثر مما ينجح بالعمل الجدى ت د ن

الاختبار الخامس : الثبات

هل تخاف من كل من الأمور الآتية ؟

اذا كنت تخاف منه جدا فارسم دائرة حول الحرف (م) واذا كنت تخاف بدرجة متوسطة فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت تخاف قليلا فارسم دائرة حول (ل) . واذا كنت لا تخاف فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ أن تدفن حيا م س ل ن
٢ ـ أن يعضك ثعبان وانت تسير وحدك فى غابة او صحراء م س ل ن
٣ ـ أن تغرق فى البحر م س ل ن
٤ ـ أن تفقد ثقة الأصدقاء بسبب شائعات م س ل ن
٥ ـ أن تسير بين المقابر وحدك ليلا م س ل ن
٦ ـ أن يعلم أصدقاؤك بأسوأ أخطائك م س ل ن
٧ ـ أن تلمس الفيران والسحالي والديدان م س ل ن
٨ ـ أن يأخذ غيرك زوجتك أو حبيبتك م س ل ن
٩ ـ أن تغرق فى الدين أو تقع فى أزمة مالية م س ل ن
١٠ ـ أن تنظر من حافة هوة عميقة م س ل ن

١١ — أن تجازى فى العالم الآخر م س ل ن
١٢ — أن تسقط أمامك آلة رافعة من ارتفاع شاهق م س ل ن
١٣ — أن تفقد عقلك م س ل ن
١٤ — أن تفقد بصرك م س ل ن
١٥ — أن تستمع الى قصة مخيفة فى « الراديو » وانت وحيد ليلا م س ل

الاختبار السادس : التمسك بالمبادىء

هل تكره كلا من النماذج الآتية من الناس ؟
اذا كنت تكرهه جدا فارسم دائرة حول الحرف (م) . واذا كنت تكرهه بدرجة متوسطة فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت تكرهه قليلا فارسم دائرة حول (ل) . واذا كنت لا تكرهه فارسم دائرة حول (ن) :

١ — الشخص الذى يتباهى بأعماله م س ل ن
٢ — الشخص الذى ينحى باللائمة دائما على الآخرين م س ل ن
٣ — البائع الذى يغالط فى الحساب م س ل ن
٤ — المتشائم م س ل ن
٥ — الذى يجرى وراء المال م س ل ن
٦ — الذى « ينسى » دفع نصيبه من الحساب م س ل ن
٧ — الذى لا يحافظ أبدا على المواعيد م س ل ن
٨ — القليل التحكم فى أعصابه م س ل ن
٩ — الفتاة التى تفرط فى الزينة والبهرجة م س ل ن
١٠ — الطلبة الذين يغشون فى الامتحانات م س ل ن
١١ — الأشخاص المهملون فى ملبسهم م س ل ن

١٢ ـ المتزمتون والرجعيون الذين يفرضون آراءهم عليك م س ل ن
١٣ ـ المتضايقون والمتبرمون دائما م س ل ن
١٤ ـ المقامرون م س ل ن
١٥ ـ الذين يحبون الاستماع الى الكلام عن الفضـــائح م س ل ن

الاختبار الســابع : الأستقرار

في الجدول التالي كلمة رئيسية في أول كل سطر ، تتبعهـــا اربع كلمات . ضـــع علامـــة على **الكلمة التي ترى أنها أكثر الكلمات الأربع اتصالا بطبيعتها بالكلمة الرئيسية :**

١ ـ الماضي	الأمس	يأس	حزن	مستتر
٢ ـ النوم	الراحة	الحلم	الحاجة	معاً
١ ـ سافل	دنيء	شخص	فاجر	مجرم
٤ ـ حلم	منظر	ليل	غيبوبة	روايه
٥ ـ يحب	يبله	يحترم	يعجب	يشتاق
٦ ـ مقفل	منزل	مستقبل	غير مرغوب	ء
٧ ـ وحيد	منفرد	بلا صديق	بائس	منبوذ
٨ ـ دين	التزام	ثقل	محتم	كابوس
٩ ـ حبيب	محبوب	متزوج	راغب	ضائم
١٠ ـ مال	حساب جار	يدفع	غير موجود	عاجل
١١ ـ عدو	خصم	مكروه	خطر	تحطيم
١٢ ـ قذر	وسخ	مقزز	عقل	جسد
١٣ ـ أب	منزل	حب	يعول	صارم
١٤ ـ خطيئة	خطأ	رزيلة	دنب	أسود
١٥ ـ شرس	تافه	كريه	قبيح	حقير

الاختبار الثامن : المرونة

هل تشعر نحو كل من الأمور الآتية الآن نفس شعورك نحوها منذ ثلاث أو اربع سنوات ؟

اذا كان شعورك نحوها لم يتغير ، فارسم دائرة حول الحرف (**س**) . واذا كان شعورك نحوها قد تغير نوعا ما ، فارسم دائرة حول (**ب**) .. واذا كان شعورك نحوها قد تغير تماما فارسم دائرة حول (**د**) :

١ ــ السلم	س ب د
٢ ــ الحياد الدولى	س ب د
٣ ــ الرقابة الحكومية على نقابات العمال	س ب د
٤ ــ النظام التعاونى	س ب د
٥ ــ منع الأحزاب	س ب د
٦ ــ تأميم الطب	س ب د
٧ ــ الاشتراكية	س ب د
٨ ــ الاتحاد السوفييتى	س ب د
٩ ــ توزيع الثروة	س ب د
١٠ ــ عقوبة الاعدام	س ب د
١١ ــ تحديد النسل	س ب د
١٢ ــ تشريع العمل	س ب د
١٣ ــ استفتاء الرأى العام	س ب د
١٤ ــ ضريبة الدخل	س ب د
١٥ ــ حرية الرأى	س ب د

الاختبار التاسع : الرصانة

ما مدى التفكير الذى أوليته لكل من الأمور التالية فى خلال العام الماضى ؟

اذا كنت قد فكرت فيه كثيرا ، فارسم دائرة حول الحرف (م) . واذا كنت قد فكرت فيه بعض التفكير ، فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت قد فكرت فيه قليلا ، فارسم دائرة حول (ل) . واذا كنت لم تفكر فيه على الأطلاق ، فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ مسئوليات الآباء والأبناء م س ل ن
٢ ـ تربية الأطفال على أساس سليم م س ل ن
٣ ـ سوء تأثير السينما على أخلاق الأطفال م س ل ن
٤ ـ تدخين النساء والبنات م س ل ن
٥ ـ اهمية الأدخار م س ل ن
٦ ـ المواظبة على أداء الفرائض الدينية م س ل ن
٧ ـ استعمال القنابل الذرية فى الحرب م س ل ن
٨ ـ طريقة قضاء أوقات الفراغ م س ل ن
٩ ـ تشديد الرقابة على الكتب والمجلات م س ل ن
١٠ ـ تعلم الرقص م س ل ن
١١ ـ المحافظة على المواعيد م س ل ن
١٢ ـ الحصول على ترقية فى العمل ، أو درجات أعلى فى المدرسة م س ل ن
١٣ ـ تكاليف المعيشة م س ل ن
١٤ ـ الحياة بعد الموت م س ل ن
١٥ ـ حوادث السيارات نتيجة طيش السائقين م س ل ن

الاختبار العاشر : الحالة العائلية

أجب عن الأسئلة الآتية ، وكن أمينا وصادقا مع نفسك الى أقصى حد . فاذا كانت أجابتك بالموافقة ، فارسم دائرة حول (نعم) . واذا كانت اجابتك بالنفى ، فارسم دائرة حول

(لا) واذا كانت اجابتك غير قاطعة ، فارسم دائرة حول (؟) .

١ ــ هل كان والداك سعيدين فى حياتهما الزوجية ؟ نعم ؟ لا
٢ ــ هل كانت طفولتك سعيدة ؟ نعم ؟ لا
٣ ــ هل تحب أمك حبا جما ؟ نعم ؟ لا
٤ ــ هل تحب أباك حبا جما ؟ نعم ؟ لا
٥ ــ هل تمضى علاقتك بأمك دون خلاف خطير ؟ نعم ؟ لا
٦ ــ هل تمضى علاقتك بأبيك دون خلاف خطير ؟ نعم ؟ لا
٧ ــ هل كان تأديبك فى البيت حازما ولكنه ليس قاسيا ؟ نعم ؟ لا
٨ ــ هل كان العقاب معتدلا وقليل الحدوث نعم ؟ لا
٩ ــ هل يخلو شعورك الحالى نحو الجنس من التقزز أو النفور ؟ نعم ؟ لا
١٠ ــ هل كان بوسعك الحديث مع أحد والديك فى شئون الجنس ؟ نعم ؟ لا
١١ ــ هل نشأت فى الريف ؟ نعم ؟ لا
١٢ ــ هل تؤدى فرائضك الدينية بانتظام ؟ نعم ؟ لا
١٣ ــ هل تتقاضى أجرك عن عملك بانتظام ؟ نعم ؟ لا
١٤ ــ هل لك أصدقاء كثيرون من نفس جنسك ؟ نعم ؟ لا
١٥ ــ هل تنتمى الى أكثر من جمعيـــة ذات نشاط اجتماعى ؟ نعم ؟ لا

والآن .. تعال نحسب نتيجة الاختبارات !

الاختبار الأول : اعطِ نفسك ٣ درجات عن كل (م)
 « « درجتين « (س)

أعط نفسك درجة عن كل (ل)
» » صفرا » (ن)
الاختبار الثانى : أعط نفسك درجتين عن كل (ا)
» » درجة » (ر)
» » صفرا » (د)
الاختبار الثالث : أعط نفسك صفرا عن كل (م)
» » درجة » (س)
» » درجتين » (ل)
» » ٣ درجات » (ن)
الاختبار الرابع : أعط نفسك صفرا عن كل (ت)
» » درجة » (د)
» » درجتين » (ف)
الاختبار الخامس : أعط نفسك صفرا عن كل (م)
» » درجة » (س)
» » درجتين » (ل)
» » ٣ درجات » (ن)
الاختبار السادس : أعط نفسك ٣ درجات عن كل (م)
» » درجتين » (س)
» » درجة » (ل)
» » صفرا » (ن)
الاختبار السابع : ٣ درجات **الكلمة الأولى**
درجتان » **الثانية**
درجة » **الثالثة**
صفر » **الرابعة**
الاختبار الثامن : أعط نفسك صفرا عن كل (س)
» » درجة » (ك)

أعط نفسك درجتين عن كل (د)
الاختبـار التاسع : أعط نفسك ٣ درجت « (م)
« « درجتين « (س)
« « درجة « (ل)
« « صفرا « (ن)
الاختبـار العاشر : أعط نفسك ١٠ درجات عن كل (نعم)
« « ٥ درجات « (؟)
« « صفرا « (لا)

تفسير النتائج النهائية

الاختبار الأول :

ـ **اذا** كان مجموعك **٣٠ درجة أو أكثر** فأنت شخص اجتماعي جداً ، مغرم بصحبة الآخرين ، يسرك مناقشة الأمور مع رفيقك .

ـ **واذا** كان مجموعك **٢٥** فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك **٢٠ ، أو أقل** فأنت موفق فى اكتساب الأصدقاء ، ولست كثير الكلام الا اذا كان الموضوع يستحق ذلك .

ـ **واذا** كان مجموعك **١٠ ، أو أقل** فحاول أن تكتسب الأصدقاء ، وأن تساهم فى الحياة الأجتماعية وأن تخرج من عزلتك .

الاختبار الثانى :

ـ **اذا** كان مجموعك **١٥ درجة أو أكثر** ، فأنت شخص موفق جذاب متزن ، محب للتعاون ، وان كنت عنيداً حين تركب راسك .

ـ **واذا** كان مجموعك **١١** فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ٨ ، **أو اقل** فأنت عنيد متغطرس كثير الجدل .

ـ **واذا** كان مجموعك ٥ ، **او اقل** فتذكر دائما انك قد تفقد الأصدقاء ، وتصنع لك أعداء اذا لم تتصرف بلباقة مع الناس .

الاختبار الثالث :

ـ **اذا** كان مجموعك **٥٦ ، او اكثر** اذا كنت **رجلا** .. او **٢٦ او اكثر** اذا كنت **سيدة** ، فانت شخص هادىء لا يمكن استثارته أو ازعاجه بسهولة ، وانت لاتفقد صبرك الا نادرا .

ـ **واذا** كان مجموعك ٤٦ اذا كنت **رجلا** أو **٢٣** اذا كنت سيدة فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ٣٦ **أو اقل** اذا كنت **رجلا** أو **١٨ او اقل** اذا كنت **سيدة** فأنت حاد الطبع يمكن اثارتك بسهولة ، ولذلك يجب ان تحاول ضبط نفسك ، وأن تفكر قبل أن تتكلم ، لاسيما حين يستفزك شخص ما .

الاختبار الرابع :

ـ **اذا** كان مجموعك ٥٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجلا** او **١٠٠ او أكثر** اذا كنت **سيدة** ، فأنت صريح ، وشخص يعتمد عليه . وأنت لاتحاول التعلل بالأعذار وانما تواجه الحقيقة وتحسن عملك .

ـ **واذا** كان مجموعك ٤٠ اذا كنت **رجلا** أو **٨٠** اذا كنت سيدة فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ٣٠ **أو اقل** اذا كنت **رجلا** او **٦٠ او اقل** اذا كنت **سيدة** فأنت تميل لأن تلوم غيرك على أخطائك

أنت ، وتتنصل من مسئولياتك ، وتبالغ ، وتحلم أحلام اليقظة .

ــ **واذا** كان مجموعك ٢٠ **أو أقل** اذا كنت **رجلا أو** ٤٠ **أو أقل** اذا كنت **سيدة** ، فيجب أن تحاول اصلاح نفسك وخاصة اذا كنت سيدة ، وحاول أن تكون أكثر صدقا وأمانة مع نفسك ومع الآخرين . وأقلع عن الريبة وكثرة الاستياء من الناس الذين لا يفكرون أو يتصرفون كما تفكر وتتصرف أنت .

الإختبار الخامس :

ــ **اذا** كان مجموعك ٤٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجلا** أو ٨٠ **أو أكثر** اذا كنت **سيدة** فأنت شخص ثابت مخلص يعتمد عليه ، ويمكنك أن تعمل مع الآخرين أو وحدك ، دون أن تشعر بالوحدة أو تتضايق .

ــ **واذا** كان مجموعك ٣٠ اذا كنت **رجلا** أو ٦٠ اذا كنت **سيدة** فأنت متوسط .

ــ **واذا** كان مجموعك ١٥ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو ٣٠ **أو أقل** اذا كنت **سيدة** فأنت غير ثابت ، عصبى ، كثير الخوف ، وقد تشعر بأنك أقل من غيرك أحيانا ، وتبدو أصفر اللون مذعورا . فاكتسب قدرا أكبر من القدرة على الأندماج فى المجتمع ، ودرب نفسك على مزاولة بعض الألعاب والهوايات .

الاختبار السادس :

ــ **اذا** كان مجموعك ٣٠ **أو أكثر** فأنت متمسك بالمبادىء والمثل العليا الى حد التطرف ، ولكن حذار ان تندفع الى التعصب الاعمى .

ـ وإذا كان مجموعك **٢٥** فأنت متوسط .
ـ **وإذا** كان مجموعك ٢٠ **أو أقل** فأنت ذكى جـدا ، مرن جدا فى مثلك ومبدئك ، ولذلك يجدر بك أن تراقب نفسك لئلا تنزلق .

الاختبار السابع :

ـ **اذا** كان مجموعك ٨٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجـلا** أو ٤٠ **أو أكثر** اذا كنت **سيدة** فأنت شـخص موضوعى ، تنظـر الى الأمور برزانة وترو ، وتكبح جماح نفسك .
ـ **وإذا** كان مجموعك ٧٠ اذا كنت **رجلا** أو **٣٥** اذا كنت **سيدة** فأنت متوسط .
ـ **وإذا** كان مجموعك ٦٠ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو ٣٠ **أو أقل** اذا كنت **سـيدة** فأنت عاطفى ، سريع التأثر ، وتبدو فى بعض الأحيان منطويا نفورا . فاكبح جماح نفسك ، واشترك بقـدر ما تسـتطيع مع الآخـرين ، ولا تكن أول من يخالف الآخرين فى رأيهم أو آخر من يوافق على رأيهم .

الاختبار الثامن :

ـ **اذا** كان مجموعك ٢٢ **أو أكثـر** فأنت شـخص مـرن متطور ، لاسيما اذا كنت فى عقدك الرابع أو الخامس .
ـ **وإذا** كان مجموعك **١٣** فأنت متوسط .
ـ **وإذا** كان مجموعـك **٨ أو أقل** فأنت شـخص صلب ، عنيـد ، حتى ليصعب عليك الزواج .. وخاصة اذا كنت فى العقد الثالث .

الاختبار التاسع :

ـ **اذا** كان مجموعك ٣٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجـلا** أو ٦٠ **أو**

انفر اذا كنت سيدة فأنت شخص كثير التفكير فى الزواج ومسئوليته ، ويهمك النجاح فيه .

ـ واذا كان مجموعك ٢٤ اذا كنت رجلا أو ٤٨ اذا كنت سيدة فانت متوسط .

ـ واذا كان مجموعك ١٨ أو أقل اذا كنت رجلا أو ٣٦ أو أقل اذا كنت سيدة ، فانت غير موفق فى تفكيرك ، ولم تعط اهتماما كافيا لمسئوليات الزواج .

الاختبار العاشر :

ـ اذا كان مجموعك ١٢٠ أو أكثر فأن حالتك العائلية تؤهلك للسعادة فى الزواج .

ـ واذا مجموعك ١٠٠ فأنت متوسط .

ـ واذا كان مجموعك ٨٠ أو أقل فأن حالتك العائلية لا تمدك بالصفات اللازمة للسعادة فى الزواج .

النتيجة الاجمالية اذا كنت رجلا :

ـ اذا كان مجموعك الأجمالى ٤٥٠ أو أكثر فان امامك فرصة ممتازة للسعادة فى الزواج ، وخاصة اذا كانت درجاتك عالية فى الاختبارات الثالث والرابع والسابع والعاشر .

ـ واذا كان مجموعك ٣٥٠ فان لديك فرصة متوسطة للسعادة فى الزواج .

ـ واذا كان مجموعك ٢٦٥ أو أقل ، فأنت فى حاجة لأن تبذل عناية كبرى فى اختيار رفيقك .

النتيجة الاجمالية اذا كنت سيدة :

ـ اذا كان مجموعك ٥٠٠ أو أكثر فان أمامك فرصة

ممتازة لأن تكونى سعيدة فى الزواج ، وخاصة اذا كانت درجاتك عالية فى الأختبارات الرابع والخامس والتاسع والعاشر .

ــ **واذا** كان مجموعك ٤٠٠ فأن لديك فرصة متوسطة لسعادة فى الزواج .

ــ **واذا** كان مجموعك ٣٠٠ او اقل فأن فرصتك للسعادة فى الزواج غير كبيرة ، ولاتزالين فى حاجة الى اعداد نفسك الاعداد الكافى .

والآن نأمل ان نكون قد أخذنا بيدك ، فوضح فى ذهنك نوع الرفيق الذى تريده ، وتحتاج اليه . ومن المشكوك فيه أن تجد الرفيق الذى تجتمع فيه كل الصفات التى تطلبها . الا ان هذا ليس هو المهم ، **وأنما المهم أن تجد الرفيق الذى يطابق النموذج العام للشخص الذى تحتاج اليه ، ويكون خلوا من النقائص الخطرة .**

ان أهم فكرة يمكننا أن نعطيها لك ، هى أن الشخص الذى تتزوجه ينبغى أن يكون هو الشخص القادر على أن ينقذك من ذلك الشعور المبهم بالقلق والضيق والضجر ، وأن يهبك السعادة ويشعرك بالراحة والرضا والسعادة والسلام .

على ان الاهم من هذا ، ان تتبين انك قد نضجت النضوج الذى يمكنك من اختيار شريك العمر .. وهذا ما نرجو ان تساعدك عليه الاختبارات التى قدمناها اليك ، والتى بنيت

على اسس من دراسات دقيقة .. وليس لك ان تبتئس اذا تبينت من هذه الاختبارات انك لم تستكمل النضوج . **فان نتائجها ليست حكما نهائيا عليك ، وانما هى مجرد ادوات أو وسائل لمساعدتك على تعرف وضعك الحالى ، حتى تتدارك الامر** .. انها اشبه بالاضواء الحمراء التى تنبهك الى مواطن النقص .. أو الأجراس التى توقفك على ما انت بحاجة اليه . ومن ثم فعليك ان تبادر باستكمال ما ينقصك ، ثم عد الى هذه الاختبارات بين آن وآخر لتتبين حقيقة موقفك !

عندما تضحك الستارة..



روائع المسرح العالمي (التحليل والفنان)

عزيزي القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

خطايا الحب . نزاهة الحكم . سلاح المرأة . فولبون . جيوكندا . كلام الناس . مدرسة الفضائح . سيرانو دى برجراك . لعبة الحب والموت . مروحة الليدى وندرمير . فاوست . فى سبيل الحب . الام . الملك يلهو . الجنس الآلي . هرناني . ترويض النمرة . الحياة نفاق . اغلال الحب . المنافق . بيت الأمل . علموهم الحب . زوج مثالى . سالومى . مدرسة الارامل . برهان الحب . لوسيد . كيف نقع فى حبائلهن . حلاق اشبيلية . الهاربة من الفضيحة . رجل الاقدار . جوديث . نيكراسوف . انباء مثيرة . الدروماك . جندى محترف . الشقيقات الثلاث . مهنة مسز وارين . الجحيم هو الناس . اقوى من المال . كردينال اسبانيا

واليوم اقدم لك : ((بلقيس))



تلخيص : ميخائيل بشاى

عزيزى القارىء :

الخير ازلى فى نفوس البشر ـ والشر ازلى كذلك ، والصراع بينهما لايفتأ يتكـرر ، بل هو دائر الرحى ، متواصل . لايعرف هوادة ولا ينتهى الى نهاية ..

وفى عيد الخير ـ عيد مولد السيد المسيح ـ أحب أن اقدم لك صورة من صور الشر اذا ما تملك نفسا وغلب عليها.. فأنت ـ ولاريب ـ تذكر شخصية «فاوست» ، الذى نصوره شاعر المانيا الاكبر «جيته» عالما استهواه الجشـع والطموح ، فباع نفسـه للشيطان ، فى مقابل متاع الحياة الدنيا ونعيمها .. **وقـد نشرنا لك هـذه المسرحية ملخصة فى العدد (١٤) من ((كتابى)) .**

ولقد سـبق « جيته » الى تصوير الانسـان الذى يبيع روحه للشيطان ، كاتب آخر ، عاش قبله بثـلاثة قرون تقريبا .. ذلك هو **((كريستوفر مارلو)) ، الذى ولد فى (كنتربرى) بانجلترا ، فى سنة ١٥٦٤ ، وتوفى وهو فى سن مبكرة .. فى التاسـعة والعشرين . على انه ـ برغم قصر عمره ـ اسـتطاع ان يبرز فى الشعر الدرامى ، او الدراما الشعرية ..** وان يقوم بدور كبير فى فرقة « ايرل نوتنجهام المسرحية » ..وكانت الفرق المسرحية ـ فى ذلك الحين ـ تنتسب الى ذوى الجاه ، لتكسب رعايتهم ..

وكان بطل « مارلو » ، الذى باع روحه للشيطان ، يدعى « فاوست » ، وقـد حصل على « دكتوراه » فى اللاهوت ، وبز جميع اقرانه ، فنازعته نفسه الى مجد لا قبل لسواه بالظفر به .. وكان بطل قصـة « جيته » يحمل الاسم ذاته .. « فاوست » !!

بقى أن تعرف ان « مارلو » كان ابن .. اسكافى ، صانع احذية . اما « جيته » ، فكان رفيع المقام ، ربيب قصور الامراء .. ومع ذلك ، فقد عالج الاثنان موضوعا واحدا ، مما يدل على ان انزاع بين الخير والشر ، وعلى ان جهاد الشيطان للاستيلاء على عقول البشر وارواحهم ، موضوع يستهوى خيال الناس ، على أختلاف اوساطهم وبيئاتهم ..

تبدأ المسرحية على النمط الذى كانت تبدأ به المسرحيات فى الماضى.. فان «الجوقة» تمهد اذهان المتفرجين للاحداث ، فتروى لهم ان **((فاوست)) ولد لأبوين فقيرين فى مدينة المانية تدعى (رودس) ، ودرس اللاهوت فى (وتنبرج) ، حيث اظهر نبوغا ، وتفوق على زملائه ، وظفر دونهم بلقب ((دكتور)) .. ولكن الغرور تملكه ..**

الجوقة : .. وارتفعت اجنحته الشمعية الى ارتفاع يفوق ما تطيق ، فما لبث الشمع أن ذاب ، واسقطته السماء من عل ، فتردى فى أعمال الشياطين ، وراح ـ وقد أتخمته المعرفة ـ يمارس السحر الاسود اللعين ..

المشهد الاول

(فاوست فى غرفته)

فاوست : لقد اتممت دراسة اللاهوت يافاوست ، فلتكن كاهنا فى ظاهرك ، ولتبلغ الغاية من كل فن ، ولتعش ولتمت عاكفا على مؤلفات ارسطوطاليس .. ايها التحليل العذب ، انت الذى بهرنى واستولى على حواسى ! .. ((**اذا احسنت**

الجدل ، بلغت الغاية من المنطق » ، فهل احسان الجدل هو الغاية الرئيسية للمنطق ؟

ولكن لايلبث ان يتبين ان الطب اكثر ملاءمة لذكائه الفائق ..ثم يتبين أن الطب لن يستطيع ان يدر عليه الذهب والمال ، وان يؤتيه مجدا لم يؤته سواه ، الا اذا استطاع أن يبعث الموتى . ويخلد البشر ! .. ومن ثم **يعدل عن الطب ، ويفكر في أن يكرس حياته لعلم اللاهوت .** ويعمد الى الكتاب المقدس فيقرا في رسالة بولس الى أهل رومية : « ان اجرة الخطية هي موت » ..

فاوست : ها ! .. ولكن هذا عسير ! **(يقرأ في رسالة يوحنا الاولى)** « ان قلنا انه ليس لنا خطية ، نضل انفسنا ، وليس الحق فينا » . اذن ، فنحن نخطىء . وبالتالى نموت . فماذا نسمى هذا ؟ .. **المقدر يكون ؟.. وداعا ايها اللاهوت ! ان ماوراء الطبيعة ، وأسفار السحر الاسود اشياء قدسية..** خطوط ، ودوائر ، وحروف ، وارقام .. آه ! ياله من عالم تفعمه المكاسب ، والمسرات ، والقوة ، والمجد ، والمقدرة ، ينتظر البارع المجتهد . فجميع الكائنات التى تتحرك بين القطبين ستكون رهن اشارتى ! .. ان سلطان الانسان ينتشر الى الحد الذى يبلغه عقله . اما الساحر القوى فانما هو اله قدير ! **(يدخل فاجنر ، فيوجه اليه فاوست الخطاب)** فاجنر .. اذكرنى عند الصديقين العزيزين : فالدس وكورنيليوس **(وهما ممن تبحروا في السحر)** واطلب اليهما — مشددا — أن يأتيا لزيارتى .

فاجنر : سأفعل ، ياسيدى . **(يخرج) .**

فاوست : اكم أنا معتد بهذا السحر ، وواثق فيه !.. فهل أجعل الأرواح تأتينى بما أشتهى ، وتفسر لى كل غامض ،

وتؤدى أية مهمة شاقة ، على خير ما أريد ؟ **ساجعلها تطير الى الهند لاحضار الذهب . وتغوص فى أعماق البحر سعيا وراء اللآلىء . ستقرأ لى غريب الفلسفة ، وتكشف لى أسرار الملوك ،** وتبنى حول المانيا سياجا من نحاس ، وتجرى نهر (الراين) حول (وتنبرج) . سأعبىء الجند بالمال الذى تجمعه ، واطرد من ارضنا أمير بارما ، وأتوج ملكا واحدا على مقاطعاتنا جميعا .. **(يدخل فالدس وكورنيليوس ، فيقول لهما)** اقبلا ، أيها العزيزان ، ولانعم بالمعرفة فى حضوركما . لقد اقتنعت ، أخيرا ، بأن أمارس السحر . والفنون الخفية . وما أريد الآن الا أن تكونا لى مرشدين ، أيها الصديقان .

فالدس : ينبغى أن يكون السحر فى قبر منعزل ، وأن تأخذ معك مؤلفات «بيكون» و «البانوس» ، وسفر المزامير ، والعهد الجديد ، وغيرها من الادوات اللازمة .. وسوف نرشدك الى ما تعمل قبل أن ينتهى هذا اللقاء .

المشهد الثانى

(فى المقبرة ، يقبل فاوست ليمارس السحر)

فاوست : الآن ، وظل الأرض ينسحب من الجنوب ، وينشر الظلمة فى السماء ، فلتشرع ، يافاوست ، فى رقيتك . وتدع الشياطين الى طاعتك . فى هذه الدائرة اسم يهوه — متقاطعة حروفه — واسماء القديسين ، وأشكال الكواكب ، والبروج . وكل هذه ستقسر الأرواح على الظهور ، فلا تخف ، وكن حازما ، وحقق غاية ما يستطيعه السحر ! **(يقرأ الرقية ، فلا يلبث ان يظهر مفيستو)** ارجع ، وغير هيئتك ، فأنت —

هكذا ـ اقبح من أن تكون فى خدمتى ! (**يخرج مفيستو**) أرى ان لرقيتى سلطانا . فكيف لا اكون خبيرا بهذا الفن ؟ ولكم هو لين العريكة ـ مفيستو ، هذا ـ ومطواع ، ومتواضع !

مفيستو (عائدا) : والآن يافاوست ، ماذا تريدنى أن افعل ؟

فاوست : اريدك أن تكون بجانبى ما حييت ، وأن تفعل ما آمرك به !

مفيستو : اننى اخدم لوسيفار العظيم ، ولا أتبعك الا باذنه !

فاوست : او لم يكلفك بالظهور أمامى ؟ .. الم تظهرك تعاويذى ؟ .. تكلم !

مفيستو : اننا ، عندما نسمع أحدا يجدف على الله ، وينكر الكتب المقدسة ، نهرع اليه على أمل أن نغنم روحه السامى .

فاوست : خبرنى بما يكونه سيدك لوسيفار .

مفيستو : انه السيد المطاع ، لكافة الشياطين .

فاوست : الم يكن ملاكا من قبل ؟.. فكيف أصبح رئيسا للشياطين ؟

مفيستو : آه .. بالكبرياء والكفران !

فاوست : وما شأنكم ، أنتم الذين تعيشون مع لوسيفار ؟

مفيستو : اننا ارواح شقية سقطت مع لوسيفار . بعد أن تآمرت معه على ربنا ، فحق عليها العذاب الأبدى مع لوسيفار !

فاوست : فلتنقل الآن هذه الأنباء الى لوسيفار : **ان فاوست ـ وقد جر على نفسه الهلاك الأبدى ـ يقدم اليه روحه ، شريطة أن تتيح له ـ فى أربعة وعشرين عاما ـ أن**

يعرف كل منعة .. هلم ، عد الى لوسيفار القدير ، وقابلنى بعدئذ فى غرفتى ، عندما ينتصف الليل ، لتخبرنى بما يراه سيدك !

المشهد الثالث

(فى منزل فاوست .)

فاوست : الآن يافاوست ، وقد حقت عليك اللعنة ، ، فقدت الأمل فى الخلاص ، فما يجديك أن تفكر فى الله ، وفى السماء ؟ ! .. لا تنظر الى الوراء ، وكن ثابت العزم ! .. تعال يامفيستو ، وهات أنباء سعيدة ، من لوسيفار العظيم .. أليس الليل قد انتصف ؟.. تعال ، يامفيستو ، ياعزيزى مفيستو ! (**يدخل مفيستو**) ماذا قال لك سيدك لوسيفار ؟

مفيستو : سأخدمك طالما انت حى ، لكنك ستبتاع خدمتى بروحك .

فاوست : لقد وهبتك اياها ، منذ الآن !

مفيستو : لكن الهبة يجب أن تكون فى وصية مكتوبة بدمك ! .. فلتجرح ذراعك ، ولتختم على روحك ، حتى يعلنها لوسيفار ملكا خاصا له ، فى ذات يوم . ولتكن ـ بعد هذا ـ قديرا مثل لوسيفار !

فاوست (يجرح ذراعه) : اننى ـ فى حبك ـ أجرح ذراعى . وبدمى أؤكد ان روحى ملك للوسيفار العظيم ! انظر الى هذا الدم الذى يتساقط من ذراعى ، واعتبره دليلا على صدق نيتى (**يكتب وثيقة نزوله عن روحه الوسيفار**) والكن ، ما هذه الكتابة على ذراعى ؟ ؟ « رجل هارب» ؟! .. وأين أستطيع الهرب ؟ فلئن لجأت الى الله ، ذفعنى الى قرار الجحيم ! .. ولكن فاوست لن يهرب ، على أي حال !

مفيستو (لنفسه) : سأحضر له شيئا يسليه ! (**يخرج ، ثم يعود مع زمرة من الشياطين التى تقدم الى فاوست تيجانا ، وطيالس ، وترقص .. ثم تخرج .**)

فاوست : استلم . يامفيستو هذه الوثيقة. ان فيها تنازلا عن جسدى ، وروحى . ولكنها مشروطة بتنفيذ الأمور التى اتفقنا عليها .. اسمعنى ، وأنا اتلوها عليك (**يقرأ**) :

« بناء على هذه الشروط : **أولا** ـ يصبح فاوست روحا فى شكله . وطبيعته .. **ثانيا** ـ يكون مفيستو خادما له ، مطيعا لأوامره .. **ثالثا** ـ يحقق له مفيستو كل ما يبتغيه.. **رابعا** ـ يكون مفيستو دائما فى غرفته ، غير ظاهر للعيان .. **أخيرا** ـ يظهر مفيستو للمدعو جون فاوست ، فى كل حين ، وفى أى شكل ، أو هيئة يطلبها .. **انزل ـ أنا جون فاوست ، دكتور من وتنبرج ـ بموجب هذه الوثيقة ، عن جسدى ، وروحى ، للوسيفار ، ووزيره مفيستو** . وبعد أربعة وعشرين عاما ـ أى بعد موتى ـ يكون لهما الحق (وفقا للشروط المكتوبة هنا ، فى حرية ، ودون ضغط أو اكراه) فى نقلى : « جسدا وروحا ولحما ، ودما ، الى مستقرهما ، حيث كان » .

مفيستو : الآن ، يافاوست ، اطلب ما تريد !

فاوست : هات لى زوجة ! .. ولتكن أجمل فتاة فى المانيا ، فانى أحب النساء ، واشتهيهن ، ولا أستطيع العيش بلا زوجة .

مفيستو : زوجة !! أرجوك ، يا فاوست .. لا تفكر فى الزواج !

فاوست : بل أرجوك ، يامفيستو : زوجنى !

(**يخرج ، ثم يعود ومعه شيطانة . ولكن فاوست يكره شكلها**) .

مفيستو : ما الزواج ، يافاوست ، الا لعبة تقليدية . فاذا

كنت تحبنى لا تذكره ، بعد الآن . وســوف أدعو لك أجمل الفوانى ، واقودهن الى فراشــك ! خذ هذا الكتاب ، واقراه جيــدا ! (**يعطيه كتابا**) ان ترديد هــذه الســطور يجيئــك بالذهب ، ورسم هذه الدائره يثير أ زوابع والرعود والبروق .. فاذا تلوت هــذه الجمله ، ثلاث مرات ، أقبلت فرقه من الجن . مدججة بالسلاح ، مستعدة للاجهاز على من تشاء !

المشهد الرابع

(فى منزل فاوست .. يدخل فاوست ومفيستو .)

فاوست : اننى حين انظر الى السماء ، يتملكنى الندم . وألعنك ، أيها الشرير ، اذ حرمتنى تلك النعم !

مفيستو : وام ، يافاوست لا .. هل تعتقد أن الســماء شىء عظيم ؟ لقــد جعلتلينعم فيها الانسان ، اذن فالانسان أعظم منها .

فاوست : ما ذامت قد جعلتللانسان ، فقد جعلت لى .. **ساطرح هــذا السحر ، وأعلن التوبة .. لقد أردت أن اقتل نفسى منــذ أمد طويل ، الا أن الأمل العــذب كان ينتصر على اليأس العميق !** .. أيها المســيح ، يا مخلص .. انقذ روح فاوست المعذب ! (**يدخل لوسيفار ، وبعلزبوب**) .

لوسيفار : لن ينقذ المسيح روحك ، لأنه عادل..وروحك لم تعد تعنى أحداً سواى !

فاوست : واحسرتاه ! .. ومن انت أيها الكائن المرعب ؟

لوسيفار : أنا لوسيفار ، وهذا نائبى فى مملكة الجحيم .

بعلزبوب : لقد جئنا من الجحيم لكى نسرى عنك.وسوف تشاهد الآن «الخطايا السبع المميتة» ، فى أشكالها الحقيقية .

(**تدخل الخطايا السبع المميتة**) سلها عن اسمائها العديدة ، واوصافها ، وطبائعها .

فاوست : من انت ، أيتها الأولى ؟

الكبرياء : انا الكبرياء ، ازدرى أن يكون لى أب أو أم . **وانا كبرغوث أوفيد ، أندس فى اردان كل امرأة** .. وقد اعتلى رأسها شعرا مستعارا ، او أحلى جيدها قلادة ذهبية، او اقبل تغرها مروحة من الريش ، أو أحتويها معطفا ، وافعل ــ بعد ذلك ــ ما أريد !

فاوست : وانت ، أيتها الثانية ؟

الطمع : انا الطمع ! خلفنى عجوز جشع ، فى حقيبة رثة . ولو كان لأمنيتى ان تتحقق ، **لاشتهيت أن يتحول هذا البيت واهله الى ذهب ! وحينئذ أدفنك فى صندوقى الجميل !**

فاوست : وما أنت ، أيتها الثالثة ؟

الغضب : انا الغضب .. ليس لى أم ولا أب ، لكنى قفزت من فم أسد ، ولما ابلغ نصف الساعة من عمرى . ومن ذلك الحين أذرع الدنيا طولا وعرضا ، **ومعى غمد خناجرى ، وأمزق لحمى عندما لا أجد من أطعنه !** .. لقد كان مولدى فى جهنم ، ولتبحثوا ، فربما كان أحدكم لى أبا !

فاوست : وانت ، أيتها الرابعة ؟

الحسد : انا الحسد .. أبى ينظف المداخن ، وأمى تبيع المحار . أجهل القراءة فارجو أن تحرق جميع الكتب .. ويضمر جسدى عندما ارى الآخرين يأكلون ، فلتحل المجاعة فى انحاء الأرض ، حتى يموتوا جميعا ، وابقى انا وحدى ! ..

فاوست : اذهبى ، أيتها الزنيمة الحسود ! .. وما انت ايتها الخامسة ؟

الشره : انا الشره .. مات أبواى ولم يتركا لى درهما ، بل غرفة خالية . وما يشبعنى فى اليوم الا ثلاثون أكلة رئيسية ،

وعشر وجبات خفيفــة ! .. لاســكات المعدة ! أوه ! اننى من أسرة ملكية ! (**تمضي تعــد له أهلهــا من أصناف الطعــام والشراب ، فيطردها**)

فاوست : وما أنت أيتها السادسة ؟

الكسل : أنا الكســل .. ولدت على شاطىء مشــمس ، وبقيت راقدة حتى هــذه الساعة . ولقــد آذيتمونى جــدا باحضارى من هنــاك .. دعوا الشروالفجور يحمــلانى الى حيث كنت ، فلن أقول كلمة أخــرى ، ولو أعطيتمونى فدية ملك !

فاوست : وما أنت أيتها الوقحة ــ السابعة ؟

الفجور : أنا من تشــتهى أن تنهش قطعــة صغــيرة من اللحم النيىء ، وتفضلها على ســمكة كبيرة مطهوة .. وأول حرف من اسمى ، هو : الفاء !

لوسيفار : اذهبن الى الجحيم ! (**تخرج الخطايا**) ما رأيك يافاوست ؟

فاوست : اننى راض كل الرضا .

لوسيفار : فى جهنم كل ما يدعو الى السرور !

فاوست : آه ! لكم يسعدنى أن أرى جهنم ، ثم أعود !

لوسيفار : ستفعل. وسوف أبعث من يطلبك فى منتصف الليل . وداعا يافاوست ، ولتذكر الشيطان دائما !

ويخرجون ، فتدخل الجوقة لتروى لنا ما حدث بعد هذا الاجتمــاع .. ارتقى « فاوست » الســماء فــرأى الكواكب والنجوم ، وانطلق بين الشرق والغــرب فى سرعة مذهلة .. ولم يكد يعود الى الارض ــ بعد ثمانية ايام ــ حتى انطلق فى ارجائها . ويصل الى (روما) ، حيث كانت الاحتفالات بعيد القديس بطرس ، وحيث كان مقدرا ان يرى « البابا » .

المشهد الخامس

(فى قصر البابا ، وقد اعدت وليمة كبرى .)

فاوست : كلا ، يامفيستو ، انتظر وحقق رغبتى !..أريد ان استخفى . حتى يرى ذلك البابا المتعجرف ، ما أتصف به من براعة !

مفيستو : ليكن ماتشاء ، يافاوست ! .. اركع على ركبتيك ! .. انى أضع على راسك يدى ، واسحرك بهذه العصا . هلم ، تمنطق بهذا الحزام ، ثم اختف عن الناظرين !

(يدخل البابا وحاشيته)

البابا : هلم الى المائدة ، ياكبير أساقفة ريمس ! .. يالورد رايموند ، مد يدك ! .. انى أشكر أسقف ميلان على هذا الطبق النادر !

فاوست : شكرا لك ، ياسيدى ! **(يخطف الطبق)**

البابا : من أخذ اللحم من أمامى ؟ .. ياعزيزى كبير الأساقفة ، هذا طبق شهى أهدانيه كردينال فلورانسا .

فاوست : سآكله أيضا ! **(يخطف الطبق)**

البابا : عجبى لهؤلاء الاوغاد الذين يسيئون خدمتنا ! .. ائتونى ببعض الخمر ! .. يالورد رايموند ، انى أشرب نخب قداستك . **(ولكن فاوست يختطف القدح)** وقدحى يختفى أيضا ؟ ابحثوا عمن ارتكب هذه الجريمة !

أسقف : أعتقد أنها روح قد خرجت من المطهر ، وجاءت تطلب العفو .

البابا : قد يكون هذا . فليأت القساوسة ، ليرتلوا شيئا يهدىء من ثورة هذه الروح المشاغبة ! **(يخرجون)**

المشهد السادس

(بلاط الامبراطور فى انسبروك. يدخل مارتينو وفريدريك.)

مارتينو : انظر يافريدريك فى كل مكان ، واطمئن الى كل شىء ، فصاحب الجلالة قادم .

فريدريك : ولكن أين البطريرك « برونو » الذى انقذه « فاوست » من قبضة البابا ، واعاده من روما على ظهر عفريت ؟ .. ألن يكون فى صحبة الامبراطور ؟

مارتينو : أوه ، بلى !.. ويرافقه — أيضا — ذلك الساحر الألمانى الذى سيقوم امام الامبراطور بتحضير أرواح أسلافه .

فريدريك : وأين بنفوليو ؟

مارتينو : انه يغط فى نومه. فلقد أسرف بالأمس فى شرب الأنخاب !

(ينظر الى نافذة بنفوليو ويناديه ، فيطل عليه هذا)

بنفوليو : أى شيطان يثيركما ؟

مارتينو : اخفض صوتك ، حتى لايسمعك الشيطان ! فلقد جاء فاوست الى القصر . وفى أعقابه الف عفريت مستعدين لتلبية أوامره !

(موسيقى .. يدخل شارل امبراطور الألمان ، وبرونو ، ودوق ساكسونيا ، وفاوست ، ومفيستو ، وفريدريك ، ومارتينو ، والحرس .)

الامبراطور : مرحبا بك فى بلاطنا ، يافاوست . اننى كثيرا ما أجلس فى غرفتى ، وحيدا ، فأذكر ما كان عليه أسلافى من المجد ، وكيف أثروا ، واخضعوا الممالك ، وحققوا من جلائل الأعمال ما أخشى الا أحققه أنا أو خلفائى . ومن أولئك الذين

اذكرهم الاسكندر الأكبر .. فلو استطعت بسحرك أن تصعده من أغوار الأبد . وأن تحضر معه حبيبته الجميلة ..

فاوست : ستراهما الآن ، ياصاحب الجلالة . هلم ، يا مفيستو .

بنفوليو (من نافذته) : حسنا ، ياسيدى الدكتور . لكننى سأعود الى فراشي اذا لم تعد شياطينك على جناح السرعة ، وسأموت غيظا اذا تبين لى أننى وقفت هذا الوقت كله نعسان متثائبا ، فى غير طائل !

فاوست : لسوف تشعر — أولا — بشيء معين . اذالم يخذلنى سحرى ، فاننى سأغرس قرنين فى رأسك .

(موسيقى . يدخل الاسكندر من أحد الأبواب ، ويدخل داريوس — ملك الفرس — من الباب الآخر ، فيتلاقيان . الاسكندر يصرع داريوس ويأخذ تاجه . وفى خروجه يلتقى بحبيبته ، فيعانقها ، ويضع على رأسها التاج ، ثم ينقهقران — معا — ويحييان الامبراطور الذى يترك مجلسه ، ويحاول ان يعانقهما ، فيمنعه فاوست ، ويأمر الارواح بالخروج)

فاوست (للامبراطور) : هل ترى ، يامولاى ، اى حيوان غريب يطل هناك ، من تلك النافذة ؟

الامبراطور : أوه ! انظر يادوق ساكسونى ! قرنان طويلان ، فى رأس بنفوليو !

ساكسونى : ماذا ! هل هو نائم أم ميت ؟

فاوست : انه نائم ، ولكنه لا يحلم بقرنيه .

(يناديه الامبراطور ليوقظه ، فيسبه بنفوليو ، ثم ينتبه الى أنه الامبراطور)

بنفوليو : الامبراطور ! ..أين ؟ أوه ! .. ان رأسى يؤلمنى !

الامبراطور : لا بأس على رأسك ، فانه مدعم بما فيه الكفاية . تحسس قرنيك !

فاوست (لبنفوليو) : ما رأيك الآن ، أيها الفارس ؟ .. خبىء رأسك ولا تجعل من نفسك هزأة العالمين ! **(يسبه بنفوليو ، فيهدده باستحضار قطيع من كلاب ضارية ، تمزقه بانيابها .)**

بنفوليو : تمهل ، تمهل ! .. يا للعنة ! .. اشفع لى يامولاى ، فما أستطيع أن أحتمل هذا العذاب !

الامبراطور : اذن ، أسألك ياعزيزى أن ترفع قرنيه ، فقد ندم بما فيه الكفاية . **(فاوست يأمر مفيستو فيرفع القرنين .)**

المشهد السابع

(فى الغابة . يدخل بنفوليو ، ومارتينو ، وفريدريك ، واتباع .)

مارتينو : يا عزيزى بنفوليو ، اقص عن رأسك فكرة الثأر من الساحر !

بنفوليو : بل اتركونى أنتم ، فانكم لاتحبوننى ! أأدعه يهزأ بى ويجعلنى موضع السخرية لدى كل سائس خيل . . هيهات أن تغمض لى عين حتى أقتل ذلك الساحر بحد سيفى .

فريدريك : سنبقى معك ، مهما يحدث . وسنقتله اذا جاء من هذا الطريق .

بنفوليو : هلم الى المقبرة اذن ، وأعدوا كمينا وراء الشجر .

(يدخل فاوست برأس زائف ، فيضربه .. ويسقط فاوست على الارض .)

مارتينو : اضرب بيد قوية ! **(بنفوليو يقطع رأس فاوست)**
فريدريك : فلنفكر فى عار جـديد نلحقه باسمه البغيض !
بنفوليو : اولا . سأدق فى رأسـه قرنين مشـعبين ، ثم اعلقه منهما بالنافذة ، التى سبق فعلقنى بها !
مارتينو : وفيم نستخدم لحيته ؟
بنفوليو : نبيعها لمنظف المداخن !
(وفيما هم يتدبرون ضاحكين ما يفعلونه بجثته ، ينهض فاوست .)
بنفوليو : اللعنة ! لقد بعث الشيطان من موته !
فريدريك : رد اليه رأسه ، بحق الله !
فاوست : الا تعلمون أيها الأوغاد ، أن عمرى محدود بأربعة وعشرين عاما ؟ .. فلو مـزقتم جسـدى ، أو طحنتم لحمى وعظمى ، فاننى أنهض ثانية ، وأعود رجلا حيا ، خاليا من كل ضرر ! ولكن ، لم لا أثار الآن منكم ؟
(يدعو الشـياطين ، ويامـرهم ان يمثلوا اشـنع تمثيل بالثلاثة .)

المشهد الثامن

(فى منزل فاوست)

فاوست : أين أنت يافاوست ؟ ! .. أيها التعيس ، ماذا فعلت؟ انك ملعون ! ملعون ! .. ماذا أفعـل حتى أنجـو من الموت ؟
مفيستو : أيها الخائن ! انى اعتقل روحك ما دمت تخرج على طاعة مولاى ! ..

فاوست : أيها العزيز مفيستو ، فلتبتهل الى مولاك ليغفر لى هذا المذنب . وسوف أؤكد بدمى ما سبق أن وعدت به لوسيفار . (**يجرح ذراعه ، ويكتب على ورقة بدمه .**) والآن ، دعنى أسألك شيئا واحدا يشتهيه قلبى : انى أريد أن أتخذ خليلة لى ، هيلين الجميلة .. تلك التى سيطهرنى عناقها العذب من هاتيك الأفكار التى أوشكت أن تحملنى على نكث عهدى ، وانكار القسم الذى أقسمته للوسيفار . (**تظهر هيلين ، فتعبر المسرح بين اثنين من آلهة حب مجنحين**) أهذا هو الوجه الجميل الذى أجرى ألف سفينة على الماء واحرق أبراج طروادة ؟ .. ياهيلين الجميلة ، خلدينى بقبلة ! (**يقبلها**) ان شفتيها تمتصان روحى ! تعالى ، ياهيلين ، تعالى ! ردى الى نفسى ! ها هنا مثواى ومستقرى ! فالنعيم فى شفتيك !

المشهد التاسع

(نفس المكان ، فى نهاية الأربعة والعشرين عاما ـ رعد قاصف ـ يدخل لوسيفار ، وبعلزبوب ، ومفيستو .)

لوسيفار : لقد جئنا من الجحيم ، نستطلع أحوال الرعية : أولئك الذين تحركهم الخطيئة ، وتجعلهم أبناء للجحيم ، وعلى رأسهم : أنت ، يافاوست ! .. لقد حان الوقت الذى تسدد فيه دينك !

مفيستو : فى هذه الليلة المداهمة ؛ وفى هذه الغرفة !

(**يدخل فاوست وفاجنر**)

فاوست : فاجنر ، لقد قرأت وصيتى ، فما رأيك فيها ؟

فاجنر : مدهشــة ، ياسيــدى ! وانى لفى ولاء مؤكــد ، اكرس لك عمرى ، وخدمتى .

فاوست : شكرا جزيلا لك ، يافاجنر . **(يدخل ثلاثة من الطلبة ، ويخرج فاجنر .)**

الأول : تلوح متغيرا ، أيها الأستاذ المبجل .

فاوست : أواه ، يا اصدقائى ! .. وددت لوعشت معكم الدهر كله ، لكننى سأموت هذه الليلة !.. انظروا ! الا يأتى ؟ .. الا يأتى ؟

الثانى : من يافاوست ؟

الثالث : أظنه مريضا من جراء الوحدة !

الأول : فلنحضر له أطباء .. انما هو انحراف بسيط ..

فاوست : انما هو انحراف الخطيئة التى سممت جسدى وروحى .

الثانى : توجه الى السماء ، يافاوست ، واذكر أن رحمة الله واسعة !

فاوست : ولكن كفران «فاوست» لا يغتفر .. أواه ياالهى ! .. وددت لو ابكى ، ولكن الشيطان يجمد الدمع فى عينى !.. انهما يمسكان لسانى ، ويقيدان ذراعى فلا ارفعهما بالضراعة !

الجميع : من هما ، يافاوست ؟

فاوست : لوسيفار ، ومفيستو ! .. لقد وهبتهما روحى ، مقابل سحرى .. وقد حان الأجل ، وعما قليل يجىء الشيطان ليأخذنى .. اخرجوا ، واتركونى ، والا هلكتم معى !

الثالث (لزميليه) : فلننتقل الى غرفة مجاورة ، لنصلى من أجله !

فاوست : نعم ، صلوا من أجلى ! .. ومهما تسمعون من ضجيج ، فلا تعودوا لأنه ما من شيء سينقذنى !

(يخرج الطلاب ، وتدق الساعة الحادية عشرة)

مفيستو : نعم ، يافاوست .. ما دمت فقدت الرجاء فى رحمة السماء ، فليعمر اليأس قلبك ، وانفكر فى الجحيم وحده ، لأنه سيكون مثواك المخلد !

فاوست : أيها الشيطان الخبيث ! .. انه اغراؤك الذى حرمنى السعادة الأبدية ..

مفيستو : أعترف بهذا ، وأنا جذلان !

(يخرج مفيستو . ويدخل ملاك الخير ، وملاك الشر ، من بابين مختلفين)

ملاك الخير : واأسفاه !..لو كنت استمعت الى يافاوست ، لأتيحت لك أفراح لا تقدر . ولكنك أحببت العالم أكثر مما أحببت السماء ! **(موسيقى ، بينما يهبط عرش الذين كتبت لهم الجنة)** لو أنك اتجهت الى السماء ، لما كان للجحيم أو الشيطان سلطان عليك ! .. انظر أى مجد رائع كان ينتظرك حين تجلس على هذا العرش مع القديسين !.. والآن ينبغى أن يتركك ملاكك الحارس ، فأبواب الجحيم قد انفتحت ، لتنطبق عليك ! **(يخرج ، ويظهر الجحيم)**

ملاك الشر : دع الآن عينيك المذعورتين تحدقان فى مستقر العذاب الأبدى ! .. انظر : هنالك يدفع الشيطان الارواح الملعونة بالأسياخ الملتهبة ، وتتقلب أجساد الخاطئين فى الرصاص المصهور ، والفحم المشتعل .. اما أولئك الذين يلتهمون الجمر فهم المتهالكون على اللذة ، الضاحكون من الفقير .. ولكن هذا كله لاشيء ، اذا قيس بما سترى من صنوف العذاب ! **(يخرج)**

فاوست : واحسرتاه ، يافاوست ! .. لم تعد تملك الا ساعة واحدة من العمر ، ثم تمضي اى عذاب لاينتهى ! قف أيها الزمن ، ولا تنتصف ياليل ، واشرقي أيتها الشمس ، في نهار لايزول ! .. اجعلى هذه الساعة عاما كاملا ، أو شهرا ، او اسبوعا ، او يوما واحدا ، حتى أتوب واستنقذ روحى ! .. أواه ، سأقفز اليك ، يارب ، فمن ذا الذى يجذبنى الى سفل ؟ ! .. انظر يافاوست ! .. **ان دم المسيح ينسكب من السماء ، وقطرة واحدة منه تنقذك ! .. يامخلص يسوع ! ..** لقد ذكرت المسيح ، فأرجو الا يمزقني الشيطان ! .. انقذني يالوسيفار ! .. اسقطى فوقى ايتها الجبال ، وخبئيني من غضب الاله ! .. انشقى أيتها الأرض ، وابتلعيني ! .. أيتها النجوم ، ارفعيني كسحابة قاتمة ، فأختفى بين الغيوم ! (**منتصف الثانية عشرة**) لقد مر نصف الساعة ، وسوف تنقضى الساعة كلها وشيكا ! .. يااِلهى ! اذا لم تغفر لى ، فضع حدا لآلامى ! .. دعنى أعيش فى الجحيم الف سنة ، ومائة الف ، وانقذنى فى النهاية ! .. **ولكن ، ما من نهاية للأرواح الملعونة ! لماذا لم أكن مخلوقا بلا روح ؟ .. ولماذا أكون مخلدا ؟** .. أواه ، لو كان تناسخ الأرواح حقا ، لانسلخت هذه الروح منى ، وصرت حيوانا ! .. فالحيوان هو السعيد ، لأنه ما ان يموت حتى يتحلل فى العناصر ! (**تدق الساعة الثانية عشرة**) انها تدق ! .. انها تدق ! .. تحول — أيها الجسد — الى هواء ! (**رعد وبرق**) تحولى — أيتها الروح — الى قطرات من الماء واسقطى فى اليم ، واختفى الى الأبد ! (**يدخل الشياطين**) الهى ، الهى ، انظر الى بعين الرحمة ! .. لا تتثاءب ، أيها الجحيم البغيض ! .. لاتأت يالوسيفار ! سأحرق كتبى ! .. أواه مفيستو ! (**يأخذه الشياطين ويخرجون . ثم يدخل الطلبة**)

الأول : تعاليا نطمئن على فاوست ، بعد هذه الليلة الرهيبة التى لم تشهد الدنيا لها مثيلا ، والتى تردد فيها من الصراخ المفزع ما لم تسمعه أذن قط !

الثانى : عونك ايتها السماء . انظر ، ها هى ذى أشلاؤه ، قد مزقتها يد الموت اربا !

الثالث : بل مزقتها الشياطين التى كان يتبعها !

الثانى : لئن كانت نهاية فاوست مما يأسف له كل مؤمن ، فانه قد كان رجلا عالما ، وكان موضع التجلة والاحترام ، فى معاهدنا . واذن ، سنضم أشلاءه الممزقة فى قبر يليق به ، وسيشهد الطلاب — فى ملابس الحداد — مراسم دفنه الأليم !

(يخرجون — وتدخل الجوقة)

الجوقة : .. وها قد انكسر الفرع الذى كان ينبغى أن ينمو فى استقامة ، واحترق غصن الغار الذى كان ينمو فى داخل ذلك الرجل الأريب .. لقد مضى فاوست ، فلتنظروا إلى سقوطه ، ولتتأملوا مصيره الذى ينبغى أن يتدبره الحكماء ، **لا لشىء الا ليستنكروا تلك النزعات المحرمة التى تغرى أصحاب المواهب النادرة بأن يمارسوا من الأعمال أكثر مما تسمح به السماء !**

الجريمة والعقاب



المحاكمات الكبرى
في الماضي والحاضر

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة ((جورجيت هودو)) ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين ((بيرك)) و ((هير)) .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم ((سقراط)) .. ومحاكمة ((آن بولين)) ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن ، فمحاكمة ((دريفوس)) .. ومحاكمة ((ستافسكى)) .. ثم محاكمة ((مرجريت فهمى)) .. ومحاكمة ملك انجلترا ((شارل الاول)) واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته (من محاكمات اثينا القديمة) ثم حلقات من كتاب ((نساء ومآس فى ساحة العدالة)) ، و القاتل الذى حاز عطف الجماهير ، والقاتل الصغير .

وفى هذا العدد اقدم لك احدى القضايا المعاصرة ، التى اثارت جدلا قانونيا ..



تلخيص : رمسيس شكرى

عزيزى القارىء :

حلقة هــذا الشهر ، من هــذه السلسلة المشوقة ، تتنــاول موضوعا طريفا غاية الطرافة ، اثار ضجة فى دوائر اعضاء الانجليزى منذ عام ونصف عام ، **وبلغ من خطورة الجدل ان اهتم مجلس العموم بالموضوع ..**

ذلك لأن المتهم الذى مثل أمام القضاء ، زعم انه فقد ذاكرته تماما ، فيما يتعلق بالماضى .. ولكنه استبقى من ذلك الماضى المعلومات العامه ، واللغـات التى كان يجيدها ، والالعاب التى كان يتقنها .. **فكيف تتسنى محاكمــة متهم كهــذا ، اذا صح ما يدعيه ؟ .. وكيف يصدر القضاء حكما فى جريمة كهذه ، لا يذكر المتهم عنها شيئا ، فهو ــ بالتالى ــ لا يملك ان يدافع عن نفسه .. والقضاء الانجليزى يقدس حق المتهم فى الدفاع ؟**

هذه هى العقدة ــ كما يقولون ــ ولن اذكر لك كيف انتهى حلها .. ولكنى ساتركك تستخلصه لنفســك ، من الصفحات التالية :

مصرع شرطى أثناء اداء واجبه

● فى حوالى الساعة الثالثة والنصف ، من بعــد ظهر يوم ١٣ يوليو عام ١٩٥٩ ، اطلقت رصاصــة فى المنزل رقم ١٠٥ ميــدان (أونسلو) بلندن ، صرعت مخبر الشرطة « زايموند بــيردى » . فلما وصــل زميل القتيــل ــ المخبــر « جون ستاندفورد » ــ الى مسرح الجريمة ، وجد الجيران يحيطون بالجثة ، ويتأملونها فى استنكار واضح .. **فالمجتمع الانجليزى قــد يغفر أية جريمة ، ماعدا جريمة قتل شرطى أثناء قيامه بواجبه .**



القاتل

وكانت احدى النساء قد تقدمت ببلاغ تتهم فيه رجلا — لاتعرفه — بمحاولة ابتزاز اموال منها بالتهديد . فأعد له المخبران كمينا فى محطة (كينسينجتون) ، وتمكنا من القاء القبض عليه متلبسا بطلب خمسمائة جنيه ، عامدا الى التهديد لكى ينال بغيته . غير ان المتهم تمكن من الهرب ، فى الطريق الى قسم الشرطة . ثم استطاع المخبران ان يلحقا به — بعد فترة — فى المنزل السالف الذكر ، حيث اطلق رصاص مسدسه على « بيردى » ثم انفلت هاربا .

ولم يتمكن رجال الشرطة — فى بادىء الأمر — من التعرف على شخصية القاتل ، غير انهم ما لبثوا ان توصلوا — **بالاستعانة بالبصمات التى تركها القاتل واضحة — على سياج نافذة الصالة — الى ان مرتكب الجريمة هو « جنتر فريتز ايروين بادولا » الألمانى الأصل .**

وفى يوم ١٦ يوليو ، قامت قوة من المخبرين المسلحين ، وألقت القبض على « بادولا » ، فى احد فنادق المدينة . وبعد

ان احتجز فترة فى مركز الشرطة ، رؤى ان حالته تستدعى نقله الى المستشفى .

لايذكر شيئا عن ماضيه !

• **ولقد** اثارت هذه القضية ضجة هائلة ، ودار بسببها ـ فى الصحف ـ جدل كبير ؛ لم يلبث ان انتقل الى مجلس العموم ، اذ كان قد اشيع **ان المتهم تعرض للضرب على أيدى رجال الشرطة ، اثناء ((اقامته)) القصيرة فى مركز شرطة ((تشيلسى)) ، قبل ان ينقل الى المستشفى فى الليلة ذاتها .** فقد اثارت هذه الشائعة اهتمام بعض النواب ، حتى ان احدهم قدم استجوابا عنها ..

وعندما نظرت القضية فى محكمة « أولد بيلى » ، وجه الى المتهم السؤال التقليدى : ما اذا كان بريئا او مذنبا . واذا به يرد بأغرب جواب . اذ قال انه **لم يكن يعلم ما اذا كان بريئا او مذنبا ، بل ولم يكن يذكر شيئا من ماضى حياته ، قبل يوم ١٧ يوليو ، عندما وجد نفسه راقدا فى مستشفى (القديس ستيفان) .. فقد فقد ذاكرته تماما !**

وزاد القضية اثارة ، أن تقدم محامياه بطلب لاخلاء سبيله ، بدعوى ان المتهم لم يكن فى حالة تسمح له بأن يحاكم ، اذ لايجوز محاكمة شخص ما عن جريمة لايذكر من تفاصيلها شيئا !

وكانت تلك اول مرة فى تاريخ القضاء الانجليزى ، يتقدم فيها متهم بدفع من هذا القبيل ! .. واذا لم تكن هناك بادرة من الشك فى ان «بادولا» مذنب ، فقد اهاج هذا الدفع ثائرة الرأى العام ، وتعالى التساؤل : **امن المعقول ان يفلت مجرم ـ لايشك أحد فى ادانته ـ من العقاب ؟**

وزاد من حرارة المناقشات التى دارت فى تلك المحاكمة

انفريدة فى نوعها ـ كما أطلق عليها القاضي ـ والتى استمرت احـد عشر يوما ، ان الجو كان حارا فى تلك الايام ، وكانت القـاعة تكتظ ـ يوميا ـ بمئـات من النظـارة الذين كانوا يحرصون على ان يتتبعوا بانتباه ما كان يرتسـم على وجوه المحلفين من انفعـالات .. وكان المحلفون يتألفون من عشرة رجال وسيدتين !

لو كان يذكر .. لاستحق الاعدام !

• **ورأس** هيئة المحكمة القاضى « ادموند دافيز » ، ومثل التاج (سـلطة الاتهام)، مستر « ماكسويل تيرنر » ، ومستر «جون بوزارد» ..أما الدفاع ، فقدتولاه المحاميان «فردريك لوتون» ، و «جون هارفى » .

وما أن خمـدت الضجـة التى أثارها ادعاء المتهم ، حتى خاطب المحامى « لوتون » المحلفين قائلا : « ان هذه القضية ليست بالقضية العادية ، بل انـها ذات معالم خاصة .. وأنا أقف اليوم مع زميلى ، لا نملك ما ندافع به عن موكلنا .. اننا لا نعلم ما اذا كان يريد ان يقول ـ فى الدفاع عن نفسه ـ ان الشاهد الذى قدمه الاتهام ، قد شهد بغير الحقيقة ، متعمدا أو عن حسن نية .. **لسـنا نعلم ان كان يـريد ان يقول ان الرصاصة قد انطلقت عفوا ، أو ان المجنى عليه قـد استفزه** .. لسنا نعلم شيئا عن ماضيه أو عن البيئة التىعاش فيها .

« ولماذا ؟ .. لأنه لايذكر شـيئا عن ماضى حياته ، وعما حدث فى ذلك اليوم .. **لأنه أصيب بفقد ذاكرته ، الامر الذى يحول بينه وبين الدفاع عن نفسـه ، بصدد جريمة خطـيرة عقوبتها الاعدام شنقا** .. جريمة قتل المخبر « بيردى » عمدا ومع سبق الاصرار ..

« ان عدالتكم لتأبى عليكم ان تحاكموا رجلا يعجز عن الدفاع عن نفسه ! »

واستطرد مستر « لوتون » قائلا ان المتهم لم يصب بأذى بالغ في عقله ، **الا ان ثمة ادلة تثبت انه قد اصيب بارتجاج فى المخ** .. « وهذا الارتجاج ليس كافيا ــ فى حد ذاته ــ لأن يصاب بفقدان الذاكره ، الذى يقاسى منه اليوم .. ولكن ، اذا حدث ان تعرض رجل ما لرعب فظيع ــ وقت اصابته بارتجاج فى المخ ــ فان النتيجة هى انه يفقد ذاكرته ! »

ظروف اعتقاله هي السبب

• **واستشهد** مستر «لوتون» ــ فى هذا الصدد ــ بأقوال الطبيب النفسانى « ادموند بيرك » : الذى قال ان الناس يختلفون فى درجة احتمالهم للرعب والفزع ، وانه لا توجد عاطفة اقوى من الخوف على تجريد العقل من جميع قواه .

واستطرد يقول : « هذه هي المسألة التى يجدر بنا ان نقتلها بحثا : ما هى الصدمة المفزعة التى تعرض لها « بادولا » ؟ .. **انني احدس ان تلك الصدمة كانت نتيجة لظروف القاء القبض عليه ، واتهامه بمثل هذه الجريمة الخطيرة** .. حقا ان اصابات بادولا لم تكن ــ اذا راعينا كلا منها على حدة ــ خطيرة ، ولكنه نزف قدرا كبيرا من دمه ، لوث وسادتين ، وتسرب الى الفراش . ولسنا ندرى مصدر هذه الدماء ، على وجه التحديد ..وحتى اذا كانت من أنفه ، فان أثر رؤية الدماء يتباين من شخص الى آخر ، ولكنه يبلغ اقصى درجاته ، اذا كان الدم دم الشخص ذاته .

« **ان لظروف القاء القبض على « بادولا » ــ من وجهة النظر الطبية ــ اهمية خاصة** ..اننى لا أشكو رجال الشرطة ، فهنالك عدة احتمالات لما حدث .. اذ من الجائز ان هذه

الاصابات حدثت عفواً . ومن الجائز انه قاوم رجال الشرطة مقاومة عنيفة اثناء القبض عليه . كما ان من الجائز انهم هم الذين بالغوا فى استخدام العنف ! .. لذلك فعليكم ان تنظروا بعين الاعتبار الى ما حدث ، وان تقرروا — على ضوئه — ما اذا كان «بادولا» قد تعرض لهذه فزع عنيفة ، او لم يتعرض .. **فهو لقد اقتيد من الفندق الى قسم الشرطة ، محوطا بثلة من رجال الشرطة الرهيبى المنظر** . وكان مغلول اليدين الى الخلف ، حافى القدمين ، وقد نزع عنه معطفه . ووضع فوق رأسه كيس فارغ .. ومرة أخرى لست أشكو من رجال الشرطة ، ولكن مثل هذه المعاملة ليست بالطريقة المناسبة لتمهيد لقاء اى متهم بالقانون ! »

فزع وانهيار ذهنى

• **واستطرد** مستر « لوتون » فى دفاعه قائلا ان ضابطا كبيرا من ضباط الشرطة ، وجد نفسه — بعد وصول « بادولا » الى القسم بفترة وجيزة — مضطرا الى عرض المتهم على أحد الأطباء .. **فلما حضر ((الدكتور شاناهان)) ، وجد ((بادولا)) فى حالة ذهول ، وعلى سيماه معالم الفزع والارهاق** ، وفى أسفل عينه اليسرى جرح صغير ، كما كانت ثمة خدوش فى وجهه ..

وقال مستر « لوتون » ان هذه الاصابات ليست كافية — فى حد ذاتها — لتبرير اصابته بفقد ذاكرته ، فقد قرر الطبيب أن المتهم كان فى حالة تسمح للشرطة باحتجازه فى المركز .. الا انه لم يكن فى حالة تجيز توجيه الاتهام اليه .. **ولهذا التقرير من الطبيب مغزى كبير فى هذه القضية ! لماذا ؟ .. لأنه وجده فى حالة ((ذهول بالغ بسبب اعتقاله !))**

واسترسل مستر « لوتون » قائلا : « وبرغم أن « بادولا »

لايزال محتفظا بمقدراته التى اكتسبها أثناء حياته الماضية ـ فهو ما زال يتقن الحديث بثلاث لغات : الانجليزية والألمانية والفرنسية ، ويجيد القراءة ولعب الورق والشطرنج ـ الا **ان عددا من الأطباء سيتسهدون بان هذه المقدرات لا تتناقض مع اصابته بفقد الذاكرة !**

« ومرة اخرى أود ان أشيد بتصرف رجال الشرطة مع المتهم . فعندما استدعى الدكتور « شاناهان » لاعادة فحصه ـ قبل منتصف الليل ـ وجده مستغرقا فى النوم ، فى فراش وثير . وعندما فحصه . لم يجد أية اصابات جديدة ، عدا تلك التى وجدها فى فحصه الأول . لذلك يحدونى الانصاف الى ان أقرر بوضوح ، ان المتهم لم يتعرض لأى نوع من الأذى ، خلال احتجازه بقسم شرطة (تشيلسى) ، بل أن الدلائل تشير الى العكس تماما ، وتشهد بأنه لقى معاملة كريمة . . اما الصدمة التى تعرض لها ، فانما كانت من جراء القاء القبض عليه ، والظروف التى لابست ذلك .

« وقد رتب الدكتور « شاناهان » أمر نقل « بادولا » الى مستشفى « القديس ستيفان » حيث فحصه الدكتور « فيليب هارفى » فحصا دقيقا ، **فوجده فى حالة ذهول تام . .** وكان اذا ما طلب منه الطبيب ان يفتح فاه ، أطاعه فورا ، لكنه لم يكن قادرا على الاجابة عن أية أسئلة توجه اليه . **ومن الجائز ان ينسب البعض هذا التصرف الى اصابته بارتجاج فى المخ ، ولكن المرجح انه نتج عن اصابته بصدمة عقلية** . فعندما عرضه الدكتور « هارفى » للأشعة السينية ، لم يجد به أية دلائل على كسور بالجمجمة أو اى نزيف داخلى ، الامر الذى يرجح اصابته بالصدمة العقلية ، التى تؤدى ـ فى معظم الأحيان ـ بالمريض الى الاصابة بفقد الذاكرة !

« ولقد شهد ـ أثناء التحقيق ـ ثلاثة من أمهر الأطباء ، بأن اصابة « بادولا » بفقد الذاكرة ، حقيقية وليست ادعاء ولا تمثيلا .. »

نسيان الماضي كله حالة نادرة

• **وما ان** انتهى مستر « مورتون » من مرافعته ، حتى استدعى للشهادة الدكتور «شاناهان» ، الذى أقر ما جاء فى حديث المحامى . ثم تلاه الدكتور « فيليب هارفى » كبير أطباء مستشفى « القديس ستيفان » ، الذى شهد بأنه وجد المتهم فى حالة ذهول وارهاق ، ومصابا باصابات جسيمة ، ويعانى من حالة انهيار ذهنى ..

واذ ذاك وقف ممثل الاتهام ، فقال ان « بادولا » خدع الأطباء ، وبلغ به اتقان التمثيل ان الدكتور « هارفى » تقبل تساؤل المتهم ـ بمجرد افاقته ـ « أين أنا ؟ » و « ماذا أصاب عينى ؟ » كدليل على اصابته بفقدان الذاكرة .. **فى حين انه أظهر ـ أثناء وجوده فى المستشفى ـ انه بارع فى الشطرنج وأوراق اللعب !**

واستشهد ممثل الاتهام بالدكتور « كولين ادواردز » ، الذى فحص «بادولا» عند وصوله الى سجن (بريكستون) ، فقال الطبيب انه بالرغم من ان الريب ساورته ازاء ادعاء المتهم ، لاسيما حين علم ان فقدان الذاكرة المزعوم ينسدل على الماضى كله ، الا انه ما لبث ان اقتنع بأن اصابته حقيقية . ومما عزز هذا الاقتناع ، ان اثبات فقدان الذاكرة كان يتطلب من المتهم الماما تاما بعلم النفس ، وذكاء خارقا للعادة .. ومن ثم قرر الطبيب ان « بادولا » **كان مصابا بفقدان الذاكرة مصحوبا بانفعالات هستيرية ، نتيجة للصدمة**

العاطفية التى تعرض لها ، وزاد من وقعها الاصابات الجثمانية ..
وفيما عدا ذلك كان « بادولا » يتمتع بكامل قواه العقلية !
غير ان الدكتور « ادواردز » ما لبث ان استدرك قائلا انه عندما علم - بعد شهرين كاملين - بأن المتهم ما زال يدعى فقدان الذاكرة ، راوده الشك من جديد . **اذ من المألوف ان هذا المرض يزول بعد فترة وجيزة من الزمن ..** كما انه دهش لامتداد فقدان الذاكرة الى ماضى حياة بادولا بأكمله ، لأن هذه حالة نادرة الحدوث !

رسالة الى صديق

• **واعقب** ذلك عدد كبير من الشهود ، معظمهم من الأطباء البشريين والنفسيين ، وقد شهد بعضهم بأن «بادولا» كان يدعى المرض ، بينما شهد البعض الآخر بأن فقدان الذاكرة كان حقيقيا لا زيف فيه ولا ادعاء ..
واذ ذاك ، اضطر الدفاع الى ان يقدم المتهم نفسه كشاهد .. فقال « بادولا » لهيئة المحكمة انه لا يذكر من ماضى حياته سوى ثلاثة أشياء غير واضحة المعالم : طفلة صغيرة تدعى « ميكى » (من المرجح انها ابنته) ، وفتاة شابة ، قد تكون عشيقته .. وأطياف حادثة وقعت ، وجد نفسه فيها راقدا أسفل قطار ، **وصوت - تبين فيما بعد انه صوت المفتش ((هيسلوب)) - يهمس فى اذنه قائلا : ((اننى صديقك .. قل انك قتلته بطريق الخطأ)) ! ..**
كذلك لم يكن يذكر شيئا مما حدث قبل يوم ١٧ يوليو عام ١٩٥٩ . ولكنه - برغم ذلك - ظل يستطيع ان يتحدث بالألمانية ، وان يلعب الورق والشطرنج ، وان يحتفظ بكثير من المعلومات العامة ، مثل أسماء حكام بريطانيا والمانيا ، وان سكان « مونتريال » يتحدثون بالانجليزية والفرنسية معا .. ولما

سؤل كيف يعلم هذه الأشياء ، اجاب : « لا ادرى .. هكذا ! »

واذ ذاك ، استجوبه ممثل الاتهام استجوابا دقيقا ، بشأن خطاب كتبه — اثناء اقامته بسجن (بريكستون) — إلى شخص يدعى « ستاركى » ، ردا على بطاقة بريد تسلمها منه . **ومع ان « بادولا » انكر معرفة ذلك الشخص ، الا ان الخطاب ، الذى وضعت رقابة السجن يدها عليه ، اصبح اكبر دليل ارتكن عليه الاتهام ..** فقد ألقى ظلالا كثيفة من الشبهات على ادعاء فقدان الذاكرة . فلو ثبت ان المتهم كان يعرف « ستاركى » — فى ماضى حياته — لكان هذا اكبر دليل على كذب ما كان يتظاهر به من فقدان الذاكرة .

وكانت بطاقة البريد تحمل سطورا قليلة ، جاء فيها :

« **عزيزى مايك :** هل تحتاج الى شىء من التبغ أو الطعام ؟.. ان كنت كذلك ، فارسل لى بطاقة بريد ، لأبعث لك بحاجتك فى أقرب فرصة .. أتمنى لك حظا موفقا — رون » ..

وقد أجاب « بادولا » على هذه البطاقة برسالة قال فيها :

« **عزيزى رون :** أشكر لك بطاقتك ، التى تسلمتها بسرور ودهشة .. **كيف حالك هذه الأيام ، ايها الصديق القديم ؟..** لاريب انك قد سمعت بالورطة التى سقطت فيها ، فان الصحف أوسعتها شرحا وتفصيلا .. ولقد تأثرت واهتززت طربا ، لمعرفتى انك ترغب فى الحضور الى لندن لزيارتى .. انك لاتحتاج الى بطاقة زيارة خاصة ، وبوسعك ان تزورنى كل يوم — ماعدا يوم الأحد — بين الساعة العاشرة صباحا والحادية عشرة والنصف ، وبين الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر والثالثة والنصف .. اننى — بطبيعة الحال — احتاج الى بعض ألوان الطعام والتبغ ، الا انها ليست ضرورية جدا .. غير اننى أرجوك يا « رون » ، ان تحضر لى معك بعض الكتب والمجلات القديمة ، لاننى لا أجد ما يشغل فراغى هنا .. ان

الطعام الذى يقدمونه لى جيد ، وان كان ينقصه التنويع .. على اننى لا أرغب فى ازعاجك . لقد انسقت الى هذه الورطة ، وعلى ـ بمفردى ـ أن أجد لى منها مخرجا .
صديقك المحب : مايك »

الخطاب .. بين الدفاع والاتهام

• **ولقد علل** «بادولا» كتابة الخطاب بهذا الأسلوب ـ برغم اصراره على انه لم يكن على معرفة سابقة بالمرسل اليه ـ بانه شاء ان يوهم سلطات السجن ، اذا ما وقع الخطاب فى يدها ، بأن «ستاركى» شخص يؤتمن ، ومن الممكن السماح له بزيارته .. فضلا عن انه كان بحاجة الى بعض السجائر !

واذ ذاك انبرى مستر « مورتون » مدعما هذا التعليل بأن المتهم انتهز فرصة استلامه خطابا من شخص عرض عليه خدماته ـ على غير سابق معرفة ـ فخيل اليه انه اذا أجاب عليه بلهجة توحى بوجود صداقة بينهما ، **فقد يغرى ادارة السجن على أن تسمح لذلك الشخص بزيارته ، فيتاح له ان يرى شخصا من «العالم الخارجى» ، يبدى استعداده لمعونته !**

وقبل ان ينتهى المحامى من حديثه ، قاطعه ممثل الاتهام صائحا : « كلا ، انه لتبرير مكشوف .. فهذا الخطاب يحمل بين سطوره دليلا قاطعا ـ لا مجال للشك فيه ـ على انه موجه الى انسان يعرف الكاتب حقيقة شخصيته ! »

ولاريب فى ان هذا الخطاب ساعد المحلفين فى الوصول الى قرار بشأن اصابة « بادولا » بفقدان ذاكرته !

وبعد ذلك تابع مستر « ماكسويل تيرنر » ـ ممثل الاتهام ـ استجواب المتهم ، الذى قال ردا على احد اسئلته : « لقد سمعت الأدلة التى قدمت ، ولابد اننى كنت فى ذلك المكان ،

عندما اطلقت الرصاصة ! » . . واجاب عن سؤال آخر بقوله : « نعم . . ادرك تماما ان عقوبة قتل شرطى هى الاعدام » .

الباب يقع على المتهم

• **وبدأ** مستر « تيرنر » مرافعته عن سلطة الاتهام ، قائلا ان « بادولا » ـ بادعائه فقد ذاكرته ـ انما يقوم بتمثيل دور . . وشهد بذلك الطبيبان « دكتور بريسبى » و «دكتور بى» . . **«ولكن ، لنستمع ـ أولا ـ الى شهادة رجل الشرطة الذى ألقى القبض على ((بادولا)) فى الفندق . .** فقد ظلت ظروف القاء القبض على المتهم تحت رحمة اشاعات ظالمة ، لا أساس لها من الصحة . . لقد نددت بعض الصحف بالشرطة ، وادعت ان المتهم تعرض للضرب والايذاء من رجال الشرطة ، انتقاما لمصرع احد زملائهم ! »

وفند مخبر الشرطة ـ الجاويش « البرت تشامبرز » ـ فى شهادته ، تلك الاشاعات . فوصف كيف تجمع فريق من رجال الشرطة ـ وهم مسلحون بمسدساتهم ـ فى ردهة الفندق ، امام باب غرفة «بادولا» . . وطرقوا الباب غير انهم لم يسمعوا ـ فى بادىء الأمر ـ جوابا . ثم وصل الى سمعهم صوت طقطقة معدنية ، حسبها « تشامبرز » صوت تعبئة خزان مسدس بالرصاص ، **فاندفع نحو الباب واقتحمه بعنف . . وكان ان سقط فوق ((بادولا)) الذى كان ـ فى تلك اللحظة ـ فى طريقه لفتح الباب . .** وسرعان ما أوثقوا يديه وأرقدوه فوق الفراش ، وهو فاقد الوعى . . ولما أفاق ، نقل الى مركز شرطة (تشيلسى) .

واستطرد «تشامبرز» قائلا انه كان من حق رجال الشرطة ان يتوقعوا من المتهم مقاومة عنيفة ، وان اقتحامهم الغرفة يعتبر شجاعة ، اذ كانوا معرضين لوابل من الرصاص قد ينطلق

دليهم فى اية لحظة .. **اما الجرح الذى اصاب عين المتهم ، فسدان برغم ارادتهم ، اذ ان مزلاج الباب ارتطم بوجهه عند تنشنم اعيرته** .. ومن ما حدث قد تسبب فيما تظاهر به المتهم من فقدان الذاكره ، والأعراض الهستيرية . لا سيما وانه دن فريسة القلق ثلاثة ايام باكملها ، فى انتظار الاعتقال — الذى لم يكن له منه مفر — ثم المحاكمة ، فالعقاب .. اذ انه كن قد علم دون ما شك — من النشرات الاذاعية — ان المرحه قد توصلوا الى معرفة شخصيته .. فمن الجائز انه اصيب — حقيقة — بفقدان الذاكرة فترة ، حتى اذا أفاق الى نفسه . وعلم المصير المنتم الذى ينتظره ، **وجد فى تصديق بعض الاطباء لادعائه ، مخرجا لينجو من عواقب الجريمة التى ارتكبها !**

وما أن انتهى «تشامبرز» من الادلاء بشهادته ، حتى اعتلى منصة الشهود ، الشرطى الذى كلف بمراقبة « بادولا » أثناء وجوده بالمستشفى .. فشهد بأن المتهم تطوع — من تلقاء نفسه — بالكشف عن اتقانه لعب الشطرنج والورق ..

وأخيرا .. جاء دور المحلفين !

• ثم أدلى الدكتور « فرانسيس بريسبى» — طبيب سجن (بريكستون) — بشهادته . فقال انه ظل عاجزا — لمدة طويلة — عن البت فى ادعاء المتهم فقدان ذاكرته ، **الا أنه ما لبث ان تبين أن هذا الادعاء كان يجانب الحقيقة ، وأن المتهم كان يستغل هذه النقطة للافلات من حبل المشنقة** .. وعلل تأكده بأنه أوتى فرصا أكثر مما أوتيها غيره من الأطباء ، لدراسة حالة « بادولا » ..

وكان المحلفون يستمعون الى شهادة الطبيب فى انتباه بالغ ، ولا ريب فى انهم كانوا مطمئنين الى كلامه ، وصدق حكمه ،

فقد كانت له خبرة طويلة فى معالجة المجرمين ، جعلته من المصادر التى يعتد بمعلوماتها .

واخيرا .. اصبح على المحلفين ــ بعد أن استمعوا الى مختلف الشهود ، من مدنيين واطباء ــ أن يصدروا قرارهم **بما اذا كان « بادولا » يدعى فقدان الذاكرة زورا او ان اصابته حقيقية لا زيف فيها** .. وبدا من مظهر المحلفين ، والنظرات التى كانوا يوجهونها نحو « بادولا » ، انهم كانوا يرجحون كفة شهود ممثل الاتهام ..

وفى نهاية المحاكمة ، قال القاضى للمحلفين : « عليكم أن تقرروا ما اذا كانت علة « بادولا » حقيقية ، وما اذا كان بوسعه أن يواجه المحاكمة .. ان افتراض تمتعه بكامل قواه العقلية ، يحمل فى طياته احتمال آخر ، وهو صلاحيته لان يحاكم . وقد افسحت الفرصة للمتهم كى يثبت أن ميزان عقله قد اختل ، وانه لم يعد يذكر شيئا عن ظروف الجريمة .. »

ووصف القاضى ادعاء « بادولا » بانه « مذهل » ، وفريد فى نوعه ، حتى أن اسم « جنتر بادولا » قد يصبح علما فى تاريخ القضاء ، فى انجلترا !

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التاسع للمحاكمة ، انسحب المحلفون الى غرفة جانبية للتداول فى الأمر ، فظلوا ثلاث ساعات ونصف ، قرروا بعدها ان الدفاع لم يقدم ما يثبت أن المتهم فقد ذاكرته حقيقة !

تحليل حال المتهم

● والآن ، يحسن بنا أن نستعيد وقائع الدعوى ، وأن نضع انفسنا مكان المحلفين ، نتساءل : هل كان فقدان ذاكرة « بادولا » مصطنعا ؟ .. **لقد كان فى حكم المستحيل أن يتمكن من خداع عدد من الأطباء المهرة ، وأن يستمر فى التظاهر**

باصابته بتلك الحالة النادرة ، التى تستدعى ـ من مصطنعها ـ أن يكون متمكنا من الطب النفسانى ، بدرجة غير عادية .. فانى له أن يعلم أن الشخص الذى يفقد ذاكرته بهذا الشكل ، يحتفظ ـ برغم نسيانه لكل أحداث حياته الماضية ـ بما اكتسبه من معلومات عامة خلال تلك الحياة ؟ .. كيف عرف ان فى ثنايا تلك الظلمات ـ التى اكتنفت حوادث ذلك الماضى ـ نوافذ للذكرى ؟ .. وما الذى ألهمه أن يختار « نوافذ » معينة بالذات ، مثل الهمس الذى وصل الى سمعه ، والذى نسبه الى المفتش هيسلوب : « اننى صديقك .. قل انك قتلته بطريق الخطأ ! » . وهو أمر لا ريب فى أنه لم يحدث اطلاقا ، وانما اختلق اختلاقا !

ان الحل الصحيح لكل هذه الألغاز هو أن « بادولا » فقد ذاكرته ـ حقيقة ـ لفترة من الزمن . **فان صدمة اعتقاله ، والقلق الذى راوده خلال الأيام السابقة له ، أوحيا الى عقله الباطن ـ فى محاولة لحمايته من الجنون ـ باقصاء تلك الذكرى المريرة عن ذهنه .** ولكن ، ما ان عادت ذاكرته اليه ، وأدرك مركزه الحرج ، حتى خطر له أن يسترسل فى تمثيل هذا الدور . ومع ان اثبات صدق علته ما كان لينقذه من الادانة ، الا انه كان من الجائز أن يؤدى الى تخفيف الحكم أو انقاذه من الاعدام . فما كان مجلس العموم ليرضى أن يشنق انسان عقابا لجريمة لا يذكر عنها شيئا !

ثم .. المحاكمة الرئيسية

• **على** أن هذه المحاكمة التى استغرقت تسعة أيام ونصف، لم تكن سوى تمهيد للمحاكمة الحقيقية .. **كانت لتقرير ما اذا كان يصلح للمحاكمة أو لا يصلح .. فما كان من الجائز أن يحاكم رجل فقد ذاكرته ، اذا ثبت أنه فقدها فعلا.** اما المحاكمة

الحقيقية ــ اتي وجهت اليــه فيها تهمة اغتيــال المخــبر « بيردي » عمــدا مع سبق الاصرار ــ فقــد أعقبت ذلك ، واستغرقت يومين ونصف يوم .

وقد تعرف الشــاهد الرئيسي ــ المخبر الجاويش جون ستاندفورد ، زميل القتيل ــ علي « بادولا » ، وقال انه هو الذي أطلق الرصــاص على بيردي . وقد وصف الحــادث ، فقــال أنه و « بيردي » لحقا بالمتهم فى بهــو مسكن باحدي البنايات السكنية ، فألقي « بيردي » القبض عليه ، بينمــا طرق « ستاندفورد » باب مسكن آخر ــ فى البناية ذاتها ــ ليسأل السكان أن يعاونوا زميله فى حراسة المتهم ، ريثمــا يستدعى هو احدى سيارات الشرطة . **فلما عاد ــ بعد قليل ــ شاهد « بادولا » يخرج من جيب معطفه الداخــلى مسدســا أسود اللون ، أطلق منــه الرصاص على بيردى ، فارداه صريعا** . ثم أطلق ساقيه للريح ، هابطا درجات المنزل فى سرعة جنونية ، فلم يستطع « ستاندفورد » أن يلحق به . وما لبث أن تاه وسط زحام العربات .

المتهم يتكلم .. والمحلفون يقررون !

• وقد اثبت ممثل الاتهام أن بصمات الأصابع التى وجدت مطبوعة على سياج النــافذة ، تمت الى « بادولا » .. وان الرصاص الذى استخرج من جثة المجنى عليــه ، هو نفس الرصاص الذى أطلق من مسدس عثر عليه فى احدى حقائب المتهم . وهكذا ضاقت الحلقة حول عنقه ، الا أنه لم يحاول أن يدافع عن نفسه ــ أو أن يأتى بتفسير أو تعليل يخفف من وقع جريمته الشنيعة ــ الا بخطاب قصير وجهه الى هيئــة المحكمة ، قال فيه : « اننى أقف اليوم أمامكم ، متهما بقتل رجل .. ولقد استمعت ــ أثنــاء هذه المحاكمة ــ إلى عدد

كبير من الشـــهود . وانى لأدرك تماما خطورة التهمـــة التى وجهت الى .. غير اننى عاجز عن تقديم اى دفاع عن نفسى . والسبب فى ذلك هو اننى لا اذكر شـــيئا عن هذه الجريمة ، ولا الظروف التى أدت الى اطلاق النار .. لست أدرى ما اذا كنت أنا الفاعل ، وهل كان ما حدث عفوا ، وهل كنت فى حالة دفاع شرعى عن النفس .. كما اننى لا أعلم ان كنت أعرف ــ فى ذلك الوقت ــ ان الرجل الذى وقف أمامى كان أحد رجال الأمن ، ولا ما اذا كان قد استفزنى وأثارنى بطريقـــة ما .. **لكل هذه الأسباب ، لا أجد بوسعى أن أقرر ما اذا كنت مذنبا أو بريئا !))**

وقضى المحلفون ــ فى هذه المرة ــ نصف ساعة فى مداولتهم ، ثم قرروا ان بادولا ((**مذنب**)) . فأصدر عليه القاضى حكمه بالاعدام شنقا ، لقتله شرطى فى ريعان شبابه ، أثناء قيـــامه بواجبـــه .





للأديبة الوجودية الفرنسية :

سيمون دى بوفوار

عرض وتلخيص : الدكتور انور لوقا

عزيزى القارىء :

فى العدد الماضى ، قدمت لك تاريخ التطور الاشتراكى فى الصين ، ملخصا عن كتـاب ((**الـزحف الطويل**)) ، الذى ألفته الكاتبة الفرنسية الوجودية ((**سيمون دى بوفوار**)) .

لقد قامت ((سيمون دى بوفوار)) بجولة فى كافـة ارجاء الصين ، شاهدت خـلالها كل شىء ، واختلطت بالناس ، وتحدثت اليهم ، واصغت لأحاديثهم وآرائهم

واليوم ، اقدم لك ـ فى الصفحات التالية ـ قسما آخر من هـذا الكتاب الذى يشغل خمسمائة صفحة ، والذى ترجمه الاستاذ محمد كمال فايد الى العربية ، وراجعه الدكتور انور لوقا ، الذى يلخصه لك هنا ..

وهذا القسم الثانى يتناول تطورات الحياة الاجتماعية فى الصين ، ومكانة المرأة فى المجتمع الصينى القـديم والمجتمع الحديث ، والتغير الذى أصاب عقلية القوم ..

انه كتاب مشوق ، يستحق كل اهتمام وعناية .. فتعال نقرأه معا :

● فى قصـة الصين الحديثـة فصل شـائق ، هو تطـور الأسرة . و ((سيمون دى بوفوار)) ، التى توفرت حينا على دراسـة قضية المرأة والرجل ـ لاسيما فى كتابهـا الشهير ((**الجنس الثانى**)) ـ تهتم أثناء جولتهـا فى ربوع الصين اهتماما خاصا بتسجيل وتحليل نظم الأسرة التقليدية هنالك ، وما طرأ عليها من تغير . انها تحدثنا عن استبداد الشيوخ ، واستعباد النساء ، ثم عن تحرير المرأة وحقوق الشباب .


((سيمون دى بوفوار))

منذ أصدر الامبراطور الأول ((سونج)) — سنة ٩٦٦ — مرسوما بمنع انفصال المساكن بين اعضاء الأسرة الواحدة حتى الجيل الرابع ، أصبح الاهل الذين يعيشون تحت سقف واحد ، خاضعين لسلطة أكبر الرجال سنا . **وكان للأب حق الحياة والموت على اولاده ، وكثيرا ما كان يعمد الى قتل بناته عند ولادتهن ، اذ كن يعتبرن افواها لا جدوى من اطعامها .. وكان له أن يبيعهن اماء.** وكان على الابن ان يطيع اباه ، وعلى الاخ الأصغر ان يطيع الأخ الأكبر ، وعلى المرأة ان تطيع الرجال جميعا.

وكان الزواج — الذى يرتبه أحد الوسطاء — يفرض على الشبان والشابات ، فيتزوجون دون تعارف سابق ، ويخضع الزوجان لسلطة أهل الشاب .. **وفى ظل هذا النظام الخانق ، لجأت كثير من الزوجات الصينيات الى الانتحار فرارا من حياتهن، وحذا حذوهن كثير من الأزواج الفتيان !..** وبلغ من استحكام الكراهية بين الزوج وزوجته أن كان نصف المجرمين الذين أعدموا بين مايو وسبتمبر سنة ١٩٢٥ — بناء على احصاء وزارة العدل — من الذين عوقبوا لقتل أزواجهم !

وردد الادب الصينى — منذ قرون — أصداء هذا الشقاء ، وبات يرثى لضحايا النظام العائلى . ومعظم ((الأوبرات))

الصينية تصور عشاقا قد دفعهم الى اليأس طغيان السلف عليهم .

عندما كانت المرأة مستعبدة

• **واذا** كانت الأسرة التقليدية تنكر على جميع أفرادها الحرية والحب والسعادة الزوجية ، فان النساء كن أول ضحاياها . فقد كان على المرأة - طول حياتها - واجب « الطاعات الثلاث » التى نصت عليها شريعة الـ « لى كى » : **« تتبع المرأة الرجل دائما . ففى طفولتها تتبع أباها وأخاها الأكبر ، وبعد الزواج تتبع زوجها ، وبعد موت زوجها تتبع ابنهـا » !**

وقد أتاحت ظروف استثنائية لبعض نساء الطبقة العليا ولبعض الخليلات البارعات شيئا من الاستقلال .. ولكنها حالات منعزلة ، لا تعدو أهميتها بطولات النوادر والأقاصيص .

وتعلل « سيمون دى بوفوار » هذا الاجحاف الاجتماعى تعليلا اقتصاديا . فتلك بيئة زراعية مكتظة بالسكان ، تبخس قدر الأيدى العاملة نظرا لوفرتها . وترتفع فيها قيمة أدنى حبة من الذرة البيضاء التى يقتات بها البشر . **ولقد ضمن الرجال لأنفسهم امتيازا حيويا اذ احتكروا حق الانتاج - أى العمل فى الحقول - وفرضوا على النساء الانزواء فى البيوت ..** فكانت المرأة - بوصفها خادما وانثى - تمثل قيمة تجارية معينة ، ولكنها قيمة أقل بكثير مما تخفيه على أصبى استعداداته الانتاجية . فكان من الطبيعى أن يحسب رب الأسرة الجائع ، المرهق بالأولاد ، أن كل بنت يرزق بها انما هى عبء عديم النفع . **وهكذا أغرق ملايين الأطفال من الاناث ، أو قدموا طعاما سائغا للخنازير !** ولا أدل على تغلغل هذه العادة فى أخلاق الناس ، من اهتمام « قانون الزواج » الجديد بالنص على أن قتل الطفل جريمة ..

وهنـا تستشهد المؤلفة بفقـرة من كتاب « العوالم التى عرفتها » لأديبة بيرل بك : « ذات يوم ، فى حلقة من الصديقات لم تكن مقصورة على فلاحات فقيرات ، جرى الحديث عن عادة قتل المواليد من الاناث . وكان معى أحـدى عشرة سـيدة ، اعترفن جميعا ـ ماعدا اثنتين فقط ـ بأن كلا منهن قد وأدت بنتـا على الأقـل .. وكن ما زلن يبكين وهن يتحـدثن .. ومعظمهن لم يكن مسئولات عن ذلك ؛ وانمـا كان الزوج ـ أو الحماة ـ يصـدر أمرا للقابلة بقتل الوليدة ، عنـدما يرى أن الأسرة تضم من البنات أكثر مما ينبغى » !

مصير أشنع من الوأد

• **أما** من يمتد بهن الأجل ، فكان القـوم يحاولون التخلص منهن بأسرع ما يستطيعون . **ودرجت الأسر الفقيرة على بيع بناتها صبيـت . فكن يتخذن خادمات بمجرد أن يصبح ذلك ممكنا من الناحيـة الجسمية .. وتفشى أمر اسـتغلالهن فى المواخير** . ولم يكن بيع الفتيـات يلقى أى اعتراض من رجـال العدالة برغم مخالفته لقانون ! .. وكانت معاملة الاماء تختلف من أسرة الى اخرى ، فهى رهن بمزاج السادة واخلاقهم .. كن يخضعن أولا لاشراف الزوجـة ، ويخضعن أخيرا لسـلطة عاهل الأسرة الاقتصادى الذى يملك التصرف فى مصيرهن : يزوجهن اذ يشاء . او يبيعهن بدوره اذا استغنى عن خدماتهن !

ولم يكن الزواج ـ فى معظم الأحيان ـ خيرا للفتاة من حياة الجوارى . ولقد ابتليت بنـات الصين بتقليد جائر : فكثيرا ما كانت تباع الصبية لأسرة الفتى الذى سيتزوجها . وهذا العرف المسمى « تبنى الكنة طفلة » مرده الى سببين :

١ ـ **اقتصاديا** : تقل نفقات الصبية عن نفقات الفتـاة ، ويمكن أن تبسط حفـلات الزواج ، بل تلغى .. كما تحصل العائلة على مزيد من الأيدى العاملة .

٢ ـ **اجتماعيا :** تنشأ الصبية وفق عادات اصهارها. وقد تتبادل الأطفال أحيانا عائلتان لديهما بنون وبنات .

وتلك عادة وبيلة ، لم تسفر قط عن نتائج حسنة . فالعروسان فى ذلك الجو لا يتبادلان الحب ، وانما يتشاجران ويتضاربان ويتعلمان الحقد والقسوة . ومعاملة الحماة لربيبتها تؤدى دائما الى افساد العلاقات بينها وبين سائر أهل قرية الصبية . وفى ذلك النهج أيضا تشجيع على زواج الأحداث قبل نضجهم بدنيا ، وهو زواج هدام .. ولكن المجتمع الصينى وجد فى تلك الوسيلة مخرجا من وأد البنات !

حرية المرأة .. باب مسدود !

• **وما كانت** نجاة الطفلة من هلاك الوأد ، لتعود عليها بخير يذكر . اذ كانت حماتها تضطهدها ، وقد تقتلها من شدة الضرب . **ذلك لأن هذه الحماة تكون قد عانت ـ فى شبابها ـ تعذيب زوجها وحمويها ، فباتت تلتمس تعويضا عن آلامها فى العذاب الذى تسومه اياها ربيبتها.** وتتصل ـ من جيل الى جيل ـ سلسلة الأحقاد النسائية التقليدية ، لتبوء بهبا كل امرأة مقبلة !

ولم تكن الحماة وحدها هى التى تتقمص الجور العائلى فى صورته اليومية ، بل كانت الزوجة تتعرض أيضا لطغيان حميها. أما الزوج ـ وهو يكره هذه الزوجة التى لم يخترها ـ فكثيرا ما كان يضربها ، سواء بمحض رغبته أو بايعاز من أمه . وكان له الحق ـ اذا توفرت له السبل ـ فى أن يسرى عن نفسه كروب الزواج القهرى بمعاشرة السرايا . على أنه كان يستطيع أن يقتل زوجته اذا زنت . وكان له ـ على كل حال ـ أن يطردها متى شاء . **وفى ظروف معينة ، كان للزوجة ـ نظريا ـ حق طلب الطلاق ، الا أن أسرتها كانت**

ترفض أن تستردها لتعولها ! وكان الزوج ــ فى بعض الحالات ــ يبيع زوجته الى رجل غنى يرغب فى التسرى أو فى انجاب ولد ..

ولم يكن فى الترمل خلاص المرأة . فهى تظل ملكا لحمويها ، يتعذر عليها أن تفلت منهما بزواج جديد . وفى سنة ١٣٨٦ ، أصدر « تاى تسو » مرسوما نصه : « تعفى الأسرة من الخدمة العامة ، ويكرم البيت ، اذا لزمت الأرملة دون الثلاثين ترملها حتى سن الخمسين » .. **(والمعروف أن المرأة الصينية اذا جاوزت الخمسين لا تجد فرصة سانحة للزواج)** . ومنذ ذلك الحين ، اشتد الضغط على الأرامل لمنعهن من الزواج مرة اخرى . وكان مفتش خاص يكتب عن آدابهن التقارير !.. ولقد شيدت فى الصين ــ حتى قيام الجمهورية ــ عدة هياكل تكريما لأولئك الأرامل اللاتى امتزن بالطهارة فى حالات تثير الاعجاب . **اما اذا اجترأت أرملة على خرق تلك السنة الحرام ، فان رجال عشيرتها كانوا يجدون فى قتلها ما يشرفهم !**

وهكذا كانت المرأة اذا دخلت الأسرة بوصفها زوجة ، لا تستطيع أن تفارقها الا عندما تفارق الحياة . وذلك هو الحل الذى اضطرت اليه كثير من الصينيات حتى أيامنا هذه ، فقد كن يغرقن انفسهن فى الغدير المجاور أو يشنقن أنفسهن .

واما السرايا ، فكان وضعهن رهنا بهوى من اتخذهن . واذا قدر لهن أن يلدن البنين ، وجدن عنده الحظوة ويتفوقن فى المنزلة على الزوجة الشرعية . غير أن الزوجة الشرعية كانت ــ بوجه عام ــ ارفع منهن قدرا . وكان للرجل أن يسرحهن دون اى قيد أو ضمان .

وما كانت المرأة تثوب الى شىء من الأمن الا عندما تتقدم بها السن . اذ ذاك يدين لها أولادها بالاحترام الذى يكنه

الصينيون لجميع الشيوخ . وكان هذا هو العزاء الذى توعد به العروس الصغيرة لكى تصبر على بلواها : « لسوف تصبحين ذات يوم حماة بدورك » !

قصة الأقدام المعصوبة

• وعصب اقدام النساء عادة غريبة ، نشأت فى القرن الثامن . فقد كان اهل الصين يعجبون ـ أيام أسرة « تانج » ـ بالاقدام الصغيرة والأحذيه المقوسه التى تزدهى بها بعض الراقصات والغوانى . **وتخيل حاكم ((لان تانج)) ـ الذى كان فنانا يحب الشعر ـ ان من الابداع ان يصغر صناعيا حجم اقدام النساء ، فاصبح ذلك من آيات الفتنة الصينية ! ..**
وأطنب الشعراء فى الثناء على تلك الأقدام المصغرة . وشبهوها ب « الزنابق الذهبية » ، كما تفننوا بسحر « أحذية الليل » التى تضمها !
وقد كتب الأديب « فانج هيفان » كتابا بأكمله عن فن عصب الأقدام . وفى رأيه ان عدد الأقدام المتقنة العصب ـ فى مدينة كبيرة ـ لا يكاد يبلغ العشرة . وهو يصنف هذه الأقدام ويقسمها الى خمس فئات ، وثمانية عشر نمطا مختلفا . **ويقول ان القدم الحسنة العصب يجب أن تكون سمينة وطرية وانيقة ، تختفى عضلاتها ، وتهيم فى جمالها عيون الروح .. !**
وظهر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بضعة كتاب ثاروا ضد هذا التشويه. ولكنه لم يمنع الا منذ سنة ١٩١١ . وليس من المستبعد ان تلتقى اليوم فى (بكين) ـ بين الطاعنات فى السن ـ بنساء ضامرات الأقدام .. والعجيب أن هذه العادة ليست من قبيل التفنن فى وسائل الاغراء الجنسى الذى تختص به الطبقات المترفة ، فقد شاعت بين نساء جميع

الطبقات ، لاسيما فى الشمال . **ذلك أنها كانت تخلع طابع القضاء والقدر على المصير الذى قرره الرجال للنساء ، الا وهو الحبس !** .. فالفلاحة التى تضمر قدماها لن تصلح للقيام بأعمال الحقل ، ولابد لها من الانزواء فى البيت . أما فى الجنوب ، حيث كانت المرأة تشترك فى زراعة الأرض ، فان هذه البدعة لم تعم .

والصينيون اليوم يستنكرون تلك الوصمة ، الى حد أنهم يحرمون أظهار النساء معصوبات الأقدام على خشبة المسرح !

نحو تحرير المرأة

• **ومنذ** قرن تقريبا ، بدأت الطبقة الوسطى محاولات متواضعة ترمى الى تحرير المرأة . ففى سنة ١٨٦٠ ، افتتح المبشرون أول مدارس نسوية لتعليم الابتدائى . وفى سنة ١٩٠٣ ، افتتحت أول مدرسة للمعلمات . واتسعت الحركة مع « نهضة » سنة ١٩١٧ : فان الطبقة التى تطالب بدستور ديمقراطى ، وباقتباس نظم المجتمعات الغربية ، وباحترام انسانية الفرد وحقوقه . لتأبى أن تظل المرأة فى مرتبة حيوان اليف . وراح « يوتشنج لى » يقول : **« حطوا من قدر المرأة ، ينحط قدر الرجل ! »**

تلك كانت نزعات « البورجوازية » . أرادت أن ترتفع ، اقتصاديا وثقافيا ، فقررت أن تمنح المرأة الصينية مثل حرية الغربيات . وظهرت سنة ١٩١٧ مجلة نسائية ، تبعتها مجلات أخرى . وبعد عامين ، دخلت بنات الصين أول مدرسة ثانوية لهن ، كما دخلت بعض النساء جامعة (بكين) . **غير أن معظم البورجوازيات مضين يستعملن حريتهن فى أمور تافهة** .. فكن يموجن شعورهن ، ويستبدلن بالأربطة التى

كانت تعصب أقدامهن احذية عالية الكعب ، ويخرجن ، ويرقصن ، ويتذوقن متع الاختلاط الجنسي .. ولم تنتهز الا قلة منهن امكانيات الدراسة والعمل التي تفتحت امامهن .

والغت البورجوازية القانون الاقطاعي القديم . واصدر « الكومنتانج » ـ سنة ١٩٣١ ـ « قانون الأسرة » . ولعل أعظم ما استحدثته مواده هو النص على توريث المرأة ، ومنع الآباء والوسطاء من فرض الزواج على الشباب بالاكراه ، وعقد الخطبة فى سن لاتقل عن الخامسة عشرة ، وحق المرأة فى طلب الطلاق لخيانة الزوج أو سوء معاملته .

ومع ذلك ، سادت التقاليد القديمة : ظلت الأسرة تحمل اسم الجد ، وتخضع للشيوخ ، وتطغى فيها سلطة الأب على سلطة الأم . وانحصر تطبيق القانون ـ من الناحية العملية ـ فى مجال ضيق . **فلقد كان الغرض من كل تشريعات « تشانج كاى شك » التستر وراء مظاهر الاصلاح العصرى على واقع من البناء القديم** . وتستشهد « سيمون دى بوفوار » على هذا بكتاب « أولجا لانج » عن « الحياة فى الصين » ، وفيه ذكر لزوجات وأرامل من اهل شنغهاى وبكين ، كان يبيعهن أزواجهن أو أسراتهن ـ سنة ١٩٣٦ ـ نظير بضع مئات من الدولارات !

وكانت الصحف وتقارير المستشفيات تفيض كل يوم بقصص تعذيب النساء أو انتحارهن . وفى نفس العام ، لاحظ «جان اسكارا» ـ الذى توفر على دراسة القانون الصينى ـ أن «الغالبية العظمى من الفلاحين تجهل قوانين الاسرة هذه ، وسوف تظل تجهلها » .

قانون الزواج لسنة ١٩٥٠

• **واصدرت** حكومة الصين الشعبية « قانون الزواج » الجديد سنة ١٩٥٠ . وهو يؤكد حرية الفرد فى داخل الأسرة ، والمساواة بين الجنسين ، ويلغى زواج الأحداث ، ويحرم تبنى زوجة الابن فى سن مبكرة ، **ويقتضى موافقة الزوجين على عقد قرانهما وتسجيله ، كما يحرم وأد الأطفال ، ويمنح الأرامل حق الزواج مرة أخرى ، ويعطى المرأة مثل الرجل حق طلب الطلاق** ، ولا يعترف للأب على الأم بأية أولوية ، ولا يقر لاسم الرجل أو اسرته اى امتياز بالنسبة لاسم الزوجة وأسرتها ، ويعهد بالطفل فى حالة الطلاق للام لا للأب .

وللقانون هدف واضح ، هو قلب بناء المجتمع الريفى طبقا لمقتضيات الاقتصاد الجديد . وقد جاء فى ديباجته : « ليس النساء هن اللاتى يفدن من هذا القانون فحسب ، بل المجتمع بأكمله » . ولبلوغ هذا الهدف . أنشىء — سنة ١٩٤٩ — « الاتحاد النسائى » الذى استوعب كل المنظمات النسوية الأخرى ، وتألفت « جمعية نسوية » فى كل مدينة وكل قرية ، وتعاونت فى هذا السعى سلطات الحكومة ، ودور العدالة ، والنقابات ، ومنظمات الشباب . وقام الأدب والمسرح بالدعاية « للزواج الحر » وتحرير المرأة .

الزواج بلا وسطاء مشكلة

• **وما زالت** تعقد فى مختلف بلاد العالم زيجات مدبرة ، بعضها صفقات تجارية خالصة . ولكن الأمر فى الصين أمر تقاليد خطيرة ، درج عليها منذ آلاف السنين خمسمائة مليون من الفلاحين . **وهؤلاء قد تقبلوا الاصلاح الزراعى بالسرور ، غير انهم نفروا من الغاء الأسر الاقطاعية . واصطدم أعضاء الجمعيات النسوية والموظفون بمقاومات عنيفة .**

ولا شك فى أن الذى أفسد هذا الاصلاح هو التعجل . فقد بدىء بالغاء عدد من الزيجات التى تمت تحت ضغط الأهل . وبلغ عدد حالات الطلاق ـ فى النصف الأول من سنة ١٩٥٢ ـ ٣٩٦ ألف حالة ، مما جعل أهل الريف يطلقون على « قانون الزواج » هذا اسم « قانون الطلاق » ؛ وكان هناك بعض من يبرر هذا التسرع ، لا سيما من حيث ضرورة تحرير « الكنائن (أى زوجات الأبناء) الصبيات » فورا . ومع ذلك فقد اشتط الموظفون فى التنفيذ ، وتزمتوا فى تأويل مواد « التسرى » مثلا ، **فألزموا الرجال بطرد سراياهم . واذ وجدت هؤلاء أنفسهن بلا مأوى ولا مورد ، لجأت كثيرات منهن الى الانتحار ، مما أثار سخط الفلاحين وأدى الى اغتيال بعض الموظفين ..**

وهنا اشتدت الحكومة فى لوم الذين أساءوا التدبير ، ونبهت الى مبدأ « عدم الاكراه » ، وشرحت للموظفين أنه لابد من اللباقة والصبر والوقت لاكتساب نفوس الفلاحين . وذكرهم « ليوكنج فان » ـ رئيس لجنة تطبيق القانون سنة ١٩٥٣ ـ « بأن الاقطاع ، وان كان قد استؤصل من الحياة السياسية والاقتصادية ، لا يزال باقيا فى الأخلاق » .

ولا تزال حرية الزواج معنى نظريا ، لم يتجسم بعد بشكل محسوس . اذ أن أوضاع الحياة الريفية لاتيسرها .. ففيما مضى ، كانت الوسيطة تدبر الزواج بين شباب القرى المختلفة بأجر معلوم ؛ وقد ألغيت هذه العادة رسميا الآن ، ولكن قلما تسنح لفتيات الريف وفتيانه فرص اللقاء .. **لذلك فكثيرا ما تؤدى دور الوسيط الاتحادات النسائية أو أعضاء الحزب أو الشبيبة الشيوعية ، حيث يجتمع القوم ويعملون معا ويتعارفون .** ولكن فى المدينة أيضا ما برح الشبان متهيبين ، تشلهم التقاليد السلبية والحياء التى ألقيت فى أذهانهم دهرا

طويلا . والفتـاة أشد تحفظـا من الفتى . لا تتزوج عادة من تفضـله ، وانما تتزوج الذى يجـرؤ اولا على أن يتكلم وأن يطلب يدها ..

الاستقلال الاقتصادى للمرأة

• من الثابت أن الاستقلال الاقتصادى والحرية متلازمان . ولقد كان من الأسباب التى دعت الى جملة التحرير ، الرغبة فى الافادة من القوة العاملة النسائية . فلن تفيد القروية من تسلم نصيبها من الأرض ، ما دامت محصورة فى دائرة الأعمال المنزليـة . واذا ساهمت فى أعمـال الحقل داخـل المجموعة العائلية ، ظلت مساهمتها الاقتصادية غير مؤكدة ، ولم يتح لشخصيتها أن تظهر . **وعلى عكس ذلك ، لن يكون لأحد أن يشعر بسلطان على المرأة منذ اللحظة التى تدفع فيها الجمعية التعاونية مرتباخاصا لها ، وعندئذيتحقق استقلالها الذاتى . ومن ثم فسيتم تحرير الفلاحة الصينية عن طريق التوسع فى الجمعيات التعاونية .**

وفى المدن ، ما زالت معظم النسـاء ربات بيوت ولكنهن — فى كثـير من النواحى — قـد نظمن شؤونهن . فألف فريق منهن — منذ سنة ١٩٥٠ — فرقا لتبادل المعونة ، اشـتركت فيـها زوجات العمـال . وهن — فى أثناء النـهار — يضعن أطفـالهن فى دور الحضانة . وفى حالة المـرض أو الارهـاق تسـاعدهن « منـدوبات المعونة » فى أعمـال المطبخ والبيت والعناية بالأطفال . انهن يتلقين دراسـات مسائية ثلاثة أيام أسـبوعيا ، فيطالعن الصحف ، ويسـتمعن الى الـراديو ، ويتلقين تعليمات تتناول التدبير المنزلى وثقافة سياسية .

أما العاملات ، فتساوى أجورهن أجور العمال . وتستقبل دور الحضانة أطفالهن . ولهن عطـلات فى مناسـبات الحمل

والوضع ، ويتقاضين معاشا منذ سن الخامسة والأربعين . **غير أنهن مازلن قليلات العدد .** ففى صناعات النسيج يبلغ النساء ٦٠ فى المائة من مجموع العمال . وفى شنغهاى يبلغ النساء ٧ فى المائة من عدد العاملين فى الصناعات الميكانيكية . واما فى المهن الحرة ـ كما ورد فى تقرير سنة ١٩٥٥ ـ فان نسبة النساء تبلغ ١٧ فى المائة فى الجامعات والمدارس ، و ١٢ فى المائة بين رؤساء المحاكم ، و ١٦ فى المائة بين مستخدمى المصارف .

وفى الحياة النسوية ـ كما فى عدة ميادين أخرى ـ يصادف الانسان فى الصين أشد الناس تخلفا ، الى جانب أكثرهم تقدما ! .. **فهناك الفلاحات اللواتى ما زلن يرزحن تحت أعباء التقاليد ، ومع ذلك فهناك من يقمن بقيادة القاطرات ، بل هناك الوزيرات !** .. وأتم الفئات تحررا من العقلية القديمة هى فئة الطالبات ، فهن يشعرن بنفس المسئوليات التى يشعر بها الرجال .

شباب لايعرف الغزل !

• **على أن** شباب اليوم فى الصين ـ وقد خلصوا من ربقة المعانى الاقطاعية ـ يجدون أنفسهم وقد اجتازوا مرحلة ، دون أن يتوقفوا ليستوعبوا طفرتهم . فهنا الرجال والنساء لا تفصل بينهم الأساطير ، ولا يتصورون علاقاتهم على نحو مباراة يظهر فيها كل فريق قوته .

ثم انهم لا يولون هذه العلاقات أهمية كبيرة . وتسجل « سيمون دى بوفوار » ما قالته لها السيدة « لونا كانج » ـ الأستاذة فى جامعة بكين ـ **من أن الغزل لا وجود له بين الطلبة والطالبات ، وانهم جادون ولعلهم مسرفون فى الجد !** ..**حتى ان كثيرا من الزيجات يتقرر امرها فى الجامعة ، دون**

أن يسبقها أى اضطراب عاطفى . فان العمل هو الغاية المقصودة دائما . وحينما يصبح عزم طالب وطالبة على الزواج ، يخطران الادارة التي تدون اقترانهما ، وتحاول ان تقدم اليهما وظيفة مزدوجة عند تخرجهما .

وتضمن الدولة العمل لكل حاصل على اجازة دراسية ، غير ان لها أن ترسله الى حيث تريد . **واذا لم تتيسر تلبية جميع الرغبات ، فقد يفترق الزوجان عاما أو عامين — لا أكثر — لأن الدولة تحترم الاسرة فى شكلها الحديث . ومع ذلك فالزواج يأتى فى المرتبة التالية لخدمة البلاد** . وهو يقوم على مبدأ التقدير قبل ان يقوم على العواطف . وكلما سئل الشباب فى مكتب التسجيل لماذا اختار كل منهم الآخر ، تكرر هذا الجواب التقليدى : « لأنه مجتهد » ، و « لأنها مجتهدة » !

هل الحب عاطفة « تقدمية » ؟

• **ليس** للحب — اذن — شأن كبير فى حياة الشباب الصينى . غير أن هذه الصرامة من رواسب الماضى . فلقد ظل الفراش — زمنا طويلا — لونا من ألوان العبودية بالنسبة للمرأة الصينية فأبغضته بغضا جعل همها الأول هو أن تفلت من ذلك . **وليس تحمسها للاشتراكية هو الذى يمنعها من التفكير فى الرجل ، وانما هى تتحمس لها كنظام اجتماعى يخلصها من الرجل !** .. واذا اقترن الحب فى نظرة نساء الغرب بقيمة ايجابية ، فهو لدى الصينيات — من أعلى طبقات المجتمع الى أسفلها — يقترن بعامل سلبى .

وقد ادهش « سيمون دى بوفوار » أن تسمع من سيدة صينية مثقفة ، وهما تشاهدان معا احدى مسرحيات « الأوبرا » ، هذا التعليق على منظر اغتصاب تحاول فيه

البطلة الشابة أن تذود عن نفسها عبث امبراطور ماجن : **« ذلك هو السبب فى اقبال النساء الصينيات على الثورة .. لقد أردن ان يظفرن بحق الاضراب عن الحب » !**

وليس ما يشاع عن « برود » المرأة الصينية نقصا بدنيا فيها ، وانما هو رد فعل معقد ، يعبر — بلا ريب — عن فزعها من انتهاك حرمتها التقليدى .. ولابد لها — اذن — من التخلص تماما من وطأة الماضى ، قبل ان تستطيع أن تتخذ موقفا ايجابيا تبتهج فيه لا بالفرار من الحب ، بل بأنها حرة فى أن تحب كما تشاء .

والحكومة لا تحرم الحب بوصفه مظهرا من مظاهر الفردية . فالفردية موضع التشجيع ما دام أولو الأمر يسعون الى تحرير الأشخاص من المجموعات التى كانوا أسرى فى كتلتها الجامدة . **وهذا يؤدى الى اعتبار الحب عاطفة تقدمية . فالعشاق انما يطردون بسلوكهم أوضاع الماضى العقيمة ويثبتون استقلالهم . وكل من يفلح فى ذلك يتميز بالرقى .**

ان العلاقة بين الحب ، والرغبة فى خدمة البلاد ، وميل الانسان الى استكمال شخصيته ، علاقة تتخذ عند كل امرأة صينية شكلا فريدا !

اطفال الصين بين الامس واليوم

• **وتحرير** المرأة جزء من اصلاح الأسرة اصلاحا شاملا يتناول كل أفرادها ، وخاصة الأطفال .. ولقد عرف دائما عن الصينيين حبهم لبنيهم ، ولكن الفاقة كانت تدفع بهم — فى كثير من الأحيان — الى قتل الأطفال عند ولادتهم ، أو بيعهم ، أو استغلالهم . وبرغم القانون الذى أصدره « الكومنتانج » لمنع تأجير الصبيات كخادمات ، أو بيعهن

كرقيق ، فان احصاء سنة ١٩٣٧ اشــار الى وجود مليونين من ا صبيات الرقيق ، فيما عدا « انصبيات الكنائن » .

وكان المناظر فى الريف وفى المدن ، يرى بنات فى سن الثامنة ، يرزحن تحت أثقال الاعمال المرهقة . وانتشر فى مناجم الفحم اســتخدام الغلمان منذ سن العاشرة . ويصفهم شاهد عيان فيقول : « كان عليهم تصعيد الفحم فى ممرات طويلة ملتوية ، لا تبلغ من الاتســاع الا ما يمكنهم من الزحف فيها . **ولعدم اغتسالهم ابدا ، باتت أجســادهم مكسوة بطبقة من العــرق والغبار . وكانت اســنانهم صفــراء متقلقلة ، فى لثة حمراء دامية ، وكانت قلوبهم متضخمة !** .. وكانت تتخلل ظهورهم ــ فى المكان الذى ترتكز عليه قصبــة الغاب التى تتــدلى فى طرفيها أحمال الفحم ــ آثار عريضة من الجلد التالف . وكانوا يشيخون قبل أن يتجاوزوا سن العشرين » !

وفى الطبقات الاجتماعية ــ التى كانت لا تعانى كل هــذا الحرمان ــ لم تكن حياة الأطفال بالتى ترفرف عليها السعادة . كانت نسبة الوفيات كبيرة ، اذ تتم عمليات الوضع فى ظروف صحية ســيئة . وهــذا ما عولج أخــيرا بتوفير الصيدليات والمستشفيات والرقابة الطبية .

ولقد تغيرت طرق التعليم أيضا . ففى البيت والمدرســة كان الصبية يضربون بقسوة ، ويشبون على الطاعة العمياء ، وعلى احتــرام الكبار احتــراما غير مشروط ، مما يفقــدهم طبيعتهم التلقائية .. وكل هذا يناقض ما رأته «سيمون دى بوفوار » يوم زارت احدى دور الحضانة ، فهى تقول :

« كان الأطفال يتلألأون صحة وبهجــة وهم فى حللهم ذات الأزهار .. **ولكن الشىء الذى يثير الدهشة حقا ، هو تلك الثقة المتدفقــة التى يبدونــها نحو الكبــار ، وجــرأتهم ، وجهلهم بالنواهى** . ولا يحــدث فى أى بلد أن يتجاسر الأطفال ــ بين

الثالثة والسابعة ـ على أن يرتموا هكـذا فى أحضان الغرباء ويتعلقوا بهم ضاحكين مشرثرين . وفى ذلك اليوم ، كان على اظافرى طلاء احمر ، فأخذ جميع الأطفال يمسكون يدى ، ويعرضونها ـ فى عجب ـ على المشرفات عليهم . **وقد حاولت اكثر من صبية أن ترفع طرف ثوبى ، لترى أن كنت ألبس شيئا غريبا آخر ، فكانت المعلمات يوقفنهن ضاحكات ، وكان هؤلاء النساء الشابات ـ بقوامهن النحيل وجدائلهن ووجوههن البريئة ـ اطفال كبار عقلاء !** .. وكان من الواضح أن الصبيات اللاتى تضمهن دار الحضانة ، لا يشعرن حيال أولئك المعلمات بالفرق بين جيلين . وكثيرا ما شاهدتهن فى الحدائق ، يتريضن أو يراقبن قطيعهن : لقد كن باسمات ، رقيقات الاصوات لا يتحدثن قط بلهجة آمرة . وقد قلن لى ان العقاب البدنى ليس محرما فحسب ، بل ان فكرة العقاب قد انعدمت . فالمذنب يؤنب وتشرح له أخطاؤه . وفى الحالات المتعسرة يستشار الطبيب . والنتيجة هى أن يشب الأطفال دون أن يعرفوا الخوف أو الاكراه » .

وهذه المبادىء تطبق الآن فى جميع المدارس ، وتلقن لأولياء امور التلاميذ . ولقد تحررت الام من سطوة الشيوخ فاستعادت صلتها المباشرة بأبنائها .

انصاف الخلف من السلف

• **ولم** يعد للسلف أفضلية على الخلف ، فقد انقضى العهد الذى كان الشباب فيه يرمى بالنقص .. وتمد الصين الأحداث بأدب غزير : روايات بسيطة تتخيل المستقبل ، وحكايات فى صور ، وترجمات من أقاصيص « بوشكين » و «مارك توين» و « أندرسن » . ولكن الأطفال الذين يعرفون

القراءة اليوم قد كثروا (نحو ١٢٠ مليونا) بحيث غدا كل ذلك لا يكفيهم ..

وصفوة الأحداث تجمعهم منظمة الرواد بين التاسعة والرابعة عشرة ، ثم « رابطة الشبيبة الديمقراطية » بين الرابعة عشرة والخامسة والعشرين .

ويتهم خصوم العهد الحاضر الدولة بأنها تستأثر — على هذا النحو — بالأبناء وتهدم الأسرة . **والحق ان المشرفين لا يدفعون الأحداث دفعا الى الاشتراك فى منظمة الرواد ، بل انهم يرفضون أن يسبغوا عليهم هذا الشرف ما لم يكونوا تلاميذ مثاليين يتعهدون بأداء أعمال معينة واتباع سلوك ممتاز !..** ولا تهدف منظمات التعليم والدعاية الى صرف الأبناء عن عائلاتهم ، فان الاسرة ما زالت حجر الزاوية فى المجتمع . وفى معظم دور الحضانة — وان كانت بعد قليلة العدد — لا يستبقى الصينيون الأطفال الا أثناء النهار .

وأما الرواد ، فمن أول الواجبات التى يتعهدون بأدائها ، أن يساعدوا ذويهم فى أعمال البيت وفى قضاء الحاجات ، وتنظيف واعداد المائدة .. وهم يقيمون الحفلات ويقومون بالرحلات ، ولكنهم يقضون معظم أيام الآحاد فى أحضان عائلاتهم . وما برح الشعور بالرابطة العائلية عميقا فى الصين .

توازن المجتمع : اقتصاد وانسانية

• **الآن** وقد تلاشت الأوبئة ، والجمت كوارث الطبيعة ، يولد الأطفال فى الصين فيواصل معظمهم الحياة : يولد كل عام ٣٧ شخصا لكل ألف نسمة ، ولا يموت منهم سوى ١٧ . **وهكذا يزيد السكان كل سنة بمقدار عشرة ملايين ، وتبلغ الزيادة فى مدى أربع سنوات فقط ما يعادل تعداد ايطاليا أو فرنسا !..** ولكن اذا تمادى الشعب فى التكاثر ، فماذا

يحدث ؟ .. لقد اجتلت « سيمون دى بوفوار » موقف حكومة الصين من الرقابة على النسل ، وانتهت الى المعلومات التاليـة :

لابد من تنظيم النسل حرصا على مصلحة الفرد ومصلحة المجموع . وليس المقصود تحديداً « مالتسيا » : يتعارض مع الروح الماركسية ، بل المقصود هو « التخطيط » : **أى أن يتمكن الزوجان من الانتظار عامين أو ثلاثة قبل انجاب طفلهما الأول ، وأن تتمكن الأمهات اللواتى أثقل الأطفال كواهلهن من الاستراحة فترة ، وأن يكون فى مقدور كل بيت موازنة ميزانيته .**

وفى سبيل ذلك ، يمنح حق الاجهاض ابتداء من الطفل الخامس . وفى جميع مستشفيات الولادة يعلمون كل زوجة شابة ـ أثناء علاجها ـ كيف تستعمل وسائل منع الحمل .

ولا تكتم سيمون دى بوفوار اعجابها بتجربة الصين الجديدة ، حيث تزدوج النفعية الاقتصادية فى الحل بدواعى الانسانية ، وحيث يؤثر التكوين السفلى للمجتمع فى تكوينه العلوى كما يتأثر به . **فللعامل الاجتماعى جانب اقتصادى بلا شك ، غير أن القوة الانتاجية تتوقف على العامل الانسانى . وهكذا يقتضى السير نحو الاشتراكية اطلاق الفرد وتأكيد استقلاله .**

لقد أصبح الزواج فى الصين حرا ، وأصبحت الأمومة حرة ، وأصبح للحب قيمة « تقدمية » . ولا تتعارض النزعات الشخصية والواجبات نحو الوطن ، بل انها لتتفق : فمن أجل تحقيق الخير للجميع ، ينبغى أن يرغب كل فرد فى خيره الخاص . كما أن طريق العيش الجماعى هو أيضا الذى يصل بالمرأة الى الكرامة الانسانية ، ويفضى بالشباب الى

الحرية . وما اروع أن تكون السعادة هى الأساس الذى تقوم عليه الوطنية !

الوحدة .. والأقليات

● **يبلغ** عدد سكان الصين ستمائة مليون نسمة ، معظمهم من جنس « هان » ، الا أن خمسة وثلاثين مليونا من أهل الارض الاصليين ، قد لاذوا ـ عندما طردهم « الهان » ـ بالروابى الوعرة السبل . وظلوا يعيشون فى نظام قبلى أو شبه اقطاعى . وفى نظر « الهان » ، كانت الدنيا تنقسم الى ثلاثة أنواع من الكائنات : الهان والبرابرة والحيوانات ، فكانوا يحتقرون المغول والتبتيين ومن اليهم لانهم برابرة !.. وباتت هذه الأقليات ـ فى جميع العهود ـ أوكارا للمعارضة ، ردا للظلم . ويوجد منها اليوم أربع وأربعون ، تتكلم ثلاث عشرة لغة ، منها أربع فقط مكتوبة . وتحتل هذه الأقليات فى جملتها أكثر من نصف رقعة الصين ، وان كانت مشتتة خلالها ، عدا ٢١ مليونا تناثرت فى الشمال الشرقى .

وقد واصل « تشانج كاى شك » عزل هذه الشعوب عن المجتمع الصينى ، ولكن زعماء اليوم أدركوا أهمية توحيدها ، بطريق سلمى . ونشطت الدعاية بين « الهان » لتحطيم مزاعمهم العنصرية . وأعلنت الحكومة للأقليات أنها تحترم آدابهم ولغاتهم وأديانهم ووعدتهم بشىء من الاستقلال الذاتى ، وأفلحت فى اجتذابهم برفع مستوى معيشتهم واعانتهم اقتصاديا .

لقد ثارت منطقة (سيكيانج) ـ سنة ١٩٤٤ ـ ضد «تشانج كاى شك » ، وأنشأت « جمهورية تركستان الشرقية » ، ثم تحالف رئيسها « ساى فادان » مع الصين الشيوعية عند تقدم الجيش الأحمر .

وقصة ضم (التبت) الى الصين ترجع الى القرن السابع ، حين تزوج احد ملوك التبت أميره من اسره « تانج » ، ولكن السلطه هناك ظلت فى أيدى الكهنة اللاميين . واللامية خليط من دين « بون بو » القومى ومن البوذية .

وليس هنا مجال استعراض الملابسات والمنازعات التى دارت بشأن التبت ، ولكن الذى يهمنا هو أن الصين تبدى اهتماما كبيرا بتقدمها . فأنشأت المدارس الابتدائية فى (التبت) ــ حيث يعيش مليونان وثمانمائة الف نسمة ــ وافتتحت مصرفا شعبيا يقرض المزارعين والتجار والصناع . واصبحت الدولة تشترى منهم الصوف .

وكما تحترم الصين الديانة ((البوذية)) ارضاء لشعب ((التبت)) تحترم ((الاسلام)) ارضاء لعشرة ملايين ، منهم ((الويغور)) فى (سيكيانج) ، و ((الهوى)) فى مناطق متفرقة . وهم كثيرا ماكانوا موضع الاضطهاد ، لاسيما فى عهد المنشوريين ، وعهد «الكومنتانج» . ومنذ ١٩٥٢ الفوا « **الاتحاد الاسلامى** فى الصين » ، ورممت مساجدهم .. ولهم مدارس دينية ملحقة بالمساجد . وفى بكين الفان وثمانمائة اسره « هووية » من المسلمين ، حول شارع (نيكوكاى) ، حيث يوجد مسجد من أيام أسرة « سونج » . وفى أحياء أخرى مساجد أحدث . وتمنح المصانع عطلات للمسلمين فى أعيادهم ، كما أن لهم مطاعم خاصة . وكل عام تقصد مكة جماعة من الحجاج الصينيين .

وتنتخب الأقليات ممثلين لها بنسبة عددها ، ولكن للأقلية الحق فى نائب واحد ــ على الأقل ــ يمثلها عندما يزيد عدد أفرادها على سبعين ألفا . وهكذا يشغل نواب الأقليات ١٧٧ مقعدا من ١٢٢٦ أى بنسبة ١٤ ٪ بينما تبلغ نسبتها الى مجموع السكان ٧ ٪ .. وتؤهل الأقليات لحكم ذاتى ، بشرط

توفر الاداريين من أبنائها . ولتخريج هؤلاء ، أنشىء معهد فى بكين ، يؤمه أعضاء مختلف الأقليات لاتمام دراساتهم الثانوية أو العليا . وهم يلقنون اللغة الصينية الى جانب لغاتهم الأصلية . والمعهد مزود بما ينفى عن الطلاب الشعور بالغربة ، ولا سيما من ناحيتى الغذاء والشعائر . ففى المطعم الرئيسى سبورة كبيرة صنفت عليها أسماء الطلاب الى فئات ، تضم الأولى من يأكلون جميع الألوان ، تتلوها قوائم : « لا دجاج ولا سمك » ، « لا خنزير » ، « نباتيون » . وهناك هيكل لامى به صور بوذا التقليدية ، وكذلك قاعة فسيحة تستخدم مسجدا .

اختفى الفساد وسادت الأخلاق

• **وثمة** مشكلة داخلية اخرى واجهها الزعماء ، هى مشكلة الفساد . واليوم تسود الأمانة الصين التى كانت الى عهد قريب بلد لصوص وقطاع طرق .

ويعترف خصوم الصين أنفسهم ، باختفاء المتسولين والبغايا ومدمنى الأفيون ولاعبى الميسر . فلقد اصطبغ المجتمع بصبغة أخلاقية لا تجد مثلها فى أندونيسيا التى تحررت أخيرا من الهولنديين . ففى « جاكرتا » عصابات منظمة تنهب الأجانب خاصة تحت أنظار الشرطة المتغاضية . **ذلك ان الرأسمالية الأجنبية لا تزال قائمة هناك ، وتعتبر الحكومة السرقة نوعا من التعويض : لا تقى منها ولا تعاقب عليها . أما الصينيون فقد انقضت علاقتهم بالأجانب ، فخلصت علاقتهم بأنفسهم .**

والحكومة — فى الصين — لا تتسامح ازاء السرقة . وقد اشتدت الرقابة على الجميع ، من التاجر الفنى الى سائق دراجة النقل ، حتى لقد تغلغلت تعليمات الأمانة فى النفوس .

هل العنف ظاهرة فى ثورات الدول الأسيوية ؟

• ويخشى الزعماء تواطؤ الخصوم فى الخارج مع المعارضين فى الداخل ، فالحرب الدائرة حرب أهلية توقع بين المواطنين . وهذا ييسر تسرب الجواسيس والمخربين والكائدين . ذلك لأن الطبقات التى كانت تنعم بالامتيازات لاتخلص تمام الاخلاص للنظام الجديد .. **وهذا الصراع ظاهرة تقترن بهـا ثورات آسيا ، حيث البلاد مدقعة الفقر ، مكتظة باهلها ، فلا بد ان تتخذ فيها التغيرات الاجتماعية صورة عاصفة** . ففى بورمـا واندونيسيا والباكستان أدى الكفاح من أجل الاستقلال وانشاء مجتمع حديث ، الى تمزقات دامية . ولم تستطع الصين ـ برغم تفوق المركزية والنظام فيها ـ أن تشذ عن هذه القاعدة . ومع ذلك فقد حققت أعظم تحول دون أن تتورط ـ بفضل سياستها الريفية الحكيمة ـ فى مثل المجازر التى أدت اليها ثورات الفلاحين الكبرى فى الاتحاد السوفييتى . ومنـذ ١٩٤٩ ، قمع التعصب الدينى والنهب العسكرى ، ولم يتزعزع النظام القائم قط .

ولقد حرصت الدولة ـ منذ سبتمبر ١٩٥٤ ـ على تعقب أعداء الثورة ، بمقتضى قانونين متكاملين ، يختص أحدهمـا بالنيابة والآخر بالمحاكم الشعبية . **وتجنبا للظلم ، أمر وزير الأمن بمنع ((الاستجوابات المصحوبة بالتعذيب ، والاعترافات المغتصبة))** وأمر بأن « تتم اعمال الفحص والتحريات بطريقة سليمة ، والاهتمـام بالأدلة لا بأقوال الشهود دون تثبت . والتمييز بين ما هو صحيح وما هو ملفق ، والحد من الاعتقال الى أدنى حد ، وعدم القاء القبض الا عند الضرورة القصوى ، وفى نطاق القانون » .

وهكذا يوازن « حمله التيقظ والقضاء على العملاء » أمر « البعد عن النحيز وانصاف انطيبين » .

النظام القضائي يكفل حرية الفرد

• **ولقد** الغت الثورة الصينية القانون القديم ، وعزلت القضاة والمحامين ، ولم تصدر بعد تشريعا جديدا يشمل جميع نواحي المجتمع ، فان اعداد مثل هذه النصوص يستغرق سنوات طويلة . ومع ذلك ، فقد اذيعت ــ الى جانب الدستور ــ بعض القوانين الفرعية منذ ١٩٥٠ ، منها قانون « التنظيم القضائي » وقانون « الاعتقال والحبس » الذى يحمي كل مواطن ضد أى اجراء تعسفي .

وينقل هذا القانون الأخير المادة ٨٩ من الدستور ثم يعلن : ان « **الحرية الفردية لمواطني جمهورية الصين الشعبية حرية ممنوع الاعتداء عليها ، ولا يجوز القبض على أحد دون أمر من المحكمة الشعبية او طلب رسمي من النيابة** » .

ولا تستطيع الشرطة القاء القبض على امرىء الا فى حالة التلبس بالجريمة ، وعليها أن تدلل على ذلك فى بحر أربع وعشرين ساعة . ولا يوجد فى الصين أى نظام يبيح « الحجز الادارى » الذى كان يفسح المجال للأحكام التعسفية فى الاتحاد السوفييتي ، فان المحاكم وحدها هى التى تملك حق تقرير الحبس .

والمحاكم طبقا للدستور مستقلة ، والقضاة غير قابلين للعزل ، وعليهم ــ كسائر الموظفين ــ تقديم الحساب عن اعمالهم الى الحكومة ، والمحكمة العليا مسئولة أمام الجمعية الوطنية . **هناك اذن استقلال أساسي للقضاء ، مع تنسيق بينه وبين الحكومة** . وهذا لا يعني أن المحاكم أدوات طيعة فى أيدى النظام القائم ، فأحكامها لا يمكن أن تنقضها أية

منظمة سياسية ، ولا تستطيع الجمعية الوطنية أن تعدل الأحكام الصادرة عن المحكمة العليا .

ازمة محامين !

• ((**حق الدفاع**)) ثابت تؤكده اللوائح . ولكن عدد المحامين - وقد اقصى بعض قدمائهم - لا يفى بحاجات الصين الحديثة . وتقدم المحكمة للمتهم من يدافع عنه ، اذا لم يجد محاميا . ولا يجوز له أن يترافع شخصيا الا فى القضاء المدنى ، كقضايا الطلاق مثلا . **وجدير بالذكر ان الاعتراف فى الصين ليست له قيمة قانونية ، فهو لايعتبر دليلا . والجلسات علنية** . والحكم الصادر شفهيا ، لابد من تسجيله كتابة قبل انقضاء ثلاثة أيام ، مدعما بالحيثيات . وللمحكوم عليه أن يستأنف الحكم ، وفى حالة الاعدام يوجد استئنافان عاليان . ولكن الحكم بالاعدام نادر جدا .

ويعاقب بالسجن - فى أغلب الأحيان - مرتكبو جرائم القانون العام أو الجرائم السياسية . والمقصود من هذا العقاب اعادة تربية المذنبين عن طريق العمل . وقد ورد فى لوائح هذا النظام (سنة ١٩٥٤) : ((**يجب تعليم المجرمين الاعتراف بأخطائهم ، واحترام القانون ، وجعلهم على دراية بالأنباء السياسية ، وتعليمهم العمل المنتج ، ومنحهم من الثقافة ما يكشف لهم جذور الجريمة ، وابادة العقلية الاجرامية ، وغرس مفهوم جديد للفضيلة فى نفوسهم**)) .

ولقد تصرفت الصين الحديثة فى مبدأ «الأشغال الشاقة» ، فأصبحت عملا يفيد اقتصاد الدولة ، ويزود السجين بمهنة عند اطلاق سراحه .

المساواة بين العمال المأجورين والسجناء

• **والأيدى** العاملة فى الصين موفورة ورخيصة ، فحينما تقدم الحكومة على تنفيذ مشروع ضخم ــ كبناء قناطر أو سكك حديدية ــ تطلب متطوعين من الريف المجاور . فيقبل الفلاحون أفواجا ، وهم يأملون الى جانب كسب بعض المال الاضافى ، أن يظلوا عمالا بعد ذلك ، وكثير من تلك المشروعات يهدف ــ قبل كلّ شيء الى الاقلال من البطالة . ومن ناحية أخرى ، يدرك المسئولون أن غلة العمل الاجبارى الخسائر .

ولم تزر « سيمون دى بوفوار » معسكرا للعمل ، ولكن احد اصدقائها شهد مد خط حديدى كان يعمل فيه ٧٠ ألف عامل و ٤٠ ألف مذنب ، **ورأى المساواة بينهم فى المأوى والغذاء ونظام العمل . ولم يكن المذنبين أجر ، الا ان أخطر الأعمال وأشقها كانت من نصيب العمال الأحرار .**

وتقارن المؤلفة سجن بكين ــ الذى زارته ــ بسجن أمريكى نموذجى سبقت لها زيارته ، فتقول : « فى شيكاغو ، عندما وصلت الى مكتب السجن ، جردونى من حقيبة يدى كيلا أتمكن من تقديم السجائر أو احمر الشفاه للسجناء ، وفى الممرات حف بى الحراس وقد ارتدوا زيهم الرسمى وحملوا المسدسات ، وتحيط بالممرات والغرف قضبان مغلقة بأقفال متينة ، من خلالها لمحت المصنع الذى يعمل فيه السجناء » . **أما فى بكين فالسجن فى طرف حديقة ، والمشرفون لا يرتدون زيا رسميا ولا يحملون سلاحا ، ولهم فى الواقع وظائف رؤساء عمال فى الورش أو مدرسين** . وليس للسجناء لباس خاص ، فلا يميزهم شيء عن أولئك الموظفين . ولولا برج المراقبة لظن المرء انه فى مصنع عادى للنسيج . وتتناوب العمل فيه فرق ، بحيث يعمل « المذنب » تسع ساعات يوميا ، وينام ثمانى

ساعات ، ويتلقى الدروس فى ثلاث ساعات . تخصص اثنتان منها للمذهب السياسى . واذا أضفنا فترات تناول الطعام وقضاء حاجات النظافة ، لاحظنا أن السجناء فسحة من الوقت طويلة ، فضلا عن يوم الراحة الأسبوعى . ولديهم ملعب رياضى ، ومكتبة ومسرح يشهدون فيه العروض التمثيلية أو السينمائية ، وقد يقوم بالتمثيل نفر منهم .

ذلك هو السجن الوحيد فى بكين . نزلاؤه ١٨٠٠ — منهم ١٢٠ امرأة — ثلثاهم من المجرمين السياسيين والثلث من مجرمى القانون العام ، والنسبة عكسية بين النساء . وتتراوح مدد عقوباتهم بين ٣ و ١٠ سنوات . وقل من حكم عليهم بالسجن المؤبد . ويتولى الاشراف ١٥٠ موظفا .

والضرب والتهديد ، وأى لون من ألوان الاهانة محرم فى السجن . وعقاب المخالفين يتدرج من الزجر الى الحبس . وعلى العكس ، ينال الذين يحسن سلوكهم وعملهم ثناء وجوائز قد تصل الى ١٥٠ ينا (وهى وحدة العملة هناك) . وأحيانا تقصر مدة سجنهم . وفى أوقات فراغهم يستطيع السجناء شراء لوازمهم من محل صغير ، يلقى أيضا اقبال الموظفين ، ولكنه لا يبيعهم الثقاب والسجائر . ويؤمن مدير السجن بنفع « اعادة التربية » : **ويعتبر نزلاءه العاديين ضحايا جنى عليهم المجتمع القديم بالفقر والبطالة والفساد ، ويمكن اصلاحهم بتعليمهم حرفة .**

وللسجين عند اطلاق سراحه أن يبحث عن العمل الذى يروقه ، أو أن يلجأ لمكتب العمل ، أو أن يبقى فى ورش السجن بوصفه عاملا حرا ! .. وله فى هذه الحال أن يسكن فى المدينة ، أو فى الأبنية الادارية .



تقديم وترجمة: علي شلش

عزيزى القارىء :

قفز اسم الكاتب والشـاعر اليوغوسلافى المعـاصر ((**ايفو اندريتش**)) ، اخيرا ، الى مجال الأدب العالمى ، بعد أن فاز بجائزة نوبل للأدب فى العام المنصرم ١٩٦١ ..

و « أندريتش » - بهذا التكريم - يصبح ثانى أديب من الكتلة الشرقية ، يحظى بالجائزة العالميـة .. بعد المرحوم « بوريس باسترناك » ، الذى حدثتك عنه فى **العـدد (٨٠) من ((كتـابى))** ، والذى قدمت لك ((**مطبوعات كتابى**)) الترجمة الكاملة الأمينـة لأروع تحفه : ((**دكتور جيفاجو**)) .

ولقد كان فوز « أندريتش » خليقا بأن يلفت أنظارنا الى أدب يوغوسلافيـا والدول الاشتراكية .. **فان الاستعمار الذى كان جاثما على بلادنا ، لم يدخر وسعا فى حجب كثير من الثقافات عنا ، ليصبغ عقولنا بثقافته وحده ، متخذا من أسمى نواحى النشـاط الفكرى - واعنى الثقافة - رباطـا لاستبقائنا مشـدودين الى عجلتـه ..**

على أننا منذ تحررنا ، ومنذ ثورتنا المنطلقة ، اتجهنا الى ارتياد مجالى الآداب التى كانت محجوبة عنـا .. وها هو ذا فوز « أندريتش » بالجائزة العالميـة - عن روايته : « جسر على نهر درينا » - يمهـد لنا مناسبة صالحة لأن نقدم لك شـيئا عن « اندريتش » ، وقصـة تعتبر من روائعه ..

ايفو أندريتش

ولد ضعيفا معتل الصحة

● على ضفاف نهر من أخصب أنهار يوغوسلافيا ـ نهر درينا ـ ولد طفل لأسرة رقيقة الحال ، تمتهن الحرف وتشتغل بالتجارة ، قبل أن ينصرم العقد الأخير من القرن الماضى .. فان شئت مزيداً من الدقة ، فان الطفل ولد فى عام ١٨٩٣ ، بمدينة (ترافنيك) الصغيرة ، التى تشرف ـ من بعيد ـ على النهر الخصيب ، وتحتل مكانة لا بأس بها بين مدن اقليم (البوسنة) ، فى ذلك الحين .

ولم يكن ذلك الطفل سوى ((ايفو اندريتش)) .. وقد هبط الى الدنيا ضعيفا ، معتل الصحة ، يكاد عنقه النحيل أن يتمايل ـ كبرعم غض ـ كلما لامسه النسيم ! .. ويبدو أن ذلك قد غرس فى نفسه سوداوية المزاج ، وانطوائية النفس ، اللتين لازمتاه طوال عهد الصبا والشباب ، وأرقتاه فى عهد الكهولة والنضوج !

لكن الطفل الغض العود لم يكد يناهز ربيعه الثانى حتى دهمه القدر ، فاختطف منه أباه ، الذى كان قد شرع ـ كأى طفل ـ فى التعلق به .. وكان على أمه الشابة ـ التى ترملت وهى فى الحادية والعشرين من عمرها ـ أن تعالج المصيبة بعقل امرأة فى الأربعين . ولم يكن الأمر عسيرا أو مجهدا للأم الذكية ، التى ساندت زوجها ـ طوال فترة زواجهما ـ بحصافة وحكمة تفوقان سنها . اذ ما لبثت أن لجأت الى أقارب لها يقطنون مدينة (فيشيجراد) ـ وهى مدينة صغيرة تطل على نهر درينا ـ استجابة لالحاحهم !

انطوائية وتصوف .. منذ الصغر !

• **واستقرت** الأم هناك مع طفلها « ايفو » ، الذى لم يكن ـ بعد ـ قد ادرك وطأه الصدمة . لكنه قضى سنوات طفولته سجينا لاعتلال الصحة ، ورهافة الحس .. وهو يصور ذلك ـ فى مرحلة نضجه ـ بقوله : « لم أكن قد جاوزت عمى الرابع ، حين تراءى لى فى المنام قديس شاحب الوجه ، تجلله ازهور كأنه جثمان ميت .. **خف الى ، فهبط من اطار صورته المعلقة على الجدار ، وناولنى صليبه الذى لم يعد يتحمل ثقله .. » !**

وهذا الحلم الذى علق بمخيلة الطفل ، واستمر معه الى دور النضوج ، يكشف لنا عن تعلق « ايفو » الطفل بالوحدة والانطوائية ، اللتين وجهتا تفكيره وحسه فى مرحلة دقيقة من مراحل حياته . . **بل انهما ـ الوحدة والانطوائية ـ شكلتا مجرى حياته ، ودفعتا به الى طريق التصوف والتعلق بالفقه الدينى .**

وما ان بلغ الطفل سن الأهلية للتعليم ، حتى ألحقته أمه بالمدرسة الابتدائية .. فاظهر فيها نبوغا ، أهله للالتحاق بالمدرسة الثانوية ، وكانت ـ آنذاك ـ بمدينة (ساراييفو) .. ثالث مدن البوسنة واشهرها ..

وكانت فترة الدراسة الثانوية بمثابة بدء مرحلة هامة فى حياة الصبى الرقيق ، العزوف عن الضوضاء . **اذ شرعت موهبته الفنية فى التفتح ، مؤدية به ـ على صغره ـ الى طريق الشعر .** فكان يلتهم كل ما تقع عليه يداه من كتب ودواوين شعرية ، ثم يخلو الى نفسه ويفكر ، الى ان انصقلت الموهبة ، وتمكنت منه .. وهكذا بدأ « ايفو » حياته الأدبية شاعرا ،

رقيق الحس ، حزين النبرة ، تطل من شعره طاقة انسانية دفاقة .

وكان عليه ـ اذ أتم دراسته الثانوية بنجاح ـ أن يلتحق بالجامعة . لكن مرحلة دراسته الجامعية لم تقتصر على جامعة واحدة ، فقد درس بجامعات زغرب ، وفيينا ، وكراكوفينا ، وتخصص فى دراسة التاريخ واللغات السلافية ..

كيركجارد غذاء روحى فى السجن !

• وفى جامعة (فينا) ، أظهر « ايفو » ولعا غريبا بالتاريخ ، ودراسة أصونه ومراحله الثورية . وكانت أوربا وقتذاك ـ قبل الحرب الأولى ـ تغلى بالثورة على التيار الاستبدادى العنيف الذى أطلقه قيصر ألمانيا الطاغية ، مما جعل « ايفو » يسخر من الاستبداد والطغيان ، ويتعلق بالأفكار الثورية . **لكن السلطات النمساوية تنبهت له ، فاعتقلته فى يوليو ١٩١٤ بمدينة (سبليت) ، بتهمة الانتماء الى منظمة الشباب القومية الثورية .**

وكان السجن ـ أيضا ـ بمثابة بدء مرحلة أخرى فى حياة الشاب المتقد ، الذى يغلى بالثورة .. فقد قضى به عاما كاملا ، وانقطع عن دراسته ، ولم يكن أمامه سوى الاختيار بين الصمت أو العكوف على القراءة .. وتلك الطريق الأخيرة كانت ملجأه وملاذه . اذ انصرف بكل كيانه الى الكتب . ووجد نفسه ـ داخل السجن الكبير ـ سجينا ، من جديد ، لأفكار رائد الفلسفة الوجودية الحديثة .. « سورين كيركجارد » . اذ استهوته فلسفته ، فتعلق بها أيما تعلق ، حتى أن صديقا له كتب يقول بهذا الصدد : « كان كيركجارد

هو الوحيد الذى نجح ايفو فى التهـامه ابان فترة سجنه . وكان ـ طيلة الشهرين الأولين ـ غذاءنا الروحى الوحيد » !

وانقضى عام السجن ، وتلته رقابة اجبـارية فرضت على السجين انحائر بين وجودية كيركجارد وصوفية التفكير .. ثم صدر عفو عام عنه فى عام ١٩١٧ ، فعـاد الى الجامعة فى العام التالى ، وانكب على الدراسة بحماس حتى حصل على درجـة « الدكتوراه » من جامعـة (جراتز) النمساوية فى موضوع عنوانه : **« الحياة الفكرية فى البوسـنة والهرسـك ابان السيطرة العثمانية »** .

وبعد الحرب الأولى انخرط « ايفو اندريتش » فى السلك الديبلوماسى فقضى فيه مددا مختلفة ـ فيما بين الحربين ـ متنقلا بين عواصم مختلفة بأوربا ، الى أن عين وزيرا مفوضا ليوغوسلافيا فى برلين فى عام ١٩٤١ .

التاريخ محور أعماله

• **بدأ** « ايفو » حياته الأدبية مبكرا فى عام ١٩١٨ . وقد تأثر مجرى هذه الحياة بدراسته للتاريخ وتعلقـه به . ذلك لأن أكثر موضوعاته تدور حول البوسنه وتاريخها منذ الفتح العثمانى الى اليوم . **وفيها نجد تصويرا واقعيا لحياة القرى والسكان ، وتقاليدهم وأساطيرهم وعواطفهم .**

وهو لم ينس مدن البوسنة التى نشأ فيـها . فقد أولاها كل اهتمامه ، وجعلها محور كتاباته شـعرا ونثرا . بل ان روايته التى نال بها جائزة نوبل ـ **جسر على نهر درينا** ـ تعد وثيقة اجتماعية وتاريخية هامة لتاريخ هذه المنطقة ، بالاضافة الى روايتيه الأخريين : **«أخبار مدينة ترافنيك»** و**«الآنسة»** .. وقد ظهرت جميعا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

جسر يحكى قصة السخرة !

• **وتصور** « جسر على نهر درينا » ـ التى نالت أيضا اكبر جائزة أدبية فى يوغوسلافيا وجاوزت طبعاتها العشر ـ قصة جسر حجرى أقيم على نهر(درينا) بمدينة (فيشيجراد)، ليربط البوسنة بالصرب ، وهما اقليمان كانا تابعين للامبراطورية العثمانية فى ذلك الحين .

والجسر هو الشخصية الأولى فى القصة التى تعالج تاريخ تلك المناطق ، ابتداء من القرن السادس عشر الى وقت اشتعال الحرب الأولى فى عام ١٩١٤ . والجسر ـ الذى لا نظير لجماله ـ كما يقول المؤلف ـ بناء أثرى شيد فى عام ١٥١٧ ، وارتبط بناؤه بوحشية تصرفات الصدر الأعظم « محمد باشا سوكولوفتش » ، الذى فرض السخرة على سكان البلاد ، كى يقيم الجسر ..

ولقد ظهرت روايات « اندريتش » الثلاث فيما بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ ، فلفتت أنظار نقاد الأدب ومتذوقيه فى أوربا ، الذين أشادوا بموهبة المؤلف ، ودعوا الى نقل أعماله الى اللغات الأخرى ، كى يتذوق الناس أعمال أندريتش ، الدبلوماسى الهادىء . **ومن ثمة ظهرت مؤلفاته هذه فى ست وثلاثين طبعة ، فى ١٣ لغة أجنبية** . اما رائعته التى تحكى قصة الجسر ، فقد طبعت ـ منذ عام ١٩٥٣ ـ أربع طبعات فى ألمانيا ، وثلاثا فى روسيا ، واثنتين فى كل من لندن ونيويورك .

البحث عن المعانى فى التوافه عبث !

• و **« اندريتش »** كاتب متعمق ، دقيق التعبير ، ذو أسلوب حى تتدفق منه شاعرية وطلاوة ، وهو يهتم بالتاريخ فى أعماله القصصية ، فيوليه كل اعتبار ، ويفسر ذلك بقوله :

« بعد حيرة طويلة ، سببها لى ما كان يحدث من حولى ، أصبحت على يقين — فى آخر مرحلة من حياتى — من أنه من العبث وسوء الفهم أن أسعى وراء معنى لتوافه ما يدور حوالنا من أحداث وأمور .. **ان علينا — بدلا من ذلك — أن نبحث عن المعانى فى الطبقات التى كونتها القرون وغطت بها حفنة الأساطير والأحاجى العظيمة التى أنتجتها البشرية » !**

وهكذا ، فان « اندريتش » — الكاتب الجاد — لا يستمد ما يكتب من العبث الذى نادى به خلفاء « كيركجارد » فيما بعد ، وانما هو معنى أشد العناية بقضايا الحياة والناس ، يصوغها بأسلوب عذب ، خال من التكلف .. وهذا ما ستلمسه فى القصة التالية :

قصة جسر !

• **لم يكد** ينقضى العام الرابع على تولى « يوسف » منصب الصدر الأعظم ، حتى ارتكب حماقة ، تعرض بسببها — من حيث لا يتوقع — للنبذ وطرح الثقة به . ودام الصراع فى نفسه طيلة فصلى الشتاء والربيع .. وكان ربيعا قاسيا ، قارس البرودة ، عاق قدوم الصيف .

غير ان يوسف ما لبث — فى شهر مايو — أن تخلص من عقوبة الابعاد ، فخرج من المعركة منتصرا .. وهكذا مضى تيار حياته ، حافلا بالمجد برغم اطراده وهدوئه .. وان بقى فى نفس الصدر الأعظم — المزهو بالنصر — أثر من الضيق وانشغال البال ، منذ شهور الشتاء هذه ، التى لم يكن يفصل الحياة فيها عن الموت ، والقمة عن الحضيض ، سوى أقل من مفرق الشعر ! .. وكان ذلك الأثر شيئا خفيا لا يحس .. شيئا يعتبره المحنكون من الرجال — ممن عانوا الأهوال — كنزا

دفينا ، لا يبوحون بسره الا قسرا ، وعلى مضض .. وعندئذ يظهر البوح به فى نظرة ، أو حركة ، أو كلام !

فحينما كان الصدر الأعظم يعيش — كما يقال — فى المنفى ، وحيدا بلا رفيق ، تمتلىء نفسه خزيا وعارا ، **كانت ذكرياته عن أصله وبلدته العتيقة تتجسد أمام ناظريه ، ذلك لأن الفشل والألم يعودان بالذهن — دائما — الى الماضى ..** فتذكر والدته ووالده (وهما قد توفيا عندما كان مساعدا — رفيق الحال — لقائد خيالة السلطان. وقد أمر يومذاك ، بأن يوضع على قبريهما حجر تميزه شواهد بيض .) .. كما تذكر (البوسنة) ، ومسقط رأسه بقرية (زيبا) ، التى خرج منها فى التاسعة من عمره .

وكان يجد لذة فى أن يفكر — وهو على تلك الحال من الحزن والهم — فى ذلك الريف القصى ، والقرية المتناثرة الدور ، التى كانت تروى — بكل دار منها — أقاصيص ما أحرزه فى القسطنطينية من مجد وفلاح ، حيث لم يكن أحد يعرف — بل لم يكن أحد يحدس — الوجه الآخر لميدالية المجد ، أو الثمن الذى بذل لقاء تحقيق النجاح .

***

وفى صيف ذلك العام ، أتيحت له فرصة التحدث الي نفر من أهالى (البوسنة) . فكان يسألهم ، وهم يجيبون على كل ما يوجهه اليهم من أسئلة واستفسارات . وقيل له ان فى أعقاب ما شهدته المنطقة من ثورات وحروب ، حلت بها الضائقات ، والفاقة ، والجوع ، وكافة ألوان الأوبئة. **فما كان منه الا أن أصدر أوامره بانفاق مبالغ لابأس بها ، لمساعدة قومه الذين ظلوا يقطنون فى ((زيبا)) ، ولم يغادروها .** وفى ذات الوقت ، أصدر تعليمات تقضى بدراسة ماهم بحاجة

ماســة اليه فى مجال البنــاء والعمل .. كذلك علم أن أسرة «شيتكيتش» ظلت تمتلك اربعا من الدور ، وانها تعد أغنى أسرة بالقرية ، برغم ما ســاد القرية والريف المحيط بها من جدب واملاق .. وان المسجد قد تصــدع . ثم راح فريسة للنيران .. وان اربيع قد حط اليبس على كل شيء ، وجعله هشيما تذروه الرياح .. بل ان الأسوأ من ذلك كله ، أن نهر (زيبا) لم يعد عليه جسر ما !

وقرية (زيبا) تقع على مرتفع بالقــرب من مكان التقاء نهر (زيبا) بنهر (درينا) .. ولم تكن هنــاك طريقة للوصول الى مدينة (فيشيبجراد) سوىعبور نهر زيبا ، فهى تقععلى مبعدة خمسين ياردة من مصبه .. **وقــد اعتادت المياه أن تكتســح الجسر الذى يقــام عليه ، مهما يكن نوع الواحــه ودعائمــه .**
فاما أن تفيض مياه نهــر زيبا ، بسرعة وبلا توقع ــ كأى نهــر جبلى آخر ــ فيغرق الجسر . واما أن يتولى ذلك نهر (درينا) ، الذى تفيض مياهه فجأة ، فتطغى على نهر زيبا ، مما يسبب فيضانه ، ويجتــاح الجسر ، فيختفى ، ولا يبين له أثــر .. كأنه لم يكن !

وعندما يحل الشتاء مرة اخرى ، تغدو الواح الجسر الغارقة مجمدة زلقة ، بدرجة تلحق الأذى ــ فى الغالب ــ بكل انسان او حيوان ينزل الى النهر .. وهكــذا كان أى شــخص يقيم للقوم جسرا متينا صلبا ، يؤدى لهم أجل الخدمات .

وقام الصدر الأعظم باهداء ستة أبسطة للمسجد ، وقدم ما يكفى من المال لاقامة نافورة ذات ثلاث انابيب .. وفى ذات الوقت ، قرر أن يشيد جسرا .

***

وفى ذلك الحين ، كان بالقسطنطينية اســتاذ ايطالى فى فن العمارة ، قام بتشييد عدد من الجسور ــ بالقرب من المدينة

ـ فذاع اسمه وشهرته بين الناس . **ومن ثم اتفق معه امين خزانه الصدر الأعظم على تشييد الجسر ، فانتقل الرجل الى البوسنة برفقة اثنين من رجال البلاط .**

ووصلت البعثة الى (فيشيجراد) قبل ذوبان الجليد . واخذ اهالى المدينة يتتبعون بأنظارهم أستاذ العمارة ، الأشيب، المنحنى الظهر ، ذا الوجه الأحمر القانى الذى يفيض شبابا وحيوية ، بينما هو يفحص الجسر الحجرى الكبير ، ويطرقه باصابعه ، ويفتت الملاط (المونة) ويتذوقها بلسانه .. حتى اذا فرغ من ذلك ، انتقل الى مدينة (بونيا) ، فقضى بها أياماً ، الى ان وصلت أحجار جسر (فيشيجراد) اليها .. اذ استأجر في تلك الاثناء عمالا لتنظيف المحجر ، الذى كانت الاتربة قد كسته تماما ، ونمت فوق سطحها نباتات واعشاب . فراحوا يواصلون الحفر ، الى أن توصلوا الى شريان حجرى عريض عميق متين .. **ثم مضى الرجل داخل نهر درينا ، وبلغ عمقا يماثل عدق نهر زيبا ، كى يحدد المكان الذى تنقل عبره الأحجار .**

وما ان تم هذا ، حتى عاد أحد الرجلين اللذين بعث بهما الصدر الأعظم الى القسطنطينية ، ومعه حسابات المشروع وخرائطه .

اما أستاذ العمارة فقد تخلف ، وآثر أن ينتظر حتى يعود الرجل من مهمته . لكنه لم يشأ أن يقطن فى (فيشيجراد) ، أو فى مساكن الطائفة المسيحية المطلة على نهر (زيبا) ، وانما اقام لنفسه كوخا على مرتفع من الأرض ، فى المثلث القائم بين نهرى (درينا) و (زيبا) .. (وكان مبعوث الصدر الأعظم ، وكاتب فيشيجراد ، يقومان بمهمة الترجمة له)

واعتاد ان يطهو طعامه بنفسه ، وان يبتاع من الفلاحين البيض والقشدة والبصل والفاكهة المجففة . ويقال انه لم

يكن يبتـاع اللحم مطلقـا . وكان يقضى طيلة يومه مشـغولا بالتشييد والرسم ، وفحص كافة انواع الحجارة ، ودراسة مجرى نهر زيبا واتجاهه .

وفى تلك الاثناء ، عاد الموظف الآخـر من القسـطنطينية ، حاملا موافقة الصدر الأعظم على المشروع ، وثلث المال اللازم له . . فدارت عجلة العمل . ولم يكن بوسع الأهالى ان يخفوا عجبهم لهذا المشهد الغريب عليهم . ذلك لأن ما كان يشـيد امام انظـارهم ، لم يكن يمثـل لهم جسرا بأية حـال . فمن ناحيـة ، كانت العوارض الصنوبرية الضخمـة توضع عبر النهر بشكل متواز ، ويدخل بينها صفان من خشب الصنوبر . ثم تشد هذه الى تلك بوساطة اغصان الأشـجار المجدولة ، ويضاف اليها الطفل (الطين) لتقويتها . .

لكن ما أن تم انجاز هـذا العمل فى ذات يوم ، حتى برزت فوق الجبال سحابة على حين غرة . **وما هى الاسبوعات حتى هاج نهـر زيبـا ، وماج ، وفاضت ميـاهه . وفى ذات الليلة ارتفعت المياه ، فاخترقت السد الحديث البناء عند منتصفه** . . حتى اذا انبلج فجـر اليوم الثـانى ، كانت الميـاه قـد شرعت فى الانحسار ، لكن الضفيرة التى صنعت من الأغصان ، كانت قـد تهرأت تماما . أما خشب الصنوبر فقـد تهشم ، بينما تغير وضع العوارض الضخمة .

وشاع الهمس بين العمال والأهالى بأن نهـر (زيبا) يأبى أن يقام عليه جسر ، وأنه لن يدع احدا يقوم بذلك ! . . غـير أن أستاذ العمارة ما لبث ــ فى اليوم التالى ــ أن أصدر أمرا باحضار أخشاب جـديدة ، على أن تثبت ــ فى هـذه المرة ــ بشـكل أعمق وأمتن مما كانت عليه فى المرة الأولى . كما امر باصلاح شأن العوارض الباقية ، بحيث تعود الى استقامتها الأولى . وهكذا ضج حوض النهر الحجرى ــ مرة اخرى ــ

بأصوات فرقعة العوارض الخشبية ، وصيحات العمال ، وضربات أيديهم ، التى اتخذت شكلا ايقاعيا مموسقا (رتيبا) .

وما ان تم اصلاح ما أفسده النهر ، ووصلت الأحجار من (بنيا) ، حتى وصل المهندسون والبناءون الذين وفدوا من (هرزيجوفينا) و (دالماتيا) . وأقيمت لسكناهم أكواخ من الخشب ، أخذوا يعملون فى تكسير الأحجار أمامها وغدوا بيض كعمال الطواحين الذين يغطيهم الدقيق الأبيض .

وكان أستاذ العمارة يتجول بينهم ، وهو لاينفك يتفحص عملهم ، مستخدما فى ذلك مسطرة حديدية صفراء ، وميزانا أخضر اللون .

***

ولم تكد تنتهى مهمة تكسير الأحجار ، ومسحها ، وتثبيتها فى ضفتى النهر الصخريتين الوعرتين ، حتى نفد المال المعين للانفاق على المشروع . **فتفشى الشعور بالاستياء بين العمال ، وشرع الأهالى يتهامسون ، ويرددون ان بناء هذا الجسر عبث ، وأنه لاطائل يرجى منه . وردد البعض ــ ممن قدموا من القسطنطينية ــ أنهم سمعوا شائعات تتردد هناك قائلة ان الصدر الأعظم قد أقيل ، وان رجلا آخر حل محله !**

ولم يكن بوسع أحد ان ينقل للناس حقيقة ما حدث للرجل ، ولاسبب اختفاء أخباره ، وهل هو المرض ام هو الانشغال .. غير انه ما لبث أن عاد أكثر حصانة ، فقد تربع على دست منصبه منيعا شامخا ، غير ملتفت الى مايقال عن اغفاله ــ بل الغائه ــ للمشروعات العامة ، التى كان قد شرع فى تنفيذها بالقسطنطينية ذاتها !

وما هي الا أيام أخر ، حتى عاد مبعوث الصدر الأعظم ، ومعه بقية المال اللازم للمشروع ، فدارت عجلة العمل مرة اخرى .

وقبل أسبوعين من حلول عيد القديس ديمتريوس ، لاحظ الأهالى ، ممن كانوا يعبرون نهر (زيبا) بوساطة الجسر المقام من الألواح فوق المشروع الجديد ، أن هناك ــ للمرة الأولى ــ جدارا أبيض ناعم الملمس شيد من الحجر المنحوت ، واحيط بـ « السقالات » كأنها نسيج العنكبوت .. وهى « سقالات » نتأت من كلتا الضفتين ، وبرزت خارج الاحجار الاردوازية القاتمة ..

غير أن الصقيع ما لبث ــ حينذاك ــ أن حل بالمنطقة ، فتوقف دولاب العمل . **وعاد البناءون من حيث جاءوا ، كى يقضوا فصل الشتاء بين ذويهم . أما أستاذ العمارة فقد امضى شهور ذلك الفصل داخل كوخه الخشبى ، ولم يكن يغادره الا لماما** . وكان يقضى طيلة يومه مكبا على خرائطه وحساباته ولم يكن يغادر كوخه الا كى يطمئن على قاعدة الجسر .. وكان ذلك يحدث من حين لآخر !

وحين شرع الجليد فى الذوبان ــ قبل حلول الربيع ــ كان الأهالى يرون أستاذ العمارة ــ للحظات قصار ــ وهو يقوم بالتفتيش على «السقالات» والسدود ، بينما عيناه لاتستقران فى محجريهما . وأحيانا ، كان يقوم بالتفتيش ليلا ، فيمسك بيده شعلة تضىء له الطريق .

وعاد العمال قبل أن يحل عيد القديس جورج ، فاستأنفوا عملهم . وما لبث الجسر أن أقيم فى منتصف الصيف تماما . وقام العمال ــ والغبطة تغمرهم ــ بانزال « السقالات » ..

فبدا ــ من خلف العوارض والألواح الخشبية ــ جسر أبيض رشيق ، ذو قوس واحد ، يصل المسافة بين الضفتين ، المتين دعمتا باحجار الجرانيت .

ولم يكن هناك ثمة ما يعلو على مدارك الأهالى سوى ذلك البناء العجيب ، المقام فى هذه المنطقة البائسة المنعزلة . فقد بدا للعيان كما لوكانت الضفتان قد تقاذفتا بدفقات مائية متحجرة ، وتقابلتا فكونتا قوسا استقر معلقا فوق هوة من تحته ، وكان بوسع المرء أن يرى ــ على أبعد مدى يقع عليه البصر ــ شريطا صغيرا ممتدا من مياه نهر درينا الزرقاء ، يحتويه انقوس بداخله . بينما يبدو تحته نهر (زيبا) ذو الماضى الحافل ، الذى روضته يد الانسان ، وقيدت من حريته .

على أن أنظار الأهالى لم تكن تستطيع ــ لمدة طويلة ــ ان تألف خط ذلك القوس الرشيق ، ذى النسب الموزعة باتقان ، **والذى بدا كما لو كان شيخا أشيب ذا خية ، كل همه أن يهجع لحظة وسط هذه الصحراء الصخرية الوعرة ، التى تلفها الكآبة ،** ليعاود سفره السريع ، فى أول فرصة تسنح له ، ثم يختفى !

***

واقبل الأهالى من القرى المجاورة زرافات ووحدانا ، كى يتمتعوا بمشاهدة الجسر . كما وفد أهالى مدينتى فيشنيجراد وروجاتيتسا لمشاهدته والاعجاب به . لكنهم كانوا يغارون عليه من وجوده فى تيه حجرى كهذا ، ويودون لو تمتعت به هذه او تلك من المدن التى يقطنون بها !.. وكان أهالى (زيبا) ــ كلما مروا بالجسر ــ يتحسسون حاجزه ، ويطرقون عليه بايديهم ، وهم يختبرون صلابته ، ثم يقولون : «حقا ، ان هذا

العمل جـديـر بأن يخلق صدرا أعظم ! » .. وكان الحاجـز مستقيما ، ذا أطراف حادة مسنونة ، كما لو كان قد نحت من الجبن ، وليس من الحجر !

وفى الوقت الذى شرع فيه أول فوج من المسافرين فى عبور الجسر ـ وقد عقدت الدهشة السنتهم ـ قام أستاذ العمارة بتسديد أجور رجاله ، واعداد وحزم حقائب أدواته وأوراقه، ميمما وجهه شطر القسطنطينية ، مع مبعوثى الصدر الأعظم ..

وما لبثت سيرة الرجل ان طافت على السنة الناس فى القرية والمدينة على السواء .. واعتاد « سليم » ، وهو فتى غجرى ، عاون الرجل فى نقل حاجياته من فيشيجراد مستعينا بفرسه الصغيرة ، أن يجلس فى المقهى بعد رحيل الرجل ، وان يحكى للناس ـ وكثيرا ما كان يحكى ـ كل ما يعرفه عن الرجل الغريب ، باعتباره الوحيد فى المنطقة الذى كان يتردد على الكوخ الخشبى .

قال سليم : « الحق انه ليس رجلا عاديا ، كغيره من الرجال . لقد انقطعت عن التردد عليه بالكوخ قرابة اسبوعين عندما توقف العمل ابان فصل الشتاء . لكن ما ان عدت الى ذلك ، حتى القيت كل شىء بالكوخ فى حالة من الاختلاط والفوضى ، لا تختلف ـ فى قليل أو كثير ـ عما كان عليه فى آخر زيارة لى . فقد كان الرجل جالسا ـ داخل الكوخ الغارق فى الصقيع ـ وعلى رأسه قبعة من جلد الدب ، وقد لف نفسه تماما بالملابس والأغطية ، التى لم يكن يظهر منها سوى يديه المزرقتين بفعل البرد . **بينما هو يفتت قطعة من الحجر ، ثم يدون شيئا على الورق ، وعندئذ يعاود الكرة فيفتت قطعة أخرى ، ويدون مزيدا من الملاحظات .**

« وفتحت الباب ، فنظر الى بعينيه الخضراوين ، بينما حاجباه منتصبان كشوكتين ، حتى ليخيل اليك انه يبغى

التهامك . بل لم تبد منه كلمة او همسة .. لقد كان مشهدا فريدا . لم تقع عيناى ــ قط ــ على مثيل له .

« ولعلكم لن تصدقوا ، أيها الفتية ، ماعاناه الرجل ، وكيف ركب الصعب ، وأرهق نفسه فى سبيل هذا المشروع طوال هاتيك الشهور الثمانية عشر ، حتى انتهى منه وانجز ما وكل اليه ، وعندئذ رافقناه فى أزورق ، ثم مضى يركض على ظهر هذه الفرس الماثلة أمامكم » .

وعندئذ سأله أهل المدينة ــ باهتمام متزايد ــ عن أستاذ العمارة ، وعن حياته التى عاشها بينهم ، وكلما سمعوا ما كان يقصه عليهم «سليم» ازداد عجبهم ، وأخذوا ينحون على انفسهم باللائمة ، لأنهم لم يعيروه كثير اهتمام ، عندما كانوا يشاهدونه فى شوارع فيشيجراد ودروبها !

***

وفى تلك الأثناء كان أستاذ العمارة ممتطيا صهوة جواد ، عائدا فى الطريق الى القسطنطينية .. لكنه ما أن غدا على مسيرة ليلتين منها ، حتى وقع فريسة لمرض الطاعون . ووصل الى المدينة فى حال يرثى لها ، وهو يعانى حمى شديدة ، ولا يكاد أن يحفظ توازنه . **ومن ثمة مضى من فوره الى مستشفى لطائفة الايطاليين الفرنشيسكان ، لكنه ما لبث فى ذات الساعة من اليوم التالى ، أن لفظ آخر أنفاسه !**

ونقل النبأ فى صباح اليوم التالى الى الصدر الأعظم ، كما حمل اليه ما تبقى من حسابات الجسر ورسومه . وكان أستاذ العمارة المتوفى قد تسلم ربع أجره فقط ، لكنه لم يخلف وراءه ديونا ، أو مالا بسائلا ، لا ولم يخلف ــ أيضا ــ وصية أو وريثا ..

وقام الصدر الأعظم بدراسة الموضوع من كافة زواياه ،

فقرر ان يسدد للمستشفى ثلث المبلغ المستحق للرجل ،اما ثلثاه الآخران فقد خصصهما للانفاق على الأيتام ..

ولم يكد الصدر الأعظم يصدر تعليمانه فى هذا الشأن ، حتى فوجىء ، ذات صباح — فى أواخر الصيف — بملتمس رفعه اليه شاب متعلم يقوم بتحفيظ القرآن ، وينحدر من اسرة تعيش بالبوسنة ، بالاضافة الى موهبته فى قرض الشعر .. وكان الصدر الأعظم يتولاه — من حين لآخر — بالرعاية والعون . وكان المدرس قد بلغه — كما جاء برسالته — نبأ الجسر الذى قام الصدرالأعظم بتشييده فى البوسنة ، **ومن ثمة فقد رجا أن تثبت فى الجسر —كغيره من المرافق العامة — لوحة منقوشة ، عليها بيان بالزمن الذى شيد فيه ، واسم المهندس الذى أشرف على اقامته.** كما أظهر —كعادته دائما— استعداده لتقديم الخدمات للصدر الأعظم ، ورجا أن يحظى بشرف رفع نص اللوحة اليه ، عسى أن يجد قبولا لديه .. وهو نص بذل فى تاليفه عناية وجهدا كبيرين ، وكان مرفقا بالرسالة ، ومدونا بخط جميل ، على صفحة من الورق أكثر سمكا من زميلتها ، ومذيلا بتوقيع بالأحرفالأولى نقش باللون الأحمر والذهب :

« لما تكاتفت الموهبة الفذة
« وسارت يدا بيد مع الادارة الحازمة المذهلة ،
« ولد هذا الجسر ، كى يدخل البهجة والمسرة ،
« على قلوب رجال يوسف — الصدر الأعظم .
« وكى يثير اعجاب البشرية قاطبة » .

وذيلت هذه الأبيات بخاتم الصدر الأعظم ، الذى اتخذ شكلا بيضاويا ، وقسم الى قسمين غير متساويين ، نقشت على أكبرهما العبارة التالية : « **يوسف ابراهيم : خادم الله**

المخلص » . أما القسم الاصفر ، فقد نقش عليه شعاره الخاص « **فى السكون السلامة** » .

وقضى الصدر الأعظم فترة طويلة فى دراسة هذا الملتمس، وهو بسط يديه ، بحيث انعقدت احدى راحتيه على الشعر المنقوش، بينما استقرت الأخرى على رسوم الجسر وتقديرات تكاليفه . وكان قد فرغ من دراسة ما رفع اليه من ملتمسات واوراق رسمية .

***

وفى هذا الصيف ، كان قد مر عامان على سقوطه واقصائه عن رتبته . **وعند عودته الى منصبه ، لاحظ ـ أول ما لاحظ ـ انه لم يتغير فى كثير أو قليل عما كان عليه من قبل** . فقد كان فى تلك السن ـ سن النضوج ـ التى يدرك فيها المرء معنى الحياة ، ويحس فيها بقيمتها الكاملة : فهو قد قهر خصومه، وارتقى فى سلم المجد والعظمة درجة لم يبلغها من قبل ، فقد سهل عليه ان يقيس ما وصل اليه ، بما انحدر اليه فى سقوطه الطارىء . لكنه كان لا يلبث ـ مع ذلك ـ أن ينجح احيانا فى نبذ شواغله ، تاركا نفسه مطية للأحلام دون ادنى مقاومة . فقد أصبح ، منذ عهد قريب ، يحلم ـ ليلا ـ بالسجن . واثقلت مخيلته تلك الأحلام الشبيهة بالرعب الخفى، واصبحت تلصق بها ، وتطفو أثناء النهار فتنفث فيه السم .

وغدا الرجل اشد حساسية لما يحيط به من أشياء وأمور . وما لبثت أمور معينة ـ لم يكن قد عنى بها من قبل ـ أن شرعت فى ازعاجه وتكديره. فقد أصدر أمرا برفع كل ما كان بالقصر من مخمل ، وابداله بقماش براق ، ناعم ، لين، يصدر حفيفا عند لمسه . كما كره رؤية الأصداف ، احساسا منه بأنها توحى بتيه بارد موحش ، وتذكره بالعزلة التى يعيش

فيها . وكانت اسنانه تصطك ، وبدنه يقشعر ، وبشرته تتجمد لمجرد لمس الأصداف أو رؤيتها . . ومن ثمه استبعدت من محل اقامته كافة قطع الأثاث والأسلحة المطعمة بالصدف !

وتمكن منه هذا الوسواس الخبيث ، وسيطر عليه . . ولم يكن هناك من يستطيع أن يطمئن اليه ؛ بله أن يفضى اليه بوسواسه ، وان يأتمنه عليه . . فلما أتم الوسواس مهمته فى النهاية ، وتكشف أمره ، بقى سره خافيا على الناس ، ففسروه ببساطة ، وقالوا انه : « الموت » ! . . ذلك لأنه لم يكن لديهم أدنى شك فى أن كثيرا من عظماء هذا العالم واصحاب النفوذ فيه يفضون نحبهم فى صمت . دون أن يشعر بهم احد ، ودون أن يدرك أحد . . بل ان ذلك يتم بشكل خاطف .

وبدأ الصدر الأعظم ينظر الى الأمور بريبه مستترة ، لكنها متأصلة عميقة الجذور . . وبشكل ما ، رسخ فى ذهنه ان **كل فعل يأتى به الانسان ، وكل كلمة ينفوه بها ، من الممكن ان تؤدى به الى الشر** . وبدا له هذا الاحتمال داخلا فى تكوين كل ما يسمع ، أو يقول ، أو يفكر . . فشرع — برغم ما حققه من ظفر — يخشى الحياة ويخاف منها . وهكذا وجد — دون ريبة — الحاله التى تمثل أولى مراحل الموت ، حيث يبدأ المرء فى التعلق — بشكل أشد — بالظل الذى تلقيه الأشياء ، غير مهتم بمادتها وجوهرها .

***

وفى ذلك الصباح ، عاودت الصدر الأعظم حالة التعب والارهاق التى سببها له الأرق ، لكنه كان هادئا ، مستجمعا لقواه . . جفناه ثقيلان مسبلان ، ووجهه كأنما جمدته طراوة الصباح . واخذ يفكر فى أستاذ العمارة الأجنبى المتوفى ، والأيتام الذين تعولهم ايراداته وأمواله المستحقة له . كما

فكر فى منطقة البوسنة القصية ، الموحشة ، الكثيرة الجبال والمرتفعات (وما كان بوسعه قط ان يرى فيها شيئا غير الوحشة) التى لم يكن الدين الاسلامى قد نجح فى تنويرها تماما،والتى كانت الحياة فيها مفتقرة الى التحضر والتهذيب .. حياة بهيمية ، شاقة . وراح يسأل نفسه : **كم فى عالم الله هذا من المناطق المماثلة ؟ .. وكم من جداول الأنهار الفوارة المائجة بلا جسر أو مخاضة تيسر عبورها ؟.. وكم من المواقع التى تعيش بلا ماء للشرب ، وكم من المساجد بلا زخرفة أو جمال ؟**

لقد انحصرت أفكاره فيما حفل به العالم من بؤس ، وفقر ، وخوف متعدد الألوان .

واذ كانت الشمس تسطع فوق ذرى البيت الصيفى الصغير ، الذى أقام به الصدر الأعظم ، نظر الرجل الى أبيات الشعر التى نظمها المدرس ، والتى نقشت على الحجر : وأخذ يتأملها ، ثم رفع يده ببطء ، وأعمل فيها الشطب مرتين . ولم يعد باقيا من النقش الا أقله ، لكن هذا القليل مالبث أن قل ، حين قام الصدر الأعظم بكشط نصف الخاتم الذى يحمل اسمه . ومن ثمة لم يبق سوى الشعار : « **فى السكون السلامة** » ..

ولبث — بعض الوقت — يتأمل الشعار ، ثم رفع يده مرة أخرى ، وعندئذ كشط ما بقى من الشعار .. وهكذا قام . ان يحمل اسما او نقشا !

وها هوذا الجسر مقام فى (البوسنة) ، حيث يلمع تحت أشعة الشمس ، ويتلألأ فى ضوء القمر ، بينما هو يحمل — على ظهره — الناس والحيوانات على السواء . وما لبثت حلقة المواد الطينية المختلطة والأشياء المنثورة المهملة — التى تحيط بكل بناء جديد عادة — أن أخذت فى الاختفاء رويدا

رويدا. فقد ساهم الأهالى مع الميّاه فى رفع الكتل الصنوبرية المهشمة ، والأجزاء المتبقية من « السقالات » ، وبقية مهمات البناء ، كما قامت الامطار بازالة آخر آثار العمل الذى دام فصولا من العام .

لكن الريف لم يكن ـ الى ذلك الحين ـ يستطيع ان يألف الجسر اويهواه . وكذلك كانت الحال مع الجسر ذاته ! ..
وكان قوسه الابيض الواضح ، يظهر دائما ـ عند النظر اليه من جانبه ـ منعزلا ، وحيدا ، مما أدخل الروع فى نفوس المسافرين ، كأنه خيال أو فكرة غريبة ضلت طريقها ، ثم اسرتها الصخور فى هذا التيه !

***

كان راوى هذه القصة أول من فكر فى التنقيب عن أصول الجسر وشجرة نسبه. فذات مساء ، كان عائدا من رحلة فى الجبال ، واضطره التعب والارهاق الى الجلوس على حاجز الجسر .. حدث ذلك خلال فصل صيف حار نهارا ، وبارد ليلا .

فلما استند بجسمه الى البناء الحجرى ، لاحظ أنه كان محتفظا بالدفء الذى خلفته له حرارة النهار وكان الراوى ينضح عرقا ، بينما ريح باردة تهب من نهر (درينا) .

وسرى الاحساس بالحجر المنحوت المشبع بالدفء فى نفس الرجل مسرى لذيذا غريبا ، فكان أن انعقدت صلة تعاطف بينه وبين الجسر ..

وهكذا صمم الرجل ـ فى النهاية ـ على أن يكتب قصته !


كتب جديدة
من الغرب والشرق
عرض لأحدث الكتب
أخبار الحركة الأدبية في العالم

هل للانسان مستقبل ؟

• ((**برتراند رسل**)) ، اللورد الذى دخل السجن من اجل ايمانه بأن اللعب بالاسلحة الذرية والنووية يجب ان يقف ، اذا اريد للانسان البقاء ..

« برتراند رسل » المفكر والفيلسوف العالمى ، دفع الى السوق أخيرا بكتاب جديد ، وانتهج فى نشره طريقة مبتكرة .. فقد عهد به الى شركة للنشر تصدر طبعات رخيصة ، فى متناول الجميع .. ونظريته فى هذا ، تتمثل فى ان « من أشق الامور فى الدنيا ، ان تحمل الشعوب على ان تهتم وتعنى بأمر ذى اهمية حيوية » .. **فالناس قد يدركون هذا الامر ، ويلمسونه فى حياتهم اليومية ، ولكنهم يؤثرون ان يتناسوه ولا يذكروه .. ومن ثم أصر ((رسل)) على ان يذكرهم به !**

والامر الذى يعنيه « رسل » هو .. « مستقبل الجنس البشرى » .. والكتاب الذى عمد الى اصداره فى طبعة رخيصة ، ليكون فى متناول الجميع ، هو : ((**هل للانسان مستقبل ؟**))

البشر فى مرحلة الطفولة

• وفى كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ، وبين سطوره جميعا ، يلمس القارىء اهتماما صادقا ، مطردا بالجنس البشرى ، ورغبة مخلصة ، دائبة ، من اجل بقائه . فان « رسل » يرى ان الجنس البشرى ، اذا تركه جيلنا ــ اللاعب بالذرة والنواة ــ يعيش ، فان احتمالات البقاء أمامه ، توحى بأن **فى وسع البشر ان يعمروا الارض زمنا أطول من كل الازمان ــ التى انقضت منذ بدء الخليقة ــ بمئات المرات .. ان**

امامهم انتصارات روحية وعقلية ، تجعل كل ما انقضى من عمر البشرية ، مجرد .. مرحلة طفولة !

ويابى « رسل » على العلماء أن يكونوا مخلب القط الذى يستغله رجال السياسة لافناء البشرية والارض بأسرها . ومن ثم فهو يدافع عن العلماء ، مؤكدا انهم اعربوا عن استنكارهم — منذ تفجير اول قنبلة ذرية — وبينوا للحكومات ما لأية حرب ذرية من عواقب وخيمة ، وأهابوا برجال الحكم والسياسة ، ان يعملوا على تحريم الاسلحة الذرية ، وتحريم الحرب ذاتها .

مسئولية الشعوب عن بقاء البشرية

● **واذا** كانت ثمة مسئوليات — فى هذا الصدد — فان « رسل » يلقيها على مواطنى الحكومات التى تمتلك اسلحة ذرية . و .. **((اذا كان الشعب الألمانى يحمل قسطا من مسئولية ما ارتكب ((هتلر)) ، فان كل مواطن فى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفييتى، يحمل قسطا من مسئولية الخطر الذى يهدد بقاء الجنس البشرى)) !**

وكتاب « هل للانسان مستقبل » من أثمن الجهود التى تقدم للناس لاطلاعهم على ضخامة الأخطار الناشئة عن التمادى فى العبث بالذرة من أجل المطامع السياسية . ويرى « رسل » — على ضوء الدراسة العميقة لنفسية الجنس البشرى — ان ثمة ما يدعو الى التفاؤل .. فاتجاه الجنس البشرى الى الحروب، ليس سوى بقية مترسبة فى نفسه من العصور التى كان على الانسان فيها أن يحارب الوحوش من أجل البقاء .

والأثر النفسى الذى خلفته هذه العادة ، ادى الى ان يقتل الانسان أخاه فى الحروب . ولكن الدراسة النفسية تدل على أن **الانسان قادر على أن يتخلص من أية عادة — مهما تكن**

متغلغلة فى نفسه ـ اذا أوتى الارادة • وخليق بالجيل الذى نعيش فيه ، ان يستمد الارادة من ادراك الآثار المدمرة للحرب النووية .. والى ان يتسنى اقامة حكومة عالمية تجعل الحرب مستحيلة ، يجب على الانسان ـ فى جيلنا ـ أن يضطلع بمسئولية تفادى أى تغيير فى ميزان القوى الحالى .

فى ذكرى تولستوى

• **لست** اعرف كاتبا حظى بنصيب وافر من الكتب التى تتناول سيرته ، قدر ما حظى « **تولستوى** » ، الكاتب والفيلسوف الروسى العملاق . فقد كتب هو عن نفسه فى حياته ، وتناول أفراد من اسرته ، ومن أصدقائه ، بل ومن بعض خدمه ، سيرته بعد مماته .

ومع ذلك ، فقد ظل هناك مجال للكتابة عنه !

والكتاب الجديد : « **فى ذكرى تولستوى** » ، من تاليف اكبر ابنائه : « **سيرجى تولستوى** » . ولقد مات « سيرجى » فى روسيا ، فى سنة ١٩٤٧ . ومن ثم فالكتاب يعتبر ـ الى حد ما ـ قديما . ولكنه ـ مع ذلك ـ حديث !.. ذلك لأنه منذ وجد بين الأوراق التى خلفها « سيرجى » ، لم ينشر الا باللغة الروسية ، حتى وقعت عليه أخيرا « مويرا بدبيرج » ، فترجمته الى الانجليزية .

تولستوى الأب .. والزوج

• **والكتاب** ذو ثلاثة أقسام : أولها يشمل السنوات بين مولد « تولستوى » ـ فى سنة ١٨٦٣ ـ ورحيله عن مسقط رأسه ، فى باكورة شبابه .. **والثانى يرسم صورة مفصلة لأيام « تولستوى » الأخيرة ، بما فيها من مآسى محزنة ،**

واحداث مضحكة .. اما الثالث ، فيضم صورا طريفة لبعض اصدقاء « تولستوى » .

ومن خلال هــذا كله ، نخرج بأن « تولستوى » كان أبــا
مما يتصــوره المرء من كل ما كتب عنــه من قبل ..
كان يحاول ان يملي ارادته على أولاده ؛ مستغلا
حتى انه سعى كثيرا الى أن يرد « سيرجى »
مية .. **الا انه كان ــ على الأقل ــ على**
كان يجادلهم ، ويستمع اليهم .. وكان
يقر ــ احيانا ــ بخطاه !

اما عن حياته الزوجية ، فلا نكاد نخرج من كتاب «سيرجى» بجديد فوق ما كتب من قبل ، اللهم الا صورة تميــل الى انصاف زوجة الاديب الخالد . فلقد طالما ظلمت الكتب هذه السيدة ، ولكن الذى يحلل شخصية « تولستوى » ، لا يملك الا ان يرى انه كان من كبار المعجبين بأنفسهم ، من مشاهير التاريخ .. **وكان مفرطا فى الاعتــداد بآرائه ومشاعره ، الى درجة تقربه من الانانية والاستبداد .**

ومهما تكن نقائص الكونتــة تولستوى ، فان المرء لا يكاد يتصــور كيف استطاعت أن تحتفــظ بكرامتها واحترامهــا الذاتى ؛ فى حياة كتلك التى عاشــتها مع « تولستوى » !.. بيد أن هذا لا ينال من مكانة الفيلسوف الروسي الأشــهر ، اذ يبقى انه لم يكن يبغى اى اضرار على الاطــلاق ، وأنه كان فى كل تصرفاته ــ حتى تلك التى أحالت حياته وحياة زوجته الى جحيم ــ يصدر عن رغبة فى الخير !



أحاديث للمعلمين والمتعلمين
تأليف: وليام جيمس
ترجمة وتقديم: الدكتور محمد علي العريان
الثمن: ٥٥ قرشا
الناشر: مكتبة عالم الكتب
تقدم
لقراء العالم العربي أحدث مطبوعاتها
حتى يحضر الطبيب
الموجز في الإسعافات الأولية
الثمن: ٢٥ قرشا
الناشر: مكتبة نهضة مصر


كتابي
حلمي مراد
عباقرة الانسانية .. فى حياتهم الخاصة
غرام شاذ .. فى حياة فولتير

كتابي

السلسلة العربية لتلخيص الكتب العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد



الكتاب السابع والتسعون

الاشتراكات والاعداد السابقة : التفصيلات صفحة ١٧٤
الرسائل والمكاتبات : ١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة •
التوزيع والاعلانات : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ، بالقاهرة •
تليفون الادارة والتحرير : ٤٦٤٧٥ ـ ٥٩٥٥٦

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

محتويات الكتاب

اغـــلال الحب !

عزيزى القارىء ••

من أين أبدأ حديثى اليك ؟

عندما شرعت فى كتابة هذه السطور ، وجدتنى أسائل نفسى حائرا : ماذا أكتب اليك ؟

* هل أحدثك عن أشجان الوطن ؟

لكن صيحة الرئيس البناءة فى حديثه التـــاريخى الى الشعب مساء ٩ يونيو الماضى عاودتنى مدويه ، حافلة بالمعانى: « ليست هذه ساعة للحزن ، وانما هى ساعه للعمل •• »

والعمل ، فيما عنـــاه الرئيس ، يعنى عمـــل كل فى ميدانه ، وفى حقل تخصصه الذى يتقنه •• ولا يعنى التعليق والثرثرة حول الاحداث ، « باستراتيجيه النوادى ، والمقاهى، ومقالات الصحف » !

* أم أحدثك عن أشجان « كتابى » ، ولماذا توقف فترة من الوقت ، وما هى العوامل التى حجبته عن قرائه حينا ؟

ولا هذا أيضا •• فمتاعب « كتابى » ــ أو متاعبى التى حجبته عنك ــ ينبغى ألا تعنيك ، الا بقدر ما قد يكون لك من يد فيها أو نصيب ، وهو أمر ليس له من الصحة أى نصيب • بل ان العكس هو الصحيح ، فلقـــد كنت دائما ســـباقا الى الاقبـــال عليه ، منـــذ وافاك عدده الاول ، حتى تركك عدده السادس والتسعين فجأة ، بغير وداع ، فما كان فى ظنه أن يتركك ، وأنت لم تقصر فى حقـــه يوما أو تضن عليه بودك ورضاك •• بل لعـــله تركك وعدد قرائه يفوق عددهم يوم عرفك فى عدده الاول •• أضعافا !

اذن ، ليس المجال مجال أشجان ، ومتاعب .. وانما حسبك من كتابى أن يعود اليوم ، موفور الاشواق اليك ..

لن أجيب على تساؤل جدلى قد يفرض نفسه فى هذا الصدد : لماذا يعود ؟.. لان الطبيعى أن يبقى العمل الناجح والنافع ، ويدوم .. والاستثناء كان أن يتوقف ، وهو فى عنفوان نجاحه ، وقوته ..

« وأما الزبد فيذهب جفاء .. وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض . »

* **واذن** ، فحسبك أن يعود « كتابى » فيلقاك ، لقاء المحبين الاوفياء ، لا لقاء الغرباء .. يعود أوفر ما يكون صحة، ونضارة ، وشبابا .. يعود ليواصل رسالته فى خدمة الكلمة، والحق ، والعدل ، والخير ، والجمال ..

يعود فى نفس ثوبه القديم ، الذى تركك وهو يرتديه ، قبل أن يغيب ..

يعود عودة « الابن الضال » ، الذى افتقدك ، وافتقدته .. فلم يجد عنك عوضا ، ولا وجدت له بديلا ..

يعود عودة من أفاق من نوم — من حلم ، أو على الاصح من كابوس — ليستأنف فى غده ، نشاطه بالامس ..

قل انها كانت فترة راحة ، أو استراحه .. محطة تخللت الطريق .. بعد جهد شاق من الكتابة المتواصلة استمر اثنى عشر عاما بلا انقطاع ، فى كتابى (١٩٥٢ — ١٩٦٤) .. ومثلها — أو يزيد — قبل كتابى ، فى غيره من الصحف والمجلات ..

.. أو فلتقل انها كانت فترة تزود بزاد جديد من القراءة النهمة .. من المطالعات ، والدراسات ، تعين على مواصلة السير ..

•• فترة استمتاع بالقراءة الصرفه ، المجردة ••
القراءة لمتعة القراءة ، لا بغرض الكتابه •• الاخذ بغير عطاء ••
الارتواء بغير افراز من عرق •• أو دموع !

* **ولكن** ، أحقا ؟

أحقا أن الفراق ـ فراقى عن القلم •• عن كتابى ••
عنك ـ كان سعيدا ؟

•• أم انه كان ـ على العكس ـ فراقا موجعا ، قاسيا ، مريرا •• فراق الزوجين المتحابين ، يندس بينهما الملل ، فيختلفان ، ويزهدان فى العيش المشترك ، ويحنان الى الطلاق ، والانطلاق ، والحرية •• فاذا ما انفصلا زمنا ، عاودهما الحنين •• الى المتاعب •• الى أغلال الحب !؟

أغلب ظنى أن الفراق كان ـ من ناحيتى ـ كذلك ••
وأرجو أن يكون من ناحيتك ، بالمثل ••
•• أن تكون افتقدتنى •• كما افتقدتك •
•• وأن يكون لقاء ، لا طلاق بعده •
والله ولى التوفيق

حلمى مراد


يوميات
المحرر

رد على رواية ((الخـــروج))

احاول الحصول على نسخة من كتاب بالانجليزية أصـــدره متخصص عربى ــ فى (سان فرانسسكو) ــ عن قضـــية فلسطين ، وأخطاء السياسة الامريكيـــة فى منطقة الشرق الاوسط . وكنت قد قرأت أنباء عنه وتعليقات بصدده ، مع صور للمؤلف ، فى كثير من صحف الخارج ــ قبل العدوان ــ ولكنى لم أعثر على نسخة منه فى مكتباتنا ، كما لا أذكر أننى قرأت عرضا له ، أو حتى خبرا عنه فى صحفنا .. وبالتالى ، أكون مغاليا فى التفاؤل اذا طمعت فى أن تكون قد صدرت ترجمة عربيه له .

والمؤلف هو الدكتور محمد مهدى ، المدير السابق لمكتب الاعلام العربى فى سان فرانسسكو ، والذى استقال من منصبه التابع لجامعة الدول العربية ، كى « ينزل الى الشارع » فيقوم بالدعاية للقضية العربية ويهاجم الصهيونية بطريقته وعقليته الخاصه ، متحررا من القيود الدبلوماسيه التى يفرضها عليه منصبه الرسمى . وهو يعمل فى الوقت ذاته أستاذا مساعدا لدراسات الشرق الاوسط فى أكاديمية الدراسات الآسيوية بسان فرانسسكو . وقد ولد الدكتور مهدى فى العراق ،وتلقى تعليمه العـــالى فى « مدرسة التجارة » ببغداد ، ثم أوفد فى بعثة من الحكومة العراقية ليواصـــل دراسته العليـــا فى الولايات المتحدة الامريكيه ، وهناك حصل على درجه الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة كاليفورنيا (وله شقيق حصل على الدكتوراه فى الرياضيات من جامعة لندن) . وقد نشرت


الدكتور محمد مهدى

له أبحاث كثيرة حول مشكلات العالم العربى ـ السياسية، والاقتصادية ، والاجتماعية ـ فى صحف بغـــداد ، ودمشق ، وبيروت ٠٠ كما نشرت له فى الصـــحف الامريكيـة أبحاث ومقـالات وتعليقات شتى ، بالاضافة الى دراســات ونشرات عن نظم الحكم، والحكومة المقارنة ٠٠ الخ ٠

والكتاب الذى أصدره الدكتور محمد مهـدى بالانجليزية تحت عنوان « شعب من الســـباع ٠٠ المكبلة بالاغلال » (A NATION OF LIONS...CHAINED) والذى منحه مجلس ادارة جمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية (جائزة فلســـطين) عقب صدوره ، هو محاولة عربية مشكورة للرد على رواية «الخروج» الصهيونية التى سمم بها مؤلفها « ليون أوريس » أذهان الرأى العام العالمى بصدد حقيقة القضية الفلسطينية ، سيما وقـد ترجمت الرواية المذكورة الى اللغات الاوربية المختلفة ، كمـا أخرجت فى فيلم سينمائى ملون ، روجت له الصـــهيونية وعرضته فى كافة أنحاء العالم ٠ ومن الخطأ فى رأيى أنه لم يعرض فى بلادنا العربية ، وأن الكتاب الذى اقتبس عنه لم تستورد نسخ منه بلغته الاصـلية ، بل لم يترجم الى لغتنا لتقرأه شعوبنا ، فما دام التأثير الضار للفيلم والكتاب الاصليين على الرأى العام العالمى قد وقع بالفعل ، ولم نستطع منعـه أو الحيلولة دونه فى الخارج ، فماذا كنا نخشى من عرض الفيـلم

علينا نحن ، وترجمه الكتاب لنقرأه نحن العرب ؟ هل كان يعقل أن تؤثر القصة المغرضة فينا نحن ، وتضعف من ايماننا بعدالة قضيتنا ؟ بل ان العكس هو الصحيح ، فلا شيء كان أقدر على استفزاز حيويتنا الكامنة ، واطلاق طاقاتنا وأقلام كتابنا ، ومواهب فنانينا ، للرد على تلك الرواية المسمومة برواية مضادة ٠٠ من عرض ذلك الفيلم على المشاهدين العرب ، وترجمة تلك الرواية للقراء العرب ، ان لم يكن لشيء فلكى يعرف كل عربى ، على الاقل ، ما يكتب عنا ويعرض على العالم أجمع ، عدانا نحن !٠٠ يعرفه فيعرف كيف يرد عليه ويفنده فورا ، وفى الوقت المناسب !٠٠ أما ان نخفى رؤوسنا فى الرمال ، فنخفى عن « أنفسنا » الرواية التى قرأها وشاهدها العالم بأسره ، عنا ، فذلك خطأ أدعو المشرفين على شئون الرقابة على المصنفات الفنية عندنا ، والقائمين على مؤسسات النشر والاستيراد ، الى أن يتدبروه مليا ،ويعيدوا النظر فيه ٠

وأعود الى كتاب الدكتور محمد مهدى ، فأقول ان التعليقات التى نشرت عنه فى أمريكا وأوربا ، اعتبرته ردا على رواية « الخروج » الصهيونية ، وقالت ان هذا الرد جاء بصفة خاصة فى الفصل الثالث منه ، الذى جعل عنوانه (فلسطين ٠٠ فى أمريكا) ٠ ثم أضافت التعليقات ان كل من قرأ كتاب«الخروج» او شاهد الفيلم المقتبس عنه ، « يجب » أن يقرأ هذا الفصل من كتاب الدكتور مهدى ، « كى تكتمل عنده صورة «متوازنة» للنزاع العربى الاسرائيلى » ٠

ولعل أهمية هذا الفصل ، هى التى جعلت خمسا وعشرين من دور النشر الامريكية ترفض ، على التوالى ، نشر هذا الكتاب ــ خشية اغضاب الصهيونيين ! ــ الى أن قبله ، آخر الأمر ، الناشر السادس والعشرون ، وهو دار NEW WORLD PRESS بمدينة سان فرانسسكو ٠٠ وجدير بكل عربى أن

يزجى اليها التحيه الخالصه من أجل هذا الموقف المتســـــم بالانصاف ، والمنطوى على التضحيه ولا شك بمصـــالح الدار لدى الصهيونيين وعملائهم !

أما الفصول الاخرى من الكتاب ، فقد أراد بها الدكتــور محمد مهدى أن تكون بمثابه تعليق على الكتابين اللذين أثارا ضجه فى أمريكا فى السنوات الأخيرة ، وهما « الامريكى القبيح » و « شعب من الاغنام » ٠٠ موضحا الأســـباب التى جعلت الامريكى « قبيحا » فى الشرق الأوسط أيضـــا ، وليس فى الشرق الاقصى فحسب !٠٠ كما حاول فيها أن يبصر الرأى العام الامريكى بأخطاء سياسة بلاده فى هذه المنطقه وفى غيرها من مناطق العالم ، بعد أن عقد مقارنه تاريخيه عريضـــه بين حضارة الشرق الاوسط والحضارة الغربيه ، ونشـــــأة كل منهما ، وفترات انتعاشها أو انحدارها ، وموقفها الحالى بالنسبه للاخرى ، ودرجه نموها وازدهارها ٠٠ الخ ٠٠ وقد خلص من هذه المقارنة الى الآتى :

ان الحضارة الغربيه شهدت حقبه ازدهار أولى ، فى العصر اليونانى والرومانى ٠٠ تلتها مدة ألف عام من ظلام العصور الوسطى (منذ سقوط روما عام ٤٧٥ حتى بداية عصر النهضة) ٠٠ ثم عادت فازدهرت منذ عام ١٥٠٠ حتى اليوم ٠٠

أما حضارة بلاد الشرق الاوسط فقد كانت حقبه ازدهارها ومجدها (سواء فى مصر القديمة ، أو فى بابل وأشور) سابقة للحضارة اليونانية والرومانيه ، ولكنها ما لبثت أن تعرضت لنحو ثمانمائه عام من « الجاهلية » ، حتى ظهور الاسلام ، ثم لحقبة مماثلة (نحو ٨٠٠ عام) من الحضارة العربية الاسلامية الزاهرة ، عقبتها خمسمائة عام من الظلام (منذ نهاية الحكم العربى فى الاندلس ، حتى فجر النهضة العربية الحديثة فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ٠٠)

ثم يطرح الكتاب هذا السؤال الهام : هل الحضارة الغربية، التى تتزعمها الولايات المتحدة وتحمل لواءها ، فى طريقها الى الانحلال والانهيار ؟ ·· ويخلص من هذا الى أن الذى يملك الاجابة على هذا السؤال ، هو الشعب الامريكى وحده ، الذى يملك تقرير مصيره : يملك أن يكون شعبا من الاغنام ·· أو شعبا من السباع ، القادرة على تحطيم أغلالها ·· اذا أرادت !

وليت احدى دور النشر المسئوله عندنا تطلب نسخه من هذا الكتاب لتفحصه ، وتتولى ترجمته الى العربيه ان كان متمشيا مع خطوط السياسه العربيه الراهنه ·

هل حواء ((· · ·)) لابد منه ؟

تحية للاذاعية البارعة « سامية صادق » ، اعجابا ببرنامجها الناجح « صباح الخير » الذى تعده وتقدمه من البرنامج العام فى الثامنه الا ربعاً من صباح كل يوم · فخلال الدقائق « الضائعه » التى تستغرقها « حلاقه الذقن » ، سمعت فى البرنامج هذه الحكاية اللطيفة المأخوذة من الادب «السنسكريتى» القديم ·

تقول الاسطورة : ان الله بعد أن فرغ من خلق الارض ، والسماء ، والطيور ، والحشرات ، والاشجار ·· وبعد أن فرغ من خلق « الرجل » ، جمع بقايا كل شىء وخلق منها المرأة « حواء » : خلق وجهها من استدارة القمر ، وشعرها من ارتعاشة الهواء ، وبشرتها من نعومة الافاعى ، وعواطفها من التهاب النار ، وخوفها من فزع القطة ، وجرأتها من شراسة النمرة ، واخلاصها من وفاء الكلب ، وكلامها من عسل النحل ، وغيرتها من إبر النحل ·· وبعد ذلك اعطاها هدية للرجل ، آدم ·

.. ولكن لم يمض سوى أسبوع واحد حتى عاد الرجل يرد هذه « الهديه » الى الله وهو يبكى قائلا : « أنت أعطيتنى هذه، فخذها ، فهى لا تكف عن الكلام ، ولا تسكت عن البكاء ، ولا تعمل شيئا . وهى تريد أن أداعبها ليل نهار !.. خـــذها يا رب ! »

وأخذها الرب .. وبعد أسبوع عاد الرجل وهو يقول : « أريدها يارب ، فقد كانت تغنى ، وترقص ، وتغمز لى بعينها بعد الغروب .. وأنا بغيرها أشكو من الوحدة ! »

وأعادها الله اليه ..

.. وبعد ثلاثة أيام قاد آدم حواءالى الله قائلا : « تعبت معها يارب . تعبت معها حتى لم أعد قادرا على الشكوى منها . خذها يارب ، خذها ! »

وثار الرب على آدم قائلا : « اختر لك شيئا .. هل تريدها أو لا تريدها ؟ انطق الآن فورا والا أعدمتك وأبقيت عليها ، وخلقت للمرأة زوجا غيرك ! »

.. واستدار آدم وسحب حواء من شعرها وهو يقـــول حزينا : « لا أنا بقادر على قربها ، ولا أنا بقادر على بعدها .. ولا على الحياة بغيرها ! »

((المقهى)) ... ودوره
في خــــــدمة الادب والفن

لماذا أقفرت شوارع القاهرة الكبرى وميادينها من المقاهى ؟

وليست المقاهى التى أفتقـــــدها هى تلك التى يحتكرها الرجال وحدهم ، والتى يعلو فيها ــ والعياذ بالله ــ ضــــجيج لاعبى الطاولة وهم يقذفون بأحجارها صائحين : « جهــار » .. « يك» .. وانما أنا أعنى المقــــاهى الشبيهة بالمنتديات

المختلطة ، التي تشارك فيها النساء ، وتؤمها العائلات ، كما في بعض مقاهي الاسكندريه الباقيه ، التي كان لها شبيه في القاهرة منذ ربع قرن ثم اختفت بالتدريج ، لتحل محلها حوانيت تجاريه متراصة لا أول لها ولا آخر !

أين « بار اللواء » ، و « ليمونيا » ، و « صولت » ، ؟ ..
« صولت » قصر النيل – الذى أدركته فى أيامه الأخيرة –. ومن قبله « صولت » شارع ٢٦ يوليو ، الذى كان يقوم في مكان متجر شيكوريل الآن ، والذى كان يجلس فيه أمير الشعراء أحمد شوقى ، فى ركن خاص ، بل على مقعد خاص ، لا يتغير !

حتى مقهى « الاميريكين » عماد الدين الذى كان مفتوحا على رصيف شارع ٢٦ يوليو منذ عشرين عاما ، والذى كان أشبه ببستان نضير أو واحة صغيرة يفيء اليها عابر هذا الشارع التجارى الصاخب ، وينعم بنفحات دافئة من شمس الشتاء ، أو نسمات المساء العذبة فى الصيف .. حتى هذا المقهى « اليتيم » المتواضع قد أزيل ومحى من الوجود ، ليخلى مكانه لواجهات أو « فترينات » صماء كئيبة « غبية » ، تكاد تكون فارغة الا من علبة حلوى من الورق ، بدائية المنظر ، أو « برطمان » من الزجاج به بعض « الملبس » أو « التوفى » !

ومقهى « الباريزيانا » الرائع فى شارع الألفى ، أعذب « ملقف » للهواء فى أمسيات الصيف ، وأحلى مكان للسهرات البريئة ، مع قدح من البيرة المثلجة وطبق من الطعام الشهى .. ماذا حل به هو الآخر ، وأى قدر محتوم أدركه ، وحرم العاصمة منه ؟

أنا ألد أعداء المقهى من النوع الأول .. لكننى من أنصار المقهى من النوع الثانى ، ومن أشد الناس تحمسا له ، ودعوة الى الاكثار منه ، والارتقاء بمستواه ..

المقهى الذى تزخر بأمثاله ـ وتزهو ـ أرقى عواصم الدنيا ·· وتزدان به أرصفة « الشانزليزيه » وميدان الاوبرا فى باريس ، وشارع « فنيتو » وميدان « ايزيدرا » فى روما ، وشوارع الليدو فى فنيسيا ، و « فوركورستندام » فى برلين، وأهم ميادين فيينا ، ومدريد ، وأثينا ، ولندن ·· الخ ·

وأكتفى ـ فى شرح وجهة نظرى ـ بمثال واحد ، فى بلد واحد : أكتفى بالدور الهام الذى لعبه « المقهى الفرنسى » فى تاريخ الفن والادب ، فى غضون القرن التاسع عشر ·· الدور الذى لم يستطع مؤرخ أو كاتب ذكريات أن يغفله أو يغمطه حقه ، بل أحنى هامته احتـــراما له وتبجيلا ·· فلقد نافس المقهى كلا من الجامعة والأكاديمية ، كمركز لتلقى العـــلم والاغتراف من مناهل المعرفة ، ومهبط لوحى الابداع الفنى ، وملتقى لتبادل الآراء ومناقشة النظريات والافكار ·· فكم من معارك « جمالية » احتدمت حول مناضده الرخامية ·· وكم من قصائد جديدة تليت ، للمرة الاولى ·· وكم من نظريات حديثة شرحت وطرحت للنقاش ، وتبلورت ، ورسخت أقدامها ، فى مقاه بعينها · ان كل الحركات الفكرية التى كان لها صدى فى ذلك العصر ، اقترن ذكرها بمقاه معينة ، كان كل من أطراف النقاش والجـــدل يتخذون لأنفسهم محلا مختـــارا فى أحد أركانها أو شرفاتها ، يلتقون فيه ويتجمعون ، لتنشب بينهم وبين الفريق الآخر معارك القلم واللسان !

وهكذا اشتهر مقـهى « موموس » بتردد الاديب « هنرى مرجيه » (١٨٢٢ ـ ١٨٦١) عليه مع أصدقائه البوهيميين ، الذين صورهم فى روايته الخالدة « صور من حياة البوهيميين» (التى قدمت لك تلخيصا لها فى العدد ٢٥ من كتابى) ·

واشتهر مقهى « دى باد » بأنه المقر المختار للرسام العظيم « مانيه » (١٨٣٢ ـ ١٨٨٣) ، قبل أن ينضم الى جمـــاعة

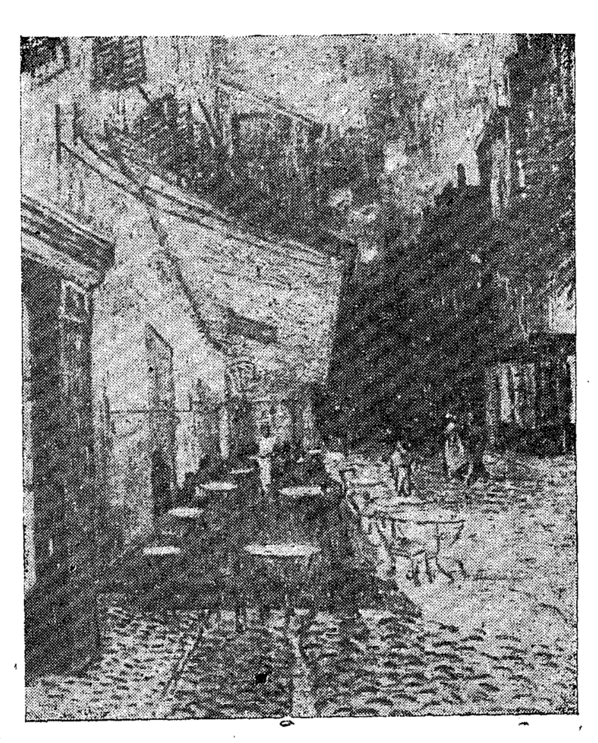
الفنانين التـــأثريين في مقهى « جيربوا » ، الذى لم يلبث أن اشتهر كواحد من المعالم الهامة فى تاريخ الحركة الفنية فى باريس في ذلك العصر ·

وقد خلد الكاتب الايرلندى « جـــورج مور » (١٨٥٢ – ١٩٣٣) مقهى أثينا الجديدة – « لانوفيل أتين » – فى كتابه الممتع « اعترافات شاب » الذى وصف فيه بأسلوب بليـــــغ لا يجارى ، المكانة الكبيرة التى احتلها هذا المقهى فى قلوب رواده والمترددين عليه · وكل من عاش في باريس منذ أيام « مور » ، لا بد قد لمس مبلغ صدقه وأمانته فى وصف جو ذلك المقهى وجاذبيته ··

ولو انتقلنا الى مقاهى باريس الاخرى ذات الاجواء الثقافية التى ترعرعت فيها الفنون والآداب ، أمثال مقاهى « فلورى »، « دو ماجو » ، « كوبول » ، « روتوند » ·· لاســـتطعنا أن نقرن بأسمائها تاريخ الحـــركات الفنية المختلفة التى تتابع اشعاعها على العالم فى المائة عام الاخيرة ، ومنها : المستقبلية ، الدادية ، السريالية ، الوجودية ·· ولئن اختلفت وجوه رواد تلك المقاهى من أنصار هذه الحركات الفنية أو خصـــومها ، من حقبة الى أخرى ، فان « روح » كل مقهى منها و « الجو » الذى عرف به ، لا يتغير بمرور الايام ·

ولنقرأ ما كتبه جورج مور فى « الاعترافات » عن مقهـــاه المفضل :

« اننى لم ألتحق بجامعة اكسفورد ، ولا بجامعة كمبريدج، ولكننى التحقت بـ « أثينا الجديدة » · ما هى أثينا الجديدة ؟ ان من يبغى معرفه شىء ما عن حياتى ، ينبغى أن يعرف شيئا عن أكاديمية الفنون الرفيعة ·· لا تلك الاكاديمية الرسمية « الغبية » التى نقرأ عنها فى الصحف ، بل الاكاديميـــــة الفرنسية الحقيقية : المقهى · ان « أثينا الجديدة » مقهى يقع

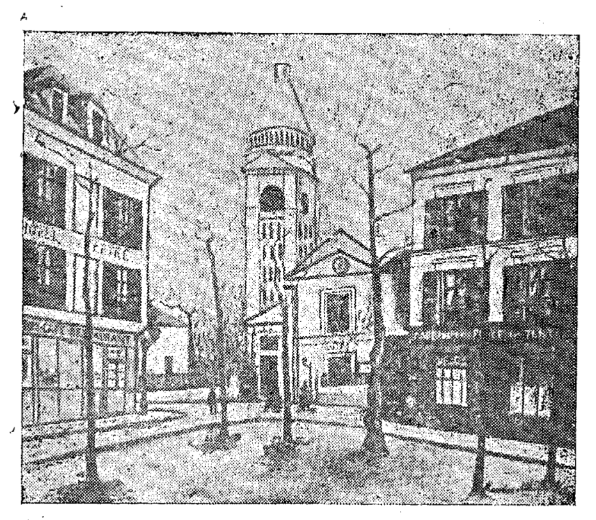


مقهى باريسي على الطريق ، كما يبـــدو ليلا : لوحة من روائع « فان جوخ » ، بمتحف الدولة « كرولر موللر » بهولندا

فى ميدان « بيجال » . آه ، ما أجمل تسكع الصباح ، والأمسيات الطويلة التى تغدو فيها الحياة مجرد وهم من أوهام الصيف .. والقمر يصب ضياءه الأشهب على الميدان ، حيث اعتدنا أن نقف على الرصيف متأهبين للانصراف ، والمصاريع الخشبيه لنوافذ المقهى تغلق وراءنا ، ونحن نشفق من التفرق، ونفكر فى كل ما لم يتسع الوقت أو تمتد بنا السهرة حتى نقوله ، وكيف كان الافضل أن نفرض رأينا على المناقشات .. لقد مات وتفرق كل أولئك الذين ألفوا أن يجتمعوا هناك .. ولم يبق من تلك الاعوام ، ومن بيتنا ذاك ــ فلقد كان ذلك المقهى بيتنا ــ غير بضع صور وبضع صفحات من النثر .. ورغم أن تأثير مقهى « أثينا الجديدة » فى الحركة الفكرية والفنية فى القرن التاسع عشر تأثير مجهول ، وغير معترف به بصفة رسميه ، فانه تأثير متأصل وبالغ الاهمية . »

أما المقهى الآخر ، مقهى « موموس » الذى خلده « هنرى مرجيه » فى روايته المشهورة « صور من حياة البوهيميين » ، فلا تقل أهميته ودوره فى خدمه الادب والفن فى فرنسا ، عن دور « أثينا الجديدة » .. فلقد كان « مرجيه » أول من سلط الاضواء وعرف الفرنسيين بشخصيه « البوهيمى » : الفنان المعدم الذى يقطن حجرة رطبة صغيرة فوق سطح أحد المنازل ، والذى يكاد يتضور جوعا وهو يشق طريقه الى الاضواء . ولم تكن الجماهير تدرك ــ قبل صدور قصة « مرجيه » تلك ــ ان الفاقة والرطوبة والبرد ، تجلب فى أعقابها المرض ، والموت .. لكن « مرجيه » كان قد فجع فى الكثيرين من أصدقائه وصديقاته الذين ماتوا فى سن العشرين وما يقرب منها ، بل انه هو نفسه شاخ وذبل قبل أن يجاوز الثلاثين .. وقد كان المقهى بالنسبة للكثيرين من أولئك الفنانين بمثابة الملجأ والملاذ ، وكان كرم بعض ذوى القلوب

النبيلة الذين شملوهم برعايتهم هو السبيل الوحيد لتوفير الطعام والدفء لهم ، فلم يلبث « مومومس » أن صار المقهى النموذجى ـ وان يكن المتواضع ـ الذى يلتقى فيه الشعراء وأهل الفن ٠٠ فراح يتردد عليه ، كل ليلة بانتظام : بودلير ، وتيوفيل جوتييه ، وجيرار دى نيرفال ، والشقيقان جونكور ، وتيودور دى بانفيل ، والرسام جوستاف كوربيه ٠٠ وقد كان « دى بانفيل » هو الذى ابتكر ونادى بشعار البوهيميين:



مقهى ميدان « تيرتر » بباريس : لوحة للرسام الفرنسى « أوتريللو » ، بمتحف « بيرلز » ، بنيويورك

« فلنتسامى ونعيش فى فاقتنا » ! وبلغ من فقر تلك الجماعة وحاجتها ، ان مواردها المالية عجزت حتى عن شراء نبيذ فرنسا الرخيص ، فكونوا من أنفسهم ـ بدافع السخريه ـ « جمعية شاربى الماء القراح !! »

وقد كانت بعض المناقشات التى تدور فى الغرفة العلوية من المقهى على درجه كبيرة من الجديه .. كان « كوربيه » يناقش قضيه الواقعية والرومانتيكيه ، ويلعن اعمال « فيكتور هيجو » ، معبود « مرجيه » .. بينما بودلير يدافع عن الرومانتيكيين ويهاجم واقعية بلزاك !

والى جانب هذا الجو الجاد من أجواء المقهى ، كانت النزوات الأقل جدية ، لبعض « شاربى الماء القراح » ، تسبغ شيئا من الطرافة على الحياة فى الحى اللاتينى : كان بودلير يحلق شعر رأسه تماما ويصبغ جمجمته باللون الاخضر ! .. بينما « جيرار دى نيرفال » يقود جرادة من جراد البحر أمام المقهى ، ذهابا وجيئة !.. وحين تشكو زوجه صاحب البيت « مدام لوفيه » من تصرفه ، كان يجادلها بقوله ان جرادة البحر هادئة وذات عقل جاد ، لا تنبح ولا تخدش بالاظافر ، وتعرف كل أسرار الاعماق !

وفى الوقت الذى لا تزال فيه باريس تؤدى ، الى اليوم ، تحية الاجلال لذلك المعهد العظيم ـ المقهى ـ الذى كان بمثابة « البيت » لأدباء فرنسا وفنانيها ، خلال القرن التاسع عشر ، نرى بعض مقاهى باريس المعاصرة تحتل نفس المكانة التى كانت لمقاهى القرن الماضى . وسوف يسجل تاريخ أيامنا الحاضرة ، حين يكتب ، ان تأثير هذه المقاهى على الحركة الفكرية والثقافية للقرن العشرين ، لا يقل عن تأثير مثيلاتها فى الماضى ، وانها تؤدى نفس الدور الذى كانت تؤديه « أثينا الجديدة » ،

و « دى باد » ، و « مومومس » ، و « كوبول » ، و « روتوند» ، و « فلورى » ، و « دو ماجو » ٠٠ وغيرها ٠

فمتى تذون لنا مقاه تؤدى نفس الدور ، وتترك طابعهــا وبصماتها على حياتنا ٠٠ وتهيىء الجو الثقافى الممتع للاجيال المتعاقبه من آدباء بلادنا وفنانيها ؟

المرأة العــاملة فى اليابان

حضرت حفلا أقامه رئيس مركز تجــارة اليابان ــ مستر « يوشينورى ناجورو » ــ فى نقابة الصحفيين بالقاهــرة ، وعرضت فيه طائفه من الأفلام اليابانيه التى تعـرف بمختلف نواحى الحياة فى اليابان ٠٠ فلم تبهرنى المشاهد التى تظهـر مدى ضخامه التقدم الصناعى والعلمى والانتاجى فى تلــك البلاد ــ اذ كنت قد لمست ذلــك كله عن كثب خلال زيارتى لليابان فى عامى ١٩٥٧ و ١٩٦١ ــ بمقدار ما بهرتنى لقطـه عابرة ، لها فى نظرى دلالاتها الكثيرة ، الانسانيه ، والتجاربه ، والنفسية ، بل و « الحضارية » ٠٠ لقطه ظهرت فيها فتــاة يابانية تعمل كبائعه فى أحد متاجر طوكيو ، فرأينا ــ أولا ــ كيف تعــامل زائرى المتجــر : بالبشاشــه ، والترحيب ، والابتسامة التى تبدو وكأنها تنبع من القلب ، وتعرض عليهم كل ما يسألون عنه دون أن تضغط عليهم للشراء ، أو تضايقهم بالتأفف ، أو تلاحقهم بنظرة احتقار ، أو كلمة تعريض وتهكم ، اذا ما انصرفوا عنها دون أن يشتروا شيئا ٠٠ (والكلام لكن ولكم يا بائعات وبائعى متاجرنا فى القاهرة !)

٠٠ ثم رأينا البائعة تترك مكانها الى المتجر ــ اذا ما حانت احدى « فترات الراحة » التى تتخلل ساعات العمــل ــ كى تجلس تتسامر مع زميلاتها وزملائها فى « كافتريا » المتجـر

الانيقة المريحة ، فتنسى وقفتها الطويله و « تفانيها » فى خدمه العملاء ، وانصبر على طلباتهم التى لا تنتهى ٠٠ بل وتحس « بادميتها » ، وبتقدير مدير العمـل لمجهودها ، ومكافآتهـا عليه ٠٠

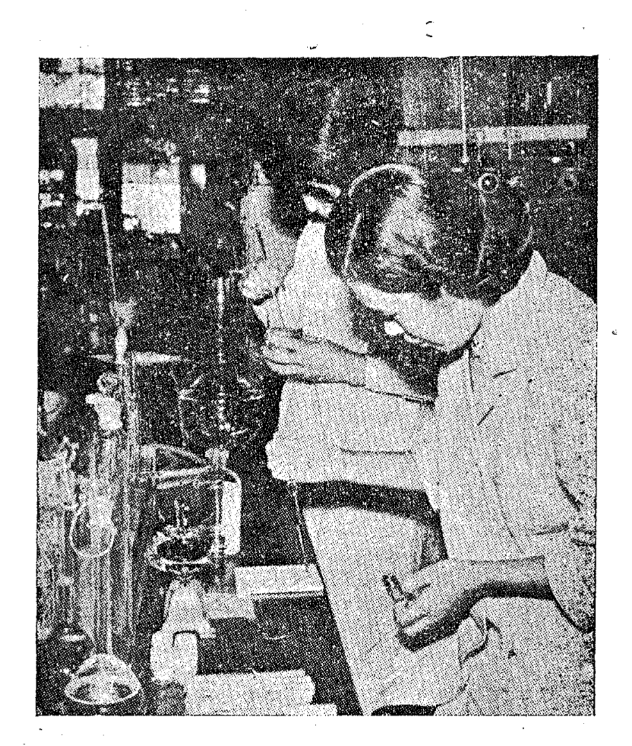
هذا التفانى المتبادل ، بين العاملين ومديرى الاعمال ٠٠ بل هذا « العطاء » مقابل « الاخذ » بين الطرفين ٠٠ هو مفتاح كل شىء ، والحافز الاكبر على الانتاج ٠٠

وذكرتنى هذه اللقطات من الفيلم ، ومثيلاتها ، بالكثير من الحقائق التى وقفت عليها أثناء جولتى القصيرة فى تلك البلاد الناهضة العجيبه ٠٠ وهى حقائق ألخص لك هنا ـ بالارقام ـ أهم ما يتعلق منها بالمرأة العامله فى اليابان :

١ ـ بلغ عدد العاملات فى اليابان (فى تعداد ١٩٦٠) رقم ١٨ مليون و ٢٨٠ الف عاملة ـ من جميع المستويات ـ بنسبة ٤٠ر٥ فى المائه من مجموع القوى العاملة فى البلاد ، ونسبة ٥٣ر٩ فى المائة من مجموع عدد الاناث فوق سن ١٥ سنة ٠٠ و ١٩ فى المائة من مجموع السكان البالغ يومئذ ٩٥ مليونا (والذى يقترب اليوم من المائة مليون) ٠

٢ ـ من هؤلاء ٦ مليون عاملة فى المصانع (وكان العدد ٣ ملايين فقط فى تعداد ١٩٤٨ ، أى بزيادة مائة فى المائة خلال ١٢ سنة) ، وعدد أكبر من هذا يعملن فى البيوت ، سـواء كربات بيوت يعملن لحسابهن الخاص ، أو عاملات فى بيـوت غيرهن ، بالاجر ٠

٣ ـ ٥٩ فى المائة من القوى العاملة فى الزراعة والريف ، من الاناث ٠ وقد نتج عن تعميم برامج التليفزيون وأجهزته فى الريف أن نقصت الفوارق « الثقافية » بين العاملات فى الزراعة وزميلاتهن العاملات فى قطاع الصناعة فى المدن ٠



عالمتان في الكيمياء تجريان تجاربهما
في أحد المعامل في اليابان .

٤ ـ ٣١ فى المائة من المشتغلين بالتدريس ، من الاناث ٠ وقد بلغ عدد المدرسات فى ١٩٦٠ نحو ٢٤٤ر٢٩٠ مدرسة ٠٠ منهن أكثر من ٤٥٠٠ مدرسه بالجامعات ، و ٤٨ عميدة للكليات ٠

٥ ـ ارتفع عدد الطالبات فى المعاهد العليا والجامعات من ٢٦ ألف طالبه جامعية فى عام ١٩٥٠ الى ١٤٠ ألفا فى عام ١٩٦٠ ٠٠ وقد بلغت النسبة اليوم انثى واحدة الى كل ٤ ذكور فى الجامعات ، أى ٢٠ فى المائه من مجموع طلبةالجامعات (أو ٣ فى المائة من مجموع الاناث اللاتى تتراوح سنهن بين ١٨ ـ ٢٢ سنة فى اليابان كلها) ٠ وبعد أن كانت خريجات الجامعات يلزمن بيوتهن فى انتظار الزواج ، صارت كل متعلمة تعمل على الاقل بضع سنوات قبل أن تتزوج ٠٠ ومنهن نسبة كبيرة تواصل العمل بعد الزواج ٠

٦ ـ وطبقا للمادة ٢٤ من الدستور اليابانى ، تتساوى الفتاة مع الشاب فى حريه اختيار شريك الحياة (دون موافقة الوالدين ، بعد سن العشرين) ، وفى حقوق الملكية ،والميراث ، وشروط الطلاق ٠ ورغم تزايد نسبة الطلاق بعد الحرب العالمية الثانية ، (وأكثر الذين يطلبون الطلاق هن النساء) ، فان نسبة الطلاق أخذت فى التناقص تدريجا حتى بلغت فى احصاء ١٩٦٠ ثلاثة أرباع حالة (أى أقل من حاله واحدة) بين كل ألف من الزيجات ٠ وطبقا للقانون المدنى الجديد الصادر فى عام ١٩٤٧ صارت الزوجة ترث ثلث تركة زوجها ، بينما يقتسم أولادهما الثلثين الباقيين ٠

٧ ـ أما نسبة النسل فقد بلغت نحو ثلاثة أطفال لكل زوجين ، أو ٩ر٣ بالتحديد ٠ وهى أقل بكثير مما كانت من قبل ٠

٨ ـ وفى اليابان ٤٢ ألف جمعية أو ناد للنساء ، أكبرها جمعيه تضم سبعة ملايين من الاناث ، ويتبع هذه الجمعية ٢٣٫٦٠٠ ناد ، تنتشر من المدن الكبرى الى أصغر القرى • وينتمى ٦٣ فى المائه من اليابانيات فوق سن العشرين الى جمعيه أو ناد واحد منها على الاقل • وهناك جمعية خاصه للأرامل ، ترعى شئونهن ، كما أن هناك فروعا من بعض النقابات (كنقابة المحامين) مخصصه للنساء •

٩ ـ وفى اليابان محاكم خاصة للعائله ، تشغل النساء فيها ٢٥ فى المائه من مناصب المستشارات اللواتى يتولين مهمة الوساطة العائليه بين الزوجات والازواج الذين ليسوا على وفاق • كما توجد هيئات خاصه برعايه الاطفال ، تشغل



فتيات يابانيات مدربات يشرفن على تشغيل الاجهزة الحاسبة الالكترونية فى احدى شركات المحاسبة

النساء ٢٤ فى المائه من مناصبها • أما فى ميدان التربيه فقد
بلغت نسبه النساء فى الهيئات التى تتولاها ١٥ فى المائه •
ويتزايد فى كل عام عدد النساء المشتغلات بالقضاء ،والمحاماة،
والطب ، والهندسه ، والمحاسبه ، والاشراف الاجتماعى ، بل
ومناصب البوليس •• وغيرها من الميادين التى كانت حكرا
على الرجال الى ما قبل دخول اليابان الحرب العالميه الثانيه •
١٠ ــ أما بالنسبة لحقوق المرأة السياسيه ، فقد حققت المادة
١٤ من الدستور المساواة التامه بين الجنسين فى هذا الصدد•
وأعطى قانون الانتخاب الصادر بعد انتهاء الحرب مباشرة (فى
ديسمبر ١٩٤٥) حق التصويت فى الانتخابات لكل النساء
فوق سن العشرين •• فاشترك ٧٠ فى المائه من النساء فى
الادلاء بأصواتهن فى انتخابات ١٩٤٦ ، وظفرت ٣٩ امرأة
بمقاعد فى مجلس النواب • ولكن عددهن الذى بلغ فى فورة
الحماس الاولى هذا الرقم ، لم يلبث أن تناقص فى الانتخابات
الاخيرة الى عشرين امرأة فقط ، فى مجلسى النواب والشيوخ
مجتمعين • لكن عدد المشتركات فى التصويت تزايد فى
الوقت نفسه فبلغ فى الانتخابات العامه التى جرت فى نوفمبر
١٩٦٠ نسبة ٧١ر٢ من مجموع النساء اللواتى لهن حق
التصويت ، بينما بلغت النسبة بين الرجال ٧٦ فى المائة •
أما فى الانتخابات المحلية (لا العامة) فقد بلغت النسبة ٩٠
فى المائة للنساء ، مقابل ٩٠ر٤ للرجال • وهكذا تساوت
درجة الوعى السياسى والاهتمام بممارسة حق الانتخاب بين
الجنسين ، بعد أقل من ١٥ سنة من منح المرأة هذا الحق ! ••
وبعد أن كانت فكرة شغل المرأة للمناصب العامة لا تخطر فى
الاذهان (قبل الحرب العالمية الثانية) صارت المرأة تشغل الآن
منصب وزيرة العلوم والتكنولوجيا ، كما تشغل عددا كبيرا من
المناصب الرئيسية فى شتى ادارات الحكم المحلى •

التعليم بالمراسلة

أفق جديد ينفسح أمام شبابنا ، بل وكهولنا !

دعاني الدكتور عبد المجيد العبد رئيس الجهاز المركزى للتدريب الى ندوة مثمرة نظمها الجهاز ، بالتعاون مع المركز العربى للبحوث والادارة (أراك) ، لمناقشة استخدام « المراسلة » كوسيلة للتعليم والتدريب فى بلادنا ، وأساليب هذا الاستخدام ...

وشهد الندوة ، الى جانب الضيوف المصريين ، اخصائيان عالميان فى نظم التدريس بالمراسلة ، هما مستر « يوجين ماكدونالد » رئيس مجلس ادارة مؤسسة تنمية الموارد ، بالولايات المتحدة ، ومستر « فرانك ماكلوى » مدير مؤسسة انترتكست الامريكية للنشر . وليس المجال هنا مجال تسجيل كل ما دار فى الندوة من مناقشات ، أو حتى تلخيصها ــ فذلك وحده يستغرق عشرات الصفحات ــ وانما سأكتفى هنا بالاشارة الخاطفة الى بعض ما علق بذاكرتى من آراء ومعلومات تبودلت ونوقشت خلال الندوة . (وأنتهز هذه الفرصة فأعتب على صحفنا « اليومية » الكبرى أنها لم تفرد صفحاتها لنشر « كل » ما دار فى هذه الندوة الهامة ، وأمثالها .) :

١ ــ ذكر مستر **يوجين ماكدونالد** ان أحدث طريقة « عملية » اهتدت اليها الجمعيات الطبية فى بلاده لتزويد الاطباء بأخبار المكتشفات الجديدة فى الطب وأساليب العلاج ، بالمراسلة ، هى موافاتهم بأشرطة تسجيليه « شهرية » ، ترسل الى كل منهم ليديرها على جهاز الاستماع المركب فى سيارته ، ويستمع اليها ــ رغم أنفه ! ــ وهو فى طريقه الى عيادته أو الى زيارة مرضاه . وبهذه الوسيلة المبتكرة « تحايلت » السلطات الطبية وتغلبت على عقبه انشغال الاطباء عن قراءة المجلات الطبية أولا بأول ، لضيق وقتهم .

٢ ـ وافتتح **الدكتور السيد أبو النجا** رئيس مجلس ادارة (أراك) المناقشة بدعوة الباحثين الحاضرين الى ابداء رأيهم فى مبدأ التعليم بالمراسلة : هل هو مجد أم غير مجد .. واذا كان مجديا ففى أى المجالات يستخدم ، وبأية أساليب ؟

٣ ـ وتحدث **الدكتور عبد المجيد العبد** فأوضح أن هدف المشروع الجديد للتعليم بالمراسلة هو أن نستفيد بخبرات الدول التى سبقتنا فى مضمار التكنولوجيا ، فنبدأ من حيث انتهت أبحاثها . وأرجع حاجتنا الملحة الى التعليم بالمراسلة الى سببين جوهريين ، هما : نقص الاجهزة العلمية فى المدارس والمعاهد ، ونقص المدرسين المؤهلين ، ومن هنا نشأت حاجتنا الى العامل الماهر الذى تعجز المدارس عن تخريجه للسببين السالفين .

٤ ـ وقال **الدكتور محمد كامل الحارونى** ان الهدف الاول للتعليم بالمراسلة ينبغى أن يكون سد حاجة شركات القطاع العام ـ التى يبلغ عددها نحو خمسمائه شركة ـ من العاملين المدربين ، فى كل المجالات .. لا أن يكون التعليم بالمراسلة مطلقا ، بلا هدف محدد .

٥ ـ وأوضح **الاستاذ طه النمر** أهمية المشروع بقوله ان التعليم بالمراسلة يمكن أن يستوعب نسبة الثمانين فى المائة من شبابنا الذين تضيق عنهم المدارس بمختلف مراحلها ، وكذا الجامعات ، فان الذين تقبلهم كل مرحلة من مراحل التعليم لا يزيدون على عشرين فى المائة من الناجحين فى المرحلة التى تسبقها ، وهكذا .

٦ ـ وطالبت **الدكتورة سهير القلماوى** بأن يراعى فى التعليم بالمراسلة تدريب العاملين والموظفين على « التخصص » فى مجالات عملهم ، على أن يوجه التدريب الى المجالات التى نحتاج اليها أكثر من غيرها ، على ضوء الثغرات الموجودة

بالفعل ، قبل أن يكون رائدنا من التعليم بالمراسلة ما « ينبغي أن يكون » ، أى بتدريب فئات جديدة علـى ميادين جديدة « ينبغى » أن توجد ٠

٧ ــ وروى **الشاعر صالح جودت** طرفا من مشاهداته فى صدد موضوع المناقشة ، فقال ان «الفيلبين» تكافح الامية عن طريق التعليم بالتليفزيون ، الامر الذى حقق فائدة قدرها ستون فى المائة ٠٠ وان فى الولايات المتحدة الامريكية جامعة مشهورة زارها أثناء جولته فيها ، تسمى « جامعة الهواء » ، لانها تنشر برامجها التعليمية عن طريق محطه اذاعه خاصة بها ، وتعقد للمستمعين امتحانات ، وتمنحهم شهادات ٠ واقترح انشاء « نادى القرية » فى كل قرية من ريف بلادنا ، وارسال برامج التعليم بالمراسلة الى شخص مسئول فى هذا النادى يتولى القاء هذه البرامج على السامعين من رواده ٠ وبهذه الطريقة يمكن تعليم عشرين مليون فلاح بأسرع وأبسط وسيلة ٠

٨ ــ وشكا **الدكتور حسين الغمرى** من داء ربط التعيين والترقية فى بيئات العمل عندنا بالاقدميه ، دون مراعاة للمهارات المكتسبة أثناء العمل ، وطالب بوضع علاج لهذا الوضع القائم بحيث تكون فرص الترقية مرتبطة بما يحصله العاملون من تدريب وتخصص ، عن طريق المراسلة ، على أن تعطى لمن يتمون التدريب شهادات معترف بها تفيد ذلك ٠

٩ ــ ولخص **الدكتور سيد محمود الهوارى** مزايا التعليم بالمراسلة فى عدة نقاط ، أهمها : انه قليل النفقات ، سريع النتائج ، يغطى أعدادا كبيرة فى وقت واحد ، ويناسب المتقدمين فى السن ، كما يخضع المعلومات لطريقه علمية منمطة ٠ وأضاف ان الحاجة ماسة الى تدريب الاداريين والفنيين على حد سواء ، على أن تكون الاولوية للاداريين ، وأن

يبدأ بتدريب المستويات العليا قبل سواها ، بمعنى أن تدريب المديرين أهم من تدريب المرؤوسين . أما بالنسبة لاسلوب التدريب فاقترح أن تكون المحاضرات مكتوبة ، وأن تؤدى الامتحانات كتابة وشفويا . وأخيرا ، أن تعطى « للطالب » شهادة بأنه أدى برنامج التدريب فى فرعه ، وأتمه .

١٠ ـ ثم اختتم **الدكتور السيد أبو النجا** الندوة ـ كما بدأها ـ بعقد مقارنة رائعة بين التعليم بالمراسلة والتعليم فى المدرسة العادية ، فقال ان الاول يمتاز بأن المعلومات تصل فيه الى التلميذ فى الوقت الذى يختاره هو ، ويكون فيه جالسا فى مقعده المريح ، وفى الظروف التى يريحه فيها أن يتعلم ، بينما التعليم فى المدرسة يفرض نفسه على التلميذ فرضا ، فيلقى على مسامعه وهو جالس على مقعد خشبى غير مريح ، وفى ظروف هى أبعد ما تكون عن اختياره .. فالمدرسة هى التى تختار المواد ، وهى التى تختار الوقت ، وسواء كان التلميذ مهيئا ـ نفسيا ـ لتلقى العلم أو غير مهيأ ، فهو مجبر على تلقيه !.. ثم ان الميزة الثانية للتعليم بالمراسلة أنه يتيح « تفاعلا » بين المدرس والتلميذ لا يتأتى فى المدرسة العادية ، لان المعلم بالمراسلة يتوقع استجابة من المرسل اليه ، أما فى المدرسة فالمعلم يلقى معلوماته دون أن يتوقع استجابة ما .. « ونحن فى التعليم بالمراسلة نتجه الى تلميذنا باعتباره بشرا ، فنتحدث اليه ، ونصل الى قلبه .. نحن لا نبيع المعلومات ، بقدر ما نشترى الاشخاص » .

.. و « كتابى » يسره أن يزف الى الجماهير العريضة تباشير هذا المجال الجديد الذى نرجو أن يستوعب مئات الالوف من الراغبين فى العلم ، وفى التدريب ، وفي التخصص .. سواء من شبابنا ، أو كهولنا .

فى دنيا الشعر والنغم

اختلست من زحمة الحياة لحظات صفاء وتأمل ، عشـتها فى دنيا الشعر والنغم ، مع انتاج ثلاثه من شـعرائنا : شاعرين معروفين ، وشاعرة ناشئة ٠

الشاعر الاول ــ كمال عمار ــ التقيت به عبر الاثير ، خلال برنامج « شعر وموسيقى » الذى يعده الشـــاعر فؤاد بدوى لاذاعه الشرق الاوسط قبيل منتصف كل ليله ٠٠ فقد سرق انتباهى صوت الممثل الاذاعى محمد علوان يتلو بالقائه الرائع قصيدة كمال عمار الجميلة التى التقطت منها هذه الأبيات :

ما الذى أغراك بى ، هذا المساء ؟

ما الذى أغراك بى ٠٠ قولى وبوحى
يا لهيبا شب فى أعماق روحى
لا تقولى الشعر ٠٠ فالشعر ٠٠
دموع الاصدقاء
وعذابات الظنون
لا تقولى هدأ الليل ونام الرقباء
فغدا يستيقظون
لا تقولى فيك أبصرت فلانا ٠٠
دمه ٠٠ ضحكاته ٠٠ لون العيون
فأنا وحدى على شط الجنون
زورقى الارض ومجدافى السماء
ومنى عصبتها بالكبرياء

* * *

والشاعر الثانى ــ الدكتور عفيفى محمود ــ التقيت به على صفحات ديوانه « وطنى ٠٠ وحبى » ٠ والدكتور عفيفى أديب

وعالم ، أو عالم وأديب ـ ولست أدرى أى الصفتين غالبه فيه ـ فقد عرفته كاديب وشاعر ، جمعتنى به رحله جمعيه الادباء الى موانىء البحر الاحمر على الباخرة (عايدة ٣) فى خريف ١٩٦٦ ٠٠ لكنى لم أعرفه كأخصـــــائى فى علم الحشرات ENTOMOLOGY ، حصل عـلى الدكتوراه فى هـــذا العلم من جامعة ميونيخ بألمانيا ، ثم عاد ليعكف عـلى خدمه وطنه فى المركز القومى للبحوث بالقاهرة ٠

ومن بين قصائد الديوان الاربع والثلاثين ، هذه القصــيدة المعبرة التى نظمها الشاعرفي ميونيخ فى مستهل شتائه الثانى بين ثلوجها (وفى الشتاء تكتسى ميونيخ بطبقة من الثلج تغطى المبانى ، والاشجار ، والسيارات ، ويبلغ ارتفاعها فى الشوارع أحيانا نحو متر !) :

البقية فى صفحة ١٧١



بقلم الكاتب الكبير الأستاذ : ابراهيم المصرى

هذه القصة من التاريخ ..

التاريخ العربى حافل بالبطولات .. فحيثما نقبنا ، فى بطون الكتب وصفحات التاريخ ، فى شتى عصور الوجود العربى ، نجد امثلة حية تنطق ـ بأفصح لسان ـ بأمجاد العرب ، وبطولة رجالهم ، وشجاعة نسائهم ، بل واستشهادهن أحيانا فى سبيل تحقيق النصر لجيوش بلادهن على جيوش الاعداء ـ (كما فعلت السلطانة « جلنار » زوجة الملك المظفر ، حين افتدت زوجها بحياتها ، فكفلت لجيش مصر النصر على جيوش التتار فى معركة « عين جالوت » الخالدة ، يوم الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨ هـ . ١٢٥٩ م .)

وقصة الملكة السورية « زينوبيا » ملكة تدمر ، التى نقدمها لك فى الصفحات التالية ، مثل آخر من أمثلة بطولة المرأة العربية ، ووطنيتها ، وشجاعتها الخارقة التى تزرى بشجاعة الرجال :

كان ذلك فى عام ٢٧٣ للميلاد ، وفى مدينة (تدمر) السورية ، وفى قصر « زينوبيا » ملكة تدمر الذائعة الصيت ..

وكانت زينوبيا ممددة على أريكة مستطيلة ، محتقنة الوجه ، متقبضة التقاطيع ، يقدح الشرر من عينيها السوداوين الساحرتين ، وتعبث يدها الرخصة المتشنجة بمروحة ذهبية صغيرة ، ويتجه بصرها المحدد وسمعها المرهف الى « بيلوس » تابعها المقرب ورئيس حرسها الخاص ..

وكان بيلوس ينظر اليها فى تضرع وخشوع ويرتجف .. كان يعبدها ولا يجسر حتى على لمس يدها ، وكانت هى تعرف أنه يحبها ، وأنه أخلص أعوانها لها ، وأنه من المحال

ان يكذب عليها ، أو يغرر بها ، أو يخون الرسالة المقدسة التي كرست لها نفسها وحياتها • ومع ذلك فقد اجترا ورفع يديه متوسلا مستجديا وهتف :

ـ الرحمة ل « جميلة » يامولاتي ! •• أنا الذى بصرتك بحقيقة مسلكها •• أنا الذى كشفت لك عن خيانتها •• لكن شقيقى « سارى » يحبها الى حد الجنون ، وفي عزمه أن يتزوجها ، وهو لابد أن يموت منتحرا لو حرمته أنت منها •• فأشفقى عليها يامولاتى وعاقبى الرأس فقط ، والرأس هو « ماكونيوس » ، هو الخائن ، وهو صنيعة الرومان فى بلادنا !

فضمت زينوبيا أهدابها ، وصاحت تتلوى وتهدر :

ـ اتشفق على جميلة من أجل شقيقك ؟ •• واذن فماذا يجب أن أفعل أنا وهى أختى ؟ •• أنا أيضا أشفق عليها من أعماق قلبى ، بل أحبها كأنها ابنتى • لقد ربيتها بعد وفاة أمى وكنت أحس أنها بضعة منى ، وصفوة من دمى ••ولكنها خانتنى وخانت شقيقك وبلادها لتحل محلى ، وتظفر بتاجى ، وتقترن بماكونيوس ، وتجعل منه بتأييد أعدائنا الرومان ملكا على تدمر ، هذه هى أختى •• فكيف تطلب الى أن أرحمها ؟

وأردفت زينوبيا وصوتها يدوى وعيناها تبرقان :

ـ لا •• لن أرحمها ولن أرحم شريكها •• كلاهما يسعى لهدم الصرح الشامخ الذى بنيت •• كلاهما يسعى لافساد الرسالة المقدسة التى أجاهد لتحقيقها منذ سنين •• لقد كان الفرس يطمعون فى حكم تدمر وسورية والشرق كله •• فحاربهم زوجى المتوفى « أوديناتوس » ، وقهر

ملكهم « شهبور » ، وعزز استقلال (تدمر) ومعظم البلاد السورية المجاورة لها .. ثم حالف روما التى نزلت على ارادته ، واعترفت به شريكا مساويا لها فى النفوذ على بلاد المشرق كله ، ولكن ها هى ذى روما ، روما حليفتنا بالامس وشريكتنا ، تتنكر اليوم لنا ، وتتربص بنا ، وتطمع كالفرس لا فى استعمارنا نحن فقط وبسط سلطانها السياسى والاقتصادى علينا ، بل فى استعمار جميع شعوب الشرق التى وقع معظمها تحت رحمتها ... وبالامس ، بالامس القريب ، بعث الى الامبراطور « أوريليانوس » برسالة أجبت عليها بالرفض القاطع .. رسالة غاشمة يكاد أن يفرض علي فيها عقد معاهدة جديدة تجعل من بلادى مقاطعة رومانية وسوقا مملوكة للرومان ، يوجهون سياستها ، ويتحكمون في مرافقها ، ويتصرفون فى تجارتها تصرفا يملأ بطونهم ويسوم شعبى شر ضروب الفقر والبؤس والهوان .. **فالغرب اليوم يهددنا .. الغرب يطمع فينا .. الغرب واقف لنا بالمرصاد ، ورسالتى أنا هى أن أوحد الشرق تجاهه ، أن أجمع كلمة العرب المظلومين ، واهل الشرق المستعبدين ، واضم صفوفهم ، والهب عزائمهم ، واقنعهم بأن فى الوحدة خلاصهم** ، ثم أؤلبهم على المستعمر الرومانى عند الاقتضاء ، فالوحدة الشرقية الشاملة هى دينى ومعتقدى .. وما دمت قد استطعت أن أمد نفوذ بلادى من الفرات الى البحر المتوسط ، فسأمضى فى تحقيق حلمى ولو غالبت المستحيل. ولقد بدأت بجمع كلمة العرب ، فأنا نفسى عربية بنت عربى كان أميرا من أمراء العراق ، والرومان هم الذين أطلقوا على اسم زينوبيا ، أما اسمي الحقيقي فهو زينب ، وهو عربي

كاسم أختى جميلة • فالعروبة فى دمى ، ومصير الشرق كله مرتبط بمصيرى ، وهأنذى بعد أن كسبت العرب ، أفلحت ايضا فى اجتذاب معظم شـــعوب هذا الشرق المعذب ، ولا سيما الشعب المصرى العريق الذى ضاق ذرعا باســتعمار الرومان ، والذى رحب بدعوتى ، وآمن برسالتى ، واستقبل جيوشى فى أرضه مؤازرة لا طامعة ، ومســـالمة لا مقاتلة ، ومتآخية لا غازية ، ومتضامنة مع مصر كلها فى وجوب تكوين جبهة شرقية موحدة متماسكة •• فتدمر الســـورية ومصر الفرعونية ، هما طليعة جيوش الشرق الموحـــد ، والقوة العظيمة المرهوبة التى لابد أن تنطلق يوما وتجاهد لخلع نير الرومان ! •• هذه رسالتى يا بيلوس أفضى بها اليك لاول مرة ، يقينا منى بأنك أنت ستكون فى الغد ساعدى ويمينى ، بعد أن غـــدر بى ماكونيوس واتصـــل بأعداء الشرق وأعداء بلادى •• أفما زلت بعـد هذا كله تقيم وزنا لاخيك وتشـفق عليه من عقاب ينزل بالخائنـــة جميلة التى بعشـــقها ؟! •• ان جميلة هى أختى وماكونيوس هو أحـــد قادة جيشى ، ولـكننى فى ســـبيل رسالتى لن آرحم أختا خائنة وقائدا مجرما !



فحدق اليها بيـــلوس ، واندفع بالرغم منه وقال :

ــ أفى نيتك حقا ان تعاقبى ماكونيوس ؟

فغشى الدم وجه زينوبيـا ، وصاحت وهى ترتجف :

ـ نعم .. أنا أحبـه .. ما زلت أحبه .. ما زلت أحب ذلك المجرم الذى يريد هلاكى .. ولقـد كان فى نيتى أن أتزوجه وأجعل منه ملكا ، ولكنى بعد ان خبرته ، وعرفته رجلا فظا غليظا مستبدا ، مولعا بالملذات فى شره ، ملمنـا على الخمر فى جنون ، خفت منه على مصير شـعبى وبلادى ورسالتى .. فأعرضت عنه ، فاستشعر هو قوتى ، فمال الى أختى الضعيفة ثم عاهدها على الزواج ، ثم أقدم عـلى الخيانة التى استكشفتها انت ، واستند الى تأييد الرومان وتواطأ مع أختى على الظفر بتاجى بعد قتلى .. أجل ، انه اليوم ألد أعدائى ، ومع ذلـك فأنا ما زلت أحبه .. ما زلت منجذبة اليه بسحر جماله وفتنة رجولته وقوة الشر المنبعثة منه . ولكنى على قدر انجذابى اليه أريد ان اقهر حبى له .. اريد أن أكون بعقلى وارادتى ومصلحة الشرق وبلادى أقوى من سلطانه الغاشم على .. اريد ان أصرع هذا السـلطان لأسـتوثق من نفسى ، وأطمئن الى قوتى ، وأحس أنى لست امرأة بل بطلة خليقة بأن تملك وتحكم وتكون صاحبة هدف ورسالة ومثل أعلى !

فأشرق محيا الضابط الشـاب ، وكاد الدمع ان يطفر من عينيه .. فانحنت عليه زينوبيا ولاطفت يده بأناملهـا ، وقالت فى صوت ملؤه الرقة والحنان :

ـ أنا أعلم يا بيلوس أنك أنت وحدك الذى تحبنى .. فأحببنى أيضا يا صـديقى ، ودع صـدق عواطفك المقرون بعظيم اخلاصك يتغلغل على مر الزمن فى نفسي ، ويطهرني

من هواى المنكر الشائن وينقذنى • ومن يدرى ، فقـــد يأتى يوم تكون فيه أنت يابيلوس الوفى حبيبى وزوجى !

فانفجرت دموع الشاب ، وأكب على يد مولاته وقبلها •• فتركت له يدها لحظة ، ثم أسرعت وجذبتها وصاحت :

ـ أما الآن فكف عن هذا الذى لا يليق برجل •• لقد نفذت أنت بنفسك خطتى ، ودعوت ماكونيوس لقضـــاء السهرة الليلة معى • أنه الآن فى الطريق الى هنا ، متبوعا من حيث لا يدرى بأعوانه من رجال الجيش الخونة الذين أرشدتنى أنت اليهم •• وفى اللحظة التى يكون فيها قد غادر منزله ، سيطبق رجالك على داره ويفتشونها وينتزعون منها الوثائق السياسية والخرائط الحربية التى كان فى نية ماكونيوس ان يبعث بها الى الرومان • فالخائن سيكون بعد لحظة هنا •• أما أختى فسيعلم الجميع فى غد أى مصير كان مصيرها ، فاذهب •• اذهب الآن أنت ، وأكمن فى هذا السرداب الصغير •• ومر بقية رجال الحرس أن يكمنوا هم أيضا فى القبو المجاور لبهو القصر •

وأرسلت زينوبيا قهقهة طويلة ، فارتعد بيلوس وهتف :

ـ احذرى يا مولاتى وتنبهى !

فصرخت وهى ما تفتأ تضحك :

ـ لا تخف على ••

ورددت وهى تومىء الى موضع السرداب :

ـ اذهب •• اذهب حالا ••

وما أن هبط بيلوس فى جوف السرداب واختفى ، حتى سمع فى الخارج وقع حوافر جواد •• فنصبت زينوبيـــا

قامتها ، وشع من عينيها بريق متوعد شـامت ٠٠ فصفقت مرتين ، فأقبلت وصيفاتها ٠٠ فأشـارت اليهن باستقبال ضـيفها ، وعادت هى فتمددت على الاريكة بعد أن حلت شعرها ، وكشفت عن صدرها ، وتأملت فى مرآتها منبت نهديها الناصـع حيث تتدلى مروحتها الذهبية الصـغيرة المتراقصة ٠٠

ودخل ماكونيوس ، فرحبت به الوصـيفات ٠٠ ولم يجردنه من سـلاحه كما جرت العادة ، ثم انحنين أمامه فى احترام بالغ واختفين ٠ فاتجه هو صوب زينوبيا ، وجثـا عـلى الارض ، وألقى التحية ، وبصره المبهـور يتفرس فى الملكة العظيمة التى ابتسـمت له ، واسـترخت أمامه ، وتمطت وتماوجت ، واستحالت الى أنثى ٠٠

لم تمهله زينوبيا ، وبسطت له ذراعيها الغضـتين ، وقالت :

ـ مرحبا بك أيها القائد ٠٠ أكنت تظن انى أعرضت عنك لان قلبى قد انصرف الى رجل غيرك ؟ ٠٠ تعال واجلس بجوارى ، وتأكد أنى لم أنبـذك فترة الا لامتحن حبـك يا حبيبى ، أما وقد وثقت اليوم فيك بعد تجـربة طويلة أقنعتنى أنا نفسى بأن لا حياة لى الا فى قربك يا ماكونيوس ، فالرأى والعقل والقلب منى قد استقرت جميعا على أن أتخذ منك زوجى وحليلى !٠٠ لهـذا دعوتك الليله ٠٠ فتقدم ٠٠ تقدم وقبلنى ٠ بل تقدم وخذنى ، عربونا على حبى وصدقى ٠ نحن فى القصر وحدنا ، ولولا اعتزامى أن أكون لك الليلة ما تجردت على هذه الصورة من غلائلى ، وما صرفت مختارة جميع أعوانى وحرسى ٠٠

ومالت اليه وقلبها يتقطع ٠٠ كانت تحدق في وجهه الاسمر الخمرى ، وفى صدره الملبد العريض ، وفى عينيه الزرقاوين المتقدتين ، وتقارن بينه وبين بيلوس الاعجف المهزول ٠٠ فتحس كأن قلبها يعتصر فى صدرها ٠٠ فتغالب قلبها ، وتغالب حبها ، وتحاول ما استطاعت أن تكبح الرعدة المخبولة المتمشية فى صميم احشائها ٠٠

وبهت الرجل ولم يصدق ٠٠ ولكن الصراع الذى نشب فى قلب زينوبيا ، ضاعف جمالها سحرا وحرارة وفتنة ، كما ضاعف صوتها حماسة واشتعالا وقوة ٠٠٠ فآمن ماكونيوس بأنها حقا تحبه ، وأنها قد اعتزمت حقا أن تتزوجه ، فقارن هو الآخر بينها وبين جميلة التى اتصل بها عجزا منه ويأسا ٠٠ فراعه حسن زينوبيا الباهر ، واغراؤها المتلهف القاهر ، وسلطانها المرهوب الذى دان له فى النهاية وخضع ٠٠ فاندفع نحوها ، وطوقها بذراعيه ، وقبلها ٠٠ فأنت المرأة أنينا موجعا ٠٠ أنين من يطلب ويرفض ، ويشتهى ويقاوم ، ويحب ويكره ، ويقسم وفى نيته ان يغافل ويطعن ٠ ولما اهتاجت حواس ماكونيوس وغلى دمه فى عروقه وهم بالمرأة ، **تملصت منه زينوبيا فجأة ، ثم وثبت كالفهد المطارد ، ثم صاحت مرفوعة الرأس وعيناها تلمعان :**

ـ لا ٠٠ الموت أحب الى الساعة مما ينتظرنى فى غد على يدك ! ٠٠ اقتلنى ٠٠ نعم اقتلنى ! ٠٠ لقد أحببتك ووثقت فيك ولم أجردك من سلاحك عندما دخلت الى هنا ، أفيكون جزائى منك بعد هذا ان تستمتع الآن بى ، ثم تتزوجنى فى غد وتقاسمنى ملكى ، **وأنت** مضمر فى

أعماق سريرتك ان تخدعنى وتتخذ من جميلة عشيقة لك ؟ .. لا .. الموت أحب الى .. فاقتلنى ، أمت بيدك سعيدة قبل أن أشهد خيانتك ومصرع حبى !

فكر عليها ماكونيوس ، وأمسك بذراعها ، وطفق يهزها هزا عنيفا ويقول :

ـ وأنت ؟.. ألست مضمرة فى نفسك أن تقترنى بى ثم تتخذى من رئيس حرسك بيلوس عشيقا وحبيبا ؟.. أجيبى ؟

فصرخت زينوبيا :

ـ أبدا .. ان بيلوس منذ الآن ملك يمينك .. فمر أحد أعوانك بقتله غدا ، على أن تسلم فى الوقت نفسه بموت جميلة !.. ضحية بضحية .. هذا هو شرط العدل والحب والوفاء !

فتطلع اليها ماكونيوس مذهولا وتمتم :

ـ ولكن جميلة أختك .. شقيقتك ؟!

فهتفت زينوبيا :

ـ ان رابطة القلب أقوى من رابطة الدم .. وأنا لن أكون امرأة وعاشقة اذا سمحت لاختى بالجسد أن تسلبنى من أحبه بالجسد والقلب والروح !.. انها هنا .. جاءت لزيارتى وأمضت اليوم معى .. انها فى حجرتها الخاصة .. ثالث حجرة بعد هذا الدهليز الطويل .. فاحزم أمرك يا ماكونيوس ، وادخل عليها الساعة وقم بواجبك !

فارتعد الرجل من فرعه الى قدمه وغمغم :

ـ ولكن في وسعك أنت ...

فصاحت زينوبيا وهى تدفعه :

ـ لا ٠٠ انمـــا أريد أن أختبر قوتك أنت ، لاستوثق من عمق حبك ، فأكون بعد ذلك لك !٠٠ سيضمنا مخدعى بعد لحظات ٠٠ ففكر فى نعيمنا وضع ارادتك فى قبضـتك وتقدم ٠٠

واحتضنته وقبلته مرة ثانية ٠٠ فناء وتصور النشوة الكبرى .. فأسرع وتملص واستـــل خنجره وانطلق فى الدهليز ٠٠

وســاد صمت زافر ٠٠ واحست زينـــوبيا كأن نارا تطوقها ، وكأن جزءا حميما عزيزا من كيانها يحترق بهـذه النار وينتزع منها ٠٠ فغـالبت أيضـا نفســها جهدها وتصلبت ٠٠ ثم عاد ماكونيوس ، عاد مترنحا متطوحا ، وقدم اليها الخنجر الدامى ، وارتمى بين ذراعيها ملهوفا وقال :

ـ لابد لى منك الســاعة والا فقدت عقلى ! أريد أن أنسى جريمتى فيك ، وفى نهر من الخمر أعب منه وينقذنى !

فالتقطت زينوبيا أنفاسها وصاحت :

ـ سيكون لك كل شيء ٠٠ الجســد والخمر ٠٠ الملكة والتاج ٠ أنظر الى هذه الجرار الضخمة العشر ٠٠ ان فيهـا



خمرا نادرة جلبتها من أينع كروم بلاد اليونان ، ويمكنك بعد لحظه واحدة وأنت بين أحضانى ان تعب من تلك الخمر الالهية حتى ترتوى . ولكن تجرد من بقية سلاحك أولا ، واخلع عنك هذا الرداء الذى يعوق حركاتك .. سلمى .. يا سلمى .. خذى هذا السلاح ، واحملى الينا كوبين من ذهب ، واغلقى علينا الباب وتنبهى ..

وجاءت الوصيفة بالكوبين ، ثم اختطفت السلاح ، وخرجت به وهى ترمق مولاتها بنظرة جانبية وترتجف . وما أن اختفت حتى ضم ماكونيوس زينوبيا فى عنف الى صدره .. فتقلبت المرأة فترة بين ذراعية ثم تصلبت ، فهتف وهو يقبلها ويتشبث بها :

ـ يالك من ساحرة آخذة بالالباب .. أحبك بقدر الروع الذى ملكنى حيال جثة أختك ! .. أنت كالمرجانه ، فيك ليونة النبات وتحجر المعادن !

فلم تجبه زينوبيا على الفور ، بل ارتعشت فجأة اذ سمعت صهيل خيل تقترب .. فقالت عندئذ لماكونيوس وعيناها تبرقان وصوتها يدوى :

ـ وأنت .. أنت كالخفاش ، أعمى ، لا تبصر نهارا ولا فى ضوء القمر ، أما غذاؤك فهو البعوض ! .. فانظر .. أنظر الى الحديقة .. أنظر الآن يا ماكونيوس واسمع ..

وقفزت الى رحبة البهو الفسيح ، وماكونيوس يتطلع اليها ذاهلا شاردا ، وجذبته من ذراعه ، وأدنته من النافذة، وطفقت تردد :

ـ أنظر الآن واسمع ..

فلم يكد يحدق حتى انخلع بدنه ، وجحظت عيناه وجمد .. أبصر منظرا فظيعا .. أبصر رفاقه الخونة كلهم وقد جاءوا ملبين دعوة الملكة ، وعزلا من السلاح كما جرت العادة ، يتساقطون الواحد بعد الآخر وهم يذودون عن انفسهم بأيديهم وأسنانهم وأرجلهم صارخين مستغيثين ، ورجال الحرس الذين خرجوا بغتة من القبو المجاور للبهو ، يحدقون بهم ، ويعملون السيف فى رقابهم ، ويسدون عليهم مسالك الحديقة التى استحالت الى شبه بركة من الدم تحت ضوء القمر ..

وأيقن ماكونيوس من المكيدة .. فجن جنونه ، وتحول الى المرأة كوحش كاسر وهو يصرخ :

ـ الغادرة !.. الخائنة !

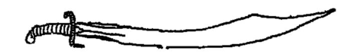
ولكن زينوبيا أفلتت منه .. وعدت الى أقصى البهو ، وصاحت وصوتها الهادر يموج حقدا وبغضا وتشفيا :

ـ الوثائق والخرائط التى كانت فى دارك أصبحت فى حوزتى ! .. ألم تتفق مع التاجر الرومانى « سيبيون » على أن تبعث بها معه الى روما ؟.. ألم تتقاض منه الثمن أنت وأختى وأعوانك السبعة أكثر من خمسين ألف قطعة من الذهب الخالص ؟.. فالخائن الغادر هو أنت .. أنت و هم .. وخيانتكم أشد هولا وأفظع ألف مرة من العقاب المدبر الذى أنزلته بكم .. ذلك لانكم لم تخونوا بلادكم فحسب ، بل خنتم العرب كلهم !

فطاش صواب ماكونيوس ، ورفع قبضته ، وانقض على زينوبيا .. ولكنها أسرعت ودفعته عنها وصرخت :

ـ الى يا بيلوس ·· الى يا رجالى ·· هاتوا خمـــرا للقائد الباسل الشريف !

فبرز بيلوس من جوف السرداب وسـيفه فى يده ·· وانفجرت أغطية الجرار الضخمة العشر التى تحمـــل الخمر النادرة المزعومة ، وانطلق منهـــا عشرة رجال كانوا جثما قعودا فيهـا ، واندفعوا هم ورئيس الحرس نحو ماكونيوس المروع المتخبط الذى انهالت عليه الطعنات من كل صوب ، بينما كانت زينوبيا تضحك ملء رئتيها ، وتضـــحك ملء فوزها ، وبصرها الثابت الراسخ المندلع يشـــخص فى ألم عجيب وفرح عميق الى الجثمـــان المشـــوه الذى كانت تضج وتمرح بالامس فيه روح حبيبها ومعبودها ··



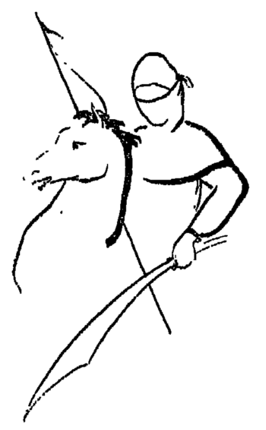
ولما شفت غليلها ، مشت الى باب الصـــدر وفتحته ، ومرقت الى الحديقة ، ومضت تتأمل جثث الخونة ، وتحصيها ، وتعينها بأســـماء أصـــحابها ·· وفجأة قطبت حاجبيها ، وصاحت بالحرس وعيناها تتوهجان سخطا وغضبا :

ـ كانوا ســـبعة رجال ·· فأين ســـابعهم ؟ ·· أين « ملكارت » الكلدانى الوصـــولى الدنىء الذى هو فى نظرى أخبثهم وأدهاهم جميعا ؟ ·· لا أرى أثرا لجثته ·· كيف أفلت منكم ؟ ·· لابد أن يـكون قد فر ·· ابحثوا عنـــه فى كل مكان ، وجيئونى به حيا أو ميتا !

ووجم الحرس ·· ثم ارتموا فى أرجاء الحديقة باحثين

منقبين ، ولكنهم لم يعثروا على الضابط الكلدانى الهارب ٠٠ فامتطى البعض منهم صهوات جيادهم واندفعوا الى المدينة يبحثون عنه ، وظلت زينوبيا واقفة تتأمل صرعى الخيانة وتأمر برفع أشلائهم ، وبيلوس المعجب المفتون يحدق فيها، وأشعة القمر الساطعة تنصب عليها ، وهى هادئة ثابتة شامخة ، كأنها الالهة عشتروت العذراء القوية نفسها !

وانقضت أسابيع طويلة ، ولم يستطع رجال الحرس والشرطة أن يقفوا على أى أثر للضابط الكلدانى الخائن ملكارت ٠٠ فلم تكترث زينوبيا ، وعكفت بكل قواها على تطهير جيشها ٠٠ فاستأصلت منه العناصر المشبوهة وتولت قيادته بنفسها ، وأسندت الى بيلوس المنصب الذى يليها ، وراحت تنظم الصفوف وتجمع السلاح ، وتعد العدة لحرب فاصلة كانت تتوقعها ، وتستشعر مقدمها ، وتحس أن الرومان يتهيأون لها ٠٠



وكانت على ثقافتها الاغريقية الواسعة ، قد حذقت أيضا فنون الحرب والقتال على يد أساتذة تلقوها من الرومان أنفسهم ٠٠ **فكانت تنظم جيشها نهارا ، وتنكب على الخرائط ليلا ، تدرسها ، وتعين المواقع التى يمكن ان يهاجمها**

العدو منها ، وترشد رجالها اليها ، ولا تفتـــا تردد عليهم أن روما تتربص بهم ..

وبالفعـــل كانت روما تســـتعد .. وكان الامبراطور أوريليانوس الذى بلغه نبأ المكيدة التى أطاحت بماكونيوس صنيعته فى (تدمر) ، والذى أفزعه نزول جيش زينوبيـا فى مصر متآخيا مع المصريين ، والذى هاله وروعه أن يفلت الشرق من قبضة روما ويصبح ملكا خالصا لاهله ، قد أعد العدة هو الآخر لاسترداد ســـيطرة الغرب عـلى الشرق ، ومقاتلة زينوبيا حامية الشرق ، وانقاذ امبراطورية الرومان التى كانت قد بدأت تتفكك وتنحل تحت ضربات الشـــعوب الاجنبية المستعبدة ..

(البقية فى ذيل الكتاب :
انظر رقم الصفحة فى الفهرس)



DISCIPLINING YOUR CHILD

The Practical Way — By : PETER G. CRANFORD

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

كتاب يجب أن يقرأه الآباء والأمهات

• استفحال انحراف الصغار - الى درجة الانغماس فى ابشع الرذائل وانكر الجرائم - ظاهرة اصبحت تؤرق الآباء ورجال التربية والاجتماع فى شتى بلاد العالم ، وفى بلادنا بطبيعة الحال ، فان ما نقلناه من نظريات التربية والتعليم الاوربية - وساهمت فى تعميمه اجهزة السينما والاذاعة والتليفزيون - يقرب ما بين البلدان على تباعدها ، ويكاد يوحد المشكلات فى المجتمع الانسانى كله !

ولقد اجمع رجال التربية وعلمى النفس والاجتماع على ان السبب الاول لهذه الظاهرة يرجع الى سياسة الاغضاء عن اخطاء الطفل فى صغره ، والى تجنب العقاب البدنى .. حتى لقد نادى بعض المربين الانجليز بان يصطحب المدرس فى فصله « عصا » .. ولو للارهاب !

ومؤلف هذا الكتاب « بيتر كرانفورد » ، من علماء النفس الذين توفروا على بحث هذه الظاهرة ، واجراء تجارب عملية - على اولاده واولاد الغير - حتى توصل اخيرا الى ان « العقاب البدنى » هو العلاج الاوحد .. ولكنه لم يطلق النصيحة على عواهنها ، بل وضع للعقاب اصولا ، وحدودا ، وشروطا استمدها من تجاربه .. ثم فصل كل هذا فى الكتاب الذى نلخصه لك فيما يلى ، والذى يجدر بكل اب وام - وبكل من يعتزم ان يصبح ابا او اما - ان يقرأه :

التأديب عند قدماء الشعوب

ان بذور السعادة كامنة فى أعماقنا ، وفى متناول أيدينا ، وليس علينا سوى أن نعنى بها لتنبت وتثمر ..

ومن أعظم مصادر السعادة ، الروابط التى تربط بيننا وبين صغارنا ، فهى من المتانة والقوة بحيث تحمل الآباء على تحمل أقسى عناء ، وعلى أن يكونوا أشـــبه بالعبيد الأرقاء ، فى سبيل تنمية ابنائهم وحمايتهم . هذا ويبدأ حرص الأب على تهذيب ابنه وتعليمه وارشاده مع مولد الطفل ، وينمو بنموه .. ولا ينتهى ، فى الغالب ، الا عندما يغادر الأب هذه الدنيا .

ومنذ فجر التاريخ الانسانى ، كان ثمة اجماع على أن النظام والأدب يجب ان يفرضا فرضا على الصغير ، ولذا كان او بنتا .. فـكان قدماء المصريين يؤمنون بأن اله التعـــليم والمعرفة « توت » قد أنزل على الأرض « عصا التأديب » ..
وكان فلاســـــفة الاغريق ينادون بالجزاء والعقاب ، فكان « أرسطو » يرى أن الأطفال يجب أن يوجهوا « بدفتى السرور والالم ، لاصـــلاح أمورهم .. ونهج الرومان نفس النهــج ، حتى لقد كان « كاتو » يرى ان « اعظم واجب لأى أب هو ان يربى ابنه تربية صحيحة » .. **وكان يذهب الى درجة ان«للأب الحق فى أن يأمر بموت ابنه ، اذا امعن فى الاعوجاج واستعصى على الاصـــلاح » .. وورد فى التـــــوراة ، أن الذى يهمل استخدام العصا « يكره ابنه »!**
وجاء فى تعاليم القـــــديس

« توما الاكوينى » ـ التى ســادت الكنيســة الكاثوليكيـة منذ سبعة قرون ـ أنه لما كان بعض الأبناء يضلون ويميلون الى الرذيلة ، ولا يتسـنى تقويمهم بالكلام « لذلك كان من الضرورى لأمثالهم ان يكبحوا عن الشر بالقوة والارهاب » ..

ولقد عارض « **جان جاك روسو** » ـ فى كتابه « اميل » ـ أخذ الأطفال بالجدل والمنطق ، والاستجابة لكل رغباتهم ، اذ أن هذا يطمعهم فيزدادون شططا فى هذه الرغبات ، حتى يأتى يوم يضطر فيه الآباء الى عدم الاستجابة ، فيكون هذا أقسى ايلاما مما لو عمد الآباء من البداية الى تجنب الاستجابة السهلة ..

ودعا « **هيجل** » ـ فى القرن التاسع عشر ـ الى العقاب ، « لا استهدافا للعدالة ، وانما تقييدا لاستعمال الطفـل حرية لم تعده الطبيعة بعد لاستعمالها » ..

بدء سياسة التساهل

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، أساء بعض المفكرين تفسير آراء أفلاطون ، وروسو ، ومونتين ، وديوى ، وفرويد ، واستطاعوا ان يغلبوا سياسة تجنب العقاب ، خشــية « العقد النفســية » ! .. حتى أصبح الآباء عاجزين عن استخدام سلطانهم ، ومنعت المدارس ـ بل ومحاكم الاحداث ـ من ممارسة « العقاب البدنى » ، مما أسلم المسئولين عن التربية الى حيرة أليمة ..

ولكن تطور الأمور فى الســنوات التى انقضت منذ الرضوخ لآراء هؤلاء المفكرين ، جعل الرأى العام أشد مايكون اقتناعا اليوم ـ تؤيده الأحداث والاحصــاءات والبحوث ـ

بأن ازدياد انحراف الأحداث ، واستفحال الاضطرابات النفسية لدى الصغار ، مرده الأول ان نظريات التربية الحديثة ـ التى تنادى بتجنب الكبح والكبت والعقاب ـ قد نسفت سلطة الأسرة والمدرسة من جذورها !

والواقع ان مولد سياسة التساهل الراهنة يرجع الى سنة ١٩٠٠ ، عندما كتب الفيلسوف والتربوى الامريكى « جون ديوى » مقالا بعنوان « علم النفس وتطبيقه اجتماعيا »، مهد به للنظرية القائلة بأن التعليم يجب أن يقوم على قاعدة من علم النفس ، وعلى مراعاة مصالح الطفل ورغباته ٠٠ وكان جماع قوله ان **الطفل بفطرته ينزع الى النمو ، فهو يعمل ـ او يجب أن يعمل ـ على تكوين مجموعة من العادات المرنة ، تمتاز أول ما تمتاز بعلاقتها باستكمال النمو ، وليس باكتساب دربة معينة أو مهارة بالذات ٠٠**

وقد وجدت دعوته نفوسا وعقولا معدة لتقبلها ، ولأن تقرنها بدعوة « أفلاطون » الى أن من الممكن جعل التعليم مشوقا لنفس الطفل ، وبما قاله « روسو » من أن الطفل طيب بطبعه ٠٠ وبما كان قائما من استنكار لاستغلال الأطفال فى مختلف الأعمال القاسية ، نتيجة للانقلاب الصناعى ٠٠

وفى سنة ١٩٠٩ ، وجدت هذه الأفكار تأييدا قويا ، اذ طلع « فرويد » على الناس بآرائه الخاصة بأن الاضطرابات النفسية للطفل ذات آثار بعيدة تنعكس على حياته فى المستقبل ٠٠

وهكذا جعلت آراء « ديوى » و « فرويد » تكأة لفرض سياسة التساهل والاغضاء عن أخطاء الطفل ، فى الأسرة

والمدرســـة الأمريكيتين ·· ومنهما امتدت الى بقية أرجاء العالم !

ديوى وفرويد ينتقدان سياسة التساهل !

والواقع ان أحـــدا من الاثنين ــ ديوى وفرويد ــ لم يدع الى التساهل التام ، بالشكل الذى قامت عليه اتجاهات التربية بعد الحرب العالمية الأولى ·· بل انهما انكرا ســـوء تفســـير آرائهما ــ حين رأيا النتائج التى ترتبت على تلك الاتجـــاهات التربوية ــ فكتب ديوى فى كتابه « التجربة والتعليم » ، الذى أصدره فى سنة ١٩٣٨ـ :

« **ان الاسراف فى الاستجابة لرغبات الطفل ينتج أثرا مستمرا ، فهو يخلق فيه مطالبة « أوتوماتيكية » بأن يلتزم الناس بالاستجابة لرغباته ونزواته فى المســتقبل ·· وهذا كفيل بأن يجعله عاجزا عن معالجة المواقف التى تتطلب جهدا ودأبا لمغالبـــة العقبات** ·· وأن نقص الأخلاق والسلوك فى بعض المدارس التقدمية يرجـــع ــ الى حد ما ــ الى حرص الأطفال على أن يمضوا فيما يفعلون ·· وهذا يعنى فشلهم فى أن يتعلموا درسا من أهم دروس الحياة ، هو التكيف والتوافق المشترك مع من حولهم ·· » ·

·· كما قال « فرويد » فى كتابه « محاضرات تمهيدية جديدة للتحليل النفسى » : « **ان المهمة الرئيســية للتعليم ، هى أن يعرف الطفل كيف يســـيطر على غرائزه ونزواته · فمن المســـتحيل ان نكفل له حرية كاملة فى ان يطيع كافة نوازعه ودوافعه دون قيود ·· اذ أن هذا يجعل الحياة لاتطاق بالنسبة للوالدين ، كما انه خليق بأن يوقع بالأطفال أنفسهم**

ضررا بالغا • ومن ثم فان وظيفة التعليم والتربية هى الردع ، والمنع ، والقمع • وقد أدت التربية هذه الوظيفة بنجاح يدعو الى الاعجاب ، في جميع الأزمان • ولكنا عرفنا من التحليل النفسى ان هذا الكبت للغرائز ـ بالذات ـ ينطوى على خطر المرض النفسى » •

ولكن شيئا من هذه التنبيهات لم يوقف تيار سياسة التساهل ، نتيجة « الوهم الجماعي » الذى انتشر بين الآباء والمدرسين •

حيرة الآباء والمدرسين

وهكذا وجد الآباء والمربون أنفسهم فى حيرة بين تيارات متعارضة ، منها :

◆ **ان** التربية الصارمة التى يلقاها الطفل فى نشأته ـ فى البيت ـ قد تكون سببا فى انحرافه ، أو من أسباب تعاسته فى المستقبل ••

◆ **ان** احصاءات المحاكم تدل على أن أكثر من ٦٠ فى المائة من الأحداث المنحرفين ، لهم آباء لا يؤدبونهم !

◆ **ان** التساهل مع الطفل وتملق رغباته يعلمه سوء السلوك ، مادام بوسعه ان يرضى نفسه دون آن يلقى عقابا •• وتكون النتيجة انه لا يتعلم « الصواب » ، ولو عرفه ما حفل به اذا وجده عقبة تعترض لهوه وسروره !

◆ **ان** الطفل لا يخشى الأب الذى يبدى ضعفا •• ولا يحبه ، وانما يستغله فى سبيل رغباته !

وهكذا أصبح الأبوان يعانيان عقدة الشعور بالذنب

والخوف اذا هما اضطرا الى ان يعاقبا ابنهما ٠٠ ومع ذلك ، فالمجتمع لا يرحمهما ولا يعفيهما من المسئولية اذا نشأ ابنهما مدللا مفسودا !

كذلك صار موقف المدرسين والمربين تشوبه نفس الحيرة ٠٠ فالبيت والمدرسة ، بل المجتمع كله ، فى حيرة ! ٠٠ وقد استفحلت هذه الحيرة ، كما استفحل انحراف الأحداث ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ٠٠ وبات الأمر يتطلب علاجا سريعا ٠٠

الطفل نفسه يرحب بالعقاب !

وهنا برز فريق من رجال التربية وعلم النفس ، يطالبون ـ على ضوء تجاربهم وبحوثهم ـ بالعودة الى سياسة التأديب القديمة ٠٠ الى العقوبة البدنية ! ففى كتاب « دليل ارشاد الطفل وتوجيهه » ـ الذى صدر فى سنة ١٩٤٧ ـ كتب « ر٠ ل٠ جنكينز » يقول : « لا قيام لمعهد لعلاج الأطفال المنحرفين الا بالتأديب ٠٠ فالجدل المنطقى ، والسعى الى الاقناع ، لا يفلحان فى كثير من الاحوال » ٠٠

وقال الباحثان النفسيان « لويلا كول ، وجون مورجان » فى كتاب لهما بعنوان « نفسية الطفل والمراهق » ، ان الأطفال ـ الى ماقبل ستين عاما ـ كانوا يتعرضون للصفع ، والضرب ، بل والجلد ، سواء فى البيت أو المدرسة ٠٠ « ومن المؤكد أن الأساليب المتطرفة خليقة بأن ننكرها ٠٠ ولكن للعقاب « المخفف » قيمة لا تقدر » !

وكتبت الدكتورة « ايرين جوسلين » فى كتابها « الطفل السعيد » ، أن هناك أوقاتا يكون فيها الضرب مظهرا للحب

** « فالطفل – عادة – يخاف من نوازعه ودوافعه ، وهو يشعر بالأمن اذا مارس الكبار مسئولياتهم وتولوا توجيه هذه النوازع • والعقاب هو وسيلة الوالدين لاظهار استعدادهما لحمل هذه المسئوليات » ••**

وفى كتاب « صون إعصاب الأطفال » ، قال الدكتوران جيمس والش وجون فوت : « لا مراء فى أن تساهل الوالدين كثيرا ما يقوى النزعات المنحرفة لدى الأطفال •• وكثيرا ما يكشف تاريخ المجرمين عن انهم كانوا أطفالا عصبيين ، غير مستقرين ، لم يلقوا التأديب اللازم فى صغرهم ، فنشأوا وهم لا يعرفون كيف يكبحون جماح نوازعهم •• »

ولقد تبينت أنا بدورى – من الحالات التى درستها ، ومن البحوث التى أجريتها – ما يؤيد كل هذا •• فالطفل – فى دخيلة نفسه – يرحب بالضرب ، ويفضله على الحيرة التى تتولاه ازاء التمييز بين ما هو « صواب » وما هو « خطأ » •• فالعقاب يحدد له الصواب ، أو يفرضه عليه •• وليس أقسى عليه من أن يتهاون أبواه عن وضع قواعد واضحة يلتزم باتباعها ، أو يعرف – على الأقل – انه اذا لم يتبعها تعرض للعقاب ••

علاقة الاضطرابات النفسية بالتأديب

وكان من الظواهر التى أدهشتنى ، ان مرضاى النفسيين من الصغار كانوا يزدادون تقدما نحو الشفاء – بسرعة تفوق المعدل العادى – اذا ما تحسنت أساليب تأديبهم ، باتباع الوالدين ماكنت أرشدهم اليه من تعليمات

قوامهـــا الضرب ، فى الحالات التى كنت أدرك فيهـــا ـ من أحاديث الوالدين ـ ان الصداع ، أو اضطرابات المعدة ، أو غيرها من أعراض الأمـــراض النفسيه لدى الأطفـــال ، كانت مترتبة على ميوعة فى التأديب !

وهكذا تبينت أن التأديب خليق بأن يقضى ـ بوجـــه عام ـ على كثير من المشكلات النفسية لدى الاطفال ٠ وبوسعنا ان نخرج من هذا بأن كثيرا من مشكلات الكبار ، ترجع ـ الى حد كبير ـ الى أنهم لم يتلقوا تأديبا حازما فى طفولاتهم ٠٠ فان القلق ، والاكتئاب ، والصداع ، وما اليها تنشـــأ عن الصراع النفسى الذى ينشأ بدوره عن شعور المرء بأنه متورط فى محنة لا يدرى منها مخرجا ، أو فى موقف لم يدرب عـلى أن يواجهه ويتغلب عليه ٠

وســـــاءلت نفسى : ألا يحتمل اذن ان يكون التأديب وسيلة لشفاء الاضطرابات النفســـية ؟ ٠٠ ومن ثم شرعت اتجه فى تجاربى هذه الوجهة ، فسرعان ما لاحظت أن سرعة شفاء المريض كانت ترتبط بسرعة تخلصه من الصراع الناشىء عن محنة أو موقف يحيره ٠٠ وبالتالى ، ترتبط بسرعة حسمه الأمر واتخاذه قرارا بصدده !

ومما عزز اتجاهى أننى كنت أسأل الأبوين عن بداية مرض ابنهما ، فكنت ـ فى أغلب الحالات ـ أتبين ان بوادر المرض النفسى كانت تظهر فى ظروف يعجز فيهـا الابن عن التفرقة بين التصرف الموفق والتصرف غير الموفق ٠ فاذا كان الطفل ممن يباح لهم أن يفعلوا ما يشاءون ، فانه كان لا يلبث أن يحتك بالقيود الكابحة فى البيت أو المدرسة أو المجتمع ، فاذا به عاجز عن التفرقة بين السلوك السليم والسلوك غـير

السليم ، فيحدث الاضطراب النفسى · **وعلى مر الأيام ، وتعدد التجارب ، اتضح بجلاء قاطع أن هناك ارتباطا وثيقا بين الاضطرابات النفسية والعصبية ، وبين التاديب ··**

على أننى لم أقنع بتشابه المعلومات التى كنت أحصل عليها من الأب ومن الأم ومن الطفل ، كل على حدة ·· بل عنيت فوق هذا بالتحرى عن الأبوين نفسيهما :

الآباء أصناف ·· والأبناء هم الضحايا !

ووجدت الآباء أصنافا عديدة متباينة :

هناك الآباء ذوو النوايا الطيبة · وكل الآباء — فى الأصل — من هذا الصنف ، فهم اذا أهملوا تأديب أولادهم ، فانما يصدرون فى الاهمال عن حسن نية ! ·· **وهناك الآباء المسرفون فى التأثر بعلم النفس ونظرياته ، الى درجة تجعلهم يشطون فى الخوف من أخذ أبنائهم بالحزم الصارم ·· ومما ادهشنى أن بين هؤلاء علماء نفس ومحللين بارعين !! ··**
وهناك آباء لم ينجبوا أبناءهم وانما هم أخذوهم بالتبنى ، فهم يسرفون فى الترفق بمن تبنوهم ، بدافع اللهفة والخوف من أن يحرموا من هؤلاء الأبناء ·· وهناك أمهات وآباء يكرهون ان يؤدب أزواجهم الحاليون أبناءهم من أزواج أو زوجات سابقين ·· كما أن هناك أزواج أمهات أو زوجات آباء يؤثرون عدم تاديب ربائبهم تجنبا للمشكلات ، أو نتيجة لعبارات جارحة من الأولاد ، مثل : « لست أبى — أو لست أمى — حتى تضربنى » !

وهناك آباء وأمهات يشعرون بمرارة لما كانوا يلقونه على أيدى آبائهم من تاديب ، فهم ينفرون من أخذ أولادهم بالحزم

.. كما أن منهم من أمضهم الفقر فى صغرهم ، فهم يسرفون فى الاغداق على أبنائهم دون حســـاب أو تقدير لنتائج هذا الاغداق .. كما ان هناك آباء تستغرقهم أعمالهم اســتغراقا يجعلهم بعيدين عن بيوتهم معظم الوقت ، ويصرفهم عن تقويم أبنائهم . فاذا استمر هذا سنوات متعاقبة ، لم يجد الطفــل من يرشــــــده الى الصواب أو الخطأ ، فلا يلبث أن يعانى الاضطرابات النفسية ..

الجد يفسد الحفيد بالحنان المسرف

وهناك آباء ــ وأمهات طبعا ــ مغلوبون عـــلى أمرهم ، يعيشون مع آبائهم أو أمهاتهم ، فاذا الأجداد يفسدون عليهم تربية الأبناء .. ذلك لأنهم يتمثلون فى الأحفاد الرابطة بين الماضى والمستقبل ، وهم ينشدون حب الأطفال ليساعدهم على تعويض ما لم يعودوا يشعرون به من حب الأبناء ، لانصراف هؤلاء الى شؤون الحيـــاة والعيش .. **ومن ثم فهم يتسامحون ازاء ذنوب الصغار ، ويكتمونها عن الآباء ، بل يحمونهم من العقاب اذا اكتشف الآباء الذنوب .. وهم يسرفون فى الحنان والتدليل الى درجة الافساد !**

كذلك هنــاك من الآباء من يذهبون فى التبســـط مع أولادهم واكتســـاب ودهم حدا يجعلهم يزيلون كل مظهـــر لسلطانهم وولايتهم . وصداقة الآباء مع الأبناء مســتحبة ، ولكن بحيث لا تمحو سلطان الأب .. **ذلك لأن مهمة الأب أن يكون أبا ، لا زميلا لابنه .. واجبه أن يكون مرشدا ومعلما للابن ، دون أن يضحي بنفوذه وسلطانه عليه ..**

ثم ان هناك صنفا من الآباء يسهل خضوعهم وانسياقهم لسواهم بالفطرة .. ومثل هؤلاء يجب أن يعملوا على تقوية شخصياتهم حتى لا ينساقوا لأبنائهم ، والا أوقعوا بالأبناء أبلغ الاضرار . وشبيه بهؤلاء ، الآباء المرتبكون ـ الذين يرتبكون ازاء أى موقف ، وهم بالتالى يرتبكون فى تاديب أولادهم ! ـ ولكن اسوأهم جميعا ، الآباء الذين يعانون اضطرابات عاطفية ، كالأب الشقى بزوجته ، فهو يحول حبه لها الى ابنه ، أو الأم التى ليست على وئام مع زوجها ، فهى تعتمد على ابنها فى التعويض النفسى .. وهذا كفيل بأن يعرقل مهمة التأديب ، ويؤدى الى مصاعب كثيرة .

فرض السلوك بالجزاء المتكرر

ونخلص من هذا الى أن التساهل والتسامح من الآباء ، غالبا ما يكون سببا فى سوء تأديب الأبناء .. ومن ناحية أخرى ، فان الاسراف فى الشدة لا ينتج أبناء سليمين من الناحيتين النفسية والخلقية ..

وخير الأمور الوسط.. وهذا هو قوام أسلوب « الفرض المتكرر » الذى انتهيت اليه .. فرض السلوك على الطفل بالجزاء المتكرر ، سواء كان هذا الجزاء عقابا أو مكافأة ..



وهذا الأسـلوب كاف لتأديب الأطفال بين الثانية والثالثة عشرة من أعمارهم ٠٠ ويحتاج الى تعديل بعد هذه السـن ، نظرا لظروف المراهقة ٠

وأسلوب « الفرض المتكرر » أشـبه بأسلوب « الجزر والعصا » الذى يسـتخدم فى ترويض البغال العنيدة ٠٠ ولكننا هنا نستخدم قطعا صغيرة من الجزر ـ كمكافأة سريعة مباشرة ـ وضربات خفيفة بالعصـا ، كعقاب سريع مباشر ، بدلا من ثمرة كبيرة من الجزر ، أو ضربة شـديدة بالعصا ، لمرة واحدة ٠٠ !

ذلك لأن سياسة الاقتصار على المكافأة لحسن السلوك هى أضعف السـياسات التربوية فى اعداد المواطن للمجتمع الذى يعيش فيه ٠٠ لأن المجتمـع ـ بقوانينه ـ يفترض فى المواطن أن يكون حسن السلوك ٠٠ كذلك نجد أن سياسة الاقتصار على العقاب لسـوء السلوك قد تكون أفضل من سـابقتها ، ولكنها غير كافية ٠٠ فهى بمثابة التحذير : « لا تفعل » ، ولكنها لا تدفع الطفل الى ما ينبغى أن يفعل ٠٠ **لذلك كانت خير سياسة هى التى تجمع بين الاثنتين : المكافأة عن التصرف الحسـن ، والعقـاب جزاء التصرف السيء ٠** ولكن هناك شروطا ومتطلبـات يجب مراعاتهـا لتؤتى هذه السياسة الثمار المنشودة :

الاسراع فى العقاب والمكافأة ضرورى

وأول ما يجب مراعاته هو أن تأخير المكافأة أو العقاب يذهب بفائدة هذه الطريقة ٠٠ ذلك لأن تأخير العقاب يوحي

للطفل بأن فى وسعه ان ينجو من نتائج سوء السلوك مؤقتا ـ وربما نهائيا ، اذا نسى الأبوان ، أو هدأ غضبهما ـ واذا عرف الطفل أن العقاب لن ينزل به فورا ، فان التوعد والتهديد لا يعود لهما أثر فى تأديبه !

وكل ما يتطلبه الأمر ، ضربة سريعة مباشرة ـ بعصا أو حزام ـ على اليد أو على المقعدين •• أو قرصة معتدلة فى الساق أو الذراع أو المقعدين •• فالغرض الأول هو أن يقترن الألم بالتصرف السىء ، فيجب أن تكون الضربة أو القرصة مؤلمة ، ولكنها ليست من الشدة بحيث تؤذى أو تضر •• لذلك يجب أن يتجنب الوالدان الانسياق للغضب عند توقيع العقاب ••

وهناك أساليب اضافية تضاعف من أثر العقاب ، كأن تصحب الضربة حركات من الرأس أو الاصبع ، مع تكرار كلمة : « كلا •• لا » •• وقد تكفى مع الضربة « نظرة » تدل على الاستياء •

وما لم تعقب الضربة الأولى ـ اذا اخفقت فى الردع ـ ضربة ثانية حين يتكرر الذنب ، فان العقاب يضعف •• وكذلك الأمر بالنسبة للمكافأة• والمهم هو المبادرة السريعة• فان قطعة من الحلوى تقدم بمثابرة عقب كل تصرف حسن ، أجدى من دراجة يوعد بها الطفل فى المستقبل •• **المهم هو الاسراع بتوقيع العقاب أو تقديم المكافأة •• فاذا تكرر الأمر ، تعلم الطفل ما يحسن به عمله ، فيصبح عادة** •• وقد أثبتت التجربة أن عقاب الطفل بخمس عشرة ضربة لذنب ارتكبه ، لا يردعه عن العودة اليه ، عملا بالمثل القائل : « علقة تفوت

ما حد يموت » ·· اما ضربه ضربة واحدة كلما ارتكب الذنب، ولو خمس عشرة مرة ، ففيه تعزيز للعقـــاب ، يقره فى نفسه ··

ومن فوائد هذه الطريقة أنها تخفف توتر أعصـــاب الوالدين ، الذى يحدث فيما لو حرماه من الملعب مثلا ، اذ يضطران الى مراقبته للاصرار على منعه ·· كما أنها تحول دون اضرار أشد ، فيما لو حرماه من المصروف ، اذ قد يدفعه هذا للتحايل والسرقة ··

التبكير بالتأديب ينمى ادراك الطفل

وليس العقاب البدنى من القســوة فى شىء ، بل انه أخف بكثير من العقاب النفسى ، كمقاطعة الطفـل فترة ، أو حرمانه من شىء ·· وخير فترة للبدء بهذه السـياسة ، هى ممارستها بعد ان يتعلم الطفل الحبو ، وقبل أن يبدأ الكلام · **فان التبكير بالتأديب يســاعد على تنمية ادراك الطفل ، ولا يتركه حتى يتعلم من التجربة التى تســتغرق وقتا طويلا · ويحسن ـ فى معظم الأحوال ـ أن يعقب العقاب شرح يفسره ويبرره ، وأن يدرك الطفل أن العقاب لم يؤثر على العلاقة بينه وبين والديه ·**

روى لى صديق من الاطباء النفسيين أن ابنه شرع يعمد الى البكاء والصراخ كوسيلة لمضايقة والديه · فما كان من ابيه الا أن أخذ يقول له : « اذا كنت تريد البكاء والصراخ ، فتعال الى أبيك يساعدك ! » ·· ثم كان يضربه ، فلم يلبث الطفل ان عدل عن هذا الأسلوب بعد بضع مرات ·

(البقية فى ذيل الكتاب :
انظر رقم الصفحة فى الفهرس)



INDIRA GANDHI : RETURN OF THE RED ROSE

By : KHWAJA AHMED ABBAS

تلخيص : رمسيس شكرى

خير خلف .. لنهرو وغاندى

كانت وقفة « انديرا غاندى » من عدوان القوى « الامبريالية » على الدول العربية ـ مستخدمة اداتها الذليلة « اسرائيل » ـ وقفة رائعة نبيلة ، تزرى بمواقف كثيرين من الرجال .. ولا سيما مقاومتها للضغط الشديد الذى حاولت به الولايات المتحدة ان تثنى الزعيمة الهندية عن موقفها ، ملوحة ومهددة بحرمان الهند من المعونات الغذائية ، فى وقت تستبد فيه بها المجاعة ونقص الاغذية !

ذلك أن « انديرا » فى اختيارها لهذا الموقف النبيل ، انما تصدر عن شخصية قوية بالفطرة ، غذتها تعاليم غاندى ونهرو ، واكسبها جهاد الهند فى سبيل الحرية صلابة وقوة .. كما انها تصدر عن ادراك للحق والعدالة ، تعززه الروابط الوثيقة التى تربط الهند بالعرب منذ اقدم العصور .. وتصدر عن ايمان برسالة « عدم الانحياز » ، التى استطاعت « انديرا » بجهودها ونضالها ان تضع نفسها فى مقدمة اقطابها ، مشتركة فى زعامتها مع الرئيسين « عبد الناصر » و « تيتو » ..

ولا يجد « كتابى » تحية للزعيمة النبيلة ، افضل من أن يقدم التلخيص التالى لخير كتاب حاول مؤلفه ما استطاع أن يرسم فيه صورة صادقة وشاملة لحياة « انديرا غاندى » .. منذ طفولتها ، حتى تبوات منصب رئيسة وزراء الهند ! (وفى مكان آخر من هذا العدد تقرأ تعريفا بمؤلف الكتاب .)

عندما قادت جيشا .. من الدمى

كان كل شىء يضاعف من شعور الصغيرة ـ التى لم تجاوز الاربع سنوات ـ بالوحشة ، فقد كانت وحيدة .. حتى مربيتها العجوز استلقت على بلاط القاعة البارد ، وأسلمت نفسها لنوم عميق ، وراح غطيطها يرتفع ، مبددا الهدوء الساجى الذى ران على البيت الكبير ..

البيت الكبير نفسه كان يبدو أشبه بالمهجور ..
الحجرات التى اعتادت أن تجرى متنقلة بينها ، خلت من
أهلها .. فلم يعد أبوها فى المكتبة التى حط الغبار على
الكتب المنسقة على رفوفها .. ولم تعد أمها فى حجرتها التى
اعتادت أن تقتحمها عليها لتطلب شريطا جديدا لشعرها ..
وخلت حجرة جدتها من العجوز التى كانت الطفلة تقطع
عليها صلواتها .. حتى جدها الشيخ ، لم يعد يحتل مكتبه
الذى كانت تدلف اليه ، وتدعو نفسها الى الجلوس على
ركبة المحامى العجوز وهو يتناقش مع عملائه فى قضاياهم.

خلا البيت الا منها ومن المربية العجوز .. **فقد كان
ابوها وجدها نزيلين على السجن الذى ساقهما اليه رسل
الاستعمار الغاشم .. اما امها وسائر نسوة البيت الكبير ،
فقد بارحن المعقل الحصين لينظمن الاجتماعات العامة ،
وليقنعن أصحاب متاجر الاقمشة بمقاطعة بضائع المستعمر
البريطانى ..**

واذ افتقدت الصغيرة الآدميين ، تحولت الى الدمى التى
كانت حجرتها حافلة بها .. دمى من كل حجم وشكل
ولون ، تمثل كل طبقات الشعب الهندى تقريبا ، وقد
صنعت من الفخار .. ودمى تمثل جنودا من الجيش
البريطانى ، ورجال شرطة من الهنود ذوى عمائم حمراء ،
وقد صنعت من القصدير . وبايحاء فطرى ، رصت « أنديرا »
الدمى الممثلة للشعب الهندى فى جانب ، والدمى الممثلة لسلطات
الاستعمار ـ من جنود وشرطة ـ فى مواجهتها .. وعلى
وريقة بيضاء رسمت بأقلام « الباستيل » علم « حزب

المؤتمر » ، الذى تزعم ثورة الهند .. وأسلمت العلم الى يد الدمية التى تتقدم ممثلى الشعب !

وتأملت المنظر الذى اكتمل أمامها لحظات ، ثم راحت تزحزح كل فريق بدوره نحو الفريق الآخر ، حتى ضاقت الشقة بينهما ، وكادا أن يرتطما .. واذ ذاك ارتفع صوتها مرددا الهتافات التى كانت تسمعها فى التحامات الشعب الهائج بغاصبيه : « لتحيا الهند مستقلة ! .. يحيا تحالف الهندوكيين والمسلمين !.. يحيا المهاتما غاندى ! »

وغلبتها عاطفة فطرية ، فدفعت الدمى الممثلة للشعب، واكتسحت بها دمى الاستعمار ، ثم راحت تصفق وتصيح ، حتى استيقظت المربية مذعورة ، وهبت تتبين ما هناك !

خلوة روحية .. قبل معركة الانتخاب !

بعد ٤٨ عاما ، قفزت هذه الذكرى الى ذهن « آنديرا غاندى » ، وهى تقود سيارتها بنفسها ـ فى صباح ١٩ يناير ١٩٦٦ (يوم انتخابها رئيسة لحزب المؤتمر) ـ فى طريقها الى صومعة (راج جات) ، حيث كان المهاتما غاندى يمارس طقوسه الروحية ، وحيث يحج معظم الهنود ، على اختلاف عقائدهم ، فى اللحظات الحاسمة من حياتهم ، يستمدون القوة الروحية والالهام من ذكرى غاندى .

وانبعث منظر الدمى أمامها من أعماق الاعوام الثمانية والاربعين التى انقضت مذ كانت فى الرابعة من عمرها .. كان اليوم الذى مارست فيه هذه « اللعبة » التى كشفت ـ برغم سذاجتها ـ عما انطوت عليه نفسها من مشاعر

وطنية .. كان ذلك اليوم من الايام الحاسمة فى حياتها ، اذ عانت فيه الحرمان من أحب المخلوقات اليها ، والسخط على المستعمرين الذين حرموها من أولئك الاحباء ..

وكذلك كان يوم ١٩ يناير سنة ١٩٦٦ من الايام الحاسمة فى حياتها : لقد كان عليها أن تقف فيه ـ برقة عواطفها ، وشفافية روحها ، وتحرر عقليتها ـ أمام منافس عنيف ، شديد التطرف لليمين ، شديد الجمود ، جامح التشبث باحياء الطقوس العتيقة .. كان عليها أن تقف أمام هذا الرجل « مورارجى ديساى » فى اجتماع حزب المؤتمر لاختيار زعيم له ، يرأس الوزارة ، ويقود الامة فى فترة من أحرج الفترات ، عقب وفاة « شاستری » ، (الذى خلف أباها « جواهر لال نهرو » لمدة لم تزد على عام ونصف عام فقط .)

ومن صومعة (راج جات) ، مضت « أنديرا » الى صومعة (شانتيفالا) التى كانت آخر صومعة لابيها .. وما لبثت أن عادت الى البيت .. نفس البيت الكبير الذى كانت زهرته المدللة فى صغرها ، وأصبحت مدبرته وماسكة زمامه فى كبرها .. وهناك ، أوت الى مكتب أبيها ، فوقفت أمام صورة كبيرة لذلك الاب الذى كان أعظم شخصية فى حياتها .. فالى جانب الابوة الحنون الواعية ، عوضها عن الأم سنوات طويلة ، وأغناها عن الرفيق فكان خير صديق.. وخير معلم أيضا . فان « أنديرا » لا تدين بكل ما وصلت اليه من معرفة الى معهد ما، بقدر ما تدين به الى ذلك الرجل الذى كان يواصل تغذيتها الفكرية حتي وهو في غياهب السجن،

فآثرها بأكثر « الدروس بالمراسلة » شمولا وتنويرا ، فى سلسلة رسائله التى جمعت ـ فيما بعد ـ فى كتاب نهرو الخالد : « لمحات من تاريخ العالم » .

وفى صومعة أبيها ، خيل اليها أن صوته ينبعث من العالم الآخر ، يردد لها العبارات التى كتبها منذ سنوات ، وهو يهنئها بعيد ميلادها :

« اعتصمى بالشجاعة ، وستسير كل الامور بعد ذلك تلقائيا .. فاذا أوتيت الشجاعة ، فلن تخافى ، ولن تقدمى على ما تخجلين منه !

« لنتصادق مع الشمس ، ولنعمل فى النور .. لا تفعلى شيئا فى الخفاء أو دون هدف . وبهذا تصبحين ، يا عزيزتى ، ابنة النور .. وتنشئين رزينة ، مقدامة ، لا تهز لك الاحداث جفنا .

« الى اللقاء يا صغيرتى ، وعسى ان تشبى جندية باسلة فى خدمة الهند » .

وبهذه العبارات تتردد فى نفسها ، سعت « أنديرا » بعد ظهر ذلك اليوم ـ ١٩ يناير ١٩٦٦ ـ الى قاعة البرلمان الوسطى بنيودلهى ، حيث كان « حزب المؤتمر » يعقد اجتماعه الخطير .. الخطير بالنسبة للهند ، والخطير بالنسبة للحزب ، والخطير بالنسبة اليها هى .. « أنديرا غاندى ».

وعند باب القاعة، تمثل لها أبوها «جواهر لال نهرو»، وهو يلقى بيانه الخالد ، ليلة اعلان استقلال الهند ، فى هذه القاعة بالذات ، قبل سنوات .. وواتتها أصداء صوته ، وهو يقول :

« منذ سنوات طويله ، ضربنا مع الحريه موعدا ، وقد آن أن نفى به ·· وعندما تدق الساعة مؤذنة بانتصاف الليل ، والعالم مستغرق فى سبات عميق ، تستيقظ الهند ، وتنهض للحياة والحرية ·· ستكون لحظة من لحظات التاريخ النادرة ، اذ نودع القديم لننتقل الى الحديث ، وينطوى عهد ليولد عهد جديد ، فتجد الامة ـ التى طالت معاناتها من الكبت ـ وسيلة للتعبير عن ذاتها ·· »

وعندما هبطت أنديرا من سيارتها أمام مدخل البرلمان ، وابتسامه عذبة رزينه ترتسم على شفتيها ، شاهدها الحشد الكبير ـ الذى سبقها الى هناك ـ ترتدى « ساريا » أبيض اللون ، ووشاحا من الكشمير ، أبيض اللون أيضا ، زينته بوردة حمراء ! ·· ولم يفت الجماهير مغزى وجود الوردة التى ترمز الى نهرو ـ (فقد عاش حياته مولعا بوضع وردة حمراء فى سترة ردائه الهندى) ـ فانطلقت الجماهير تهتف بحياة « الوردة الحمراء » ·· وكانما أراد الشعب وهو يحيى زعيمته الجديدة أن يقول لها أنه اذ يعهد اليها بزمام أموره فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه ، انما يناشدها المضى فى الطريق الذى رسمه والدها العظيم ·· وعندما ردت « أنديرا » تحيه الشعب بيدين مضمومتين ، انما كانت تعاهده على أن تصون القيم التى التزم بها « جواهر لال نهرو » ، وتسير على سياسته ·

وفى الداخل ، استقبلها أعضاء الحزب استقبالا حماسيا ، فلما لمحت منافسها « مورارجى ديساى » ، تقدمت نحوه مصافحة ـ وكانت لفتة نموذجية من لفتات نهرو ، قوبلت بهتاف مدو من الحاضرين ! ـ ثم حان موعد الاقتراع السرى



أنديرا غاندى تحلف اليمين لدى توليها الوزارة رسميا يوم ٢٤ يناير ١٩٦٦ أمام رئيس الجمهورية « رادا كريشنان »

على اختيار رئيس الوزراء ٠٠ وبعد فترة وجيزة ، فى الساعة الثالثة الا دقيقتين ، اندفع نائب اقليم « ماهرشترا » نحـــو « أنديرا » يهنئها بصوت مرتفع ٠٠ فعرف الجميع أن « أنديرا » قد فازت على منافسها ٠٠ فغدت أول وأصغر رئيســه لوزارة الهند !

وبين ومضات مصابيح المصورين وأصوات « كاميرات » السينما والتليفزيون وأجهـزة التسجيل ، أفلت من المجتمعين ــ بما فيهم أكثــر الاعضاء رزانة وتعقــلا ــ زمام عواطفهم ، فأقبلوا عـــلى بعضهم البعض يتعانقون ويتبــادلون القبلات ، وانسابت الدموع الساخنة على بعض الوجنات المسنه المتغضنه، وقد شاهد أصحابها صورة الأب ٠٠ فى وجه الابنه ! ٠٠ أما فى الخارج ، فقد ارتفع هـــدير عشرات الألوف من الحناجر ، هاتفا مجلجلا ، ولكن لا باسم « أنديرا » نفسها ، وانما بحياة « ابنـــة جواهر لال نهرو » ! ٠٠ ذلـــك أنهم ــ بالهام خلاق لا يخطىء ــ شـــعروا ، ورجوا ، وتوسموا ٠٠ أن نهرو ، ذا الوردة الحمراء ، قد عاد ثانية الى الحياة !

مذبحة (البنجاب) ترسخ فى وعى الطفلة انديرا !

ولقد كانت « أنديرا » عـــلى موعد مع الاحداث منــذ مولدها ٠٠ أحداث الثورة والجهاد والكفاح من أجـل الحرية والحياة ٠٠ فقد ولدت سنة ١٩١٨ ، والحرب العالمية تقترب من نهايتها ، والثورة البلشفية تندلع فى روسيا ٠٠ وروح التذمر تعتمل وتتفاعل فى صدر الامة الهندية ، لتتفجر بعد ذلك فى اجتماعات ومظاهرات تنادى بالاستقلال ، فتقابلها قوات الاستعمار البريطانية بأقسى طرق القمع والارهاب !

وعندما بدأ وعى « أنديرا » يتفتق ، كانت الثـورة ـ التى سـماها المستعمرون بعجرفتهم « تمـردا » ـ قـد اندلعت .. وحاصر جنود الاسـتعمار آلاف المتظاهرين فى ولاية (أرمتسار) وحصدوهم بنيرانهم حصـدا .. وكان « جواهر لال نهرو » قد بدأ يسـهم فى الحركة الوطنية ، فسافر الى (البنجاب) وعاد والحقد يتأجج فى صـدره ، ليروى لأسرته أنباء المذبحة الرهيبة .. فكانت الصـغيرة تغمض جفنيها كل ليلة على أحاديث نقمة شعب على غاصبيه، بدلا من الحكايات والاساطير التى تسـلم الصـغار أمثالها للنوم !

وكانت « أنديرا » فى الرابعة من عمرها ، حين جلست على حجر جدها « موتيلال » أثناء محاكمته .. وكان الانتماء الى « حزب المؤتمر » جريمة ، قضت عدالة الاستعمار عليـه من أجلها بالسجن ستة أشهر ، وغرامة قدرها خمسـمائة روبية .. وعندما انتزعوها من أحضان جدها ، شرعت فى البكاء ، ولكن الشيخ أهاب بها أن تثبت شـجاعتها ، فلا تذرف دمعة أثناء غيابه .. ووفت بوعدها ، فاصبح الصمود للاحداث القاسية عادة تأصلت فيها !

ولكن القدر كان يدخر لانديرا لطمة أخرى ، فسرعان ما افتقدت أباها ، اذ صدر ضده حكم مماثل لما قضى به على جدها ، لتوزيعه منشورات تحض على كراهية الحكومة. وقد رفض الاثنان ـ موتيلال ، وجواهر لال نهرو ـ أن يدفعا الغرامة ، لعدم اعترافهما بسلطة المحكمة الانجليزية ، فما كان من الحكومة الا أن أرسلت كوكبة من رجال الشرطة الى



« أنديرا » فى طفولتها الباكرة ، مع أبيها وامها

بيت عائلة « نهرو » ، داسوا بأحذيتهم الثقيلة أحواض الزهور الجميلة ، فى حديقة البيت ، ثم اقتحموا المبنى ليستولوا على ما فيه من رياش ثمينة ، لقاء الغرامة غير المدفوعه !

وانتاب الذعر « أنديرا » - ذات الاعوام الاربعة - وهى تشاهد رجال الشرطة الغلاظ القلوب يحملون الاثاث الثمين والسجاجيد الفاخرة ، فيلقون بها فى سيارات كبيرة أحضروها لهذا الغرض • واحتجت الصغيرة على سلوك رجال الشرطة ، وصاحت فيهم غاضبة ، وهزت قبضة يدها فى وجوههم الداكنة الكئيبة ، الا أن ذلك لم يحرك ذرة من الشفقة فى قلوبهم ، بل انفجروا فى ضحكات مخبولة •

وكانت تلك هى البداية المحزنة لثقافة « أنديرا غاندى » فى ميدان السياسة • فمنذ تلك اللحظة ودعت سذاجة الطفولة البريئة الخالية من الهموم ، لتنغمس فى خضم المعارك والمشكلات •

أول عهدها بالمهاتما غاندى

ولا تذكر « أنديرا » المرة الاولى التى التقت فيها بالمهاتما غاندى ، ولكنها لا تذكر أيضا لحظة واحدة لم تكن فيها « غاندى » جزءا من حياتها ووجدانها ، على حد قولها • فقد كان ينزل دائما فى ضيافة أبيها فى بيت (أناندبهاوان) كلما ذهب الى مدينة (الله أباد) • ولما كان مشغوفا بالاطفال عامة ، فقد أغرم بانديرا منذ حداثتها • وعندما سجن أبوها وجدها اضطرت الى الانتقال - مع بقية نسوة البيت - الى صومعة « غاندى » بالقرب من مدينة (أحمد أباد) ، حيث

كان حزب المؤتمر يعقد مؤتمره السنوى • ولم تلبث الفتاة الصغيرة ـ التي تورمت عيناها من فرط البكاء ـ أن وجـدت السلوى لدى الرجل العطوف الطيب القلب «المهاتما غاندى»•

ولا ريب فى أن نظـام الحياة فى الصومعه كان قاسيا ، بالنسبة لطفلة ألفت حياة الترف فى بيت أبيها • فقـد كان عليها أن تستيقظ فى الساعه الرابعه صـــباحا لتشترك فى حلقه الصلاة على ضفه نهر (سابراماتى) ، وأن تقنع بأبسط انواع الطعام ، وأن تنام على الارض وتغســل البــلاط •• ولكن هذه الحياة القاسية هى التى أعدتها منذ الصغر لاحتمال مسئوليات ينوء بحملها أعتى الرجال وأقواهم •

وكما كانت « أنديرا » تعد الأيام والليــالى فى انتظار الافراج عن أبيها وجدها ، كان نهرو يفتقدها أيما افتقاد ؛ فكتب اليها بعد شهرين من اعتقاله ـ برغم أنها لم تكن قد تعلمت القراءة ـ قائلا : « الى العزيزة الصـــغيرة اندو •• حبى وأشــواقى • ليتك تتعلمين تحرير الخطابات سريعا ؛ وتأتين لزيارتى فى السجن • اننى جد مشوق الى رؤيتك • هل تعلمت استخدام المغزل الذى اشـــتراه لك جــدك ؟ ابعثى الى بغزل من صنع يديك • هل تشتركين مع أمك فى الصلاة كل يوم ؟ »

وكادت « أنديرا » تطير فرحا عنـدما وافتها الانبــاء باطلاق سراح أبيها ؛ فقد حسبت أنها ستخلو به أخيرا ؛ ليلعب معها ويصحبها فى نزهات طويلة ؛ وليجيب على كل الاسئلة التى كانت تتزاحم فى رأسها الصغير • وتحققت أمنيتهـــا فى بادىء الامر ، اذ قضى نهرو فتـــرة فى بيت

(أناند بهاوان) ، كرس فيها معظم وقته وحبه واهتمامه لابنته الصغيرة ، الا أن دواعى الكفاح ما لبثت أن اضطرته للانفصال عنها ، والقيام بالجولات السياسية ، والقاء



صورة عائلية تجمع بين أنديرا غاندى وهى فى سن ١٢ سنة (الثانية الى اليمين) ، وأبيها نهرو (اقصى اليسار) ، وأمها (الجالسة فى اقصى اليمين) ، وجدها وجدتها الجالسين بجوار امها .

الخطب ، وحضور المؤتمرات ، ومحاولة تاسيس شبكة من تنظيمات حزب المؤتمر فى المدن والقرى .

وفى ذلك الوقت ، دخلت « أنديرا » المدرسة ، ولكنها راحت تتنقل من مدرسة الى أخرى .. من روضة أطفال فى دلهى ، الى مدرسة للراهبات ، ثم الى مدرسة داخلية . حتى اذا بلغت السادسة ، التحقت بمدرسة «القديسة سيسيليا» فى (الله أباد) ، وكانت تديرها بعض الاوربيات .
وعلى كثرة المدارس التى ترددت عليها « أندبرا » ، فانها حرمت من رفقة أقرانها فى السن ، فقد حال دون بقائها فى مدرسة واحدة ، تعاقب ارسال أبيها الى السجن، واصابة أمها بداء الدرن الرئوى - الذى لم يكن الطب قد اهتدى بعد لعلاجه - الا أن ثمة مدرسة واحدة كانت مفتوحة لها دائما ، وفى كل وقت .. تلك هى مكتبة ابيها التى تزخر بالكتب فى جميع الموضوعات ، فأقبلت تلتهم كل ما يقع بين يديها من المعلومات بنهم عجيب .. بما فى ذلك مسرحيات « شكسبير » و « شو » ، فى الوقت الذى كانت لداتها ما زلن يقرأن حكايات الاخوين « جريم » الخرافية . وقد تركت قصة استشهاد « جان دارك » انطباعا خاصا فى نفسها ..

وفى ذات مرة ، سألتها معلمتها عما تحب أن تكون عندما تكبر ، متوقعة أن يكون جوابها : « معلمة أو طبيبة أو محامية » .. فاذا أنديرا تجيب : « أريد أن أكون امرأة من طراز جان دارك » .. ذلك أن ثورة الدمى كانت قد تطورت لديها ، وتحولت الى افتتان بالاستشهاد !

الرحلة التى حرمت من الاشتراك فيها

وفى فبراير عام ١٩٢٧ سافر « جواهرلال نهرو » الى (بروكسل) لحضور مؤتمر الدول المغلوبة على أمرها ، مندوبا عن حزب المؤتمر الهندى .. ثم عاد ليحكى لأسرته كيف تسابق مبعوثو الدول المختلفة لحضور المؤتمر ، من جاوه ، والهند الصينية ـ فييتنام الآن ـ وفلسطين ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، والزنوج الافريقيين ، والمنظمات العمالية اليسارية فى أوربا وأمريكا .. كل هؤلاء اجتمعوا وناقشوا مشكلاتهم المشتركة ، وكونوا اتحادا ضد « الامبريالية » مهمته اثارة الكفاح ضد الاستغلال الاستعمارى .. وكانت « انديرا » تزداد يقينا من صواب هذه الخطوة كلما شاهدت اشراقة الامل على وجه أبيها وهو يتحدث عنها ..

وما لبثت أن رحلت الاسرة كلها ـ فيما عدا « انديرا » ـ الى (موسكو) ، تلبية لدعوة وجهت اليها بمناسبة العيد العاشر لثورة أكتوبر . وكأنما أراد « نهرو » أن يعوض صغيرته عن حرمانها من هذه الرحلة ، فراح يبعث اليها بخطابات ضمنها تفاصيل ما كان يشاهده فى موسكو أولا بأول .. ولما كانت انديرا تكتم فى صدرها رغبة دفينة فى تعلم فن الرقص ، فقد خلب لبها وصف زيارة الاسرة لمسرح (البولشوى) ذى الشهرة العالمية ..

فرقة « القرود » للاطفال المجاهدين !

وبعد أيام من عودة الأسرة من (موسكو) ، جلست « انديرا » تقلب صفحات « آلبوم » الصور التى التقطها



أبوها لمعالم المدينه ، وهى تحاول أن تتشاغل عن مرارة الشعور بخيبه الامل التى تعتمل فى نفسها ، اذ رفض المسئولون عن « حزب المؤتمر » ضمها الى عضويته ، لصغر سنها ـ فقد كانت حينذاك فى الثانيه عشرة من عمرها ! ـ ولكن الملل لم يلبث أن تسرب الى نفسها فاغلقت « الالبوم »، ونهضت لتعيده الى مكانه ، واذا بها تلمح الدمى التى كانت تلهو بها ـ فيما مضى ـ راقدة فى قاع الصوان • وعلى الفور خطرت فى ذهنها فكرة رائعة : اذا كانت قد استطاعت ان تجعل الدمى تسير متحدية قوات الاحتلال البريطانى ، فكيف لا تستطيع ان تجمع الأطفال معا فى منظمة واحدة خاصة بهم ؟

وأسرت بخواطرها الى بعض أطفال حيها ، فاتصلوا بزملاء لهم ، وسرعان ما تواترت الانباء ـ همسا ـ فى كل مدارس (الله أباد) ، بأن الأطفال ينشئون تنظيما تابعا لحزب المؤتمر ، وان « انديرا نهرو » هى التى تتزعم هذا التنظيم •

وفى أول اجتماع للتنظيم الجديد ، وقفت « انديرا » وسط ألوف عديدة من الأولاد والبنات ، لتحدثهم عن اهداف

التنظيم ، ولتحدد لكل منهم واجباته • الا ان صوتها الخافت ضاع وسط صخب الحاضرين ، فلم تجد بدا من أن تطلب الى احد العاملين بحزب المؤتمر أن يعيد عليهم تعليماتها بصوته الجهورى المرتفع ••

ولم يقنع الأطفال بمجرد التدريب على السير بخطوات عسكرية ، بل أخذوا يقومون بنسخ منشورات حزب المؤتمر وتوزيعها ، واعداد الاعلام وباقات الورد للمؤتمرات والمواكب الشعبية ، وطهو الطعام للمتطوعين الذين كانوا يبيتون فى مراكز الحزب ، وتوزيع الماء على المتظاهرين الظامئين فى شهور الصيف المحرقة ، ولكن أخطر مهمة قاموا بها تمثلت فى نقل الرسائل من فرد الى فرد ، أو من جماعة الى جماعة ، لا سيما حين كان الشرطة يطاردون أعضاء الحزب ويضيقون عليهم الخناق ••

وما زالت « انديرا » تذكر تلك الفترة بالزهو والاعتزاز ، وقد وصفتها يوما لاحد المحققين الصحفيين ، فقالت : « فى بعض الاحيان كان الشرطة يحاصرون بيتا ، فلا يستطيع أحد ممن بداخله ارسال اية كلمة الى الحزب •• وعندئذ كان المحاصرون يبعثون بطفل يندفع متواثبا خلال خطوط الشرطة ، فلا يثير شكوكهم تواثبه البرىء ، بينما هو قد حفظ عن ظهر قلب رسالة من يعنيه الامر ! ••

وفى احيان أخرى كان الأطفال يقومون بمهام « المخابرات » ، فما أكثر ما كان رجال الشرطة يتحدثون ، وهم جالسون أمام المركز ، عن مجريات الأمور : من الذى صدر الأمر بالقبض عليه ، وما هو المكان الذى سيداهمونه •• وغير

ذلك من الأمـــور التى كانت تهم حركه الشعب ٠٠ وما كان اربعة أو خمسة أطفال يلعبون « الحجلة » أمام قسم الشرطة ، ليجتذبوا انتباه أحد ، ولكن ٠٠ لا ينقضى وقت طويل ، حتى تكون أنباء الشرطة قد وصلت الى رجال حركة المقـــاومة ، فيتصرفون بما يقتضيه الموقف ! »

وهكذا كانت جهود الأطفال نافعة ، وتتسم بالاحساس بالمسئولية ، فما لبث الكبار ـ حتى أشدهم ســـخرية من الفكرة فى بادىء الأمر ـ ان اقتنعوا بجدوى العمـل العظيم الذى كان الأطفـــال يؤدونه ٠ أما « جواهرلال » فقد اهتز طربا ، وامتلأ صدره زهوا بمهارة ابنته التنظيمية ، ومقدرتها القيادية ٠

وذات يوم ، قالت « أنديرا » لامها أنهم كانوا يبحثون عن اسم لائق للتنظيم ، فأجابتها الأم مبتســـمة : « لماذا لا تطلقون عليه اسم فرقة القرود ؟ » ٠٠ وأحســت انديرا بالألم لحظة ، اذ حسبت ان أمها قصـدت الانتقاص من قدر عملهم الوطنى ٠٠ ولـــكن « كمالا » ـ أمها ـ طيبت خاطرها بتذكيرها بأسطورة جيش « هونومان » ، الذى كان يتكون من القرود ، والذى ساعد « راما » على التغلب على « لانكا » ، وانقاذ الأميرة الجميلة « سيتا » المسجونة داخل أسوار قصر (رافانا) الذهبى ٠٠ كما تقول اســـطورة هندية قديمة ٠ وسرعان ما أصبح اسم « فرقة القرود » بمثابة وسام شرف بالنسبة لأطفال مدينة (الله أباد) الذين لعبوا ـ بطبيعـة الحال ـ كثيرا من ألعاب القرود على رجال الشرطة فى معظم الأحيان ، وعلى آبائهم ومعلميهم أحيانا أخرى ٠

أما قائدة الفريق « انديرا » ، ذات الجسد النحيل — حتى ليتصور الانسان انها توشك أن تطير بتـأثير أقل نسمه هواء — فقد أحست أخيرا بالرضى ، اذ استطاعت ان تؤدى فى الحركة الوطنية دورا جديرا بابنة جواهرلال نهرو !

٩٦ خطابا ، من السجن ، خلال ٤ سنوات

فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٣٠ — عيـــد ميلاد « انديرا » الثالث عشر — ارسل « نهرو » الى ابنته رسالة من سجن (نيانى) الذى لا يبعدكثيرا عن (الله اباد) ، قال فيها : ((انك اعتدت ان تتلقى الهدايا والامنيـــات الطيبة فى عيد ميلادك . اما الامنيـــات الطيبة فاننى ارسل اليك منها اكبر نصيب .. واما الهدايا ، فاية هدية اســـتطيع ان ابعث بها من ســـجن (نيانى) ؟ .. ان هداياى لا يمكن ان تكون مادية ، بل لابد ان تكون هواء وعقلا وروحا ، بحيث تتمكن عرائس الجن الطيبات ان تحملنها اليك ، دون ان تقف جدران السجن العالية فى طريقهن » .

وقد كان هذا الخطاب بداية لسلسلة بلغت ستة وتسعين خطابا ، حررها « نهرو » الى ابنته — طوال اربع سنوات — من عدة سجون مختلفة . وهى تكشف عن شخصية الأب كما تكشف عن شخصية الابنة ، وعن رابطة الحب والتفاهم التى كانت تجمع بين الاثنين . فنهرو لا يتحدث فيها الى « انديرا » كما يتحدث الأب المعتز بسطوته واتساع معارفه الى ابنته الصغيرة المحتـــاجة الى مواعظه ونصائحه ، وانما هو يتحدث اليها حديث الصديق الى الصديق .. وهو يذكرها — فى الخطاب الاول — بافتتانها الشديد بقصة كفاح جان دارك ، وكيف كانت تطمع فى القيام بدور كدورها ، ثم يختتم حديثه قائلا :

« لكم انت سعيدة الطالع اذ تشهدين الصراع العظيم الذى يدور فى بلدنا من اجل الحرية .

« ولكم انت سعيدة الطالع ايضا لان لك اما رائعة بالغة الشجاعة . فلو



انديرا غاندى مع أبيها « نهرو » ووالدتها « كمالا » أثناء رحلة لهم الى (سيلان) أثنـاء حركة التحرير .

قدر للشمك ان يساورك ، أو للمشاكل ان تعترضك ، فلمن تجنى صديقة الفضل منها ... »

وقد نبعت فكرة سرد نهرو لأحداث الماضى - فى رســـائله لابنته - وتحليله لشخصيات الناس الذين عاشوا فى العصور السابقة - «لا سيما الذين لعبوا أدوارا بارزة على المسرح العالمى » - من رغبتـــه العارمة فى أن يتيـح لابنته تسلية تنطوى على التثقيف ، وهى تقيم وحيدة فى البيت الكبير ، اذ كانت امها بدورها نزيلة السجن أيضا ..

وقد مضى يحدثها فى خطاباته التالية عن الحضارات القديمة ، كحضارتى المصريين والاغريق ، كما كان يصارحها بقلقه الشديد بشأن صحة امها التى زادت عليهـا وطأة المرض فى الســـــجن ، وابيه الذى بدا عليـه الهزال الشديد !

لقاؤها الأول .. مع لغز الحياة والموت !

وقد عرفت « أنديرا » قسوة الفواجع ، يوم سمعت نبـــا وفاة جدها المجاهد الكبير « موتيلال نهرو » .. فلاح عليها الذهول ، وراحت تدور فى ممرات البيت ، وتختلس النظر من خلال الستائر ، وكأنها كانت تبحث عن الوجه الحبيب الذى قدر عليها ان تحرم منه الى الأبد .. ووقفت الفتاة ابنة الأربعة عشر عاما ، امام لغز الحياة والموت ، لأول مرة .. وعنـــدما عادت الى مدرستها ، كانت قد خلفت عهد الطفولة الساذجة السعيدة وراء ظهرها !

وبعد عام من اطلاق سراح « جواهر لال نهرو » ، وجد نفسه يعود الى السجن ثانية ، فكتب لابنته :

« كل الطرق تؤدى فى هذه الأيام - طال الأمد ام قصر - الى جهـــة واحدة .. وكل الرحلات - الخيالية منها والحقيقية - تنتهى حتما الى السجن ! .. وهكذا أعود مرة أخرى خلف الجدران المألوفة . لقد نشب القتـــال من جديد ، وسارع شعبنا - الرجال والنساء ، الصبيان والبنات - للمســـاهمة

فى معركة الحرية وانقاذ الوطن من المحنة الفقر . الا ان الحرية ربة صعبة المنال ، وهى ابدا تطالب مريدها بمزيد من التضحيات البشرية ! »

وبعد ذلك باشهر قليلة ، اعلن « غاندى » قراره بشأن « الصيام حتى الموت » — وهو فى السجن — احتجاجا على اضطهاد طائفة المنبوذين وسوء معاملتهم ، فكتب نهرو الى « انديرا » معبرا عن اعجابه بقدرة «الرجل الجالس فى سجن يرفادا » على جذب الخيوط التى تحرك القلوب الناس .. اذ سرعان ما استجاب الهنود جميعا لدعوته .

وكان قلب « انديرا » بين القلوب التى حركتها خيوط المهاتما الخفيه ، فاسرعت مع بنات عمها لزيارته فى السجن .. وقد تعزى غاندى كثيرا عندما شاهد السعادة تشرق على وجه ابنة تلميذه وصديقه وزميله فى الكفاح . والكن هذه السعادة كانت مجرد ستار اسدلته « انديرا » على وجهها لتخفى قلقا فظيعا كان يعتمل فى قلبها : اذا لم يستطيع جسم المهاتما النحيل ان يحتمل الصيام ، فماذا يستطيع الجميع — وماذا تستطيع هى ان تفعل — لانقاذ حياته ؟ ..

كان الحل الوحيد هو ان تثبت الامة كلها له ان احدا لم يعد يوافق على الظلم الاجتماعى الذى كان المنبوذون يعانونه .. وانتهزت « انديرا » فرصة اجتماع عقد خصيصا للصلاة من اجل حياة الزعيم الروحى العظيم ، فوقفت تخاطب الجماهير المحتشدة قائلة : « ان المهاتما لا يحتاج الى صلواتكم قدر ما يحتاج الى اعمالكم .. فليفعل كل منا شيئا لانقاذه ! » .

وفى صباح اليوم التالى ، ترجمت قولها الى عمل : فتبنت ابنة فراشة المدرسة الفقيرة ، وكانت من طائفة المنبوذين .. وادخلت الفتاة المسكينة الى الحمام ، وصففت شعرها بعد ان دهنته بالزيت ، وكستها بثوب جديد نظيف دفعت ثمنه من مصروفها الشخصى ، ثم جعلتها ترقد الى جوارها فى الفراش . واستولى على « انديرا » احساس بالدفء والسعادة ، عندما احست بقلب الفتاة « المنبوذة » يخفق بجوار قلبها ! .. لقد فعلت شيئا كانت تؤمن عن يقين بانه يسهم فى انقاذ حياة معلمها !

معهد تاجور يفتح أمامها أبواب عالم الفن

ساد الهرج والمرج فتيات المعهد ، ورحن يتناقشن بأصوات مرتفعة ـ تتخللها الضحكات ـ بشأن شخصية الفتاة التى كن ينتظرن حضورهـا بين لحظة وأخرى :

ـ هل تعرفن من التى ستصل اليوم ؟

ـ لا أعتقد أنها ستقبل الحياة معنا ، كواحدة منا ؟

ـ سمعت أن لديها فى البيت عشر خادمات يقمن بشـــئونها ، فهى لا تحرك اصبعا !

ـ اغلب الظن أنها تنتظر منا ان نقدم لها الافطار فى الفراش !

ـ سمعت انها تصنع ثيابها من « الشيفون الفرنسى » .

ولكن الثرثرة والضحكات ما لبثت أن تجمدت على شفاه الطالبات حين شاهدن فتاة فى السادسة عشرة تقريبا ، ذات وجه بيضاوى شاحب اللون تتقدم نحو مبنى المدرسة ، وكانت ترتدى ساريا من قماش خشن رخيص ، ولاحظت الفتيات أنها كانت تسير حافية القدمين وان السـذاجة ترتسـم على محياها ! .. أجل .. كانت هى « انديرا نهرو » بعينها ، وقـد جاءت لتلتحق بالفصل الأول من معهد « شانتينيكيتان » . وكان ابوها قد طلب من « رابندرانات تاجور » ان تعامل فى المعهد كاية فتاة من عامة الشعب والا تمنح اية امتيازات خاصة !

وكان التحاقها بالمعهد بداية فترة قصيرة ـ وان كانت ذات قيمة كبيرة ـ من حياتها . اذ عاشت لأول مرة مع فتيات من سنها ، معظمهن من الطبقة المتوسطة ، بعيدا عن الدوامات الاجتماعية والسياسية . وقد اتاح لها معهـد « شانتينيكيتان » جو الهدوء والسكينة الذى يكفل تحقيق التطور الثقـافى والفنى فى شخصية الطالبات . كما ان « تاجور » ـ مؤسس المعهد ومديره ـ كان شاعرا ومؤلفا مسرحيا وموسيقيا وفنانا ومصلحا اجتماعيا ، ومن ثـم كانت شخصيته الفـريدة تترك اثرا لا يمحى فى نفـوس كل من يلتحق

بالمعهد . وقد قالت انديرا عنه : « لقد كان عالم الأدب - بفضل ابى - مالوفا لدى من قبل . ولكن تاجور هو اول من كشف لى عن عالم الفن الساحر ! »

وكان تاجور قد وضع نظاما صارما تلتزم به طالبات المعهد . فكان عليهن ان يؤدين بأنفسهن كل الاعمال المنزلية المطلوبة ، كالكنس والمسح وطهو الطعام وتقديم الوجبات . ولابد أن هذا البرنامج اليومى العنيف أعاد الى ذاكرة « انديرا » الأيام التى قضتها فى صومعة « غاندى » .. كانت كل فتاة تستيقظ فى الرابعة والنصف صباحا ، فترتب فراشها ، وتنظف غرفتها ، وتستحم بالماء البارد - حتى فى فصل الشتاء - ثم تتناول افطارها بسرعة ، لتكون فى فصلها الدراسى فى تمام الساعة السادسة !

ولقد تعمد « تاجور » أن تكون الحياة فى المعهد قاسية ، لكى تعتاد الطالبات - حتى بنات العائلات الثرية منهن - الحياة الخشنة التى يحياها عامة الشعب . وكان المعهد محروما من التيار الكهربائى ، ومن ثم فقد كن يضطررن الى القراءة على ضوء مصابيح الزيت . وبطبيعة الحال ، لم تكن هنالك مراوح كهربائية ، فى أشد أيام الصيف حرا .. ومع ذلك فلم تبدر من انديرا كلمة تذمر واحدة توحى بأنها كانت تفتقد وسائل الراحة والترف المتوفرة فى بيت أبيها !

وكانت « انديرا » تعمل فى المطبخ كغيرها ، وتقدم الطعام لزميلاتها ، وترفض أن تضع فى فمها لقمة واحدة قبل أن تطمئن الى أن الجميع قد نلن كفايتهن . وكانت - بعد ذلك - تغسل الأطباق وأوانى الطبخ ، وتمسح البلاط .. فاذا آن لها أخيرا أن تسلم جنبها الى فراشها ، حانت لها الفرصة كى تترك العنان لأفكارها تنطلق بها الى الهند ، والى السجن الذى يضم اباها بين جدرانه ، والى المصحة التى كانت أمها تصارع فيها المرض الخبيث صراع الابطال .

وتصف احدى معلمات المعهد - وتدعى «مسز اسوكا بينها» - انديرا بأنها كانت خجولة ، رزينة ، تفيض حيوية . وكانت شهيتها للعلم عارمة لاتشبع ، فهى لم تقنع بدروس المعهد المالوفة ، بل اقبلت كذلك على تلقى دروس فى التصوير ، والغناء ، والرقص .. وكانت تقضى وقتا طويلا فى « كالا بهاوان»



صورة للفتاة انديرا غاندى فى شبابها الباكر قبل الزواج

او « قاعة الفن» فى المعهد • وبرغم انها كانت تلتزم الرزانة والجد فى ساعات الدراسة ، الا انها كانت تتغلب ـ فى اوقات الفراغ ـ على خجلها الفطرى وتشاوك لداتها مرحهن ولهوهن •

وتذكر « مسز أسوكا » حادثا يوضح الجانب الجاد فى شخصية «انديرا نهرو » : ففى ذات يوم ، فقدت احدى الطـالبات بعض مجوهراتها ، فامرت المشرفة بتفتيش صناديق ملابس الطالبات جميعا ، عدا صندوق « انديرا » ، الا ان هذه ثارت على هذا الاستثناء واصرت على تفتيش صندوقها ، قائلة ان كونها ابنة «نهرو » لا يعطيها أى امتياز خاص على باقى الطالبات • وعلى اية حال انتهى الموضوع بسلام ـ بين ضحكات الطالبات ـ حين عثر على المجوهرات فى الحمام ، وقد نسيتها الطالبة فى الصباح ••

اما الجانب المرح فى شخصيتها ، فتقول عنه مسز اسوكا : « لقد كانت انديرا تفضل رقصة (مانيبور) على باقى ميادين النشاط الاضافيـة فى المعهد • وفى عيد الربيع ـ من عام ١٩٣٥ ـ قدمت انديرا رقصتين حازتـا اعجاب جميع الحاضرين ، وكانت بينهم عمتهـا فيجايا لاكشمى بانديت »• وتعترف « انديرا » بأنها كانت جديرة بان تصبح راقصة مبدعة ، لولاخجلها•• وقد كان تاجور يعتزم ضمها الى فريق راقص يقدم عروضه فى كل أنحـاء الهند ، لجمع التبرعات من اجل معهده « شانتينيكيتان » ، لو لم تضطـر « انديرا » الى ان تتخف الى جوار فراش امها فى مصحة للأمراض الصدرية فى المانيا •

اللقاء الثانى •• مع لغز الحياة والموت !

* وفى مايو عام ١٩٣٥ رافقت « انديرا » امها الى المانيا ، حيثاودعت « كمالا » مصحة (بادن فيلر) للأمراض الصدرية • ولكن الدرن الرئوى كان قد وصل الى مرحلته الثالثة والأخيرة ، فاضطرت « انديرا » ـ مغلوبة على امرها ـ ان تشاهد المرض يفتك بامها يوما بعد آخر • ولم يكن هنـاك من يخفف من اساها سوى صديق طفولتها فى الهند « فيروز غاندى » ، الذى

قطع دراسته في مدرسة الاقتصاد بلندن ، واستقل القطار فى رحلة طويلة ، ليسهر على رعاية عمته « كمالا » التى كانت مشغوفة به منذ ان كان يزورهم وهو طفل فى « اناند بهلوان » ، وكذلك كان الفتى ـ وهو المتحمس للقضية الوطنية ـ مرتبطا ارتباطا عاطفيا وثيقا باسرة « نهرو » ،حتى لقد كان يشعر بأنه اذ يخدم زوجة « جواهر لال نهرو » المريضة فى المانيا ، انما يخـــدم كذلك قضيةالحرية ، فهو بذلك يساهم فى تفرغ نهرو لشؤون الوطن ٠ولكنه ـ الى جانب ذلك ـ كان يقر بينه وبين نفسه ، بانه انما يرحب باية فرصـــة لخدمة الفتاة ذات الوجه الشاحب الجميل : « انديرا نهرو » !

وبرغم كل المجهودات التى بذلها الاطباء و « فيروز » ، فان صـــحة « كمالا » استمرت فى التدهور ، مما اضطر « انديرا » الى الابراق لأبيها فى سجن (دهرادون) بخطورة حال أمها ٠ وازاء هذا ، رأت السلطات اعفاءه من المدة الباقية من سجنه ، حتى يتسنى له السفر الى المانيا لرعاية زوجته ٠ فاستقل « نهرو » اول طائرة ، والهواجس تتنازعه بشــــان حالة زوجته الصحية ، بينما يستبد به القلق من اجل ابنته التى كـــانت تعيش فى بلد غريب لترعى أمها ٠

وما ان شاهدت « كمالا » زوجها يقف الى جوار فراشها ، حتى عادت الدماء الى وجنتيها ، وافتر ثغرها عن ابتسامة سعيدة ، اما « انديرا » ـ التى قضت شـهورا طويلة نهبا للقلق والحزن ـ فقد زال عنهـــا توتر اعصابها ، وارتمت على أبيها تحتضنه وتقبله ٠٠ ها قد التأم شـــمل الاسرة من جديد : الأب والأم والابنة ٠٠٠ بينما وقف فى المؤخرة الشاب المخلص الامين « فيروز » ٠

وأمر « نهرو » بنقل المريضة الغالية الى مصحة أخرى فى (لوزان) بسويسرا ٠وخيل اليهم فى بادىء الأمـر أن زحف المرض قد توقف ٠٠ ولكن الدماء التى صبغت وجه « كمالا » كانت ـ فى حقيقة الامر ـ النذير بالنهاية ٠٠ فلم تلبث ان ودعت الحياة فى شهر فبراير عام ١٩٣٦ ٠

وللمرة الثانية ، وقفت أنديرا نهرو ـ بلا حول ولا قوة ـ امـــام ظاهرة الموت •• فتعلقت بأبيها ، وقد استولى عليها الأسى واحتقنت عيناها من فرط البكاء ، وكأنه طوق النجاة الوحيد الذى بقى لها •

عام فى لندن ، قبل الالتحاق بجامعة اكسفورد

* كانت أوربا ـ طوال عامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ ـ بوتقة تنصهر فيهـــا الآراء والمبادىء والايديولوجيات المختلفة • وكانت بريطانيــا مركز تلك الدوامة : فكان الطلبة الهنود ـ فى لندن واكسفورد وكمبريدج ـ يجتازون فترة « غليان ثقافى » ، ترك أثرا باقيا فى تفكيرهم ومشاعرهم• وكانوا قد تأثروا من قبل بالحركة الوطنية الهندية ـ بقيادة الزعيمين المهاتما غـــاندى وجواهر لال نهرو ـ فاذا بنفوسهم تنفر من موجة العنف والكراهيـــة التى أطلقتها النازية والفاشية من عقالها •• بينما كان زملاؤهم فى الهنـــد يحشدون الجهود لمقـــاومة الروح الاستعمارية ، والكفاح ضـــد كافة انواع الطغيان والقهر والاستغلال •

وكان « فيروز غاندى » ـ الطالب بمدرسة الاقتصاد بلندن ـ من الذين تأثروا بهذه الظروف ، فكان من أوائل المتفقين فى الرأى مع « نهرو » عـلى ان الحركة الوطنية فى الهند لا تنفصل عن مقاومة الفاشـــية ، فلم يكتف بالاشتراك فى (رابطة الهند) التى أسسها « كريشنا مينون » فى لندن ، والتى تولت نقل معركة الحرية الى قلب معسكر العدو ••بل اشترك كذلك فى عدد كبير من التنظيمات والمظاهرات والحملات ضد الحـــكومة الفاشية فى اسبانيا •

وفى تلك الاثناء ، كانت « أنديرا نهرو » تستعد لامتحان القبول فى جامعة (اكسفورد) ، وتعيش فى غرفة متواضعة على سطح احدى عمارات طريق « فيرفاكس » مع صديقة لها تدعى «شـــانتا غاندى » •• وكانت تلك مرحلة من الحياة جديدة تماما على « أنديرا » ، اذ وجدت نفسها فجأة محرومة من جو الامان والحماية الذي كانت تتمتع به في بيت الاسرة (أناند بهاوان)

او معهد (شانتنيكيتان) • وبات عليها – كطالبة مغتربة – ان تعيش مستقلة الشخصية ، على المصروف الشهرى المحدود الذى كان « نهرو » يرسله اليها من حقوق نشر كتبه •• اذ ان جدها كان قد انفق كل ثروته على القضية الوطنية ، ولم يكن ابوها يكتسب الا ما يكاد يقيم أود اسرته ، مما ضاعف من شعور « انديرا » بالعرفان نحوه لكونه قد مكنها من الدراسة الجامعية فى انجلترا •• وبالتالى اتاح لها الفرصة للاشتراك فى المناقشات الثقافية ، ومشاهدة الاحداث السياسية التى كانت تدور فى تلك الايام ، عن كثب •

وفى خلال السنة التى قضتها « انديرا » فى لندن ، ساهمت وصديقتها « شانتا » بمجهوداتهما فى كثير من الحفلات التى نظمتها لجنة مساعدة أسبانيا ، فكانت « شانتا » تقدم الرقصات الهندية ، فى حين تقوم « انديرا » بالقاء الخطب الحماسية وبيع بطاقات الدخول • وفى احدى تلك الحفلات عرضت « انديرا » سوارها فى المزاد ، لتبيع بخمسة جنيهات تبرعت بها لصندوق اللجنة • كما ساهمت الفتاتان بمجهود كبير فى « رابطة الهند » و « لجنة مساعدة الصين » •• فقد كانتا تؤمنان بان الكفاح الوطنى من اجل الحرية ، والحركة العالمية لمقاومة الفاشية ، شطران من قضية واحدة • وكان هذا المفهوم هو هدية « جواهر لال نهرو » لابنته ، ولشباب الهند ••

وما كان تحمس الفتاتين الهنديتين لقضية وطنهما ، ولمقاومة الفاشية ، وللدراسة •• ما كانت هذه الجهود كلها لتصرفهما عن ان تنشدا شيئا من التسرية •• وكان خير الوان التسرية ان تشاهدا حفلات الاوبرا و « الباليه » والتمثيل ، من « اعلى المسرح » ، فان مواردهما المحدودة لم تكن تتيح لهما الجلوس فى « الصالة » ! •• وذات يوم ، كاشفت انديرا صديقتها ، وقد اصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل ، برغبتها فى تعريفها بـ « صديق » يريد ان يصحبهما الى المسرح • وما زالت « شانتا » تذكر الى اليوم نظرة الوله والانفعال التى بدت فى عينى انديرا عندما قدمتها فى ذلك المساء الى •• فيروز غاندى !

.. ثم اخذت العلاقات تتوثق بينهما ، حتى قادتهما الى عقد خطبتهما تمهيدا للزواج ..

شائعات وعقبات .. فى طريق الزواج

* كانت « انديرا » - فى عام ١٩٤١ - فى قمة الفتيات اللواتى كان راغبو الزواج من الهنود يهفون اليهن .. لقد كانت تجمع بين الجمال والحسب، وقد احاطت باسمها هالة من الكفاح الوطنى .. لذلك كان من المستحيل أن يمر موضوع زواجها دون أن يثير ضجة من التعليقات . فما أن اذيعت خطبة « انديرا » الى فيروز غاندى » ، حتى سرت شائعة بأن «نهرو » لم يرض عن هذا الاختيار .. اذ أن « فيروز » لم يكن هندوكيا مثلهما ، وانما كان من « البارسيين » و « البارسيون » هم البقية الباقية من « المجوس » - او عبدة النار - الذين كانوا ذوى مكانة منيعة فى فارس (ايـران) ، حتى غزاها العرب فى القرن السابع الميلادى ، فنزحوا الى الهند ، وظلوا حوالى ثلاثة عشر قرنا متشبثين بعقيدتهم ، وبفرديتهم من الطـوائف الهندية ، وباستقلالهم فى العادات والتقاليد ، وبممارستهم الونا من الحياة اقرب الى حياة الغربيين منه الى حياة الشرقيين .. وقد عرفوا بايمانهم المطلق بالخير ، ممثلا فى الكلمة ، والفكر ، والعمل .. والهمتهم روحهم الفردية ونزعتهم الاستقلالية ان يكونوا فى طليعة الجهاد الوطنى فى الهند ، أيام الاستعمار البريطانى .

وكانت شائعة عدم رضاء « نهرو » عن اختيار ابنته للشاب «البارسى» شريكا لحياتها ، لا تقوم فى الواقع على اى اساس ، فلم يكن من المعقـول ان يعترض « نهرو » حق ابنته فى اختيار شريكها ، وهو الذى كان يعرف للبارسيين كل تلك الصفات ، بل وهو الذى كان يعرف « فيروز غاندى » معرفة وثيقة ، ويعجب بنشاطه .. ثم ، وهو الرجل الثائر الذى شاطر « المهاتما غاندى » ثورته على التقاليد الطائفية التى كانت تشيع الفرقة فى الشعب الهندى .. واذا كان « نهرو » قد أبدى رأيا ، فكل ما فعله انه

تحفظ فى بادىء الامر ، وأخذ يبين لابنته ما كان ثمة من اختلاف بينهـا وبين « فيروز » فى البيئة والعادات ، حتى اذا لمس منهـا اصرارا ، بادر الى الموافقة ، واشترك بنفسه فى المراسم اللازمة .. وقاد بنفسه « ابنته » ـ فى



« أنديرا » مع عريسها « فيروز غاندى » ليلة زفافهما
فى عام ١٩٤٢

حفلة الزفاف ـ الى المنصة التى كان « العريس » يعتليها ، فاجلسها الى جواره .. ثم جلس امامهما ، وبجانبه مقعد شاغر .. مقعد زوجته الغائبة !

وكان زواج « انديرا » و « فيروز » زواج عقل ، فضلا عن كونه ارتباطا بين قلبين عاشقين ، لانهما كانا يشتركان فى عدة اهتمامات وميول متشابهة .. كانا يحبان الكتب الجيدة ، ويستمتعان بالموسيقى الهادئة ، ويكرسان حياتيهما للقضية الوطنية .. ويحبان « جواهر لال نهرو » الذى كان والدا لانديرا ، بينما كان بالنسبة لفيروز : المعبود والقائد !

وفى صباح اليوم التالى ، انطلق العروسان الى (كشمير) لقضاء شهر العسل ، فوجدا زهور الربيع تستقبلهما وترحب بهما متفتحة الاكمام . غير ان تعيين « فيروز » مديرا لصحيفة « الناشيونال هيرالد » الهندية ـ التى كانت تصدر باللغة الانجليزية ـ ارغمهما على اختصار شهر العسل ، والعودة سريعا الى السهول ، حيث شيدا منزلا فى مدينة (لاكنو) . وهناك انغمس الزوج فى عمله ، بينما خصصت « انديرا » الكثير من نشاطها لتنظيم الجناح النسوى من حزب المؤتمر ، وللمساهمة فى تنظيمات اجتماعية وخيرية ، كما اشرفت على شؤون منزلها كأية ربة بيت بارعة !

عندما وطأ جنود الشرطة جسدها بالنعال !

* فى ٨ اغسطس سنة ١٩٤٢ ، اصدر المؤتمر العام الذى عقده «حزب المؤتمر » فى (بومباى) قرارا بدعوة الهنود عامة الى الجهاد لاجلاء الانجليز عن بلادهم .. وكان هذا القرار انتصارا للعناصر الشابة المتحمسة فى الحزب ، التى كانت تنادى بانتزاع الحرية من غاصبيها بالقوة .. ولكن السلطات البريطانية كانت اسرع من الحزب عملا ، فقبل ان يتمكن اعضاء المؤتمر من العودة الى اقاليمهم ، صدرت الاوامر بالقاء القبض على زعماء الحزب جميعا !

وكانت « انديرا » مع أبيها ، حين اقبل الشرطة لاعتقاله فى الساعة الرابعة صباحا . وعند وصولها فى الصباح التالى الى (الله اباد) ، فوجئت

بعمتها ايضا تغادر البيت الكبير فى حراسة الشرطة الى السجن!... ولكم شهدت من قبل حوادث اعتقال أبيها واهلها ، ولكنها كانت طفلة فى تلك المرات ، أما الآن .. لقد أصبحت امرأة قادرة ومسئولة عن المضى فى الجهاد الوطنى ، ولو قادها بدورها الى السجن !

ولم يكن يقلقها سوى « فيروز » .. فهو ــ كغيره من شباب الحزب ــ لم يكن يؤمن بالاستسلام للاعتقال دون مقاومة .. وكان الامر قد صـــدر باعتقاله ، ولكنه اختفى عن الانظار ، واضطر الشرطة الى أن يحيطوا بداره طيلة ساعات النهار والليل !

وحان أول صدام بين « انديرا » وجند الاستعمار بعد أيام ، اذ قرر طلبة كلية «ايونج » المسيحية أن يرفعوا العلم الوطنى الثلاثى الالوان فى فناء كليتهم ، ودعوا انديرا لتنوب عن أبيها فى هذه المناســـبة .. واذا الشرطة يهاجمون الطلبة بغلظة وحشية ، أثارت الدماء فى عروق «انديرا» .. وابصرت الفتى الذى كان يحمل العلم يفلته من يديه وقد انهالت عليــه الضربات الغاشمة ، فاسرعت تلتقط العلم قبل أن تطأه الاقدام المعتدين !

والهب منظر ابنة « جواهرلال نهرو » ــ وهى ترفع العلم الوطنى ــ مشاعر الطلبة ، والتفوا حولها ، واخذوا يطلقون الهتافات المدوية بحيـــاة الهند وسقوط المستعمر . وفجاة دوت فرقعة سوط فى الهواء ، واحست «انديرا » بألم فظيع يسرى فى ظهرها .. ولكنها أبت أن تفلت العلم .. وتذكرت أن أباها ضرب هكذا مرة ، بل لقد داست أرجل جياد الشرطة جسده .. وعاد السوط يهوى نحوها ، فرفعت العلم ، واذا طرف الســـوط يصيب ذراعها ، فكاد العلم يسقط من يدها . ولكنها صرت على أسنانها ، وراحت تتذكر كيف أن جدتها الهزيلة ، والرقيقة البنيان ، تعرضت لمثل هذا مرة ، فظلت صامدة للضربات حتى سقطت مغشيا عليها ، تنزف دما ، فقالت الفتاة لنفسها : « اننى سليلة نهرو ، فلا ينبغى أن أصرخ أو أترك العلم ! »

وفجاة دفعتها يد غليظة ، فهوت على ظهرها .. وشاهدت فى وقوعها حذاء ضخما تملأ المسامير الغليظة نعله ــ حذاء أحد رجال الشرطة ــ وهــو يقترب ، ثم يطأ متعمدا جسدها الرقيق !..

فى ذلك اليوم عادت انديرا الى البيت مثخنة بالجراح ، وقد تمزقت ثيابها .. لكن احساسها بالزهو والفخار كان يفوق احساسها بالالام .. لقد اجتازت اخيرا المحنة التى مر بها - من قبل - ابوها ، وأمها ، وجدتها وعمتها .. كما كان من دواعى ارتياحها ان الحفل حالفه النجاح فحقق غايته المنشودة ، وتمكن الطلبة من رفع العلم !

تخطب فى الجماهير تحت فوهات بنادق الانجليز !

* وان هى الا ايام ، حتى قررت « انديرا » عقد اجتماع علنى ، تذيع فيه على اعضاء حزب المؤتمر الطلقاء ما تلقته من ابيها وغيره من قادة الحزب المسجونين . وتقاطر الناس من كل صوب وحدب لسماع كلمات « انديرا » وهى تسبق الجميع الى تحدى قرار الحكومة بحظر الاجتماعات العلنية . ولكنها لم تكد تشرع فى الكلام ، حتى حاصرت القوات مسلحة من الجيش البريطانى مكان الاجتماع .. وكانت احدى البنادق على بعد ثلاث بوصات منها ، ولكنها واصلت حديثها ، واحدى عينيها متجهة الى فوهة البندقية ، مبشرة المجاهدين من اجل الحرية بالنصر .

واخذت تتحدث ببلاغة فياضة - وهى التى عرفت بالحياء والخجل - لمدة خمس دقائق ، واذا بجندى بريطانى يصيح فيها بصوت اشبه بنباح الكلاب : « كفى عن الحديث والا اطلقت النار » . ولم يكد يفرغ من تهديده حتى برز شخص من بين الجموع ، واندفع فى سرعة البرق نحو الجندى حامل البندقية .. وكان ذلك الشخص هو « فيروز » ، الذى خرج من مخبئه بمجرد سماعه بان الجيش ارسل قوة لتفريق اجتماع انديرا !

والواقع ان ما حدث كان اشبه بالروايات « الميلودرامية » .. فقد شاهدت الجماهير - فى ذلك اليوم - الزوجين اللذين فرقت بينهما مقتضيات الكفاح ، يقفان جنبا الى جنب ، وقد احتدم الغضب فى صدريهما متحديين بنادق الجنود وسياط رجال الشرطة !.. وقبض احد الجنود على ذراع « انديرا » محاولا ان يجرها الى سيارة السجن ، فهجمت الجماهير على الجنود محاولة

انقاذها . واصيب جسد « انديرا » بكثير من الرضوض ، وتمزقت ثيابها ، وتشعث شعرها ، فى خضم الهرج الذى وقع .. وفجاة ، وجدت نفسها داخل السيارة ، مع أكثر من مائة شخص آخرين ، بينهم « فيروز » .. وبعد ايام اقتيد الاثنان الى سـجن (نيانى) حيث أودع « فيروز » عنبر الرجال ، واودعت « انديرا » عنبر النساء .

وبالرغم من الجدار العالى الذى كان يفصل القسمين ، فان الزوجين لم يشعرا بالارتباط يوما كما شعرا به فى تلك الايام .. وهما يحتفلان بشهر عسل « روحى » وراء قضبان السجن !

ومع ان ((انديرا)) لم تسجل انطباعاتها كتابة عن فترةسجنهافان مذكرات عمتها تبين بجلاء ان العروس السـجينة كانت — برغم المرض والاعياء — تحتمل متاعب السجن ببهجة وانشراح ، مستعينة على ذلك بخيالها الخصب وروح الفكاهة لديها .وقد تحدثت يوما عن تلك الفترة الى مراسل صحفى ، فقالت :

((كنت قد صممت على الذهاب الى السجن ، ومن ثمة غمرتنى السعادة عندما اعتقلونى ! .. وكنت قد وطنت نفسى على كتمان احاسيسى داخـل نفسى ، حتى لا اشـعر بافتقاد أى شىء .. ولم أفطن — الا بعـد أن غادرت السجن — الى اننى قطعت فيه الصلة بينى وبين مشاعرى وعقلى الواعى ، واننى كنت اعيش على سطح الحياة ! »

وقضت « انديرا » المدة التى حكمت عليها بها « عدالة ! » الاستعمار ، وسط احقر انواع المجرمات والنشالات والقاتلات — فقـد كانت سـلطات السجن تعتبرها من الخطرات ! — محرومة من ادنى وسائل الراحة ..ولكن ذلك لم يفت فى عضدها ، بل كرست عدة ساعات من كـل يوم لتثقيف زميلاتها السجينات ومحاولة بث روح الوطنية فيهن .

وبعد تسعة اشهر اطلق سراحها .. ومرة اخرى ، عادت لتعيش بمفردها فى (آناند بهاوان) ، فقد كان ابوها نزيل سجن (احمد تاجار) ،

وزوجها وعمتها فى سجن (نيانى) ... ولكنها لم تشعر بالوحدة فى هذه المرة ، بعد ان وفت بنذرها وادت فريضة ((الحج الى السجن)) !

انفصال باكستان ، وموجة العنف التى أعقبته ..

* يعتبر يوم ١٥ اغسطس عام ١٩٤٧ من ايام الهند الخالدة ، فهو اليوم الذى وقف فيه ((نهرو)) ايخاطب اول برلمان اختاره الشعب بعد اعلان استقلال الهند .. ولكن الفرحة التى عمت الجماهير فى ذلك اليوم لم تستمر طويلا لسوء الحظ .. لان الحرية لم تأت وحدها ، وانما اتتمعها بالانفصال الذى اطلق - فى الهند وفى الدولة الوليدة (باكستان) - موجة من العنف والكراهية لم يسبق لهما مثيل !

وكان وصول افواج اللاجئين من غرب باكستان الى دالهى نذيرا بانتشار عدوى العنف فى انحاء العاصمة ، فلم يعد المسلمون - الذين كانوا جزءا بارزا من اهل (دالهى) منذ مئات الاعوام - يأمنون على ارواحهم واموالهم ومساكنهم . وعندما زادت غارات السلب والنهب على الاقلية المسلمة ، لم يعد هناك مفر من عمل حازم سريع لاعادة السلام ، فتطوع الرجال والنساء من ذوى البصيرة والايمان - وجندوا غيرهم - لمواجهة حملة الكراهية والعنف ومقاومتها .

وكان ((المهاتما غاندى)) يحاول اقناع الهنود والباكستانيين بالتعقل والتزام القواعد الانسانية ، عن طريق اقامة اجتماعات للصلاة ، كانت تذاع بصفة منتظمة من محطة اذاعة الهند المتحدة .. اما « نهرو » ، فلم يكتف بالصلاة ، وانما راح يجازف بحياته فى سبيل حماية الاقلية المسلمة وتوفير استتباب الامن بين ابناء الوطن الواحد .. فكان يهرع الى الاحياء التى يحدث فيها الشغب - غير مبال بسلامته الشخصية - ويشرف على اجلاء المسلمين المحاصرين فى بيوتهم ، بحيث لا يلحقهم أذى .

وكانت « انديرا » - فى ذلك الوقت - تعيش مع زوجها وطفليها ، اللذين انجبتهما من ((فيروز)) ، فى بيت ابيها .. بينما انتقل نهرو - بعد ان اصبح اول رئيس وزراء للهند المستقلة - الى منزل متواضع ، يضم

ثلاث غرف ، افرد اثنتين منها للاجئين على تباين طوائفهم : فكان بينهـــم الهندوكيون ، والســيخ النازحون من غرب البنجاب ، والمســلمون الذين انتزعت منهم بيوتهم فى نيودلهى • وكان على « انديرا » أن تدبر الطعــام لبيتها ولبيت أبيها بمن يضم من ضيوف ، فى وقت كان الحصول فيه على الطعام بكميات كافية ، من اعقد الامور •• حتى بالنسبة لرئيس الوزراء !

ولما استفحل الامر فى البلاد ، اعلن ((المهاتما غاندى)) انه قد قرر الصوم ، وانه لن يعدل عنه حتى تعود الأمور الى مجراها الطبيعى • وقـد حاول الكثيرون اثناءه عن هذا القرار ، الا أن « انديرا » آيقنت انالوسيلة الوحيدة لانقاذ حياته ، هى الاشتراك الايجابى فى القضـــاء على الملوثة التى اصابت البلاد •• فتركت طفليها فى رعاية بعض معارفها ، وخرجت الى الميدان ترفع راية الجهاد •• وراحت تزور مستعمرات اللاجئين ، وتواسى المنكوبين ، وتستخدم ما لاسم أبيها من نفوذ للحصول لهم على ما يحتاجونه من زاد وملابس • وكانت كلما سمعت بتعرض حياة بعض المسلمين للخطر – فى اى جزء من اجزاء المدينة – هرعت الى هناك بمفردها لتنقذهم • وقد كانت سيطرتها على الجماهير الثائرة عجيبة ، نابعة من شجاعة صادقة ، فكان مجرد ظهورها فى وسطهم يحول الذئاب الضارية الى حملان وديعة !

واخيرا انحسرت موجة العنف ، وتسلم « المهاتما » اقرارات كتابية من زعماء مختلف الطوائف بأن آتباعهم سيجنحون الى السلم •• وعلى الفور عم السرور الدولة كلها ، لان محنة صوم ((قديس الشعب))قد انتهت•• وعندما قدم الزعيم المسلم ((مولانا ابو الكلام ازاد)) اول كوب من عصير البرتقال الى المهاتما غاندى ، التفتت انديرا الى ابيها ، فقرأت على وجهـه الاحساس بالرضى المشوب بالالم ، اذ كان لزاما ان تتعرض حياة القديس زعيم للخطر ، حتى يتم القضاء على موجة التعصب المقيتة ••

وفى اليوم التالى ذهبت « انديرا » مـــع ابنتى عمها لزيارة « المهاتما غاندي » ، وسررن اذ وجدنه في حالة نفسية طيبة ، فقد استقبلهن بإبتسامة



انديرا غاندي تحمل ابنها « سانجاى » فى طفولته

عريضة ، ثم راح يداعبهن معابثا .. وتحول يسأل انديرا عن زوجها ، وولديها الصغيرين ، وضيوفها المقيمين فى بيت « نهرو » . واجتاح «انديرا» فيض من الحنان نحو ذلك الرجل النحيل ، الذى كان بمثابة أب ثان لها .. وما خطر لها ـ وهى تفارقه فى ذلك اليوم ـ انها لن تشاهد وجهه الحبيب مرة اخرى ، وانه لن ينقضى يومان حتى يسقط قتيلا .. بطلقات مسدس قاتل اثيم !

تترك بيتها الى بيت أبيها ، لترعى جهاده ..

عندما استقرت حياة ((نهرو)) فى نيودلهى ـ فى عام ١٩٤٧ ـ لم يكن ثمة اتفاق بينه وبين ابنته على ان تعيش معه ، بل كان المفهوم ـ فى بادىء الأمر على الأقل ـ أن اقامتها فى بيته مؤقتة ، بحكم ان تلك الفترة كانت مليئة بالمتاعب والتوتر بالنسبة لجواهر لال نهرو ، بحيث كان فى حاجة الى شخص من لحمه ودمه يقف بجواره ، بعد أن خلا بيته من الاهل، وان منعته كبرياؤه من ان يجاهر بذلك . على ان وجود ((انديرا)) فى البيت لم يلبث ـ بمرور الوقت ـ أن اصبح ضرورة لا غنى له عنها ، فقد كانت تقوم بالنسبة له بدور المضيفة التى تستقبل ضيوفه وتشرف على شؤون منزله ، وتحول ـ برفق ـ دون تسلل المتطفلين واصحاب المطامع الى بيته .. فضلا عن دور الناقد الجرىء النزيه ، فقد كانت هى الشخص الوحيد الذى يجرؤ على معارضته عندما يتخذ قرارا لا ترضى عنه . وكان((نهرو)) يهتم بآرائها لأنه كان يثق فى رجاحة عقلها ، ويعرف انها لا تصدر فى آرائها عن هوى شخصى .. فضلا عن أن ضيق صدر نهرو بالنفاق والتملق وعدم الكفاءة كان كثيرا ما يبرز فى صورة نوبات غضب لم يكن ثمة من يملك تهدئتها سوى « انديرا » .

وهكذا اضطرت ((انديرا)) الى التضحية باستقرارها العائلى مع زوجها وولديها ، لتكرس الاعوام الثمانية عشر الاخيرة لخدمة أبيها ومساعدته . وقد ظل « فيروز » عدة سنوات فى بيت حميه ، كان خلالها موضع عطف « نهرو » وحبه . بيد أنه لم يكن يشعر بالسعادة الحقة اذ راحت تتنازعه

عاطفتان : حبه لزوجته واحترامه وحبه لحميه الذى كان يعتبره استاذه السياسى .. ثم تقديسه ـ فى الوقت نفسه ـ لكرامته ، الامر الذى كان يشعره بالغضاضة ويجعله يقبل على مضض فكرة البقاء « عالة » فى بيت نهرو . ولذلك لم يكد يفوز بعضوية البرلمان حتى انتقل الى المسكن الرسمى الذى كفله له مركزه الجديد ، حيث راح يستقبل اصدقاءه وحلفاءه السياسيين ، وحيث اكتسب أيضا سمعة البرلمانى ذى الراى الحر النزيه ، الذى لا يخشى أن يتحدث بصراحة مذهلة فى اى موضوع يهم الشعب ، ولو ادى ذلك الى كشف أوزار يرتكبها بعض أصحاب النفوذ فى الدولة .

بيد أنه لم ينفصل عن زوجته وابنيه انفصالا تاما ، فكثيرا ما كان يلتقى بهم ،سواء فى مسكنه او فى بيت « نهرو » . وكان قد أودع طفليه مدرسة داخلية ، ولكنهما كانا يجدان ابويهما معا فى استقبالهما ، كلما عادا الى البيت الكبير فى عطلة مدرسية . والواقع ان حياة « انديرا » و «فيروز» لم تكن حياة زوجية بمعنى الكلمة ، ولكنهما احتملا الموقف بكرامة، وتحت تأثير دوافع أبعد ما تكون عن الانانية !

وذات يوم ، تلقت ((انديرا)) برقية تحمل اليها نبأ الاجماع على انتخابها رئيسة لحزب المؤتمر الهندى . وكان ((نهرو)) ـ اذ ذاك ـ يقوم بجولة فى داخل البلاد لتفقد احوال الشعب ، فلم يكن الى جانبها لتستشيره .. ولكن لماذا تستشيره وهى تعرف جوابه مقدما ؟ .. لقد اعتاد فى مثل هذه المواقف أن يقول لها : « لقد بلغت سنا تسمح لك بالبت فى امورك بنفسك !)) . ومن ثم جلست الى مكتبها ،وارسلت برقية بموافقتها .

اللقاء الثالث .. مع لغز الحياة والموت !

وراح فيروز وانديرا يستغرقان فى اعمالهما ، كل فى ميدانه الخاص: هو فى عمله فى البرلمان الذى برز فيه كخطيب مفوه يحارب الفساد بكافة اشكاله ، فى غير مجاملة ، ولو اضطر الى المساس بأحد كبار رجال الحزب . وهى كرئيسة لحزب المؤتمر ، ثم كامرأة لم تتوقف عن اداء دور الابنة ، والرفيقة ، وحافظة الاسرار لأبيها رئيس الوزراء . كان الزوجان ماضيين فى

واجباتهما هذه ، عندما اصيب « فيروز » بنوبة قلبية مباغتة ، ودون توقع ، بينما كان يبدو فى عنفوان صحته ، ولم يخطر ببال أحد انه كان يعانى خللا فى البطين الايسر ، ما لبث ان تطور الى ازمة قلبية خطيرة .

.. وهرعت « انديرا » اليه بمجرد سماعها النبأ ، فقضت أياما وليالى طويلة ساهرة عليه ترعاه ، وتكاد تذوب قلقا وجزعا .. حتى اذا تأكدت من زوال الخطر ، صحبته وولديهما لقضاء فترة استجمام فى (كشمير) . وهناك ساعد الطقس البديع ، وقوة ارادة فيروز — يعززها اجتماع شمل الاسرة من جديد — على شفائه بسرعة عجيبة .. وكانت تلك الفترة بمثابة شهر عسل ثان للزوجين ، بعد أن باعدت بينهما السياسة أعواما ..

ولكن نداء الواجب ما لبث ان عاد بهما الى السهول مرة اخرى ، فارتدا الى حياتهما السابقة . وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠ عاودت ((فيروز)) النوبة القلبية ، فخفت انديرا ملهوفة الى جواره ، وكفلت له افضل انواع الرعاية الطبية ، وراحت — كأية زوجة مخلصة — تسهر على تمريضه بنفسها .. ولكن النوبة كانت شديدة ، فعجز قلبه المريض عن احتمالها .. ومات فيروز .. فغرقت « انديرا » فى الأسى العميق ، وظلت لعدة أسابيع ملهولة عما حولها .. حتى اذا استجمعت عزيمتها ، انكبت على العمل تلتمس فيه العزاء والسلوى . وكانت قد انتخبت — فى تلك الاثناء — عضوا فى لجنة الانتخابات المركزية لحزب المؤتمر — التى كانت تتولى اختيار المرشحين لانتخابات البرلمان — وعضوا فى اللجنة البرلمانية للحزب . وقد عملت فى المجالين بكل جد واخلاص .. وعندما زار أبوها الولايات المتحدة — فى العام التالى — كانت ترافقه فى الجولة التى استغرقت عشرة ايام ..

الاحداث التى عجلت بنهاية نهرو

✻ وجاء عام ١٩٦٢ بطائفة من الاحداث التى هزت « نهرو » و « انديرا » معا .. فقد اندلعت الاضطرابات الطائفية فى الهند من جديد ، بعد سنوات من السلام والهدوء .. وسبقت ((انديرا)) غيرها من اعضاء حزب المؤتمر

الى (جابالبور) ، لتواجه الجو المسمم الذى خلقه المتعصبون ،ولتدبير وسائل الحماية للأقلية المسلمة من هجمات المتهوسين ..

وحزن ((نهرو)) حزنا عميقا حين قرأ تقرير((انديرا)) عن هذه القلاقل، وراح يسائل نفسه متحسرا : اهذا هو مآل حلمه بتوحيد الهنود جميعا فى جبهة واحدة ؟ .. ولم يكن يدرى ان القدر قد أعد له صدمة اخرى اقسى والخطع .. فان الصين الشعبية ، التى كانت له جولات وصولات فى سبيل حمل المحافل الدولية على الاعتراف بها ، وعلى اقرار حقها فى احتلال مقعدها الشرعى فى الامم المتحدة ، معرضا نفسه ــ فى ذلك ــ لحملات الجناح اليمينى فى حزب المؤتمر .. الصين الشعبية هذه ، كانت هى عين الدولة التى عبأت جيشها ــ فى ذلك العام ــ للاعتداء على الهند !.

وكان هــذان الحادثان بمثابة طعنتين فى الظهـــر ، بالنسبة لنهرو ، السياسى الذى كان يؤمن بالمثالية .. فلم تنقض أيام حتى بدت عليه معالم الشيخوخة . وبالرغم من انه مضى يستجمع ارادته الخارقة لمواجهة الموقف المتازم،فانه فقد تفاؤله الى الابد ، ولم تعد روحه المعنوية الى سالف عهدها!

واشفقت « انديرا » على صحة ابيها .. ولكنـــه دعاها الى الا تشغل به ، كى تركز كل جهودها لتعبئة الشعب لمواجهة العدوان .. فلم تلبث ان رحلت الى ميدان القتال ، لتشرف على تزويد المحاربين بالمهمات والخدمات .. واخذت تعمل دون توقف على رفع الروح المعنوية للشعب .. الى ان انحسرت موجة العدوان باتفاقية وقف اطلاق النار ، وبدات الأحوال تهدأ . بيد ان جراح « نهرو » النفسية والروحية لم تندمل بعد ذلك . وما لبثت بوادر التداعى ان بدات تظهر عليه ..

وكانت البادرة الأولى فى مطلع عام ١٩٦٤ ، حين اصيب ((نهـــرو » بنوبة قلبية حادة ، أثناء حضوره اجتماع الحزب فى (بهوبانيسواد) ... فعكفت « انديرا » على العناية به اربعة اشهر طوال ، راحت تحاول فيها اقناعه بان يطيع تعليمات الاطباء ، ولكنهـــا كانت تضطر دائما الى اجابة الحاحه ، وتزويده بتطورات الموقف اولا باول .. وما ان حان شهر مايو ،

حتى بدت عليه أعراض التحسن ، وخيل للجميع انه تجاوز مرحلة الخطر ، فلم ير الاطباء ولا « انديرا » مانعا من السماح له بدراسة التقارير الرسمية .

وفى مساء السادس والعشرين من شهر مايو ه فرغ ((نهــرو)) من دراسة كل ما كان قد رفع اليه من اوراق ، وبت فيها بقرارات ، ثم طوى الملفات وهو يقول: ((اعتقــد اننى فرغت من كل شىء ! » .. وأوى الى فراشه . ولكن لم يشرق فجر اليوم التالى ، حتى عاودته النوبة القلبية على غير توقع .. وفى هذه المرة لم يقو على مغالبتها ، فاسلم الروح و «انديرا» الى جواره .. وانهار كل جلد « انديرا » ، فظلت ساعات طويلة جامدة بجانب الفراش ، لا يبرح بصرها الوجه الحبيب الذى كان شحوب الموت يسرى فى قسماته ..

القافلة تسير .. بعد رحيل الزعيم

✻ ولكن .. ما طلعت شمس أول يوم تقضيه الهند و « انديرا » بغير « جواهر لال نهرو » ، حتى انتبهت « انديرا » الى مسئولياتها ، فهبطت لتشرف على اعداد الفطور لجميع من كانوا فى « البيت الكبير » ، وان ابت ان تاكل شيئا ،برغم انها لم تتبلغ بلقمة واحدة طيلة اليوم السابق .. ثم طلبت الى الجميع أن يغتسلوا ويرتدوا ازهى ثيابهم ، لان « بابو » لايحب ان يسيروا معه فى رحلته الاخيرة بحالة زرية !

وفجاة ، احست « انديرا » بان الحمل الذى كان يثقل كاهليها قــد ازداد وتضاعف .. فقد بات عليها ان تواصل المسير وحدها ، بعد ان افترق عنها رفيقا الجهاد .. الاب والزوج !

ولا يتطلع شعب الهند اليوم الى « انديرا غاندى » كرئيسة للوزراء فحسب ، بل انه اختارها قائدته السياسية وزعيمته الروحية ، التى يستمد منها آراءه وإمانيه ، بعد إن حرم من زعيميه العظيمين ((المهاتماغاندى)) و « جواهر لال نهرو » .. وقد يكون هناك من يوجسون من قدرتها على القيام بهذا الدور ، ولكن هؤلاء يتجاهلون ان الشعب هو الذى يصــنع

الزعيم ويلهمه ، فى نفس الوقت الذى يتعلم فيه من الزعيم ويستلهمه ..
وما من شك فى أن شخصية « انديرا غاندى » السياسية ستتطور ، نمو كقوة تقدمية — مع تطور الهند ونموها .. فقد ارتبطت حياة « انديرا » بحياة الهند ارتباطا وثيقا ، وستظل أعواما طويلة تفرض نفوذها على سياسة الهند ، لا لأنها ابنة « جواهر لال نهرو » فحسب ، وانما لأنها تتحدث بلغة الشعب ؛ وتستمد منه نظرتها الى الامور ..

واذا كان معارضو « نهرو » — الذين استنكروا ايديولوجيته التقدمية قد أبوا عليه مرارا رغبته فى التنحى عن الحكم ، ادراكا منهم بأن تحرره من مسئولية الحكم سيوفر له الوقت والقوة لتوجيه الضربات للرجعية والطائفية والاستغلال .. فان أنصار اليمين فى حزب المؤتمر يدركون أن « أنديرا » لا تقل عن أبيها تحررا وتقدمية ، ومن ثم فشغلها بمقاليد الحكم غاية من غاياتهم .. أما الاكثرية المؤيدة لها ، فترى أنها قوة لا غنى عنها للحزب .. ونقطة تجمع لعناصره المجاهدة ، وهمزة وصل بينه وبين سياسة أبيها وشخصيته !

تعريف بمؤلف الكتاب

للمحـــرر

* والآن ، بعد أن فرغنا من قراءة هذا الكتاب الممتع عن حياة « انديرا غاندى » ، العامة والخاصة ، تعال معى أقدم لك مؤلف الكتاب : « خواجا أحمد عباس » .

وخواجا أحمد عباس ليس كاتبا فحسب ، وانما هـــو « مجموعة » ضخمة عجيبه من المواهب المنوعه : فهـــو محقق صحفى .. وكاتب ســـياسى .. ومؤلف روايات طويلة ، وقصص قصيرة ، ومسرحيات .. ومؤلف ومنتج بل ومخرج سينمائى لعدد كبير من الافلام الكبـــرى والتجريبية التى فاز الكثير منها بجوائز عالمية . وهو معروف فى الوسط السينمائى

العالمى كشخصية هامة من العاملين فى حقل السينما فى الهند ٠٠ وقد فاز فيلمه قبـــل الأخير « شيهار أور سابنا » بالمدالية الذهبية لأحسن أفلام الهند فى عام ١٩٦٣ ، وبجائزة الأكاديمية فى مهرجان السينما العالمى فى (كارلو فيفارى) لعام ١٩٦٤ ٠

وقد بدأ « خواجا أحمد عباس » حياته العملية ، على أثر تخرجه من جامعه (اليجهار) ، كمساعد للناقد الفنى لصحيفة « الكرونيكل » الهندية التى تصدر فى بومباى ٠ وفى وقت فراغه كان يتولى اعداد الدعاية اللازمه لشركه «أفلام بومباى» ٠ وكان رئيسه فى الجريدة كثيرا ما يعهد اليه بكتابة نقد الافلام نيابة عنه ، فلما وافاه أجله ، خلفه « عباس » فى وظيفته ٠

لكن توليه هذا العمل لم يلبث أن جعله شخصية بغيضـــة يكرهها أكثر العاملين فى حقل السينما الهنديه ، اذ كان شديد القسوة فى نقده ، برغم كافة الوسائل التى لجأ اليها المنتجون، من وعد ، أو وعيد ، كى يخفف من حدة هجـومه عليهم ٠٠ فلما فشلوا فى « استمالته » ، اتفقوا فيما بينهم على حرمان الصحيفة التى يعمل بها من كافة الاعلانات ، عقابا لها عـــلى نزاهة ناقدها !٠٠ ولم يجد رئيس التحرير وسيلة يتخلص بها من هذا المأزق سوى ترقية « عباس » وتكليفه بالاشراف على عدد الاحد الاسبوعى من الصحيفة ، كى يزيحه من الطريق الشائك الذى يضر بمصلحة الصحيفة !

يعد سيناريو فيلم ، ليفضح خصومه !

٠٠ وكان رد الفعل المباشر الذى عمد اليه « عباس » ، كى يلقن خصومه من المنتجين درسا لا ينسوه ، (ويقدم اليهم فى الوقت نفسه نموذجا للفيلم الجيد ، من وجهة نظره) ، انه



كتب قصـــه وسيناريو لفيلم اطلق عليه « نايا سانسار » ، (أى « العالم الجـــديد ») ، وتناول فيه شخصيه صـحفى نزيه يطارده بعض كبار رجال الاعمال ليرغموه عـلى الكف عن مهاجمتهم وفضح وســائلهم الحقيرة لاستغلال الفئات العاملة • وقد انتجت الفيلم شركه آفلام بومباى ، فلقى نجاحا كبيرا ، شجع « عباس » عـــلى تكوين شركة ســينمائيه جديدة تحت اشرافه ، أنتجت عددا من الافلام الجيدة التى تولى هو كتابة قصصها واعداد السيناريو لها ، بل وتولى اخراج بعضها •

عباس •• المؤلف المسرحى

والى جانب كل هذا الانتاج السينمائى ، اتجه عباس الى المسرح ، فألف عدة مسرحيات ناجحة ، منها « عودة الوردة الحمراء » ، التى صور فيها شخصية «نهرو» ، وقد كان هو الذى ابتكر واستخدم عبارة «عودة الوردة الحمراء» للمناداة بانتخاب انديرا غاندى رئيسة للوزارة الهندية ، ومنذ ذلك التـــاريخ أصبح رمز الوردة الحمراء مرتبطا بابنة جواهر لال نهرو ••

•• والكاتب السياسى

على أن كل مظاهر النشاط التى انغمس فيها « خواجا أحمد عباس » ــ والتى أوجزناها فيما سبق ــ لم تشغله عن الميدان الرئيسي لعمله واهتمامه ، وهو متابعة أحداث العالم السياسية

الهامة وتغطيتها أولا بأول بالتحقيقات الصحفيه والكتب التى يضمنها أحاديثه مع الشخصيات العالميه البارزة ·· من ذلك أنه عندما فاجأ « خروشوف » العالم بالتغييرات الكبرى التى أحدثها فى السياسة السوفييتيه ، سارع عباس بالسفر الى موسكو والحصول على اذن خاص بمقابلة الزعيم السوفييتى ، وكانت تلك المقابلة نواة للكتاب العميق الممتع الذى كتبه على اثر ذلك وجعل عنوانه « وجها لوجه مع خروشوف » ·

وعندما بهرت العالم رحلة « جاجارين » ، رائد الفضاء الاول ، طار عباس الى موسكو ليعود منها بمادة كتاب جديد بعنوان «حتىٰ نصل الى النجوم» ·· وهكذا طاف عباس بالعالم عدة مرات ، فى سباقه اللاهث وراء الاحداث ·

·· وهو لكى يكتب مؤلفه الذى قدمنا لك تلخيصا له فى الصفحات السابقة ، عن حياة انديرا غاندى ، لم يقنع بمجرد الاجتماع بالزعيمة الهندية عدة مرات ، بل حرص على استقصاء كل ما يسعه الحصول عليه من معلومات عنها ـ عن حياتها ، وشخصيتها ، وطفولتها ، وأطوارها المختلفة ـ عن طريق التحدث الى زميلات طفولتها ، ومعلماتها فى معهد تاجور ، وأساتذتها وزملائها فى جامعة اكسفورد ، ومرؤوسيها فى وزارة الاعلام والاذاعة ـ قبل أن تتولى رئاسه الوزارة ـ ثم أصدقائها المقربين فى كافة المجالات ·· بل ولازمها فى رحلاتها العديدة التى قامت بها بعد توليها الرئاسة ، الى عواصم العالم الكبرى : لندن ، وباريس ، وواشنجتون ، وموسكو ·· كل ذلك سعيا وراء الاتقان والاجادة ·

·· وهو مثل ـ فى الاخلاص للعمل ـ أهديه الى كل من يعمل (أو يبغى العمل) فى بلاط صاحبة الجلالة : الكلمة !

ح · م



FEAST OF THE DEAD
BY : CLEVDET KUDRET

- ١ -

ما ان حل شهر يناير حتى تغير لون الهواء ، وبدا العالم – تحت السماء المصبوغة بلون الرماد – مرتديا حلة من الكآبة .. وكف الناس عن الحركة والتنقل ، فلم يكونوا يغادرون منازلهم الا للذهاب الى أعمالهم .. وصارت الشوارع – سيما الشوارع الخلفية – خالية من المارة . ولم يعد أحد يستظل بأشجار السنط داخل ساحات المساجد ، أو بجوار النافورة حيث يهرع طالبو السكون والهدوء ، وحيث يتجمع أطفال الشوارع – لاهين عابثين – في شهور الصيف .. أما النافورة ، فلم تكن تخلو تماما من روادها ، بل ان بعضهم كان يتردد عليها كل يوم ، بقصد سد حاجته من الماء .

وذات يوم ، فوجىء المارة بصبي يركض في الشوارع لاهث الأنفاس – وكان قد فرغ لتوه من احضار الماء من النافورة – ثم يعترض طريق أول شخص يصادفه ، ويصيح به قائلا : « **لقد توفي دورسون اغا** » !

كان « دورسون أغا » من الشخصيات المعروفة في الحي . وكان في الخمسين من عمره ، ربعة ، متين البنيان ، ذا لحية سوداء مستديرة .. أما وظيفته فكانت « سقاء » الحي . وكان الرجل رقيق الحال ، محدود الدخل ، تضنيه هموم البحث عن قوت أسرته المكونة من زوجة وطفلين . **ولم يكن رأسماله يتجاوز صفيحتي ماء فارغتين ، وعصا خشبية غليظة ، تتدلى من طرفيها سلسلتان** . وقد اعتاد ان يثبت العصا على كتفيه ، بعد أن يعلق الصفيحتين في طرفيها ، ثم يخرج الى الشوارع مناديا : « ماء .. هل يرغب أحد في ماء ؟ » .

ومع أن صوته كان خافتا ، الا أنه لم يكن واهن الأثر ، اذ كان رنينه يصل الى آخر منزل في الشارع ٠ فكان الراغبون فى الحصول على الماء ينادونه قائلين : « نوبة واحدة يا دورسون أغا » ، أو « نوبتان » ، أو « ثلاث نوبات » ٠٠ وكانت النوبة ـ فى لغتهم ـ تعنى صفيحتى ماء ٠

واذ ذاك كان دورسون أغا يهـــرع الى النافورة فى أعلى التل ، ليملأ صفيحتيه ، ويظل فى رواح وغدو ، ينقل الماء من النافورة ، لقاء ثلاثة قروش عن كل نوبة ٠ **ولعله بذلك ـ أى بطريقة اكتساب قوته اليــومى ـ كان كالذى يستعين بابرة ليحفر بئرا عميقة !** ٠٠ ولو انه قصر جهده على القوت اليومى ، لما صار بوسعه أن يطعم أربعة أفواه ، ولكن رحمة الله شاءت أن تغدق عليهم مزيدا من الرزق ٠ فقد اعتاد بعض سكان الحى أن يستدعوا زوجته « جولناز » ـ ثلاث مرات فى الأسبوع ـ كى تتولى غسل ثيابهم ٠

كانت الزوجة تحاول من جانبها ـ وفى حدود امكانياتها وعملها هذا ـ أن تساعد زوجها على اكتساب القليل من الرزق، مستعينة على ذلك بالحيلة ٠ فكانت تعمـــد الى الاسراف فى استهلاك الماء ، مما يضطر زبائنها الى شراء مزيد منه ، فتتيح ـ بذلك ـ الفرصة لزوجها ، كى يضيف الى دخله ثلاثة قروش أخرى !

أما الآن ، فقد انهار كل شيء فجأة ٠ وما لبث الناس أن عرفوا كيف لاقى « دورسون » حتفه ٠٠ فقد كان يسير بحمولته من الماء ، فى شوارع المدينة المغطاة بالجليـــد الذى انهمر من السماء فى الليلة الماضية ، وقد زادت من لزاجته القطـــرات

المنسابة من ثقوب صفيحتى الماء • **وفجأة تعثرت قدما « دورسون » وانزلقتا ، ومادت كتفاه بحمولة الماء ، ففقد توازنه ، وسقط على الأرض •• واذا رأسه يرتطم بحافة افريز الشارع الحجرى •**

وراح الناس يتساءلون : كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ •• منذا الذى كان يتوقع أن يموت دورسون هكذا فجأة ؟ •• أمن الممكن أن يكون العملاق هشا ، ضعيفا الى هذا الحد ، فلا يقوى على تحمل أقل لطمة ؟ •• منذا الذى كان يظن أن جمجمة صلبة كجمجمته يمكن أن تتهشم بالسهولة التى تهشمت بها ؟ •• لكن الأمر ما لبث أن ازداد وضوحا : ذلك لأن أشد الناس صلابة ، وأوفرهم حظا من الصحة وقوة البنية ، يمكن أن يموت هكذا •• على حين غرة ، وبلا انتظار !

- ٢ -

ولما بلغ النبأ مسامع « جولناز » أصيبت بالذهول ! •• رباه ! أكان ذلك عقابا لها على ما كانت تلجأ اليه من حيل وخداع فى استهلاك الماء ؟! •• كلا ، وألف مرة كلا •• فحاشا لله أن يعاقبها على فعلتها بهذه الصرامة ، وليس ما حدث سوى كارثة عارضة لا يد لها فيها ، والناس شهود على ما حدث •• ومن ناحية أخرى ، ليست الوفاة من جراء سقطة كسقطته عسيرة التوقع بالنسبة لسواه من البشر !

أجل •• كل انسان معرض لأن يقع له هذا ، ولكن كل انسان لا يموت قبل أن يترك لذريته — على أقل تقدير — شيئا ما ! •• أما « **دورسون أغا** » ، **فلم يورث أسرته سوى صفيحتين فارغتين •• وعصا خشبية !**

والآن ، ماذا تملك « جولناز » أن تفعل؟ .. لقد فكرت . وفكرت ، حتى توقف عقلها عن التفكير ، دون أن تهتدي الى حل .. فليس من اليسير على امرأة أن تكفل وحدها ـ بعد وفاة زوجها ـ ولدين : أحدهما في التاسعة من عمره ، والآخر في السادسة . ترى كيف تستطيع أن تقيم أودهما بما تكسبه من غسل الثياب ؟ .. وعادت الى ذاكرتها صور الماء الذي كانت تسرف في استهلاكه ، وتضيعه هباء . ولكن ، ماذا يجدي التفكير في ذلك الآن ؟ .. لقد تغير كل شيء ، ولم يعد ثمة فرق بين الاسراف في الماء ، والتقتير فيه .. ولو أنها عرفت وسيلة أخرى للكسب ، لما ترددت في أن تهجر مهنتها الى سواها .. **لقد صار الماء ـ الذي كان في الماضي مورد رزقها ـ كريها في عينيها فجأة ، وغدت ترى في بريقه غدرا ، وفي انسيابه عداوة وبغضاء .. ولم تعد ترغب في سماع سيرته !**

***

وعندما كان الموت يدهم أحد المنازل ، لم يكن ذكر الطعام يأتي على الألسن طوال ست وثلاثين أو ثمان وأربعين ساعة.. ولكن ، ما أن تبدأ الأمعاء في التلوى ، ويسرى الخدر والوهن في الأطراف ، حتى يصيح أحد الأشخاص قائلا : « تعالوا .. ينبغي أن نتناول طعاما » .. ثم لا تلبث الحال أن تعود الى مجراها الطبيعي ، بعد أن تمتلىء البطون .. وفي مثل هذه المناسبات اعتاد جيران أهل المتوفى أن يبعثوا الى المآتم طعاما لمدة يومين !

وكانت اول وجبة ارسلت الى « جولناز » وولديها ، من المنزل الأبيض اللون ، الذى كان يقع عـلى ناصية الشارع ، ويملكه « رئيف أفندى » التاجر ، الذى كان بوسع أى انسان أن يدرك ـ من أول نظرة على منزله ـ انه يرتع فى بحبوحة من العيش • ففى ظهر اليوم التالى لوفاة « دورسون » ، أقبلت خادمة « رئيف أفندى » ، تحمل صـــينية كبيرة ، ثم قرعت الباب • وبرغم أن أحدا لم تكن به رغبة فى الطعام ، الا أنهم ما أن رفعوا غطاء الصينية الأبيض ، وشـــاهدوا محتويات الأطباق ـ المكونة من الشـــعرية المخلوطة بشرائح الدجاج ، وقطع اللحم التى تتوسط حساء دسما ،وقطع الجبن المستديرة، وبعض الحلوى ـ حتى سال لعابهم ، وما لبثـــوا أن أحاطوا بالمائدة فى صمت •• **ولما كانت أعينهم لم تقع من قبل عـــلى طعام بمثل هذه الجودة ، فان الجوع عربد فى أحشائهم الخاوية، فأقبلوا على الطعام بنهم ، متلذذين بكل ما كان يصـــل الى أفواههم •**

وفى اليوم التالى ، تكفل جار آخر باحضار الطعـام •• واستمرت الحال على هذه الوتيرة ثلاثة أيام • ومع ان طعـام اليومين التاليين لم يكن يضارع ـ فى جودته ـ طعـام اليوم الأول ، الا أنه كان ـعلى أية حالـ أفضل من أى طعام اخرجته قدور جولناز •• ولعله كان من الجـــائز أن تحتمل جولناز وأطفالها الفاجعة فى صبر ، لو أن هـــذه الحال استمرت •• ولكن •• ما أن توقف مجىء الطعام ، ونفد الفحم الذى كانت جولناز قد ابتاعته رطلا بعـد رطل ، حتى أدركت الأرملة ان مصيبتها تجل عن كل عزاء !

وفى أول يوم انقطع فيه ورود الطعام ، ظل الأمل يراود أفئـــدة الأم وولديها ، حتى الظهيرة • وكانوا يركضون الى الباب ، كلما طرق أسماعهم وقــع أقدام فى الشارع ، راجين أن يشاهدوا صينية ضخمة ، وقد انسدل فوقها غطاء أبيض اللون ! •• لكنهم كانوا يشاهدون ــ بدلا من ذلك ــ **أناســا رائحين وغادين ، منصرفين الى شؤون حياتهم اليومية المعتادة ، عابرين باب منزلهم وقد تدلت أذرعهم الى جوانبهم !**

ولما مرت فترة الغداء ، وتأكدوا من أن أحدا لن يحضر لهم طعاما ، اضطروا الى أن يطهوا مايسد جوعهم•• ولكنهم كانوا قد ألفوا ــ فى الأيام القلائل السابقة ــ ألوانا من الطعــــام جعلت من العسير على الولدين أن يستسيغا البطـاطس الذى قدمته لهم « جولناز » دون أى أثر للزبد ! •• عــلى أن الأم وولديها لم يكونوا يملكون سوى الاستسلام للواقع ، والرضى بما قدر لهم !

غير أنهم لم يشعروا بلذعة الجوع حقيقة ، الا حين نفدت مؤونة المنزل من الزبد والدقيق والبطاطس ، **وأصــبح لزاما عليهم أن يقنعوا بأى شىء تقع عليه أيديهم : بصلتين ، أو بعض ثوم ، أو ملء حفنة من الفاصوليا •• وأخيرا حل اليـوم الذى فرغت فيه كل القدور والسلال والزجاجات والصــناديق ••** وفى ذلك اليوم ــ وللمرة الأولى ــ باتت بطونهم على الطوى !

* * *

ومضى صباح اليوم التالى كسابقه •• وبعد الظهر بقليل ، صاح الابن الأصغر : « أماه •• ان أحشائى تؤلمنى » • فأجابته

« جولناز » : « صبرا · لابد أن يأتى الفرج »· لكن الفرج لم يأت ، وطال الصبر ·· وشعروا جميعا بأن أحشاءهم قـــد تقلصت فصارت في حجم قبضـــة يد الطفل ، وباتوا يحسون بدوار كلما انتصبوا على أقدامهم ، وفى مثل هذه الحال يفضل المرء أن يستلقي على ظهره ، اذ أنه يحس كأنه يحلم !

وصارت تتراءى أمام أعينهم أطباق حمـــــراء وخضراء ، تتراقص ، بينما تتردد فى آذانهم أصـــوات رنانة جوفاء ·· وما لبثوا أن اكتشفوا أن أصواتهم قد رقت ووهنت !

وفى اليوم التالى ، رقدت « جولناز » فى فراشها ، تراودها أحلام اليقظة : قد يحضر اليها من يطلب غسالة ·· وقد تتلقى من احدى السيدات رسالة تدعوها فيها لتتولى غسل ثيابها ! ·· وبعد أن كانت « جولناز » قد أقسمت ـ عقب فجيعتها فى زوجها ـ أن لا تمس الماء مرة أخرى ، غدت تتحرق شوقا الى أن تضرب فيه بيديها وذراعيها طيلة النهار ، لتغسل الثياب·· **ولكن الجارات ـ من ناحيتهن ـ كن يشفقن من استخدامها ، وكن يتهامسن : « يا للمسكينة ! ·· لا ريب أن الحزن قـــد أثقل قلبها ، فلم تعد فى حال تسمح لها بأن تغسل مرة أخرى ·· يا لها من بائسة ! »**

وجاء صباح آخر ، لم تحاول فيـــه « جولناز » وولداها النهوض من الفراش ، وهنا وعجزا ، فظلوا راقدين يحلمون بالطعام · وقال الابن الأصغر لأمه : « أماه ·· أرى خبزا ·· انظرى ! انظرى ! » ، ومد يده وكأنه يهم بأن يمسكه ، وعاد يهذى : « الخبز ·· لكم يبدو شهيا ، ناضجا ، ناعم الملمس ! »

أما الابن الأكبر ، فقد راح يحلم بالحلوى ، ويلوم نفسه·· لكم كان غبيا ، اذ التهم كل ما قدم اليه منها فى الأيام الأولى .

بدلا من أن يحتفظ بنصيب للأيام التالية ٠٠ لو أن أحدا قدم اليه الآن قسطا منها ، لعرف ـ فى هذه المرة ـ كيف يتصرف، لأكلها فى بطء ، مستحلبا كل قطعة منها على مهل !

***

وظلت جولناز فى فراشها ، تستمع الى همهمات ابنيها ، وقد عضت على شفتيها، كى تمنع نفسها من الانفجار فى البكاء. غير أنها لم تملك أن تمنع تسلل الدموع من خلال أجفانها المغمضة ، وانسيابها على وجنتيها ٠٠ وظلت فى رقدتها ، متتبعة ـ بحاسة السمع ـ كل ما كان يجرى فى الخارج من أحداث : ها قد انصفق أحد الأبواب ، دلالة على أن « كيفات » قد خرج الى المدرسة ٠٠ انه لا يفتأ يصفق الباب فى كل مرة يخرج فيها ، على نقيض أخيه الأكبر « سليمان » ، الذى يغلق الباب فى هدوء ٠٠ ثم طرق سمعها صوت امرأة مسنة ، تعانى من آلام الروماتيزم ، وهى تجر قدميها خلفها ٠٠ انها أم « صالح » ـ الذى كان يعمل نوتيا على ظهر احدى البواخر ـ وهى فى طريقها الى السوق كى تبتاع حاجياتها ٠٠ أما الذى يخرج فى هذه المرة ، فهو « تحسين أفندى » الحلاق ، الذى يقطن المنزل الأحمر فى آخر الشارع ٠ انه يخرج دائما فى هذه الساعة ليفتح حانوته بالشارع الرئيسى ٠ وهذا « حسن بك » ، حفيد « ادريس أغا » التاجر ٠ انه يعمل كاتبا فى شركة الكهرباء ، ولن يلبث أن يترك منزله بمجرد ان يعثر على فتاة مثقفة تقبل الزواج منه ٠٠ أما تلك فهى « نورية هانم » المعلمة ٠ وهذا « فضل الله أفندى » الاسكافى ٠٠ وذاك « كميل

بك » جابى الضرائب ‥ وأخيرا ، ها هو بائع الخبـــز الذى يتوقف دائما أمام منـــــزل « رفقى بك » ‥ انه يحضر كل صباح ، فى ذات الساعة تماما ، وقد تدلت سلال الخبز عـلى جانبى حصانه ‥ سلال محشوة بالخبز الى حوافها ، وبوسع المرء أن يسمع صوت حفيفها على بعد أميال طويلة !

وكان الابن الأكبر هو الذى سمع صوت حفيف السلال ، فنظر الى أخيه ‥ ثم سمعه أيضا الفتى الأصـغر ، فاستدار ـ بدوره ـ الى أخيه ‥ وتلاقت عيونهما . وغمغم الابن الاصغر قائلا : « الخبز ‥ الخبز ! »

- ٣ -

وأخذ الصوت يقترب تدريجا ، فنهضت « جولناز » عـلى مهل ، وتناولت وشاحا نشرته على كتفيها اتقاء للبرودة ، ثم استعدت للخروج . لقد قررت أن تطلب من البائع أن يعطيها رغيفين على الحساب، راجية أن تسدد ثمنهما من أجرة الغسيل. وما أن لامست يداها مصراع الباب ، حتى توقفت فجأة ، وقد تركزت كل حواسها فى أذنيها ، وبث فى نفسها صــــوت اقتراب وقع خطوات الحصان تحفزا أخذ يزداد شيئا فشيئا ، أن صار مصدر الصوت على قيد خطوات ، حتى استجمعت بالطعام
ما وجرأتها ، وفتحت الباب ‥ انظرى

يهذي : وصـــافح عينيها مرأى الخبـــز ، فراحت تحملق بعينين أملظتين ، فى تلك النعمة العابرة أمامها ‥ كانت هنـــــاك لكه سَلتان مربعتان ، كبيرتا الحجم ، بحيث أخفتا معظم جســــد الحصان ، وكاد قاعاهما أن يلامسا الأرض ، وقد غصتا بالخبز

الى حافتيهما .. **وكان خبزا شهيا ، صنع من الدقيق الناصع البياض .. وكانت الأرغفة تبدو طازجة ، اسفنجية ، يبعث ملمسها البهجة فى النفوس .. بل ان الأصابع لتغوص فى لبابها بمجرد اللمس . أما عبيرها فحدث عنه ولا حرج ، اذ كان عبيرا يخترق الخياشيم ويغوص منزلقا الى الحلق !**

وابتلعت « جولناز » لعابها .. وفى اللحظة التى كادت تفتح فيها فمها كى تخاطب الرجل الملتحى ، صاح هذا فى الحصان يستحثه على المسير .. واذ ذاك فقدت كل شجاعتها ، فلم تستطع أن تنبس بكلمة ، بل تسمرت فى مكانها ، وراحت ترقب سلال الخبز وهى تبتعد عنها ، وتنأى عن متناول يدها . كان الطعام ـ نعمة الله ـ يمر ببابها ، وهى عاجزة عن أن تمد يدها لتأخذه ! .. وسار الحصان مبتعدا فى بطء ، ملوحا بذيله الطويل ، ذى الشعر الأبيض ، وكأنه يلوح لها بمنديل قائلا : « الوداع يا جولناز .. الوداع يا جولناز ! »

وكل ما فعلته « جولناز » بعد ذلك ، انها تقهقرت الى حجرتها ، ثم صفقت الباب خلفها ، ولم تعد تجرؤ على مواجهة نظرات الغلامين ، اللذين كانا ينتظران فى تراقب ، والأمل يداعب خيالهما .. ولم تجد مكانا تخفى فيه يديها الفارغتين . وفجأة شعرت بالخجل اذ كانت لها يدان .. ولم تتردد فى جنبات الغرفة ثمة كلمة . كل ما فعله الغلامان أن انقلب كل منهما على جنبه الآخر ، كيلا يشاهدا فراغ يدى أمهما !

أما « جولناز » فقد ألقت بجسدها فوق حشية على الأرض ، ووضعت قدميها أسفل ردائها ، وغطت ذراعيها بالوشاح الذى كانت قد وضعته فوق رأسها ، وقبعت فى ركن

من الغرفة ، وكأنها كانت ترغب فى أن تتلاشى ، وأن تفارق الوجود !

***

وبدت « جولناز » ككومة من قصاصات الخرق البالية ..
وغدا جو الغرفة مشبعا بالتوتر . وانقضى نصف ساعة أو أكثر قليلا ، دون أن ينبس أحد ببنت شفة .

وأخيرا صاح الغلام الأصغر ، مبددا شمل الصمت :
« أماه .. أماه ! »

ـ نعم يا بنى ؟

ـ لم أعد احتمل .. أشعر بشىء يتحرك فى جوفى !

ـ أواه يا بنى الحبيب .. يا بنى الصغير !

ـ هنا يا أمى ، فى جوفى .. شىء يتحرك !

ـ انه الجوع يا حبيبى ، وانى أحسه بدورى .. لا تقلق !
.. كل ما هنالك ان امعاءك تتحرك .

ـ اننى أموت .. أموت !

واذ ذاك فتح الغلام الأكبر عينيه ، ونظر الى أمه ، بينما كانت « جولناز » تغمر كليهما بنظراتها الملتاعة . أما الغلام الأصغر ، فقد كف عن الكلام ، وبدت عيناه أكثر سوادا :
غارت وجنتاه اللتان ترهل جلدهما ، وشحب لونهما ، حتى حاكى لون الثلج . وفجأة أشارت « جولناز » لابنها الأكبر ، فتحامل على نفسه حتى نهض ، وتبعها الى خارج الحجرة . وفى الردهة ، بين الغرفتين ، همست الأم فى أذنه ـ كيلا يسمعها أخوه الأصغر ـ قائلة : « اذهب الى « بودوس » البقال ، واطلب

منه قدرا من الأرز والدقيق وقليلا من البطاطس ٠٠ وقل له اننا سنسدد الثمن بعد أيام قلائل ! »

ولم يكن المعطف الذى تدثر به الغلام كافيا لأن يقى جسده لذعة البرد ، مما جعله يعانى مشقة فى المسير ، فكان يقف ـ كل بضع خطوات ـ ويستند الى الجدران ٠ ولما بلغ هدفه ، دخل المتجر الذى كانت الحرارة تسرى فيه من مدفأة كبيرة ، وانتظر الغلام حتى يفرغ الآخرون من شراء حاجياتهم، راجيا أن تسنح له فرصة يتحدث فيها الى البدال على انفراد٠٠ مستعذبا دفء المتجر !

- ٤ -

وما أن انصرف الزبائن ، حتى ابتعد الغلام عن المدفأة التى كان يقف بجوارها ، وطلب من البدال رطلا من الأرز ، وآخر من البطاطس ، وثالثا من الدقيق ٠ ثم دس يديه فى جيوبه ، متظاهرا باخراج النقود ، لكنه ما لبث أن صاح قائلا : « آه٠٠ لقد تركت النقود بالمنزل ٠ ما أشق أن أعود الى المنزل لاحضارها فى هذا البرد الفظيع ٠ اكتب لى الثمن ، وسأحضره لك غدا ! »

غير أن «بودوس» كان خبيرا بتلك الحيلة، فقال له : «**لقد نحل جسدك ٠ والذى يملك نقودا لا ينقص وزنه هكذا !** » ، ثم سحب الغلام الى أحد أركان المتجر وقال له : « احضر النقود أولا ، ثم خذ ما شئت ! » ٠ فأجابه الغلام وقد أمضه انكشاف خيلته : « حسنا ، سأحضرها » ، ثم هرول الى الخارج !

وما ان انصرف الغلام حتى التفت بودوس الى زوجته ـ التي كانت تساعده في ادارة المتجر ـ وقال : « يا للمساكين!

.. لكم أشفق عليهم ! .. انني لأعجب كيف أصبحوا يعيشون ! » ، فأطرقت زوجته برأسها ، ثم أجابت : « نعم ، انني أشفق عليهم أيضا .. يا لهم من تعساء ! »

وأحس الغلام بأن برودة الشارع قد غدت أكثر قسوة مما كانت عليه قبل أن يدخل المتجر .. وعند ناصية الشارع ، شاهد الدخان يتصاعد من مدخنة المنزل الأبيض، فراح يتأمله مبهورا ، محسورا .. وهتف في أعماقه : «ما أسعد سكانه !». **ولم ينبعث هذا القول عن احساس بالحسد ، وانما صدر عن اعجاب وتقدير لأولئك الذين ملأوا معدته ـ ذات يوم ـ باشهى طعام ذاقه في حياته !**

وحث الغلام خطاه ، بكل ما وسعه من قوة ، وقد أخذت أسنانه تصطك من فرط البرودة . ولما دخل الغرفة لم يقل شيئا لأمه أو لأخيه ، اذ لم يكن ثمة حاجة الى قول ، فقد كانت يداه الفارغتان افصح من أى بيان . وفى هدوء وقف يخلع ملابسه ـ أمام عينى أمه المتسائلتين ـ ثم رقد فى فراشه ، الذى لم يكن قد فقد حرارته بعد . وما لبث أن قال : « أشعر بالبرودة .. أشعر بالبرودة ! » . فنهضت « جولناز » ، وكومت كل ما وقع فى يدها من ملابس فوق جسده ، ثم جلست الى جواره ، **ترقب فى قلق واضطراب كومة الثياب التى راحت ترتفع وتنخفض فوق جسد الغلام المرتجف !**

واستمرت رعشته زهاء ساعة ونصف الساعة أو أكثر ، ثم ما لبثت أن تحولت الى حمى شديدة . ورقد الغلام ممددا على ظهره بلا حراك ، وراح يحملق فى السقف دون أن يبصر شيئا . وبعد قليل ، رفعت « جولناز » الغطاء عن جسده ، وانهمكت في تدليك جبهته بيديها الباردتين .

وفجاة لاحظت انها لم تعد تحس بالجوع ، وشعرت بما يشبه الخدر الذى ينشأ عن البرد القارس أو الدفء الشديد !

وقضت المرأة النهار بأكمله ، تذرع الغرفة جيئة وذهابا ، حتى اذا ما حل المساء ، دب اليأس فى قلبها ، وفقدت القدرة على التفكير ، ولم تعد تدرى ماذا تفعل .. وظلت تدخل الغرفة ثم تخرج منها ، وعينـــــاها ككرتين من زجاج ، تتنقلان بين السقف والجدران تارة ، وبين قطع الأثاث تارة أخرى .

***

وحين غربت الشمس ، وحل الظلام ، تكومت فى زاوية من الغرفة ، تتلمس بيديها المرتجفتين الأغطيـة التى كانت تدثر جسد الغلام . وفجأة خطر لها ســؤال عارض استبد بها : « ألا يوجد من يدفع ثمنا لهذه الخرق ؟ » .. وتذكرت حديث بعض الجيران عن حانوت يتجر صاحبه فى الملابس المستعملة . ولكن ، لابد أن الحانوت مغلق ، فى مثل هذه الساعة .. اذن، فليس أمامها سوى أن تنتظر حتى الصباح .

واذ استقر قرارها عــــلى هذا الحل الموفق ، هدأ روعها ، وعاد اليها هدوؤها ، فكفت عن التجول فى الغرفة ، وقبعت الى جوار ولدها ، وهى تحملق فى الفضاء . وظلت على هذه الحال وقتا طويلا، بينما كان الولد المحموم يزداد استغراقا فى بحران الحمى ، وحرارته ترتفع باضطراد ، من لحظة الى أخرى ..

اما الولد الأصغر فقد لبث مؤرق الجفنين ، يتلوى من الجوع القارص ، ومكث ـ بدوره ـ يشـــاهد ما كان يدور أمامه ، وعيناه مفتوحتان ..

وشرع الصبي المريض يئن ، ويتقلب على جنبيه ـ من فرط الحمى ـ دون أن يجد الراحة على أيهما • وكانت وجنتاه متوقدتين ، مشتعلتين • وما لبث أن راح يهذى ، وقد ثبتت عيناه الواسعتان ، الجامدتان ، على بقعة معينة من السقف ، وان لم يكن ـ فى الواقع ـ يبصر شيئا •

ولما عاودته نوبة الهذيان ، نهض أخوه فجلس فى فراشه ، ثم قال بصوت خافت ، بلغ مسمع أمه بمشقة :

ـ ترى هل سيموت أخي ؟

وإذ ذاك ارتجف جسد المرأة ، وكأن لسعة برد أصابته ، ونظرت الى ابنها بعينين تفيضان جزعا •• وقالت : « لماذا تسأل ؟ » •• وتردد الغلام برهة ، وهو واقع تحت نظرات أمه المتفرسة ، ثم انحنى نحوها ، واقترب بفمه من اذنها ـ كيلا يستمع أخوه قوله ـ وهمس : « **لأن •• لأن الطعام سيأتى عندئذ •• من المنزل الأبيض ! »**



LETTRES D'AMOUR DE VOLTAIRE A SA NIECE

عرض وتلخيص : الدكتور أنور لوقا

أستاذ الأدب الفرنسى المساعد بكلية آداب عين شمس

هذه الرسائل !

كلمة تقديم : للمحرر

« ان التستر على شذوذ العظماء يعنى نوعا من الطبقية ، ذلك ان كل ما يحدث فى حياه الرجل العظيم ، أيا كان طابعه الخاص ، له أثره فى نفس الرجل ، وفى عمله ، ومهنته »

ستيفن سبندر

هذا كشف خطير عن ناحية مجهولة من سيرة «فولتير».
مجموعة من الوثائق – ١٥٦ رسالة بقلم الأديب العالمى الكبير – نشرها البحاثة المحقق الأستاذ « تيودور بسترمان » مؤسس ومدير « معهد ومتحف فولتير » بجنيف ، **بعد أن ظلت قرنين فى طى الكتمان !**

وقد شاءت المصادفة ان أكون فى (جنيف) حين نشر « بسترمان » كشفه الخطير ، فسعيت الى مقابلته فى معهد فولتير هناك . وخرجت من اللقاء وفى يدى نسخة كامله من تلك الرسائل ، ومعها اهداء رقيق الى (كتابى) بخط بسترمان ، يراه القارىء تحت هذه السطور .

à la revue Kitabi

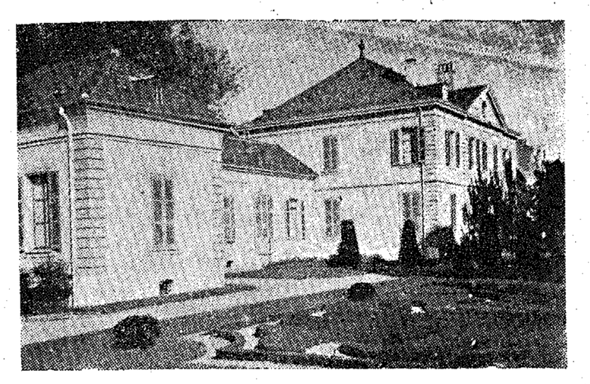
Theodore Besterman.

ولقد تخصص « بسترمان » فى جمع تراث فولتير ، وأتاحت له ثروته الخاصة أن يقتنى الكثير من مخلفات القرن الثامن عشر وأوراقه ، وأن يصنفها ويعرضها فى قصر « الديليس » الذى بناه فولتير لنفسه داخل الأراضى السويسرية قرب حدود فرنسا ، (فقد كان فولتير يتقن فن الفرار بحيث يصبح على الفور فى مأمن من تعقب رجال الرقابة ومن بطش الشرطة الملكية ، كلما هاجم نظام الحكم الفرنسى) • وعكف « بسترمان » منذ عدة سنوات على نشر رسائل فولتير جميعها التى أرسلها الى كل من راسلهم من عارفيه ، وأصدقائه ، وأعدائه ! ـ وما أكثرها وأهمها لدارسى الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الفترة التى مهدت لقيام الثورة الفرنسية ! ـ وهكذا ظهرت عشرات من المجلدات الكثيفة ، تحتوى على الاجزاء الاولى من المجموعة الكاملة لرسائل فولتير ، أما بقية الرسائل ـ بترتيبها التاريخى ـ فما زالت فى طريقها الى المطبعة لتظهر تباعا •• وقبل آن يتم نشرها كلها ، عثر « بسترمان » على هذه المجموعة من الرسائل الغرامية ذات الطابع الشاذ ، فقطع انتاجه المألوف ليفاجىء العالم بكشفه الخطير !

واذا كانت الظروف لا تسمح بنشر النصوص الكاملة لمجموعة رسائل « فولتير » المكتشفة الى « ابنة اخته » ، لما تحتويه من عبارات وألفاظ لا تتفق وتقاليدنا ، كما تتنافى مع منهج (كتابى) •• فان نشر عرض وتلخيص « مخففين » لمجموعة هذه الرسائل ، وبعض نماذج منها ـ فيما يلى ـ

يعتبر أمانة لرسالة الثقافة والبحث ، بل واجبا يقتضيه الانصاف للحقيقة والتاريخ .. ولو كانت فيه اساءة لفولتير نفسه .. كانسان !

حلمى مراد



الواجهة الجنوبية لمعهد ومتحف فولتير فى جنيف ، وقد افتتحا فى ٢ اكتوبر ١٩٥٤ . وقد عاش فولتير فى هذا القصر عشر سنوات (١٧٥٥ – ١٧٦٥) ، وكان هو الذى اطلق عليه اسم « ليه ديليس » (أى « الملذات ») ، ويضم القصر : (١) رواق المعروضات ، وبه لوحات زيتية تمثل فولتير ، والمركيزة دى شاتليه ، وروسو ، وكراسات توقيعات (« أوتوجراف ») وطبعات جميلة ونادرة من مؤلفات فولتير . (٢) صالون القصر ، وبه تمثال نصفى لفولتير تراه فى ص ١٣٧ . (٣) الردهة البيضاوية ، وبها التمثال الذى تراه فى ص ١٥٣ . (٤) قاعة المكتبة ، وتضم مجموعة ضخمة من المخطوطات ، و ٨٠٠٠ مؤلف عن فولتير والقرن ١٨ ، ورسوم وصور فوتوغرافية لجميع رسائل فولتير ، ووثائق اخرى .

بطلا المأساة .. فى سطور

لسنا فى حاجة الى التعريف بفولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ، فقد بلغ من الشهرة فى حياته وبعد مماته ما قلما يتاح لانسان . خرج من الطبقة الوسطى ، ولكنه ارتفع بفضل ذكائه ومواهبه حتى طاول عظماء عصره وجالس الأمراء والملوك . **ولم يلبث حتى ألب على الأمراء والملوك ـ وهو النديم الداهية ـ عامة الشعب . خاض فى كل صغيرة وكبيرة تعنى أهل جيله . تدخل فى مشاكل السياسة ، والقضاء ، والعدالة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها . وبث دعوته للحرية فى أسلوب ساخر نفاذ ، يفضح المظالم ، ويلهب ثورة العقل والضمير على فساد الأوضاع وامتهان البشر** . وعالج فنون الأدب كلها : قرض الشعر وأبدع النثر ، مدح وهجا ـ وتفوق فى الهجاء لا فى المديح ـ وكتب العديد من المسرحيات ، ومثل أدوار البطولة فى بعضها .. وتنقل من الملحمة ، الى التاريخ ، الى القصص ، والى النقد ، والفلسفة ، والأخلاق . وأدى تجديده فى شتى هذه الميادين الى تطور الفكر ، وتحول اتجاهات الذوق ، والى التقدم نحو آفاق العصر الحديث ..!

ولكن فولتير العظيم .. أبا الثورة الفرنسية .. العملاق .. شعلة الذكاء والدهاء .. ونجم الأدب والتاريخ .. لم يكن الا انسانا عاديا ، بل انسانا ضعيفا بائسا ، ينحدر ـ رغم مواهبه وعبقريته ـ الى هوة الغفلة ، ومباذل الشذوذ!

هذه هى الحقيقة المؤلمة التى نستخلصها من قراءة مجموعة رسائله الى ابنة اخته « مدام دينى » . ان هالة

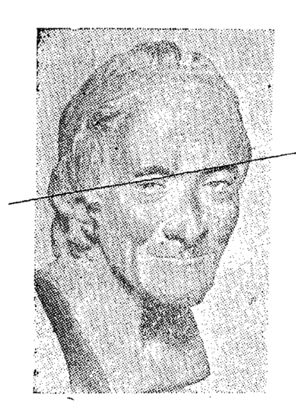
الاعجاب التى أحاطت باسم فولتير لتتبـــدد أمام أنظارنا . وما أصغر الرجل الكبير اذا وقفنا على بعض خفايا حياته !

شجرة العائلة ..

وقبل أن ندخل فى صميم القصـــة ، تعال نتعرف أولا الى الأسرة التى انحدر منها فولتير :

كان أبوه « فرانسوا أرويه » (١٦٥٠ ـ ١٧٢٢) موظفا ببلاط ملك فرنسا ، وكان له ســــتة من البنين والبنـــات ، ولكنه لم يرزق احفادا الا من ابنته كاترين (١٩٦١ ــ١٧٢٦) وحـــدها .. فى حين اكتفى ابنه الذى اشتهر باسم فولتير ـ وكان يدعى بين أهله « فرانســــــوا مارى » ـ بأن أنجب للأسرة مجدها وسناها !

وقد تزوجت « كاترين » هذه من موظف بالبلاط الملكى ايضا ، ينتمى الى نفس بيئة ابيها ، يدعى « بيير مينيو » ، فرزقت منه بأربعة اطفال ، لايعنينا منهم غير ابنتين :احداهما هى « مارى اليزابت » (١٧٢٤ ـ ١٧٧١) التى تزوجت للمرة الأولى فى سن الرابعة عشرة ، فلما مات زوجها بعد ثمانية عشر عاما لم تحتمل حرمان الترمل سوى ســــتة أعوام ، تزوجت فى ختامها للمرة الثانية ، وهى فى سن الشـــامنة والثلاثين .. غير انها لم تعمر طويلا ، فقد ادركتها منيتها بعد تسعة أعوام من هذا الزواج ..



تمثال الفولتير بالمتحف ، للفنان « لوكا دى مونتينى »

أما شقيقتها الكبرى «مارى لويز» (١٧١٣ ــ ١٧٩٠) فهى التى عرفها التاريخ باسم « مدام دينى » ، وهى التى نزيح اليوم الستار عن نصوص الخطابات الغرامية التى كتبها اليها « خالها » فولتير !

ويبدو ــ من رسائل فولتير العائلية ــ انه كان يهتم اهتماما خاصا « بمارى لويز » هذه منذ صباها ، ويظهر اعجابه بتفتحها للثقافة وللموسيقى . وبات من واجبه أن يرعى شئون هاتين الفتاتين اليتيمتين بعد وفاة أبيهما ــ زوج أخته ــ فى أكتوبر سنة ١٧٣٧ . وقد دعاهما لزيارته أثناء اقامته الطويلة فى قصر صديقته « مدام دى شاتليه » ببلدة (سيريه) .

وعرض فولتير على « مارى لويز » أكثر من خطيب ثرى ، دون أن يفرض رأيه فرضا . وسرعان ما تزوجت أختها . ثم تزوجت هى سنة ١٧٣٨ شخصا أحبته منذ تعرفت به ، هو « نيكولا شارل دينى » المستشار الملكى ، وصار اسمها « مدام دينى » .

وظـل فولتير يحيط « مدام دينى » وزوجهـا بمودته وحدبه · غير أن هـذه المرأة الشابة لم تلبث حتى أطلقت العنان لطمعها حين بدأ فولتير يعـد مشروع وصـيته فى ٩ يناير سنة ١٧٤٠ · وقد نالت كل ما تريده شيئا فشيئا ، واحتلت مكان الصدارة فى وصية خالهـا الذى بات من كبار الملاك والأثرياء · **وقد طالما تسـاءل مؤرخو فولتير عن سر ايثاره « مدام دينى » بهذا الميراث الضخم ·· أما اليوم فقـد انجلى السر · والرسائل التى بين أيدينا لا تبين نوع العلاقة التى ربطت بينهما فحسب ، بل تشير اشارات واضـحة الى زحف « مدام دينى » نحو ثروة فولتير !**

غير أن تلك العلاقة لم تتعد ـ فى السـنوات الأولى ـ حدود المودة الطبيعية والبر بالأقرباء · كان الخال يرسـل الهدايا من حين الى حين الى « مدام دينى » وزوجهـا ، وكان يتدخل بنفوذه لدى المسئولين كلما احتاج الزوج الى ترقيـة أو امتياز ، وقد زارهما وأقام فى ضيافتهما أكثر من مرة · ولم تتبـدل الامـور الا بعـد وفاة هذا الزوج فى أبريل سنة ١٧٤٤ ·

فى تلك الآونة بعينهـا كاد فولتير ينصرف عن حب « مدام دى شاتليه » ـ بعد أن فترت حمية عاطفته نحوها ـ ووجد اذ ذاك فى ابنة أخته أرملة شابة ترتمى فى أحضـانه ليواسيها · وانه ليواسيها ثم يحتفظ بها فى أحضانه ، عـلى النحو الذى تسجله هذه الرسائل ···

واليك مقتطفات من أهم ما ورد فيها ، لكى تتتبع خلال الواقع قصة ذلك الغرام الشاذ :

سيريه – ١٨ أبريل ١٧٤٤

يا ابنة أختي العزيزة ، اننى أبلل الورق بدموعي وأنا أكتب اليك . ولو كانت صحتى البائسة تسمح لى بالسفر ، لما ترددت فى أن آتى لأشاطرك البكاء ... لأواسيك ، وأخدمك ، وأظهر كل ما أكن لك من محبة ، وان كانت هذه المحبة عزاء هينا عن مصاب جلل ، ما كان احد يتوقعه ...

غادرى مدينة « ليل » بأقرب فرصة . وماذا عساك تفعلين هناك سوى الاستسلام للألم ؟ تعالى أقيمى فى باريس، حيث أقدر أن آتى لأقبلك فى شهر أكتوبر . ان من أسباب شقائى ألا أقضى معك كل ما بقى من أيام حياتى . ولكنى أريد أن أراك ما استطعت الى رؤيتك سبيلا . ولابد لى من أن أعرف كل ما ستفعلين ، فاكتبى لى تخفيفا لفجيعتك وفجيعتى . ولحسن الحظ ، أن شقيق زوجك رجل فاضل ، لن يضيف الى ألم مصابك آلام النزاع على التركة . ويبدو أنك سترثين أموالا لا بأس بها . وليس هذا بالتأكيد هو ما يشغلك ، ولكنه الشيء الذى ينبغى أن تصرفى اليه تفكيرك ... وداعا . تزودى بالشجاعة وبالحكمة . ان الحياة حلم ، وحلم محزن ، ولكن عيشى من أجل أصدقائك ومن أجلي أنا الذي أحبك حبا رقيقا .

« ف . »

. . .

سيريه ـ ١٤ مايو ١٧٤٤

... ...

أظن أنك الآن فى باريس ، لدى أختك . ولابد أنها مصدر عزاء كبير لك . ان من دواعى أسفى أننى لم أستطع ان احضر لمؤانستك ، ولم استطع ان القاك فى باريس خلال أيام الحداد والقلق التى تجتازينها . واذا كان تنظيم شئونك لا يستغرق وقتك المقبل ، فانى أقترح عليك أن أختطفك وأن آتى بك لتقضى فى (سيريه) شهرا من شهور الربيع . انى أحدثك عن أمل قضاء شهر بجوارك ، يا ابنة أختى العزيزة . على حين أتمنى لو قضيت بجوارك حياتى كلها . ويبدو لى أن مجرد التمنى لا يكفى قط . وأتخيل أن من الممكن لنا أن نعيش معا أطيب العيش ، وأن يعين كل منا الآخر على تحمل عناء هذه الحياة .

أكتبى لى أين أنت وماذا تفعلين وكيف أصبحت وفكرى ، يا بنيتى العزيزة ، فى ترتيب حياتك بما يوفر لك السعادة . واعلمى أنه ليس على الانسان أن يسعى لغير هذا فى الدنيا ، وأن الماضى ليس شيئا يذكر ، وانما الشىء الوحيد المهم هو أن نعيش فى هناء ، اليوم وغدا . أما ما عدا ذلك فوهم . انى اقبلك قبلة رقيقة ، وأرجوك أن تكتبى لى اذا لم يشغلك عن الكتابة شاغل .

« ف . »

سيريه ـ ١٤ أغسطس ١٧٤٤

يا ابنة أختى العزيزة ، سأحظى قريبا بفرصة تقبيلك فسوف أستبدل بهدوء « سيريه » صخب باريس . لا مناص لى من أن آتي لاعداد بعض الحفلات ـ وربما بعض الملل ـ



« مدام دينى » ، كما رسمها الفنان « شارل فانلو » فى
لوحة زيتية تعرض الآن ضمن مجموعة « مدام البير بلوم »
بمدينة نيويورك .

لأميرتنا ولية العهد وللبلاط الملكى الذى أشعر أننى لم أخلق لأعيش فيه • اننى أحس بشىء من الخجل اذ أترك ــ بعد أن بلغت هذه السن ــ فلسفتى وعزلتى لكى أصبح مهرجا للملوك • ولكن يقال ان التزاحم على هذه المكانة العظيمة كان شديدا ، واننى كنت موضع الايثار بهذا الشرف • ينبغى اذن أن أثبت جدارتى به ، وأن أحاول اضحاك البلاط ، وأن أمزج الفخامة بالهزل ، وأن أجتذب اهتمام قوم لا يهتمون الا بأنفسهم ، وأن أقدم مشاهد تجمع بين كل شىء ، بحيث لا تخنق الموسيقى الأقوال ، وأن أجابه عشرين ممثلا ، وأجابه الاوبرا والراقصين ومصممى المناظر ، وفيم كل هذا ؟ لكى تجود على الأميرة ولية العهد بايماءة من رأسها اذا تصادف أن مرت بى !

هيا ، يجب على أن أتحرك ، ما دمت سأراك ، وما دمنا سنتبادل العزاء ، أعزيك أنا عن مصائبك ، وتعزيننى أنت عن الحياة السخيفة التى أعيشها بطريقة تنافى مزاجى ومذهبى فى التفكير •••

« ف • »

الخميس أول أبريل ١٧٤٥

كنت قد عزمت ، يا بنيتى العزيزة ، على لقائك عقب الحفلة التمثيلية فى (فرساى) • ولكن تهريج البلاط قضى بغير ذلك • فقد قيل لى انه ينبغى ان اطلق العنان جريا وراء الملك وأن أقف فى لحظة معينة عند مكان معين ، لكى أشكره ــ لا أدرى على وجه التحديد لماذا ! ــ فقد طلبت منه عدة أشياء ، وقيل لى انه وافق عليها جميعا • وهكذا قدمونى الى حضرته السنية ، فاستقبلنى بكل تعطف ، وشكرته بكل

تواضع . ولكن القيام بتوقيع الأوراق شيء أصعب جدا من القيام برفع آيات الشكر . ويقال اننى الآن يجب ألا أتحرك قبل أن يتم تدعيم الأمور واحكامها وختمها بالأختام الملكية . وكنت أفضل أن آتى لأقبلك ...

« ف . »

ديسمبر ١٧٤٥

... ما زلت لا أدرى متى ستسمح لى ظروفى بأن أغادر بلدا أمقته (يعنى فرساى) . ان بلاط الملك ، وعلية القوم ، والعظماء ، تثير ضجرى . لن أكون سعيدا الا اذا استطعت أن أعيش معك . لو أتيحت لى عشرتك وأتيحت لى صحة أحسن لأصبحت سعيدا . انى أقبلك ألف قبلة . نفسى تعانق نفسك ، وجسمى وقلبى يعشقانك .

(فى السطر التالى كلمات جنسية ، شطبتها « مدام دينى » . وقد كتب فولتير هذه السطور باللغة الايطالية لا الفرنسية) .

الاثنين ٢٧ ديسمبر ١٧٤٥

لقد كتبت لى رسالة تثير الطرب ، فقبلتها . ولا يدهشنى قط أنك تحسنين الكتابة بالايطالية الى هذه الدرجة . فمن اللائق جدا ومن وجاهة الرأى أن تكونى خبيرة بلغة الغرام ... لن أصدقك اذ تقولين انه ليس لك أى عاشق . وهل هذا ممكن ؟ فى اية بطالة اذن تدفنين كل هذه المفاتن ؟ أتقولين انك لا تزاولين الحب ؟ آه ... وتقولين ان خطابى قد بعث النشوة فى حواسك ، ان حواسى أيضا بالمثل ، فلم أستطع أن أقرأ ما كتبت لى من هذه الأقوال

اللذيذة دون أن أشعر بنفسي ملتهبا حتى أعماق القلب . وأديت لرسالتك واجب التحية الذى وددت لو أديته لشخصك بأكمله .

ان لذة الحواس تمضي وتفر فى غمضة عين ، ولكن الصداقة التى تربطنا ، والثقة المتبادلة ، ومتع القلب ، ونشوة النفس ، لا تنهار ولا تموت على هذا النحو . لسوف أحبك حتى مماتى .

سوف تجدين هنا ، فى غرفتى ، التذاكر الأربع لشهود تمثيل مسرحية « أرميد » الموسيقية . أود أن آتى لأضعها عند قدميك ثم أقوم بالرحلة من باريس الى فرساى مع عزيزتى « دينى » . وداعا ، انى أقبلك ألف قبلة .

« ف . »

مساء الثلاثاء (٢ يناير) ١٧٤٦

يا بنيتى العزيزة ، خطابك يعزينى عن شقائى بالعيش فى فرساى ، وعن صنوف العناء التى لابد من أن أتحملها لكى أحصل على أهون الطلبات ، ولكى أتقى الأذى الذى يتأهب الجميع لالحاقه بالناس .

ما أحمقنى وما أتعسنى اذ لا أحيا معك حياة هادئة ، مغمورة ، بعيدة عن الملوك ، والندماء ، والمهرجين ! ان هذه الأفكار تدفعنى الى اليأس . ويخجلنى أن أكون حكيما بفكرى الى هذا الحد ، وبائسا بسلوكى الى هذا الحد . لا عقل ولا سعادة الا لأولئك الذين يعيشون مع أحبائهم .

فى عزمى أن أعود قريبا ، وسوف تبدد صحبتك كل أحزانى . ولكن يا له من مصير أن يكون كل منا على مثل هذا البعد عن الآخر ! وأن يلتمس كل منا الآخر دون أن نكاد



لوحة تمثل فولتير مع « مدام دينى » رسمها بالباستل الفنان « نيكولا كوشان » ، وهى من مجموعة لوحات الجمعية التاريخية بمدينة نيويورك .

نلتقى ! آه ما أشد ضجرى من ألا نقيم معا فى نفس البيت ! يبدو لى أنك خليقة اذ ذاك بتلطيف خلقى • طاب يومك يا بنيتى العزيزة •

« ف • »

١٧٤٦

جزء صغير منى ، أعنى جسمى ، قد وصل الى باريس ، متعبا شديد العناء • أما نفسى فهى ملكك الى الأبد ، ويروق لها أن تقول لك اليوم كم هى تحبك •

طاب يومك يا بنيتى العزيزة •

« ف • »

١٧٤٦

سأكون حوالى الساعة الثامنة لدى أختك ، ولكنى أكون شاكرا اذا تمكنت من الانسحاب قرب الساعة العاشرة • يا بنيتى العزيزة ، ان الالتقاء بك عند الآخرين ليس التقاء بك • انى أحبك وأشتاق اليك • وأتمنى دائما أن أكون وحدى معك على انفراد • ولكن ، أيتها العزيزة ، لم أكن فى حياتى مريضا الى هذه الدرجة • قلبى سعيد ، وجسمى معذب • آه لو استطعت أن أعيش وفقا لحلمك !

(هذه الرسالة القصيرة مكتوبة باللغة الايطالية) •

١٧٤٦

ضاع وقتى وضاعت صحتى • حيرة النفس ، وآلام الجسم ، وضياع الوقت ، وكثرة الرغبات ، وقلة الجهد ، وعمل لا شيء ، تلك هى حياتى • انك السلوى الوحيدة فيها •

coma va il vostro Drama? che fate
mia cara? si vous m'ecrirez adressez
vos lettres a luneville. j'y vais dans
quelques jours. serez vous assez aimable
pour me consoler de votre absence
par la lecture de votre ouvrage? vous
avez la quatre ou cinq cent enfans
charmants qui me feroient souvenir
de leur mere si je ne pensois pas a elle,
et qui sont mes plus chers parents
voyez si vous pouvez m'envoier cette
belle famille. nous sommes icy dans
un pays tranquile qui ne fournit ny vers
ny nouvelles. vous qui etes a la source
de tout cela, ayez pitié de nous
adio mia cara vi amo teneramente
ce 13 a commercy 1749 V

صورة زنكوغرافية للخطاب رقم ١١٩ ، من مجموعة رسائل فولتير الغرامية الى « مدام دينى » (وعددها ١٥٦ رسالة)

ماذا تفعلين ؟ كيف أصبحت صحتك ؟ وكيف أصبح قلبك ؟ لسوف أحبك دائما ولكنى دائما آسف ألا نقضى معا بقية أيامى .

« ف . »

(هذه الرسالة مكتوبة بالايطالية) .

١٧٤٧

عزيزتى ، ما زلت لا أستطيع الخروج اليوم . سأتعزى اذا شئت أن تحضرى فى تمام الساعة السادسة لزيارة أشد الناس سقما وأشدهم حبا لك .

لونفيل - أول فبراير ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، لقد ذهبت الى (سيريه) ، ومن (سيريه) هوذا صاحبك الشريد قد جاء الى (لونفيل) ، لدى ملك ليس له من الملوك الا الطيبة والشهامة . ولكنى أفضل الى غير حد مخدعك على كل القصور !

هل أتممت كتابة الفصل الثانى من « الكوميديا » التى تؤلفينها ؟ ماذا تفعلين ؟ هل تلقين أحيانا الامير « بوفو » ؟ أظن أنه مغرم بك ...

آه متى تحين عودتى ؟... اننى أقيم هنا فى قصر ، وحياتى خليقة بأن تستشعر السعادة لو أنك أنت أيضا فى (لونفيل) ، ولكن القدر يفصل بيننا دائما . تلوح على جميع مظاهر السعادة ، غير أننى شقى .

انما تستمتع القلوب بالانصراف الى المحبة فى الفنادق الفقيرة وتحت السقوف المتواضعة . انى مشتاق لبيتك الصغير الذى نأى عنى مزاره ، وأحس كل يوم أننى ينبغى أن أخصص لك آخر أيام حياتى ، وأنك بعد انقضاء ربيعى المجنون ،

وصيفى العاصف ، وخريفى العليل ، أنت وحدك تستطيعين أن تخففى عنى برد شتائى ·

يسرنى أن آمل لقاءك فى الشهر القـــادم · ولكن من المؤكد أننى سأحبك حتى مماتى ·

« ف · »

لونفيل ــ ٢٠ مارس ١٧٤٨

اتمنى ان ارى مسرحيتك وان ارى شخصك فى حالة جيدة ، أن أقبل هذا وأن أصفق لتلك · لقد أرسلونى حقــا الى المنفى · ان جميع ما يغـــدقه على ملك بولونيا من الحظوة لا يعادل المتعة التى أجدها فى محادثتك ، ولن أعتقـد أننى سعيد الا اذا عدت الى رؤيتك · وداعا أيتها العزيزة ، تمتعى بالصحة واحبى قليلا هذا الذى سيحبك كثيرا طيلة حياته ·

« ف · »

* * *

سيريه فى ٢٩ أبريل ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، هأنذا على الأقل فى منتصف الطريق الى باريس · وسنضطر الى المكوث هنــا ثمانية أيام أو عشرة بدلا من يومين ، لأن تصريف الأعمال يستدعى دائما وقتــا أطول مما نظن ·

اننى أعود بسرور الى هذا القصر الذى حللت به بضعة أيام ، ولكن باريس لن تروقنى الا لأننى ســأعود فيها الى لقياك ··· انى أنتظر بصبر نافد لحظة انطلاقى لألحق بك · لقد استقبلنى ملك بولونيا بمثل الحفاوة التى استقبلنى بها

ملك بروسيا . ولكن الملوك لم يفسدونى . فما زلت أفضلك بكل تأكيد على كل شيء ، مهما كان . انى أقبلك ألف قبلة يا بنيتى العزيزة بأرق الحنان .

« ف . »

الأحد ٢٢ مايو ١٧٤٨

اذا كان عندك ما أطلب أن تصفحى عنه ، يا بنيتى العزيزة جدا ، فاصفحى عن تقصيرى المزرى عن تقديم الدلائل المتينة على ايثارى اياك بمودتى الرقيقة الأبدية . انما أنت الهدف الوحيد لكل أنظارى ، ويسرنى أننى عما قليل سأصبح أوفر سعادة . انك سلواى وليس لى رغبة أخرى سوى أن أجعلك سعيدة أثناء حياتى وبعد موتى . سأحبك دائما بكل حنان ، الى أن يحين اليوم الذى تفصل فيه شريعة الطبيعة ما سبق للطبيعه وللحب توحيده . فلنتبادل الحب حتى تلك الساعة . انى أقبلك ألف قبلة .

« ف . »

(هذه الرسالة مكتوبة باللغة الايطالية) .

كوميرسى فى ١٩ يولية ١٧٤٨

... أقعدنى عنك وسيقعدنى طويلا مرض ملازم تجدد عنفه . اننى فى حال فظيعة . لست من أهل اللذة ولا من أهل العمل ، وأنا محروم منك . وفى الحقيقة ، اننى أحس أنه لم يبق لى الآن زمن طويل أحياه . أمن المقدر ألا أقضى معك آخر أوقات حياتى وألا أحظى بحلاوة ختامها فى

حضنك ؟ أكتبي لى ، واسينى ، فقلبى احوج الى رسائلك من جسمى الى الأطباء .

« ف . »

كومبرسي فى ٢٧ يولية ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، ما زال عسيرا على أن أسترد صحتى ، رغم اتباعى نظاما علاجيا صارما ... بل لنناقش مسألتك ، فهى أهم عندى من صحتى . هل حق علينا ألا نعيش معـــا وألا أستطيع أن أقوم مقام هذا الضابط الذى جاء من مدينـة « ليل » يطلب يدك ؟ أقسم انها لتضـــحية عنيفة تلك التى أضحيها اذا وجب ارغام قلبى على أن يدعك ترحلين الى اقليم (الفلاندر) . سأكون مضطرا الى أن أتمنى أن يسرع هــذا الضـــابط الى الجلاء . ولن أتعزى الا فى حالة ما اذا أعقبت وصيته عقد قرانه بوقت قصـــير . ومهما كان الأمر ، فانى أترك تصريفه للباقتك وحرصك . لا تفعلى شيئا قبـــل أن تتأكدى من الحصول على مزية كبيرة .. انى أرجو أن تسمح لى صحتى بالحضور لزيارتك قريبا فى باريس . لســـوف تكونين السبب الوحيد لرحلتى . أما مناسبة تمثيل مسرحيتى « سميراميس » فلن تكون الا الذريعة لانتقالى ...

(وتنتهى الرسالة بأربعة سطور كتبها فولتير باللغـــة الايطالية ، يتمنى فيها أن تأذن له صـــحته بأن يرتمى عند قدمى « مدام دينى » وأن يقبـــل مفاتنها ، التى يصف بعضها وصفا جنسيا مثيرا) .

سبتمبر ١٧٤٨

بنيتي العزيزة ، ها أناذا أعود الى غرفتي متعبـــا ، مريضا ، فانيا . لم أنم منذ ثلاث ليال ... غدا ، حيا كنت أم ميتا ، سأمكث معك . انني أحبك ، ولســـوف أحبك الى آخر حياتي . انما أنت المرفأ لنفسى التي تفتك بها العواصف. فيك راحتى والسعادة الوحيدة الحقيقية . انى أتحرق شوقا للاطلاع على تمثيليتك الكوميدية .. وداعا يا أديبتى ، وداعا.

« ف . » (**باللغة الايطالية**) .

١٧٤٨

نعم ، يا عزيزتى ، سألقاك هذا المســـاء ، اننى أعانى كثيرا من الألم والضـــيق ، وأرزح تحت أوجاعى ، ولـكنى سأجد فى قربك صحتى وحياتى .

« ف . » (**باللغة الايطالية**) .

لونفيل فى ٢٦ سبتمبر ١٧٤٨

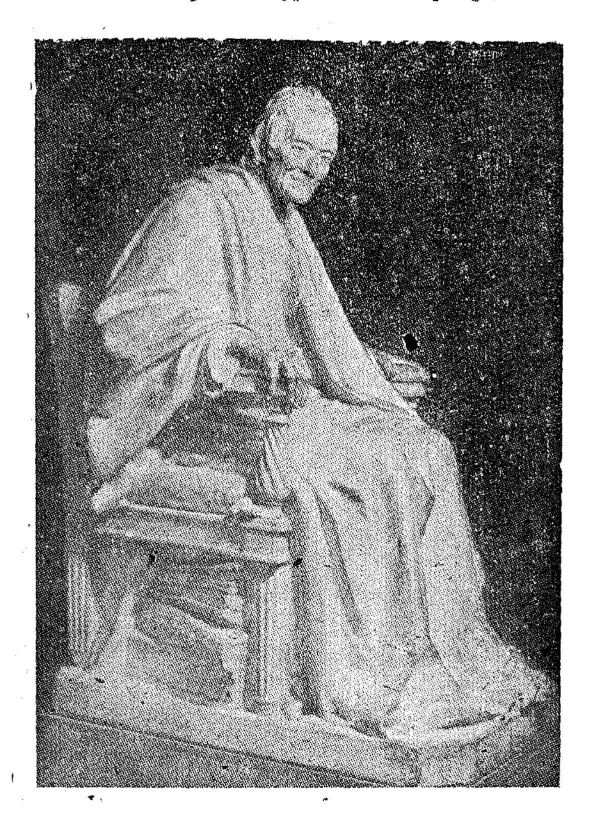
يا بنيتى العزيزة ، كلما تحسنت صحتى ازددت أسفا عليك . انى اذا مرضت تمنيت أن أموت بين ذراعيك ، واذا عادت لى صحتى تمنيت أن أعيش معك ..

« ف . »

سيريه ـ ٢٩ أكتوبر ١٧٤٨

لقد أشرفت على اليأس ، فانى لا أتلقى خطابات منك ، وأخشى أن تكونى مريضة . ومما يزيد حسرتى أن صـــحتى رديئة جدا .. أناشدك أن تكتبى لى كيف حال صـــحتك ، وما هى هـذه المســألة الجديدة التى تذكرينهــا بغموض ؟ واسينى وأحبينى . فوداعا يا ملهمتى العزيزة . واكتبى .

« ف » (السطران الأخيران باللغة الايطالية) .



تمثال لفولتير جالسا على مقعده ، من صنع الفنان « هودون »
وهو معروض فى صالون متحف فولتير ، بمدينة جنيف

سيريه في ٤ يناير ١٧٤٩

شكرا جزيلا على خطابك الرقيق المكتوب فى ٢٩ ديسمبر . لقد كنت فى أشد القلق ...

اذن فالمسألة التى كنت تريدين أن تكلمينى بشأنها ليست الا مسألة نقود ؟ ان كان فى الأمر ما يعود عليك بالنفع ، اكتبى لى عن الموضوع . ان الخطابات تصلنى بكل أمان . لست أنا ولست أنت من السفراء ، فلا رقابة على محتويات ما يأتينا ، وتستطيعين أن تكتبى لى رأيك بثقة .

وداعا ، ان قلبي يقول لك أضعاف ما يمكن أن أكتبه .

« ف . »

سيريه فى ٥ يناير ١٧٤٩

بنيتى العزيزة ، تسلمت الآن رسالتك المؤرخة ٢ يناير . أهو برتبة لواء ؟ ومبعوث الملك الى ايطاليا ؟ يا بنيتى العزيزة ، لا سبيل الى رفض هذا الخطيب . كنت قد بدأت قصيدة لك وموضوعها أنه يجب على المرء أن يبقى حيث هو ، ومطلعها :

فلنعش لنفسينا يا عزيزتى
ولنستعض عن باقى البشر
بالمحبة والقرابة التى تربطنا ...

ولكن ينبغى أن أغير رأيى ... يجب على أن أضحى بنفسى من أجل سعادتك . تزوجى لواءك ، انى أسألك ذلك راكعا . لم يكن هذا هو حلمى . كان حلمى هو العكس . سوف أقصه عليك عند قدومى ... انك شغلى الشاغل . انى أتسلم رسائلك بكل أمان وفى الموعد المحدد لوصولها ، ولا يمكنك أن تتخيلى الأثر الذى تحدثه فى نفسى .

اذا كانت المسألة التى أخطرتنى بها تعود عليك بفائدة، كلمينى عنها دون أى خوف • انى أحرق رسـائلك بعـد أن أقبلها • وداعا يا حبة قلبى ، انى أقبلك ألف قبلة •

« ف • »

نوفمبر ١٧٤٩

انى معجب بأسـلوبك الايطالى ، يا بنيتى العزيزة ، وأنتظر على أحر من الجمر عنوانك الجديد • لقد أصبحت بلا معدة ، وبلا قوى ، ولكننى ممتلىء بأشد الشـوق لرؤياك • انى ذاهب الى (فرساى) اليوم • سأعود يوم الثـلاثاء أو الأربعاء • وأتمنى أن أراك كل يوم ••

(باللغة الايطالية) •

نوفمبر ١٧٤٩

عادت كل أوجاعى تسـيطر من جديد عـلى جسـمى المسكين • آمل أن تتحسن صحتى عنـدما أصبح معك فى نفس البيت • سآتى لزيارتك اليوم حين تخف بعض آلامى•

(باللغة الايطالية) •

ولا شك أن لهذه المجموعة الغزيرة من الرسائل قيمتها فى تعريفنا بكثير من التفاصيل المتصـلة بنشـاط فولتير ونشاط عصره • غير أنها قبل كل شىء ــ وبعد كل شىء ــ رسائل غرام شاذ كتبها « خال » جاوز الخمسين من عمره الى امرأة تصغره بثمانية عشر عاما هى •• ابنة أخته !

تبدأ القصة بعواطف كريمة ـ مشاطرة الحداد على زوج هـــذه المرأة ـ ثم تتحول تلك العواطف الـكريمة الى علاقة جنسية تبلغ أقصى مداها ، وتسجلها عبارات غزل صريح ، بل غزل ماجن أحيانا • وعـــلى الرغم من التخفى الذى حرص عليه بطلا القصة باســتخدام اللغــــة الايطالية فى تبـــادل أسرارهما ، وبتعمد احراق الجزء الأعظم من هذه الخطابات ، فقد أبقى التاريخ على الحقيقــة • وها هو ذا الكاتب العظيـــم يصبح ـ بجدارة ـ مادة دسمة لعلماء التحليل النفسى !

ترى هل كان فولتير خادعا أم مخدوعا ؟

ان ناشر هذه الرسائل يدافع عنه ـ فى مقدمة قصيرة ـ محتجا بصدق عاطفته ، على حين يهـــاجم « مدام دينى » ، وينعتها بأنها نفعية انتهازية منافقة • ولكن هذا الأســلوب ـ الذى يعتمد على الاعجاب بفولتير ـ لا يقنعنا • فنحن نعرف من خبث هذا الرجل ومن تصرفاته الأنانية فى ظروف حيـــاته العاصفة ما يكفى لتقويض مثـــل هذا الدفاع • وحســـبنا ما يتجلى من أنانية فولتير خلال السطور التى قرأناها هنا : انه يلقن عشيقته المبادىء المادية التى آمن بها ، مبادىء التمتع بنعيم الحياة الدنيا ، وتجنب الألم والهموم ، والطرب باللذة الحسية ، والاحتيال للفوز بالمال والألقاب ومختلف المكاسب• وهو يواصل تملق الملوك والأمراء الذين يحتقرهم • وهـــكذا ينفق عمره فى التفجع على ضياع عمره ، وعلى عجزه عن أن يعيش كما كان يفضل ان يعيش !

ومهما يكن من صيت « فولتير » ومن امتيازه فى عالم أصحاب العقول الجبارة ، فاننا نلمس فى أحاديثه الشخصية الى ابنة أخته حدود قلبه الضيق ، الجاف ، الخالى من المشاعر النبيلة والمثل العليا والروحيات . وهذه هى النهاية المنطقية للمفكر المادى . انه يجهل وجود الحب السوى . وليكرر ما شاء من ألفاظ الشوق ، وليضرب لعشيقته المواعيد فى القصور والفنادق وفى بيتها أو فى غرفته ، فليس فى عاطفته المشينة مسحة من جمال أو نفحة من شعر . ليس فيهما ما يرفع انسانا . وانما هى ملهاة آثمة تورط فى تمثيلها عاشقان لئيمان حتى استحالت أمامنا مأساة رهيبة : مأساة الشيخ الذى تهن قواه شيئا فشيئا ولكنه ما زال عاكفا على لذة الحس ، ومأساة الأرملة الشابة التى تدرك تعلق خالها بها ، وسر تعلقه ، فتستغل الموقف ، لتقتنص أعظم الميراث ... وأين الثقة بينهما والوفاء المزعوم ، وفولتير يشير — أكثر من مرة — الى عشاق آخرين لهذه المرأة تغريهم بمفاتنها ، وهى تلوح له — أكثر من مرة — برجال تقدموا لخطبتها ، كى تذكى جذوة غيرته فيهرع اليها وتحصل منه على ما تريد .. يا لها من مساومات تهدر القيم الانسانية ، وتزيف الروابط ، وتبخس حرمات الأخلاق !

ولعل صورة فولتير كما نراه اليوم ، صورة هذا الشيخ المتهافت الضال — رغم كل ذكائه وكل دهائه — تثير فى أنفسنا الاشفاق والحسرة والرثاء ، أكثر مما تثير النفور أو الاستهزاء .

زينــــوبيا

(بقية المنشور فى صفحة ٥٠)

وفى ذات صباح ، شوهدت جيوش أوريليانوس تزحف على الشام كأنها الجراد .. فلم تضطرب زينوبيا ولم تتردد، وبدأت هى بالهجوم ، ونشبت المعركة الاولى بجوار مدينــة انطاكية ..

وكان جيش تدمر السورية ، هو جيش الشرق كله.. كان مؤلفا من سوريين ، ومصريين ، وعراقيين ، وعرب على اختلاف بيئــاتهم ، ومشــارقة مضــطهدين ناقمين ثائرين جمعت بينهم رابطة الالم المشترك وارادة الحرية والخلاص..

وكان كل منهم يقاتل من أجـــل مجموع لا من أجــل أفراد .. ومن أجل وطن شرقى كبير لا من أجل وطن اقليمى صغير ، فكانت روحهم واحدة ، وعزيمتهم باترة ، واتحادهم فى الامل والهدف والرسالة مضرب الامثال ..

وأجابت زينوبيــــا بعبقريتها ، وقامت بحركة التفاف بارعة حول أحد أجنحة جيش أوريليانوس .. فأحدثت به فجوة عميقة وكانت على وشك أن تهزمه .. ولكن القــــائد الرومانى الذى تكبد خسائر لم تكن فى حســبانه ، تراجع وطلب النجدة ، ثم ســـد الفجوة ، ثم كر على جيش الشرق بجحافل جرارة .. فنشــبت المعركة الثــانية بالقرب من مدينة (حمص) ، حيث قاتل الشرقيون قتــال الابطال ، ودافعوا عن الارض شبرا فشبرا ، **وزينوبيــا فى طليعتهم تقاتل معهم ، وتتلقى الضربات مثلهم ، وتبذل قصاراها فى توجيــه حركات الجيش وفق مناورة جديدة لم تخطر للقائد الرومانى فى بال ..**

وجمعت بعض فرقها وأمرتها بأن تقوم بهجوم ساحق فى جانب معين من أرض المعركة ٠٠ فاعتقد الرومان أن جيش العدو قد تركز كله فى هذا الجانب ، فحملوا عليه بجمعهم ٠٠ فأضعفوا قلب جيشهم ، فأسرعت زينوبيا وهاجمتهم هجوما مباغتا عنيفا ، وأوشكت للمرة الثانية أن تحرز النصر ٠٠ ولكن الامبراطور نفسه تدخل فى المعركة وجلب نجدات أخرى ، ثم ضم صفوفه وهجم ٠٠

وأحست زينوبيا أن امدادات العدو تتدفق كالسيل ، وأن ليس فى مقدورها هى أن تقابلها بمثلها ٠٠ فرأت أن تتراجع ، وترتد الى تدمر ، وتتحصن فيها ، وتظل تقاتل خلف أسوارها حتى تعزز جيشها بقوى جديدة وتتأهب لهجوم ساحق نهائى ٠٠

ونشبت المعركة الثالثة فى تدمر نفسها ، ونصب الرومان مجانيقهم ، وشرعوا يضربون أسوار المدينة ٠٠ فكان رجال جيش الشرق يتسربون من أقبية خفية وسراديب غير منظورة ، ويتقدمون بغتة خارج الاسوار ، منقضين على الآلات المهلكة ، مستبسلين غير هيابين ، يحاولون تدميرها وهم يصيحون ويجأرون ، وينشدون أناشيد تستنهض عزائمهم ، وتضاعف حماستهم ، وتلهب فى صدورهم جذوة البطولة وروح الايمان والاستشهاد ٠٠ .

واستحالت الحرب الى سلسلة معارك دموية هائلة ، ودام الحصار طويلا ، ونفد الطعام ، ولاح فى البلاد شبح الجوع ٠ ومع ذلك فقد كان الشرقيون المحاصرون أثبت جنانا من أعدائهم ، وأصلب ارادة ، وأقوى احتمالا ٠٠ فحفروا الخنادق فى الشوارع ، وأقاموا المتاريس ، وجعلوا من كل

بيت حصنا ، ومن كل زقاق مخبأ ، ومن كل فرد جنـديا مقاتلا ..

وكانوا اذا أبصروا واحدا منهم يتبرم بالقتال ويطلب التسليم يقتلونه شر قتلة ، ثم يلقون بجثته من فوق الاسوار طعاما للرومان .. أما زينوبيا فكانت تتنقل بينهم ، وتثيرهم وتحفزهم ، وتقاتل فى عزم كما يقاتلون ، وبيلوس بجوارها ، يدرأ الخطر عنها ، ويود أن يموت هو ولكن بعد أن يكفل لها النصر وينقذها ..

وعظمت خسائر الرومان ، وفترت هجماتهم ، ودب اليأس فى قلب قائدهم .. ففكر فى طلب هدنة تعقبها مفاوضة .. فأحست زينوبيا ضعفه وتخاذله وأيقنت أن النصر بات قاب قوسين منها أو أدنى ، ولكن شيئا عجيبا وقع بغتة .. شيئا داهما مفزعا مستطيرا لم يكن يتوقعه انسان فى تدمر أو يتصوره .. تسلل بين صفوف الجيش رجل ملثم ، وغافل القواد والضباط والجند وهم يقاتلون ، ثم ارتمى على الاسوار ، وقفز منها ، وهبط الى معسكر العدو ، وطفق يلوح بعلم أبيض ، ويتجه بخطى حثيثة صوب خيمة القائد الرومانى ..

وكان هذا الرجل هو « ملكارت » .. هو الضابط الكلدانى الخائن الذى بعد أن أفلت من رجال الحرس والشرطة ، ظل مستخفيا فى كوخ أحد الفلاحين فى ضاحية قصية من ضواحى المدينة ، كى يبرز فى الساعة الفاصلة ، فيتصل بالرومان ، ويعاونهم ويساومهم على العرش !

وأبصرته جموع المقاتلين الشرقيين ، وهو يرفع العلم الابيض ، وعرفته زينوبيا ورجالها .. فهالهم ظهوره

الفجائى فى هذه اللحظة ، وايقنـــوا من عزمه على ارتكاب خيانة مروعة قد تودى بهم .. فاندفعوا كالجوارح ، وهبط معظمهم الاســوار ، وحملوا على العـــدو حملة صـادقة ، مقتحمين صفوفه ، مجندلين فرســانه ، محطمين مجانيقه ، مضرمين النار فى ذخائره .. ولكن ملـكارت كان قـد أسرع وتقدم فرقة من جنود الرومان ، وأرشد رجالها الى الزاوية الشـــمالية من الاسوار التى لم يدعم قادة جيش (تدمر) تحصينها ، ثقة منهم بأن العدو لن يهجم منها ، نظرا لقربها من مستنقعات كبيرة قد يغوص فيها الجيش كله !

ومال الرومان الى تلك الزاوية الشمالية ـ وفى مقدمتهم ملكارت ـ ومعهم بعض المجانيق التى لم تحطم ، وأخذوا وهم غارقون فى الوحل يضربون بها الســور الضعيف .. حتى فتحوا ثغرة فيه وشرعوا يتدفقون منها ! .. فروعت زينوبيا ، ولكنها لم تفقد لا عقلها النير ، ولا بصـيرتها المشرقة ، ولا ثباتها العجيب . وفى مثل خطف البرق أو زمجرة العاصفة ، تحولت نحو بيلوس ، وأهابت به ان يشطر جيشه على الفور ، ويتجه بأكبر جزء منه صـــوب الثغرة المرهوبة .. فاندفع الجيش مستبسلا فى الهجوم ، وقاتل قتال الجبابرة ، حتى أجلى الرومان عن الثغرة وتمكن من ســـدها بالحجـــارة ، وحمايتها بأقوى الرجال ، والقبض أيضا على الكلدانى الخائن « ملكارت » ..

وعندئذ ، لم تتمهل زينوبيا والتقطت أنفاســها ، ثم تحفزت وانقضت على الخائن وهو مذهول ، وطعنته بخنجرها .. فصرخ الرجل وتطوح ، وهوى على الارض مضرجا بدمه .

وما أن أبصر الرومان « ملكارت » صريعا ، وجيش تدمر ـ وقد سد الثغرة ـ يعود فيتجمع ويتماسك ، ويتسرب من الاقبية والسراديب ، ويستطرد القتال ، حتى دب الذعر فى قلوبهم ، فتقهقروا وجمعوا فلول جيشهم وابتعدوا عن الاسوار ، وهم يجرون مجانيقهم التى تحطمت واستحالت الى هياكل تأكلها النار !

وعندئذ تعالى الهتاف فى جيش تدمر ، وأشرق وجه زينوبيا الظافر ، فدنت من بيلوس الذى كان يحدق اليها فى عبادة وتقديس ، وصاحت به وهى تزفر :

ـ لن يكف الرومان عنا ... لابد أن تهددنا أيضا روما وترتد فى الغد علينا ... **ولكنى سأواصل القتال حتى النصر . فكل ركن من أسوارنا يجب أن يدعم ، وكل جندى من جنودنا يجب أن يظل على استعداد .. هذا أمرى الى الجيش يا بيلوس . وأما أنت ... فلا بد أن أسعدك ، ولكن بعد أن أجبر روما على الاعتراف بوحدة الشرق ، وأحرز النصر النهائى .. وأتم رسالتى !**

فاختلج الشاب ، ولبث يتطلع اليها وهو مأخوذ ومفتون . ثم جاشت عواطفه بالرغم منه ، فلم يستطع الا أن يجثو عند قدمى البطلة أمام الجنود والضباط ، ويتناول يدها الباسلة ويقبلها ، ثم يحنى رأسه الشامخ ، وتنهمر من عينيه الدموع .

تمت

(ترقب فى الاعداد القادمة مجموعة من القصص التاريخية المستمدة من الواقع ، من مختلف البلاد والعصور ، بنفس أسلوب وقلم الكاتب الكبير الاستاذ ابراهيم المصرى .)

بطولات .. مبسطة للصغار



GUSTAV : THE BOY WHO SAVED HIS COUNTRY

عزيزى الأب .. عزيزتى الأم :

الجهاد فى سبيل الوطن ليس وقفا على الكبار .. وفى هذه المرحلة من مراحل تاريخ البلاد العربية ، يجب على كل أب وأم ان ينميا حب الكفاح القومى فى نفس طفلهما .. ومن أهم الوسائل أن يرويا له قصص بطولات وطنية قام بها الصغار فى مختلف ارجاء العالم . وسيجد الأب والأم فى مكان آخر من هذا العدد من «كتابى»، تلخيصا لكتاب عن سيرة السيدة العظيمة « انديرا غاندى » ، وقد ورد فى سياقها بعض ما كانت تسهم به — فى صغرها — فى الحركة الوطنية الهندية .. فعليكما أن تروياه لاطفالكما ، وتطلعاهم على هذا الجزء الذى نقدمه خصيصا للصغار .. او فلتقرءاه عليهم اذا كانوا لا يحسنون القراءة ..

عزيزى الصغير :

ليس الرجال وحدهم هم الذين يجاهدون من أجل الوطن ، فان الأطفال يستطيعون ان يقوموا بدور كبير فى الجهاد .. فاطلب من « بابا » و « ماما » ان يرويا لك ما قامت به السيدة « أنديرا غاندى » وهى صغيرة ، فهما سيقرآنه فى جزء خاص بهما من هذا العدد من « كتابى » ..

أما الآن ، فاقرأ هذا الجزء الخاص بك عن بطل آخر صغير ، قام بدور كبير فى سبيل بلاده .. واذا لم تكن تعرف القراءة ، فاطلب من « بابا » أو « ماما » ان يحكيا لك قصة هذا البطل .

قصة البطل ((جوستاف))

• **هل سمعت عن ((السويد)) ؟**

انها بلاد فى شـــمال قارة أوربا .. فوق ، فى أعلا أطراف الدنيا ، عند البرد الشديد والثلج .. لو نظرت الى خريطة (أوربا) ، فستجد فى أعلاها جزءا من الأرض يشبه الكلب وهو يقفز ، شبه جزيرة (اسكندنافيا) . وهـــذا الجزء مقســـوم بالطول : فالرأس وجزء من الظهر يســـمى (النرويج) ، والقـــدمان الاماميان ومعظم الجســـم هو (السويد) .. وبين الرأس والقدمين الاماميين جزء رفيـــع من القارة هو (الدينمرك) .

وقديما ، منذ ٦٠٠ سنة تقريبا ، انضمت هذه الدول الثلاث — وهى السويد والنرويج والدينمرك — فى اتحاد . ولكن (الدينمرك) كانت طماعة ، برغم انها أصغر الدول الثلاث ، فأخذ ملوكها يظلمون السويد بوجه خاص ، حتى تضايق أهلها ، لأنهم يحبون الحرية والعدل . وعندما ذاقوا ظلم ملوك الدينمرك ، بدأوا يؤلفون جماعات للثورة وتحرير البلاد ، ولكن هذه الجماعات كانت تنهزم باستمرار ..

والشعوب المحبة للحرية ، يا عزيزى الصغير ، لا تيأس اذا غلبها المستعمر ، وانما تجمع صفوفها من جديد ، بعـد كل هزيمة ، وتنظم قوتهـا مرة أخرى ، وتشرع فى محاولة جديدة .. فالظلم والعدوان لا يصبر عليهما أى شخص له كرامة ، وأى وطن عزيز على أبنائه .

وهكذا أخذت (السويد) تثور وتنهزم ، تثور وتنهزم .. الى أن ظهر بطل اســـمه « جوستافس فاسا » ، أو « جوستاف » ، واستطاع أن يحرر بلاده فى سنة ١٥٢٣ .. يعنى منذ ٤٤٥ سنة .

هذا البطل هو الذى سأقص عليك حكايته .. وهى

حكاية بدأت منـــذ طفولته ، فان البـــلاد كانت اذ ذاك قد قضت ١٢٠ سنة وهى تثور على ملك الدينمرك فيرســـل الملك جيوشه ويهزمها • وكان الناس يعيشـــون دائما فى حالة اســـتعداد لتحرير بلادهم ، ويعلمون أولادهم منذ الصغر الشجاعة وحب الوطن• ولهذا فان والد « جوستاف » كان يعلمه فى طفولته ان يكون شجاعا ، وان يعرف كيف يدافع عن نفسه ، ليدافع عن بلاده حين يكبر • وكان يعلمه أيضا ان يحب الخير وان يحب الناس •

بطولته منذ سن السادسة !

◆ **وظهرت** أول مظاهر بطولة « جوستاف » ، عندما كان عمره ٦ سنوات •• وكان جسمه قويا بفضل الرياضة والحياة فى الخـــلاء معظم الوقت •• وفى ذات يوم ، كان يمشى مع أبيه فى احدى الغابات ـ (والسويد بلاد فيها غابات وبحيرات كثيرة ••)

فى ذلك اليوم ، كان « جوستاف » يتمشى مع ابيه فى غابة ، واذا به يرى عددا من الثعابين ، فقال لأبيه : « اعطنى عصا وأنا أقتل لك كل هذه الثعابين » •

قال له أبوه : « مالك والثعابين ما دامت بعيـــدة عنك ولا تؤذيك ؟

قال جوستاف : « ولكنها قد تؤذى غيرى •• ألم تقل لى ان ملك الدينمرك مثل الثعبان لأنه يؤذى أهل السويد ؟ »

ولكن والده خاف عليه ، افرفض أن يسمح له بالعصا، وأسرع يبتعـــد به عن مكان الثعابين ، وظن الأب ان الامر انتهى عند هذا ، ولكن « جوستاف » ظل طول الليل ساهرا يفكر : **ان هذه الثعـــابين قد تؤذى أحدا من النـــاس ، لذلك يجب القضاء عليها • وعنـــدما ظهر أول نور للفجر ، نهض من فراشه ، وخرج من البيت على أطراف أصابعه ، دون ان**

يشعر به أحد ، وأخذ فأسا كانت تستخدم لقطع الاشجار ، ثم ذهب الى الغابة ·

وظل « جوستاف » طول النهار فى الغابة · اما أهله، فلما لم يجدوه ، خرجوا يبحثون عنه فى كل مكان · وفى المساء ، شاهدوه يعود الى البيت ، ومعه الفأس وعدد من الثعابين الميتة !

وظهر الفزع على ابيه ، وهو يتصور الخطر الذى كان ابنه مهددا به ·· وصحيح ان « جوستاف » كان معرضا للخطر ، فالثعابين ماكرة ، ومؤذية ، وهو صغير ولم يكن من الحكمة أن يتعرض للثعابين وحده ·· ولكن « جوستاف » كان قوى الجسم ، وكان شجاعا كما قلنا ·· وعندما لامه أبوه ، قال جوستاف : « انك علمتنى ان أساعد الناس ، وأنت تقول لى دائما ان من يؤذى الناس يستحق الموت ·· لهذا قتلت الثعابين » !

جوستاف يشترك فى القتال ضد الاعداء

◆ وفى هذه المرة ، كان ظلم ملك الدينمرك فى ازدياد ·· ودماء أهل السويد تغلى ، وهم يستعدون من جديد للثورة · وأخذ « جوستاف » يتعلم فنون القتال والمبارزة بالسيف · وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، بدأ يشترك فى الحركة الثورية لبلاده ·

ولكن ملك الدينمرك ــ وكان اسمه كريستيان الثانى ــ شعر بالتمرد ، فأرسل فى سنة ١٥١٨ جيشا كبيرا الى (استوكهولم) عاصمة السويد ، وأمر الأهالى هناك بأن يجعلوه ملكا عليهم . ومعنى هذا ان السويد لا تصبح عضوا فى اتحاد مع النرويج والدنمرك ، وانما تصبح مستعمرة للدنمرك أو جزءا تابعا لها !

ورفض الاهـالى طلب الملك ، لأنهم يحبـون بلادهم ويحبون الحرية، فتجمعوا حول والد « جوستاف » واختاروه زعيما للثورة ، وحاولوا طرد القـوات الدينمركيـة من (استوكهولم) • ولكن الدينمركيين كانت عندهم أسـلحة أكثر منهم ، فهجموا بشدة على الوطنيين السـويديين ، وأخذوا يقتلونهم بوحشية ، وطاردوهم فى جزء من السويد، وهم يخربون ويقتلون ، ولا يرحمون رجالا ولا نسـاء ولا أطفالا •• كما أخذوا أسرى كثيرين بالغدر والخيانة ، كان بينهم « جوستاف » وأبوه •• وكان الشاب عندئذ فى الثانية والعشرين من عمره •

وفى تلك الايام لم تكن هناك مواصلات ولا تليفونات ولا اذاعة كما فى ايامنا هذه ، فلم تعرف بقية (السويد) بما جرى الا بعد عدة أسابيع •

وبعد المعركة ، نقل جنود (الدينمرك) الاسرى المهمين الى بلادهم ، وأخذوا يعذبونهم بوحشية وقسـوة • ووعد « كريستيان » بأن يطلق سراح هؤلاء الاسرى بعد تتويجه ملكا على (السويد) • ولكنه كان غادرا خائنا ، فبعد ثلاثة أيام من تتويجه ، أمر باعدام أولئك الاسرى !

ورأى والد « جوسـتاف » ان ابنه بين الاسرى الذين خرجوا من حجرات السجن لينفذ فيهم حكم الاعدام • وكان يسير رافع الرأس ، وقد ارتدى خير ثيابه الرسـمية ، فقد كان من نبلاء البلاد •

ورآه أحد الحراس ، فدفعه بخشـونة وغلظة ، وهو يقول : « ابتعـد •• ان دورك غدا » • وهنـا رأى والد « جوستاف » الفرصة سـانحة ، فاقترب منه وهمس . « أسرع بالنجاة يا بنى اذا استطعت ، حتى يظـل واحد منا حيا ، ليجدد المحاولة ويحرر الوطن » •

مغامرات وأهوال فى سبيل انقاذ الوطن

◆ **وأطاع** « جوستاف » اباه ، فلم يقاوم الحارس ، وعاد الى سجنه . وكان السجن حجرة ضيقة ، فى برج مرتفع متين البناء .. فبدأ الشاب يرسم خطة للفرار ، واستطاع بالرشوة ان يغرى أحد الحراس ليحضر اليه منشارا وحبلا . وبالمنشار أخذ يقطع حديد نافذة سجنه . وفى الليلة التالية تدلى بالحبل من النافذة . وكان الارتفاع كبيرا ، سبب خوفا كبيرا للشاب ، ولكنه تذكر كلمات ابيه وحالة وطنه ، فاستجمع شجاعته ، وصر على أسنانه ، وأخذ ينزلق على الحبل حتى نهايته . وكان طرف الحبل بعيدا عن الارض ، فقفز . وهبط على الارض بشدة ، ولكنه لم يصب بأذى . وأسرع يجرى محتميا بالأشجار ، ثم تسلل بعيدا عن البرج ، وأخذ يسير فى حذر ، ويختبىء بين الاشجار أو فى الحفر التى تصادفه ، كلما لمح أحدا ، حتى بلغ بلاده ، مجتازا البحر .

وهناك ، لم يذهب الى (استوكهولم) ، بل سار الى الشمال . وصادف فى طريقه كوخا لرجل فقير ، فأعطاه ثيابه الغالية ، وأخذ منه ثيابا قديمة بالية ، حتى لا يعرفه أحد من جنود الدينمرك اذا علموا بهربه وجاءوا يبحثون عنه !

وسار « جوستاف » طويلا ، فى أرض وعرة وشبه مهجورة . وكان يشتغل عند من يصادفهم من المزارعين والرعاة ، ليجد ما يأكله . وكانت مدن (السويد) قليلة والمسافات بينها بعيدة . **وفى كل مدينة ، كان « جوستاف » يروى مذابح ملك الدينمرك ، وغدره بالرهائن والاسرى ، ويثير سخط السويديين وغضبهم على الملك الاجنبى الظالم .** ولكنهم كانوا عاجزين ، وكانت فظائع العدو تجعلهم يخافون

من الثورة ، كما ان بعض النبلاء خشـوا ان يصادر ملك الدينمرك أملاكهم ويقتلهم كما قتل والد « جوستاف » !

وحزن الشاب لهذا ، ولكن وصية ابيه وحبه لوطنه كانا يصونانه من اليأس • وكان يعلم ان فى احدى المدن نبيلا من أصدقاء ابيه ، محبوبا من الناس لطيبة قلبه وقوة وطنيته ، فمضى فى طريقه يبحث عنه ••

ينقذ وطنه •• فيكافئه الوطن أعظم مكافأة !

• وبعد سنتين ـ قضاهما فى السير والتنقل ـ وصل المدينـة مع النبلاء والأعيان ، وذهب الى المجلس فانتابت الحراس الشكوك فى الشـاب ذى الثياب المهلهلة ، الذى تراكم الغبار على وجهه ، وتمزقت قدماه من طول السير !•• ولكنه استجمع ما بقى له من قوة ، وأزاح الحراس ، واندفع الى قاعة الاجتماع •• وهناك تقدم الى صديق والده وعرفه بنفسه ، ثم راح يصف كل ما حدث بحماسة وفصاحة ، جعلت الجميع يستمعون فى دهشة ، وقد أثارتهم فظائع جيش العدو وغدر ملك (الدينمرك) بالأسرى •• وفى الوقت نفسـه أعجبتهم جرأة الشاب ، وشجاعته ، وقوة مشاعره الوطنية••

وتشاور النبلاء والاعيان ، ثم قرروا أن يهبوا لانقـاذ بلادهم والانتقام لأخوانهم •• وانطلقوا يجمعـون اتباعهم وابناء وطنهم ، ويرسـمون خطة للجهاد •• وعندما نظموا صفوفهم ، جعلوا « جوسـتاف » قائدا لهم ، تقديرا منهم لوطنيته ولماتحمـله ، وتكريما له لأنه هو الذى أثارهم وأطلعهم على نوايا ملك (الدينمرك) ووحشية جنوده •

وسار جيش الوطنيين الى (استوكهولم) ، فاشتبـك فى قتـال مع الدينمركيين .وكان قتالا شديدا ، طويلا ، استغرق اكثر من عامين ، وانتهى ـ فى هذه المرة ـ بانتصار

المجاهدين ، وطرد الدينمركيين من (السويد) ، وفصل البلاد نهائيا عن (الدينمرك) ، وتحقيق استقلالها .

وتقديرا لجوستاف ، اتفق نبلاء البلاد وشعبها ـ سنة ١٥٢٣ ـ على اختياره ملكا للسويد ! .. ورفض « **جوستاف** » فى البداية ، ولكنه فى النهاية خضع لرغبة الشعب ، وقبل ان يكون ملكا ، وقام باصلاحات كثيرة ، خلدت اسمه فى التاريخ تحت اسم « **جوستاف الاول** » .

(بقية المنشور فى صفحة ٣٤)

عـــاد الشتاء

عاد الشتاء ..
كفت عن الضحك الخمائل .. والطيور عن الغناء !
وتعرت الاشجار فى وجه السماء .. بلا حياء !
وتثاءبت قبل الضحى الشمس الكسول
لا شىء الا صار يوحى بالافول
واصفر لون الذكريات
مثل القشور الذابلات
جفت ومن ريح العبير بها أثر !!
عاد الشتاء ..
والبرد يعصف فى جنون
واللاجئون النائمون بلا غطاء
تحت الخيام الباليات تضمهم أرض الكليم
تلك الخيام لهم سماء
وثقوبها المتآكلات هى النجوم
هاتيك لا بردا ترد .. وتلك لا تعطى بصيصا من ضياء !

***

عاد الشتاء ولا يزال ..

الزاحفون على الجليد من الشمال
يستكشفون ويطلقون كواكبا عبر الفضاء
ومصدرو الدولار تجار الحروب
يتربصون ‥ وينصبون به المصائد للشعوب
والارض أنهكها الصراع تسير مثقلة الضمير
والعالم المحموم ينتظر المصير !!
ماذا تخبىء في ردائك يا شتاء ؟
انا غرسنا للمحبة ‥ للسلام وللبقاء
اترى سنجني فيك أزهار الوداد ؟
أم أن أرواح العباد ‥ هي الحصاد ؟!

* * *

أما الشاعرة الثالثة ـ علية الجعار ـ فقد امتعتني صحبة ديوانها الاول الرقيق ، الذى قدم له شاعرنا الكبير أحمد رامي ، وأدهشني أن أراها حائرة به بين الناشرين ، تبحث له عن ناشر ، وهو الأولى بالنشر من كثير من الكتب والدواوين التي تخرجها المطابع كل حين ‥ حتى انتهى بها الامر الى طبعه واصداره على نفقتها ‥ ووجدتني أتغنى بهذه النماذج الرائعة من الديوان :

يا لكفيك تفيضان حنينا وحنانا
تحتوى وجهي حتى تتلاقى شفتانا
قبلة تشمل فيها الروح من راح هوانا
نعبر الكون وجودا وشعورا وزمانا
نحو دنيا من خيال لم يعش فيها سوانا

ومن قصيدة ثانية :

سل شرفتي فلكم سهرت أكفكف الدمع السخين
سلها فكم سهرت معي نجتر أحداث السنين
وعلى وسادة سورها خدى ينام ويستكين

أنا والنجوم وشرفتي والقلب والليل الأمين
ماذا جنينا فى الهوى حتى نعيش معذبين ؟

كيف تؤدب طفلك

(بقية المنشور فى صفحة ٦٦)

وجدير بمن يرى سوء تصرف الطفل ـ من الوالدين ـ ان يبادر بمعاقبته ، دون أن ينتظر حضور الوالد الآخر .. **وقد يلجأ الطفل ـ في بادىء الأمر ـ الى البكاء ، أو أرهاب ابويه بالمرض أو القيء أو ما الى ذلك . ولكن الجدير بالأبوين أن لا يخدعا بهذا « التهويش » .. وليس لهما أن يخشيا فقدان حب ابنهما أو يجعلا هذه الخشية تمنعهما من ايقاع العقاب .**

ومن الخطر السماح بأى استثناء فى ممارسة هذه السياسة التأديبية . فاذا أساء الطفل التصرف فى مكان عام مثلا ، يجب أخذه الى أقرب خلوة وايقاع العقاب به .. على أن يتناسى الوالد الذى يوقع العقاب ، الأمر كله بمجرد ايقاعه ، فلا يعود الى تعيير الطفل أو يستمر فى ابداء استيائه منه .. أما القول بوجوب مناقشة الطفل منطقيا اذا أخطأ ، فيرد عليه بأن ادراك الطفل لايجعله يفيد من ذلك .. والأفضل عقابه ، ثم تفسير السبب .. وبالضربة الخفيفة ، المتكررة ـ بتكرر الذنب ـ أو المكافأة المتكررة بتكرر الاحسان، يمكن أن تربى فى نفس الطفل تقدير ما هو صواب وما هو خطأ .

وجوب تعاون المدرسة مع البيت

وهذا الترويض للطفل لا يؤتى ثماره ما لم يكن التعاون مكفولا بين البيت والمدرسة ، فان الغاء العقاب البدنى فى المدارس هو سبب سوء سلوك الناشئين . وقد أثبتت الاحصاءات فى سنة ١٩٦١ أن بين مليونى جريمة ارتكبت فى

الولايات المتحدة ، كان ثمة مليون جريمة ارتكبها صغار لم يتجاوزوا الثامنة عشرة من عمرهم . و**معظمهم لم يكونوا منحرفين بفطرتهم .. فلو أنهم تعرضوا – في صغرهم – لعقاب خفيف على هفواتهم ، لما ارتكبوا الكبائر فيما بعد !**

وينبغي أن يبدأ التأديب في سن مبكرة ، وأن يرتبط بظروف الطفل النفسية ، والاجتماعيه ، والدراسية ، كما يرتبط بنموه وسنه ، فلا نطالب ابن الثالثه بما نطالب به ابن العاشرة ، وهكذا ..

كتابى : هذه خلاصة للكتاب الذى أصدره المربى والعالم النفسانى « بيتر كرانفورد » . فما راى اساتذة التربية وعلم النفس ، فى بلادنا العربية ، فى هذا الاتجاه الحديث الذى ينادى بالعودة الى العقاب البدنى لابنائنا وبناتنا ؟.. هل يقرونه ، أم يعارضونه ؟ .. هذا هو الموضوع الذى نطرحه على بساط البحث ، ونرحب بآراء علمائنا وباحثينا بصدده .


لكل سيدة ..
لكل رجل ..
ماء كولونيا
دوشيس
منعشة وثابتة
تباع في الصيدليات والمحلات الكبرى
ماء كولونيا
دوشيس
Duchesse
انتاج
شركة النيل للأدوية والصناعات الكيماوية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية
ادارة مبيعات التجميل ٣ شارع جواد حسنى القاهرة ت ٥٣٣٤٨


هونج كونج - بيروت
طوكيو - سيدنى
نيويورك - لندن
باريس - فرانكفورت
زيوريخ
روما - بومباى
دلهى - كلكتا
مدراس - بانج كوك
سنغافورة
إيرإنديا - AIR-INDIA
القاهرة: ١ طلعت حرب ٣ /٣١٨٧٧ - الإسكندرية: ٢٠ طوسون ٢٢٦٨٧
له خبرة أكثر من ٣٤ عامًا فى شئون الطيران.

مطبوعات كتابى

تقدم لقرائها ؛ بعد الاستعداد الطويل والتحضير الدائب ؛ السلاسل الآتيه ، بالتناوب ؛ بالاضافة الى سلسلة الترجمة الكاملة للاعمال الادبية :

١ ـ مكتبه التراث العالمى للشباب

اعظم ما كتب شكسبير ، وتولستوى ، وجوته ، وديكنز ، وغيرهم من اعلام الادب والقصة فى العالم ، مبسطا للقارىء العصرى وللشباب فى اجمل اسلوب وانسب حجم وسعر .

٢ ـ مكتبة التراث العربى للشباب

كليلة ودمنة ـ البخلاء ، للجاحظ ـ رسالة الغفران ، للمعرى ـ الاغانى ، للاصفهانى .. وغيرها من كنوز الادب العربى مبسطة للقارىء العصرى فى حجم وسعر يناسبان جميع المستويات .

٣ ـ مكتبه القصص العلمى

أروع واحدث ما ظهر فى العالم من روايات وقصص تصور عالم الغد ، كما تصوره الروائيون وكما يحققه العلماء فى عصر الذرة والصواريخ .

٤ ـ قصة مصر

« قصة تاريخ مصر » منذ أقدم العصور ؛ مبسطة للقارىء العصرى ؛ ومحققة ؛ بقلم الاثرى المصرى الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف .

٥ ـ الجريمة لا تفيد

النماذج الراقية من القصص البوليسى ، وروايات الجريمة لاشهر كتابها الجادين ، ابتداء من « ادجار آلان بو » و « كونان دويل » الى « اجاثا كريستى » و « هتشكوك » و « سيمنون » .

٦ ـ مكتبة الاعلام ، للشباب

سير اعلام الفن ، والادب ، والموسيقى ، والاختراع ، والوطنية ، والفلسفة ، والسياسة ، والعلم ، والرسم .. الخ .. محلاة بصور نادرة .

٧ ـ قصص من الحياة

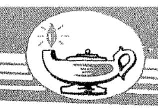
مكتبة جديدة من نوعها ، تضم قصصا واقعية من اختبارات أطباء العلاج النفسى وعلماء التحليل ، تصور حالات نفسية ومرضية متواترة فى كل مجتمع عصرى ؛ وقصص نجاح اشهر العصاميين فى العصور الحديثة .

٨ ـ مكتبة أدب السينما

٩ ـ مكتبة القصص الشعبى

١٠ ـ ألف قصة وقصة من آداب العالم

تصدرها « مطبوعات كتابى » تباعا ، بالتناوب







مطبوعات كتابي

تقدم لك في أعدادها القادمة

مجموعة منتقاة من شوامخ الكتب العالمية، لأشهر المؤلفين، مترجمة عن شتى اللغات، بأقلام أقدر المترجمين ..

انها السلسلة العربية الوحيدة التي تضع بين يديك الترجمة "الأمينة" الكاملة لأعظم ما أنتجه الفكر الانساني في جميع العصور .. في طبعات ثمينة الجوهر، فاخرة المظهر، زهيدة الثمن !

تابع الاعلانات عن أعدادها القادمة ومواعيد صدورها، على صفحات «كتابي»







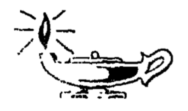


البدوية الحسناء
لوحة للفنان الإيطالي "سجونيا ميليو"

كتابى

السلسلة العربية لتلخيص الكتب العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد



الكتاب الثامن والتسعون

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات صفحة ١٧٧
الرسائل والمكاتبات : ١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة ·
الادارة : ٢٣ شارع عرابى ، شقة ١١١ ، بالقاهرة
تليفون : ٤٦٤٧٥

ثمن النسخة : ١٥ قرشا



« فرار العائلة المقدسة الى مصر »
لوحة للفنان والمؤرخ الالمانى «فرديناند كيللر» (١٨٤٢ - ١٩٢٢)
(صورها لكتابى عن الأصل : الفنان سليم يوسف)

عزيزى القارىء ..

● فى ٤ مايو الماضى ، اصدر قداسة البابا كيرلس السادس ، بطريرك الاقباط الارثوذكس ، بيانا اعلن فيه رسميا أنه منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ ابريل ١٩٦٨ توالىظهور السيدة العذراء مريم على قباب كنيستها فى الزيتون ، على طريق (المطرية) الذى مرت به العائلة المقدسة فى تنقلاتها خلال اقامتها بمصر منذ نحو الفى عام .

واضاف البيان البابوى أن هذا الظهور ـ الذى صاحبته معجزات شفاء باهرة ، من أمراض مستعصية ـ شاهدته آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الاديان والمذاهب ، ومن الاجانب .. وقد كان ظهور العذراء باشكال مختلفة : بالجسم الكامل احيانا ، وبالنصف العلوى أحيانا اخرى ، تحيط بها هالة من النور المتلألىء ، وكانت تتحرك وتتمشى فوق القباب، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وبايماءات رأسها المقدس .

ومنذ ذلك اليوم واسم السيدة العذراء يحتل مكانا بارزا فى صحف العالم واذاعاته .. واصبحت كنيستها بالزيتون مزارا يحج اليه الناس من شتى بقاع العالم ، وتنظم من أجله الرحلات السياحية .

وفى هذه المناسبة الفريدة ، يقدم كتابى لقرائه ، فى مصر والعالم العربى ، تلخيصا لكتابين يغطيان هذا الحدث غير العادى : الكتاب الاول ظهر فى الاسبوع الماضى ، بالانجليزية ، عن حضارة مصر فى العصر القبطى، بعنوان *(Coptic Egypt)* ، وقد لخصنا لك منه كل مايتعلق بتنقلات العائلة المقدسة خلال العامين اللذين قضتهما فى مصر ، والكتاب من تاليفالاستاذ الدكتور مراد كامل ، نائب عميد المعهد العالىللدراسات القبطية ، ونائب رئيس جمعية الآثار القبطية ، والحائز على الدكتوراه من جامعة (توبينجن) بالمانيا ، والاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

والكتاب الثانى :((مريم العذراء)) ، بقلم القس زكريا خليل النخيلى (طبعة القاهرة) . وقد لخصه لك الدكتور وليم الميرى ، الحاصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة .

ميلاد العذراء

جاه وثراء .. وعقم ومذلة !

● كان « يواقيم » رجلا غنيا ، ذا جاه عظيم وثراء عريض ، وكانت زوجته « حنة » امرأة عاقرا ، لا تنجب نسلا . وفى ذلك العصر كان الحرمان من النسل تجربة قاسية ، بل كان يعد عارا ومذلة ... فارتفع صوت الزوجين التقيين بالدعاء والتضرع الى الله كى يهبهما نسلا ، ناذرين ان يكرسا ما يهبهما الله من نسل - ذكرا كان أو انثى - لخدمة الهيكل .. وراحت « حنة » تردد فى صلواتها : « ها انا يا الهى ، انذر بين يديك ان النسل الذى تعطينى لا أدعه يمشى على الأرض حتى أقدمه الى هيكلك المقدس ! »

وفيما هى تناجى ربها ذات مرة ، تطلعت وهى فى حديقة بيتها ، فابصرت عش عصافير فوق غصن شجرة زيتون ، وقد اخذت العصافير الكبار تطعم صغارها ، فأيقظ فيها هذا المنظر عاطفة الأمومة المكبوتة ، وبدات تبكى بحرقة ، وعندئذ ظهر لها ملاك الرب « جبرائيل » وسط هالة من نور سماوى ، وزف اليها البشرى بأن الله قد استجاب لصلاتها ، وانها ستحمل وتلد ابنة مباركة تطوبها جميع الأجيال ، لأن منها يكون الخلاص لذرية آدم .. واختفى الملاك تاركا « حنة » فى فرحة فياضة !

.. ثم انطلق الملاك الى يواقيم زوج حنة ، وكان قد خرج الى البرية فأقام لنفسه خيمة مكث فيها أربعين يوما يصلى ويصوم ، كى ينقذه الله من مذلته .. فبشره الملاك قائلا : « قم وامض الى زوجتك المباركة حنة ، فانها ستحمل وتلد ابنة عذراء ، وتدعوها مريم ، ومنها يخرج خلاص العالم . » (١)

---

(١) تحتفل الكنيسة القبطية فى يوم ٧ من شهر « مسرى » ، كل عام ، ببشارة الملاك ليواقيم بميلاد العذراء .

وعاد يواقيم الى بيته ، فاستقبلته حنة مهللة ، وقصت عليه ما كان من الملاك جبرائيل ، فاخذ الزوج قربانه ومضى مع زوجته الى الهيكل ، ملتمسا من الرب علامة تنبىء باتمام وعده لهما .. وفيما هو يرفع القرابين، تطلع فاذا تاج نورانى يهبط عليه من السماء ، فاستراحت نفسه ، وعاد مع زوجته الى بيته فرحين مسرورين ..

وحملت « حنة » ، وقضت كل أيام حملها فى صوم وصلاة وتسبيح ، حتى ولدت وحيدتها العذراء الطاهرة ، واطلقت عليها ـ حسب بشـارة الملاك لها ـ اسم « مريم » . ورباها والداها حتى بلغت عامها الثالث ، وعندئذ قدماها الى هيكل الرب ، وفاء النذر ، كى تشب فى رحاب بيت الله ، بين العذارى من خادمات الهيكل .

تهب طعامها للمحرومين ، فتطعمها الملائكة ..

● وكانت الطفلة مريم ـ فى حياتها الجديدة ـ كالحمامة الطاهرة . وكان من عجيب أمرها انهـا صارت تجمع الفقراء كل يوم ، وتقدم لهم طعامها الذى يرسل اليها من بيت ابيها ، دون ان تتناول منه شيئا ! .. فحار الكهنة فى أمرها ، وراحوا يتساءلون : « انها تهب طعامهـا كله للمحرومين ، فكيف تعيش اذن ، ومن أين تسد رمقها ؟ » .. ولم تلبث الحقيقة ان تجلت للجميع فى أحد الأيام ، حين رأوا نورا سـاطعا يغمر مخدعها ، وملاك الرب يقدم لمريم طعاما سماويا .

تتنازل عن ميراثها كله للفقراء !

● واذ أتمت مريم عامها السادس وهى فى الهيكل ، توفى أبوها ، ثم توفيت امها وهى فى الثامنة . وعندما آل اليها كل ميراث ابيهـا ، أمرت بان توزع الأموال والممتلكات على الفقراء والمحرومين ، وخـدام الهيكل .. ثم مكثت فى الهيكل ، مثالا للوداعة والطهر ، حتى بلغت الثانية عشرة ـ وهى السن التى يتقرر فيها مصير عذارى الهيكل ـ فتشـاور زكريا رئيس الكهنة مع بقية الكهنة ، واتفقوا على أن يرتدى زكريا مسوح الهيكل ويصلى لله من أجلها ، ملتمسا ارشاد السماء فى شـان تقرير

مصرنا . وعندئذ ظهر ملاك الرب لزكريا وخاطبه قائلا :

.. يازكريا ، أخرج واجمع خلقا عظيما من شيوخ وشبان ، وخذ عصيهم واكتب أسماءهم عليها ، فيختار الرب من بينهم من يصلح لأمته العذراء مريم .

ونفذ زكريا ما أمره به الملاك ، ثم جمع العصى ودخل بها الى قدس الأقداس ، ورفع صلاته الى الله . ثم خرج بالعصى وطلب ان يتقدم كل رجل ليأخذ عصاه .. وكان من بينهم « يوسف » النجار . فلما تقدم يوسف ليأخذ عصاه ، انطلقت من العصا حمامة بيضاء ، استقرت على رأس يوسف ، فقال الكاهن زكريا له :

ــ لقد صارت عذراء الرب لك ، فلتأخذها وتحفظها فى بيتك ، ولتكن لك شبه زوجة كما قال ملاك الرب . انها نفس زكية لم نجد مثلها بين أبناء النذور وعذارى الهيكل ، فلا تعص أمر الرب فيها ، ولتأخذها الى بيتك. انها وديعة الرب بين يديك !

فلما سمع يوسف هذا القول رفع عينيه الى السماء قائلا : «اسألك يا اله آبائنا ، الأبرار الصديقين ، أن تدبر حياتى وفق مشيئتك، ولا تحجب وجهك عنى ، ولا عن أمتك هذه العذراء التى اعطيتنى ! » .. ثم سجد بين يدى الله ، أمام الكهنة ، قائلا : « هوذا انا عبد الرب . اصنعوا بى ما تريدون ، ولتكن مشيئته فى حياتى . »

.. فأخذ زكريا « مريم » من يمينها ، وسلمها الى يوسف ، بعد ان باركها .. فتوجه يوسف ومريم الى بيته فى (الناصرة) .

سلام لك أيتها الممتلئة نعمة !

● انقضت ثلاثون يوما بعد مغادرة مريم الهيكل ، واجتمع الكهنة يفكرون فى عمل ستار يستخدم كحجاب على باب مذبح الغفران ، فقالوا : « ندعو ثمانى عذارى طاهرات حكيمات كى يشتركن فى نسج الستار » .

ولكن الكهنة لم يجدوا فى الهيكل سوى سبع عذارى ، فذكرهم احدهم بمريم ، فارسلوا فى طلبها واوضحوا لها طلبهم ، فرحبت به ..



لوحة معبرة للفنانة «ايلسى آنا وود» تمثل العذراء مريم فى ثياب فتاة قروية من «الناصرة» ، تخفض بصرها فى تواضع امام الضياء الباهر الذى يشع حول الملاك جبرائيل وهو يبشرها بولادة المسيح ٠

فاحضروا لها كل ما تحتاج اليه لعمل الستار من نسيج الارجوان ، وخيوط الذهب . فلما اخذت مريم كل ذلك عادت الى (الناصرة) ، حيث عكفت اربعة أشهر كاملة ساهرة على عملها ..

وفى يوم من أيام الآحاد ، خرجت مريم من بيتها تحمل جرتها لتستقى ماء من العين القريبة . وفيما هى وحيدة عند العين ، اذا صوت ملاك الرب يناديها قائلا :

ـ سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ! .. الرب معك . مباركة أنت فى النساء ، ومباركة هى ثمرة بطنك .

.. والتفتت مريم تبحث عن مصدر هذا الصوت ، ولكنها لم تر احدا .. فحملت جرتها وأسرعت عائدة الى بيتها ، وفى اعماقها مزيج من الخوف والرهبة . وجلست ، وحيدة ، تستانف عملها فى غزل ستار الهيكل ، واذا بالملاك جبرائيل واقف امامها ، يعيد على مسمعها قوله الذى سمعته بجوار عين الماء :

ـ سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ..

فلما رأته خافت واضطربت ، فقال لها الملاك :

ـ لاتخافى يامريم ، لأنك وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه « يسوع » ..

فاغمضت العذراء عينيها ، وشرد ذهنها الى الرسالة المماثلة التى تلقاها الكاهن زكريا عن قريبتها « اليصابات » . ان اليصابات هى الأخرى حملت وستلد ابنا ، وسيكون اسمه «يوحنا» ـ المعمدان .

وسألت مريم الملاك .. لا فى احتجاج أو معارضة ، ولكن فى تساؤل ساذج برىء :

ـ كيف يكون هذا ، وأنا لا أعرف رجلا ؟

فاكتسى وجه الملاك عطفا وحنانا ، وجاءها صوته العميق يقول موضحا :

ـ الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك.. وهذه «اليصابات» نسيبتك هى الأخرى حملت بابن شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس

لتلك المدعوة عاقرا .. لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله ..
وكانت تعرف هذه الحقيقة المتعلقة بنسيبتها اليصابات ، فآمنت بقوله ، وقالت بصوت خافت مستسلم :
ـ ها انا أمة الرب ، فليكن لى حسب قولك .
.. وعندئذ تلاشى الملاك من امامها فجاة ، فمضت مريم الى فراشها ترتنح ، وهناك ركعت على ركبتيها وانخرطت فى البكاء وهى تصلى صلاة عميقة .. فلقد كان الامر اكبر من أن تدركه فتاة صغيرة السن ، طاهرة القلب والفكر .

زيارتها لزكريا واليصابات

● وشعرت مريم برغبة ملحة فى أن تفرح مع نسيبتها ((اليصابات)) بمولودها المنتظر ، وقد وجدت نفسها فى ظروف مشابهة .. فمضت لزيارة اليصابات .

وكانت الرحلة طويلة وشاقة بين البلدين .. لكن صورة ((اليصابات)) كانت تغلب على افكارها فتشجعها طوال الطريق .. وقرب غروب اليوم الثالث وجدت مريم نفسـها أخيرا على قيد خطوات من بيت زكريا .. واليصابات جالسة على عتبة الباب وهى حامل فى شهرها السادس .
واذهل مريم ان تسمع اليصابات تصيح بها من بعيـد ، فرحة منتشية :
ـ السلام لك يا مريم ، مباركة ثمرة بطنك ..
فتوقفت مريم فجاة عن السير ، وقد تذكرت هذه الـكلمات التى خاطبها بها الملاك من قبل .. وسألت نسيبتها فى دهشة :
ـ انك تعيدين ما قاله الملاك ! .. كيف عرفت ذلك ؟
فعانقتها اليصـابات فى لهفة ، واجابتها : ((عندما رأيتك ارتكض الجنين من الابتهاج فى بطنى ، فطوبى للتى امنت ، لأنه سيتم ما قيل لها من قبل الرب ..))
.. وبصوت ناعم رقيق ، نطقت مريم بكلمات ، لم تكن تدرى يومئذ أن العالم كله سيظل يردد من بعدها آلافا متوالية من السنين :

« تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصي ، لانه نظر الى اتضاع أمته ، فهوذا الآن تطوبنى (١) جميع الأجيال ، لان القدير صنع بى عظائم ، واسمه قدوس ، ورحمته الى جيل الأجيال للذين يتقونه . صنع قوة بذراعه ، شتت المستكبرين بفكر قلوبهم . أنزل الاعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين .. اشبع الجياع خيرات ، وصرف الأغنياء فارغين . »

.. ثم عادت مريم من زيارتها لقريبتها اليصابات ، بعد أن اقامت عندها نحو ثلاثة اشهر ، وذات يوم ظهر ملاك الرب لخطيبها يوسف فى حلم ، وقال له : « يا يوسف ، لا تخف أن تاخذ مريم امرأتك ، لأن الذى فى أحشائها هو من الروح القدس ، وستلد ابنا وتدعو اسمه « يسوع » لانه يخلص شعبه من خطاياهم . »

ميلاد المسيح

● ولما تمت أيام العذراء لتلد ، غادرت مدينة الناصرة ـ قبل ذلك بقليل ـ مع خطيبها يوسف ، متجهين الى قرية (بيت لحم) ، تنفيذا لمرسوم الامبراطور الرومانى « أغسطس قيصر » الذى فرض على الاهالى ان يعود كل منهم الى مسقط راسه ليسجل اسمه فى « الاكتتاب » (أى الاحصاء أو التعداد) الذى أمر باجرائه فى ذلك العام . ومن ناحية أخرى كان لابد أن تتم نبوءة التوراة (فى سفر « ميخا » اصحاح ٥ ، آية ٢) بولادة المسيح فى بيت لحم .

وفيما يلى تفصيلات قصة الميلاد كما اجمعت عليها « الميامر » (٢) واقوال الآباء وكل الكتب الكنسية القديمة والحديثة :

سارت العذراء فى طريقها الى بيت لحم ، وقد اركبها خطيبها يوسف

---

(١) تطوبنى ، أى تحيينى وتغبطنى . « وطوبى » معناها : يا لغبطة .. ويالسعادة ..

(٢) « الميامر » جمع « ميمر » ، وهى كلمة سريانية بمعنى سيرة او تاريخ حياة شخص

على دابته ، اما هو فقد سار وراءها على قدميه ، وكان ينظر اليها فيراها عابسة احيانا ، وباسمة احيانا آخرى .. ولما سألها عن السر اجابت : « انى ارى ملاكين ، احدهما يبكى والآخر يضحك ، سائرين امامى » ..

ولم يمض وقت حتى شعرت بآلام المخاض ، فاسرع يوسف فى السير بها حتى وصلا الى حدود بيت لحم ، ولما لم يجدا فى القرية مكانا يلجآن اليه ، فقد لجأ الى مغارة من مغارات الرعاة ، فدخلت العذراء اليها ، بينما اسرع يوسف الى البلدة ليحضر لها قابلة . ولما عاد بها وجد العذراء ترضع طفلها ! .. ولم تظهر عليها أدنى علامة للتعب كبقية النساء . وبعد ثمانية أيام حل موعد ختان الطفل ، فأطلقوا عليه اسم « يسوع » كما دعاه الملاك قبل أن تحبل به أمه .

مريم « الوالدة » فى الهيكل

● وبعد اربعين يوما غادرت العائلة المقدسة (بيت لحم) فى طريقها الى أورشليم (القدس) ، مقر الهيكل . وكانت المسافة بينهما نحو ستة أميال ، استغرقت منهم حوالى ثلاث ساعات . وفى طريقها الى الهيكل ، كانت مريم تستعرض ذكريات الاحد عشر عاما التى قضتها فى الهيكل ، وفاء بنذر أبويها . أنها تعود الآن الى الهيكل بعد ان اغتربت عنه مدة لاتقل عن سنة كاملة ، وهاهى تعود الآن حاملة طفلها على ذراعها ، لتقوم بمراسم التطهير ، وفقا للشريعة ، (وان كانت غير ملزمة بذلك لان طفلها لم يولد من زرع بشر ، بل جاء من الروح القدس) ، كما ارادت ان تقدم ذبيحة للرب زوج يمام ، او فرخى حمام .

دخلت مريم الهيكل فى تؤدة واتزان ، ولم تكن فى حاجة الى دليل ، اذ كانت مسالك الهيكل معروفة لديها . دخلت من الباب الشرقى ، مارة برواق سليمان ، ودار الأمم ، ثم الى باب نيكابور ، لتقف على احدى درجاته الخمسة عشر ، مع النسوة اللواتى يردن التطهير . ويحدثنا الكتاب المقدس أن الروح القدس أوحى الى سمعان الشيخ ــ وكان شيخا تقيا ــ انه لن يرى الموت قبل أن يرى المسيح .. وفى ذلك اليوم أوحى اليه أن يتوجه الى الهيكل ليكون فى شرف استقبال العذراء وطفلها

سوع ، فلما رآهما أخذ الطفل على ذراعيه وبارك الله وقال : « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك . »

وتقدمت العذراء بذبيحة الفقراء ـ وهى زوجا حمام أو يمام ـ بينما كان الاغنياء يقدمون خروفا عمره سنة أو يزيد . وكان ثمن الخروف فى ذلك الوقت خمسة عشر قرشا ، فى حين لم يكن ثمن زوج الحمام واليمام معا يزيد عن ثلاثة قروش .

ثم مضت العذراء الى الدرج ، مع النسوة المتطهرات ، تستمع الى العبادة فى صمت وتأمل ، ورائحة البخور الزكية تتصاعد من مذبح البخور الذهبى ، رمز الصلوات المرفوعة الى الله .

الهروب الى مصر

● بعد مولد المسيح بسنتين ، وكان قد انتشر بين الناس خبر مولد مخلص للشعب ، بلغ الخبر مسامع الملك « هيرودس » ، فظن من استقراء نبوءات الانبياء ان المسيح قد جاء ليكون ملكا فى مكانه ، فدفعه الفزع من سقوط عرشه ، وزوال مجده وسلطانه ، الى أن يصدر أمرا بالبحث عن الطفل وأمه .. فلما باءت مساعيه بالفشل ، أمر بقتل كل الاطفال الذين تتراوح أعمارهم حول السنتين ، كى يستوثق من موت « منافسه » الطفل !

وانتشر جنود هيرودس يذبحون الاطفال فى كل مكان ، وفاضت الدماء البريئة كالانهار .. وفى هداة الليل ، والناس نيام ، أوحى ملاك الى يوسف أن يأخذ مريم والطفل ويفروا من وجه الملك السفاح هيرودس الى أرض مصر .. فخرجوا ومعهم قابلة من أقاربهم تدعى « سالومة » .

وقبل أن يغادروا (بيت لحم) ، مكثوا برهة فى مغارة معروفة عند العرب اليوم باسم (مغارة السيدة) ، تقع فى الجنوب الشرقى من كنيسة بيت لحم .. ومنها اتجهوا نحو الميناء الفلسطينى القديم

«عسقلون» (١) ، ثم شرقا نحو (الخليل) .

.. وسار الركب المتواضع فى ظلمة الليل ، لا يحمل معه من المؤونة غير الكفاف ، وقد تمكن الخوف من نفوس أفراده .. فلم تشرق عليهم شمس الصباح الا وقد غادروا المنطقة الآهلة بالسكان ، وبدأوا سيرهم فى البرية المقفرة المخيفة . وعلى بعد اربعين كيلومترا من (الخليل) ، فى اتجاه الغرب ، وصلوا الى مشارف (غزة) .. ثم ساروا بمحاذاة ساحل البحر الأبيض ، وبعد ساعتين كانوا قد عبروا (وادى غزة) .

وبعد مسيرة يوم كامل من غزة ، وصلت العائلة المقدسة الى (خان يونس) ــ التى كانت تعرف يومئذ باسم *Jenysos*

وكانت « المحطة » التالية للعائلة المقدسة بلدة (رفح) ، ومنها واصلت فرارها سالكة طريق القوافل حتى وصلت بعد ٤٤ كيلو مترا اخرى ، اجتازتها فى يومين ، الى ترعة (وادى العريش) . وبعد ان عبرتها وصلت الى بلدة العريش نفسها ، (وكانت تسمى فى ذلك الوقت *Rhinocolura*

وكانت اول بلدة تالية على طريقهم هى *Ostrakini* أوستراكينى ، التى اختفت من الوجود منذ زمن طويل ، ولو انه مازال توجد بقرب العريش قرية تدعى (ستراكى) .

وعند الطرف الجنوبى الغربى من طريق القوافل الموصل من فلسطين الى مصر ، وصل الركب الى ميناء (الفرما) الذى كان مفتاحا لمصر . وقد دلل الراهب « اليونانى » ابيفانيوس (فى القرن التاسع) ، و « برنارد الحكيم » (٨٧٠ بعد الميلاد) على ان العائلة المقدسة نزلت بتلك البلدة التاريخية التى تبعد عن مدينة بور سعيد الحالية بنحو

(١) « عسقلون » قرية ساحلية قديمة على شاطىء فلسطين ، لم يبق منها اليوم سوى أطلال بجوار (المجدل) . كان المصريون قد استولوا عليها فى عهد رمسيس الثانى (عام ١٢٨٥ ق.م.) ، ثم غزتها امبراطوريات متعاقبة ، وغزاها العرب عام ٦٣٦ . وهزم فيها الصليبيون سلطان مصر (١٠٩٩ ، ولكن صلاح الدين الأيوبى استردها (١١٨٧) ، ثم دمرت عام ١١٩١ . واتم السلطان بيبرس تدميرها تماما فى عام ١٢٧٠ .



((وجبة طعام ، أثناء فرار العائلة المقدسة الى مصر)) . لوحة زيتية بمتحف غرناطة بأسبانيا ، للرسام الاسبانى ((جوان سانخيز كوتان)) (١٥٦١ - ١٦٢٧)

٢٥ كيلو مترا . وكان يحكم مصر يومئذ الوالى الرومانى « جايوس تورانيوس » .

.. ثم عبر الركب ممر (القنطرة) الضيق ، الذى كان يفصل بين بحيرة (المنزلة) وبحيرة (البلاح) ، والذى كان يمر به طريق القوافل الرئيسى بين فلسطين ومصر .. وهو الطريق الذى سبق أن عبره - قبل ذلك التاريخ بقرون عديدة - ابراهيم ويعقوب وأولاده . وهكذا - على الدرب الذى سلكه أولئك فى الماضى البعيد - دخلت العائلة المقدسة اقليم جوشين *Goshen* ، الذى يقع شرق دلتا النيل مباشرة ، والذى كان فرعون مصر قد وهبه ليعقوب ونسله ، فعاشوا فيه حتى خرجوا من أرض مصر .

العائلة المقدسة بالقرب من الزقازيق

● ثم دخلت العذراء ومرافقوها دلتا النيل . وكانت أول بلدة حطوا رحالهم فيها هى (تل بسطة) - أو « بوباسطس » - التى تبعد نحو كيلو مترين الى الجنوب من مدينة الزقازيق . وهناك جلسوا فى ظل شجرة كبيرة ، طلبا للراحة من وعثاء السفر ، فطلب الطفل يسوع الى مريم أن يشرب ، فحملته بين ذراعيها متجهة الى القرية .. لكن أهلها لم يحسنوا استقبالهما ، مما آلم نفس العذراء التى عادت بوليدها العزيز دون أن يشرب .. فتناول يوسف قطعة من الحديد ضرب بها الأرض الى جوار الشجرة ، واذا بالماء يتفجر من أول ضربة ، من ينبوع عذب ، ارتووا منه جميعا وملأوا قربهم .

ونتيجة لعدم ترحيب أهل (تل بسطة) بهم ، ثم لخشيتهم أن يلحق بهم جواسيس هيرودس الذين كانوا يجدون فى أثرهم ، فقد شدوا رحالهم على الفور نحو الجنوب ، فبلغوا جهة (المحجة) ، ثم دخلوا - بعد مسيرة يوم كامل - مدينة (بلبيس) ، ومنها واصلوا السير شمالا عبر الدلتا حتى وصلوا الى (منية جناح) القريبة من (سمنود) - وكانت تسمى يومئذ (سيبينيتوس) - وتقع على فرع دمياط من النيل . وتقرر رواية شعبية متداولة فى سمنود ، أن كنيسة (أبانوب) الحالية قد بنيت فى الموقع التى أقامت فيه العذراء منذ نحو ألفى عام .

ثم عبرت العائلة المقدسة فرع دمياط ، واتجهت غربا .. وفي الطريق، وطأ الطفل يسوع بقدمه احد الأحجار ، فبقى طابع قدمه على الحجر ، وعرف المكان منذ ذلك التاريخ (بيخا عيسوس) ، ومعناها « كعب يسوع » . واغلب الظن أن بيخا عيسوس هى التى تعرف الآن باسم (دير المغطس) ، بالقرب من مدينة (سخا) الحالية ، التى تقع على بعد كيلومترين الى الجنوب من (كفر الشيخ) .

.. وبعد (بيخا عيسوس) ، استأنفت العائلة المقدسة سيرها غربا ، فعبرت فرع النيل ، مواصلة رحلتها .. حتى اشرفت على صحراء (وادى النطرون) ، وكانت أقرب بلدة الى تلك الصحراء هى (الترانة) ، التى تبعد الآن نحو ٤٠ كيلو مترا عن دير القديس مكاريوس .

جواسيس هيرودس يقتفون أثرهم !

● وواصلت العذراء وصحبها رحلتهم جنوبا ، حتى وصلوا الى بلدة (أون) ، او عين شمس ـ هليوبوليس ـ التى عرفت فى التوراة باسم (بيت شميش) *Beth Shemesh* .. وطوال تلك التنقلات، كان جواسيس هيرودس يقتفون أثر العائلة المقدسة فى مصر .. وكم من مرة اقتربوا منهم الى حد الخطر ، وخاصة عندما قادهم الاثر الى المسلات الكبيرة التى اقامها الفراعنة فى (عين شمس) ، حيث كانت العائلة المقدسة قد القت رحالها .

.. ومن هليوبوليس اتجهت العائلة الى المنطقة الشمالية الشرقية من مدينة القاهرة الحالية ، حيث تقوم الآن كنيسة السيدة العذراء ، فى (حارة زويلة) . ويلحق بالكنيسة الآن دير للراهبات تروى راهباته قصة مؤداها انه اثناء مقام العائلة المقدسة فى تلك البقعة ، بارك المسيح الطفل مياه البئر ، وشربت منها العذراء . وتقع البئر المذكورة عند

المحراب القبلى للكنيسة السفلية . ومازال ماء تلك البئر يشفى المرضي من اسقامهم .

ثم واصلت العائلة المقدسة مسيرتها جنوبا ، مارة بقلعة (بابيلون) بمصر القديمة ، فى المكان الذى تقوم عليه الآن كنيسة « ابى سرجة » . وكانت القلعة تشرف على الطريق الى الصعيد ، حيث اقامت العائلة فترة من الوقت ، قبل عودتها الى فلسطين .

وعلى ضفة النيل فى (المعادى) ، على بعد نحو اثنى عشر كيلو مترا من القاهرة ، الى الجنوب ، تقوم كنيسة السيدة العذراء بقبابها الثلاث . وقد زارت العائلة المقدسة تلك البقعة ، ومنها استقلت زورقا شراعيا الى الصعيد ، هبطت منه فى قرية (اشنين النصارى) ، على بعد ١٢ كيلومترا الى الجنوب الغربى من مدينة (مغاغة) .. وهناك تتداول رواية مؤداها ان الطفل يسوع قد بارك مياه بئر تقع على مسافة ثمانين مترا الى الشمال من كنيسة (مارجرجس) ، عندما مرت العائلة المقدسة بتلك القرية ، فى طريقها الى بيسوس (ديرالجانوس) على بعد سبعة كيلو مترات الى الغرب من (آشنين) . وتقوم تلك البئر المقدسة لدير الجانوس في الطرف الغربى للرواق القبلى من كنيسة العذراء المقامة هناك .

وعلى بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب ، على حافة الصحراء ، توجد المدينة العريقة التى تعرف اليوم باسم (البهنسا) ، وقد كانت فى الماضي تدعى (اوكسير هينكوس) ، ويعتقد فريق من المؤرخين والمعلقين ان العذراء لجأت بطفلها الى مرتفع فى تلك المنطقة ، كانت به ينابيع ماء ومراع للماشية . وربما تكون كنيسة القديسة تيودورا الموجودة اليوم فى (البهنسا) ، قد شيدت فى تلك المنطقة .

معجزة (جبل الطير)

● وبالقرب من مدينة (سينوبوليس) القديمة — حيث تقوم الآن قرية (القيس) *AL-Kais* — استقلت العائلة المقدسة زورقا

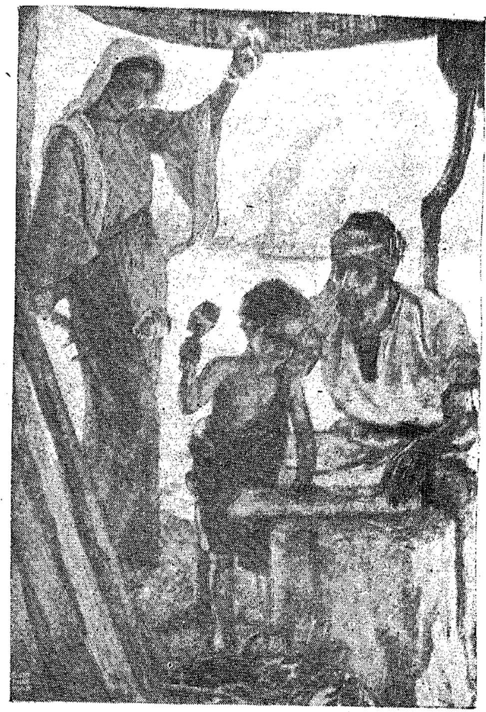
سافرت به نحو الجنوب . وبعد أن قطع الزورق مسافة خمسة وثلاثين كيلومترا ، مر ب (جبل الطير) ، الذى يقع فى مواجهة مدينة سمالوط و (بايا حو) *Bayahu* . وحين مرت العائلة المقدسة بمحاذاة ذلك الجبل ، كادت صخرة كبيرة منه أن تسقط فوق الزورق ، فبدأ الخوف على العذراء ، واذ ذاك مد الطفل يسوع يده ليمنع الصخرة من السقوط، فانطبعت بصمات يده على الصخرة . وعندما غزا « الميريك » ملك القدس (١١٦٢ - ١١٧٣) صعيد مصر ، قطع رجاله تلك القطعة من الصخرة التى انطبعت عليها بصمات المسيح ، واخذوها معهم الى سوريا فى عام ١١٦٨ . وقد شيدت كنيسة العذراء فى (جبل الطير) تخليدا لزيارة العائلة المقدسة للمنطقة .

بين مدن : المنيا ، وملوى ، والأشمونين

● ومن (جبل الطير) اقلعت العذراء وصحبها نحو الجنوب ، مارين بميناء «خوفو» النهرى - حيث توجد مدينة (المنيا) الآن - ثم بالمعبد الصخرى للآلهة « بيخيت » (التى أطلق الاغريق عليها اسم « سبيوس ارتيميدوس ») ، وهى البقعة التى تقوم عليها الآن قرية (بنى حسن الشروق) . واخيرا مر الركب بمعبد رمسيس الثانى - حيث تقوم الآن قرية (الشيخ عبادة) - وهو المعبد الذى بنى الامبراطور الرومانى « هادريان » على انقاضه مدينة انتينوبوليس ، فى سنة ١٣٠ ميلادية .

وفى مواجهة انقاض مدينة أنتينوبوليس ، توجد الآن بلدة (الروضة) ، التى بنيت فى الموقع الذى هبطت فيه العائلة المقدسة من الزورق كى تواصل ترحالها فى اتجاه مدينة (خمونو) المشهورة - التى حلت مكانها الآن قرية (الأشمونين) - وكانت تعرف عند الاغريق باسم (هيرموبوليس ماجنا) ، ولا تزال بقايا كنيستها قائمة خارج قرية (الأشمونين) .

وعلى بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب ، اقامت العائلة المقدسة بضعة أيام فى مدينة مانلاو (أو « ملوى » حاليا) ، حيث توجد عدة كنائس قبطية ، منها كنيستان اطلق عليهما اسم العذراء .



لوحة للفنانة «السي أنا وود» تمثل العائلة المقدسة في مصر، على شاطيء النيل : العـذراء تمسك بالمغزل ، والمسيح الطفل يتعلم حرفة النجارة على يد يوسف النجار .

وصول العائلة المقدسة الى ديروط ، وصنبو

● وبعد مسيرة يومين ، نحو الجنوب ، وصلت العائلة المقدسة الى مدينة (فيلس) ـ أو (ديروط الشريف) حاليا ـ فأكرم اهـل المدينة وفادتهم ، حتى لقد أطالوا المقام فيها بضعة أيام . ومن هناك واصلت العائلة سفرها الى بلدة (صنبو) ، مارة ببلدة (ببلاو) الحالية ، وكانت تعرف يومئذ باسم ببلو . *Pepleu*

.. ثم دخلت العائلة المقدسة مدينة (قوصيا أو قسقام) ـ حيث قرية (.....) الآن ـ وبعد ان لعن المسيح تلك المدينة وأهلها ، ارتحلت العذراء وصحبها نحو الجنوب مسافة ستة كيلومترات ، واستراحوا بعض الوقت فى موضع قرية (مير) الحالية ، من فرط ماكانوا منهكى القوى من التعب والاعياء .

يقيمون ستة أشهر في موضع (الدير المحرق)

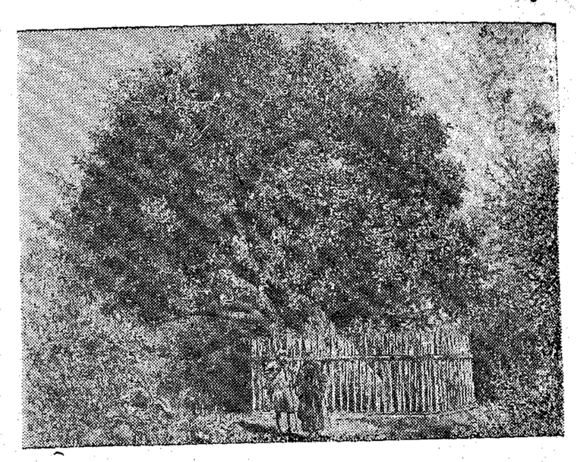
● وعلى بعد ثمانية كيلومترات الى الجنوب من (مير) ، اكتشفت العائلة المقدسة بئرا يستقون منه الماء ، فاقاموا فى احد منازل القرية مدة ستة اشهر . وقد بورك ذلك الموضع المقدس بسبب مقام العائلة المقدسة فيه ، وكرس باسم السيدة العذراء ، ويعرف الآن باسم (الدير المحرق) . وقد كانت كنيسة العـذراء فى الدير المحـرق اول كنيسة شيدت فى مصر كلها .

وقد كانت أبعد نقطة بلغتها العائلة المقدسة ، جنوبا ، فى ترحالها فى صعيد مصر ، على بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب الغربى من مـدينة أسيوط الحالية ـ أو (ليكوبوليس) القديمة ـ في موضع (أسطبل عنتر) بالقرب من سفح الجبل الذى يحف بمدينة أسيوط من ناحية الغرب . وقد اقامت العائلة المقدسة هناك فى كهوف المقابر الصخرية الفسيحة التى ترجع الى الحقبة الممتدة من عهد الاسرة التاسعة الى الاسرة الثانية عشرة. وتقوم كنيسة السيدة العذراء فى (دير العدرا) الآن ، الى الشرق من الكهف الذى عاشت فيه العائلة المقدسة . وبعد أن اقامت العائلة هناك فترة من الوقت ، عادت من أسيوط الى موضع الدير المحرق الحالى .

فى مصر عتيقة ، وهليوبوليس ، والمطرية

● وخلال رحلة العودة ، أقامت العائلة المقدسة فى كهف يقع فى اسفل كنيسة القديسة سرجيوس ، فى (مصر عتيقة) – أو بابيلون القديمة – وقد كان ذلك الكهف من المزارات التى تضمنتها برامج سياحة حجاج القرون الوسطى الى البلاد المقدسة .

.. ثم واصلت العائلة المقدسة ترحالها من (بابيلون) ، نحو الشمال، فتوقفت مرة أخرى فى (أون) – هليوبوليس الآن – بالقرب من موضع ضاحية المطرية الحالية . وهناك أدلوا بالمسيح الى بئر ، ليستحم فى مياهه ، فبورك البئر منذ ذلك التاريخ .. ثم استراحت العائلة المقدسة فى ظل شجرة جميز عتيقة لاتزال قائمة فى حديقة صغيرة يحيط بها جدار ، بجوار الكنيسة الكاثوليكية المعروفة باسم (كنيسة العائلة المقدسة) فى المطرية .



شجرة العذراء فى المطرية : رسم للفنان الالمانى «ب . ستراسبرجر»

وكان الموضع التالى الذى زارته العائلة المقدسة خلال رحلة عودتها الى فلسطين ، هو منطقة (المحمة) ، اى مكان الاستحمام . وفى كنيسة السيدة العذراء فى (مسطرد) ــ التى تبعد نحو ثلاثة كيلومترات الى الغرب من المطرية ، على الضفة الغربية لترعة الاسماعيلية ــ توجد بئر باركتها العائلة المقدسة ، تقع فى الركن الشمالى الشرقى من الكنيسة ، شرقى المغارة التى أوت اليها العائلة المقدسة .

وبعد (المحمة) ، كانت « المحطة » التالية التى توقف فيها ركب العذراء ، هى (ليونتوبوليس) ، التى تعرف اليوم باطلال (تل اليهودية) وقد اشارت اليها الخرائط الرومانية القديمة باسم *Vicus Judaeorum*

العودة الى فلسطين ، بعد وفاة هيرودس

● وبعد ان قضت العائلة المقدسة فى ربوع مصر نحو عامين ، عادت الى فلسطين ، عبر نفس الطريق الذى جاءت منه الى مصر ، مارة ببلبيس، وعابرة الممر الضيق عند القنطرة ، ثم سالكة بعد ذلك طريق القوافل المألوف من مصر الى فلسطين ، بمحاذاة شاطىء البحر الابيض المتوسط .

وطبقا للاقوال المتواترة فى المنطقة ، والتى تنوقلت من جيل الى جيل، فقد استراحت العائلة المقدسة عدة أيام بالقرب من (غزة) ، فى حديقة تقع بين (جبل منطار) وبين غزة .

وكان الدافع للعائلة المقدسة الى العودة الى فلسطين ، انه لما مات الملك الطاغية هيرودس ــ الذى قتل كل اطفال بيت لحم كى يتخلص من وهم منافسة المسيح له فى عرشه ! ــ ظهر ملاك الرب ليوسف فى الحلم ، طالبا اليه أن يأخذ الصبى وأمه ويعود الى موطنهم ، « لانه قد مات الذين كانوا يطلبون حياة الصبى » .. فقام يوسف واخذ الصبى وأمه وعادوا الى فلسطين . وعند دخولهم حدودها ، سمع يوسف أن « أرخيلاوس » قد تولى الملك عوضا عن هيرودس أبيه ، فخاف أن يذهب الى هناك .. الى أن اوحى له فى حلم ، فانصرف الى نواحى (الجليل) ، وأتى وسكن فى مدينة يقال لها « ناصرة » ، لكى يتم ماقيل بالانبياء أن المسيح سيدعى ناصريا .

العذراء ترعى ابنها

● على اثر عودة العائلة المقدسة الى وطنها ، واستقرارها فى (الناصرة) ، تولت مريم وعائلها يوسف النجار رعاية الطفل يسوع والسهر على تربيته والعناية به . وكان يوسف يعمل طول اليوم فى حانوت النجارة الخاص به ، ويعلم الطفل مهنته ، بينما كانت مريم تعلم ابنها الصلاة والتعبد ، وتلقنه ماحفظت من صلوات .

وحين بلغ الابن عامه الثانى عشر ، حث يوسف مريم على الذهاب به الى مدينة القدس ليزور الهيكل ويمجد الله . ثم عادت الاسرة الى الناصرة ، حيث عاش يسوع فى كنف مريم ويوسف حتى صار رجلا ، وعرف بلقب ((نجار الناصرة)) . وكان يعمل فى حانوت النجارة مع يوسف ويرعى امه المباركة مريم ، حتى مرض يوسف ذات يوم واشتد به المرض ، فوافاه اجله ذات ليلة والى جواره مريم ويسوع .(وتحتفل الكنيسة بعيد ((القديس يوسف)) فى ١٩ مارس من كل عام) .

وبقيت مريم وحدها تعنى بوحيدها ، وترمقه بعينيها وقلبها فى كل خطوة من خطوات حياته .. حتى بلغ الثلاثين ، فمضى الى قريبه يوحنا المعمدان (ابن زكريا واليصابات ، الذى رزقا به قبيل مولد المسيح باسابيع) ، وطلب اليه أن يعمده فى نهر الاردن .. ثم صام فى البرية اربعين يوما ، وبدا يمارس رسالته الدينية ..

وخلال الاعوام الثلاثة التى اضطلع السيد المسيح خلالها برسالته ، افترق عن امه مريم وانهمك فى نشر تعاليمه ، والقيام بمعجزاته ، برفقة حوارييه وتلاميذه .. فلم يتحدث الانجيل عن مريم ابان ذلك الا لماما . من ذلك مرافقتها اياه الى حفل عرس دعيا اليه فى بلدة (قانا الجليل) ، وهناك نفدت الخمر اثناء الحفل ـ وكانت من مستلزمات العرس ـ فصنع المسيح معجزة تحويل الماء الى خمر ..

وبقيت العذراء فى الظل ، ترعى ابنها من بعيد وهو يحمل اعباء رسالته ، وتشاركه متاعبه وآلامه ، بعواطف الام الحنون . وحين مضى الى اورشليم لآخر مرة ، وهو يعلم ان اليهود سيقتلونه ، تبعته وقاست معه

الام المحاكمة الظالمة والتعذيب المروع . وأخيرا رافقته الى «الجلجثة» حيث رأته يلفظ انفاسه وقلبها يدمى ، ولكن فى صبر وايمان وشجاعة ، تليق بأم المسيح .. ثم بقيت بعد ذلك فى أورشليم مع الرسل حتى قيامة السيد المسيح وصعوده الى السماء .. وتوفر «يوحنا الانجيلى» على العناية بمريم ومواساتها فى رفق وحنان ، مع أمه «سالومة» واخيه يعقوب ، يغمرهم مزيج من الفرح والغبطة والحب المقدس لتلك التى تطوبها جميع الاجيال .

حياة مريم بعد رحيل المسيح

● ويحدثنا مؤرخو الكنيسة عن نوع الحياة التى كانت تحياها العذراء بعد رحيل وحيدها السيد المسيح ، فيقولون انها كانت تقضى معظم النهار ساجدة فى الهيكل المقدس ، وسواد الليل متعبدة فى البيت ، تناجى ربها ليخفف عنها آلامها ، ويقصر أيام عذابها على الارض . ومع ذلك فانها لم تخذل الرسل أو تبخل عليهم بمشورة ، فكانوا كلما تعقدت الامور ، أو وقفوا حائرين أمام مشكلة من مشكلات خدمتهم الروحية ، هرعوا اليها فوجدوا عندها حلا لمشكلاتهم ، ونهاية لحيرتهم .

وكانت مريم بين الحين والحين تزور الأماكن المختلفة التى تردد عليها ابنها فى حياته ، فهى تارة فى بيت لحم ، وأخرى فى الناصرة ، ثم تصعد الى الجبل حيث القى موعظته المشهورة ، وتهبط الى شاطىء البحر حيث مارس تعاليمه ومعجزاته .. أو تنطلع بحزن الى دار بيلاطس ، حيث جلد وكلل بالشوك .. ومن فرط آلامها لم تطل حياتها على الارض ، ففى ساعة من ساعات تعبدها ، جاءها الملاك يحمل اليها البشرى بقرب انطلاقها ..

ساعاتها الأخيرة .. وانطلاقها

● وابلغت الخبر الاليم الى من بقى من الرسل على قيد الحياة ، فاجتمعوا حولها ، وقد رأوا فى قرب فراقها حرمانا لاقبل لهم باحتماله .. ويقرر القديس «ايرينموس» انه لما دنت الساعة ، وكانت مريم مضطجعة على فراشها ، سمع التلاميذ أصوات ألحان علوية ، وأشرقت فى البيت



العذراء تحمل المسيح الطفل . لوحة من روائع الفنان الايطالى الاشهر «رافاييل» (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠)

انوار سماوية ، ورأت العذراء ابنها المبارك قد حضر اليها ، تحف به الملائكة ، فانهمرت دموع الحاضرين ، من التلاميذ وعذارى جبل الزيتون، وجالت هي بنظرها بينهم ، كانما تودعهم .. ثم أسلمت روحها الطاهرة – بعد نحو خمس عشرة سنة من صعود ابنها السيد المسيح – وكان ذلك في الساعة الثالثة من يوم الاحد الحادى والعشرين من شهر طوبة ..وحمل الرسل مجتمعين جسدها الطاهر ، ودفنوه بوادى «يوشافاط» في (الجسمانية) .

العذراء ملهمة الفنانين

● كانت العذراء مريم ، في كل العصور ، ملهمة للفنانين ، الذين رسموها ، اما بمفردها ، او حاملة «الطفل يسوع» على ذراعها اليسرى..

وأول من رسم صورة للسيدة العذراء هو «لوقا» البشير ، الذى كان طبيبا ورساما ، والذى رآها وعاصرها ، عدة سنوات ، وقد حفر صورة لها على الخشب ، ثم كرس جزءا كبيرا من وقته لرسم صور عديدة لها . وقد تنقلت لوحته الخشبية المحفورة بين أيدى أباطرة (بيزنطة) ، حتى وصلت الى يد الامبراطورة «بولخاريا» ثم فقدت . أما بقية الصور فمازالت باقية في بعض كنائس العالم ، ومنها صورة محفوظة في كنيسة العزباوية بالقاهرة ، واخرى في دير السريان بوادى النطرون .

وعلى منوال مارسمه لها معاصرها «لوقا» ، نسج فنانو بيزنطة ، الذين صوروا العذراء بمفردها . ثم جاء فنانو ايطاليا في القرن ١٣ ، فرسموها حاملة الطفل يسوع ، وجعلوا قسماتها طبيعية المسحة والسمات، فائقة الجمال والطهر . وخصص الفنان الخالد «رفاييل» فنه ونبوغه لرسم صورها .. كما تبارى النحاتون في صنع التماثيل لها ، ابتداء من «مايكل انجلو» ، الى «هنرى مور» .. والى جانب اللوحات الزيتية والتماثيل ، رسمت صورها على الايقونات ، وجدران الكنائس ، واللوحات الخشبية ، والفريسكو ، والموزاييكو ، والزجاج المعشق .. الخ .. وحرصت الكنيسة القبطية على وضع صورتها في مكان خاص من حجاب الهيكل ، الى جوار صورة السيد المسيح .

معجزات العذراء

● تضمنت كتب الكنيسة القبطية التى كتبها الآباء الاولون ، والمخطوطات والاسفار القديمة المحفوظة بمكتبات الاديرة والمتاحف ، ثم الموسوعات العالمية ، الكثير من أنباء معجزات السيدة العذراء ، سواء منها ماتحقق أثناء حياتها ، أو ماتحقق على مر العصور فى مناسبات ظهورها ، مما يطول شرحه أو مجرد سرده .. أما معجزاتها الحديثة فاشهرها : ظهورها للقروية الفرنسية «برناديت» فى بلدة (لورد) بفرنسا .. ثم ظهورها لثلاثة من الرعاة فى قرية (فاتيما) بالبرتغال .. وأخيرا ظهورها العلنى المتكرر للجماهير الغفيرة فى وقت واحد ـ لأول مرة ـ فى الزيتون بالقاهرة .

أعياد السيدة العذراء

● أما الاعياد الخاصة بالعذراء ، والتى يحتفل بها المسيحيون فى مصر كل عام ، فهى :

١ ـ البشارة بمولدها : فى يوم ٧ مسرى .
٢ ـ مولدها : فى أول شهر بشنس .
٣ ـ تقديمها الى الهيكل على يد أبويها ، حين بلغت الثالثة من عمرها: فى يوم ٣ كيهك .
٤ ـ دخولها مع السيد المسيح ويوسف الى مصر يوم ٢٤ بشنس .
٥ ـ وفاتها (أو نياحتها) : فى ٢١ طوبة .
٦ ـ صعود جسدها فى ١٦ مسرى .
٧ ـ انقاذها للقديس متياس من السجن ، وبناء أول كنيسة على اسمها بمدينة فيلبى باليونان : فى يوم ٢١ بؤونة .

وقد رتبت الكنيسة القبطية صوما خاصا أطلقت عليه «صوم السيدة العذراء» ومدته خمسة عشر يوما ، تبدأ فى أول مسرى (٧ اغسطس) وتنتهى فى ١٦ مسرى (٢٢ اغسطس) ، حيث تحتفل الكنيسة بعيد صعود جسدها الطاهر الى السماء .

مريم فى القرآن الكريم

● وان أحسن ما يختتم به الحديث عن حيـــاة مريم العذراء ، أن نورد بعض ما جاء عنها فى القرآن الكريم ، الذى مجدها ورفعها الى مكانة فوق نساء العالمين ، وأورد اسمها فى ٣٤ آية من آياته ..

.. بل وليس فى القرآن الكريم كله ســـورة تحمل اسم سيدة من نســـاء الدنيا غير ســـورة « مريم » .. كما زاد القرآن فى تكريمها ، فأطلق اسم أهلها على سورة أخرى من سوره ، هى سورة « آل عمران » ..

وتلك علامة على المكانة الكبرى التى اختصهـــا بها القرآن ، والتى تنعكس على قلوب المســـلمين جميعا فى حبهم وتقديسهم لها ..

وفيما يلى بعض ما أورده القرآن الكريم من آيات ، تصور ـ ببلاغتها واعجازها ـ لمحات من حياة مريم العذراء .

من سورة « آل عمران » :

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

. . . .

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ

يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

ويقول تعالى في سورة « مريم » :

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا
شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ
تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾
قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ
أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا
مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي
وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ
لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ
قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ
كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ
ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ
وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ
أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾

موت قومسيونجى



عرض وتلخيص : الدكتور لويس عوض

هذه المسرحية ..

من المفارقات الغريبة أن اسم الكاتب الأمريكى « آرثر ميللر » لم يلمع بالقدر الذى يستحقه الا بعد زواجه من الممثلة الجميلة « مارلين مونرو » ، حتى لقد وصلت شهرته الى رجل الشارع الذى لا يحفل كثيرا بالأدب .

ولكن آرثر ميللر لم يكن نكرة قبل هذا الزواج ، بل كان علما من أعلام الادب الأمريكى المعاصر ، وكان مكانه فى المقدمة بين كتاب المسرح . واهم عمل من اعماله هو هذه المأساة « موت قومسيونجى » التى ظهرت سنة ١٩٤٩ ، ونالت جائزة (بوليتزر) المشهورة فى أمريكا وجائزة حلقة النقاد ، وأخذت مكانها فى المسرح العالمى ، حتى التفتت اليها السينما فأخرجها « ستانلى كرامر » للشاشة البيضاء .

وأهمية هذه المأساة فى أنها صورة من صور عصرنا ، صورة قاسية بشعة لما انتهى اليه الانسان فى هذه الحضارة الصناعية التجارية التى تطحن الانسانية طحنا ، وهى صورة أمينة لأنها تصور الضعف الفردى وسط مجتمع فيه من وحوش الغاب شىء كثير . وبطل هذه المأساة ليس أميرا ، ولا ملكا ، ولا عبقريا ، ولكنه واحد من بسطاء الناس ، يعيش فى دنياه البسيطة ، ويزاول عمله البسيط ، ويحلم أحلامه البسيطة ، ولكن الحياة لا ترحمه لأنه لا مكان فيها للبسطاء .. هذا هو « وليم لومان » القومسيونجى الذى أفنى عمره ــ أفنى خمسا وثلاثين سنة بالضبط ــ فى خدمة شركة من الشركات يعيش على ما يتقاضاه من مرتب صغير وعمولة صغيرة عن كل سلعة يبيعها .


آرثر ميللر

خمسا وثلاثين سنة قضاها « ويلى لومان » يسوق سيارته « الشفروليه » ثم سيارته « الستوديبيكر » آلاف الأميال كل أسبوع ، مسافرا بحقيبتيه المليئتين بالعينات ، من نيويورك حيث يقيم مع اسرته ـ زوجته « ليندا » ، وولده الاصغر « هارولد » ، أو هابى كما يسمونه ـ الى (بوسطون) فى الشمال والى (نيوهامبشير) و (مين) • والآن وقد أرهقه العمل ، وبلغ سن الشيخوخة وتجاوز الستين ، فلم يعد قادرا على سحر الزبائن ـ كما كان يفعل فى شبابه ـ يجيئه من مدير الشركة خطاب يقول ان الشركة لن تدفع له مرتبا شهريا ، وانه لن يحصل منها الا على العمولة عما يبيع من بضاعتها !

ولكن شيخوخة « ويلى لومان » لم يحطمها هذا الخطاب وحده ، وانما حطمتها أيضا كل احلامه الضائعة ، وأخص هذه الاحلام حلمه الكبير ، أكبر حلم فى حياته ، وهو ولده الأكبر « بيف » ، الذى كان يرجو له النجاح فى الحياة فلم يخرج منه الا شاب « هايف » ، « هلفوت » ، بلغ الخامسة والثلاثين من عمره يتقلب من عمل الى آخر دون أن يستقر فى الحياة على شىء ، بعد أن كان بيف زينة الفتيان أيام الدراسة الثانوية ، وأبرعهم فى كرة القدم ، وكان كل الناس يشيرون

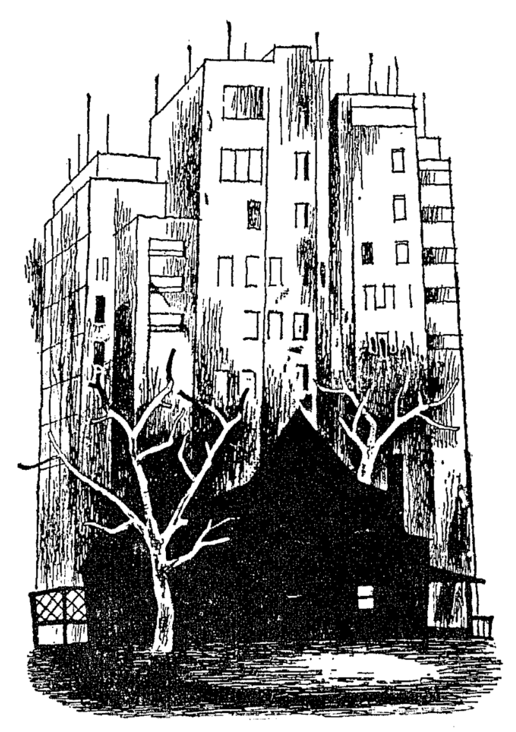
اليه بالبنان حتى انه فى سنة البكالوريا تلقى جملة عروض بمنح دراسية من جامعات مختلفة، واختار منها جامعة (فرجينيا) ... ولكن بيف رسب فى البكالوريا • وكان من الممكن أن ينهض من عثرته لولا أن حادثا مؤسفا حدث له فغير مجرى حياته كلها !

- ١ -

نحن الآن فى بيت « ويلى لومان » بضاحية (بروكلين) فى نيويورك • وهو بيت صغير تحيط به تلك العمارات الشاهقة البشعة من كل مكان ، بناه ويلى لومان بالتقسيط منذ ثلاثين سنة ، ولم يبق من ثمنه الا القسط الأخير • وحين بناه ويلى لومان لم تكن العمارات الشاهقة قد أحاطت به بعد ، ولكم كان يحلم بأن تكون له حديقة كبيرة حول المنزل يزرع فيها الخضر ، ولكن العمارات العالية من حوله لم تترك له الا فناء خلفيا مساحته ثلاثة أمتار فى ثلاثة أمتار !

وفى فراشها تجلس زوجته « ليندا » ، وهى امرأة فى سن الثالثة والخمسين من عمرها ، شاب شعرها ، وقد أيقظتها حركة سمعتها ، وتعلم أن زوجها عاد من رحلته ، فتلبس « الروب » منادية : « اهذا أنت يا ويلى ؟ » ، فيجيبها «لومان» بالايجاب •

ولايلبث ويلى لومان أن يدخل ويخلع جاكتته وكرافتته، فتساعده «ليندا» على ذلك بصورة آلية ، وهى تنظر اليه نظرة فيها استفهام كثير وقلق كثير ، فهو قد عاد من طوافه قبل الأوان !•• وتسأله ليندا ان كان قد حدث شىء أو كانت سيارته قد انكسرت ، فيجيبها فى غلظة أنه لم يحدث شىء البتة • كل ما حدث أنه عجز عن المضى فى سواقة سيارته الى آخر الطريق فعاد ادراجه •



« .. وهو بيت صغير تحيط به تلك العمارات الشاهقة
البشعة من كل مكان .. »

وبعـد أن يهـدأ ويلى لومان يروى لزوجته كيف أن زمام السيارة كان يفلت من يده حين بلغ ضاحية (يونكرز)، فكان يجنح بالسـيارة كثيرا الى اليمين وهو يسـوق بسرعة ستين ميـلا دون وعى منه ، ومرت عليـه خمس دقائق شرد فيها ذهنه تماما فليس يذكر منها لحظة واحدة • ولولا لطف الله لكان جنوحه الى اليسار ولاصطدم بالسيارات الأخرى • انه يعلم أن نظره سليم ، ولكنه فى الأيام الأخيرة لم يعد له سلطان على أفكاره ، ومع ذلك فلا بد من سفره كل أسـبوع الى ولاية (نيو انجلند) لتصريف بضاعة الشركة •

وتنصحه ليندا ، وهى تساعده على خلع حذائه ، أن يطلب الى مستر « هوارد » مدير الشركة أن يسمح له بالعمل فى نيويورك ، ولكن ويلى لومان يتحسر على أيام المدير السابق « مستر فاجنر » ــ والد هوارد ــ لأنه كان رجلا شهما يفهم متاعب مرؤوسيه ويساعدهم ما اسـتطاع الى ذلك سـبيلا ، وكان يختصه هو بالذات بكل عطف ؛ فهو الذى فتح أسواق الشمال للشركة بكده المتواصل • وتلح عليه ليندا فى ذلك ، فيتشجع ويلى لومان ويعدها بشرح حالته لهوارد ، لعـله يعفيه من هذه الرحلات المضـنية ويعينه فى وظيفة فى مركز الشركة بنيويورك •

ويتجـادل ويلى لومان وليندا فى أمر ولدهمـا الأكبر «بيف» الذى عاد اليهما أخيرا • • فقد تشاجر لومان وبيف قبل سـفر لومان ، وكان سبب الشجار أنه سـأل ابنه ان كان يكسب رزقه • انه محتار فى أمر «بيف» ، الذى ترك البيت منذ أكثر من عشر سـنوات ، وهو لا يكسب الآن الا خمسة وثلاثين دولارا أسبوعيا ، وينتقل من عمل الى عمل ومن ولاية الى ولاية دون أن يستقر على شىء • ان من كان فى سنه وجب

أن يكون ربا لأسرة • ولكن عيب بيف أنه رجل كسول «هايف» لا يحب العمل ، والا لشق طريقه فى الحياة • وهذا آخر عمل كان به : عامل زراعى فى (تكساس) ، وهو قد تركه !

وتدافع ليندا عن ولدها بيف قائلة انه ليس كسولا ، وانما هو يبحث عن موهبته الحقيقية • فيوافقها ويلى لومان على ذلك وهو يعجب كيف يضيع شاب مثله ذكى ، قادر ، جذاب الشخصية ، صبور على العمل ، فى أمريكا بلد الفرص والآفاق الواسعة ! •• كلا • ان بيف ليس «هلفوتا» ولا كسولا فهذه آخر صفاته • انه يذكر كيف كان « بيف » فى المدرسة الثانوية فخر لاعبى الكرة وموضع اعجاب الجميع • انه يعرف أن المخترع « اديسون » و « جودريتش » صاحب اطارات جودريتش وغيرهما لم تتفتح مواهبهم الا فى سن متأخرة • وهو يراهن أن ولده بيف سينجح آخر الأمر •• ويتوه لومان فى الذكريات •

- ٢ -

ويستيقظ الابنان « بيف » و « هابى » على صوت أبيهما • ويبدى « هابى » انزعاجه على ما آلت اليه حال أبيه، فهو كلما خرج بسيارته ــ فى الأيام الأخيرة ــ يرتكب مخالفات المرور ، فهو يقف عند النور الأخضر وينطلق عند النور الأحمر ، وهو قد كثرت حوادثه • ويرجو هابى أخاه الأكبر بيف أن يصفو لأبيه ، وأن ينسى ما كان بينهما من شجار حاد فى الصباح قبل خروجه الى العمل • ان شيئا ما يعترى أباهما ، فهو يحدث نفسه ، وهو كثير الذهول • بل هو كلما كلم نفسه بدا وكأنه يكلم بيف بكلام غير مفهوم • فلاشك أن قلقه على مستقبل بيف وراء هذه الأزمة التى يمر بها •

ويجيب « بيف » فى غموض أنه ليس وحده المسئول عن انقباض أبيه ، فهو يعلم أن فى عقل أبيه شيئا آخر يجثم على صدره ، ويملؤه بهذه الخواطر السوداء • أما هو فلا يعرف لنفسه هدفا فى الحياة • انه جرب العمل فى المدن فضاق به وطلب الخلاء ، وجرب العمل فى الحقول فضاق به وطلب المدن ، انه إشتغل كاتب شحن وقومسيونجيا وتاجرا وراعى خيل ، وكان فى كل مرة يحن الى ما ليس له • انه أضاع حياته • وهو ليس بشاعر ــ كما يقول أخوه هابى ــ بل رجل مبلبل ! ولعل الزواج يعلمه الاستقرار ، فيصبح مثل هابى سعيدا ناجحا •

ولكن هابى يقول انه أبعد ما يكون عن السعادة • انه حقا مستقر لا بأس بدخله ، يقيم بالقرب من والديه ويملك سيارة • ولكن أى أمل له فى الحياة ؟ انه مساعد مدير قسم البضائع ، ولم يبق له الا أن ينتظر موت المدير ليرقى الى وظيفته ! وهبه أصبح مدير قسم البضائع ، فماذا بعد ذلك ؟ ان عنده كل ما يريده : شقته وسيارته وعدد لا يحصى من البنات • ومع ذلك فهو يحس بالوحدة القاتلة • ان موظفي المحل يفسحون الطريق للمدير حين يمر ، وهو لا يفضله فى شىء • والسبب بسيط : انه قوى بماله ، وآل لومان لا يعرفون كيف يجمعون المال ! انه يحلم ــ مثل بيف ــ أن يكون له فى يوم من الأيام مزرعة • نعم • مزرعة جميلة يملكها الأخوان لومان معا • هذه فكرة بارعة • ولكن اذا كان هابى لا يعرف كيف يجمع المال ، فهو يعرف كيف يغازل النساء ، منذ أن علمه أخوه بيف كيف يغازل النساء • وهو متخصص فى اغواء نساء رؤسائه ، ولا شك أن روح المنافسة قد اتخذت هذه الصورة عنده •

ويشجع بيف أخاه هابى على التفكير فى شراء المزرعة ٠ انه يعرف مصدرا يقترض منه عشرة آلاف دولار لهذا الغرض٠ انه كان يعمل فى متجر « بيل اوليفر » منذ عشر سنوات ، وكان « بيل اوليفر » صاحب المتجر يحبه حبا عظيما ويقدر كفاءته ٠ ويوم خرج من خدمته أحاط بيل كتفيه بذراعه وقال: « ان احتجت لأى شىء يا بيف فتعال الى » ٠٠ انه سيذهب الى « بيل اوليفر » ويطلب اليــه اقراضــه هذا المبلغ لشراء المزرعــة ٠ ولكن « بيل أوليفر » كان يعتقــد أن بيف سرق صندوقا من كرات (الباسكت بول) من متجره ٠ ولعله الآن قد نسى الموضوع كله بعد فوات عشر سنوات ٠ ولكن « بيل أوليفر » لم يطرده من عمله ٠ وبيف لومان لا يعرف ما خطبه٠ فى كل مرة ترك فيها عمله كان يخرج بعد أن يسرق شيئا ، شيئا عديم القيمة ، شيئا لا يستحق السرقة ، وكان أحيانا يضبط ويطرد ، واحيانا يختفى من تلقاء نفسه !

كل هذا والأب ويلى لومان مسترسل فى هذيانه ٠ انه لا يتوه فى الذكريات كما يفعل غــيره ، بل يستحضر الماضى البعيد ، ويعيش فيه كأنه يحياه فعلا كلما حلت به نوبة من هذه النوبات ، فاذا به يرى النــاس والأشياء رؤية العين ، ويحدثهم ويسمع كلامهم كأنهم ماثلون أمامه فعلا :

.. ..

هاهما بيف وهابى يدخلان عليه وهما فى سن الدراسة الثــانوية ، ويملأ ويلى لومان عينيه اعجابا بولده بيف الذى سيبرز في مباراة الكرة السنوية . وويلى لومان يداعب الفتى بيف قائلا انه لا ينبغى له أن يأخذ البنات مأخذ الجد ، فهو مازال صغيرا ، وعلى كل حال لاينبغى أن يعد احداهن بشيء لان البنات يصدقن وعود الشبان . ان البنات يلتففن حول بيف الوسيم ويشترين له الجلاس والشوكولاته.فليلعب بيف ماأحب أن يلعب ، ولكن حذار أن يعد بنتا بشيء ؟ ! ان المستقبل أمامه عظيم ،

والجامعات ستتخاطفه حين يحصل على البكالوريا . وويلى لومان نفسه اصبح رجلا صاحب نفوذ ، فهو يستطيع ان يقابل عمدة (بوسطون) ووجهاء القوم ، وهم يحبونه . ماأكثر أصدقاءه ! ماأكثر اصدقاء القومسيونجى ! وبفضل اصدقائه ومحبيه سيساعد ويلى لومان ولديه على شق طريقهما فى الحياة على أحسن وجه ! ويدخل الفتى «برنارد» ابن جاره تشارلى ، وهو زميل بيف فى المدرسة ، ويطلب من بيف أن يكف عن التدريب على الكرة، وأن يمضي معه لمذاكرة الدروس ، فالامتحان قريب . ثم ان مستر «بير نياوم» مدرس الرياضة يقول ان بيف سيرسب فى الرياضة اذا لم يذاكر المقرر ، وهو لن يعطيه نمرة واحدة فوق مايستحق .. وهذا انذار اخير . واذا لم يحصل بيف على البكالوريا فلن تقبله جامعة فرجينيا ، وان كانت قد عرضت عليه منحة دراسية لتفوقه في كرة القدم، ثم ينصرف برنارد قائلا انه سينتظر بيف فى غرفته للمذاكرة .

ويدافع ويلى لومان عن ولده بيف قائلا ان برنارد فتى هزيل الجسم يلبس نظارات ، امارات « الانيميا » بادية عليه.وهو لهذا يغار من بيف وتفوقه فى كرة القدم !.. ولكن برنارد مخطىء ، فالدروس ليست كل شيء ، واهم من الدروس أن يكون الفتى صاحب شخصية قوية جذابة ، ومظهر جميل ، وموضعا لحب الناس . وسيرى برنارد وكل الفتيان الذين يكدون ابصارهم واجسامهم بالدراسة أن بيف سيسبقهم في معترك الحياة !

وتتمثل له ليندا ـ وهى بعد فى شبابها الناضج ـ تحمل سبت الغسيل ، فيأخذ بيف وهابى منها السبت ويخرجان بالغسيل لنشره . وتجلس ليندا ليحدثها «ويلى» عن ثمرة رحلته الى (بوسطون) فى ذلك الاسبوع . فيقول متفاخرا انه باع نحو خمسمائة «قاروسة»فى(بروفيدانس) وسبعمائة فى (بوسطون) . وتبتهج ليندا وتحسب عمولته بالقلم والورقة فتجد أنه كسب فى أسبوع واحد مائتى دولار .. ولكن ويلى لومان لايلبث ان يتواضع فى الرقم فيقول انه لم يبع فى الرحلة كلها الا مائتى قاروسة، فربحه منها نحو سبعين دولارا فقط .

ويوزع الزوج ربح الاسبوع على الديون . فقسط الثلاجة الكهربائية ١٦ دولارا ، وقسط الغسالة الكهربائية ١٠ دولارات ، وقسط المكنسة الكهربائية ٤ دولارات ، واصلاح السيارة ٤ دولارات . المهم أن مجموع الديون المستحقة بعد ٤ أيام يبلغ ١٢٠ دولارا .

ويغتم ويلى لومان لقلة مكسبه ، رغم انه يعمل اثنتى عشرة ساعة يوميا ، ولكن زوجته تعزيه باسمة وهى تقول : «ان الاسبوع المقبل سيكون أحسن من هذا الاسبوع» . وتجلس ليندا وتخرج من مريلتها جوربها وتبدأ فى رتقه ، ويعود ويلى الى شكواه . ان الناس لايلتفتون اليه . انه يعلم السبب . انه ثرثار مهذار . وجاره تشارلى رجل ناجح لانه قليل الكلام فالناس تحترمه . أنه يعرف السبب . ان ملبسه خال من الاناقة . وتهدئه ليندا قائلة فى حب عميق انه أعظم الرجال أناقة فى نظرها .

وكأنما فتحت هذه العبارة طاقة في عقل ويلى لومان . فاذا بليندا الجالسة أمامه تختفي في ظلام غريب ، واذا به يسمع ضحكات امرأة ، ولكنه يستمر فى مخاطبة ليندا قائلا انه يغبنها كثيرا ، ولكنه يتمنى أن يعوضها عن هذا الغبن ... وهذا هو يسمع ضحكات المرأة المتلئة ، ويسمعها تقول له ـ وهى تتطلع الى وجهها فى المرآة ـ ان الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل ، ولابد له من الانصراف ، وموعدهما اذن بعد اسبوعين عند عودته الى (بوسطون) . وهى تشكره على الجوارب الحريرية التى أهداها اليها . انها تتمتع معه بأطيب الاوقات فهو رجل مهذار مسل ،



وهى تحب الضحك . ثم تنصرف المرأة ، وتمثل أمامه زوجته ليندا من جديد ـ وهى ترتق جوربها الحريرى ـ وتقول انه أعظم الرجال اناقة في نظرها . وتضيف فى رفق أنه لم يغبنها قط .

وينتبه ويلى لومان في احلامه الى أن ليندا ترتق جوربها ، فيغضب ويعنفها طالبا اليها ان تكف عن ذلك ، وأن تقذف بالجوارب القديمة كلها فى الشارع ، فهو لايقبل نظرياتها فى الادخار .

.. ..

وينزل هابى فى بيجامته ـ هابى الرجل لا هابى الغلام ـ ويراه أبـوه فى رجولته الكاملة ، فيفيق من أحلامه البعيدة ويعود الى واقع الحياة . ويسأل هابى اباه عن سبب عودته البـاكرة ، فيروى له ما اعتراه من نوبات فى الطـريق . ويتأمل ويلى لومان ما آلت اليه حاله ، فهو نموذج للفشـل فى الحياة : شيخ تجاوز الستين انهارت صحته وأعصابه من كثرة العمل ، وهو رغم ذلك مضطر الى الاستمرار فى العمل ليكسب قوته اليومى .

ويلوم ويلى لومان نفسه على أنه لم يسـتمع الى نصح اخيه الأكبر « بن » ويذهب الى (ألاسكا) مغامرا وراء المال . نعم ، ان أخاه « بن » مثل للرجل الناجح فى الحياة . ان فى الحياة لغزا لا يفهمه ويلى لومان . ان اخاه «بن» عرف مايريده فى الحياة وخرج وراءه فكان له ما أراد . ان الحياة غابة وأخوه «بن» دخلها وهو فى السابعة عشرة من عمره ، ثم خرج من الغابة ـ وهو فى الحادية والعشرين ـ ثريا ثراء قارون. فليعلم هابى اذن ان الحياة صدفة فيها لؤلؤة ، ولكن الصدفة لاتكسر على وسادة ناعمة . فليتعلم هابى هذا الدرس من عمه !

ويأتي جارهم « تشارلى » والد « برنارد » بعد أن سمع الضوضاء فى بيت ويلى لومان .. يأتى مستفسرا عن سبب

عودة ويلي • وحين يعلم ما اصابه في الطريق ، يعرض على ويلي لومان وظيفة عنده تمكنه من البقاء في نيويورك ، وتجنبه السفر المتواصل • ولكن كبرياء ويلي لومان تجعله يرفض هذا العرض في غلظة ، فكيف يشتغل موظفا عند جاره ؟!

ويشعر ويلي لومان بالذلة ، فيتوه في بحار الذكريات وهو يحدث جاره تشارلي ويتمثل أمامه شخص أخيه « بن » حاملا شمسيته وهو يحادثه ، قائلا انه لو كان قد خرج معه الى (الاسكا) لما انتهى الى هذه الحال • ويروى له كيف أنه خرج وراء حظه وهو غلام الى (الاسكا) ، ولكن معرفته بالجغرافيا كانت ضئيلة ، وبدلا من أن يبحر شمالا أبحر جنوبا فوجد نفسه في افريقيا ، وهناك وجد مناجم الماس !

وفي هذيانه يرى ويلي لومان ولديه بيف وهابي - وهما بعد في شرخ الفتوة - ويعرفهما بعمهما الذى دخل الحياة وهو فى السابعة عشرة خاوى الوفاض ، وخرج منها فى الحادية والعشرين وهو يملك الكنوز . ويقول ويلى لومان متهللا ان المعجزات لاتزال تحدث فى الحياة ، وما على ولديه الا اتخاذ عمهما مثلهما الاعلى فى الحياة . انه يربيهما على الرياضة والخشونة ليكونا في قوة عمهما . ويقول العم ((بن)) للفتى ((بيف)) : ((هيا . جرب ان تلاكمنى ، هذه بطنى . اضرب باقصي قوة !)) .. ويعتذر بيف في خجل قائلا انه لايستطيع أن يفعل ذلك . ولكن اباه يأمره أن يفعل ذلك . ويتأهب بيف للملاكمة . ولكن سرعان مايجد نفسه طريحا على الارض بعد أن قلبه عمه ((بن)) ، ويرى عمه ((بن)) يسدد شمسيته الى عينيه قائلا : ((هذا درس لك يابنى . لاتكن رياضيا أبدا مع الغريب ، والا لما خرجت قط من غابة الحياة)) ، ثم ينظر الى ساعته ويقول بلهجة مهذبة وهو ينحنى : ((والآن وداعا ! فلابد أن أرحل ! كان شرفا عظيما ومتعة عظيماة أن أزوركم. انى مسافر لاتمام صفقة ، وسأزوركم مرة أخرى فى طريق عودتى الى افريقيا)) .. ثم ينصرف .

.. ..



« .. ويرى عمه « بن » يسدد شمسيته الى عينيه .. »

وينهض ويلى لومان كأنه يبحث عن شىء ، ثم يقـول انه خارج لنزهة صغيرة . وترتاع ليندا لأن زوجها يهم بالخروج وهو يلبس شبشبه ويهمهم : « ان بن على صواب . ان بن على صواب ! » .. وتذكره ليندا بأنه يلبس شبشبه . وينزل بيف فى بيجامته ليرى أباه على هذا الحال من الذهول وهو يـكلم نفسه . ويسأل بيف أمه فى انزعاج ان كان أبوه دائما على هذه الحالة ، فتجيبه بأن حالته تشتد سوءا كلما عاد بيف الى البيت ، وكلما تلقى خطابا بمجيئه يتهلل أبوه فرحا ويشرق وجهه طول الوقت . ولكن عندما يقترب وقت مجيئه يشـتد اضطرابه ، فلما يصل بيف يبدأ أبوه فى المشاحنة والشجار معه كأنه لا يطيق رؤيته !

وتسأل ليندا ولدها بيف عن سر هـذه البغضاء التى تستولى عليه وعلى أبيه كلما التقيا • فيروغ بيف من الاجابة ، ويقول ان أباه مجنون • وتغضب ليندا قائلة ان بعض الناس يظنون أنه فقد توازنه العقلى ، ولكنه متعب لا أكثر ولا أقل • ان ويلى لومان رجل متعب • انه ليس رجلا عظيما ، واسمه لا ينشر فى الصحف ، وهو لم يكسب مالا كثيرا ، وهى لاتدعى أنه أبدع خلق الله ، ولكنه انسان • ان شيئا فظيعا يحل به ، وهو بحاجة الى رعاية فى شيخوخته • ان ولديه هلفوتان لا نفع فيهما : هابى يجرى وراء البنات ، وبيف يهاجر كالطير ويعود كل سنة مع الربيع ، وهو لا يظهر الحب أو الاحترام الكافى لأبيه • ان ويلى لومان بحـــاجة الى رعاية • نعم ، لابد من رعايته • ان غيبة بيف تكسر قلبه ، ويجب أن يقيم بيف مع أبيه فى نيويورك ويرعاه ، ولكن فليعلم بيف أنه لا مكان له فى البيت اذا لم يظهر الحب والاحترام الواجبين لأبيه •

ان ويلى لومان يقترض كل أسبوع خمسين دولارا من جاره تشارلى ، ويدعى أمامها انها مرتبه ، وهى تعلم أن رئيسه الجديد « هوارد » حرمه من مرتبه ولم يعد يعطيه الا العمولة • ان بيف لا يعرف ما يفعله ابوه • ان كل الناس تظن أن حوادثه الكثيرة نتيجة لاضطرابه ، ولكنها تعلم أنه يحاول الانتحار • ويوم دخل بسيارته فى درابزين الكوبرى الصغير وسقط فى الترعة ، لم ينقذه الا ضحولة الماء ، وقد أثبت الشهود أنه كان يسوق بمنتهى البطء وان سيارته لم تنزلق • انها اكتشفت انه ركب أنبوبة من المطاط على صنبور الغاز فهو يفـكر فى الانتحار • انها خجلى لا تعرف كيف تواجهه بهذا • وفى كل يوم ما أن يخرج زوجها الى عمله حتى تنزع أنبوبة المطاط ، ثم

تعيدها الى مكانها حين يعود ، حتى لا يحس بأنها تراقبه أو بأنها تشك فى شىء !

وتنهمر دموع ليندا غزارا وهى تقول كل ذلك ، وتكفكف دموعها متظاهرة بالشجاعة · ويحس بيف وهابى بالندم العميق · ويعد بيف أمه بالبقاء الى جوار أبيه ، والبحث عن عمل فى نيويورك ، وارضائه بكل وسيلة ممكنة ·

ويعود ويلى لومان ليجد بيف وهابى فى انتظاره ليعلنا له الخبر الخطير ، وهو أن بيف قرر البقاء فى نيويورك · ويتشاجر بيف وأبوه أولا ثم يتصافيان · ويعلن بيف أباه أنه ذاهب فى الصباح الى صديقه ورئيسه القديم «بيل أوليفر» ليقترض منه عشرة آلاف دولار ، فقد اتفق بيف مع أخيه هابى على افتتاح محل لبيع أدوات الرياضة وانشاء فريقين للباسكت بول يتباريان فى كل مكان للاعلان عن محلهما · وينظر ويلى لومان الى ولده بيف فى اعجاب · ان هذه فكرة تساوى مليون دولار ، ولا شك أن بيل أوليفر سيعجب بالفكرة ويقرضه المال اللازم · ويذهب يزود بيف بالنصائح : يجب أن يكون هادئا حين يزور مكتب بيل أوليفر ، وأن يتسم بالجد والوقار ، وأن يمتنع عن الثرثرة · يجب أن يتمسك بخمسة عشر ألف دولار ولا يقبل قرضا أقل من هذا ، فالفكرة عظيمة ورجال الأعمال لا يخافون من الأرقام · واذا سقط شىء من مكتب « بيل أوليفر » فلا ينبغى أن ينحنى بيف لرفعه ، فهذا عمل الخدم !!

وتسبح الأسرة كلها فى الأمل الباسم ، وتعود السكينة الى قلب ويلى لومان ، وتتجدد نفسه بالأمل · وحين يخلد الى فراشه لا تنسى ليندا أن تذكره بأن يقصد فى الغد الى مدير الشركة هوارد ليطالبه بوظيفة فى نيويورك ·



ويغمض ويلى لومان عينيه ، وينام نوما قريرا لم يذقه منذ زمان طويل ، فى حين تمتد يد بيف الى ظهر مدفأة الغاز فتقع يده على أنبوبة المطاط ، فينظر اليها بارتياع !

- ٣ -

وفى الصباح يقصد كل الى وجهته وصدره زاخر بالأمل ٠ يقصد ويلى لومان الى مكتب رئيسه هوارد ، ويقصد بيف الى مكتب رئيسه القديم بيل أوليفر ٠ ويتواعد الولدان مع أبيهما على الاحتفاء به مساء فى مطعم « فرانك » حيث يتعشى ثلاثتهم عشاء فاخرا احتفالا بهذا اليوم السعيد !

ويجد ويلى لومان المدير هوارد فى مكتبه متهللا كالأطفال وقد وضع أمامه آخر اختراع بل معجزة الاختراعات : « الريكوردر » : أو مسجل الصوت ، وأخذ يستمع الى صوته وصوت زوجته ، وابنته وابنه وهو يتلو فى صوت منغم : « الاباما وعاصمتها (مونتجومرى) ، أركانساس وعاصمتها (ليتل روك) ، كاليفورنيا وعاصمتها (ساكرامنتو) الخ ٠٠ » ويشرح هوارد لويلى لومان فوائد الجهاز الجديد فى لغو من لغو الصبية ، وأخيرا يتنبه الى

انه يخاطب ويلى لومان ، فيسأله عاجبا عن سبب مجيئه وتخلفه عن السفر الى (بوسطون) ؟!

ويدخل ويلى لومان فى الموضوع • انه جاء يطلب وظيفة فى مقر الشركة تعفيه من السفر المتواصل ، فهو قد بدأ يحس بالارهاق • ويجيبه هوارد بأنه يقدر ظروفه ولكنه لا يجد له وظيفة فى نيويورك • ويذكره ويلى لومان بوعده السالف يوم عيد الميلاد ، ويذكر هوارد هذا الوعد ولكنه يتنصل منه • ان مقر الشركة ليس فيه الا ستة يقومون بالبيع ، أما هو فعمله هو عمل القومسيونجى المتنقل من بلد الى بلد •

ويخاطب ويلى لومان فى هوارد انسانيته • ويذكره بأن أباه المرحوم مستر « فاجنر » كان يحبه ويعطف عليه • كان يعمل للشركة أيام كان أبوه يحمله بين ذراعيه ويدلله فى المكتب • نعم ، تلك كانت أياما جميلة • انه يذكر ان المرحوم مستر فاجنر جاءه عند ولادة هوارد ،وسأله عن رأيه فى اسمه • انه لا يطلب الا خمسين دولار فى الأسبوع •

ولا يحرك هذا الكلام عاطفة فى نفس هوارد ، بل يبدأ يتململ فى مكانه • انه يقدر كل هذه الذكريات الجميلة ، ولكن العمل عمل والعواطف عواطف ولا يلتقى الاثنان • وينفعل ويلى لومان فيندفع فى الكلام ــ و « هوارد » شبه شارد عنه ــ قائلا انه لاينسى الأيام القديمة حين كانت المهنة فنا شريفا يقوم على التقدير الشخصى ، والتعاون ، والاحترام ، وروح الزمالة، والاعتراف بالجميل ! أما اليوم فكل شىء غدا آليا لا مكان فيه للتقدير الشخصى ، أو لأى مبدأ من هذه المبادىء الجميلة • ان الناس يتنكر بعضهم لبعض ، وينسون الصداقة والوفاء تحت شعار ان العمل عمل ••• انه يرضى بأربعين دولارا فى الأسبوع !

ولكن هوارد لا يلين • ويذكر ويلى لومان هوارد وهو

نائر بوعود أبيه ، وبتفانيه فى خدمة الشركة ، ولكن هوارد يوليه ظهره قائلا ان لديه أعمالا كثيرة • وحين لا يفيد كلام ، يرضخ ويلى لومان للأمر الواقع ويقول : « سأسافر اذن الى بوسطون » • فاذا بهوارد يجيبه بأن الشركة بغير حاجة الى سفره ، وأنه بحاجة الى راحة طويلة • وقد أراد منذ مدة أن يبلغه رغبة الشركة فى الاستغناء عن خدماته ، وهــذه فرصة مناسبة • وحين يسترد ويلى لومان صحته ، يمكنه أن يمر به ليرى ان كان هناك مجال لاستئناف العمل !

ويسقط فى يد ويلى لومان ، ويقول بصوت مختنق انه بحاجة الى أن يكسب قوته ، فيجيبه هوارد قائلا ان له ولدين يستطيعان أن يعولاه • تم يتركه وينصرف •

وتظلم الدنيا فى عينى ويلى لومان ، ويتوه فى ذكريات الماضى ، ثم يرتد الى رشده أو بعض رشده ، ويخرج وهو يكلم نفسه ، ونظرات الناس تحدجه فى المصعد •

وفى خروجه يلتقى ويلى لومان ببرنارد ابن جاره تشارلى، ويسلم عليه فى ذلة وحرارة معا ، فهو لم يره منذ زمن • ان برنارد زميــل ولده بيف فى الدراســة ، تخرج من الجامعة وأصبح محاميا ناجحا • ان ويلى لومان لا يفهم • لابد أن فى الأمر سرا • كل الناس ناجحون الا هو وولديه • ويسأل ويلى لومان برنارد فى ذهول : « ما السر ؟ •• أجبنى • » ويعجب برنارد لهذا السؤال الغريب ويسأله : « أى سر ؟ » •• فيقول ويلى لومان : « كيف نجحت ؟ وكيف فشل بيف ؟ » ان برنارد كان زميل بيف حتى البكالوريا ، ان حياة بيف توقفت عند البكالوريا !

ولا يجد برنارد ما يقوله الا أن بيف لم يعد نفسه لأى عمل فى الحياة • ويكذب ويلى هذا قائلا ان بيف درس هندسة

الراديو والتلفزيون وأشياء كثيرة بالمراسلة ، ومع ذلك لم يوفق في شيء ٠

ويسأله برنارد أن يجيبه بصراحة ٠ ان أمرا ما حدث لبيف سنة البكالوريا وغير مجرى حياته ٠ فماذا حدث ؟ انه رسب في الرياضة ٠ وكان يعتزم الاستعداد للملحق أثناء الصيف ، ولكنه لم يفعل ، ولو أنه فعل لحصل على البكالوريا ودخل الجامعة ، وسارت كل أموره سيرها الطبيعي ٠ فهل أبوه هو الذى أشار عليه بعدم دخول الفصول الصيفية ؟

ان ويلى لومان لم يشر على ابنه بشيء من هذا ، بل على العكس من ذلك أمره بدخول المدرسة الصيفية ، ولكن بيف لم يدخل ٠ فلماذا لم يدخل بيف المدرسة ؟ هذا هو السؤال الذى لاحق ويلى لومان نفسه خمس عشرة سنة دون أن يعرف له جوابا ٠ انه سقط في مادة الرياضة ، ثم سقط بعدها كميت هوت عليه مطرقة ولم ينهض بعدها من كبوته ! ٠٠ ومع ذلك فبرنارد يقول ان رسوب بيف لم يكن له أى أثر في معنوياته، فقد كان على أتم استعداد لدخول المدرسة ٠ وسافر الى بوسطون ليقابل أباه ، ولكنه بعد عودته من بوسطون كان شخصا آخر !

- ٤ -

ويأتي تشارلى والد برنارد فيطلب اليه ويلى لومان أن يقرضه مائة دولار ، فأمامه قسط التأمين ، وأمامه آخر قسط من أقساط البيت يدفعه فيصبح البيت ملكه ، بعد خمس وعشرين سنة ! ويجدد عليه تشارلى عرضه السابق ان يعمل ويلى لحسابه مقابل خمسين دولارا أسبوعيا ٠ ولكن ويلى لومان يرفض رفضا باتا ، متظاهرا بأنه لايبحث عن عمل ٠ ويرثى تشارلى لهذه الأزمة النفسية التى يعانيها جاره ويلى لومان ،

فيعطيه ماطلب . وتنهار أعصاب ويلى لومان فيروى لتشارلى ان هوارد فصـله رغم ماكان بينه وبين أبيـه من ود قديم ، فيجيبه تشارلى بأنه ينبغى أن يستيقظ من أحلامه ، فليس للمرء فى هذه الحياة الا ما يستطيع أن يبيعه . ان ويلى يتحدث عن الحب بين الرجال ، فمن الذى يحب المليونير «مورجان» ؟ ومن ذا الذى يؤخذ بشخصيته ؟ ان مورجان لو دخل حماما تركيا لما كان هناك أى فرق بينه وبين أى جزار فى أمريكا !

وفى مطعم فرانك يعد هابى العدة للعشاء الكبير ، وفى المطعم تصخب الموسيقى الراقصة ، ويعد الجرسون « ستانلى » المائدة ، ويجهز أكواب الشمبانيا للاحتفال . وفيما ينتظر هابى أخاه بيف وأباه ، يلمح غانية جميلة ، ويغازلها . وبعد دقيقه يتقارعان الكؤوس . ويصل بيف الى المطعم ، وينضم اليهما ، ويطلب هابى من الغـانية أن تدعو صـديقة لها ترافق أخاه بيف ، فتمضى الى التليفون .

ويروى بيف لهابى ما كان من أمـره مع بيل أوليفر . انه انتظر خارج مكتبه ست ساعات ولم يستطع أن يقابله . وحين خرج بيل أوليفر من مكتبه جرى خلفه فوجده لا يذكر شيئا عنه ، فلما ذكره بنفسه رمقه بنظرة احتقار قائلا : « أنت لم تكن بائعا فى محلى . انت كنت كاتب شحن » ثم انصرف ومن بعده سكرتيرته ووجد بيف نفسه وحيدا ، فدخل مكتب بيل أوليفر وسرق قلمه الابنوس الفاخر بلا وعى .. ثم انطلق كالمجنون !

ان حلمه وحلم أبيه قد تبددا . ترى كيف يواجه أباه بالحقيقة ؟ ان أباه بحاجة الى خبر سعيد يرفع معنوياته . محال أن يسـتمر هذا الحال . ان آل لومان كلهم يعيشـون على الأوهام ، ولا بد أن تتبدد الاوهام ويجابهوا الحقيقة !

ويصل ويلى لومان الى المطعم . وحين يعرف بحقيقة ماكان

بين بيف وبيل أوليفر ينقض عليه الخبر كالصاعقة . ان الغابات تحترق من حوله ، وهو الآن محاصر بين النيران . انه فصل من عمله . وهذا بيف يجيئه بالخبر المشئوم !

وتتجمع السحب فى عقل ويلى لومان من جديد ، ويرجع الى الماضى البعيد ، عام رسب بيف فى البكالوريا ، فسافر الى بوسطون ليبلغ أباه برسوبه ، وليطلب اليه أن يتوسط عند المدرس « بيرنباوم » ليعطيه ثلاث درجات فى الرياضة فينجح .

.. ..

ويتمثل ويلى لومان نفسه فى بوسطون .. فى الفندق الذى تعود أن ينزل فيه .. والساعة الثانية صباحا . وباب حجرته يدق، والمرأة المتلئة الى جواره فى الفراش تقول : «انهض وانظر من الطارق» .. فينهض ، وتختفى المرأة فى الحمام . ويفتح ويلى لومان الباب فاذا به أمام بيف . ويدخل بيف ويبدأ في الحديث عن الامتحان . وتضحك المرأة المختبئة في الحمام ، ثم تدخل على ويلى لومان وبيف عارية لايسترها الا سروال أسود!



ويصعق بيف ! .. ويحاول ويلى لومان أن يفهمه ـ والعرق يتصبب من وجهه ـ أنها مجرد جارة له فى الفندق ، لجأت الى غرفته حتى يتم طلاء غرفتها . وتنهمر الدموع من عينى بيف ، وينظر الى أبيه فى احتقار شديد ثم ينفجر فيه قائلا : «لاتمسنى أيها الكذاب .. أنت رجل مزيف» .. ثم ينطلق خارجا ، ويترك أباه راكعا على الارض يضربها بقبضته .

.. ..

ويسقط ويلى لومان على أرض المطعم ، ويفيق من بحرانه. ويساعده الجرسون ستانلى على النهوض . ويبحث عن ولديه فلا يجدهما . ويعلم انهما غادرا المطعم مع الفتاتين حين رأياه يكلم نفسه ويهذى بعبارات غير مفهومة ، وقد أنكرا أمامهما ، كل صلة به !

ويساعده الجرسون ستانلى على اصلاح هيئته ، ويرفض رفضا تاما أن يقبل منه أى بقشيش . ويعود ويلى لومان الى بيته . وفى طريقه يمر بدكان يبيع البذور . كان حلما من أحلام حياته أن يزرع البنجر والجزر فى الفناء الخلفى الصغير الواقع وراء بيته . وفى البيت تعنف ليندا ولديها على تركهما أباهما فى المطعم . وينكر بيف وهابى انه كان فى خطر ، ويزعمان انهم كانوا جميعا على أحسن حال مع فتاتين صديقتين . وتنهال عليهما أمهما بالشتائم وتطردهما من البيت . انهما فى مصاف الحيوان . لقد كان فى امكانهما أن يؤجلا صحبة البغايا الى يوم آخر !



وترقب ليندا زوجها وهو فى الفناء الخلفى يقلب الأرض ويدفن البذور ، لكنه فى بحران . انه يكلم نفسه ويكلم أخاه « بن » قائلا : « اسمع لهذا المشروع يا « بن » ، وقل لى رأيك ، انه مشروع عظيم .. عشرون ألف دولار مضمونة مائة فى المائة .. انها قاست كثيرا يا بن .. أتفهم ما أقول؟ ان زوجتى قاست كثيرا » ..

ويسمع ويلى لومان أخاه بن يسأله : « هل أنت واثق من ان شركة التأمين ستدفع البوليصة ؟ » فيجيبه ويلى لومان: «نعم . دون أدنى شك . كل قسط من أقساطها مدفوع» .. ويقول بن : «سيقولون انك جبان» .. فيجيب ويلى لومان : « وأى شجاعة فى أن أستمر فى حياة لا قيمة لها ؟ »

ويقتنع بن ويقول : « هذا مشروع عظيم . تأكد فقط انهم سيدفعون بوليصة التأمين . »

وترتاح نفس ويلى لومان لأن أخاه بن قال انه راض عن مشروعه الكبير . ويرى فى حلك الليل عشرين ألف دولار ، وكأنها ماسة كبيرة ، تلمع فى الظلام ! .. ويرى الماسة فى يد زوجته !



ويكون سـكون ..
وتسمع ليندا وبيف وهابى موتور السيارة يخفق ثم ينطلق .

وهكذا تكون نهاية القومسيونجى

وبعد قليل تجتمع أسرته حول قبره .. ثم ينصرف بيف وهابى ، ويتركان أمهما المتشحة بالسواد راكعة عند قبره .. وفى يدها باقة من الأزهار !!


هذه الأوعية الادخارية
تجعل حياتك منتظمة
كالساعة !
صندوق توفير
البنك الأهلى المصرى
فائدة ٣٪ سنويًا
شهادات استثمار
البنك الأهلى المصرى
ذات الجوائز
تدفع فيها القليل وتعطيك الكثير
ودائع لأجل
بفائدة تصل إلى ٤٪ سنويًا
حسابات
الإخطار
البنك الأهلى المصرى
خبرة ٧٠ عامًا فى كافة الأعمال المصرفية



« .. وقال وهو يجذب « أمنريس » من ذراعها ويلهث : ألم تسألى ؟ .. ألم تسألى النار بعد عن مصيرنا ؟ .. ان جيوش فرعون تتقدم صوبنا ، وأكبر ظنى أن المعركة الفاصلة ستنشب غـدا .. فخاطبى النار وطمئنينى ! .. فصاحت وهى تعانقه وتطبع على فمه المختلج قبلة مشغوفة ظمأى : ستنتصر يا سالتيس ! »

« وقعت حوادث القصة فى عهد فرعون مصر ((احمس))
وكان (الهكسوس) ، وهم قبائل أسيوية همجية ، قد اغتصبوا
ارض مصر ، وظلوا يعيشون فيها ويسومون أهلها الاســـتبداد
والظلم . فلما ظهر فى اواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد فرعون
((احمس)) ، قاتلوم وانتصر عليهم ورد فلولهم الى آسيا ، ثم
اقام امبراطورية مصرية صميمة هى امبراطورية طيبة الثانية »

- ١ -

- **كان** الظلام حالكا ، واسوار مدينة (ممفيس) تبدو كأنها طوق شاهق مروع ، ينبثق من جوف الظلمة الساكنة ويختلط بها ، ويلتف بالمدينة ويفصلها عن عالم الاحياء ..

واستأنست « امنريس » بالصمت والظلمة واطمأنت . فتسللت الى سطح القصر المجاور للاسوار ، وانبطحت على الارض وغمغمت :

- « رحيو » .. !

فتظاهر الرجل بأنه لم يسمع ، واتأد فترة ثم دنا منها. فهمست :

- هل من جديد ؟

فأجاب :

- الليلة ! .. سيهجم فرعون الليلة بجيش جرار . وأنت ، هل وفقت فى مسعاك ؟

فقالت :

- ســأحاول ... وما دمت انت الليلــة فى نوبة الحراسة ، فسأبذل جهدي كي أوفق . واذا وفقت فسأبعث

اليك بجاريتي ... ابتعد ... كن على حذر ... عم مساء يا « رحيو » .

وزحفت « امنريس » في هدوء ، وهبطت سلم القصر ، ودخلت البهو الكبير ، وجلست . جلست القرفصاء على الارض ، وطفقت تحدق في قدر كبيرة تشتعل من تحتها النار . ثم لوحت بذراعيها فوق القدر ، وتمتمت عبارات غريبة غامضة ، وعيناها السوداوان الواسعتان تلمعان ..

وكانت جاريتها المخلصة « تامينا » ترقب حركاتها ، وقلبها يخفق ، وصدرها يلهث ، وبدنها يرتعش . فلما صمتت امنريس ، وكفت ذراعاها عن الحركة ، ونهضت ، تطلعت اليها الجارية مستفسرة . فقطبت المرأة حاجبيها ، واطرقت لحظة ، ثم رفعت رأسها الشامخ المكلل بشعر أسود مجعد جميل ، وهتفت :

ـ اني ارى في النار كل شيء يا تامينا ... أرى فرعون نفسه ... أرى « احمس » العظيم مقبلا من بلاد الصعيد ، من مدينة طيبة ، يتقدم صفوف جيشنا ، وينقض على الهكسوس ، على ملوك الرعاة الذين اغتصبوا نصف بلادنا ، ويقهرهم ... نعم يقهرهم ، ويهدد هذه المدينة ، مدينة ممفيس المصرية ، التي اتخذوها عاصمة لهم ! ... ثم أرى نفسي ... أنا ... أنا .. المرأة الضعيفة الخاملة ، أتسلل من فراشي ، وأغافل قائد جيش ملوك الرعاة « سالتيس » ، وأنطلق في الظلام الدامس ، حاملة الى فرعون أحمس مفتاح أسوار المدينة !

وصمتت أمنريس لحظة ثم صرخت :

ـ سيدخل فرعون المدينة وسينتصر .. سيطرد الغاصب وينقذنى ... سيوحد مصر كلها بفضل شجاعته وحيلتى ! لابد ان أسرق مفتاح أسوار المدينة ، ولابد أن أثأر من قائد الرعاة « سالتيس » الذى أذل بلادى ، وقتل أمى وابى ، واقتادنى الى هنا أسيرة ، واستباح عرضى ، والقى بى فى غيابة هذا القصر سجينة ، لا تبصر عينى ضوء النهار ، ولا تلفح بدنى أشعة الشمس ! انه يحبنى وأنا اكرهه ! أكرهه بعدد ما يحمل قلبى فى حياتى كلها من خفقات ! سأثأر منه ، وانقذ ايضا رفاقى الاسرى ... رفاقى الاسرى المصريين الذين أمر السفاح بقتلهم غدا بعد عرضهم أمام الشعب فى الساحة الكبرى ! سأنقذهم ، ثم اتصل بفرعون أحمس ... أتصل به عن طريق جاسوسنا « رحيو » الذى استطاع أن يكسب ثقة الهكسوس ، ويصبح من حراس اسوار المدينة ... ثم أضلل الجميع واخدعهم ، وابعث الى فرعون بمفتاح الاسوار ! الليلة ! سيكون جيش فرعون هنا الليلة ، وسيتم الليلة كل شىء ياتامينا ! .. هذا ما أراه الآن فى النار !

فقالت الفتاة وهى تنتفض :

ـ أعرف يامولاتى أنك نشأت فى طيبة بين جدران المعابد ، وانك امرأة عبقرية الذكاء ، تلقيت من الكهنة جميع ضروب السحر ، وانك الى جانب حسنك الرائع الفتان ، أمهر وأحذق ساحرة فى مصر كلها . ولكن ألا يمكن أن يخدعك

المجهول ؟ الا يمكن أن يغدر بك القدر ؟ ألا يمكن أن تضللك النار ؟

فغمغمت امنريس :

ـ النار لا تكذب ! ومتى قرأت عليها تعاويذى ، واستعنت فى تلاوتى بوحى آمون سيدى ونصيرى ، رأيت فيها المستقبل رأى العين ياتامينا ! ومع ذلك فالنار وحدها لا تكفى • لابد من عقل وارادة وعبقرية ياتامينا • وأنا واثقة من نفسى ، ومن القوة الذهنية والروحية الخارقة التى أودعها آمون فى كيانى ، والتى أحس بها تجيش وتصطخب فى كل نقطة من دمى !

وتقبضت تقاطيع وجهها فجأة وصرخت :

ـ لماذا ؟ لماذا أحبنى القائد السفاح سالتيس ؟ ولماذا اقتادنى الى هنا ؟ لم يحببنى لجمالى فقط ، بل أحبنى لفنى أيضا ••• أحبنى لأنى قرأت فى النار حظه ، وقلت له انه سيقهر فرعون ، وان كنت قد أخفيت عنه أنه سيهزم فى النهاية ويتحطم ! فاياك أن ترتابى فى قدرتى ياتامينا ، فهى من عند الآلهة ، والآلهة لا يمكن أن تخطىء أو تنسى أو تخون!

فصاحت الفتاة بالرغم منها :

ـ اذن فافتحى لى مغاليق صدرك يامولاتى وتكلمى •• ماهى خطتك •• ماهو تدبيرك وكيف •• كيف سيمكنك التغلب على القائد ، وانقاذ الأسرى ، ومعاونة فرعون ، وحمل مفتاح أسوار المدينة اليه ؟

فندت عن امنريس ضحكة مخنوقة وقالت :

ـ هذا سرى ‥ وكل ما أستطيع أن أفضى به الآن اليك هو انى أسـيرة مصرية فى بلد مصرى مسـتباح ، وان مصريتى تشدد عزمى ، وتلهب فنى ، وتفتق حيلتى ، وتضاعف شعور الكراهية والبغض الذى أحسه نحو أعداء بلادى ! فانت مصرية مثلى ، وأنت أيضا أسيرة ، فاقتدى بى ، واكتفى الآن بما سمعت ، وتجلدى واصبرى ‥

وعادت امنريس الى القدر الكبيرة ، وانحنت عليها ، ومضت تتأمل النار ، صامتة جامدة ، وعيناها السوداوان المكحلتان ترقبان فى ابتسامة عريضة ضوء اللهب المتصاعد الذى كان قد أخذ يفتر شيئا فشيئا ، ويوشك أن يستحيل الى جذوة ملتمعة • وفجـأة ، وبينما هى منهمـكة فى التأمل والتفكير ، طرقت مسمعها جلبة مشـفوعة بصوت تعرفه • فاستدارت لفورها ، ونصبت قامتها ، وأهابت بجاريتها وهى تزفر :

ـ اسرعى بالخروج ! الى مخـدعك حالا ! البثى هناك وانتظرى أوامرى !

فاتجهت الفتاة صوب أحد الأبواب الجانبية ، وفتحته ، ثم مرقت منه مروق السهم ، وأوصدته خلفها • ولم تكد تختفى حتى فتح باب الصدر ودخل منه قائد جيش ملوك الرعـاة « سالتيس » •

وكان القـائد رجـلا فى الخمسين من عمره ، ضيق العينين ، غليظ الشفتين ، أقنى الأنف ، ناتىء الذقن ، دميما دمامة يضاعف تأثيرها المنفر طول قامته ، وتكتل عضلاته ،

وترنح رأسه الضخم، وتهدل شعره الاسود المشوش الغزير.

وارتمى القائد من فوره على القدر الكبيرة ، وقال وهو يجذب امنريس من ذراعها ويلهث :

ـ ألم تسألى .. ألم تسألى النـــار بعد عن مصيرنا ؟ اقرئى ، اقرئى عليها كل ماوسعه علمك الجامع وسحـــرك الناجع من رقى وتعاويذ ، واكشفى لنا النقاب عن مستقبلنا ! ان جيوش فرعون تتقـدم صوبنا ، وأكـــبر ظنى أن المعركة الفاصـــلة ستنشب غـــدا .. فخاطبى النار وطمئنينى .. ومهما قال لك اللهب الاحمر المقدس ، فيجب أن تصارحينى به الساعة والا أهلكتك دون رحمة !

فصاحت امنريس وهى تعانقه وتطبع على فمه المختلج قبلة مشغوفة ظمأى :

ـ ستنتصر ياسالتيس ! هذا ما رأيته فى النـــار منذ ساعة وأنا أرقبها ! انظر .. ألا ترى فى هذه الجذوة الخامدة صورة فرعون وهو منسحق تحت حوافر جوادك ، يتطلع اليك مبتهلا ويستصرخك الرحمة ؟ ألا ترى ابنك الوحيد « جالى » وهو يضمك الى صدره ويبكى بكاء الفرح والذهول والاعجاب؟ ... ولكنك لا ترى شيئا ... لا يمكنك أن ترى شيئا ... أنا وحدى التى أرى ! ومادمت قد رأيت ، فمن المحتم أن أكون مبصرة وصادقة ، لأنى انما أنظر بعين سيدى ، بعين آمون العظيم لا بعينى !

فقبلها الرجل فى لهفة مخبولة وقال وهو يجلس :

ـ الآن فقط هدأت نفسى واسترحت . تعالى ... تعالى

واجلسى بجوارى ··· ماشككت أبدا فى نبوءة تفيض بهــا شفتاك ، أيتها الساحرة المصرية العبقرية القادرة على مغالبة دورة الأفلاك ! أنت ، أنت يا امنريس حظى الباسم ، ونجمى اللامع ، وحبى الزاهر ، وملاذى بعد ولدى الوحيد وملجئى . كنت على وشك أن أتزوج بعد أن فقدت امرأتى · ولكنى منذ عرفتك آليت على نفسى أن أنقطع لعبادتك ، ولا أشرك فى هذه العبادة انسانا غير ولدى ! ولو أن شرائعنا كانت تبيح لنا نحن القواد الزواج بالأجنبيات ، ماترددت لحظة واحدة فى اتخاذك حليلة لى ! فأنا أحبك ، أحبك يا امنريس الى حد الجنون ، فقولى انك أنت أيضا تحبيننى ، والا قتلتك !

وزايلته رقته ، وانقلب فى مثل لمح الطرف من انسان الى وحش · فلم تضطرب امنريس ، بل ضمته الى صدرها ، وهدهدته كطفل ، وقالت له وهى تلاطفه وتداعبه :

ـ أنا أحبك ياسالتيس أكثر من عينى وقلبى ، وجسمى الباقى وروحى الخالدة · ولكن أشفق على · ارحمنى · لا تقتل الأسرى المصريين رفاقى واخــوتى · نحن لا نقتل أسراكم ، فلماذا لا تعاملوننا بالمثل ، وتحترمون شخصية الأسير الأعزل بوصفه انسانا ؟

فأومضت عينا القائد ، وعاودته وحشيته ، وقال :

ـ أنت اليوم منا يا امنريس ، ولا حق لك فى التحــدث باسم المصريين والا كنت خارجة علينا ! كل أسير من جنــد فرعون هو فريسة لنا · ومادام قد رفع السلاح فى وجهنا ، فموته أصبح حقا مشروعا لنـــا · لن أرحم الأسرى · سألغ

صباح الغـــد فى دمهم كما تلغ الضوارى ، وسآمر بقتلهم جميعا قبل بدء المعركة • فاياك ، اياك أن تشفعى لهم والا تنكرت لحبى وغامرت بحياتك !

فصاحت وهى تصطنع التحول والقسوة :

ــ اذن ليقتلوا ولتعش أنت ! لتعش أنت لى ، فحبك هو وطنى وعشيرتى !

وانكمشت فى عمـــق حضـــنه ، وأردفت مبتهلة وهى تتشبث به :

ــ احرص ••• احرص على حياتك جهدك •• ثم •• ثم احرص على الوديعة التى ائتمنك عليها قومك •• احرص على مفتاح أسوار المدينة ، والا فقد يفطن أحد جواسيس العدو الى المكان الذى أخفيته فيه ، فيغافلك وأنت فى حومة القتال ويسرق مفتاح الأسوار ، ويحمله الى فرعون احمس !

ومالت الى القائد فى دل ناعس فتـــان ، وقبلته قبلة هائمة طويلة ، ثم غمغمت وهى تتطلع اليه :

ــ أين ••• أين أخفيت المفتاح ؟ أليس من الأفضل أن تخفيه عندى أنا •• أنا التى لا يرانى ولا يعرفنى ولا يمكن أن يصل الى أى جاسوس !

فرمقها القائد بنظرة جانبية فاحصة ، وقال فى صوت كاسر وهو يشيح بوجهه :

ــ المفتاح فى حرز منيع • ومن المحال ، من المحال أن تعثر عليه يد انســـان ! •• على أنى لن أستخدمه أبدا •• أبدا •• وحتى لو قدر لفرعون أن ينتصر ويهزم جيشى ، فلن أفتح له الأسوار ، حتى أهلك أمام عينيه أهلها المصريين جميعا!

فهتفت امنريس :

ـ يالك من بطل . بطل راض نفسه على المجالدة والكفاح ، فلم تعد تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا . انى معجبة بك وبواقة اليك ...

ومشت اليه وهى تتثنى ، فدفعها عنه فى رفق ملؤه الزهو ، وقال :

ـ سأكون هنا بعد ساعة أو أقل . ميقات ما أصدر أوامر عسكرية جديدة يقتضيها هجوم فرعون المرتقب ثم أعود ... أريد أن أحظى بك فترة مليئة قبل أن أخوض غمار هذه الحرب الفاصلة . فالى الملتقى ياحبيبتى ، وصبرا ...

فتمتمت امنريس :

ـ صبرا .. صبرا .. والى الملتقى ياحبيبى ..

وقبلها فى شغف وانصرف ، فلوحت له بذراعها ، وظلت تتبعه النظر وهى تبتسم . ثم مضت وأغلقت باب الصدر وأسرعت الى القدر الكبيرة ، فأشعلت فيها النار . ثم ألقت فى القدر سائلا أخضر كثيفا ، اتبعته برشاش أصفر ناعم صنعته من نباتات مجففة ومسحوقة ، ثم أكبت على القدر ، وتمتمت بعض التعاويذ وطفقت تحدق فى النار !

ـ ٢ ـ

وخاطبت نفسها قائلة واللهب يلفح وجهها :

ـ هناك أشخاص لا تفتأ تعذبهم ثلاث كوارث : الكارثة التى حلت بهم بالأمس ، والكارثة التى نزلت بهم اليوم ، والكارثة التى يتوقع خيالهم المريض أن تعصف بهم غدا ..

وهؤلاء الاشخاص هم الضعفاء ، هم فرائس الحياة لأنهم فى الواقع فرائس أنفسهم ... أما أنا فلن أكون ضعيفة . لن أكون فريسة لنفسى وخيالى أبدا ! ... يجب ... يجب أن أقدم ! الانسان الذى يغامر قد يصيب الهدف أو يخطئه . ولكن الانسان الذى يجبن ولا يغامر لابد أن يخطىء جميع الأهداف ... ومع ذلك فهل فى مقدورى أن أفعل هذا ؟ لم أقدم أبدا على عمل كهذا ، لا أنا ولا أى مخلوق فى بلاد مصر بأسرها ! الكهنة المختارون ، هم وحدهم الذين أقدموا ونجحوا ... فهل أنجح أنا ؟ هل تسعفنى عبقريتى ؟ انها لأول مرة فى حياتى ... ولكنى لابد أن أجرب ... لابد أن أجرب اذا اقتضى الأمر ... لابد أن أعرف مدى قوتى وسلطانى . لابد أن أستوثق من فيض روحى ، وسيال بصرى ، وتأثير عصبى وارادتى وعقلى... ان الذى علمنى فنون السحر هو كاهن آمون الأعظم . وقد قال لى ان فى وسعى .. فى وسعى اذا شئت أن أتسلط على غيرى ... فلماذا لاأجرب لو أحرجت؟لماذا لا أحاول؟ اننى فى الواقع أخشى لو تسلطت على انسان أن أفقد فجأة سلطانى عليه فيموت بين يدى ! .. ولكن لا .. لن يموت .. سأقرأ عليه أبلغ التعاويذ وأوقعها وأمضاها .. وسأرده الى الحياة باذن آمون العظيم ! ومتى اقترن فعل الروح بسلطان الآلهة ، فلا بد أن يخضع الانسان فى النهاية ثم ينهض بعد المكاشفة والاعتراف ... وسيخضع « جالى » . سيخضع لروحى ان لم يخضع لجسدى. سيذعن لمشيئتى وهو صاغر ... فلأمض اذن فى خطتى

ولأتقدم.. ما الانسان ؟ انه لمنجم حي ، ولا قيمة لوجوده الا اذا حاولت ارادته أن تستخرج كنزه من الأعماق! يجب أن أتقدم. هذا واجبي الوطني ، وعلي أن أؤديه مغـــامرة بكل شيء ، ومستخدمة كل سلاح !

واستجمعت قواها ، واندفعت ... اندفعت نحو باب جانبي صغير ، وهمت بأن تفتحه . وفي تلك اللحظة ترامى الى سمعها من الساحة الكبرى صراخ جيش العدو وهو يهتف هتافا مدويا ، ويطالب رجال الشرطة باستعجال أمر القائد ، واعدام المصريين الأسرى . فارتعشت امنريس وثار ثائرها . ولكنها خشيت أن يذهب بلبها الحقد ، ويفقدها سلطانها على نفسها . فتجلدت وتماســكت وابتسمت ، وقالت في صوت رقيق لطيف وهي تفتح الباب الجانبي :

ـ تعال ... تعـــال ياجالي ... لا تخف ... لقد انصرف والدك .. أنا أعلم أنه الآن مشغول عني بما هو أهم بكثير مني فلا تخف ...

فبرز الشاب من مكمنه . فاحتوته المرأة بين ذراعيها ، وغمرته عامدة بقبـــلاتها ، وهمست في أذنه وهـــي ترجف صوتها وأعضاءها :

ـ كلمـــا اقترب والدك مني ، غلى الدم في عـروقي ، وشعرت اني لا أحب في هذه الدنيا سواك ! لقد أحببتك منذ أول يوم رأيتك فيه ياجالي ... منذ أول يوم دخلت فيه هذا القصر وأصبحت أسيرة والدك .. ماذا فعلت بي ؟ لقد سلبت عقلي ، وامتلكت حواسي ، واستقر حبك مني في الصميم .

فلا تغضب على ٠٠٠ سأمنحك كل ماتطلب ٠٠٠ كل شيء !

فصرخ الشاب وهو يكاد يبكى :

ـ ثلاثة أسابيع بطولها وأنا أتعذب ٠٠٠ أراك تحبيننى ثم تعرضين عنى ٠ تتلهفين على ثم تتملصين منى ٠ وأنا بين اقبالك واعراضك ، بين اقـــدامك واحجامك ، بين رغبتك وترددك ، أكاد أفقد عقلى ! ألم يكفك أنى خنت والــدى فى سبيلك ؟ ألم تفهمى أنى أستهدف للموت فى كل لحظة من أجلك ؟ ألم تدركى أنى أغار من أبى غيرة تمزقنى ، وان صدك يلهب نار غيرتى ، ويوشك أن يبتلينى بالهوس والجنون ؟ انك ان تمـــاديت فى صـــدك واعراضـــك ، فلن أرحمك يا امنريس ، وقد أقتلك وأقتل نفسى !

فضمته فى عنف الى صدرها ٠ وشخصت اليه باسمة وقالت:

ـ أفى وسعك حقا أن تقتلنى ؟

فتراجع الشاب مختلجا، ونظر اليها نظرة مأخوذة، وهتف:

ـ أنا ؟ ٠٠ أنا أعبـــدك يا امنريس ٠ ولا أستطيع ، لا أستطيع أن أتصور لحظة واحدة أن هذه اليد التى تلمسك فى خشوع يمكن أن تمتد يوما اليك ، وتلحق بجمالك الفتان أى أذى ! ولكننى أتألم ٠ فارحمينى ٠ اما أن تكونى الآن لى ، واما أن أعصى أمر والدى فأذهب من فورى وألتحق بصفوف الجيش الأولى ، وأظل أقاتل حتى أموت !

فابتسمت نصف ابتسامة ساحرة وقالت :

ـ لن تموت ٠ حيـــاتك غالية عند والدك ، وهى أثمن عندى وأغلى !

وتملصت منه ، ومطت أعضاءها فى ليونة وئيدة مغرية. ثم هزت رأسها مستنفرة جدائل شعرها • فانسدلت الجدائل السوداء على وجهها الجميل وطوقته كما تطوق السحب صفحة القمر • فشخص اليها الشاب مفتونا • فعـــادت والتصقت به • وقالت له فى صوت ثابت غائر خفيض :

ـ سأكون لك الآن ، على شرط أن تطيعنى !!

فحملق فيها مستفسرا ، وهم بأن يتكلم • ولكنها لم تمهله وأردفت :

ـ اذا شئت أن تظفر بى ،فيجب أن تكون قبل كل شىء انسانا ! اقهر فى نفسك الأنانية والاستهتار والقسوة • تجرد من حكم غرائزك الدنيا • تحلل من تأثير فطرتك الغاشمة • تنزه عن التقاليد الأثيمة التى درج عليها قومك • ثم انظر ٠٠ ألا ترى ؟ ألا ترى الظلم الذى يحيق بأبناء وطنى ؟ ألم تسمع صراخ الجيش وأنين الأسرى ؟ أيرضيك أن يقتـــل أولئـك التعساء وهم عزل من السلاح ؟ أيرضيك أن يغتصب قومك نصف أرض بلادى ، ويمعنوا فى اضطهادها واذلالها وهى لم ترتكب فى حقهم أى ذنب ؟ تفوق على نفسك ياجالى ٠٠٠ دافع عن الحق والعدل والحرية ٠٠٠ انصر المظلوم على الظالم ٠٠ **وأرشدنى ، أرشدنى الى المكان الذى تعرفه حق المعرفة ، الى المكان الذى أخفى فيه والدك مفتاح أسوار المدينة ، مفتاح باب السور الرئيسى الذى يفضى الى قلب المدينة ، أمنحك روحى وجسدى مدى الحياة !**

فتأملها الشاب مذهولا . وظل يتأملهافترة ثم صرخ :
ـ تريدين النصر لفرعون ؟ تسعين لمجد بلادك وانقاذ مواطنيك من ويلات الحصار ؟ أمازلت مصرية القلب والروح وأنت هنا ؟ ولكنى لن أرضى . لا أرضى أنا السيد بأن أصبح عبدا . الحق للأقوى . والحق يقره الأقوى . والحرية نعمة لا يمكن أن يتمتع بها الا من كان أشجع وأقدر وأقوى . فاخنقى هذا الحديث فى صدرك يا امنريس ، واعلمى أنى لولا حبى العظيم لك ، ماترددت لحظة واحدة فى اغماد خنجرى فى عنقك !

فقالت امنريس وهى تتلوى :
ـ اذن فأنت ترفض ؟
فأجاب وهو ينطرح على مقعد :
ـ أرفض رحمة بك وابقاء عليك .
فدنت منه فى بطء ، وتفرست فيه ، وقالت :
ـ واذا كنت أنا الأقوى ؟

فرفع اليها بصره ساخرا وضحك . فقطبت حاجبيها ثم دنت منه أيضا ، ثم غافلته وانحنت عليه وأمسكت بكتفه .. وفجأة صوبت اليه عينيها الواسعتين المتقدتين ، ورددت فى صوت غائر أجش وهى تحدق فيه تحديقا ثابتا ممعنا دافقا عميقا :
ـ أنا ... أنا الأقوى ياجالى ..

وسلطت عليه نظرات مندلعة كالنار ، حادة كالسهام ، مرقدة ومذيبة كخمر ساحقة . ثم مدت يدها ، ومست جبينه بأصابعها ، وقالت وهي ما تفتأ تحدق فيه :

ـ نم ... أقول لك نم ... آمرك ... آمرك باسم آمون القاهر أن تنام ... آمــرك أن تنفصل بروحك عن جسدك وتنام ! ... باسم آمون الذى يقهر الشر ، وتبدد شمسه سحب الظــــلام ، ويكتسح فيضــــه كالنيل رمال الصحراء ، آمرك أن تنام ! .. يجب أن تنام .. أنت نائم.. أنت الآن نائم .. أنت الآن ملكى .. أنت الآن رهن اشارتى .. !

فجعل الشاب يغالبها وهو يتطوح . ولكنه لم يقــو عليها . لم يستطع أن يواجههــا . لم يجد فى عقله ولا فى ارادته ما يعينه على اتقاء لهب عينيهــا . فاختلج بالرغم منــه اختلاجا عنيفا ، وسقط رأسه على حــافة المقعد ، وراح فى سبات عميق . فانحنت عليه هادرة وقالت :

ـ تكلم الآن .. قل .. أين .. أين مفتاح الأسوار ؟ انه أمامك . وأنت تراه . فتكلم . أين هو ؟

فلبث يكافح بضع لحظات ، ثم غمغم فى صوت كأنه خارج من أعماق كهف :

ـ هنا .. فى مخدع والدى .. فى مخدعه الخاص .. فى جوف القاعدة الخشبية التى ينهض عليها التمثال الصغير. تمثال ملوك الرعاة !

فأبرقت عينا أمنريس ، وأرسلت صيحة فرح قاصفة ، واتجهت صوب أحد الأبواب ونادت :

ـ تامينا ... تامينا !

فلاحت الجارية مذعورة مهــرولة . فما أن أبصرتها أمنريس حتى ارتمت عليها وأهابت بها :

ــ الى القاعدة ··· قاعدة تمثال ملوك الرعاة ··· فى مخدع القـائد ··· المفتاح هناك · فارفعى التمثال فى رفق ثم انزعى المفتاح من جوف القاعدة ··· ثم ردى التمثال الى موضعه ، واصعدى حالا الى سطح القصر ، واحملى المفتاح الى « رحيو » الذى عليه أن يتسلق الأســوار مسرعا ، ويسلم المفتاح الى أمين سر فرعون ! ··· هيا ···

فبهتت الفتاة ، وألقت على الشاب النائم نظرة مستغربة· ثم لمعت عيناها وانطلقت من فورها الى الخارج وهى تعدو ··

ــ ٣ ــ

وكرت أمنريس راجعة ، وحدقت الى الشاب وارتجفت ·· لا ··· انه لن يموت ··· لا ينبغى أن يموت ·· ولكن أفى وسعها أن توقظه ؟ أفى مقدورها أن ترد اليه الحياة ؟ يجب ، يجب أن يستيقظ ·· يجب أن يعلم ··· يجب أن يدرك أنها كانت هى الأقوى !

واستنهضت كل قوى روحها ونفخت فيه ·· استعانت بأقدر آلهتها وأفعل تعاويذها وأبلغ ما يكمن من علم وحزم فى لباب عبقريتها ، ثم مست جبين الفتى بأصابعها ، وسلطت عليه صفوة فكرها وايمانها وارادتها · فتحرك بغتة وتململ· ثم فتح عينيه الحالمتين الزائغتين ، ورفع رأسه ، وتطلع اليها··

وأشرق وجهها · أما هو فلم يكد يبصرها حتى تنفس وابتسم ·· ابتسم كالطفل المطيع · ابتسم كالحمل الوديع · فابتهجت امنريس وابتسمت هى أيضا · فبسـط الشــاب ذراعيه وقال وهو تائه :

ـ اين أنا ؟ بى صداع ٠٠ ماذا وقع لى ؟ أنا فى شبه نشوة ٠٠ هل شربنا خمرا ؟ أين كنت ؟

فقالت امنريس ضاحكة :

ـ كنت هنا ٠٠ معى ٠٠ لم تبرح مكانك ولم تشرب كأسا واحدة ٠ مابك ؟ ٠٠ أتشعر بدوار ؟ ربما كنت قد فكرت فى شىء أحزنك ؟

فقال :

ـ لا أذكر ٠٠٠ لا أذكر شيئا ٠٠٠ لا أظن ٠٠٠

فملك الزهو أمنريس ، وأيقنت من سلطانها ٠٠ فأرادت أن تضاعف شعورها بهذا السلطان ، فصاحت بالشاب :

ـ أسرع الى بمرآتى ٠٠ هاتها واجث أمامى ٠ وابق جاثيا ريثما أضفر شعرى !

فهب واقفا ، وجاءها بالمرآة ٠ ثم زحف اليها كالكلب وجثا عند قدميها ، وظل جاثيا وهى ترمقه بنظرة جانبية ، وتعقد لاهية جدائل شعرها ٠٠

ولما رأته فى وضعه الزرى صابرا جامدا ، خاضعا ذليلا ، واستوثقت من قوتها وضعفه ، اشتد احتقارها له وحقدها عليه ، واشمئزازها منه ٠ فنهضت واثبة وهمت بأن تطرده ٠ وعندئذ ، وقبل أن تنبعث من شفتيها المتلويتين كلمة ، ترامت الى الحجرة صيحات بعيدة ، صيحات متقطعة ، صيحات مروعة مصحوبة بدوى أبواق وصفير سهام ودق طبول وصهيل خيول ٠ فأصاخت امنريس السمع وهى ترتعش ، ثم قالت وقلبها يخفق :

ـ أتسمع ؟ أتسمع ياجالى ؟

ثم ومضت عيناها ، وانفجرت كوامن حقدها وصرخت :

ـ لقد هجم فرعون ! ان والدك لن يعـود الآن ، وقد لا يعود أبدا ! انها المعركة ! .. المعركة الفاصلة !

فقال الشاب وهو ينصت :

ـ لاشك انها قد بدأت منذ حين !

واقتربت الصيحات ، وتعـــالت كأنها هدير الموج ، فارتج صرح القصر المجـــاور للأســـوار ، وتجاوبت حوله الصرخات ، مختلطة مشوشة عاتية ، أشبه باندفاق سيل ، أو زمجرة رعد ، أو زئير غابة تتناحر فيها وحوش . فتلفت الشاب مضطربا حائرا وقال :

ـ ينبغى أن أذهب .. يجب أن ألحق بالجيش ..

فعاجلته المرأة بقولها :

ـ ماذاتنتظر؟ اذا كنت صادق الرغبة فى القتال فأسرع..

فتقدم خطوة وغمغم مستجديا :

ـ أمضى ؟ هكذا ؟ وأنا بعد لم أظفر منك بأى شىء ؟

فقهقهت أمنريس قهقهة طويلة ، وقالت :

ـ أتفكر الآن فى نفسك ؟ أتريد أن تظفر بالمرأة أولا ؟ أتغلب نداء حبك على دعوة واجبك ؟ أهذه هى القوة التى كنت تفخر بها منذ لحظات ؟

فلم يحفل بكلامها ، واندفع نحوها ، وقال وهو ينتفض :

ـ قد أموت فى المعركة ! فلابد .. لابد أن أظفر بك يا أمنريس قبل أن أموت !

فصوبت اليه عينيها المتقدتين وقالت :

ـ وأنا ‥ أنا أريدك أن تبقى ! ‥ وأنت ، أنت نفسك تعتمد على شفاعة والدك القائد ، وتريد أن تفر من القتال وتبقى ! فابقإذن · ولكن لا لتستمتع بل لتسمع ! أفاهم أنت ؟ سأمزق الغشاوة عن عينيك ، وأسر اليك نبأ يسجل ضعفك، ويفضح رجولتك، ويجعلك تلمس قوتى التى سخرت منها واستهنت بها ! فاسمع النبأ وانقله الى والدك ، وليكن مايكون !

ومالت اليه بجمعها ، وهمت بأن تتكلم ، ولجب المعركة يتدفق عليها ويصم أذنيها ويدوى حولها كبحر مصطخب !

- ٤ -

وفى تلك اللحظة ‥ فتح باب الصدر فى عنف ، وبرز منه القائد سالتيس · فما أن أبصر الشاب والده حتى ارتعد وملكه الذعر · فاندفع نحوه وقال :

ـ جئت أبحث عنك ! ‥ كنت أخشى أن يهجم فرعون الليلة فجئت لأنبهك ‥

فلم يكترث له سالتيس ودخل ‥ دخل البهو محدودب الظهر ، مشعث الشعر ، مخضب الوجه بالدم وملوث الصدر بالوحل والتراب ، وصاح بأسيرته وابنه وهو يرجف :

ـ أعدوا أمتعتكم ‥ وارحلوا · ارحلوا حالا ‥ الى قصرى فى الصحراء ! لقد انهارت مقاومة جنودنا ، وزحف العدو ، وأصبحت جيوشه أمام الأسوار !

فخفق قلب أمنريس فرحا وزهوا ، وصرخ الشاب :

ـ انتصر فرعون ؟

فصاح القائد وهو يهدر :

ـ انتصر . ولكنه لن يدخل ! .. لن يدخل اليوم المدينة مهما حاول ! لن يدخلها الا وهى كومة من رماد ! سيحاصرها ولاريب أياما ، بيد أننا سنهدمها . سنحرقها . سنأتى على كل شىء فيها من انسان ونبات وحيوان ! لن يدخل اليوم فرعون المدينة مهما حاول !

فوثبت أمنريس كوحش مفترس ، وواجهت القائد شامخة متحدية ، وصاحت بأعلى صوتها :

ـ بل سيدخلها ! وسينفذ فيها كما ينفذ الخنجر فى قطعة من عجين !

فتحول اليها القائد مروعا مستنكرا ، ولكنها لم تمهله وردفت :

ـ ان فى يد فرعون الآن مفتاح الأسوار ! ... وأنا .. أنا التى اقتنصته .. أنا التى سرقته .. أنا التى انتزعته من ولدك هذا .. من ولدك .. أتفهم ؟

فوجم الرجل وجحظت عيناه . فاستطردت أمنريس كمعتوهة :

ـ لقد خانك ولدك وأحبنى ! خانك وأحبنى . فاستدرجته وأردت أن أعرف منه أين أخفيت أنت المفتاح ، ولكنه كان جبانا يحب حياته أكثر منى ، فخشى أن تقتله وأبى أن يهدينى .. ومع ذلك فقد انتزعت سره بالرغم منه ! أتدرى ماذا فعلت ؟ لم أنتصر عليه بمحاسنى .. لم أنتصر عليه

انتصارا رخيصا بوصفى أنثى ‥ كان ذلك فى وسعى ولكن الوقت كان يسرع وفرعون بالأبواب . فقهرت ولدك بسحرى، بفنى ، بالعلم ‥ بعلم المصريين الذى لا يبارى ‥ نومته ‥ أتفهم ؟ أخضعته لارادتى ‥ فصلت النفس منه عن الجسد ، وهبطت الى أعماق روحه وانتزعت السر ! ‥ فهو ‥ هو الذى خانك مرتين وأرشدنى ! والمفتاح فى هذه اللحظة هناك ‥ فى يد فرعــون ‥ انتقل من قــاعدة التمثــال الى يد **فرعون ! وسيدخل فرعــون المدينة ‥ الآن ‥ سيدخل ممفيس الآن ، وينقذ أسرانا ثم يطبــق عليكم ، ويفتن فى التنكيل بكم . قبل أن تثأروا أيهــا المتوحشون من بلاده ورعاياه ! أما أنا فلن أفر معكم ! لن أتبعكم ! لن أبيح نفسى بعد اليوم لطاغية ! لم أعد أسيرة ! ‥ لقد تحررت ! ‥ فاقتلونى ‥ اقتلونى اذا شئتم ، فقد أديت واجبى !**

فألقى عليها الوالد والولد نظرات متربصــــة متحفزة ملؤها الحقد والكمد والبغض . ولكنهما قبل أن يثبا بها ، وقبل أن تصمت هى وتلتقط أنفاسها ، تصاعدت من النافذة بغتة صرخات جنــــود فرعون وهم يدخلون المدينة من باب السور الرئيسى ، ويتدفقون على أحيائها هاتفين مهللين . فطاش صواب الرجلين ، وجن جنونهما ، فانتزعا خنجريهما ، وانهالا بهما طعنا فى أمنريس ‥

وسقطت الشــهيدة المصرية على الأرض ، وجــاهدت ما استطاعت لتدنو من النافذة . ولكن بدنهــا تصدع فجأة وهوى . فلفظت أنفاسها الأخيرة وهى ترهف السمع الى تهليل الجنود ‥ وتبتسم !

صمويل بيكيت

.. ذلك المجهول!

كتاب للناقد الطليعى

بيير ميليز

مصدر بمقدمة عن حياة « بيكيت » فى سطور ، مع المقارنة بالأحداث الثقافية المعاصرة له ، فى فرنسا والعالم

ماذا تعرف عن ٠٠ «بيكيت» ؟

عزيزى القارىء ٠٠

منذ افتتح مسرح الجيب بالقاهرة عروضه (فى أول مقر له ، بشارع قصر النيل) بمسرحية ((نهاية اللعبة)) لصمويل بيكيت .. دخل مسرح اللامعقول ، وادب اللامعقول ، حياتنا الثقافية .. لكنهما دخلاها فجاة ، وبلا مقـــدمات ، ولا ((خلفية)) تنير امام المتفرج او القارىء سبيل تذوق هذا الأدب الغامض ، او فى القليل فهمه ، أو فى اقل القليل «(محاولة)» فهمه !

وقد ساهمت (مطبوعات كتابى) منذ سـنوات فى التعريف بنموذج من نماذج ادب اللامعقول ، فقدمت لك فى عـــددها رقم (٧٠) الترجمة الكاملة لمسرحية ((قاتل بلا أجر)) للاديب الرومانى ((أوجين يونسكو)) الذى يؤلف بالفرنسية ، والذى يعد من اقطاب الادباء العالميين الذين يتزعمون هـــذه المدرسة الحديثة ، وهم : ((صمويل بيكيت)) ، و ((أوجين يونسكو)) ، و ((روب جرييه)) و ((ناتالى ساروت)) (من الذين يكتبون بالفرنسية او الانجليزية)، ثم ((ماكس فريش)) و ((دورينمات)) (من الذين يكتبون بالالمانية)..

والكتاب الذى يلخصه لك كتابى فيما يلى هو احدث كتاب صدر فى فرنسا عن ادب صمويل بيكيت ، وحيـــاته . وقبل أن نقرا هذا التلخيص الذى يبسط لك بعض سمات هـــذا الادب وصاحبه ، اقدم لك هـــذا ((الجدول)) الزمنى الذى يعينك على الالمام بانتاج بيكيت وحياته فى ســـطور ، كى تتيسر لك متابعة تطوره الادبى من خلال رواياته ، ومسرحياته ، وتمثيلياته الاذاعية، مع مقارنتها باهم الاحداث الأدبية العالمية لغيره من الادباء المعاصرين له ..

حياة «بيكيت» .. في سطور

(مع المقارنة بالاحداث المعاصرة له)

١٩٠٦ : مولده (فى العام الذى توفى فيه الفنان « سيزان »)

١٩٢٣ : التحاقه بكلية « ترينيتى » فى دبلن (فى العام الذى نشر فيه « جول رومان » روايته المشهورة « كنوك »)

١٩٢٨ : انتسابه الى مدرسة « النورمال » بباريس ، وتعرفه بالأديب « جيمس جويس » (فى العام الذى نشر فيه الاديب الفرنسى جان جيرودو روايته « سيجفريد »)

١٩٣٠ : نشر كتابه الأول Whoroscope

١٩٣١ : عين مساعد مدرس للغة الفرنسية فى كلية « ترينيتى » بدبلن. ونشر (دراسة عن « بروست »)

١٩٣٢ : استقال من عمله فى التدريس .

١٩٣٤ : نشر كتابه (More Priks than Kicks)

١٩٣٥ : نشر كتابه الثالث (Ecko's bones and other precipitates)

١٩٣٧ : استقر فى باريس .

١٩٣٨ : نشر في لندن كتابه الرابع (Murphy) (فى العام الذى نشر فيه « سارتر » روايته « الغثيان ») .

١٩٤١ : انضم الى حركة المقاومة ضد الاحتلال الألمانى (فى العام الذى توفى فيه « جيمس جويس ») .

١٩٤٢ : لجأ الى الاختباء من النازيين فى (فوكلوز) ، وترجم روايته « ميرفى » الى الفرنسية . (فى العام الذى اصدر فيه « البير كامى » قصته « الغريب »)

١٩٤٣ : الف روايته الثانية Watt (فى العام الذى كتب فيه سارتر : « الوجود والعدم » ، وكتب « انوى » : انتيجون ، وكتب « كلوديل » : حذاء من حرير الساتان .

١٩٤٥ : عمل فى هيئة الصليب الاحمر فى ايرلندا ، ثم فى (سان لو) ، ثم عاد الى باريس (فى العام الذى توفى فيه « بول فاليرى » و « بارتوك » ، ونشر فيه ألبير كامي مسرحيته « كاليجولا »)

١٩٤٦ : نشر كتابه الجديد L'expulsé (في العام الذى نشر فيه « أوديبيرتى » مسرحيته Quoat-Quoat .

١٩٤٧ : نشر « ميرفى » بالفرنسية ، وكتب Eleutheria (فى نفس العام كتب جان جينيه : « الطيبون » ، وكتب برخت : « الاستثناء والقاعدة » وكتب كافكا « المحاكمة »)

١٩٤٨ : كتب ثلاثيته الروائية العظيمة : مولاوى ، مالون يموت ، اللامسمى . ثم مسرحيته « في انتظار جودو »

١٩٤٩ : نشر « محاورات مع جورج دوتوى »

١٩٥٠ : كتب Textes pour rien (في نفس العام كتب « يونسكو » المغنية الصلعاء وكتب « أداموف » : المناورة الكبيرة والصغيرة ، وتوفى برنارد شو) .



بيكيت ، بريشة الرسام العالمى « أفيدور أريكا »

١٩٥١ : نشر : « موللوى » (فى نفس العام نشر يونسكو « الدرس » ، ونشر جورج شحادة « مسيو بوبل » .

١٩٥٢ : نشر « مالون يموت » ، و « فى انتظار جودو » (فى نفس العام

نشر يونسكو : ((الكراسى)) ، ونشر أداموف : ((التقليد الساحر)) .

١٩٥٣ : فى يوم ٣ يناير مثلت ((فى انتظار جودو)) لاول مرة على مسرح بابيلون . ونشر بيكيت ((اللاإسمى)) و ((وأت)) ، وترجم ((جودو)) الى الانجليزية . (فى نفس العام نشر يونسكو : ((ضحايا الواجب)) ، ونشر أداموف : ((الاستاذ تاران)) و ((معنى الزحف)) ، ونشر ((روب جرييه)) : المحاوات Les Gommes (جمع ممحاة ، أى ((أستيكة))) .

١٩٥٥ : نشر ((أقاصيص)) ، و ((نصوص مقابل لاشىء)) و ((ثلاث



منظر من مسرحية ((نهاية اللعبة)) كما مثلتها على مسارح باريس ((كريستين تسانجو)) و ((جان أديه))

قصائد » (فى نفس العام نشر بونسكو : جاك ـ او الرضوخ ـ ونشر اداموف : البنج بونج) .

١٩٥٦ : كتب « كل الذين يسقطون » ، و « نهاية اللعبة » . وأعيد تمثيل « فى انتظار جودو » على مسرح « هيبرتو » . (فى نفس العام كتب جان جينيه فى لندن : « الشرفة » وكتب يونسكو : « مقطوعة الألما المرتجلة ») .

١٩٥٧ : قدمت الاذاعة البريطانية يوم ١٣ يناير « كل الذين يسقطون » ، وفي ٣ ابريل عرضت في لندن لاول مرة « نهاية اللعبة » و « فصل بدون كلمات » ، ثم عرضت في ٢٧ ابريل في ستوديو الشانزليزيه بباريس . ونشر « نهاية اللعبة » و « كل الذين يسقطون » . وترجم « نهاية اللعبة » الى الانجليزية . وفي ١٤ ديسمبر قدمت الاذاعة البريطانية : « بقايا عمل مهجور » . (وفي نفس العام كتب شحاده : « فاسكو » ؛ وكتب يونسكو : « المستأجر الجديد » ، وكتب أداموف : « باولو باولو ») .

١٩٥٨ : فى ٢٨ اكتوبر حفلة العرض الاولى فى لندن لمسرحية « الفرقة الاخيرة » .. ونشر دراسته عن « الشعر المكسيكى » ، و « برام فان دى فيلد » (فى نفس العام نشر المؤلف المسرحى الاسبانى « ارابال » أول انتاجه المسرحى) .

١٩٥٩ : ترجم « الفرقة الاخيرة » الى الفرنسية ، وفى ٢٤ يونية قدمت له الاذاعة البريطانية تمثيلية « رماد » ؛ ثم ترجمها الى الفرنسية . (وفى نفس العام نشر يونسكو « قاتل بلا اجر » ، ونشر جان جينيه : « الزنوج ») .

١٩٦٠ : فى ٢٢ مارس حفلة العرض الاولى لـ « الفرقة الاخيرة » بمسرح ريكامييه ، ثم نشرها فى كتاب ، كما نشر « رماد » ، وترجم الى الانجليزية : « الذراع المحركة ، أو المانيفيللا » (فى نفس العام نشر يونسكو : « الخرتيت » ، ونشر كوكتو : « وصية أورفيوس » .

١٩٦١ : كتب « الايام السعيدة » . وفي ٢٥ فبراير عرضت له « كراب » او « الفرقة الاخيرة » بعد تحويلها الى أوبرا غنائية . ونشر Comment c'est . وفي ١٧ سبتمبر حفلة العرض الاولى ل « الايام السعيدة » في نيويورك . واعادة تقديم « في انتظار جودو » بمسرح الاوديون بباريس . وفى هذا العام حصل بيكيت على الجائزة الدولية للمحررين . (وفى نفس العام نشر جان جينيه : « الحواجز » ، ونشر شحاده : « الرحلة » ونشر ادوارد البى : « قصة حديقة الحيوان » ، ونشر « روب جرييه » : « العام الماضى فى مارينباد ») .

١٩٦٢ : ترجم « الايام السعيدة » الى الفرنسية . وكتب « الملهاة » . وفى شهر يوليو كتب فى لندن : «فصل بدون كلمات ، رقم ٢» . وفى ١٣ نوفمبر قدمت الاذاعة البريطانية تمثيليته : « كلمات وموسيقى » . (وفى نفس العام كتب يونسكو : « الملك يموت »)

١٩٦٣ : فى ٢٥ يناير قدم التلفزيون الفرنسى : « كل الذين يسقطون » . وفى ١٤ يونية حفلة العرض الاولى ل « ملهاة » بمسرح (أولم). وفى ١٣ اكتوبر قدمت له الاذاعة الفرنسية « كاسكاندو » . وفى ٢١ اكتوبر حفلة العرض الاولى ل « الايام السعيدة » بمسرح الاوديون . ثم نشرها فى كتاب . (وفى نفس العام كتب يونسكو : « السائر فى الهواء » . وكتب روب جرييه : «نحو رواية جديدة» .. وتوفى جان كوكتو) .

١٩٦٤ : فى ١٤ يونية حفلة العرض الاولى ل « ملهاة » فى مسرح «البافيون دى مارسان » . ونشر مسرحياته فى طبعة بثلاث لغات . (وفى نفس العام نشر ادوارد اولبى روايته الشهيرة : « من يخاف من فرجينيا وولف ») .

١٩٦٥ : فى اغسطس عرض فيلمه « فيلم » بمهرجان فينسيا ، فنال جائزة النقاد . ونشر « أيها الخيال الميت ، تخيل ! » . وفى أول نوفمبر : حفلة العرض الاولى لمسرحية « موللوى » فى

جنيف (فى نفس العـــام نشر يونسكو : ((الفجوة)) ، ونشر أوديبيرتى : ((أوبرا العالم)) . ثم توفى أوديبيرتى) .

١٩٦٦ : نشر : ((ملهاة ، وفصول متفرقة)) . وفى ٢٨ فبراير حفلة العرض الاولى لمسرحية ((ذهاب واياب)) بمسرح ((تياتر دى فرانس)) (وفى نفس العام نشر يونسكو : ((الجوع والعطش))) .

وبعد هذه المقدمة السريعة عن حياة ((بيكيت)) ، فى سطور .. تعال نقرأ معا عرضا لهذا الكتاب الممتع الذى صدر حديثا عن حياته وأدبه :



منظر من مسرحيــة ((نهــاية اللعبة)) كما مثلها ((روجيه بلان)) و ((جان مارتان)) علي مسارح باريس .

بيكيت .. ذلك المجهول !

عرض وتلخيص : فتحي العشرى

« بيير ميليز » *Pierre Meleze* **مؤلف هذا الكتاب ناقد طليعي مهتم بالمسرح ولا شيء غير المسرح .. وأبرز أعماله في هذا الميدان كتابه عن « مسرح راسين »** *Racine* **الذى يقع فى خمسة أجزاء .**

يبدأ ميليز كلامه عن رائد مسرح « العبث »*L' Absurde* **بمقدمة موجزة يوضح فيها أهميـة مسرحية « فى انتظـار جودو »** *En Attendant Godot* **باعتبارها أول انطلاقة فى هذا المسرح الجديد وأول ضوء قوى يسلط على « بيكيت » .. ذلك المجهول !**

من أنت يا صمويل بيكيت ؟

تحت هذا العنـوان يورد المؤلف ترجمة وافية لحيـاة صمويل بيكيت فى قسم أول ، ثم يستعرض أعماله الروائية فى قسم ثان ، وفى قسم ثالث يتناول أعماله المسرحية .

أما حياته فقد بدأت فى وطنه ايرلندا عام ١٩٠٦ .. وبعد بداية حياته بعدة سنوات أخذ صمويل بيكيت ينتقل من مرحلة دراسية الى مرحلة دراسية أخرى ، حتى نال ليسانس الآداب الفرنسية فى سنة ١٩٢٧ ، وبعدها عين معيدا للغة الانجليزية بمدرسة المعلمين العليا بباريس .. **وعاد الى ايرلندا ، الى مسقط رأسه ، ليجد أحد المتشردين فى انتظاره ، بخنجر .. وفجـأة ، وبلا مبرر ، أغمد المتشرد سكينه في صـدر بيكيت الذى أسعف بأعجوبة ، ردت اليه الحياة .. وبعد أن**

عاد بيكيت الى الحياة صمم على أن يزور هذا الشرير في سجنه ليسأله : « لماذا فعلت ذلك ؟ » .. ولم يتلق ردا غير هـذه العبارة : « لا أدرى » .. ومن يومهـا أحس بيكيت بعبثية الحياة و « لا معقولية » الوجود ..

.. واشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، فرجع بيكيت الى باريس واشترك فى المقاومة ، لا حبـا فى باريس ولكن كراهة فى النازية وكل ما هو معاد للحياة والانسان .

واتخذ بيكيت من فرنسا موطنا ثانيا يعيش فيه حتى الآن .. وفى هذا الموطن الثانى اشـتغل مزارعا فى أحد الحقول ، ثم مترجما لأعمال جيمس جويس ، ثم مؤلفا تظهـر مؤلفاته في الأسواق وتمثل فى المسارح ، ويعيش عليها منذ عام ١٩٥٠ حتى يومنا هذا .. فبيكيت مؤلف لا عمل له غير التأليف ، وغير العناية بحديقة بيته الذى يعيش فيـه مع زوجته الفرنسية « سوزان » ، بغير أطفـال ، وبمعزل عن الناس ، وعن الأضواء ، وعن شهرته التى ملأت الدنيا !

وأما أعماله الروائية فقد سبقها انتاج وفير من القصائد الشعرية التى كتبها بيكيت باللغتين الانجليزية والفرنسية ، هذا فضلا عن مجموعة من القصص القصـيرة والكتابات النقدية .. وفى سنة ١٩٣٨ كتب بيكيت أولى رواياته الطويلة « **مورفى** » Murphy ، باللغة الانجليزية ، لكنها ظلت لعدة سنوات فى مخازن مكتبات لندن لا تباع ولا تشترى ، الى أن ترجمها بيكيت بنفسـه الى الفرنسـية عام ١٩٤٧ ، فوجدت طريقها الى البيع والشراء . ثم كتب روايته الثانية « **وات** » Watt التى لم تترجم من الانجليزية الى أية لغة أخرى .. وبعد هاتين الروايتين كتب بيكيت روايتين أخريين بالفرنسية أهملهما ولم يكملهما حتى الآن .. هاتان الروايتان

هما « مرسييه وكامييه » Mercier et Camier و « الحب الأول » Premier Amour .

أما المرحلة الزمنية الواقعة بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٠ فهى الفترة التى شهدت ثلاثية بيكيت الروائية العظيمة : « مولوى » و « مالون يموت » و « اللا مسمى » .

THRATRE DE TOUS LES TEMPS



par
PIERRE
MELESE

SEGHERS

« صمويل بيكيت » يطل من غلاف الكتاب الذى يتحدث عنه

الحرية !

وبعد هذه الثلاثية اتجه بيكيت كلية الى المسرح ، حيث بدأ بكتابة مسرحيـــة من ثلاثة فصـــول اســمها « **الحرية** » La Liberté ، لم تنشر ــ بناء على رغبة بيكيت ــ حتى الآن. غير أن « بيين ميليز » مؤلف هذا الكتاب يورد تلخيصا وافيا لها كما يذكر مشهدا قصيرا منها :

ساحة كبيرة فى باريس ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، فى يوم من أيام الشتاء .. خلال الفصول الثلاثة يتحرك على المسرح ١٧ ممثلا يقوم كل منهم بأداء دور متباين .. الحدث المسرحى يدور حول شـــاب قرر أن ينفصـــل عن أسرته البورجوازية التى تسمى أسرة كراب .

تبدأ المسرحية بهذا المشهد :

مستر كراب : اذن تناول سيجارة .

دكتور بيوك : شكرا .

مستر كراب : شكرا بنعم أم شكرا بلا ؟

دكتور بيوك : لا أدخن .

(فترة صمت)

مدام ميك ومدام بيوك معا : أنا ...

مدام ميك : أوه ! عذرا . كنت ستقولين ؟

مدام بيوك : أوه ! لا شىء . عاودى حديثك ، أرجوك .

(فترة صمت)

... بعدها تدخل المسرحية فى علاقات عائلية لا تهم المشـــاهد أو القارىء . أما فيكتور ابن أسرة كراب ، فلا يتدخل فى شىء ولا يتكلم الى أحد وانما يظل طوال الوقت شاردا لا عمل له غير التـــأمل والتفكير .. ويحـــاول الجميع أن يجذبوه اليهم أو يدفعوه الى تفسير موقفه وتبرير انطوائه

ولكن دون جدوى .. حتى خطيبته تفشل فى أن تحرضه على الكلام .. وتنتهى المسرحية بفيكتور يقف وحده على المسرح وقد أعطى ظهره للجمهور أو بالأحرى للمجتمع .

وقد تحمس **جان فيلار** لتقديم هذه المسرحية على خشبة المسرح القومى الشعبى بباريس ، بعد اختصارها الى فصل واحد ، ولكن بيكيت رفض هذا الشرط .. فأصبح تقديمها أو حتى نشرها أمرا مستحيلا .

فى انتظار جودو !

ومن هنا كانت البداية الحقيقية لمسرح بيكيت هى مسرحيته الشهيرة « فى انتظار جودو » .

والغريب أن بيكيت لم يكلف نفسه عناء عرض هذه المسرحية على أحد المخرجين أو الناشرين ، الى أن تعرفت زوجته الى المخرج **روجيه بلان** وقدمت له المسرحية ، وما أن قرأها حتى أعجب بها وقرر أن يقدمها فى ٣ يناير ١٩٥٣ ، بعد أن حصل على تصريح من جان مارى سورو بأن يفتتح مسرح (بابيلون) الصغير بهذه المسرحية التي كان عرضها حدثا فنيا تحمس له المؤيدون وتحمس ضده المعارضون ، وانقسم حوله النقاد وما زالوا فى انقسام غريب حتى اليوم..

نهاية اللعبة !

وبعد ثلاث سنوات من تقديم مسرحية « **فى انتظار جودو** » ـ تلك المسرحية التى جعلت من اسم بيكيت شيئا كبيرا فى عالم المسرح الجديد ـ قدمت مسرحيته الثانية «**نهاية اللعبة**» Fin de Partie التى أخرجها نفس المخرج روجيه بلان .. ولكن هذه المسرحية لم تحقق من النجاح ما حققته مسرحية « فى انتظار جودو » ، ذلك لأن

شيئا لا يحدث على الاطلاق فى المسرحيــة ، كما أن أحدا لايتحرك أبدا ، وذلك على عكس مارأيناه فى مسرحية «جودو» .

الشريط الأخير !

وبعد سنتين من تقديم هذه المسرحية الثانيــة قدمت مسرحية ثالثة لبيكيت فى لندن أولا ، ثم فى نيويورك بعـد ذلك ، وأخيرا فى باريس .. ولقد كتب بيكيت هذه المسرحية بالانجليزية ثم عاد وترجمها بنفسه الى الفرنسية . وعنوان المسرحية « **الشريط الأخير** » Krapp,s Last Tape .. وهى مسرحية من فصل واحد ، فصــل قصير ، لا يظهر فيه غير شخص واحد ، شخص واحد فقط هو رجل طاعن فى السن يقضى حياته فى الاستماع والاستمتاع بشريط كان قد سجله فيما مضى .

وكعادته دائما يذكر بيكيت فى بداية المسرحية تفاصيل خاصة بالاخراج والديكور والملابس والاضاءة .

فى مقدمة المسرح ، وفى الوسط ، توضع مائدة صغيرة لهـا درجان يفتحـان ناحية الصالة . يجلس « كراب » فى مواجهة الصالة مرتديا بنطلونا قصيرا جدا « وجيليه » أسود له أربعة جيوب واسعة ، وفوق البنطلون يرتدى قميصـا أبيض وفى يده يضع ساعة فضية .

يلاحــظ أن اسم الرجل « كراب » وهو اسم اسرة ديكسون بطل مسرحية « الحرية » ، وهو الاسم الانجليزى الذى يفيد معنى سمكة « الكابوريا » .

وما حدث فى « **جودو** » وفى « **نهاية اللعبة** » يحدث فى « **الشريط الاخير** » .. يرتفـع الستار عن كراب وهو يخرج من أحد أدراج المائدة شريطا مسجلا ومن الدرج الثانى اصبعا

من الموز يأكله ويلقى بالقشر على الأرض ، ثم لا يلبث أن يركله بقدمه نحو الصالة ، وبعد قليل يخرج اصبعا ثانيا يضعه فى أحد جيوبه .. ثم يقف ويتجه نحو مؤخرة المسرح، ولا يلبث أن يعود .. وأخيرا يفتش عن شريط خاص من بين الأشرطة العديدة الملقاة أمامه ، الى أن يعثر عليه ، فيضعه فى جهاز التسجيل ويديره ، ثم يقف ليستمع الى الحوار الدائر بين كراب الشاب وكراب الطاعن فى السن .. وفى أثناء دوران الشريط يتحرك كراب عدة مرات نحو مؤخرة المسرح ثم يعود بزجاجات بشربها ، وأصابع موز يأكلها ، ومن حين لآخر يتحدث مقاطعا الشريط ومتدخلا فى الحوار الدائر ..

وأخيرا يسدل الستار على كراب الصامت بلا حراك وهو ينظر أمامه فى الفراغ ، والشريط لا يزال دائرا ولكن فى صمت ، وبدون كلام .

ممثل واحد وصوتان مختلفان ، أو مونولوج مزدوج يغطى فترة زمنية طولها ثلاثون عاما كاملة . والدراما هنا تقوم على عجز الذاكرة أمام قوة الزمن .. الزمن الضائع .. الزمن الذى تغنى به الشاعر الرومانسى لامارتين ، والذى عاد بيكيت ليضعه موضع المأساة .

والجديد الذى يذكره المؤلف بصدد هذه المسرحية هو أنه بعد ثلاث سنوات من تقديم « **الشريط الأخير** » على المسرح قام المايسترو « مارسيل ميبا لوفيش » باعداد أوبرا مقتبسة عن هذه المسرحية عزف الحانها أولا كونشرتو باريس ثم قدمها مسرح (بيلفيلد) بألمانيا ، وبعد ذلك قدمها مسرح الأمم بباريس .

الأيام السعيدة !

كتب بيكيت هذه المسرحية سنة ١٩٦١ بالانجليزية ، وعرضت فى نفس العام فى نيويورك ، ثم فى باريس بعد ذلك فى سنة ١٩٦٣ ، بعد أن ترجمها بيكيت بنفسه الى الفرنسية .. وقد قام باخراج المسرحية « روجيه بلان » الذى أصبح متخصصا فى تقديم مسرح بيكيت . أما الدور الرئيسى فى المسرحية فقد قامت بأدائه الممثلة العبقرية « مادلين رينو» زوجة المخرج العبقرى « جان لوى بارو » .

و « **الأيام السعيدة** » Happy Days مثل «**الشريط الأخير**» ممثلها شخصية واحدة فقط خلال مونولوج طويل أيضا .. ولكن المسرحية الأولى على عكس الأخيرة تقع فى فصلين .. وبينما يتحدث كراب الى نفسه فى « الشريط الأخير » تجد « وينى » ـ بطلة « الأيام السعيدة » ـ فى زوجها « ويلى » مستمعا صامتا لا يجيد سوى الاستماع ..

والمسرحية تدور فى صحراء كتلك الصحراء اللا انسانية التى دارت فيها مسرحية « **جودو** » ، وهى الصحراء التى كان ينظر اليها « هام » بطل مسرحية « **نهاية اللعبة** » ، على أنها بداية الكون ونهايته .

والجديد فى مسرحية « **الأيام السعيدة** » حقا هو دور البطولة الذى تقوم به شخصية نسائية لأول مرة ، (على عكس ما حدث فى مسرحيات بيكيت السابقة حيث لم تظهر الشخصيات النسائية الا لتؤدى دورا ثانويا) . أما الشخصيات أو الموضوعات الرئيسية فى « الأيام السعيدة» بصفة خاصة ـ وفى مسرح بيكيت بوجه عام ـ فهى : الصمت الالهى ، عجز الانسان أمام الطبيعة ، فقدان الصلة بين البشر،



مشـــهد من مسرحية « الايام السـعيدة » كما مثلته النجمـة الفرنسية « مادلين رينو » على مسارح باريس

تحلل العقل والمادة جميعا ، الشعور بالضيق والاختناق بإزاء القيم الاجتماعية .. و «**الأيام السعيدة**» مسرحية «انسانية»، على الرغم من كل ما قد يبدو فيها من مخالفة لمعنى الانسان .. أليست تلك هى حياة الانسان .. أى انسان .. الانسان الذى اذا ما أحس ببقية فى قوته الجسدية أحس على الفور بدنوه من القبر ؟!

وعلى ذلك فهذه المسرحية ، من بين سائر مسرحيـــات

بيكيت ، هى اكثرها احتواء على معانى الرومانسية ، لما تنطوى عليه من شعر أو شاعرية ، ولما تتضمنه من حس أو احساس بالذات الانسانية ·· احساس أقوى من أى احساس غيره عند أبطال بيكيت الآخرين ·

كوميديا ·· أو ملهاة !

واحدث أعمال بيكيت هى مسرحية «كوميديا» Comédie التى تقدم عملا فيه من الجدة بمقدار ما فيه من الصورة التقليدية التى تضع الرجل بين امرأتين : احداهما هى الزوجة والأخرى هى العشيقة ·· أما الزوجة فتشك فى اخلاص زوجها لها ·· وأما العشيقة فتعتقد أن عشيقها يهتم بزوجته أكثر مما يهتم بها ! ··· ويستطيع الزوج أن يرضى زوجته ويبدد شكوكها ، فى الوقت الذى لا يقدر فيه على تبديد قلق عشيقته المستمر والذى يصل الى حد مطالبته بالانفصال عن زوجته ! ·· وفى النهاية لا يجد الرجل حلا أسعد من الرحيل بعيدا عن المرأتين معا ·· فتحزن الزوجة ، بينما تستسلم العشيقة للأمر الواقع ! ·· ويقول الرجل فى نهاية المسرحية : « لقد عرفت الآن كل شىء ·· عرفت أن هذا كله لم يكن الا (كوميديا هزلية) » ·

ونلاحظ أن بيكيت فى هذه المسرحية يضع كلا من شخصياته الثلاث داخل جرة تشبه صندوق القمامة الذى سبق أن وضع فيه كلا من الزوجة والزوج فى مسرحية « **نهاية اللعبة** » · وهو يرمز بهذا الى الانسان الملقى كالقمامة فى سجن قذر لا يملك أن يخرج منه أبدا ·

وفى هذه المسرحية لا يسمى بيكيت شخصياته ، ولكنه يكتفى بأن يطلق عليها رموزا هى (م١) و (م٢) و (ر) أى

المرأة الأولى والمرأة الثانية والرجل .. وهو يفعل هذا ليؤكد أن الهدف من المسرحية ليس تصوير شخصيات معينة ، لأن هذه الشخصيات انما تغلب عليهـــا صـــفة العموم ، بحيث تمثل الأنماط الثلاثة التقليدية : الزوج والزوجة والعشيقة، وكل منهم يتمـــادى فى مونولوج داخلى يختلط أحيـــانا بالمونولوج الداخلى الذى تجريه كل من الشخصيتين الأخريين، ولكن دون أن يتخذ شكل الديالوج بأى حال من الأحوال، فهم لا يدخلون فى حوار ولا يلتقون على وجهة نظر واحدة ،



مشهد من مسرحية «ملهاة» ، أحدث مسرحيات « بيكيت » ، كما مثلت على مسرح « ناشونال » بلندن .

لأن كلا منهم له وجهة نظره الخاصة التى ينطلق منها فى بناء مونولوجه الخاص .

ذهاب واياب !

وهى مسرحية « قصيرة جدا » كما يطلق عليها بيكيت نفسه ، فهى تستغرق دقيقتين ونصف دقيقة على المسرح ، ولكنها تعطي نفس الاحساس الدرامى المشحون الذى نجده فى المسرحيات الطويلة .

ولكن ما الذي تعرضه هذه الدقائق القصيرة ؟

ثلاث سيدات يجلسن على أريكة ، تضع كل منهن باروكة على رأسها ، ومعطفا طويلا جدا على جسدها .. الأولى ترتدى معطف بنفسجي اللون ، والثانية معطفا أحمر ، والثالثة أصفر .. وفى كل مرة تخرج فيها واحدة منهن تظل الاثنتان الأخريان تتحدثان عنها حديثا هامسا لا نسمعه ولكنا ندرك من حركاتهما أنه حديث مروع . ولقد سميت المسرحية باسم « **ذهاب واياب** » Va et Vient اشارة الى ذهاب أو خروج كل منهن ثم عودتها مرة ثانية .

٥ تمثيليات اذاعية

بعد أن كتب بيكيت « فى انتظار جودو » وبينما هو يكتب « نهاية اللعبة » اتفقت معه الاذاعة البريطانية على كتابة تمثيليات اذاعية خاصة بها .. وبالفعل كتب بيكيت فى سنة ١٩٥٦ تمثيلية « **كل الذين يسقطون** » All That Fall وأهم ما يميز هذه التمثيلية أنها تكاد تكون العمل الوحيد من بين سائر أعمال بيكيت الذى يحدد فيه مكانا للأحداث الجارية ، والمكان هنا هو قرية (فوكسروك) بايرلندا .. موطن الكاتب .. كما أن التمثيلية تتميز كذلك

بكثرة الشخصيات ، على غير العـــادة فى سائر أعمـــال بيكيت ، بحيث تصل فى هذه التمثيلية الى عشر شخصيات !

والجدير بالذكر أيضا أن هذه التمثيلية هى العمـل الوحيـد لبيـكيت بالاضـافة الى تمثيلية « **رماد** » Cendre اللذان يترجمهما الى الفرنسـية شـخص آخر غيره ٠٠ هو فى الحالتين « روبير بانجيه » أحد الرواد المعروفين فى مدرسة الرواية الجديدة ٠

وفى سنة ١٩٦٣ نقل «ميشيل ميترانى» هذه التمثيلية الاذاعيـة الى التليفزيون الفرنسى تحت اشراف بيكيت ٠ وقد فازت بجائزة « ألبير أوليفييه » لأحسن عمل تليفزيونى خلال ذلك العام ٠

بقايا عمل مهجور !

بعد نجـاح تمثيليـة « **كل الذين يسـقطون** » طلبت الاذاعة البريطانية من بيكيت كتابة تمثيلية أخرى ، وبالفعل كتب بيكيت تمثيلية أخرى ، فى نفس العام ، بعنوان « **بقايا عمل مهجور** » لم يترجمها أحد الى الفرنسية حتى الآن ٠

ولعل أهم ما يميز هذه التمثيلية عن غيرها من أعمال بيكيت هى أنها تقدم شـخصية واحدة فى مونولوج داخلى متصل لا بداية له ولا نهاية ٠٠ أما المونولوج فيحكى أشياء غير مفهومة ولا مرتبة ، وليست لها أية معـالم ولا تعطى الاحساس بأى معنى على الاطلاق !

رماد وموسيقى وكلمات !

بعد تقديم « بقايا عمل مهجور » بسنتين عادت الاذاعة البريطانية لتطلب الى بيكيت أن يكتب لها تمثيلية ثالثة ٠ وحدث أن كتب بيكيت تمثيلية « **رماد** » التى ترجمها

الى الفرنسية فيما بعد « روبير بانجيه » وهو نفسه الذى قام بترجمة « **كل الذين يسقطون** » من قبل ٠

وبعد ثلاث سنوات من تقديم « رماد » كتب بيكيت للاذاعة البريطانية كذلك تمثيلية رابعة باسم « **موسيقى وكلمات** » Music And Words ٠٠ أما هذه التمثيلية فقد قام بيكيت نفسه بترجمتها الى الفرنسية ٠

كاسكاندو !

وفى سنة ١٩٦٣ كتب بيكيت آخر تمثيلياته الاذاعية حتى الآن وأول تمثيلية للاذاعة الفرنسية وهى « **كاسكاندو** » Cascando، وتعد هذه التمثيلية من الاعمال النادرة التى كتبها بيكيت بالفرنسية مباشرة ٠ وقد أخرجها للاذاعة « روجيه بلان» ، مخرج مسرحيات بيكيت ، واشترك فى تمثيلها «جان مارتان » ٠

على أن الصفة الغالبة التى تجمع بين هذه التمثيليات الاذاعية الخمس هى استغراق أبطالها جميعا فى مونولوجات داخلية غريبة تحكى عن ماضيهم الضائع الذى ينعونه ولايجدون ما يصله بالحاضر ٠٠ ذلك الحاضر الضائع هو الآخر ، والذى يسلمهم الى اليأس والعدم ٠

تمثيلية للتليفزيون

أما « **تكلم ياجو** » Dis Joe فهى التمثيلية الوحيدة التى كتبها بيكيت للتليفزيون ٠٠ وهى تبين مدى اقتناع بيكيت بأن التليفزيون وسيلة حية من وسائل العرض الجماهيرى الواسع النطاق ، البالغ الأثر ٠٠ كما تبين مدى دراية بيكيت بتكنيك العرض التليفزيوني والتسجيل والاخراج والتصوير الذى يسبق العرض ٠

والتمثيلية تقدم شـخصيتين فى أداء واحد مزدوج ، فالرجل الذى يظهر فيهـا ، صامت لا يتكلم ·· والمرأة التى تتكلم لا تظهر على الشاشة مطلقا !

هذا وقد كتب بيكيت الى جانب أعمـاله الروائية ومسرحياته الطويلة والقصيرة وتمثيلياته الاذاعية والتليفزيونية مسرحيتين قصيرتين بدون حوار ·· تحمل الأولى عنوانا طويلا هو « **فصل بدون كلمات رقم ١** » Acte Sans Paroles N. 1 وتحمل الثانية عنوانا مماثلا هو «**فصل بدون كلمات رقم ٢**» والمسرحيتان صامتتـان يؤدى فيهما التمثيـل الصامت دورا رئيسيا بل يؤدى كل شىء ·

ولقد قدمت المسرحيتان فى فيلمين للعرائس عرضـا خلال مهرجان (أنيسى) للسينما عام ١٩٦٥ ·

فيلم سينمائى ·· بالاشتراك مع « يونسكو »

واستكمالا لمناحى النشاط الأدبى والفنى التى يمارسها بيكيت ويبرع فيهـا جميعا ، كتب سيناريو صـامتا هو الآخر يستغرق ٢٢ دقيقة ، أخرجه « الان شنيدر » ، وعرض فى مهرجان فينيسيا عام ١٩٦٥ ففاز بجائزة النقاد ·· ثـم عرض فى المهرجان الدولى للأفلام القصيرة بـ (تورس) عام ١٩٦٦ ففاز بجائزة خاصة من لجنة التحكيم ·

والفيلم اسمه «فيلم» Film وقد قام بدور البطولة فيه الممثل الكوميدى الراحل « بستر كيتون » ·

وهذا « **الفيلم** » هو فى الحقيقة عبارة عن الجزء الأول من فيلم يستغرق عرضه ساعة ونصف ساعة ، ويشترك فى كتابة جزئه الثانى « **هارولد بنتر** » بينما يكتب جزءه الثالث والأخير « **أوجين يونسكو** » ·

وقد صادف أن التقى المؤلفون الثلاثة حول رؤية واحده دون أن يعلموا بذلك من قبل .. فبيكيت اختار « العين » موضوعا للسيناريو الخاص به ، واختار بنتر « علبة » ، بينما اختار يونسكو « بيضة » .

ويحاول المؤلف أن يخلص الى مفهوم عام عن بيكيت يبدأه بهذه العبارة لجيمس جويس : « **هل تجدون عباراتى غامضة ؟ ان الغموض فى نفوسنا وليس فى الأشياء ، أليس هذا هو رأيكم أنتم الآخرون ؟** » .

وجيمس جويس كما هو معروف أستاذ بيكيت ومثله الأدبى الأعلى ، وهو الذى منحه مفتاح سر الأدب ، و «الخريطة» التى يهتدى بها فى عوالمه الغامضة .. ولعل أهم ما أخذه بيكيت عن جويس هو هذا الغموض الذى مضى فيه حتى النهاية .. وهى النهاية التى أفضت به الى ما اصطلحنا على تسميته بأدب العبث أو اللا معقول !

نصوص ووثائق

أما الجزء الأخير من الكتاب فيحتـــوى على صفحة من مسرحيـــة « **ملهـــاة** » مكتوبة بخط بيكيت .. ثـــم بعض الملاحظات التى ذكرها بيكيت عن عدد من مؤلفـاته ، وهى ملاحظات شـــحيحة نظرا لما عرف عن بيكيت من صمت بل وصمت تام ، سواء بازاء فنه هو أو بازاء الفن على الاطلاق. فعند بيكيت أن الصمت أبلغ تعبير لدى الفنان ، لأن الفنان ليس عليه الا أن يقدم أعماله ، أما الحديث عن هذه الاعمال فمتروك للآخرين ، نقادا كانوا أو قراء أو مشاهدين ..

وتطالعنا بعد ذلك فى الكتاب الرسائل التى تبادلهـا بيكيت مع المخرج « ألان شنيدر » بشأن مسرحية « نهـاية

اللعبة » •• كما تطالعنا كلمات قالها المخرجون الذين تولوا اخراج مسرحيات بيكيت ، وهم : «روجيه بلان» و «جان ــ ماري سورو » و « ألان شنيدر » و « آلان سمسون » •• وكلمات أخرى قالها اثنان من أبرز الممثلين الذين أدوا أدوارا رئيسية فى مسرحياته وهما « مادلين رينو » « ولوسيان رامبورج » •• وكلمة أخيرة لواحد ممن وضعوا الموسيقى التصويرية لمسرحياته وهو « مارسيل ميبالوفتش » •

بانوراما نقدية !

أما هذا الجزء الختامى من الكتاب فيحتوى على مقتطفات من الدراسات والملاحظات النقدية التى كتبها عدد من النقاد المعروفين ، سواء عن أعمال بعينها لبيكيت أو عن فنه بصفة عامة •• وأهم هؤلاء النقاد : « موريس نادو » و « جابرييل مارسيل » و « جاك لومارشون » و « جان-جاك جوتييه » و « روبير كانتر » •• ثم كلمة طريفة لأوجين يونسكو •

وأخيرا يختتم « بيير ميليز » كتابه عن بيكيت ببيان تواريخ العروض التى قدمت لأعمال بيكيت جميعا ، وأماكن عرضها ••

وبذلك ينتهى هذا الكتاب القيم الشامل الذى يخرج منه القارىء بفكرة عريضة وموضوعية وواضحة عن حياة وفن رائد « العبث » صمويل بيكيت •

ولا يبقى بعد هذا كله الا أن يترجم هذا الكتاب الى لغتنا العربية حتى تتاح الفرصة عريضة وواسعة أمام عدد أكبر من قراء العربية ليتعرفوا على رائد مسرح اللامعقول ، أو بيكيت •• ذلك المجهول !

العدد القادم

عدد خاص من « مطبوعات كتابى »

تستهل به سلسلتها الجديدة الرائعة

مكتبة التراث العالمى للشباب

يتضمن احدى شوامخ القصص الطويلة الخالدة ، لروائى من اعظم أدباء العالم فى جميع العصور ، مترجمة فى القالب الذى يلائم القارىء العصرى ، ويعرف الشباب بتراث العالم من القصص الطويلة التى ترجمت الى جميع اللغات ، والتى لا يليق أن يجهلها قارىء مثقف .

مترجمة بقلم : حلمى مراد

اقرأ الفقرة التالية من الرواية القادمة ، وحاول أن تعرف منها اسم الرواية ، واسم المؤلف ، وارسل الينا استنتاجك ، فقد تحصل على اشتراك مجانى فى كتابى ومطبوعاته لاثنى عشر عددا :

« العائلات السعيدة كلها تتشابه أسباب سعادتها .. اما العائلات الشقية فان لشقاء كل منها سببا خاصا يختلف عن اسباب شقاء غيرها ؟ .. وقد كان كل شىء مضطربا فى اسرة (....) فالزوجة تكشف لها ان زوجها على صلة آثمة بفتاة فرنسية كانت تعمل مربية عند الاسرة ، وقد صارحته بهذا النبأ وافهمته انها لن تستطيع الاستمرار في العيش معه تحت سقف واحد .. وهكذا تحرج الموقف بينهما ، واستمر كذلك ثلاثة أيام ، أدرك خلالها كل أفراد الاسرة ، والخدم ، استحالة استمرار الحال على هذا المنوال . كانت الزوجة معتصمة بمخدعها لاتبرحه ، بينما الزوج لم يعد يأوى الى المخدع منذ بدأت الازمة .. وانتهز الاطفال هذه الفرصة فاخذوا يعيشون فى البيت فسادا وضاقت بهم المربية .. »

ارسل ردك فورا ، فقد تفوز بالجائزة .



مصدرة بدراسة عن حيـــاة مؤلف القصة
«فرانسوا مورياك» ، وتعريف بأدبه ومؤلفاته

من هو مورياك ؟

بقلم : المحرر

● بعد وفاة « اندريه موروا » منذ شهور ، لم يكد يبقى على قيد الحياة من شيوخ الادب الفرنسى فى هذا القرن سوى « فرانسوا مورياك »، الذى يجتاز هذه الايام عامه الثالث والثمانين ، وما يزال يمارس الكتابة بنشاط ، فينشر « يومياته » المشهورة كل اسبوع بانتظام فى العدد الاسبوعى من صحيفة « الفيجارو الأدبية » .

ورغم موجات الشك ، والالحاد ، والفلسفة الوجودية وتيارات القلق ، والعبث ، « واللامعقول » التى تعم الأدب الفرنسى ، وتتلاحق - موجة فى اثر موجة - منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .. فان « مورياك » ، الكاتب المتدين ، أو « الكاتب الكاثوليكى الاول فى فرنسا » كما يطلق عليه ، قد استطاع أن يحتفظ بمكانته « ويصمد » فى وجه كل تلك التيارات والموجات صمودا يحسد عليه !

وقد ولد مورياك فى مدينة بوردو ، عام ١٨٨٥ ، لأسرة تنتمى الى الطبقة المتوسطة ، ونشأ فى بيئة كاثوليكية ، كما بدأ تعليمه فى مدرسة للجزويت - اليسوعيين - ثم التحق بمدرسة ثانوية من مدارس الليسية، ومنها انتقل الى جامعة بوردو ، فجامعة باريس .. وفى عام ١٩٠٩ أصدر مجموعة من قصائد الشعر يدور أكثرها حول الصراع بين عواطف الانسان ومبادىء الدين !

١٠ روايات طويلة فى ١٢ سنة

● وخلال اثنتى عشر سنة ، تبدأ من ١٩٢٠ ، كتب مورياك عشر روايات دعمت مكانته وشهرته الادبية . ومن ابرز تلك الروايات : «قبلة للأبرص» Le Baiser au Lépreux (١٩٢٢) « جينيتريكس » Génitrix (١٩٢٣) ، « صحراء الحب » Le Désert de l'Amour و « تيريز ديسكيرو » (١٩٢٧) Thérèse Desqueyroux و « عقدة الافاعى » (١٩٣٢) Le Noeud de Vipères .

وقد نال مورياك عن رواية « صحراء الحب » الجائزة الكبرى للتأليف الروائى . وتدور احداث الرواية حول فتاة احبها رجلان : طبيب فى الثانية والخمسين ، وابنه البالغ من العمر سبعة عشر عاما .. غير ان الفتاة تصبح زوجة لرجل ثالث ! .. وتشاء الأقدار ان يجتمع الطبيب وابنه والزوجة حول فراش الزوج المريض ، لكن الطبيب يؤدى واجبه الانسانى على الوجه الأكمل !

أما رواية « جينيتريكس » فتدور حول فكرة الامومة ، وتصور صراعا عنيفا نشب بين أم وابنها .. وقد قرر النقاد بشأن هذه الرواية انها تضع مورياك فى الصف الأول من الروائيين الفرنسيين .

وفى عام ١٩٣٤ انتخب مورياك عضوا فى الاكاديمية الفرنسية أو « مجمع الخالدين » ، وبعدها بقليل بدأ فى كتابة « يومياته » وتتضمن انطباعات شخصية ، وتعليقات على الاحداث الجارية فى فرنسا . ولا يزال مورياك مثابرا على كتابة هذه اليوميات فى ملحق « الفيجارو » الأدبى الاسبوعى ، حتى اليوم ، (وكان قبل ذلك ينشرها فى صحيفة « الاكسبريس » الاسبوعية طوال سنوات من الخمسينات .)

اما فى باب السير والتراجم فقد كتب مورياك سيرة لنابغة المسرح الفرنسى « راسين » (١٩٢٨) ، وأخرى للمسيح (١٩٣٦) ، كما الف أربع مسرحيات ، وعديدا من مجموعات القصص ، والدراسات النقدية، والمقالات ..

فوزه بجائزة « نوبل » فى الأدب ، عام ١٩٥٢

● وفى عام ١٩٥٢ منح مورياك جائزة نوبل فى الآداب ، فكانت تتويجا لكفاحه الأدبى الطويل . (وكان يومئذ فى سن السابعة والستين .)

ويقسم مورياك وقته الآن بين الاقامة فى باريس ، والاقامة فى عزبته المسماه « مالاجار » ، فى منطقة ريفية بالقرب من مدينة بوردو ، حيث تجرى حوادث كثير من رواياته .

ومحور اكثر الروايات التى كتبها مورياك يدور حول فكرة الضعف

الانسانى ، وان غالبية البشر ضعفاء ، فجميع مؤلفاته تسيطر عليهـا فكرة الخطيئة ، وأبطالها أسرى الانانية والعواطف الجامحة ، فهم فى صراع مع شهواتهم ورذائلهم ..

وامام هذا الصراع نرى القوى الخارقة ، المجهولة ، تقف عـلى الحياد فلا تتدخل لتتحكم فى مصائرهم . وهكذا خلق مورياك من رواياته « متحفا » امتلأت ردهاته بصور الخطاة والمذنبين . ولقد عاب البعض على مورياك هذا الاتجاه ، فكان جوابه :

ـ يقول لى البعض : « صف فى رواياتك اشخاصا فضلاء » .. ولكننى اخفق دائما فى تصوير الاشخاص الفضلاء . ويقولون لى : «حاول ان ترفع قليلا من المستوى الاخلاقى لشخصـيات قصصك » ، ولكننى كنت كلما حاولت ذلك أصطدم باصرار هذه الشخصيات على التخلى عن كل جانب من جوانب الفضيلة والامتياز .

وهكذا نرى أن روايات مورياك تعالج مشكلات الحياة الاساسية ، فهى دراسة لمشكلة الخطيئة والاثم ، ودراســة مرتبطة بواقع الحيـاة ارتباطا وثيقا ، لاسيما فى جنوبى غرب فرنسا الكاثوليكية .. وحين سئل مورياك فى ذلك قال : « اننى أصور المحسوس والملموس ، فبينما يعطينا رجال الدين فكرة تجريدية عن الخاطىء ، فاننى اكسوه باللحم وأجعل الدم يجرى فى عروقه . » ، وهذا ماجعله يمتدح فن الرواية كشكل من أشكال الأدب ، ويعقد له لواء الصدارة على الفنون جميعاً ، وهـــذه الصدارة مستمدة من هدفه الذى هو : الانسان !

وبينما سار كتاب فرنسا ، فيما بين الحربين العالميتين ، على منهج « بلزاك » ، اتجه فرانسوا مورياك الى الطابع الكلاسيكى الذى عرفت به مدام دى لافاييت ، مؤلفة القصة الخالدة « أميرة كليف » (التى قدم لك « كتابى » عرضا وتلخيصا لها فى العدد رقم ٣٥) .

هل يكتب الروائى عن تجربة شخصية ؟

● وقد سئل مورياك عما اذا كان يصف فى رواياته مواقف ليست

لديه عنها تجارب شخصية ، فاجاب بان الكاتب يحيا فى الغالب تجارب شخصياته على نحو من الانحاء ، ولكن هذا لايمنع من انه فى كثير من الاحيان يعالج مواقف لم تمر به فى حياته . ويقول موریاك فى هـذا الصدد ان الكاتب لايبدأ فى الانتفاع بتجاربه الخاصة الا بعد زمن ليس بالقصير ، ولذلك فان يصبح الكاتب روائيا حقيقيا الا بعد ان تتقدم به السن ، لان الروائى الشاب لايستطيع أن يصف الا مرحلة المراهقة أو الطفولة ..ولابد من فاصل زمنى بين التجربة وبين ممارسة الكتابة عن هذه التجربة .

ولايكتب موریاك الا فى الوقت الذى يلائمه ، فالكتابة عنده ليست عملا آليا يمكن أن يؤدى فى اى وقت . وحين يواتيه الوحى أو الالهام للكتابة ـ وهى الفترة التى يطلق عليها « فترة الابداع » أو الفترة الخلاقة » ـ فانه يكتب كل يوم ، ولايكف عن الكتابة حتى يفرغ من الرواية ، لان تاليف الرواية لايحتمل المقاطعات والتوقف .. لكنه عندما لايحس بدافع قوى يدفعه الى الكتابة ، او اذا شعر بان الالهام قد توقف فعندئذ يكف عن الكتابة .

وعن شخصيات رواياته يقول « موریاك » انه لاينقل شخصياته عن الواقع نقلا مباشرا ، فربما بدات الرواية بشخصية حقيقية ولكن سرعان ماتختفى سماتها الواقعية ، وتكتسب سمات جديدة من داخل الرواية .. بعكس الشخصيات « الثانوية » فى رواياته فاغلبها شخصيات حقيقية . ويقول موریاك انه يخلع صفاته الشخصية على كثير من شخصيات رواياته، حتى ليكاد « يحشر » شخصيته هو فى كل رواياته تقريبا !

الأدباء الذين تأثر بهم

● وعن الكتاب الذين تاثر بهم يقول موریاك انه لم يتاثر بروائى معين،وربما كان تاثره أكثر بالشعراء ،ومنهم على سبيل المثال : «راسين» « بودلير » ، « رامبو » .. لكنه لم يتاثر باحد من الروائيين ، بل لعله تاثر بشخصيات أبطال الروايات أكثر من تاثره بمؤلفى الروايات أنفسهم ، فهو قد تاثر ـ مثلا ـ بشخصيتى « مدام بوفارى » ، و « انا كارنينا » ،

وبطلات بلزاك . اما عن الادباء المعاصرين فهو لايهتم الا « بالتكنيك » الذى يصطنعونه فى كتابة رواياتهم .

ازمة الرواية المعاصرة

● وقد سئل مورياك ذات مرة عما اذا كان يوافق على أن ماتعانيه الرواية المعاصرة من ازمة يعود الى أن الاحداث التراجيدية التى تجرى الآن ابعدت الناس عن عالم الخيال والرواية ، فاجاب بالنفى ، وقال ان مايسمى بازمة الرواية هو فى الحقيقة أزمة فى القراءة ، فالناس لم يعودوا يقراون كما كانوا يفعلون فى الماضى ، وازمة الرواية ــ فى نظره ــ ذات طبيعة « ميتافيزيقية » ، وترتبط بمفهوم معين للانسان . فلابد أن تعبر الرواية عن مفهوم العصر للانسان ، فاذا كان الفرد الحديث قد فقد سماته المميزة ، فلابد أن تصطنع الرواية اسلوبا يعبر عن مثل هذا الفرد ، فالازمة ــ اذن ــ هى ازمة « تكنيك » ، ومن هنا كثرت الروايات النفسية والتجريبية والفلسفية التى تعنى بالتحليل والتعليل ولاتهتم بتحديد سمات الشخصيات على نحو ماكان يفعل كتاب القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة ــ فى نظر مورياك ــ أن زعامة الادب فى فرنسا قد انتقلت الى الفلاسفة ، من امثال « جان بول سارتر » ، فان وراء ذلك سببا تاريخيا هو ماساة فرنسا : « لقد عبر سارتر عن ياس جيلنا وهو لم يخلق هذا الياس ، وانما برر وجوده واضفى عليه من اسلوبه » .

أيهما أعظم : الروائى ، أم روايته ؟

● ويرى مورياك ان هناك حالات او « ظواهر » نادرة ، (مثل : شكسبير وهوميروس ، وراسين) ، اختفت شخصيات أصحابها ، بينما خلدت أعمالهم .. فنحن لانكاد نعرف شيئا عن « حياة » هؤلاء الثلاثة ،

ولكن ((أعمالهم)) هى الباقية . ولاشك فى أن اعظم مايحققه الآديب من نجاح هو أن ينساه الناس بعد وفاته ، وتختفى شخصيته ، فلاتبقى فى ذاكرة الاجيال سوى أعماله الادبية .

اما فيما عدا هذه ((الظواهر الخارقة)) ، فان هناك اعمالا أدبيـة تموت ، بينما يبقى أصحابها : فموریاك لايكاد يذكر مثلا اسم آية شخصية من أبطال روايات ((كافكا)) ، بل انه لايستمتع بقراءة هذه الروايات ، وان كان يعرف عالم كافكا جيدا من خلال ((يومياته)) و ((رسائله)) وكل شيء عن شخصه الذى يفتنه .

وبالمثل فان أعظم مابقى من ((روسو)) هـو ((اعترافاته)) .. ومن ((شاتوبريان)) هو ((مذكرات ماوراء القبر)) .. ومن ((أندريه جيد)) هو ((يومياته)) ، وروايته التى يحكى فيها قصة طفولته Si Le Grain Ne Meurt .. واثناء مطالعة مـوریاك لرواية ((مرتفعـات ويذرنج)) كانت شخصية مؤلفتها ((اميلى برونتى)) هى التى فتنته . وبالاختصار ، فعندما تختفى شخصيات أبطال القصة ، فان المؤلف هو الذى يبرز الى الضوء شيئا فشيئا ، حتى يسيطر وحده على خشبة المسرح .

ويدلل موریاك على رأيه بالقول أن شخصية الروائى العظيم ، أى شخصية الفنان ذاته ، هى الجديرة باهتمامنا : فتولستوى ، وديكنز ، وبلزاك ، هـم العظماء ، وليست القوالب الادبيـة التى ابتدعوها ، أو شخصيات أبطال قصصهم التى خلقوها وصوروها .. وهكذا فان شخصيات ((مدام بوفارى)) ، و ((أنا كارنينا)) ، وحتى ((الاخوة كارامازوف)) وشخصيات بلزاك ، لاتستطيع أن تعيش وتتنفس الا اذا وجد القراء الذين يتذوقونها ويمدونها بالحياة ، وبغيرهم تظل أشبه بجثث محنطة أو تماثيل فى متحف مهجور !

وفى هـذا القدر الكفاية عن مـورياك ، ولنقرأ الآن هـذا التلخيص لروايته المشهورة ((جاليجاى)) ، بعد أن عرفنا شيئا عن مؤلفها :

حلمى مراد

نافر من الحب

تلخيص : الدكتور أنور لوقا
أستاذ الادب الفرنسى المساعد بكلية آداب عين شمس

- ١ -

أجهشت « مارى دوبرنيه » بالبكاء ، وأضربت عن الجلوس الى المائدة لتناول الغداء مع والديها ، وصعدت الى غرفتها ، وأوصدت بابها . لماذا تنتهرها امها ؟.. ألنظرة منها ، أذاعت ما تكتم من شعور ؟

وكان قيظ الظهيرة شديدا ، فخلعت ثوبها واستلقت على سريرها نصف عارية ، مستسلمة لشجنها . وسرعان ما اسكرتها دموعها . لم يكن هناك من يحنو على هذا الجسم الغض .. جسم الطفلة الذى استحال الى جسم امرأة ، فى سن السابعة عشرة . وراحت الفتاة تردد اسما وقد غاص رأسها وتكمم فى الوسادة : « جيل ، جيل ، جيل » !

لقد التقت ب «جيل» ثلاث مرات لا أكثر : مرة اذ جمعهما غداء فى الهواء الطلق دعتهما اليه اسرة «مونجى» .. ومرتين ، كانا لقائين حقا ، على ضفة نهر (الليرو) . هناك كان «جيل» بصحبة « نيكولا بلاساك » ، وكانا يستحمان . **وبدا لها « جيل » اذ ذاك كأنه الذئب ، وقد تلألأت قطرات الماء على جلده الذهبى** .. بينما بدا نيكولا دميما ممتقع الوجه . وأما اللقاء الأخير ، فكانا قد ضربا موعده، هى، وهو، بمفردهما !.. آه لهاتين الساعتين العذبتين ! .. انها لتريد أن تستعيدهما وتحياهما من جديد ، مهما يكلفها ذلك من ثمن ..

ترى هل يقاسى « جيل » مثلها ؟ .. انه يسعى الى رؤيتها حيثما تذهب . لقد كانت عبارته الأخيرة لها ، «ان مدام « أجات » — مربيتها — تستطيع كل شىء » .. ثم قال ان

المربية تحب « نيكولا بلاساك » ! •• ترى أتستطيع ـ هذه المرأة ـ أن تحب امرؤا ما ؟ •• من يدرى ؟ انها تظهر اللطف على كل حال • ولكنها غريبة الأطوار ، تقول قولة ثم تفعل عكسها •١انها تعرف كيف تتملقك بكلام كالعسل المصفى حين يخطر لها ذلك ، ولكنها عنكبوت عجوز ، كأن شيئا فى داخلها ينخرها ويقرضها ، فلعلها مصابة بالسرطان ، فليأخذها الموت ! كلا ! يا الهى ، سامحنى ! لا ، اننى لا أتمنى لها الموت • لا ، يارب احفظ حياة مدام « أجات » •

- ٢ -

وفى تلك الساعة ، بينما كانت فتاة نصف عارية تتألم من أجله ـ فى غرفتها ـ كان « جيل » يتناول غداءه بشهية فى بيت صديقه « نيكولا » • وكان « جيل » فتى فى الثالثة والعشرين من عمره ، يشبه أى شاب فى الثالثة والعشرين ! لم يكن أعجوبة الا فى نظر « مارى » وفى نظر « نيكولا » • وكانت أم نيكولا تعجب به أيضا ، ولكن اعجابها كان خاليا من كل عاطفة • كان يمثل بالنسبة لها عضوا من أعضاء المجتمع الراقى • فقد كان يسرها ألا يجد « جيل سالون » ، ابن الدكتور « سالون » ، غضاضة فى أن يأكل فى بيتها ، بل وأن يجد كل ما طهته يداها طيبا لذيذا ، برغم انها ارملة فقيرة ، تضطر أحيانا الى الاشتغال بغسل الثياب ، أو القيام بخدمة بعض العائلات الموسرة ، لكى تكسب قوتها وتربى ابنها ، منذ توفى زوجها •

أما فى عينى ابنها نيكولا فقد كان «جيل» هو المثل الأعلى للشباب فى جماله وانطلاقه • انه يحبه ، وينظر اليه فى اعجاب ، حتى لينسى ماذا يتناول ـ اثناء ذلك ـ من طعام !• انه لا يسمع الحوار الدائر بين أمه وبين « جيل » ، وانما

يحس بالبهجة اذ يفكر فى أن «جيل» معه ، فى بيته ، وفى حياته، وفى قلبه • وانه ليشـكر الله على هذه النعمة الكبيرة • ففى باريس ، لم يكن يلتقى به الا نادرا !•• لقـد كان الفـرق الاجتماعى بينهما كبيرا • فنيكولا كان يقيم فى المدرسة التى يشتغل فيها « ملاحظا » ، على حين كان « جيل » يختلف الى بعض محاضرات الجامعة ، وينفق وقته مع اصدقاء كثيرين من حوله • غير ان نيكولا كان ممن يؤمنون بأنك لن تستطيع ان نمتلك الشخص الذى تحبه الا فى سـكون العزلة ، وأثنـاء العطلة ــ فى بلدتهما الصغيرة (دورت) ــ كما هى حالهما الآن، اذ ها هو ذا « جيل » ملك له تماما !

ولم يكن « جيل » يحدثه ــ سيما كلما خرجت والدة نيكولا « مدام بلاسـاك » لاحضـار شىء من المطبخ ــ الا عن هيامه بمارى •• ثم يعرج الى الحديث عن شغف مربيتها «مدام أجات » به هو « نيكولا » •• وعندئذ ينبرى له هذا مقاطعا :

ــ ارجوك يا « جيل » ان تقلع عن الخوض فى سيرة مدام «أجات» • انى انتظر نهاية العطلة بفارغ الصبر ، لكى تفصل بينها وبينى مئات الكيلومترات ، حتى لا أراها تقتحم البيت وتدخلَ كل غرفة دون استئذان !

ــ وهل الذنب ذنبى اذا كانت « جاليجاى » متيمة بك ؟ لا تنس ــ على كل حال ــ وعدك لى بالا تجفوها • فليس من يجمع شملى ب «مارى» ، قرة عينى ، سواها • لكنك تستطيع أن تسيطر عليها اذا أردت !

وتقبل أم نيكولا ، فتسـألهما فيم يتحدثان ، فيجيبها « جيل » :

ــ عن مدام « أجات » ، ألا تروق لك ؟

ــ آه من هذه المرأة !•• انها تدخل علينا كأنها تدخل طاحونة مفتوحة للجميع • وليتها تقف لكى تخاطبنى ، وانما

هى لا تستحيى من الصعود رأسا الى غرفة نيكولا • فلعلها تبيت فى نفسها أفكارا ••

فيقاطع نيكولا أمه ، نافرا مما يسمع • ولكن الأم تواصل حديثها :

ـ لقد قلت لها واقع الأمر فى وجهها • ولست أتوقع بعد ذلك أن أفاجئها وهى تصعد سلم الدار مرة أخرى !

ـ ولكنك تعلمين انها ابنة « الكونت دى كامبلان » •

ـ نعم !•• « الكونت » الذى يضطرها الى أن تشتغل لتعيش ، بعد أن أكل ثروتها !•• وحين أقول «تشتغل» أعنى مايعنيه الناس من عملها لدى السيد «دوبرنيه» والد مارى !

فيقاطع نيكولا أمه ثانية ، نافرا مما يسمع ، مغمضا عينيه لكى لا يرى ما اتخذ وجهها من تعبير فى تلك اللحظة • ويتحسر « جيل » ساخرا :

ـ مسكينة « جاليجاى » !

فتسأله أم صديقه : « لماذا تدعوها «جاليجاى»؟ «(١)

---

(١) « جاليجاى » هو اللقب الذى عرفت به « ليونورا دورى » ، زوجة الوزير الايطالى كونشينى ، عشيق ملكة فرنسا « مارى دى ميديسيس » (١٥٧٣ ـ ١٦٤٢) ، والدة الملك لويس الثالث عشر . وقد ساهمت « جاليجاى » فى تلطيخ سمعة زوجها كونشينى ، كما ساهم الاثنان فى السيطرة على شخصية الملكة مارى وتصرفاتها ، ولاسيما خلال السنوات السبع (١٦١٠ ـ ١٦١٧) التى حكمت فيها « مارى » فرنسا حكما مطلقا ، كوصية على ابنها لويس ، بعد اغتيال زوجها هنرى الرابع فى عام ١٦١٠ . وبلغ من تدليلها لوزيرها المفضل كونشينى انها عينته رئيسا للوزراء وماريشالا فى الجيش . لكن جاليجاى احرقت فى النهاية ، عام ١٦١٧ ، بتهمة ممارسة السحر والشعوذة للسيطرة على

ـ ألا تعلمين أنها قد تزوجت بارونا ؟
ـ بارونا ؟!
ـ أجل بارونا مليح الطلعـة هجرها يوم اقترن بها ، بمجرد أن قبض البائنة ، مبلغ المليونين من الفرنكات .. اننى أعلم القصة . لقد ولى الأدبار فى مسـاء اليوم نفسه ، بينما كانت « أجات » تخلع ملابس العرس !
ـ عجيب أن يحدث هذا !

فينظر نيكولا الى صديقه فى أسى ، ويعاتبه قائلا :

ـ « جيل » ! دعك من هذه السيرة ، فانك تعرفها تماما .. كما تعرفها والدتى .

الأم : ان البارون لم يهرب بمفرده كما تعلم !

جيل : فمع من عساه أن يكون قد هرب ؟

الأم : ليس مع امرأة ، على كل حال !

جيل : فمع من اذن ؟

الأم : ان كنت لا تعلم النبأ ، فلست أنا التى ستلقيه اليك .

ومن لهجة مدام « بلاساك » ، أيقن « جيل » ان ذلك « البارون » قد انحرف فى سلوكه .

الملكة ! .. وفى نفس العام تولى لويس الثالث عشر عرش فرنسا ، فنفى والدته مارى دى ميديسيس بعيدا عن باريس . وحين سـال القضاة « جاليجاى » ، اثناء محاكمتها ، اى نوع من السـحر استخدمت كى تسيطر على عقل الملكة مارى ، كان جوابها : « ان سحرى الوحيد يتمثل فى سلطان ذى العقل القوى على ذى العقل الضعيف ! »

(كتابى)

- ٣ -

دخلت مدام «أجات» غرفة تلميذتها «ماري» ، فلم يوقظ دخولها الفتاة الناعسة ٠ وكانت تحمل اليها طعام العشاء ٠٠ آه ! يا لهذا الجسم اليافع ، الذى تنازعه الكرى والشجن !٠٠ كانت « ماري » نائمة وقد اخفت وجهها بين ساعديها ، وثنت احدى ساقيها ، فبدت ركبتها هذه التي تشبه قطعة من الحجر تحت ماء مجرى دافق لم يلمسها أحد ، على حين تدلت ساقها الاخرى زغباء خفيفة الزغب ٠ ومن هذا الجسد الذى ينضح عليه العرق ، ومن هاتين الذراعين البضتين ـ وقد ارتفعتا كأنهما نهران ينبعان من بقعة من الذهب القاتم هى رأسها الأشقر ـ كانت تفوح رائحة نباتية اكثر منها حيوانية ٠ تشبه رائحة الماء والطين ٠٠ رائحة البحر ورائحة الحديقة !

ورفعت مدام « أجات » عينيها ، ونظرت الى صورتها المنعكسة على صقال زجاج النافذة ٠٠ كانت جفونها غير ذات أهداب ، ووجهها ناتىء العظام ، وقميصها معروقا تحت ابطيها ٠٠ قميص فضفاض فارغ فوق صدرها !

وقالت فى نفسها : « ليس لى صدر ٠٠! » ، وليت ذلك كان حقا ، اذن لكان أفضل لها ان تكون غير ذات صدر كاعب على الاطلاق ، من ان تحمل هذا الذى كانت تحمله ٠ ومن الموضع الذى وقفت فيه ، لم تكن تستطيع أن ترى نهدى الصغيرة « ماري » ، ولكنها كانت تعرفهما ٠ وعلى الرغم من أنها ظلت حابسة أنفاسها ، فقد تحركت الفتاة الراقدة ، وسألت : « من هناك ؟ » ٠ فأشارت المرأة الى الطعام قائلة :

ـ كلى ٠ ولكن تغطى أولا !

ـ كان ينبغي أن تطرقي الباب ، لكي أتمكن من ارتداء ثوبي قبل أن أسمح لك بالدخول ٠

ـ لا يوجد شيء من حقك ان تأذني لي به ، اذ لا يوجد شيء من حقك أن تمنعيه عني !

ها هي ذي ماري قد أغضبت مدام « أجات » ، ملجأها الأخير ٠ فهل أساءت اليها حقا ؟٠٠ لماذا لا تحنو عليها معلمتها ؟٠٠ وطوقت الفتاة بذراعيها النحيفتين عنق مدام « أجات » ٠ واحست هذه بحرارتها ، فأبعدتها في رفق ، واعانتها على ارتداء ثوبها ٠٠ وانصرفت الصبية عن الطعام الى سؤال مربيتها :

ـ ما الفارق بين آل « سالون » وبيننا ؟ ٠٠ فيم نفضلهم ونمتاز عليهم ؟

ـ سلي أمك ، فهي التي ترى ذلك ٠

ـ بل قولي لي ، أي فارق هناك ؟

ـ فارق ما بين نملة سوداء ونملة حمراء ٠

ـ لست افهم ٠

ـ ليس هناك ما ينبغي فهمه !

لقد كانت « أجات » تحقد على هذه الطبقة من الناس بعد أن هجرها البارون « جوت » ليلة زفافها اليه ، وهرب مع ابن البستاني !٠٠ فكانت أسرتا « سالون » و « دوبرنيه » تنتميان ـ في تقديرها ـ الى نفس الحثالة البشرية ٠ وانها لتؤثر عليهما بمراحل قوما متواضعين كعائلة « بلاساك » ، التي لا تطمع في شيء ولا تدعي شيئا ٠ وتخيلت الفتى «نيكولا» ، وكيف تستطيع ـ اذا عاشت بجانبه ـ ان ترفعه الى مكانة عالية ٠٠ انها تريد ان تدخل حياته ، ولكنه يروغ منها ، غير انها واثقة من انها بقوة ارادتها بالغة يوما جميع

ما تصبو اليه • انها لم تشعر قط بأى ميل نحو البسارون « جوت » ، ذلك الشاب اللين لين الأنثى ، ولو قد رغبت فى الابقاء عليه ، لما أعوزتها العزيمة • ولا أدل على استطاعتها أن تروق فى أعين الرجال من نظرات السيد « أرمان دوبرنيه » رب البيت اليها ، حتى لقد استدعى الأمر أن تزود باب غرفتها بقفل خاص !

ترى كيف يمسى بين يديها نيكولا يوم تبوح له بوجدها ؟ •• انه يرهب أن يختلى بها • كلا ، فما ذلك الا حياء منه وخجلا ، لانها أطالت التحديق فى وجهه • انها تعى مبلغ جوعها اليه •

ـ مدام « أجات » ، انك لا تسمعيننى ؟

ولعل الصبية كانت تخاطبها منذ وقت طويل وهى لاهية عنها ، غارقة فى تفكيرها •

ـ لماذا تعارضيننا ؟.. لقد تعرفت بـ «جيل» عن طريقك •

ـ أمجنونة أنت ؟•• ان نيكولا صديقى ، وكان «جيل» بصحبته •• ليست لى يد فى ذلك •

ـ أوه ، يا مدام « أجات » !•• لقد مكنتك رقتك ـ بلا شك ـ من ملاحظة ما ننشأ بينى وبين « جيل » ، فدبرت تكرار لقائنا • وهذا شىء لن أنساه لك ما حييت ••

لقد كانت الصبية الغريرة موقنة من أن قلب المعلمة قد رق لحبها ، ومن أنها تعطف عليها • **غير أن مدام أجات ـ حين دبرت كل لقاء مضى ـ لم تكن تسعى الا نحو هدف واحد ، هو أن تلحق بنيكولا ، الذى لم يكن يتهرب منها كلما اقبل بصحبة « جيل »** • على أنها لم تدع الوهم أن يضللها ، فهى تعرف ان الفتى لا يحبها ، وانما يطيع ـ فى مرافقتها ـ ايعاز صديقه •• والحق ان نيكولا لم يكن ينتبذ بها ركنا بعيدا

فى الغابة ، الا ليخلو الجو لجيل ومارى معا • مهما يكن من شىء فقد عرفت هى الهناء برفقة رجل فى الغابة •

وتناقش الصبية معلمتها ، وتتودد اليها ، لكى تؤدى بينها وبين «جيل» دور الرسول ، فى تلك البلدة الصغيرة التى لا سبيل الى اتصال فتيانها بفتياتها دون رقيب !

ـ ٤ ـ

ـ انى مسئولة عن تربية الآنسة « مارى دوبرنيه » • ولقد سببت يا سيدى فى حياتها اضطرابا كبيرا ••

هكذا راحت المعلمه تخاطب « جيل » ، والفتى يصغى اليهـا ، دون أن يعارضها أو يظهر امتعاضـه ونفـوره من محضرها الكريه • فلقد كان حريصا على أن يحظى برضاها • وبعد ان تركها تتكلم ما طاب لها الكلام ، قال :

ـ انا انما أخاطب قلبك •

ـ لا قلب لى •

ـ لست أصدقك •

ـ **لا قلب لى بالمعنى الذى تظنه •**

وصمتت ، وأخذت تحملق فيه من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، فقرب كرسيه حتى واجهها •• وكادت ركبته الغليظة أن تمس ثوبها الرمادى ، ثم سألها :

ـ ماذا أقبلت تقولين لى ؟

يا له من فظ غليظ !•• وتراجعت بكرسيها قليلا الى الوراء ، كأنهـا تأنف منه •• **نعم ، فانهـا تكره منـه هذه الرجولة القوية التى اسـتطاعت أن تحييها فى نفسـه صبية تافهة ، بينمـا لم تسـتطع شـخصية عالية كشخصيتها ان تسيطر عليه أدنى سيطرة !**

ـ انت وحدك تستطيعين ان تقنعى مدام «دوبرنيه» •• أتعرفين بمن يشبهك نيكولا ؟

فاحمر وجهها ، اذ علمت أن نيكولا يفكر فيها لدرجة انه يشبهها بغيرها من الناس !

ـ انه يشبهك بليونورا جاليجاى •• أتذكرين «ليونورا جاليجاى » ؟

فأجابت ضاحكة : « نعم ، تلك التى استطاعت السيطرة على الملكة « مارى دى مدسيس » ، دون أن تستخدم من تميمة سحرية الا سلطان النفوس القوية على النفوس الضعيفة • لكنك تخطىء اذا ظننت ان مدام «دوبرنيه» من ذوات النفوس الضعيفة » •

ـ **ولكنك انت من ذوات النفوس القوية** •

ـ ربما ••

وزفرت ، ثم قالت بعد برهة : « ونيكولا بلاساك ليس من ذوى النفوس الضعيفة » •

ـ ولكنه يحبنى !

وظلت صامتة ، تحاول أن تهضم معنى « يحبنى » ، وهى المرأة التى فر زوجها مع رجل ، ثم قالت فى عناء :

ـ ان الطرفين المتباريين غير متعادلين • فما أنت فى حاجة الى اقناع « مارى » ، وما عليك الا أن تقهر العقبات الخارجة عن ارادتها • بينما أنا ••

ـ طبعا ! انا لا أعدك بنجاح مضمون !

وأحس الفتى بوجنتيه تلتهبان •• هل تظن هذه المرأة البشعة انه سيقدم لها نيكولا ضحية سائغة ؟ •• هيهات ! وانما يكفيـه ان يبادلهـا صديقه الود ، حتى يفـوز هو بيد « مارى » !

- ٥ -

والتقى الصديقان - جيل ونيكولا - خارج البلدة الصغيرة ، على الطريق المؤدية الى (كاستيون) . وسار نيكولا مشرئبا ، وقد سجا الليل . فانه يحب الدنيا على هذه الصورة ، اذ تدب الحياة المتلألئة فى السماء ، ويختفى البشر من فوق الأرض فلا تسودها الا الأشجار .. كان ينصت الى حفيف تلك الاشجار ، ونباح كلاب بعيدة ، وصياح ديكة خدعها ضوء القمر ، ولكنه كان اكثر انتباها الى وقع حذاء «جيل» على الطريق بجواره ، وخطاهما المتفقة الرتيبة ... وامتد ظلاهما على الأرض ، يلتقيان تارة ويفترقان أخرى ، خاضعين لشريعة غامضة ، كأنهما باتا يؤلفان وحدهما مجموعة من مجموعات نجوم الليل السيارة . ومضى « جيل » يتكلم ويتكلم .. ونيكولا يتخذ من ألفاظه وسيلة يسبر بها صمت الليل الحى ، الذى هو صمت الله .. **لقد كان يتوقع ما انتوى « جيل » ان يسأله اياه ، فكان يحاول أن يؤخر اللحظة التى يضطر فيها الى أن يقول له «لا » !**

- أنت لا تصدق اننى احب مارى ، لأنك مقتنع بأنى عاجز عن الحب . انك لا تستطيع أن تعرف ذلك ، لأنك لم تشعر قط بحاجة الى الحب ، ولك فى قصائد الشعر وفى عاطفة الصداقة ما يكفيك .. انظر ! ان المسألة بسيطة !.. **سوف تسألك « جاليجاى » وعدا .. عهدا .. خطبة اذا استفحل الامر ، فما عليك الا ان تزجى لها الوعد والعهد والخطبة ، بحيث يظل هذا كله فى الخفاء ولا يؤدى الى نتيجة !**

- كلا ! محال ! .. حسبى اساءتى اليها حتى اليوم .

فجانبه « جيل » قليلا ، وأحس نيكولا منه الازدراء ، فاستطرد يقول له : «حاول أن تفهم.اننى أنا المذنب لا أنت!

نعم اننى أشفق على غيرى من الناس ، ما عدا مخلوقة واحدة، وهى تلك بعينها التى تحبنى وتحلم بأن أشاطرها حبها ••• وليت الأمر وقف عند شعورى السلبى نحوها، بل انّ شخصها يثير غيظى وحنقى عليها ! » •

ـ أيها الغبى ! انك اذا أطعتنى ستمنح هذه التعسة بضعة أسابيع من السعادة •• سعادة وهمية ، نعم ، ولكنها سعادة عذبة على كل حال •

ـ أتظننى قادرا على أن أخدعها ؟

ـ اطمئن ! ماظننتك قط قادرا على ذلك • أتريد أن أقول لك من أنت ؟•• انك أشد ما تنفر منه النفس فى الدنيا: فتى فاضل مسرف فى النظافة والشرف • فاننى اذا نفرت يوما من الفضيلة ، فلن يكون نفورى منها الا بسببك أنت !

ـ فاضل أنا ؟ انك لمجنون !

وضحك ، مجبرا نفسه على الضحك ••

ـ أجل ، لقد أديت لبعض الزملاء خدمات لا أجرؤ على ان ابوح بها امامك • انما الصديق الحق هو الذى يعين صديقه على القاء جثة فى النهر ، دون أن يسأله سؤالا •

ـ اذن فلا تعتمد على فى أن أقدم الجثة !

وعلى أثر هذه العبارة الجافة ، ابتعد « جيل » متجها ناحية (دورت) ، وجلس نيكولا على سياج الطريق يستمع الى وقع خطوات صاحبه وهى تنأى وتخفت ثم تتلاشى • وفجأة نهض ، وأخذ يعدو حتى لحق « بجيل » ليقول له لاهثا:

ـ اسمع ، عندى فكرة •• يبدو لى اننى استطيع تدبير الأمور ، ولكن دع لى مجالا للاستراحة !

وتنفس « جيل » الصعداء ، وأجاب على الرغم من تأثره لضعف « نيكولا » :

ـ ها نحن فى شهر سبتمبر ، ونهاية العطلة قد اقتربت، فليس الابطاء من الخير ٠٠ أتظن أنك تستطيع أن تصل فى معاشرة « جاليجاى » الى ٠٠

ـ صه ! انك دنىء !

وقهقه « جيل » ، وفاه بعبارات غليظة ٠ وفقد الليل فى شعور نيكولا ما كان عليه من قدسية وخشوع ٠ لقد انتهك « جيل » حرمته ودنسه !

- ٦ -

تسللت « أجات » بين الخندق المحفور فى جانب من الطريق وبين كومة من الحصى ، لكى لا يراها امرؤ فى ضوء القمر الغامر ٠ وكانت تظن انها بمجرد خروجها من البلدة ، ستجد « نيكولا » فى انتظارها ٠ فلما خاب ظنها ، قررت ان تواصل سيرها حتى تبلغ الموضع الذى يقطع فيه الطريق نهر (الليرو) ٠ وها هى ذى تشم رائحة الماء الآسن وتسمع نقيق الضفادع ٠ هناك كان « نيكولا » جاثما على الجسر فى الظلام ، فنهض ، واقبلت عليه ، فقال لها :

ـ أجلسى هنا ، حيث لا يمكن أن يرانا من يعبر الطريق ٠

وانتظرت أن يقبلها ، ولكنه لم يفعل ٠ لم تخطر له مجرد الفكرة ٠٠ وانما سألها :

ـ هل هما معا ؟ ٠٠ أتظنين أنهما فى مأمن ؟

ـ وأى ضير يمكن أن يلحق بهما ؟ ان مدام « دوبرنيه » مريضة ملازمة فراشها ٠ ولو فاجأهما أحد ، فذلك أبسط حل لاغتصاب موافقة أمها ٠٠ خشية العار !

ولما ظل الفتى ساكنا كالحجر الذى استند اليه ، صامتا كشجرة الصنوبر الضخمة التى تغتسل جذورها فى ماء النهر،

أضافت : « **طبعا ، فى تلك الحال سأفقد وظيفتى . ولكن لا بد من أن أفقدها يوما وأترك آل « دوبرنيه » لكى أتبعك!** »

فصحا من غفلته ، وقال :

ـ كلا يا « أجات » لا تفكرى هذا التفكير !.. تفقدين وظيفتك ، وما تقرر من أمرنا شىء ، وما فاتحت أمى فى الموضوع بعد ؟!

ـ **فماذا ننتظر ؟.. أما عن أمك فأنا كفيلة باقناعها .**

ـ انك تعرفين شدة معارضتها .

ـ **ولكنك تعرفنى . ان الذى أريد أن أفعله لا بد ان ابلغ مرادى منه . وسترى بعد أسبوع واحد أنها هى التى ستطلب اليك أن تحدد موعد زواجنا !**

فارتعد ، وتلمس تعلة أخرى ليدفعها عنه ، فقال : « ينبغى أن ننتظر ـ قبل كل شىء ـ أن أصل الى المركز الذى أتمكن فيه من تأثيث بيت والانفاق عليه » .

ـ اننى سأشتغل أنا الأخرى ، فما كنت يوما عالة على احد . ولقد بدأت فعلا فى البحث عن عمل بباريس ، وتلقيت بعض العروض . ثم نحن لن نحتاج الى أكثر من غرفة واحدة، ووجبة سريعة فى المقهى تكفينا . اننى مدبرة ، وقد عشت طويلا لا آكل سوى طبق « المكرونة » الواحد ، أسخنه ساعة العشاء على موقد البترول لكى لا اتناوله باردا .

كانت هذه الأقوال طعنات حادة عميقة أصابت صميم الفتى الرقيق . فهو يحب ـ الى درجة التقديس ـ العيش المتواضع ، الممتاز فى تواضعه .. البيت الفقير ، والمزين مع ذلك . **وكان يعير قيمة روحية صوفية لكل ما يتخيله حوله ، فلطبق الحساء ، وللفاكهة فى الأوانى الفخارية ، والوجبات البطيئة الصامتة ، معانيها وتعبيرها فى نفسه المرهفة .** لقد

عرفت « جاليجاى » من البداية كيف تثير أقصى نفوره !

ولاذا بالصمت المطبق ، فلم تقل صاحبته شيئا ، وانما مدت يدها فسحبت يده ، وضغطت عليهـا . وأحس بالمرأة تريد أن تلتصق به . وها هى ذى تضع رأسها على كتفه . لقد خلعت قلنسوتها . ولكنه لم يتحرك ، فكأنه جذع شجرة .. **وقالت : « آه انني أريد أن أحس خفقات قلبك » .**

أتراها تجرؤ على ان تفعل ؟.. نعم ، تسللت اصابعها .. وفجأة أصبحت تلك المخالب على صفحة صدره العارى. **وقالت : « انني لا أحسه ينبض .. ! »**

وكيف كان يستطيع أن يخفق ذلك القلب المصعوق ؟. ولم يلبث حتى سمع منها ما كان يتوقع :

ـ قبلني !.. انك لم تقبلني بعد !

ومدت نحوه شفتيها .

ـ لا ! .. بل بين عينيك . انهما عيناك اللتان احبهما!

وكان ذلك يعنى : لا تستطيع شـفتاى ان تلمسا منك ـ دون اشمئزاز ـ سوى عينيك !

وفى تلك اللحظة ، كان القمر الساهر يغضى عن زفرات أخرى ، رقيقة ، لا يميزها السمع من حفيف الشـــجر فى حديقة دار « دوبرنيه » .. كانت « مارى » تقول :

ـ لا !.. انك توشك ان تمزق قميصى . من هنا .. نعم ، هكذا !.. انتظر حتى أملك انفاسى !

ولم تكن تعلم ان القبلة يمكن ان تتصل وتطول الى ذلك الحد !

واستردت انفاسها لتقول :

ـ الأحسن أن نرقد ..

ـ لا ، لا ، لا .

تلك كانت المعجزة التى علقت القمر وراء شجرة الزنبق الكبيرة • **كانت هى ـ وهى الطفلة البريئـة ـ مستسلمة ، بينما كان هو ـ وهو الذئب الفاتك ـ لا يريد أن يوغل فى اكتناه سر ذلك الجسد الى أبعد من الشفتين المفتوحتين كالثمرة الناضجة ، والصدر الخافق بالحيـاة ، الذى غطاه جميعه بكفه العريضة •**

وعادت جاليجاى •• فأنبت مارى على المكوث كذلك حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل •• فافترق المتحابان على تواعد باللقـاء فى الغـد ، وفى كل يوم •• ودخلت « مارى » غرفة المعلمة ، حيث بات المصباح موقدا ، يوحى لمن يلمح بصيصه بأنها لم تغادرها • ورأت « أجات » قميص الفتاة مفتوحا ، وشفتيها منتفختين •• ومن خلال شعرها المتهدل على وجهها كانت نظرتها البعيدة هائمة فى عالم آخر • ولكى تتوقى لوم أستاذتها ، أو ربما لحاجتها الى عناق امرىء ما ، طوقت «مارى» عنق مربيتها ، ثم انفصلت عنها بسرعة •• وهتفت :

ـ ما بالك تبكين يا مدام « أجات » ؟ أو لم تلقيه هذا المساء ؟ اتراك من السعادة تبكين !

فلم تجب « أجات » •• لا عن غيرة وحسد ، بل لأنها كانت نهبا لشهوتها التى فاضت بها • ولم يكن فى شعورها سوى حنـان مرير ، دون أمل • ولم تعبـأ حتى بأن تمسح دمعها •• لقد سمحت لنفسها بأن تبكى أمام شخص ما !

ـ ٧ ـ

وفى المسـاء التالى ، لم يلتق « جيل » و « مارى » ، فقد حدث حـادث لم يكن فى الحسـبان ، أقبلت « أجات » ترويه فى غرفة نيكولا •• لقد اشتدت آلام المرض على مدام

دوبرنيه فى الفجر ، فاستدعوا الطبيب ، الذى قرر نقلها ــ فى الحال ــ الى المستشفى فى (بوردو) ٠٠ وقالت «أجات» لنيكولا :

ــ لا تنتظرنى اذن هذا المساء على طريق (كاستيون). انى ساحضر هنا الى غرفتك ، وسيكون هذا أطيب لنا ٠٠٠ لقد خاطبت أمك وأخذت موافقتها ٠

أما « جيل » ، فسرعان ما انتقل الى فندق فى (بوردو)، حيث كانت « مارى » تقضى معه ساعات كاملة ، بفضل تدبير « جاليجاى » ٠ وتفاقمت حال المريضة ، حتى لقد صرح الاطباء بوجوب بقائها فى المستشفى مدة طويلة ٠ ولم يكن لأجات بد من المكوث الى جانبها ، **فكانت رسائلها تترى الى « نيكولا » ، تحمل اليه ولهها المضطرم المتأجج ، وتهالكها المستيئس المستميت ٠ وكان الفتى يستمد من يأسها أملا ، فهو يرجو ان تنقضى العطلة قبل ان تتمكن « اجات » من العودة الى (دورت) ، فيرحل الى باريس دون ان يراها !**

٠٠ وأصبح يحصى الأيام الباقية !

٠٠ لم تبق الا عشرة أيام ثم يحين خلاصه !٠٠ واذا برسالة تصله وقد جاء فيها: « لقد انتهت٠٠ سأنتظر وضعها فى التابوت ، وأكون فى حضنك بعد غد ! »

ورجع « جيل » الى (دورت) ، فروى لصديقه قصة الاسبوعين اللذين قضاهما فى (بوردو) ، وكيف زخرا بالسحر المذيب والفتنة العاتية والهول القاسى ٠٠ كانت « مارى » ــ فى أول الأمر ــ تلحق به فى الحديقة العامة أو على الشاطىء ٠٠ فى أى مكان ما عدا غرفته بالفندق ، ولقد قاوما اغراء الهوى عدة ايام ، اذ كانا يعرفان ما لا بد من حدوثه متى اختليا واغلقا الباب ٠٠ ومع ذلك فقد تم هذا ٠ **وغمره**

الأسف بقـدر ما غمر صاحبته ، سيما وقد كانا يختلسـان تلك اللذات الحلوة ، بينما كانت أمها تحتضر ٠٠ ولكن داعي الحياة قد جعل الهناء أقوى من الحزن !

وحين التقى « جيل » بصديقه راح يحدثه :

ـ ينبغي أن أقول لك اننى لم أشعر بالشبع عقب المرة الاولى ٠٠ انى لأجد النعيم فى كل لقاء ، وكأننى أضمها لأول مرة ٠٠ على أن « مارى » ترى الأمر بسـيطا ، فمـا كانت تتخيل أنه غير ذلك !٠٠ أما أنا ، وأنت تعرفنى ، فياله من اكتشاف اكتشفته ٠٠ يا لها من أعجوبة !

وتدفق فى الحديث كعادته ، لا ينظر الى وجه صديقه ، ولا يذكر الا نفسه ٠ لقد كان يألف من « نيكولا » السكون والانصات ٠٠ ولكن صمت صديقه ـ فى هذه المرة ـ لم يكن ذلك الصمت الذى عهده منه دائما ٠

ـ مالى أراك كاسف البال ؟ أبسبب « جاليجاى » ؟٠٠ لا تظن انك مضطر الى ٠٠ أجل ، لقد فهمت منـذ عـودتى أن المسألة تطورت الى خطبة رسمية ٠ فلتكن خطبة الى أجل غير مسمى ٠٠ ألم يكن ذلك هو غرضك ؟ انا لا أستطيع أن أفهم لهذا الارتباط معنى آخر ٠ هل خطر لك اننى سأدعك فريسة حية بين براثنها ؟٠٠ **ينبغى أن تفكر فى شعورها هى الأخرى ، لأنك اذا ارتبطت بهـا ـ مع اشـمئزازك منها ـ فستقضى عليها بموت تدريجى بطىء** !٠٠ خير لها أن تخليها تماما ٠٠ وتستطيع ان تطمئن ، لانك اذا تزوجتها فستحول بينها وبين مصـيرها المحتوم ومكانها الطبيعى من حياة الأب « دوبرنيه » وقد ترمل الآن ٠٠ ان البلدة جميعها تحـدس زواجهما الوشيك ، فلا تقلق ولا تهتم ، بل انفض يديك !

تنفس نيكولا الصعداء ، واكتست الدنيا فى عينيه نورا ٠

لقد أزاح « جيل » عن صــدره ـ حجرا بعد حجر ـ صرحا كثيفا كان يرهقه • غير أنه حاول أن يجاهد ويقاوم ، مصغيا الى صوت ضميره • فقال له « جيل » :

ـ أما انا فلا ضمير لى !

- ٨ -

قالت « جاليجاى » : « لقــد رجعت لأعد غداء المأتم ، فسيحضر جمع غفير • ماذا أرى ؟•• انك لم تحدثنى من قبل عن سفرك ! »

وكان « نيكولا » واقفا أمام حقيبته المفتوحة ، يعد متاعه للسفر •• وتولاه الخجل من خــوفه •• خوف الطفل الذى يفجأه فى خطئه شخص كبير •• وأخيرا ، قال :

ـ هناك بعض الشــؤون العاجلة ، تحتم ســفرى الى باريس •

ـ ومتى تعود ؟

ـ بعد أسبوع •

حينئذ اشارت « جاليجاى » بأصبعها ـ اشارة الاتهام ـ الى جميع ملابســه وكتبــه التى نثرها على السرير ، تمهيدا لوضعها فى الحقيبة • فقال :

ـ أظن اننى ما زلت حرا •

ـ هيا ! اعترف ••

ـ أجل ، انى لراحل !

ـ فما الذى حدث أثناء غيبتى ؟•• لقد حدث شىء ما ! •• ما هو ؟

وكانت تخاطبه من قرب شديد ، وقد ثبتت فى عينيه

عينيها العاطلتين من الاهداب • فأشاح بوجهه عنها • ولكن الحوار اتصل بينهما عصيبا رهيبا ، يسرد الفتى اعذاره وتعلاته ، وتقرع المرأة الهائجة أسبابه الواهية بحججها الدامغة ورأيها العنيد•• كان يصارعها كأنها الوحش الكاسر• وظن انه يستطيع أن يتقى اذاها ، حين واجهها بأمر الارث الذى سيؤول اليها ، اذا اقترنت بالسيد دوبرنيه • فأجابته:

ـ ليس لهذا قيمة فى نظرى يا حبيبى •• افهم ان الدنيا ليس فيها سواك وسواى !

ومضى الفتى يدافع عن نفسه دفاع المستميت ، فاذا هذه العبارة تخرج من فيه على غير ارادته :

ـ لقد كذبت عليك يا « أجات » •• لقد اتخذت هذه الحجة ذريعة لكى أفر مما يثير فزعى ورعبى !

فتناولت حقيبتها الصغيرة السوداء الجرباء ، وأخرجت منديلا فجففت وجهها ، وعادت تجابهه من جديد • وأرادت أن تحصر العقبة فى حيز صغير ، لكى تقضى عليها رأسا •• فحددت العائق بينهما ، بحدود ذلك الاتصال الجنسى ، الذى قد يرهبه جميع المقبلين عليه من الشباب بوجه عام ، دون ان تخص نفسها بالذكر •

ـ انك لتذكر ما أظهرت لى من هذا الفزع فى خلواتنا•• ليس لك أن ترهب هذه الناحية على الاطلاق ، **فلست انتظر منك شيئا ، ولن ألمسك •• لن أسألك الا ان أعيش فى ظلك وأن اخدمك •• لا شيء أكثر !**

وكان صوتها ذليلا ، ملحا ، مقنعا •

ـ لا شيء اكثر ؟! •• هذا « اللا شيء » بعينه هو الذى يثير فزعى ، مجرد وجودنا معا • فما خطر لى قط ذلك « الموضوع » ••

فجأرت ، والتاعت ، وراحت تتوسل :

– كلا ! كلا ! لا تقل لى انى فقدتك !٠٠ اننى أفضل الموت ٠٠

– انك لم تفقدينى ، فالمرء لا يفقد الا ما يملك ٠ وقد كنا دائما منفصلين منعزلين ، تفرق بيننا آماد شاسعة وهوات سحيقة !

– اننى اذن موضع اشمئزازك ؟ ٠٠ فلتنعم بخلاصك منى ٠ ولكن الدنىء الذى استخدمك ، لن يصل الى غرضه ٠ لن يظفر « جيل سالون » بيد « مارى دوبرنيه » !

– أو تظنين ؟

– سترون !

وجلست ، فالتمست منديلها فى حقيبتها الجرباء ٠ وكان الفتى ينتظر النهاية ، متجها ببصره الى النافذة ، غير قادر على أن يلتفت الى تلك المرأة ٠٠ وتلكأت – وهى تحدق فى جسمه طيلة الوقت – ثم نهضت قائلة وهى تخرج :

– الا تخشى أن انتحر ؟

فاستدار الى داخل الغرفة ٠٠ كان قد أصبح كائنا كالأعمى لا يرى ، وكالأبكم لا ينطق ! ٠٠ ولم يأت بحركة الى ان تأكد من أنها قد انصرفت ٠ وظل واقفا أمام مرآة الخزانة يتأمل الرجل الواقف أمامه ٠

– ٩ –

ورأى جمهور المعزين « أجات » حزينة مفجوعة شقية ، فظنوا أن المصاب قد أبهظها ، وعللوا شدة تأثرها بعاطفتها نحو الفقيدة التى أوصت لها ببعض العقار ميراثا ٠

وكانت «مارى» فى مكتب أبيها حين دخلت عليها «أجات»

دون استئذان ، تســأل الفتــاة أن تغادر المكان لانها أقبلت لتفضى بأمر خطير الى رب البيت ‥ فأبت «ماري» قائلة :

ـ لا ! ولماذا لا تتكلمين فى حضورى ؟ ان مكانى اليوم بجانب أبى ٠

وجلست « أجات » بجـانب الرجل تعـاونه فى تنظيم أوراقه ، ومارى ترسل اليها نظرات التحدى تباعا ٠ وعندما نهضوا لتناول العشاء ، اعتذرت مارى ‥ ذلك أنها كانت قد تلقت رسالة قصيرة من «جيل» ، يخبرها فيها بأنه سيكون ـ اذا جن الليل ـ على ضفة (الليرو) وقد أوقد مشعلا ، ويكفيه أن يرى بصيص سيجارتها فى حديقــة الدار القائمة على الضفة الأخرى !‥ وهكذا خلا الجو لمدام « أجات » لتوغر صدر السيد دوبرنيه على « جيل » :

ـ هلا صحبتنى الى الحديقة ؟‥ لســوف نجدهما معا تحت شجرة الزنبق ٠

ـلا ‥ اننى أفضل ان أجهل ذلك ٠

ـ فاذا عدت وأكدت لك اننى ضبطتهما ، هل تصدقنى؟

وكانت الليلة صافية السماء رقيقة النسيم ، فسرى فى بدن المرأة المحـرومة شـعور لاذع ، اذ تمثلت نعيم هذين العاشقين اللذين خرجت لتنغص عليهما ‥ تمثلتهما متعانقين متشابكين ، فنى كل منهما فى كيان صاحبه ‥ ووجد يأسها فى هذا المضض غذاء خبيثا ٠

وتلمست طريقهــا متســللة بين الشجر الى ملتقاهمــا المعهــود ، فلم تجـدهما ٠ ولمحتها « مارى » من مكانهــا ، فأهابت بها ، ودعتها الى الجلوس بجــوارها ٠ فقالت لهــا المعلمة :

ـ ان البرد ينبعث من ماء النهير ، فاحترسى لصدرك !

ـ لا ، ان تلك النار تدفئنى ٠

ـ النار ؟ أى نار ؟

ـ هناك ، على الضفة الأخرى !

ومدت « أجات » بصرها ، فرأت شعلة تضطرب وتكاد تخبو ، ثم تذكو جذوتها وترتفع ٠

ـ أما أنا ، فالنار البعيدة لا تدفئنى ٠٠ انى أحس بك تحترقين يا مارى !

وأخذت الفتاة تعبث بسيجارتها ، وترسم فى الظلام اشارات غريبة ، واذا بغصن مشتعل على الضفة الأخرى يتحرك مجيبا ٠ وما أحس العاشقان بعمق الوصال ، كما احساه فى تلك الساعة ٠ فقد شملهما الليل ، وضمهما الى النجوم والكواكب ٠٠ وآنسا انهما يمتزجان معا ، ويمتزجان بهذه الطبيعة الساجية ٠٠ بهذا الثرى الذى احتوى رفات اجدادهما ، وهذا الفلك الحى ، وهذا البارىء الأعلى غير المخلوق !

وفهمت « جاليجاى » لغة النار ، وهى التى كانت تتلظى حقدا وكمدا ، فعادت الى الدار ٠ وسألها الأب : « هل رأيت مارى ؟ »

فأومأت بالايجاب ٠٠ وعاد يسألها : « وهل كانت بمفردها ؟ » ٠

فترددت « جاليجاى » ، ثم قالت :

ـ نعم ٠٠ ولا !

فصمت الرجل ٠٠ ولكنها لم تصمت ، بل عادت تقول:

ـ ارجو الا يكون هذا الصمت بمعنى الاذعان ٠

ـ أوه ! انك لتعلمين ٠٠ الآن وقد توفيت أمها ٠٠ لقد قال لى الدكتور سالون أمس ان خير البر عاجله !

ـ ولكنك لا تعرف هذا الفتى !

ـ ان ماری تحبـه كما هو ... وبالنسـبة لى ، هذا الفتى يعادل غيره من الفتيان !

فخفضت صوتها ودنت منه لتهمس فى أذنه :

ـ انه صبى مفســود غاية الفســاد ، وانى أعلم عن سلوكه أشياء ..

ـ أية أشياء ؟

ـ أعلم أشياء .. ما اصعب التعبير عنها ! .. اشياء من الدناءة والاسـفاف .. ولكنى مع ذلك لا أستطيع تقـديم البينة عليها .

فلم يتحرك الرجل ، وظل يغشيه دخان غليونه ، وبدا على « جاليجاى » الاعيـاء ، فلم تلبث ان قالت : « ليس لى عمل هنا منذ اليوم . انى راحلة فى الأسبوع المقبل » .

ـ أمجنونة انت يا « أجات » ؟

ـ انما انت المجنون .. ها هى ذى تلميذتى تتزوج ، فما بقائى هنا بعد ذلك ؟

فاقترب منها فى ثقل ، وقال لها :

ـ لا يليق أن نتحدث فى هذه الموضوعات ليلة المأتم .. ومع ذلك فانى موقن بأننا سنتصرف وفق رغبة زوجتى رحمها الله .. **لا تعارضينى . ان حيـاتك ستظل هى هى . اقيمى فى غرفتك ، ولن أسألك شيئا . أقسم الا ألمسك الا بارادتك .. حسبى ان أكون بمثابة اب لك !**

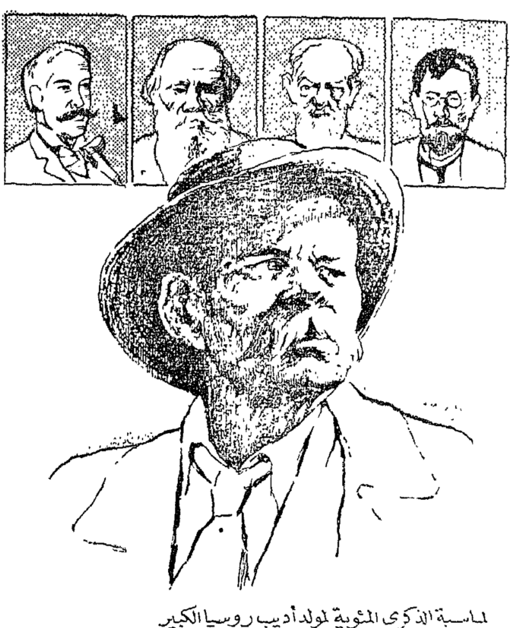
وأحست المرأة فى صدرها نفس الطعنة التى أصابها بها نيكولا حين قال لها « انك تثيرين رعبى » . وأدهشـــها أن جزءا من نفسها أبدى الموافقة . فهكذا سيقدر لها الظفر ، فى عـرف أهل (دورت) ، وأن كانت فى صميمها خاسرة ،

مدحورة ٠٠ ولكنها بقبول هذا العرض لن تخلى ميدان القتال على كل حال ، بل ستبقى هناك لكى تثأر وتتشفى بافساد هناء « مارى » ما استطاعت ٠

- ١٠ -

حزم نيكولا حقيبته ليرحل اذا كان الغد ٠٠ وكانت فى جيبه رسالة « جيل » ، التى اعتذر فيها من عدم قضاء تلك الليلة الأخيرة فى النزهة معه ـ كما سبق ان اتفقا ـ وعلله برجاء ان يراه فى باريس ، ليأخذ ما ترك لديه من الملابس والكتب ، ثم يعود الى (دورت) حيث تحدد لزواجه من «مارى» شهر يناير ٠

وخرج نيكولا الى الليل الساكن ٠ وكانت طريق (كاستيون) تبدو كأنها امتداد لمسالك الكواكب النيرة ٠٠ ومضى هادئا لا يلوى على شيء ، منصتا الى وقع قدميه خطوة خطوة ٠٠ لم يشعر بالحاجة الى « جيل » بجواره ٠ وسرى وحيدا ، وفى نفسه ذلك النهم الحزين الذى لن تشبعه ممالك الأرض طرا ٠٠ وحيدا يملؤه حنين مجرد عن كل وجه ٠٠٠ حنين عريض شاسع كالبحر المنبسط تحت نجوم ثابتة لامعة لا تفكر ٠ وأمعن فى سراه حتى بلغ الموضع الذى يقطع فيه الطريق نهير (الليرو) ٠ **هناك وقف غريبا عن نفسه ، لاتربطه بأى مخلوق رابطة ، فلقد تحطم صنم « جيل » ، وخلا قلبه** الكبير ٠ ولبث فى مكانه كأنه كان على موعد ٠٠ نعم ، **لقد كان فى انتظاره سلام الله ٠**



بمناسبة الذكرى المئوية لمولد أديب روسيا الكبير

مكسيم جوركي

حياته، وآراؤه، وتجاربه .. من خلال رسائله الخاصة

بقلم : حلمي مراد

هذه الرسائل

● فى ٢٨ مارس الماضى احتفل العالم بمرور مائة سنة على مولد عبقرى الادب الروسى الكبير مكسيم جوركى ، الذى ولد فى ٢٨ مارس سنة ١٨٦٨ ، باسم « أليكسى مكسيموفتش بشكوف » فى قرية (نيجنى نوفجورود) ... فاسم « جوركى » ـ ومعناه باللغة الروسية « المر » ـ اسم مستعار ، أو اسم ادبى ، مثل أسماء كثيرين غيره من أعلام الادب الكبار فى العالم .

ومن معنى الاسم الذى اختاره جوركى لنفسه ، من معنى « المرارة » نجد مفتاح شخصية جوركى الادبية والفنية ، ومفتاح الحياة الواقعية التى ولد وعاش فيها أيضا . فقد ولد لاب عامل يشتغل نجارا للأثاث . اما جده لأمه فكان يملك دكان « كواء » ، (مكوجى) . ومنذ حداثة سنه فقد أباه ، ثم أمه ، فانقطع عن المدرسة التى لم ينتظم فيها سوى خمسة أشهر . فكانت هذه الشهور الخمسة هى كل ماأتيح له من تعليم نظامى .. اما كتابه الذى أصدره بعد ذلك تحت عنوان « جامعاتى » فهو اشارة تهكمية الى تلك الشهور الخمسة التى لم تكفه الا لتعلم « فك الخط » !.. ثم استغل هذه البداية فى التهام كل مايقع تحت يده من الصحف والكتب فى سائر الموضوعات ... فكانت الحياة وصروفها وتجاربها « جامعاته » الحقيقية التى تخرج فيها وتباهى بها ..

يعول نفسه ، منذ سن السابعة !

● ولكن الفتى اليتيم لم يكن متفرغا لترف القراءة والاطلاع ، بل كان عليه منذ سن السابعة أن يعول نفسه ويتعلم صناعة أو مهنة يأكل منها خبزه بعرق جبينه . بيد ان فطرته الفنية الخارقة جعلته فريسة للقلق والتمرد على كل مهنة التحق بها ، فصار يتنقل من عمل الى عمل،

أى من فشل الى فشل ، عشرات المرات ، فلا يدوم انتظامه اكثر من أسابيع قليلة ، أو أيام فى بعض الاحيان . وهكذا عمل اسكافا يخصف النعال ، « ومرمطونا » على باخرة نهرية ، ومساعد مصور ضوئى ، وعامل بناء ، وبائع مشروبات متجول ، وصبى بستانى ، وصبى خباز ، ومساعد عامل مساحة ، وغير ذلك من المهن .. الى أن استقر بعض الوقت عاملا فى مصنع للبسكويت ، وهناك عرف طعما جديدا للحياة ، وخلد تلك التجربة فيما بعد بصدق رائع في قصته « ٢٦ رجلا وفتاة » التى نشرها سنة ١٨٩٩ .

ولم يكن جوركى يكف عن التهام الكتب والصحف بكل وسيلة ، وعلى حساب عمله ، مما أتاح له الظفر أخيرا بمنصب كاتب محام ، فانتقل الى صفوف العاملين بأذهانهم ، وطابت له الحياة بعض الشىء ، فبدأ بنشر القصص القصار ابتداء من سنة ١٨٩٧ ، وبدأت كذلك صلته بعالم الادب والادباء وكتاب الصحف ، وصلته بالدوائر السياسية أيضا..

وكان « الجو » العام لقصصه وكتاباته هو جو « المرارة » .. التى استعارها اسما يوقع به أعماله الصحفية والادبية ، فتخصص فى وصف البيئات المسحوقة ، وشخصيات المضطهدين المتمردين ، الذين يصارعون ظروفهم فى مواجهة الاستغلال الذى كان سائدا فى روسيا فى ذلك الوقت.

رحلاته .. ومراسلاته مع أدباء العالم

● وبعد سنة ١٩٠٠ بدأت شهرة جوركى ترسخ ، وتجاوزت حدود بلاده ، ثم رحل الى اوربا وتجول فيها وعاش فترة طويلة فى الخارج ، للاستشفاء ، فازداد اتصاله بادباء العالم من مختلف البلاد ، وانعقدت صداقة بينه وبين « لينين » قائد الثورة التى قلبت الاوضاع فى روسيا سنة ١٩١٧

وقد ظل جوركى « بابا » الادب الثورى الروسى الى أن مات فى سنة ١٩٣٦ ، بعد حياة حافلة بالابداع والكفاح ضد داء الصدر ، وضد الفقر ، وضد التحكم فى سائر صوره ، فلم تكن علاقته بستالين « لبنا وعسلا » ، بل كانت « عسلا مرا » ، له من اسم جوركى ونزوعه للتمرد نصيب . ولولا سمعة جوركى القومية والعالمية لما اضطر ستالين لمداراته ...

وفى هذه المقتطفات من رسائل جوركى الى أكبر أدباء العالم ، وفنانيه ، (وهى الرسائل التى ننشر بعضا منها فى هذا العدد ، وبقيتها فى اعداد قادمة) ، صور شتى من اخلاصه وصراحته ، ومن نفاذ بصيرته وعبقريته ومن تعليقه على كبريات الاحداث ، ومن علاقاته المتعددة الالوان والزوايا باعلام الفكر فى روسيا وخارج روسيا : بتولستوى ، وتشيكوف ، وبرنارد شو ، وويلز ، ورومان رولان ، وستيفان زفايج ، ولينين ، وبفنانين ومخرجين .. وتزخر هذه الرسائل بآراء اصيلة فى الحياة وفى الفن ، وفى أمانة الكاتب ورسالته عموما ، كما ان فيها اعترافات شخصية مذهلة .

مكسيم جوركى .. فى سطور

حياته ، وانتاجه الأدبى ، ونشاطه الفنى

طفولته .. وشبابه الباكر

١٨٦٨ : ولد فى ٢٨ مارس ، لأب يدعى « مكسيم بيشكوف » يعمل « نجارا » للأثاث ، وأم تدعى « فارفار » ، واطلق الوالدان على مولودهما اسم « اليكسى بيشكوف » ، وكان مولده فى مدينة (نيجنى نوفجورود) التى أصبحت تعرف باسمه « جوركى » تخليدا لذكراه .

١٨٧١ : انتقل والدا « اليكسي » الى مدينة (استراخان) حيث توفى الأب بمرض الكوليرا ، فعادت الأم بابنها الى (نيجنى نوفجورود) حيث عاشا فى كنف ابيها - جد الطفل - « فاسيلى كاشيرين » الذى كان يملك دكان كواء .

١٨٧٩ - ١٨٨٤ : فترة المران ، عمل « اليكسى » خلالها ساعيا فى محل ، ثم تلميذا لرسام ايقونات ، ثم رساما ، ورئيسا للعمال فى عدة عمليات للبناء ، ثم ممثلا احتياطيا فى عدة مسارح اقليمية .

١٨٨٤ - ١٨٨٨ : ترك « أليكسى » مدينة (نيجنى) الى (كازان) وعمل فى ارصفة بعض موانىء « الفولجا » ، وعاش فى الأزقة والحوارى ، ثم جرب حظه فى اعمال كثيرة .. وبدأ حضور الاجتماعات الثورية للشباب، فتعرف بمنظم اول خلية ماركسية في (كازان) . ثم ذهب الى الريف لنشر الدعوة الثورية .

١٨٨٩ : فى ١٣ اكتوبر القى القبض على « اليكسى » بناء على امر البوليس السرى ، وارسل الى سجن (نيجنى نوفجورود) . وفى ١٦ اكتوبر أفرج عنه ، ووضع تحت رقابة البوليس السرى .

١٨٩١ : بدأ تجواله متنقلا بين أنحاء روسيا ، مارا بأقاليم نهرى « الفولجا » و « الدون » ، وأوكرانيا ، والقرم ، والقوقاز .. ثم قضى بعض الوقت في مدينة (تفليس) ، التى تسمى الآن تبيليسي .

أول قصة تنشر له ، فى سن ٢٤

١٨٩٢ : فى ١٢ سبتمبر نشرت صحيفة « قوقاز » التى تصدر فى (تفليس) اول قصة بتوقيع «م . جوركى» وكان عنوانها «ماكار شودرا». وخلال العام غادر جوركى (تفليس) الى (باكو) ، ثم عاد الى (نيجنى- نوفجورود) .

١٨٩٣ : نشر عددا من القصص القصيرة فى صحيفة « فولزسكى

فيستنيك » التى تصدر فى (كازان) ، وفى صحيفة « فولجار » التى تصدر في (نيجنى ــ نوفجورود) . ثم تعرف على « فلاديمير كورلينكو » ، الذى كان يقرأ مخطوطات قصصه قبل نشرها ، ويساعده على نشر انتاجه .

١٨٩٤ : نشرت صحيفة « فولجار » قصته «الجد أرخيب وليونكا»، وروايته القصيرة « بافيل البائس » .

١٨٩٥ : غادر نيجنى ــ نوفجورود الى مدينة (سمارا) ، حيث عمل فى جريدة « سمارسكايا » وبذلك أصبح صحفيا محترفا ، وكان ينشر في عدد يوم الاحد تحقيقات صحفية حول مسائل محلية ، كان يوقعها باسم « ايجوديل خلاميدا » . وفى شهر يونية نشرت مجلة « روسكوى بوجاتستفو » قصته « شيلكاش » .

زواجه .. ومرضه

١٨٩٦ : عاد الى نيجنى ــ نوفجورود ، حيث دعى الى العمل فى جريدة « نيجورودسكى ليستوك » . وفى ٣ أغسطس تزوج من « أكاترينا فولجينا » . وفى اكتوبر من نفس العام أصيب بالدرن الرئوى .

١٨٩٧ : ساهم فى تحرير صحف « نوفوى سلوفو » وروسكايا ميسل و « سيفيرنى فيستنيك » . ونشر فى ذلك العام القصص التالية : «كونوفالوف» ، «الخدش» ، « سوق جولتفا » ، « أسرة أورلوف » ، « مخلوقات كانت يوما رجالا » . و « مالفا » .. وغيرها . وفى ٢٧ يوليو ، ولد ابنه « مكسيم » . وفى أكتوبر بدأ كتابة روايته الطويلة « فوما جوردييف » .

١٨٩٨ : فى مارس واكتوبر ، ظهرت مجموعة من قصص ومقالات « مكسيم جوركى » فى مجلدين . وفى ٧ مايو القى القبض عليه فى نيجنى



صورة معبرة .. لمكسيم جوركي

نوفجورود وارسل الى قلعة « ميتينج » بناء على طلب البوليس السرى فى (تفليس) لاتصاله باعضاء المنظمة الاشتراكية فى تفليس . وفى ٢٨ مايو افرج عنه ، ووضع تحت رقابة البوليس فى محل اقامته .

١٨٩٩ : ساهم في تحرير مجلة « جيزن » اى « الحياة» حيث نشر قصص وروايات « كبربلكا » ، و « فوما جوردييف » ، و « ستة وعشرون رجلا وفتاة » ، ثم « المزيد عن الشيطان » .

وفى شهر مارس ذهب الى « يالتا » حيث كان يتردد على « انطون تشيكوف » . وفى ٢٩ سبتمبر سافر الى مدينة (بطرسبرج) لاول مرة . وفى ديسمبر تعــرف فى نيجينى ـ نوفجورود على الكاتب « نيكولاى تيليشوف » مؤسس الجمعية الادبية المعروفة باسم « سريدا » ـ اى « يوم الاربعاء » ـ واصبح جوركى عضوا فيها .

١٩٠٠ : بدات دار « زنانى » للنشر فى نشر مؤلفات جوركى ، ومنذ تلك السنة أصبح « جوركى » الزعيم الايدولوجى لهذه الدار ، ورئيس تحرير مطبوعاتها ، والمساهم الاول فيها .

وفى ١٣ يناير ، التقى بالاديب الكبير « تولستوى » لاول مرة فى موسكو . وفى مارس ، التقى « بليونيد اندرييف » . وفى سبتمبر ، وصل الى موسكو حيث حضر حفلات « مسرح الفن » ، وتعرف على الفنان « فيودور شاليابين » .

١٩٠١ : في ١٧ ابريل قبض عليه بتهمة الاشتراك في نشاط ثورى ، وفى ١٧ مايو افرج عنه ، وحددت اقامته فى بيته . وفى ١٦ اكتوبر سمحت له سلطات البوليس بالذهاب الى جنوب القرم للاستشفاء .

العرض الأول لمسرحيته : « الحضيض »

١٩٠٢ : فى ٢٥ فبراير انتخب عضوا فى اكاديمية العلوم ، (فرع الادب واللغة الروسية) ، لكن القيصر نيقولا الثانى أبطل الانتخاب.

وفى ١٨ ديسمبر حضر حفلة العرض الاول لمسرحيته « الحضيض » أو « الاعماق السفلى » على مسرح الفن فى موسكو .

١٩٠٤ : فى ٢٨ فبراير منعت لجنة الرقابة فى موسكو تداول كتاب « النقد الاجنبى لاعمال جوركى » ، آخـذة فى الاعتبار الاتجـاهات السياسية لمؤلفات جوركى . وفى مارس صدر الكتاب الاول من السلسلة الادبية التى بدات تصدرها دار «زنانى» التى اسسها جوركى ، وتضمنت السلسلة قصيدة « الانسان » .

١٩٠٥ : قام جوركى بدور فعال في حوادث ١٩٠٥ الثورية ، وساهم بمبلغ كبير في اصدار الصحف البلشفية . وفى ١١ يناير قبض عليه في (ريجا) بتهمة « الخيانة العظمى » لانه أصدر نداء يدعو فيه الى قلب نظام الحكم القائم فى روسيا . وفى ١٢ يناير نقل الى قلعة «بولس وبطرس » فى بطرسبرج ، حيث وضع فى الزنزانة رقم « ٣٩ » . وفى ١٢ فبراير نقل الى دار التحقيقات الاولية ، بسبب مرضه . وفى ١٤ فبراير أفـرج عنه بكفالة قدرها ١٠٠٠٠ روبل بشرط أن يغادر « بطرسبرج » ، فغادرها فى نفس اليوم الى (ريجا) ، حيث وضع تحت رقابة البوليس .

وفى ٢٤ اكتوبر أقيمت حفلة العرض الاول لمسرحية « أبناء الشمس » على مسرح الفن فى موسكو . وفى نفس الشهر انتهى من كتابة « البرابرة » ثم اشترك في تحرير صحيفة « الحياة الجديدة » التى كان يرأس تحريرها « لينين » ، وكان لقاؤه الاول معه فى ٢٧ نوفمبر .

لقاؤه مع « هـ.ج. ويلز » و « مارك توين »

١٩٠٦ : قام بدور فعال في الحركة الثورية ، ثم زار سويسرا وفرنسا وامريكا ، والتقى بالكاتبين « هـ.ج. ويلز » ، و « مارك توين » . وفى ٢٠ اكتوبر وصل الى جزيرة (كابرى) وبقى فيها حتى سنة ١٩١٣ .

وفى نوفمبر كتب مقاله المشهور « التاسع من يناير » ، ثم انتهى من

رواية « الأم » ، التى نشرت مئات المرات فى روسيا وفى خارجها ، وقد نشرت ٢٠٠ مرة فى الاتحاد السوفييتى ، فى ٥٤ لغة ، ونشرت فى الخارج ٢٩٣ مرة فى ٤٤ لغة .

١٩٠٧ : نشر « الام » لاول مرة ، والف الرواية القصيرة « الانسان السطحى » ومسرحية « النهاية » . ومن ٣٠ ابريل الى ١٦ مايو اشترك في المؤتمر الخامس للحزب الاشتراكى الروسي في لندن ، والتقى هناك بـ « لينين » .

وفي نفس العام تعرف على برنارد شو ثم عاد الى (كابرى) يوم ١٩ مايو .

١٩٠٨ : صدرت روايتاه القصيرتان : «الصيف» . و «بلدة لوكيروف». وفى ٢١ يناير طلبت السلطات القضائية فى بطرسبرج البحث عن «جوركى» بتهمة نشر رواية « الأم » . ومن اغسطس الى نوفمبر ، القى جوركى محاضرات فى تاريخ الادب الروسى ، فى مدرسة الحزب فى (كابرى) .

١٩١٠ : صدرت مسرحيتا « المخبولون » ، و « فاسا زهيازنوفا »

١٩١١ : ساهم فيتحرير جريدة « زفيزدا » ، ونشر « اقاصيص من «ايطاليا» ، ومقالا بعنوان : « كتاب علموا انفسهم » لخص فيه رسائل تلقاها من كتاب الشعب ما بين عامى ١٩٠٦ و ١٩١٠ .

١٩١٢ : نشر « آقاصيص روسية » ، و « عبر روسيا » ، وسلسلة من المقالات تحت عنوان « من بعيد » ، وكتب في صحيفتى « زفيزدا » و « برافدا » ، وأبلغه « لينين » ان جريدة « برافدا » تريده واحدا من بين محرريها الدائمين .

يكتب سيرته الذاتية

١٩١٣ : عاد الى الوطن،وبدا كتابة الجزء الاول من سيرته ، بعنوان « الطفولة » .

١٩١٤ : في ١١ يناير وضعت سلطات البوليس ((جوركى)) تحت الرقابة الدائمة . وصدرت أول مجموعة من المقالات السياسية لمختلف الكتاب ، باشراف جوركى الذى كتب مقدمة لها .

١٩١٥ – ١٩١٦ : قام بمجهود ضخم في تاسيس دار النشر الديموقراطية ((باروس)) لنشر مجموعات من المؤلفات القومية (الارمينية واللاتفية وغيرها) . كما أصدر مجلة ((لينوبيس)) الشهرية الداعية الى السلام . ونشر الجزء الثانى من سيرة حياته بعنوان ((أيام الدراسة))

١٩١٧ : اكتوبر . عاش جوركى أيام الثورة الأولى في موسكو ، حيث وقع خلاف مؤقت بينه وبين الحزب ، وانتقده ((لينين)) بشدة لبعض اتجاهاته ، وسرعان ما اعترف ((جوركى)) بصواب آراء ((لينين)) ، وقام بدور كبير في اقامة صرح الثقافة الاشتراكية .

١٩١٨ : انتقل الى (بتروجراد) حيث قام بنشاط ثقافي واشتراكى. واصدر المجموعة الثانية من المقالات السياسية لمختلف الكتاب .

١٩١٩ : أسس ((دار نشر الأدب العالمى)) لنشر مؤلفات أبرز كتاب اوربا وأمريكا ابتداء من القرن ١٨ حتى ذلك التاريخ . وصدرت مجموعة من تلك الكتب مصدرة بمقدمات بقلم جوركى .

١٩٢١ : اصيب بتدهور حاد في صحته نتيجة الدرن ، واصر ((لينين)) على سفره الى الخارج ، فسافر الى ألمانيا في أكتوبر للعلاج .

١٩٢٣ : صدرت مجموعة مؤلفات جوركى من دار النشر الألمانية ((كنيجا)) (١٩٢٣ – ١٩٢٤) ، وقد راجع جوركى كل مؤلفاته التى نشرت في تلك المجموعة . وفي شهر مارس بدات مجلة ((كرازنايا نوف)) الشهرية في نشر الجزء الثالث من سيرته الذاتية بعنوان ((جامعاتى)). وفى ٢٧ نوفمبر وصل الى مدينة (براغ) ، فوضعته السلطات تحت الرقابة السرية .

١٩٢٤ : شرع في كتابة رواية ((أسرة أرتامونوف)) ، كما نشر له كتابان ، هما : ((شذرات من مفكرتى)) ، و ((ذكريات)) ... وبدات دار

« جوسيزدات» في نشر اول مجموعة تنشر في الاتحاد السوفيتى من اعماله الكاملة .

وفى ٤ فبراير اتم كتابة ذكرياته عن لينين ، وفى ٥ أبريل غادر براغ الى فينا ، ثم الى ايطاليا .

١٩٢٥ : انتهى من كتابة « قصة أسرة أرتامونوف » .

١٩٢٦ : بدأ كتابة الجزء الاول من رواية « حياة كليم سامجين ». وتابع كعادته تيارات الحركة الادبية في وطنه بعناية ، وواصل مراسلاته الممتعة مع الادباء السوفييت .

١٩٢٧ : فيشهرى مايو ـ يونيو بدأ نشر « حياة كليم سامجين »

عودته الى وطنه ، والاحتفال ببلوغه « الستين » .

١٩٢٨ : واصل الكتابة فى « حياة كليم سامجين » ، ونشر مجموعة من المقالات والدراسات النقدية . ثم عاد الى الاتحاد السوفيتى بعد غيبة ست سنوات . وفى ٢٨ مارس احتفل بالذكرى الستين لمولده ، وكان للاحتفال بهذه الذكرى صدى واسع في انحاء روسيا .

١٩٢٩ : فى ٢٣ اكتوبر ذهب الى (سورنتو) بايطاليا للاستشفاء.

١٩٣٠ ـ ١٩٣١ اشترك في تحرير عدد من المجلات في روسيا ، منها : « ناشى دوسنجنيا » و « ناسترويك » ، و « ليتراتورنايا أوشوبا » و « زادوبيجوم » .. كما نشر الجزء الثالث من « حياة كليم سامجين » ، و « قصص عن الابطال » ، وعددا من المقالات والدراسات النقدية .

١٩٣٢ : انتهى من تاليف مسرحية « ييجور بوليشوف وآخرون » ثم اصدر سلسلة من المطبوعات : « تاريخ المؤسسات والمصانع » ، «تاريخ الحرب الاهلية » ، ثم « تاريخ شباب القرن التاسع عشر » ، وساهم بجهد كبير فى دار النشر الاكاديمية . وفى ٢٢ مارس نشر مقاله المشهور « ياسادة الثقافة ! فى أى جانب تقفون ؟ »

وفي ٢٧ ابريل وصل الى موسكو عائدا من ايطاليا . وفي ٥ يوليو

اعلنت « المجلة الادبية » بدء نشر سلسلة فصول عن حياة المشاهير يساهم جوركى في تحريرها . وفي ٢٠ اغسطس انتخب جوركى رئيس شرف للجنة التاسيسية لاتحاد الكتاب السوفييت .

١٩٣٣ : نشر مسرحية « دوستيجاييف وآخرون » وعدداً من المقالات، وساهم في تحرير الكثير من المجلات ، كما اعطى مزيدا من الاهتمام لسلسلة « سير المشاهير » و « مكتبة الشاعر » ومنتخبات «السنة السادسة عشرة»

يفجع في ابنه .. ثم يلحق به

١٩٣٤ :واصل الكتابة في رواية « كليم سامجين » ، ونشر مجموعة من المقالات ، واشرف على اصدار عدة كتب ومنشورات دورية مختلفة .

وفي ١١ مارس توفي ابنه « مكسيم بيشكوف » عن ٣٧ عاما .

في ١٧ اغسطس افتتح المؤتمر الاول للكتاب السوفييت،والقى تقريرا عن الأدب السوفيتي .

١٩٣٦ : واصل الكتابة في روايه « كليم سامجين » ، واشترك في اصدار مخطوطات ومنشورات دورية متنوعة ، وقام بمراسلة عدد كبير من الأدباء والشخصيات البارزة .

وفي ٣٠ مايو اصيب ببرد في مسقط راسه (جوركى) نيجني نوفجورود سابقا ـ بالقرب من موسكو .

وفي ٦ يونيو صدرت اول نشرة طبية عن صحة جوركى .

وفي الايام من ٦ ـ ١٧ يونيو اشتد المرض على جوركى .

وفي ١٨ يونيو اسلم مكسيم جوركى الروح في الساعة ١١ر٣٠ صباحاً ونقل جثمانه الى موسكو حيث عرض في « بيت الأعمدة »

وفي ٢٠ يونيو شيعت جنازته من الميدان الأحمر بموسكو ، واشترك عدد من اعضاء الحكومة والكتاب في تأبينه . وفي الساعة ٦ر٤٧ مساء دفن رماد جثمانه في جدار قصر « الكريملين » .

الى تولستوى

- ١ -

موسكو ، فى ٢٥ أبريل سنة ١٨٨٩
ليو نيقولائيفتش (تولستوى)

عندما قدمت لزيارتك فى (ياسيانا بوليانا) (١) وفى موسكو ، قيل لى انك مريض ولا يمكنك مقابلتى ، فرأيت أن أبعث اليك برسالة .

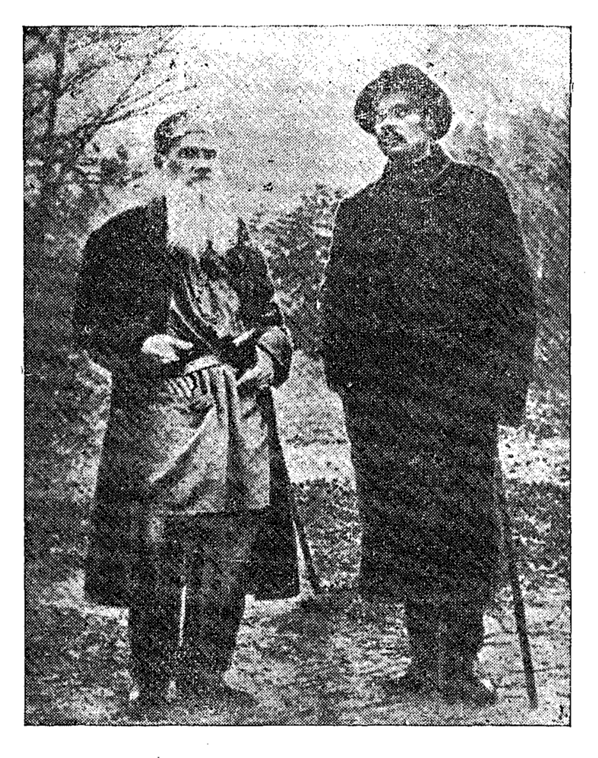
ان كثيرا من العاملين على الخط الحديدى (جريازى ـ نزارتيزين) ، ومن بينهم كاتب هذه الرسالة قد سيطرت على عقولهم فكرة الاستقرار فى الريف واحتراف مهنة الزراعة لحسابهم الخاص ، ولكن بالرغم من أن كل واحد منا يتقاضى أجرا شهريا قدره حوالى ثلاثين روبلا الا أن مدخراتنا لا تستحق الذكر ، مما سيجعلنا ننتظر طويلا حتى نتمكن من جمع المبلغ اللازم للبدء فى اقامة المزرعة .. لذلك رأينا أن نتقدم اليك ملتمسين مساعدتك باعطائنا قطعة أرض من المساحات الشاسعة المتروكة بورا دون زراعة .

وفضلا عن مساعدتك المادية البحتة فاننا نطمع أيضا فى مساعدتك المعنوية بنصائحك وارشاداتك التى ستيسر لنا سبيل الوصول الى غايتنا ، كما أننا واثقون من موافقتك على تزويدنا ببعض كتبك المحرمة والممنوع بيعها مثل كتاب « اعتراف » و « عقيدتى » .

ان لنا وطيد الأمل فى أنك ـ على الأقل ـ سترسل لنا

---

(١) « ياسيانا بوليانا » هو اسم الضيعة التى كان يملكها تولستوى فى الريف ، ويعيش فيها حين يغادر العاصمة موسكو .



مكسيم جوركى الشاب ، مع تولستوى الشيخ ، فى ضيعة الأخير المشهورة : « ياسيانا بوليانا »

ردا ، ســواء بدت لك خطتنا جديرة بعنايتك وتأييــدك ، أو تافهة وطائشة ، لأن الرد لن يستغرق سوى القليل من وقتك ٠ واذا رغبت فى معرفة المزيد عنا وعما أنجزناه من عمل لتحقيق خطتنا فيمكن لواحد أو اثنين منا التوجه لمقابلتك ٠ اننا نعول عليك في مساعدتنا ٠

بالنيابة عنا جميعا

اليكسى مكسيموفيتش بيشكوف

(مواطن من نيجنى ـ نوفجورود)

- ٢ -

(نيجنى ـ نوفجورود) فى ١٨ يناير سنة ١٩٠٠

ليو نيقولائيفتش (تولستوى)

أشكرك شكرا حارا على ما قلته لى ، كما أننى فى غاية الفخر والسرور لمقابلتك ٠ لقد كنت أعلم بصفة عامة أن لك طريقة بسيطة وودية فى لقائك للناس ، ولكننى اعترف لك بأننى لم أكن أنتظر منك مثل هذا العطف على ٠

أرجوك أن تهدينى احدى صورك الفوتوغرافية اذا كان ذلك من عادتك ٠ أتوسل اليك أن تعطينى احداها ٠

ان صحتى ليست على ما يرام ٠٠ ولقد كنت على وشك الحضور لرؤيتك ثانية ، ولكننى ملقى على ظهــرى من شدة السعال ومن آلام الصدر ٠

مع تمنياتى الحارة ٠٠

المخلص

ا ٠ م ٠ بيشكوف

عنوانى هو : « ٢٠ شارع بوليفايا ـ نيجنى نوفجورود »

- ٣ -

(نيجنى - نوفجورود) ، فى ١٤ فبراير سنة ١٩٠٠

ليو نيقولائيفيتش (تولستوى)

أشكرك على اهدائى صورتك ، وعلى الكلمات الرقيقة التى وصفتنى بها • اننى لا أدرى هل أنا حقيقة أفضل من كتبى ، ولكننى أعلم أن كل كاتب يجب أن يكون أرفع وأسمى مما يكتب •• ثم ، دعنا نتساءل : ما الكتاب ؟ ان أى كتاب - حتى الممتاز - هو مجرد ظل للحقيقة ، أما الانسان فهو الوعاء الحى لله ، الوعاء الذى يكافح دون أن يقهر فى سبيل الكمال والحق والعدالة ! **ومن ثم فان أى انسان مهما كان سيئا فهو فى نظرى أفضل من أحسن كتاب • أليس الأمر كذلك ؟ اننى مقتنع تماما بأن الانسان أفضل شىء على وجه الأرض •**

كنت أود الحضور لزيارتك مرة أخرى ، الا أنه يشق على عدم قدرتى على ذلك فى الوقت الحاضر ، لأننى أعمل بكل طاقتى ، (بالرغم من السعال وآلام الرأس المبرحة) ، كى أنتهى من قصتى عن دعاة الفلسفة الخبثاء الذين اعتبرهم من أحط أنواع الانسان !

يجب أن أتوقف الآن عن الكتابة ، خوفا من اجهادك فى القراءة •

أبعث اليك بتمنياتى الحارة واحتراماتى للعائلة ، متمنيا لك صحة جيدة •

« ا • بيشكوف »

الى أنطون تشيكوف

- ٤ -

(نيجنى ـ نوفجورود) ، فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٨

المحترم انطون بافلوفيتش (تشيكوف)

أشكرك بحرارة على ردك على رسالتى ، وعلى وعـــدك بمعاودة الكتابة ثانية ، الأمر الذى انتظره بفارغ الصبر ، كما أنتظر رأيك فى قصصى ٠



جوركى .. مع تشيكوف

منذ عدة أيام ذهبت لمشاهدة مسرحيتك «الخال فانيا» ، وقد بكيت ، وأنا أشهدها ، كالمرأة العجوز ! وبالرغم من أننى لست عصـــبيا ، الا أننى عدت الى المنزل بعد التمثيل بعقل مشوش من تأثير روايتك ، وحررت لك رسالة طويلة ، لكننى عدت فمزقتها ٠٠ اذ من المســتحيل أن أصف ــ بوضــوح ودقة ــ المشاعر التى تصيب النفس من تأثيرها ٠ لقــد كنت أشعر أثناء متابعتي للممثلين على خشبة المسرح ، كأن جسدى ينشق بمنشار ثالم تصل أسنانه مباشرة الى قلبى الذى يئن من الألم ثم ينفطر ويتمزق ٠ انها شيء هائل بالنسبة الى ، كما أنها نوع جديد فى فن الدراما ، فهى كالمطرقة تدق بهــا على رؤوس الجماهير الفارغة التى لا يقهر برودها والتى لا تفهمك بالمرة ، سواء فى تمثيلية « طائر النورس » أو « الخال فانيا » ، ولكن هل ستكتب تمثيليات أخرى ؟ انك تكتبها ببراعة تنم عن موهبة فائقة ٠ ولقد اصابتنى رعشة من شدة اعجابى بذكائك فى الفصل الأخير من «الخال فانيا» عندما بدأ الطبيب يتحدث بعد فترة صمت طويلة عن الحرارة فى أفريقيا، كما ارتجفت فزعا من مصير الناس ، ومن حياتنا التعسة التى لا لون لها ٠٠ كم كان وقع ضربتك شديدا على النفس ، وكم أحسنت تصويبها !

ان لك موهبة فائقة ، ولكن ما الذى تقصده بمثل هذه الضربات؟ أتراها ستعيد الانسان مرة أخرى الى الحياة ؟ اننا فى الحقيقة قوم تعساء ، متعبون ، تعافنا النفس ! ٠٠ ولكن البشر ، مع ذلك ، يستحقون العطف والشفقة ، فها أنا ذا قد بكيت عندما شاهدت « الخال فانيا » ، بالرغم من اعتقادى بأن البكاء نوع من الغباء ، وان التحدث عنه أشد غباوة !

.. ويبدو لى أنك فى هـــذه التمثيلية أشد برودة مع الجمهور من الشيطان نفسه ، كما أنك تبدو ـ من فرط عدم مبالاتك به ـ كالثلج أو كالعاصفة الثلجية ! (أرجو قبـول اعتذارى فربما أكون مخطئا ، ولكننى على العموم أتحدث بوحى من انفعالى الخاص وحده ، فمنذ مشـــاهدتى لمسرحيتك وأنا أشعر بخوف وتعاسة كاللذين شعرت بهما ذات مرة فى طفولتى عندما كنت أقوم بنفسى بزراعـة ركن صـغير من حديقتنـــا بالزهور التى بدأت تنمو وتترعرع ، فلما توجهت لريها وجدت حوض الزهور مقلوب التربة ، والزهور فيه تالفة ، وشاهدت خنزيرا مريضا يرقد فى وسط الحوض على سيقان الزهـور المهروسة ، ولم يكن ســـوى خنزيرنا الذى انكسرت ساقه الخلفية .. وكانت السماء يومئذ صافية ، والشمس الملعونة ترسل أشعتها بهمة غير مألوفة ، وبدون اكتراث ، على خرائب جزء من قلبى !) .

.. اذا كنت قد ذكرت شيئا خاطئا وغير صحيح فأرجو ألا تتـكدر منى ، فأنا رجل جاف خشـــن الطبع ، ولى روح مريضة لا يرجى لها شفاء ، وبهذه المناسبة ، هذا ما ينبغى أن تكون عليه روح كل انسان مفكر ...

أتمنى لك صحة جيدة ورغبة فى العمل ، ومهما مدحتك فأنت لا تحظى بالتقدير أو الفهم الكافيين ، ولا أود أن أقدم الدليل على صحة هذا القول .

« ا . بيشكوف »

ـ ٥ ـ

نيجنى نوفجورود ، فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨
أنطون بافلوفيتش (تشيكوف)

كل ما ذكرته فى رسالتك الرقيقة بخصـوص الكلمات النزقة التى أستعملها صحيح ، والحقيقة أننى لا أستطيع الاستغناء عنهـا ،لخوفى من أن تبدو كتـابتى فظة . هـذا بالاضافة الى أننى دائما فى عجلة ، وصقلى لأعمـالى مازال سيئا ، والأسوأ منه أننى أعتمد كلية فى معيشتى على ما أربحه من أعمالى الأدبية التى لا أتقن سواها ..

اننى أبلغ من العمر ثلاثين عامـا ، وقـد ثقفت نفسى بنفسى ، ولا أعتقد أننى سأصبح أحسن حالا ممـا أنا عليه الآن ، وأدعو الله أن أستمر على هذا المستوى الذى وصلت اليه ، والذى يكفينى بالرغم من أنه ليس عاليا ، وعلى العموم فان مظهرى لا يسترعى الاهتمام .. أما أنت فالأمر بالنسبة إلك مختلف تماما : فمواهبك مشهود بها ، وقولك بعدم رغبتك نى الكتابة ثانية للمسرح يجبرنى على أن أقول لك بضـع كلمـات : فعندمـا شـاهدت روايتيك « طائر النورس » و « الخال فانيا » ، فكرت فى الحياة ، وفى الجمال الذى يغزو حياة الناس التعسة الشقية ، كما فكرت فى أشياء أخرى كثيرة وهامة ، وهذا ما لا يحدث لى فى المسرحيات الأخرى ، فهى لاتشمد الناس من الواقع الىجو فلسفىكما تفعل مسرحياتك..

.. والآن ، أرجو المعذرة لثرثرتى ، ولكنك اذا توقفت عن كتابة الدراما فسوف تندم على ذلك ، لأنه حتى الآن لم يوجد لك مثيل فى الأدب الروسى ، ونحن نعتبرك أثمن وأعظم صورة لهذا الأدب . ان اعجابى بأعمالك الأدبية يفوق اعجابى بأعمال الكاتب الفرنسى « موباسان » التى أحبهـا كثيرا ، ولا أدرى كيف أعبر لك عن مدى اعجابى بك . وصدقنى اذا قلت لك ان الكلمات تنقصنى ، فأنت تمتلك موهبـة عظيمة أدعو لك بدوامها طويلا ..

- ٦ -

(نيجنى ـ نوفجورود) ، فى ٢٨ أبريل سنة ١٨٩٩

كانت رسالتك فى منتهى اللطف ، وأصارحك القول بأننى لم أتصور أن يكون رأى « ليو نيقولائيفتش » (تولستوى) فى شخصى على هذا النحو • ولقد أحسنت صنعا بالتحدث معه عنى • وأحسنت كذلك باخبارى بمضمون هذا الحديث ، لأننى كنت أود منذ مدة طويلة أن أعرف رأى تولستوى ، بالرغم من خوفى من ذلك • أما الآن وقد عرفت رأيه ، فاننى تذوقت قطرتين من عسل النحل ، أحداهما منك والأخرى منه ، ولا رغبة لى بعد ذلك فى مزيد • للأسف لا يمكننى الحضور الى موسكو ، لأن رجال الشرطة أثاروا ضجة كبرى عندمــا علموا بأننى أمضيت ليلة فيها ، ولكنى لا أعتقد بأنه سيصيبنى أذى ، لأن القضية التى اشتركت فيها سوف تنتهى قريبا • وعلى العموم فان أقصى ما يمكنهم عمله هو ارســالى الى المنفى لمدة عام أو عامين ، بيد أنى أرجح أنهم لن يفعلوا شــيئا من ذلك •• أننى أكاد أبكى من شدة الغضب لعدم قدرتى على الحضور الى موسكو ، ولا يمكنك أن تتصور مدى ضيقى بالحياة تحت رقابة الشرطة المستمرة •• يحضر رجلهم اليك ويجلس فى منزلك وهو مرتبك من واجبه الكريه ، ويسألك عن أى شىء يختاره ، مثل : من حضر لزيارتك ؟ ومن أين جاء ؟ والى أين هو ذاهب ؟ ولماذا ؟ •• وهو متأكد سلفا فى الواقع انك ستكذب عليه ، وبسبب تأكده هذا تشعر بغيظ وحنق ، وبجرح لاحساسك، ثم •• لا شىء بعد ذلك !

يؤلمنى التفكير فى المجىء الى موســكو والذهاب معك لمشاهدة تمثيلية « طائر النورس » لأنه لا توجد قوة على سطح

الأرض تجعلنى أقبل الجلوس الى جوارك فى المسرح • اننى أنصحك بعمل الآتى : اطرد الجميع واجلس بمفردك لمشاهدة المسرحية ، ثم أرجوك أن تكتب لى بعد ذلك يا عزيزى أنطون بافلوفيتش عن انطباعاتك ، بدون أن تهتم بأن المسرحية من تاليفك ، وتخبرنى بصراحة هل أعجبت بها على خشبة المسرح ؟ وأى جزء منها نال المزيد من اعجابك ؟ •• وأن تخبرنى عن طريقة أداء الممثلين لأدوارهم •• ويخيل الى أنك ستشاهد المسرحية بطريقة ما كأنها من تاليف شخص سواك ، وسوف تتأثر منها كثيرا ••

أنطون بافلوفتش ••

هناك شىء آخر أود سؤالك عنه • هل تنوى الحضور الى (نيجنى) ؟ لاتتردد فى الحضور لأنها فى منتهى الجمال الآن، على وجه الخصوص ، والنهر فائض •• **والمكان لدينا فسيح ، ولذلك فانك سوف تقيم معنا ، فى منزلنا • ان زوجتى امرأة صغيرة الجسم وفى منتهى البساطة والطيبة ، وهى مغرمة جدا بك ، وعندما أخبرتها بأنك ما زلت « أعزب » اعتبرت هذا ظلما واجحافا • واساءة لحقت بك •• واغرورقت عيناها بالدموع حزنا عليك ! •• حاول الحضور فسنلقاك كأحد أفراد العائلة • انى فى انتظارك ••**

- ٧ -

(نيجنى - نوفجورود) ، فى ٥ يناير سنة ١٩٠٠

أتمنى لك عاما سعيدا ••

ان حياتى سخيفة كالمعتاد ، ونظرا لشعورى باعياء شديد فقد قررت السفر الى (يالتا) فى أواخر شهر مارس أو خلال ابريل ، ما لم أمرض قبل ذلك • وددت لو أتمكن من

الحياة بطريقة تختلف تماما عن طريقة حياتى الحالية ‥ حياة أكثر نشاطا ، والأهم من ذلك أن تكون ذات نبض أسرع ٠ لقد شاهدت أخيرا عرضا لمسرحية « الخال فانيا » كان فيه التمثيل رائعا (وأنا دائما أشيد بروعة التمثيل عندما أشاهد مسرحية تعجبنى ، وهذا يرجع الى جهلى بفن التمثيل !) ٠ ولكن الحقيقة أن مسرحيتك هذه قادرة على جعل أسوأ الممثلين يقومون بأدوارهم على أكمل وجه ، ثم ان هناك مسرحيات لا يمكن أن يؤثر فيها سوء التمثيل ٠ وقد حدث منذ مدة انى شاهدت تمثيلية « سلطان الظلام » (لتولستوى) على مسرح « مالى » وكنت أضحك عند استماعى اليها ، اذ أعجبتنى بعض الشىء ، أما الآن فانى أجدها كريهة تعافها النفس ، كأنها صورة هزلية ، ولن أذهب ثانية لمشاهدتها ‥ ومرجع هذا الى أداء الممثلين لأدوارهم ، فقد ركزوا بدون رحمة على الجانب الفظ والسخيف منها ٠

‥ وهذا الذى أقوله عن فن التمثيل يمكنك أن تقوله أيضا عن الموسيقى ، فان أى عازف كمان ضعيف يمكنه أن يعزف جيدا مقطوعة ممتازة ، بينما لو عزف أمهر عازف مقطوعة تافهة ، فانها تزداد قبحا !

‥ كنت أقرأ أخيرا قصتك «السيدة» ، فهل تعلم ماالذى تفعله انت الآن بالآدب ؟ انك تقتل الواقعية ، وهى الشىءالذى بطل استعماله ، ولكن لا يمكن لأحد سواك أن يقطع ما قطعته أنت فى هذا الطريق ، ولا أن يكتب ببساطة كما تكتب فى مثل هذه الموضوعات البسيطة ‥ وانى ـ بغير شك ـ أعتبر أى عمل آخر اذا ما قورن بأقل قصة من قصصك عملا جافا ، كأنما تمت كتابته بعصا لا بقلم !

والحقيقة أن الوقت الذى نحتاج فيه الى العمل البطولى قد أزف ، **فكل فرد منا يحتاج الى شىء مثير ومنعش يختلف تماما عن حياتنا الحالية ، شىء أكثر مجــدا وعظمة وجودة وجمالا ، لذلك أصبح لزاما على الأدب المعاصر أن يبــدأ فى المساهمة فى تنميق الحياة قليلا . وعندما نبدأ فى ذلك ستصبح الحياة أكثر جمالا ومتعة ، وسيعيش الناس بايقاع أسرع ، وبوضوح يفوق ما يكتنفهم اليوم ، لأنك لو نظرت اليهم الآن لوجدت عيونهم التعسة الثقيلة مملوءة بالكآبة والبرود .**

انك تقوم بعمل رائع بكتابتك للقصص القصيرة ، فانها توقظ فى الناس النفور من الحياة المملة التافهة التى هى أقرب الى الموت منها الى الحياة ، والتى أتمنى أن يبددها الشيطان . لقد حركت عواطفى قصة « السيدة » لدرجة أننى شعرت بألم ورغبة فى السباب ، وكأننى خائن لزوجتى ، (ولو اننى لم أخنها وانما تشاحنت معها فقط ، كما تشــاحنت مع صديقى المخلص زوج أختها) .. ان قصصك أشبه بقوارير من البللور الشفاف مملوءة بكل عطور الحياة ، تشم منها الأنف المدركة أفخر الروائح والطفها وأصحها .. ولكن يكفينا هذا القدر من الحديث فى هذا الموضوع ، والا حسبتنى أداهنك !

سوف أدرس جيدا فكرتك الرائعة التى ذكرتهــا فى رسالتك عن جمع أحسن قصصى فى كتاب ، بالرغم من عدم موافقتى على رأيك بأن قصة « الرفيق » قصة جيــدة . لأن مثل هذا الموضوع كانت تمكن معالجته بطريقة مختلفة تماما .. وعلى العموم أرجوك أن تعد قائمــة بالقصص التى تراها مناسبة . والواقع ان موقفك تجاهى عجيب جدا ، بل مذهل ، وغير معقول .. وخطاباتك التى أنا شغوف بها تؤثر فى تأثيرا

عجيبا ! •• أرجو قبول اعتذارى ، فان أفكارى مشتتة ، ولكن الواقع أننى كلما كتبت اليك أشعر برغبة شديدة فى أن أكتب شيئا يفرج عن نفسك ويدخل عليك السرور ، ويجعل الحياة أسهل فى هذه الدنيا التعسة •• **اننى لا أصدق ما قيل لى من أنك ستتزوج ، وانك تفكر فى ممثلة لها اسم أجنبى ، فاذا كان الأمر صحيحا فلتكن على ثقة من أن ذلك يسرنى جدا ، لأننى أفضل الزواج ، خصوصا اذا لم تكن الزوجة باردة أو متطرفة • وأفضل ما فى الزواج انجاب الأولاد • وبهـــذه المناسبة ، لى ولد خبيث وشقى ولكنه فى منتهى الذكاء ، سوف تراه عندما أحضره معى فى الربيع القادم • وقد تعلم منى الكثير من ألفاظ السباب التى اعتاد أن يوجهها الى كل من يقابله ، وأصارحك بأننى فشلت فى تقويمه ! •• أليس من المضحك أن تسمع وغدا صغيرا لا يزيد عمره على السنتين وهو يصيح فى والدته بأعلى صوته : « أخرجى من هنا » ؟!**

ختاما ، والى أن نلتقى ، أبعث اليك بتحياتى • لسبب ما لم تظهر روايتى « فوما » حتى الآن • هل قرأت ما يمدحك به الألمان ؟ لقد كتب أخيرا أحد النقاد فى (سانت بطرسبرج) يقول ان مسرحية « الخال فانيا » أفضل من « طائر النورس » •• وربما كان هذا صحيحا ، ولكنه أمر يصعب القطع به • أرجو أن تكتب الى ••

« ا • بيشكوف »

- ٨ -

نيجنى ـ (نوفجورود) ، فى ٢١ يناير سنة ١٩٠٠

أخيرا توجهت لمقابلة ليو نيقولائيفتش (تولســتوى) وكان ذلك منذ ثمانية أيام ، وحتى الآن لم أتمكن من حصر

انطبـــاعاتى عنه ، لقد صدمنى مظهره الخارجى ، اذ كنت أتصوره طويل القامة عريض المنكبين ، بعكس ما رأيته : فهو رجل عجوز صغير الجسم ·· ولكن بمجرد آن بدأ فى حديثه وجدت نفسى مصغيا اليه باعجاب ، فكل ما قاله كان بسيطا وعميقا ، وقد بدا لى كأنه « فرقة موسيقية » كاملة ، لا تعزف بايقاع واحد · ومن الغباء أن نطلق عليه وصف « عبقرى » ، وانما الأنسب أن ندعوه « ليو تولستوى » فحسب ، لأنه لا يشبه انسانا آخر ، ولا يشبهه انسان ! ·· هذا بالاضافة الى أنه مؤثر جدا · ان مقابلته أمر هام ومفيد ، لاننى أعتبره من معجزات الطبيعة ، وعندما تنظر اليه تشعر بسرور لأنك أيضا انســان مثله ، ولأن الانســـان يمكنه أن يرتقى الى مستواه · هل تفهمنى ؟ ·· لقد كان لطيفا جدا معى ، وكل شىء فيه متناسق مع بعضه وجميل للغاية : كلامه ، وطريقته فى الحديث ، وفى الجلوس ، وفى نظراتــه اليك · لقد أمضيت معه أكثر من ثلاث ساعات ، ذهبت بعدها الى المسرح خلال الفصل الثالث من مسرحية « الخال فانيا » مرة أخرى ··· نعم ، مرة أخرى ، وسأذهب لمشاهدتها مرة ثالثة ، بعد أن أحجز تذكرتى مقدما · أننى لا أعتبرها لؤلؤة ولكننى أرى فيها أشـــياء أكثر مما يرى الجمهور ، فمحتوياتهــا عظيمة ، ورمزية ، وصيغتها ذات أصالة ، وعلى العموم فهى عمل رائع · والواقع اننى لم أكن أتصور تمثيلا أو عرضـا بهذا المستوى · أنه رائع ، ويؤسفنى جدا عدم اقامتى فى موسكو حتى أتردد على المسرح دائما · لقد شاهدت أخاك هناك وهو يقف مصفقا ·· أننى لا أصفق أبدا للممثلين ، لاعتبارى

التصفيق اهانة لهم ٠٠ هل رأيت « سيرانو دى برجراك » على المسرح ؟ لقد شاهدتها أخيرا وانتشيت بها جدا :

« هاهم قادمون أبناء غسقونيا الأحرار »
« المولودون تحت سماء الجنوب الحرة »
« ان شرايينا تنبض بأشعة الشمس والسعادة »
« كما يملأ ضوء الشمس أعيننا »

اننى معجب جـدا بهـذا الشطر من البيت : « شرايين تنبض بأشعة الشمس » ٠ هكذا يجب أن نعيش جميعا ، مثل « سيرانو » وليس مثل « الخال فانيا » والآخرين ٠

ولكن يظهر اننى أجهدتك ، فالى الملتقى ٠٠

اننى ملازم للفراش بسبب اصابتى بالتهاب فى «البلورا» مع سعال شديد وآلام فى جنبى ، لايغمض لى جفن بسببها طول الليل ، ولا بد من سفرى فى الربيع للاستشفاء فى (يالتا) ٠٠

« ا٠، بيشكوف »

- ٩ -

(نيجنى ـ نوفجورود) ، فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٠

٠٠ ذهبت الى (ياســيانا بوليانا) ، مقر تولســتوى ٠ يا لله ! كم هم لئام هؤلاء الناس المحيطون به ! ٠٠ لقد أمضيت هناك نهــارا كاملا ، تمكنت خلاله من مراقبة هــذه الطغمة المريعة من الأفاقين الذين كان من ضمنهم أحد مديرى البنوك، وهو ـ فيما يزعم ـ نباتى لا يأكل اللحوم ولا يدخن ، وعندما يتحدث عن الفســاد والفجور المنتشرين فى الطبقة الراقية يمسك رأسه هولا ! ٠٠ وبعد أن راقبته جيدا انتابنى شعور لاأدرى له سببا بأنه مدمن خمر ، وشره ، ومعتاد على التردد

على الحانات فى موسكو • وبعد انتهاء السهرة انصرفنا سويا ، وفى طريقنا الى المحطة اذ به يشعل سيجارة ويدخنها بشغف وسرور ، ثم انتقد النباتيين وسخر منهم بطريقة مزرية • وكانت ابنته ترافقنا ، وهى فتاة جميلة لا تتعدى السابعة عشرة من عمرها ، تبدو عليها العفة والطهارة • وفى أثناء انتظارنا للقطار فى المحطة ، واستجابة لاقتناعى الملح بكذبه ونفاقه ، تحدثت معه عن حانة « لاومون » ، **وفى الحال ظهر على حقيقته واتضح لى أنه معتاد على التردد على الحانات ، كما زعم انه أنقذ ذات مرة فتاة من هناك من بين أيدى رواد الكازينو ، وأنه نقدها تسعمائة « كورون » نظير توبتها ! •• لقد كذب هذا الأفاق على ، فهو لم يعطها هذا المبلغ نظير توبتها ! •• وكم كان كريها ترديده لمثل هذه الأقاصيص فى حضرة ابنته الصغيرة الطاهرة !**

كذلك التقيت هناك برجل آخر تبدو عليه سمات التجار، يشبهه تماما فى سفالتة وخسته وسلوكه • ان خادم « ليو تولستوى » عنده من الكرامة أضعاف ماعندهم ،مما يجعله فى نظرى أفضل منهم • ان هؤلاء الناس ولدوا عبيدا ، يزحفون على بطونهم ويتظاهرون بالانجذاب الروحى وهم على استعداد لتقبيل كعبى حذاء تولستوى • ان كل هذا زور ونفاق لا داعى لهما ، فلماذا يذهبون اليه ؟ انهم يزحفون فى الشمس كالعقارب ، التى بالرغم من أنها حشرات ضارة الا أنها صامتة ، بينما هؤلاء الناس يتحدثون بجلبة وضوضاء شديدين •• انه لوضع تعافه النفس !

ولقد أعجبت جدا بالكونتة ، زوجة تولستوى ، التى لم

تكن تعجبنى فى بادىء الأمر ، أما الآن فقد وجدت فيها المرأة القوية المخلصة والأم الحارسة الأمينة على مصالح أولادها • وقد تحدثت معها طويلا ، وقصت على تاريخ حياتها التى لم تكن سهلة بالمرة • وأعجبنى منها قولها : « لا أطيق أنصار تولستوى ،انهم يمرضوننى بريائهم وأكاذيبهم !•• » وهى لاتخشى ترديد هذه الكلمات فى حضورهم ، مما يزيد فى وقع كلماتها وقيمتها

أما ابن الكونت ليو فلم يعجبنى اطلاقا ، فهو انســان غبى متعال ، كالنجم المذنب الذى لايوجد له مدار خاص به ، والذى يبدو تافها فى ضوء الشمس التى يدور بغباء حولها • وقد وجدت أعماله تافهة ، كأنها مواضيع انشاء ساذجة كتبها تلميذ صغير ، كما انها لاتناسبه بالمرة •• ولكن لما بدأ والده يتحدث أصبح الحديث شيقا وممتعا، وواضحا وحقيقيا ومؤثرا، ثم عندما لخص قصة « الأب سيرجى » كان مذهلا فى تأثيره ، واستمعت الى القصة وأنا مذهول من جمال الحوار ، وبساطته، وفكرته • وتطلعت الى الرجل المسن كما يتطلع المرء الى الشلال، معجبـا بقوة الطبيعة الخلاقة • ان هذا الرجل عظيم الى حد الاعجاز ، وتستحوذ عليك حيوية روحه ، حتى لتعتقد بعـــدم وجود انسان آخر مثله ! •• ولكنه فى الوقت نفســه قاس جدا ، ففى أحد أجزاء القصة ، عندما يغضب الاله على «سيرجى» ويقذف به فى الطين ــ بعد أن عذبه عذابا أليما ــ كدت أبكى شفقة عليه • ان ليوتولستوى لايحب الناس ، وانما يجلس فقط ليدينهم ، واحكامه عنيفة • كذلك لا تعجبنى آراؤه عن الله فهو لا يصوره كاله لا غنى ولا حياة للناس بدونه •• ان لبو يقول عن نفسه « أنا فوضوى » ، ولكنه فوضـــوى جزئيـا فحسب ، فبينما هو يدمر مجموعة من القواعد ، تجده يضع

بدلا منها قواعد لا تقل عنها عنفا وقسوة وشدة على الناس ٠
وليس هذا بالمذهب الفوضوى ، وانما هو نوع من الوصاية ٠
ان قصة « الأب سيرجى » تخفى فى طياتها كل ذلك !
وحين تطرق الحديث الى مسرحية « الخال فانيا » ، واليك،
تحدث ليو عنك بحنان وعطف أبوى ٠ تحياتى الحارة وسلامى
للاصدقاء فى (يالتا) ٠

« أ ٠ بيشكوف »

- ١٠ -

(آرزاماس) ، فى ٨ مايو سنة ١٩٠٢

ها أنا ذا فى (آرزاماس) يا صديقى العزيز انطون
بافلوفتش تشيكوف ٠ أننى أقضى وقتى متنقلا بين الكنائس
(البالغ عددها ستا وثلاثين كنيسة) للفرجة عليها ٠ لقد
بلغنى أن الأهالى يخشون من اقامتى بينهم ويقولون : « الآن
ستبدأ متاعبنا ٠ ستكثر لدينا المنشورات والثورات » ،
ولذلك لا يحضر أحد لزيارتى سوى بعض الأشخاص من
الطبقات الدنيا ٠ وهذا من دواعى شكرى لهم لأننى أصبحت
حرا أفعل ما أريد ، فأحيانا أقوم بتكسير الأخشاب ، كنوع
من التمرينات البدنية ٠ وأعتقد أننى سأتمكن من الكتابة
كثيرا ، بالرغم من اننى لم أبدأ حتى الآن ٠
المكان هنا هادىء ، هواؤه عليل وحدائقه كثيرة ومنتشرة
فى كل مكان ، يصدح فيها « الكروان » ليلا ، كما يختبىء
الجواسيس تحت أشجارها ٠ **تجد الكروان فى جميع الحدائق
ما عدا حديقتى التى لا يوجد فيها على ما يبدو سوى جواسيس
الشرطة الذين تراهم جلوسا تحت النوافذ ليلا ، بأمل القبض
على متلبسا بتدبير ثورة أو فتنة فى روسيا ! ٠٠ وحين**

لا يجدون شيئا، يقومون باحداثجلبة فى الحديقة تبث الرعب فى قلوب أفراد العائلة .

اننى أدعو بالمجد والعزة لوزارة الداخلية التى لا تكف عن تسليط الأضواء على ، ففى آرزاماس ابتدأ الأهالى يقرأون لجوركى ولسان حالهم يقول : « لابد أن أقرأ شيئا لجوركى ، ليأخذه الشيطان ، فانه اذا اكتشف اننا لا نقرأ له شيئا ، سوف يصفنا بالجهل ! » .. وهكذا أخذوا يتهافتون على شراء كتبى ، وفى هذا منفعة مادية لى ..

الحياة هنا غريبة ، حيث لم أر منذ زمن طويل وفى مكان واحد مثل هــذا العدد الـكبير من القوم البسطاء . يجب أن تحضر لزيارتنا ، ولدينا منزل واسع به اثنتــا عشرة غرفة ، **واذا وجدت الجو حارا والمـكان متربا فيمكنك أن تذهب الى (دير بونياتيف) وهو مكان رائع يبعــد عنا بحوالى عشرين فرســـخا ، وبه نهر مملوء بالأسماك ، وبحيرات وحدائق ، وسبعمائة راهبة ـ تصور ســـبعمائة منهن !** ـ أو يمكنك الذهاب الى صوامع النساك فى (ساروف) ، وهو مكان آخر جميل توجد به غابة صنوبر رائعــة . كذلك لدينـــا نهر « تايوشا » الممتلىء بأسماك « البيرش » و «الكراكى الصغيرة» و « الكروكيان » التى يصطاد منها الأطفـــال بنجاح كميات كبيرة . سوف نأخذ معا قاربا وأتولى التجديف حتى نصل الى مكان صالح للصيد يقع فى أسفل النهر حيث يمكنك صيد سمك « البيرك » وانت تطالع كتابا !

أقسم بشرفى أن الحياة هنا ممتعة للغاية ، فاللبن جيد، والطيور البرية متوافرة وزهيدة الثمن، حتى أننا نأكل دائما « عصافير البكاشين » ودجاج الوادى .

يجب أن تحضر وبرفقتك العمة « أولجا » ، التى سوف

نتحسن صحتيا وتزداد قوة فى رفقة زوجتى التى تشبه يد الجاروف فى نحافتها !

سوف نقضى معا أوقاتا رائعة • سنعلق فراشا من الشباك فى أغصان أشجار الزيزفون بالحديقة ونستلقى عليها ، ونتطلع بصمت الى سماء آرزاماس • اذا قررت جديا الحضور أرسلت زوجتى لاستقبالك فى (نيجنى) •

الى برناردشو

- ١١ -

(كابرى) ، فى ٢٤ يناير

لقد تأثرت جدا من البرقية التى وصلتنى من عدد من الشخصيات المحترمة فى انجلترا ، الذين أعرف معظمهم عن طريق غير مباشر والذين أكن لأعمالهم أصدق الاحترام •

أنى فخور جدا بالاهتمام الذى أثارته مسرحيتى المعروضة حديثا فى لندن ، لأنى عندما أتتبع أعمال الشعب الانجليزى فى محيط الثقافة العالمية أقول لنفسى : هذا شعب ساعد دائما على بث أفكار ايجابية ، وعلى نشر الثقافة الآرية بأقصى قوة وبنجاح واضح •

هذه ليست كلمات اطراء ، ردا على تهنئة ، انما هو اعتقاد اعتنقته منذ زمن طويل • انى سعيد لامكانى اثارة بعض الاهتمام بين الشعب الانجليزى بمسرحية روسية ، وبالحياة الروسية ، وآمل الا يكون هذا اهتماما عابرا ، وألا ينتهى ، وانما يزداد ويؤدى الى نمو فى العواطف الطيبة •

ان العالم يعرف الشىء القليل عن نفسه ، ويبدو لى أنه أكثر ثراء مما نتصور ، فالناس لا يعرفون الا القليل

عن بعضهم البعض ، ولهــذا السبب يجدون الحيــاة صعبة وعسيرة •

أنا متأكد من انك ستغتفر لى هذه الملاحظات ، لأنى أود بكل جوارحى أن أرى جميع الناس أصدقاء ، وأعتقد شخصيا بامكان ذلك ، انى أفــكر فى ذلك على الدوام ، ولا يمــكننى حرمان نفسى من سعادة قوله وترديده مرة أخرى •

•• ان الحياة صعبة ، ومع ذلك فان الناس سيتعلمون كيف يحيون بسهولة ، ومرح ، وسعادة •• ونحن جميعــا نعمل لهذه الغاية • اليس كذلك ؟

« م • جوركى »

- ١٢ -

بتروجراد ، فى ٢ ديسمبر سنة ١٩١٥

عزيزى برنارد شو

بلغتنى شائعة ســـارة بأنك تقف بمعزل عن فوضى الانفعالات التى أثارتها الحرب الهوجاء التى لا معنى لها ، والتى تقضى على الملايين من ســكان كوكبنا الذى هو أكثر الكواكب فاعلية ونشاطا ، وأقدرها على العمل الخلاق •

اذا سمحت لى أن أحدثك بصراحة فسأقول بأنى لم أكن أتوقع أن أجدك وأنت واحد من أشــجع الناس فى أوربا مصابا بالعمى والصمم ، من جراء الانطباعات التى تتركهـــا فى النفس هذه الــكارثة العالمية ! ربمــا كان مذهب الانجلو ـ ساكسون المبنى على التشكك، هو أفضل ما أنجبت الأرض، وهو مطابق لصفاتك المميزة ، كما اتضح من كل شىء بذرته فى العالم •

آمل ألا تجد هــذه الــكلمات غير لائقة ، فلقــد أملاها

على شعورى بالاحترام لك · ولى رجاء أتقدم به اليك : أكتب لنا مقالا كي ننشره فى مجلة جديدة أسستها مع رفاق لى من دول مختلفة توضح فيه رأيك فى الموقف الحالى فى انجلترا ، وتشرح أفكارك وتنبؤاتك عن مستقبلها ·

·· كما أطلب منك بكل حماس يا عزيزى شـــو أن تساعدنا نحن الروس على خلق الهام جديد فى عقول مواطنينا، وهى مهمة تقوم بها أنت بنجاح وروعة فى العالم ·

أرجو ارسال المقال الى عنوان رفاقى فى استوكهولم ، ودعنى أعرف شروطك ·

مع تحياتى

« م · جوركى »

- ١٣ -

مارس - أبريل سنة ١٩٢٣

عزيزى برنارد شو

اسمح لى أن أطلب منك الاشتراك معنا فى تحرير مجلة « بيسيدا » ، وهى مجلة علمية وأدبية ستصدر فى برلين باللغة الروسية ، ويرأس تحريرها معى البروفسور ا-براون، والغرض منها اطلاع روسيا على الآداب والعلوم الغربيـــة · أنهـــا ليست مجلة شيوعية أو ســـياسية ، وكل كتابها من المانيا وفرنسا وأســبانيا وتشيكوسلوفاكيا · لقد زودنا « جون جالزورذى » ببعض الصفحات ، كما قدم لنا « هـ·ج· ويلز » كتابه الأخير ، ولكنـــه ما يزال تحت الترجمة الى الروسية ·

أرجوك أن توافينا بمقال عن أى موضـــوع تختاره · ولسوف يكون ممتعا جدا ولا شك أن نحصل على آرائك عن

الحالة السائدة اليوم في أوربا، وفى انجلترا على وجه الخصوص، أو عن المسرح البريطانى اليوم ، فانني ـ بصراحة ـ لا أصمم على أى موضوع منهـا • ان ما يهمنى فقـط هو أن يسـمع صوتك ، وأنت خير من يعرف كيف يتكلم عن أى شيء تحت الشمس بطريقتك الخاصة !

صدقنى ، ليس هـذا تملقـا ، فلقد قرأت جزءا من مسرحيتك « العودة الى متوشالح » ، ولـكم أدهشتنى • انها بالضبط ما يجب أن ينتجه فكرك الثاقب وعبقريتك الأصيلة القوية •

•• أرجو أن تدلنى على واحد من العلماء الانجليز يقبل ان يمد المجلة بعرض مفصل عن نظرية روثر فورد « الراديوم والالكترون » • اذا عرفته فأرجوك افادتى باسمه وعنوانه ، أو (اذا لم يكن فى ذلك ازعاج لك) ، أن تتصل به وتطلب منه شخصيا كتابة المقال •

ثم ، هل تعرف شخصا لمراسلة المجلة ؟ •• أشكرك من أجل ذلك كله •

مع أطيب تمنياتى

« م • جوركى »

- ١٤ -

مدينة (جوركى) ، فى ٢٦ يوليو ١٩٣١

عزيزى برنارد شو

يمنعنى مرض الذبحة الخانقة من الحضور الى موسـكو

لمصافحة يد مقاتل شجاع ، وعبقرى من أكثر الناس ذكاء ٠
انك قد عشت زهاء ثلاثة أرباع القرن ، صوب خلالها عقلك
الثاقب ضربات قاتلة لا تحصى الى المحافظين والى التقاليـــد
التافهة ٠٠ اننى مسرور جدا بأن تحتفل بعيد ميلادك الخامس
والسبعين فى بلد يقدرك أعظم تقدير ، وبين شعب أخذ على
عاتقه أكبر صراع ضد العالم الذى سخرت منه ٠٠ وهو يقوم
بهذا الصراع بنجاح ، وسوف ينتصر فى النهاية ٠

« جوركى »

محتويات الكتاب

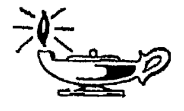
الموضوع	الصفحة

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر


كتابى
حلمى مراد
قصـــة
"ضياع" الشباب
المعاصر فى إنجلترا،
للروائى "الغاضب"
"كولين ويلسون"
صعلوك..
فى حى "سوهو"
وكتب
أخــرى

كتابى

مجلة شهرية للثقافة العالمية
صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد



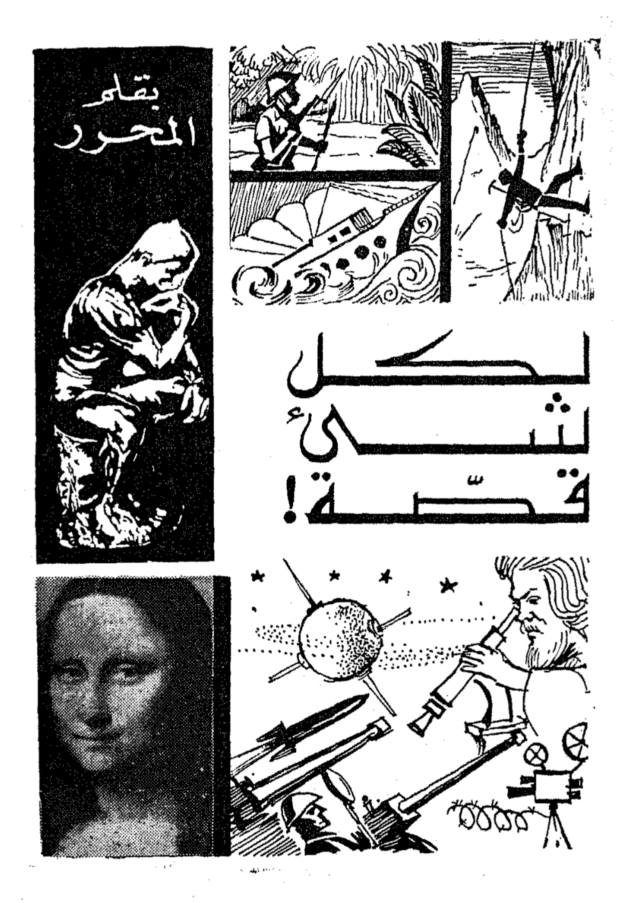
الكتاب التاسع والتسعون

التحرير : ٢٣ شارع عرابى ، شقة ١١١ ، القاهرة
تليفون : ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ، ٩٢ شارع قصر العينى ، القاهرة
تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

« مطابع الاخبـار »


بقلم
المحرر
لكل
شيء
قصّة!

عزيزى القارىء

● لكل شيء ، فى نظرى ، قصة : فلكل اختراع قصة .. ولكل كشف جغرافى أو علمى ، قصة ..

لكل فن قصة : لكل تمثال قصة .. ولكل لوحة قصة ، ولكل لحن قصة .. بل لكل قصة قصة ، ولكل كتاب أو أسطورة قصة ..

لكل حرب قصة ، ولكل صلح أو معاهدة قصة .. لكل نعمة قصة ، ولكل نقمة قصة .. لكل مشروع عمرانى قصة ، ولكل زلزال او بركان مدمر قصة ..

لكل نبى قصة ، ولكل عبقرى أو عظيم قصة ..

.. لكل قارة أو دولة قصة ، ولكل مدينة قصة ، بل لكل حى أو شارع قصة ..

.. لكل أثر خالد قصة .. ولكل معهد أو جامعة قصة .. ولكل دواء أو كشف طبى قصة .. ولكل عقدة نفسية قصة ..

لكل بطولة قصة ، ولكل تضحية قصة ، ولكل مغامرة قصة .

لكل رسالة خالدة قصة .. ولكل خطبة مشهورة قصة ..

بل لكل حياة قصة .. ولكل نهاية حياة قصة ..

وفى هذا الباب الجديد ، أزمع أن أقدم لك بعون الله فى كل عدد : لكل شيء قصة !

ولنبدأ بهذه القصة :

لكل تمثال .. قصة !

● انهـا تقف اليوم فى متحف « اللوفر » بباريس ، وقد أشاحت بوجهها قليلا عن الضوء البارد المرتعش الذى ينصب عليها من خـلال النافذة الشمالية .. تقف نهبا لنظرات الاعجاب والغيرة : كواكب السينما يعقـدن المقارنات بين مقاييس جسمها ومقاييس أجسـامهن .. وأساتذة فن النحت يدرسـونها بالمناظير المكبرة .. وملايين السياح والزائرين يتزاحمون كالقطعـان الهـائمة ليحـدقوا فى قسمات وجهها ، ومقاييس بدنها ! .. ومع ذلك فهى ماتزال لغزا محيرا : ما الذى ترنو اليه هكذا ، بهذه النظرة الجادة ؟

.. كم عمرها ؟ .. من هي ؟ .. مامن احد يعرف، رغم ان العالم كله يعرف اسمها !.. انهم يطلقون عليها : « فينوس » .. «فينوس دى ميلو» ، نسبة الى موطنها الاصلى ..



تمثال « فينوس دى ميلو » ، الذى يبهر أنظار زوار متحف اللوفر بباريس ..

جزيرة ميلو

● و «ميلو» — او « ميلوس » كما ينطق بها الانجليز — جزيرة من جزر اليونان ، صخرية وعرة ، تتوجها بلدة صغيرة بيضاء الاسوار ، تحف بها اشجار الزيتون ، ويلطمها في رفق — بحر « ايجة » وجزره ، بحيث تبدو للسائح القادم من الشمال مصداقا مجسما لجميع احلامه ..وان كانت فى حقيقة الامر لاتكفل لقاطنيها ، الفلاحين، الا عيشة الكفاف الشاقة : فالتربة فقيرة وسطحية العمق ، والشمس تحرقها طيلة اشهر الصيف بشواظ من نار .. والرياح الملحة تكتسحها وتعصف بنباتها وحاصلاتها الرقيقة القوام ..

لكنها خلال أسابيع معدودة من الربيع تغدو جنة الله على

أرضه ، يهب عليها النسيم ناعما منعشا ، فتخفق للمساته أغصـــان الزيتون وترتعش ظلالها على الارض .. وتمرح السحالى فوق الصخور تستحم بأشعة الشمس الدافئة .. وتتماوج أزهار الاقحوان الصـــفراء وبراعم الخشـــخاش القرمزية بين اعواد الحنطة القصيرة التى لم يتم نضجها .. وتتضوع الصـــخور بعطر الريحان ذى الرائحة العـــذبة النافذة ..

وأغلب الظن ان الطقس كان كذلك فى صبيحة ذلك اليوم من أيام ابريل ســنة ١٨٢٠ ، حين راح فلاحان من أهـــل الجـــزيرة هما « جيورجيوس » وابنه « انطونيو » يدقان الصخر بمعاولهما فى رقعة صغيرة مرتفعة عن سطح البحر .. وفجأة ، وهو يحفر حول جذع قديم شديد الصلابة ، دهش « جيورجيوس » اذ رأى الصخر ينهار ، كاشفا الغطاء عن هوة عميقة .. فألقى معوله من يده وصاح يلفت نظر ابنه فى انفعال .. !

وانهمك الاثنان من فورهما فى ازالة التربة المحيطة بفوهة الهوة الشاغرة ، وتنظيف المكان من كل ما يعوق رؤية ما فى باطنه .. وسرعان ما لاح لهما فى داخـــل الهوة ما يشـــبه المحراب الغريب ، وقد لونت جدرانه بطلاء باهت .. وفى القاع العميق ، بين اكوام من شظايا المرمر ، رقد تمثال امرأة فاتنة الجمال ! ..

ولم يكن جيورجيوس بالغبى أو الجاهل بقيمة هـــذا الاكتشاف ، فقد سمع من قبل انباء اكتشافات مشابهة فى أماكن أخرى من بلاد اليونان ، دفعت بعض الجهات ثمنا لها مبالغ مغرية .. فهرع عائدا الى بيته وبادر باخطار قنصل فرنسا فى الجزيرة ــ أو الممثـــل المحلى للثقافة الغربية ــ مسيو «برست» .. وبعد حين عاد الاثنان الى مكان الكشف ليفحصه القنصل ويتخذ الاجراءات التى يراها ..

فرنسا تطمع فى التمثال !

● وفى اليوم التالى أرسل القنصل الى رئيسه قنصل فرنسا فى « أزمير » رسالة تفصيلية قال فيها : « ان التمثال قد أدركه شىء من التشويه ، فذراعاه مبتورتان ، وجسمه مشطور عند الخصر الى قطعتين « .. ورغم ذلك فقد أشاد الكاتب بجمال التمثال وأسهب فى وصف قيمته الفنية فى تحمس كبير ، ثم طالب بضرورة اتخاذ ما يلزم لضمان حصول فرنسا عليه قبل أن يتصدى لها المنافسون ، اذ لا ريب فى أن كلا من انجلترا وأمير بافاريا المولع بالفنون سوف يعرض ثمنا سخيا مقابل الاستئثار به ! .. ثم ختم القنصل رسالته بالقول انه قد حصل على وعد قاطع من مكتشفه جيورجيوس بأن تكون الكلمة الاولى فى شراء التمثال أو تركه ، للحكومة الفرنسية ! .. وفى هذه الاثناء كان جيورجيوس وابنه قد بذلا جهدا جبارا حتى استطاعا اخراج النصف العلوى من التمثال من محرابه ، ونقله الى بيتهما ملفوفا فى جوال ، ومحمولا عبر الحقول على عربة صغيرة يجرها حمار ! .. وحين بلغا البيت أودعا التمثال حظيرة الماشية ، وأغلقا بابها بالمفتاح .. لقد ادرك الفلاح الذكى أنه وقع على كنز ثمين ، لكنه لم يستطع تكوين فكرة ولو تقريبية عن قيمة هذا الكنز بالمال ، فخطر له أن يستعين بضباط السفينتين الفرنسيتين اللتين كانتا راسيتين فى ميناء الجزيرة لعل أحدا منهم تكون له خبرة فى هذا الشأن .. فدعا الضباط الى منزله واستشارهم فى الامر ، لكن أحدا منهم لم يقطع فيه برأى يستطيع الرجل ان يركن اليه .

امرأة عارية ، تمسك تفاحة !

● على أن القدر لم يلبث أن ساق الى الرجل بعد أيام خبيرا اخصائيا فى الفن ، حين مرت بالجزيرة السفينة

الفرنسية « لاشيفريت » فى طريقها الى القسطنطينية ، وكان بين ركابها مسيو « دومون دورفيل » ـ الذى ذاعت شهرته فيما بعد باعتبـــاره من مكتشفى المنطقة القطبية ـ فهرع جيورجيوس الى الميناء لاستدعائه. وفى يوم ١٩ أبريل فحص دورفيل التمثال والمكان الذى وجد فيه ، ثم كتب على الاثر تقريرا جاء فيه : « ان التمثال قد اكتشف فى سرداب نقشت عليه عبارات موجهة الى « هرمس » و « هرقل » ، والتمثال يمثل امرأة عارية تمسك فى يدها اليسرى تفاحة ، وتمسك بيدها اليمنى طرف ثوبها .. لكن كلتا الذراعين قد بترتا ، وهما فى الوقت الحاضر مفصولتان عن الجسم ..

وبعد خمسة أيام أبحر دورفيل ـ مسلحا بتقريره، وبرجاء مسيو دى برست والحافه ـ متجها نحو القسطنطينية حيث يوجد الرجـــل الذى يعتمد عليه فى أمر مطاردة التمثـــال والسعى للحصول عليه : المركيز « دى ريفيير » ؛ ســـفير فرنسا لدى سلطان تركيا ، التى كانت تحكم جزائر اليونان وتتولى مصائرها فى ذلك الحين .

فرنسا وتركيا تتنافسان !

● وأبدى السفير اهتمامه الشديد بقصة التمثال ، الى حد أنه قرر ايفاد أحـــد سكرتيريه الى جزيرة (مياوس) ليتولى بنفسه المفاوضة فى شأنه ، لكن انفاق أموال الدولة على الاعمال الفنية لم يكن بالامر الذى تتم اجراءاته بسهولة حتى فى تلك الايام ، فانقضى شهر قبل أن يهبط السكرتير « مسيو دى مارسيللاس » الى أرض الجزيرة ، قادما على السفينة « ليستافيت » ، مزودا بالســلطة الكافية لشراء التمثال الثمين .. لحساب متحف اللوفر !

وفيما كان مسيو « دى مارسيللاس » ينتظــر تعليمات

حكومته ، كانت تجرى فى الجزيرة مساومات قذرة بشأن اغتصاب التمثال : كان كاهن يونانى يدعى « أويكونوموس » ــ وهو محتال ماكر خبير بأمور الدنيا أكثر من خبرته بأمور الدين ! ــ قد فقد حظوته لدى صديقه القديم الحاكم التركى « نيقولاقى موروزى » ، على أثر اتهامه باختلاس سندات حكومية .. فلم تكد قصة اكتشاف جيورجيوس للتمثال تبلغ مسامعه حتى رأى فيها فرصة ذهبية لاسترداد حظوته لدى الحاكم ، فسارع يلتمس مقابلة القروى الغرير الحائز للتمثال .. واذ اختلى بالساذج ، راح يحتال عليه بسلاح الوعيد والتهديد ، قائلا ان التمثال ما دام قد وجد فى أرض تركية ، فهو ملك خالص للسلطان ــ بحكم تبعية جزر اليونان لتركيا ــ ولو وصل نبأ اكتشافه الى مسامع المسئولين لطالبوا به فورا واستولوا عليه بأمر حكومى .. والانكى من ذلك أن جيورجيوس لا بد أن يستهدف فى هذه الحالة للحكم عليه بغرامة ، لكونه لم يبلغ نبأ العثور عليه ويسلمه للسلطان فى حينه ، بل لعله يسجن ، أو يكون مصيره أسوأ من السجن!

وبعد أن زعزع الكاهن الخبيث أعصاب الساذج بهذه الهواجس ، عرض عليه ــ بدافع من شهامته واخلاصه ــ أن يشترى منه التمثال بسبعة جنيهات ونصف ، ويكتم الامر عن مسامع الجهات الحكومية ..!

وتغلب شبح العقوبات « التركية » على كل ملق مسيو برست ومساوماته ووعوده .. فلم يمض وقت حتى وافق جيورجيوس على الصفقة !

اللحظة الحاسمة

● وأسرع الكاهن فأنبأ الدليل التركى بما وصل اليه ، وسرعان ما نقل شطرا التمثال الثمين الى زورق تركى كان راسيا فى الميناء ، على مرأى ومسمع من القنصل الفرنسى

الحانق ! .. ويمكن تصـــور شعور مسيو برست فى تلك الساعة : لقد حصل لبلاده ــ بيقظته ومجهوده ــ على فرصة الظفر بتحفة فنية نادرة المثال ، فاذا اهمال الروتين الحكومى واجراءاته السخيفة تضيع كل جهوده ادراج الرياح ، وتهدم كل ما بناه !

وعبثا توسل الرجل وهدد .. وعبثا راح يجيـل بصره ــ من فوق صخرة مشرفة على الميناء ــ نحو الشرق ، يداعبه أمل يائس فى ان يهبط العون فى آخر لحظة ، وتأتى النجدة من القسطنطينية !

ولكن ، أو ليست هذه سفينة تلوح عند الافق ؟ ورفع منظاره المكبر فورا الى عينيه فى لهفة وقلق ، لكن السفينة كانت ابعد من أن يستطيع تمييز العلم المرفوع فوق ساريتها .. وتحت أقدام التل الذى هو واقف عليه كان عمال الزورق التركى منهمكين فى تثبيت التمثال فى قاعه ، وشـــد وثاقه بالحبال ، تمهيدا للاقلاع به بين لحظة واخرى .. الى حيث تفقده فرنسا الى الابد !

وشد مسيو برست بصره الى الافق وهو يكاد لا يصدق عينيه ! او هذا معقول ؟.. سفينة يخفق فوقها العلم الفرنسى .. وبقفزة سريعة اندفع الرجل يعدو نحو الشاطىء وهو يطلق صيحات الفرح !

أما ما تلا ذلك فتتضارب فى شأنه روايتان : الاولى رواية مسيو « مارسيللاس » سكرتير سفير فرنسا فى القسطنطينية الذى قدم على ظهر تلك السفينة . وهو يقرر انه نجح فى اقناع الاتراك بتسليم التمثال وديا ، بفضل المفاوضـــات الدبلوماسية الناعمة التى تولاها بمجرد وصوله الى الميناء . والرواية الثانية ــ وصاحبها ضابط من ركاب السفينة ــ تقرر أن قبطانها وعشرين من رجاله ، يضاف اليهم مسيو

برست المتحمس ، وقد امسك فى يده سيفا وفى اليد الاخرى هراوة ثقيلة ، قد افلحوا فى انتزاع التمثال من بحارة الزورق الاتراك عنوة واقتدارا !

وخلاصة القول أن شمس ذلك اليوم لم تغرب الا والسفينة الفرنسية تمخر عباب البحر حاملة كنزها الثمين الى حيث يستقر اليوم فى متحف اللوفر ! .. أما جيورجيوس وابنه ، صاحبا الاكتشاف ، فكان كل ما غنماه منه مبلغ ٥٥٠ فرنكا .. وأما الكاهن اليونانى ، ففى نوبة غيظـه لفشل خطته . أرسل تقريرا عن تطور الامور الى الترجمان التركى ــ الذى كانت له سلطة الحاكم للجزيرة باسم السـلطان ــ يأمر بتوقيع غرامات فادحة على كل من كان له ضلع فى الامر من أهل الجزيرة . وأحس مسيو برست انه مسئول الى حد ما عن هذه العقوبة الجائرة ، فأخطر بالامر رئيسه سـفير فرنسـا فى القسطنطينية ، الذى احتج عليها بشـدة لدى الحكومة التركية ، فوعدته برد مبالغ الغرامة الى أصحابها ! .. ولم يكتف السفير بذلك بل سافر بنفسه الى الجزيرة لينهى الى أهلها نبأ نجاح مسعاه .. لكن بشراه التى زفها اليهم لم تتحقق ، فقد أخلفت الحكومة التركية وعدها له فلم ترد الغرامات لاصحابها قط ، الامر الذى اضطر فرنسا الى دفع المبالغ لهم من خزانتها ، فى شهامة مثالية !

على أن أهل الجزيرة سرعان ما وجدوا الفرصة سانحة للانتقام من الاتراك الذين خدعوهم ، حين نشبت الحرب بين البلدين بعد ذلك الحادث بأشهر قليلة . فكان أول ما فعلوه انهم علقوا الحاكم من رقبته فى شجرة وشنقوه !

فرنسا تجن اعجابا بالتمثال !

● وفى تلك الاثناء كان التمثال قد وصل بشطريه الى باريس ، حيث استقبل بحماس طروب يتناسب مع جماله

.. واعلن خبراء متحف اللوفر ـ مسيو «برسييه» ومسيو « فونتين » ـ انه لا يمكن الا أن يكون من صنع الفنان « براكستيل » ، أحد مشاهير مثالى اليونان القدماء !

ووضعوه فى غرفة مغلقة من غرف المتحف ، وشددوا الحراسة عليه ، بينما الهبت شوق الجماهير الى رؤيته روايات الافراد القلائل الذين اتيحت لهم تلك الفرصة ، والذين اجمعوا على ابداء اعجابهم الشديد به . ولم يشذ عن نغم هذا الاعجاب الاجماعى من رجال الفن غير صوت واحد ناشز ، وهو صوت الرسام الشهير « لويس دافيد » الذى كان يوما ما ـ فى عصر نابليون ـ دكتاتور الفن الاكبر والذى صار شيخا مسنا فى السبعين ، يعيش فى بروكسل ، فلما بلغته انباء اكتشاف التمثال بلغ من اهتمامه بأمره انه حين عجز عن السفر لرؤيته بنفسه أرسل يكلف تلميذا له يدعى « جرو » بأن يرسم له رسما دقيقا يوضح معالمه وقسماته .. فانتدب جرو لهذه المهمة بدوره واحدا من تلاميذه يدعى « ويهاى » فحصل على تصريح خاص برؤية التمثال ، وأتم مهمته على خير وجه ، ثم أرسل الرسم الدقيق الى مسيو دافيد .. وكم كانت دهشة هذا الاخير حين تبين فى بعض الرسوم المنقولة عن قاعدة التمثال عبارة مكتوبة باليونانية نقلها الرسام ـ الذى يجهل هذه اللغة ـ دون أن يفهم مدلولها ، وقد جاء فيها : « الكسندوس بن فيدس من بلدة انطاكية صنع هذا » .

اذن فالتمثال ليس من صنع المثال المشهور «براكستيل» بل من صنع مثال مغمور لم يسمع به أحد .. والانكى من ذلك أنه لا يمت حتى الى العصر الذهبى للفن الاغريقى،وانما هو تمثال حديث نسبيا ، لا يمكن أن يرجع الى ما قبل عام ٢٠٠ قبل الميلاد !

ويمكن تصور الجدل العنيف الذى دار حول هذاالموضوع وما يزال دائرا حتى الآن ، سيما ان الدليل الوحيد الذى يحسم الامر — وهو ذلك الجزء من القاعدة الذى نقشت عليه تلك العبارة ، والذى كان مكسورا وموضوعا الى جانب التمثال — قد اختفى منذ ذلك التاريخ ، وفشلت جميـــع الجهود التى بذلت للاهتداء اليه .. حتى لقد قيل ان خبراء متحف اللوفر الذين تهدم تلك العبارة نظريتهم كانت لهم يد فى اخفاء ذلك الجزء الذى نقشت عليه ، خشية أن يؤثر الرأى القائل بأن التمثال من صنع فنان مغمور ، فى قيمته الفنية .

أما ذراعا التمثال فقد فشلت جميع الجهود التى بذلت للعثور عليهما . وأما القطعة من اليد التى تحمل تفاحة ، والتى وجدت فى السرداب مع التمثال ، فقد لا تكون تمت اليه بصلة ، وان يكن يحتمل أن تكون خاصة به ، نظرا الى أن اسم الجزيرة (ميلوس) هو كلمة يونانية .

اللغز الاخير : من هى ؟

● وهذا يفضى بنا الى اللغز الاخير ، أو الموضوع الاخير من مواضيع الجدل التى ما تزال تثور حتى اليوم بشأن هذا التمثال ، وهو شخصية المرأة التى أوحت الى صانعه بصنعه : هل هى حسناء من البشر ؟ .. أم هى رمز لالهة من آلهة الاغريق ؟ .. ومن تكون ، اذا صح هذا الفرض أو ذاك ، وفى أى وضع كانت ذراعها اليسرى ؟ .. أما الذراع اليمنى فالراجح من وضع الساقين وانثناءات الثيـــاب انها كانت تمسك بها طرف ثوبها .

وفى هذا كله اختلف خبراء الفن : فرجح بعضهم انهـــا ترمز للالهة « أرتيميس » .. وقال آخرون انها الهة النصر .. ويرى فريق ثالث انها الالهة المحلية لجزيرة ميلوس ، اذا

صح انها كانت تمسك بيسراها تفاحة .. ويذهب الفريق الرابع الى ان صاحبة التمثال هى « فينوس » الهة الجمال وهو الاسم الذى أطلق عليها مجازا من فرط جمالها ، والذى لا ينكر أحد أنها تستحقه ..

ووفقا لهذا الاختلاف فى معرفة شخصيتها ، اختلف المفسرون فى تصور وضع ذراعها اليسرى ، فقالوا انها كانت تحمل رمحا ، أو ترسا ، أو تستند الى عمود ، أو الى رجل!

.. والى أن يحل هذا اللغز — واغلب الظن انه لن يحل — فسوف تظل المرأة التى استوحاها صانع التمثال محاطة بالغموض الفاتن ، كما كانت دائما .. وسوف يظل اسمها : « فينوس دى ميلو » .

◎❖◎

هذه هى قصة التمثال كما كشف عنها النقاب أخيرا .. فما هى الحقائق التقليدية التى كانت معروفة عنه ، وعن الربة فينوس بصفة عامة ؟

« فينوس » هى ربة الجمال عند الرومان ، وكان الاغريق يطلقون عليها « أفروديت » ، أما تمثالها الذى رويت لك قصته فهو أكبر قليلا من الحجم الطبيعى لجسم المرأة ، وقد صنع فى وضع لولبى بحيث تبدو فينوس جميلة من اية زاوية تنظر اليها منها ، وقد نحت الرأس على طراز يرجع الى القرن الخامس قبل الميلاد ، أما الجسم فقد نحت على نسق طراز القرن الرابع . وقبل أن تفقد ذراعا التمثال كانت الذراع اليمنى متدلية الى أسفل من الامام ، ويدها تمسك بطرف ثوبها .. بينما الذراع اليسرى تتكىء على عمود طويل ، ويدها تمسك بتفاحة (وهذا يرمز الى شعار الترحيب بالزائرين عند أهل جزيرة ميلو) .


أصداء
الثقافة
المعاصرة
للمحرر

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب الجديد ارجو أن اقدم لك فى كل عدد باذن الله جولة تطوف بك بين اهم مراكز الاشعاع الثقافى فى العالم : بين لندن وباريس وموسكو ونيويورك وطوكيو ، وشتى عواصم الغرب والشرق ، لتتعرف على أحدث التيارات فى الثقافة المعاصرة : على حركة الكتاب المعاصر .. والمسرح المعاصر .. والفيلم المعاصر .. والفن التشكيلى المعاصر .. وأهم ما تنشره الصحافة المعاصرة .. والجديد فى العلم .. والجديد فى الطب .. الى غير ذلك من أوجه واصداء الثقافة العالمية المعاصرة :

الكتاب المعاصر

((تحت هذا العنوان ، اقدم لك أنباء الكتب الجديدة التى تصدر تباعا فى عواصم الثقافة العالمية : فى لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وموسكو ، وطوكيو ، وغيرها من المدن الكبرى المنتجة والمصدرة للكتاب - اشرف وأثمن سلعة ينتجها الانسان ! - كما اقدم لك أنباء أهم ما يصدر من كتب فى العواصم العربية : فى القاهرة ، وبيروت ، وبغداد ، ودمشق .. الخ . وأول الكتب التى احدثك عنها اليوم كتاب صدر فى لندن ، قبيل احتفال الانجليز بعيد ميلاد فيلسوفهم ومؤرخهم الكبير المعاصر ((آرنولد توينبى)) الذى يبلغ الثمانين من عمره يوم ١٤ ابريل الحالى .

المدن ذات الاقدار !

● متى تكون لنا هذه الامكانيات .. او فى القليل ((بعضها)) ؟

لقد جعلنى هذا الكتاب احس بالحسرة ، وبشىء من .. الغيرة !

.. الغيرة من الناشرين فى الخارج - فى أوربا ، وامريكا ، واليابان - ومن مدى ما يتوافر لهم من وسائل لاصدار اعظم الكتب ، فى أروع مظهر ، واجمل طباعة !

و ((مفتاح السر)) فى هذه الامكانيات والقدرات الهائلة على الانتاج الثقافى الجبار هو .. القارىء ! .. القارىء الذى يدفع راضيا - بل سعيدا ممتنا - ثمانية جنيهات ((استرلينية)) فى

كتاب واحد من الكتب التى يحمل البريد الى أنباءها كل يوم ، فى صحف تلك البلاد ، ومجلاتها ، وملاحقها المصورة ، الملونة ، التى تعرفك بكل كتاب ، وتغريك باقتنائه ..

والكتاب الذى حمل البريد الى نباه - (الذى أشعرنى بهذه الحسرة ، والغيرة !) - كتاب فريد فى بابه .. فى متعة موضوعه ومادته ، وجمال اخراجه ومظهره .. وقد جاءنى نباه فى صورة دعوة .. نعم ، ((دعوة)) من دار النشر الانجليزية - حين اعتزمت اصداره

وهى دار (ورلد بوكس) بالاشتراك مع تيمز أند هدسون)(١) وقد وجهت الدار هذه الدعوة الى كل عملائها فى داخل انجلترا وخارجها ، كى ينتفعوا بفرصة توفير أكثر من جنيهين من ثمنه لو ((أشتركوا)) فيه قبل صدوره

- سواء نقدا ، أو بالتقسيط على قسطين قيمة كل منهما ثلاثة جنيهات استرلينية وستة شلنات - بل واتاحت الدار لعملائها الذين يقطنون فى داخل انجلترا أن يطلبوا منها نسخة من الكتاب ترسل اليهم (قبل دفع اى مبلغ) على سبيل التجربة ليطلعوا عليها ويبقوها فى حوزتهم لمدة اسبوع ، يردونها فى نهايته الى الدار اذا لم تعجبهم ، أو يحتفظون بها ويدفعون ثمنها بالنقد أو التقسيط اذا راقت لهم ورغبوا فى اقتنائها .

الى هذا الحد تبلغ ثقة دار النشر بقيمة كتابها ، وبان القارىء لن يستطيع التفريط فيه بحال ، متى تناوله بين يديه ، وقلب صفحاته !

والكتاب الذى تنصب عليه هذه الدعوة - وهى دعوة مالوفة تكررها دور النشر الكبرى هناك كل حين ، وبالنسبة للكثير من الكتب الثمينة - هو كتاب يروى قصة الحضارة الانسانية من خلال قصة عواصم العالم الكبرى (فى الحاضر والماضى) .. وقد اشرف على تحريره واعداده المؤرخ الانجليزى الكبير ((أرنولد توينبى)) ، وأطلق عليه اسم ((مدن الاقدار)) (٢) ، اى ((المدن ذات الاقدار)) أو المدن التى كان لكل منها قدرها وأثرها فى الحضارة الانسانية .. من ((أثينا)) القديمة فى عصر ((بركليس)) ، الى عاصمة عالم المستقبل التى يحلم بانشائها المعماريون ، ويطلقون عليها ((ايكومينوبوليس)) ! .. ومن ((الاسكندرية)) القديمة تحت حكم

---

(1) World Books - Thames & Hudson

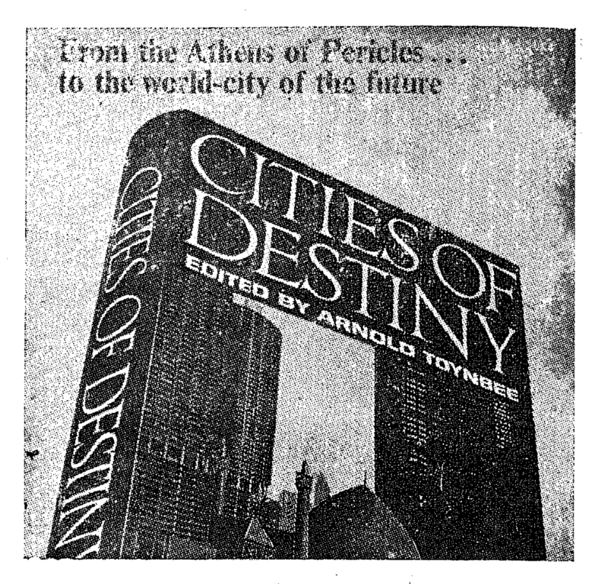
(2) Cities of Destiny - World Books - Thames & Hudson

البطالسة .. الى ((قرطبة)) الاسلامية .. و ((القسطنطينية)) المسيحية .. و ((شانج آن)) الصينية .. و ((دلهى)) و ((اجرا)) الهنديتين .. و ((ابندقية)) فى القرن الرابع .. وروما فى عصر ازدهارها .. و ((باريس)) فى زمن ((ابيلار)) ولويس التاسع .. و « فيينا » فى أبهتها وسناها .. و ((فيمار)) فى عصر جوته .. و ((اصفهان)) تحت حكم الشاه عباس .. ولندن فى العصر الفيكورى .. ونيويورك اليوم .. وفلورنسا فى عصر النهضة .. وسانت بطرسبرج ابان مجد القيصرية .. و ((تينوشتتلان)) عاصمة الحضارة المكسيكية العظيمة قبل الغزو الاسبانى ..

والكتاب يحتوى على خمسمائة صورة ـ منها ١٦٥ صورة ملونة ـ وستون خريطة ورسما .. وقد اشترك فى كتابة فصوله الثمانية عشر ١٨ عالما متخصصا ، كل فى ميدانه ، تحت اشراف ((أرنولد توينبى)) الذى أعد للكتاب خطته ، ونقحه ، وكتب له مقدمة هى فى ذاتها بحث ضاف عن ((المدن عبر التاريخ)) .

والفكرة التى أوحت بوضع الكتاب هى ان حضارة الانسان لم تبدأ فى صورتها الحقيقية الا منذ نشأت المدن ، واذا كان الانسان قد وجد على الارض منذ نحو تسعمائة الف سنة (٩٠٠,٠٠٠) ، فان عمر اقدم مدينة عرفها العالم حتى الآن ـ وهى مدينة ((أريحا)) الاردنية ـ لايزيد على تسعة آلاف سنة فقط ، ومن ثم يمكن القول ان المدن لم تظهر على مسرح الوجود الا ((حديثا)) ، (بالقياس الى عمر الكون) ، ومع ذلك فان تأثيرها على تاريخ الانسان كان تأثيرا حاسما .. وخلال الزمن الذى انقضى بين عصر « أثينا » (ذات البضعة آلاف نسمة فقط ، فى قمة مجدها) ، وعصر نيويورك اليوم ، العاصمة الفسيحة التى تعج بناطحات السحاب ، وعمائر الصلب والخرسانة .. بين ذاك العصر وهذا العصر ، كانت المدينة دائما مركز القوة والنهضة والتقدم ، ومكان اصطراع الافكار والنظريات والآراء ..

.. ومن ثم فالكتاب يتابع ، بالكلمة والصورة ، قصة كل مدينة على حدة ، من الماضى السحيق الى مشارف المستقبل البعيد .. فيروى فى كل فصل منه قصة مدينة منها عن قرب ، مع التركيز على الحقبة التى بلغ فيها تأثيرها على البشر والافكار اوج قمته ، بحيث جاوز حدودها الى العالم الخارجى ، وارسل اشعاعه الى المدى البعيد .. وهكذا نرى اثينا تموج بالآراء والفلسفات الجديدة فى عصرها الذهبى .. وروما تحكم العالم من قصور أباطرتها العظام .. والقسطنطينية مركزا للحضارة وقت ان كان الغرب برارى موحشة لم يتسلل اليها اى شعاع من المدنية .. و ((قرطبة)) نافذة مضيئة على



((المدن ذات الاقدار)) .. صرح فى عالم النشر !

العالم الاسلامى من جنوب اوربا .. ولندن ((ورشة)) تنتج للعالم صناعاته الاولى فى القرن التاسع عشر .. ونيويورك مدينة الحركة الدائبة .. ومن خلال صفحات الكتاب ، وصوره ورسومه وخرائطه ، تطالعنا تلك المدن الخالدة ، بضجيج شوارعها ، وجمال مبانيها ، وخلية تجارتها وسياستها ، وأمجاد فنونها وحضاراتها ..

ولكن ، ماذا بشأن المستقبل ؟ هل تستطيع المدينة البقاء فى عالم الغد ؟ .. أو هل يستطيع

الانسان البقاء فى مدن المستقبل التى تزحف وتمتد ، كالاخطبوط ؟ .. ان الفصل الاخير من الكتاب ، الذى يخطط لمدينة الغد « ايكومينوبوليس » يعالج هذه الفكرة المخيفة : كيف أن النمو المتزايد المستشرى لمدن العالم يهددها بالاختناق ، وبالقضاء على الانسان نفسه ، كما يحدث لجيوش النمل حين تتراكم فوق بعضها ، مالم ينقذ الاجيال القادمة تخطيط « ثورى » جذرى لمدينة الغد ، وهو ما يشرحه الاخصائى العالى « س . ا . دوكسيادس » ـ بالصور ، والخرائط ـ فى الفصل الختامى من الكتاب ..

والى لقاء قريب مع هذا الكتاب الممتع ، يوم تصلنى نسختى منه .

مشكلات ٣٢٥٩ فتاة مراهقة

● وقد اصدرت دار «هاينمان» للنشر ، بلندن ، كتابا جديدا فى سلسلة مطبوعاتها التربوية ، عنوانه « مشكلات الفتيات المراهقات » (٣) ، من تأليف الباحث الاجتماعى « جيمس هيمنج » . والكتاب دراسة جادة لمشكلات مستقاة من ٣٢٥٩ رسالة كتبتها فتيات مراهقات الى صحيفتى « النسر » و « الفتاة » اللتين كان المؤلف يعمل فيهما كمستشار أو « ناصح » تربوى ، خلال ثلاث سنوات . والكتاب يتعرض لكافة مشكلات المراهقة ، (ما عدا ظاهرة تعاطى المخدرات التى ظهرت فى انجلترا بعد ان ترك المؤلف عمله فى الصحيفتين) . ويزكى النقاد الكتاب للوالدين الذين يشعرون انهم رزقوا بنات عسيرات القياد و « متعبات » ، ويخيل اليهم انهم قد انفردوا وحدهم بهذا البلاء !

٤٠٠ صفحة من « د. هـ. لورنس »

● لايقل انتاج « لورنس » فى النقد مكانة عن انتاجه فى القصة ، الطويلة والقصيرة .. وقد كان من نتيجة رواج الطبعات المتوالية من روايات لورنس (واهمها : « عشيق الليدى تشاترلى » ، و « أبناء وعشاق ») أن عمدت دور النشر المختلفة الى نشر مجموعات من مقالاته وأبحاثه فى النقد . واحدث كتاب فى هذا

---

(3) Problems of Adolescent Girls (By : James Hemming - Heinemann Educational - 16 s.)

الصدد صدر اخيرا بعنوان ((مختارات من النقد الادبى))(٤)، فى اربعمائة صفحة ، ويتضمن آراء جريئة وذكية للورنس ، وردت فى عدد كبير من رسائله الخاصة ، ومقالاته ، وافتتاحيات كتبه .. ومنها بحث مطول عن ادب ((توماس هاردى)) ، ومقال لورنس المشهور عن ((الادب المكشوف)) ، وعدد من الدراسات البارعة فى الادب الامريكى الكلاسيكى ..

« زوجة الشيطان » .. محررة المرأة الامريكية !

● اغلبية النساء اللواتى كافحن من اجل اعطاء المرأة الحقوق السياسية كن فاضلات ، الا هذه المرأة ((فيكتوريا وودهل)) التى يروى هذا الكتاب(٥) قصة حياتها ، فلقد جاوزت مطالبها حدود المناداة بالحقوق السياسية للمرأة الامريكية ، الى المناداة بحرية الحب ، بل وحرية المرأة فى ممارسة الجنس ، والقضاء على ((النفاق)) و ((الرياء)) اللذين يحرمانها من هذه الحرية !.. وبلغ من جراتها انها حثت نساء بلدها على ممارسة حقوقهن هذه ، أو التبرؤ من وطنهن الامريكى اذا حرمهن منها !

كان ابوها بائعا متجولا فى بلدة صغيرة بولاية ((اوهايو)) ، حيث نشأت هى وشقيقتها ((تنيسى)) ـ التى لم تكن تقل عنها جمالا ـ نشأة روحانية ، لم تلبث ان انقلبت الى مادية صرفة ، حين احترفت الاختان مهنة السمسرة فى البورصة ،فى (وول ستريت) ، فصارتا تربحان مليون دولار كل عام !.. وانشأت فيكتوريا جريدة اسبوعية تدعو لاعطاء المرأة الحقوق السياسية .

والتف حولها عدد من ((المفكرين الاحرار)) عاونوها فى تحرير المجلة. وقبل ان تظفر لبنات جنسها بحق الانتخاب ، رشحت نفسها لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة ! (متأثرة بنبوءة صديق كان يراسلها ويسمى نفسه باسم خطيب اليونان الشهير ((ديموستين)) ، اذ قال لها فى خطاباته انها سوف تكون ثرية ، مشهورة ، وسوف تحكم قومها !)

لكن الشهرة واتتها بسبب مبادئها وآرائها ((الجنسية)) ، لاالسياسية ! .. ففى عام ١٨٧١ جاهرت على ملأ من سامعيها وهى تخطب فى قاعة مكتظة ، بنيويورك : ((نعم، اننى عاشقة

---

(4) Selected Literary Criticism (By : D. H. Lawrence - Heinemann Educational Books - 16 s.)

(5) Mrs. Satan (By : Johanna Johnston - McMillan - 36 s.)

متحـــررة ! » وكانت تلك بداية حملة من الرســـوم الكاريكاتورية شنتها عليها مجلة ((هاربرز)) الاسبوعية ، واطلقت عليها فيهـا لقب زوجة الشيطان)) !

وتالب ضدها الراى العـــام الامريكى ، وغدت حياتها مثقـلة بالمتــاعب ، فتنكرت لزوجهـــا ((الثانى)) الذى كان قد أعانهـا على النجاح وعلى احتمال الحيـاة ، وبفضل نشاطها وجاذبيتها لم تلبث ان ظفـرت بزوج ثالث : مليونير بريطانى وقور من رجـال البنوك ، عاش بقية حياته بعد ذلك يدفع عن سيرتها شتى صنوف الاتهـــامات الواضحة المحددة بشأن « ماضيها » .. وشـــأن كل امراة أمريكيـة مغامرة ، صارت فيكتوريا ــ بعـد زيجتها هذه ــ من اعمدة المجتمع الانجليزى الراقى ، وقضـــت بقية عمرها ربة قصر من قصور الريف الانجليزى !

اما اختهـــا « تنيسى » فلحقت بها الى انجلترا بدورها .. ولم تلبث الحسناء الاخرى ذات النزوات الجنسية ، التى كانت ذراعـاها الحانيتان وجسـدها الدافىء قد كفلتا الراحة للمليونير الامـريكى المسن ((كورنيليوس فاندربلت)) فى شيخوخته (١٧٩٤ ــ ١٨٧٧) .. لم تلبث ان حصلت هى الاخرى على زوج من نبـــلاء الانجليز ، وصارت تدعى ((ليدى كوك)) ! .. وعند موتها ــ فى عام ١٩٢٣ ــ كتبت صحيفة (التايمس) رثاء بليغا فيها ، لم تذكرها خـــلال سطوره الا باعتبـــارها « مكافحة مجدة ومخلصة فى حقل الـدفاع عن حقوق النساء » .. شـــأن شقيقتها فيكتوريا !

كتاب من باريس

● والان، لنترك لندن، لنتابع جولتنا مع الكتب فى عاصـــمة الثقافة الفرنســـية ، باريس ، حيث صدر أخيرا كتاب بعنـوان ((المتمرد)) (٦) يتناول حياة اديب اليونان الكبير ــ الذى يعد من أعظم ادباء القـرن العشرين ! ــ ((نيكوس كازانتزاكيس)) ، الذى توفى فى ٢٦ اكتوبر ١٩٥٧ فى مدينة (فرايبورج) بالمانيا ، (والـــذى قد لاتعرفه الجماهير الواسعة فى العالم الا من خلال الفيلم المشهور المقتبس عن قصـــته ((زوربا اليـونانى)) ! .. ومن خـــلال اللحن الموسيقى الذائع الذى تخلل الفيلم كله ، والذى ((يدندن)) به الشباب فى العالم كله ويطلبه المستمعون فى كل برنامج !) .

(6) 'Le D'ssident : Par «Eleni N. Kasantzaki.»

والكتاب الجـديد يتميز عن عشرات الكتب التى صدرت عن حياة هذا الاديب الفحـل ، بانه من تاليف زوجتـه ورفيقـة حياته ((الينى كازنتزاكيس)) ، التى كان يحلو له أن يدعوهـا « لينوتشـكا » ، (على وزن الاسماء الروسـية) .. وهى تروى فيه السـيره الحافلة لزوجها الكاتب والفيلسوف ، الذى تتمثل فلسفته فى عبارة قالها ذات يوم: ((لست آمل فى شىء ، ولااخشى شيئا ، فانا رجل حر ! .. ولو كنت أومن بالجنة او الجحيم ، لاصبحت تصرفاتى مقيدة ومحسوبة ولما عدت حرا .. وليس هنـاك شىء أسمى عندى من الحرية !))

وتقول الكاتبة فى مؤلفها، الذى ضـمنته طائفة من الـذكريات والتعليقات حول نصوص عـديدة لكازانتزاكيس لم يسبق نشرها : ((فى عام ١٩٢٤ ، التقيت بالرجل الذى ضحى بكل شىء فى سـبيل الحرية واللغة اليونانية الجـديدة .. وكان متواضـعا بسيطا ، يشك دائما فى روعة كل مايكتب..))

ولعل اروع ما الفه أديب اليونان الاشهر هو روايته الشـعرية ((الاوديسة)) التى يجهلهـا العالم ـ الى حد ما ـ بسـبب عدم ترجمتها الى اية لغة اخرى، وهى تضم ٣٣٣٣٣ بيتا من الشعر، وتبدا حيث تنتهى ((أوديسة)) هوميروس القديمة الخـالدة ..

ومما تجدر الاشارة اليـه ، ان هذا ((الراهب)) الـذى طالما عاش بين الرهبان فوق جبـل (آثوس) ، وهذا الشاعر الذى أمضى حياته فى برج عاجى بمناى عن النـاس ، لم يكف قط عن الاهتمام بمصير اقرانه ، حتى لقد كان اشتراكيا متحمسا . (وقد تناولت زوجته فى سيرة حياته ، تلك الرحلة التى قام بهـا الى روسيا فى عام ١٩٢٧ ، حيث التقى ببعض الاقطاب الشـيوعيين ..)

وقد يـكون سر عظمـة (كازانتزاكيس) كامنـا فى تلك العبارة ، بالغة الدلالة ، التى جاءت يوما على لسانه : « ثمة شىء واحد يعنينى ، فيسعدنى أو يشقينى: أنه الانسـان .. تلك الحشرة الانسانية الرائعة التى تدب على الارض ، وتكافح كى تنبت لهـا اجنحة !))

كتب عربية

وفى هـذا الباب يقدم لك (كتابى) كل شهر عرضا سريعـا لاهم الكتب العربية التى صـدرت خلاله ، فى مصر وسائر بلاد الوطن العربى . وفى مستهل هذا الباب يهمنى أن اصارحك باننى لم انشىء هذا الباب لخدمة الناشر ، للاعلان عن كتبه ـ كما قد يتبادر الى البعض ،

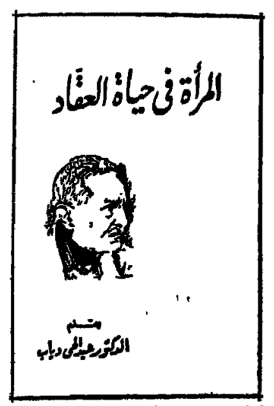
لاول وهلة - وانما انشأته لخدمة القارىء ، لخدمتك انت ، وارشادك الى ما يستحق ان تقرأ ، ومالا يستحق .. واذا كنت لن اغفل اسم ناشر الكتاب ، بل سأحرص على ذكر ثمنه وعدد صفحاته ، فما ذلك الا للتعريف به ، واعطائك صورة متكاملة عنه ، وارشادك الى الناشر الذى تستطيع أن تطلبه منه ، كما تفعل الصحف العالمية الكبرى فى أبواب الكتب التى يحررها نقاد مشهورون بحيادهم ودقة حكمهم .. والشىء الوحيد الذى ساخالفهم فيه ، هو اننى فى هذا الباب لن اهاجم كتابا ، أو انقده - فمهاجمة الكتاب الردىء انما تحدث رد فعل عكسيا ! - فضلا عن أنها تضيع وقتك فى معارك ومهاترات لا اومن بها .. وحسبك منى أن اغفل الاشارة الى الكتاب الردىء أو الكتاب المتوسط الجودة، فى نظرى ، الذى لااتحمس لقراءته - وبالتالى لحثك على قراءته - حسب تقديرى الشخصى وذوقى ، ولكل كاتب ذوقه الذى يعرفه قراؤه على اية حال ..

كما يهمنى أن أوضح من البداية ان تناول كتاب ما باسهاب أو ايجاز أكثر من كتاب غيره ، لا يتصل أدنى اتصال بدرجة تقييم هذا الكتاب أو ذاك ، وانما قد تكون مرجعه المصادفة البحتة ، بسبب ضيق الحيز ، أو ضيق الوقت ، أو لان الكتابة فى موضوع كتاب ما قد تقتضينى من الجهد والوقت الأكثر من الكتابة فى سواه .. وعلى هذا ، ارجو ان لا تفسر مجرد الاشارة الى كتاب فى « سطور » ، بانه يعنى الغض من قيمته ، فقد يكون مرد ذلك مثلا الى ظروف « توضيب » هذه الملزمة فى آخر لحظة قبيل الطبع ، وهى ظروف قد تقتضى اختصار صفحات باكملها - من موضع معين بالذات - والاستعاضة عنها ببضعة سطور .. الخ ..

وعلى هدى هذا الدستور تعال نستهل هذا الباب الجديد ، وكلى أمل فى أن لا تندم قط على وقت او مال اضعته فى كتاب زكيته لك :

المرأة .. فى حياة العقاد !

● منذ توفى الكاتب العملاق « العقاد » ، والكتاب من تلامذته ومريديه يحاولون اماطة اللثام عن الجوانب المتعددة لحياته ، وعن افكاره وآرائه المنعكسة فى أدبه والتاجه ، نثرا وشعرا . وهكذا كتب البعض عن العقاد ناقدا ، والعقاد شاعرا ، والعقاد فيلسوفا، ولكن الموضوع الذى استقطب اهتمام الجميع كان وما يزال : اين



المرأة فى حياة العقاد ، وفى ادبه ؟ •• وهى الناحية التى استطاع ان يوفيها حقها ، من الدراسة والبحث والاستقصاء ، كتاب ممتع صــدر اخيرا بقلــم الدكتور عبد الحى دياب (١) ، (الذى تخصص فى السنوات الاخيرة فى دراسة العقاد، والف فيه اكثر من كتاب) ••

وقد اعتمد فيه على ما كتبه العقــاد بنفسه ، وبشكل اخص فى شعره الذى يعد ولا ريب مرآة صــادقة لشخصية العقاد ، ونفسيته ،والذى اوضح فلسفته وآرائه فى:الجمال ، والحب ، والمرأة ، والجنس •• الخ

والكتاب يبدأ بشرح فلســفة الجمال عند العقاد ، ثم فلسفة الحب عنده •• وتجارب العقاد فى الحب •• ثم يفرد فصلا مستقلا لتحليل علاقتــه بكل من : الاديبــة مى زيادة ، وسارة ، ثم (المصلية)، و « الممثلة » ، (وقد اســتغرق هذا التحليل من الكتاب نحو مائة صفحة) •• وبعدها يتحدث الكتاب عن الحب بين السعادة والشــقاء ، والقضايا الفكرية التى تتصــل بالجمال ، وصفات المرأة ، وتفاوت الجنسين ، وآراء العقاد فى قضــية المرأة ، وحقوقها وواجبــاتها ، والعلاقات الزوجية : الزواج ، والطلاق ، وتعدد الزوجــات •• ويخلص من كل ذلك الى ان «نساء العقاد لا يصــلحن مقياسا للمرأة العربية المعاصرة ! »)

مى زيادة ، فى حياتها وآثارها

● ومن المصادفات المحضة ان يصدر فى أعقاب الكتاب السابق الذى تعرض لعــلاقة العقاد بالاديبــة اللبنانية المتمصرة « مى زياده » ، كتاب كبير و « جاد » عن حيــاة « مى » ، بقلم الاديبة الســورية

(١) ٥٢٣ صفحة قطع كبير ــ ٩٥ قرشا ــ دار الشعب .

المعاصرة السيدة وداد سكاكيني(١)
.. والكتاب يحوى دراسة شائقة عن حياة الاديبة التى عاشت أسعد أيامها وأشقاها على ضفاف النيل ، والتى كان لاعلام الفكر والادب فى القاهرة نصيب من الفضل فى تشجيعها ، حتى تالق نجمها واحتلت مكانتها بين الاديبات العربيات فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، وكان (صالونها الادبى) فى القاهرة اول صالون من هذا النوع عرفته بلادنا ، وضم فى جلساته الدورية وندواته أبرز أدباء العرب فى تلك الحقبة .

والكتاب يفرد ٢٢٠ صفحة لحياة مى ودراسة أدبها ، ثم ٢٥ صفحة لمختارات من مقالاتها ورسائلها وخطراتها .. وبصدد حياتها بدات المؤلفة بالكتابة عن : عصر مى ، ومنبتها واسرتها ، ونزعتها الدينية، وهجرتها من الناصرة الى القاهرة ، ونظمها الشعر بالفرنسية ، فكتاباتها النثرية بالعربية .. ثم تناولت المؤلفة : الانسانية فى ادب مى ، ومى فى صداقتها ، وندوة مى ، وأعلام الفكر والادب حولها ، وبين مى وجبران ، والرسائل المشردة .. ثم بوادر المحنة ، من العصفورية الى المستشفى .. وأيامها الاخيرة .. ومكانتها وموقف النقاد من أدبها ..واخيرا، فصل لاذع تحدثت فيه المؤلفة عن الاقلام التى اتخذت من التشهير بـ (مى) مادة للتجارة والاثارة !

وقد استمتعت حقا بقراءة هذا الكتاب الدسم الرصين للكاتبة القديرة السيدة وداد سكاكيني ، وهو يعد بحق اضافة لها قيمتها الى كتب السير فى المكتبة العربية.

دائرة المعارف الاسلامية

● لم تكن ألحضارة الاسلامية حضارة للعرب فحسب ، بل كانت حضارة للأمم الاسلامية كلها ، او هى حضارة العصور الوسطى التى ربطت العالم القديم بالعالم الحديث ، وقد مثلت تلك الحضارة ، فيما مثلت ، حضارات اليونان والروم والفرس .. ولقد اهتم العالم الحديث اهتماما خاصا بالدور الذى لعبته الحضارة الاسلامية فى تاريخ العالم ، فعكف فريق كبير من علماء الغرب المستشرقين على دراسة تراثها بما فيه من دين سمح ، ولغة غنية بمفرداتها ، وادب يصور نبضات القلوب ، وتصوف وتأمل ، وفلسفة عميقة ، ومن حكم وتشريعات سامية .. ثم جمع هؤلاء العلماء خلاصة ابحاثهم فى كتاب

(١) ٢٥٣ صفحة قطع كبير ـ ٥٥ قرشا . دار المعارف بمصر .

جامع ، فأخرجوا ((دائرة المعارف الاسلامية)) باللغات الانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، واشرف على تحريرها الاتحـــاد الدولى للمجامع العلمية ..

وقد تولى الاســاتذة ابراهيم زكى خورشيد،واحمد الشنتناوى ، والدكتور عبـد الحميد يونس ، مهمة ترجمة واعداد هذه الدائرة لقراء العربية ، حتى تصبح مرجعا لهم يجدون فيه التراث الاسلامى مرتبط الحلقات ، متماسك الاطراف .. وصدر الجزء الاول منها اخيرا فى طبعة جديدة دورية (١) ، على أن تصدر الاجزاء التالية منهـا تباعا ..

انيس منصور .. حول العالم

● وفى ((أدب الرحــلات)) صدرت الطبعة الجديدة(الخامسة) من كتاب انيس منصور « حـول العالم فى ٢٠٠ يوم » (٢) الذى فاز بجــائزة الدولة التشجيعية ، وهو مصـــدر بمقدمة للدكتور طه حسين . وفيـــه ترافق انيس فى « رحلة العمر » ، كما وصفها هو، من القاهرة الى الهند ، والسلام ، والافاعى ، وعبـادة الابقار .. الى بيت عرابى فى (كـاندى) ، الى اندونيسيا وجزيرة النهود العارية (بالى) .. الى اســتراليا قارة الصحة والكنجارو والمال والمستقبل .. الى الفيلبين التى ترقص نهارا لكل السائحين .. الى هونج كونج جـــزيرة الابتسام والفســـاتين المشقوقة .. الى اليابان حيث اللؤلؤ والجيشا وكل شىء صــغير .. الى الجنة الحمراء فى جزيرة هاواى ، حيث البراكين والاناناس وبنــات الهولا فى ظل القمر تحت اشجار جوز الهند .. الى امريكا نصــف العالم الجديد والسيارات الفخمـــة والشـــوارع الجميلة والـكواكب والسرعة والملايين من أصـــحاب الملايين .. الى أوربا نصف العــالم المتحضر .. الخ



(١) كل جزء ٨٠ صفحة . حجم كبير ـ ١٠ قروش . دار الشعب .
(٢) ٦٤٧ صفحة . قطع كبير ـ ١٢٥ قرشا . دار المعارف بمصر .

الجديد في الطب

زرع الشعر في الرءوس الصلعاء !

نشرت مجلة («اسبوع ») السويدية التي تصدر في ستوكهولم في احد اعدادها الاخيرة ، تفصيلات وصورا مثيرة عن نجاح التجارب التي اجراها استاذ الجراحة المساعد في جامعة ستوكهلم البروفيسور الدكتور « لارس انجستراند» Lars Engstrand لزرع الشعر في الرؤوس الصلعاء، واسى استطاع بها اسبات الشعر في رؤوس ٢٤٠ شخصا ، مضى على سقوط شعر بعضهم عشرون عاما !

وفيما يلي الخص لك اهم الحقائق التي تضمنها حديث البروفيسور ((انجستراند)) في المجلة المذكورة :

١ ــ ان الصلع لايكاد يصيب غير الرجال ، فهو نادر جدا في النساء . وأن لاصلة له بالشيخوخة ، فهو يصيب الشباب بما يصيب الشيوخ . ولا صحة للزعم بأن له صلة بارتداء الرجال للقبعة (او الطربوش) ، وقد استنتج البعض هذا الزعم من ان الشعر يسقط عن ((قبة)) الراس ، (التي تغطيها القبعات عادة) ولا يسقط عن جوانب ومحيط الراس الدائري .

٢ ــ والتعليل الصحيح لسبب سقوط الشعر ، هو ان ((قبة)) الرأس وحدها هي البقعة التي تكسوفيها الجمجمة (تحت الجلد ، وفوق العظم مباشرة) طبقة من الغشاء الأبيض المسمى بـ ((الصفاق)) ، والذى يغلف العضلات التي تحت الجلد ، ويثبتها في عظم الجمجمة. والنساء لايصبن بالصلع لان هذا الغشاء عندهن يظل مدى الحياة رقيقا ، يسمح للدورة الدموية بأن تتخلله الى الطبقة التالية له التي ينبت فيها الشعر ، وبذلك يغذى الدم جذور الشعر مدى الحياة .

٣ ــ أما عند الرجال ، فان هذا الغشاء الذى يكسو الجمجمة في منطقة ((قبة)) الراس ، يصاب احيانا بازدياد في سمكه وكثافته ، فيعوق وصول الدم الى جذور الشعر لتغذيتها ، وهكذا يضعف الشعر رويدا رويدا حتى يسقط نهائيا .

٤ ــ والعاملان اللذان يسببان ــ متضامنين ــ ازدياد سمك الغشاء المذكور ، هما : الوراثة ، وازدياد افراز هرمونات الجنس عند الرجل.ومن هنا يحدث احيانا للشباب (حتى في سن العشرين) ان تزداد كثافة شعر اللحية (الذقن) ، ويسقط شعر الرأس ، في وقت واحد ، ونتيجة لسبب واحد ، هو ازدياد افراز هرمونات الجنس عند الشاب عن المعدل



الاخصائى السويدى البروفيسور « لارس انجسترائد »، يجرى عمليــة زرع الشعر لاحد مرضاه ، والى يمينه مساعدته المرضة وفى أقصى يمــين الصورة زوجة المريض وفوق رأسها عنوان التحقيق الصحفى الذى أجرته مجلة «الاسبوع» السويدية مع الطبيب

الطبيعى . ومعـــروف ان افــراز الهرمونات فى سن العشرين يزيد عنه فى سن الثلاثين ، وهذا بدوره يفوق الافراز فى الاربعين وهكذا . فاذا اجتمعت زيادة الافراز وعنصر الوراثة عند شخص ، كان عرضة لزيادة سمك غشـاء الجمجمة ؛ وبالتالى لتناقص تفـذية جذور الشعر بالدم ، ثم الى سـقوط الشعر فى خلال سنوات معدودة .

٥ ــ ولكن اذا تجاوز الرجـل مرحلة زيادة افرازات الهرمونات دون ان يتكثف غشاء جمجمته ، بحيث احتفظ بشعره حتى سن ٥٠ أو ٥٥ ، فلن يسقط شـعره بعد ذلك مهما بلغ من العمر !

٦ ــ أما النســاء ، اللواتى لايفـرزن هرمونات ، فلا يتكثف غشــاء جماجمهن على الاطلاق ، ومن ثم لايتعرضن لسقوط الشعر ، الا فى حالات نادرة ، اذا أصيبت جذور الشعر بالتلف من اساءة استعمال أدوات لف الشعر عند الحلاقين .

٧ ــ واذا بدأ شعر الرجل فى السقوط ، فيمكن ايقاف سقوطه بواسطة جراحة جذرية فى جلدة الرأس (الفروة) ، لانقاص تمدد الفروة ، وهى جراحة تستغرق ٤٥ دقيقة ، ويكفى فيها التخدير بالبنج الموضعى ، وفيها يفصل غشاء الجمجمة عن الجلدة التى تعلوه ، ثم يشق الغشاء على شكل حرف (ت) الافرنجى لمسافة ١٦ سنتيمترا ، وهذه الجراحة تنجح فى ٧٠ ــ ٨٠ فى المائة من الحالات فتنقذ الشعر الباقى من السقوط ولا تكلف سـوى ٣٣ جنيها ، ويكفى شق فروة الرأس بطـول سـنتيمترين اثنين فقـط لمرور

الاداة التى تحدث الجـراحة المذكورة فى الغشاء .

٨ - أما بعد سقوط الشـعر كلية فلا يبقى غير حل واحـد جذرى ، هو زرع الشعر فى الرأس من جديد ، وهى عملية تنجح فى ٩٨ فى المائة من الحالات ، ولا يعود الشعر بعدها الى السـقوط . لان عمليـة زرع كل نبتة شـعر جديدة تقتضى ثقب غشاء الجمجمه فى موضعها ، فلايعود الغشاء فى موضع الثقب يعوق وصول الدم الى جـذور الشـعر الجـديد باستمرار ..

٩ - والطريقة التى زرع بها البروفيسور ((انجسـتراند)) الشـعر لنحو ٢٤٠ شـخصا ، تتلخص فى أن يتاكد اولا من أن فى عنق الشخص الاصلع مساحة تتراوح بين ٦ - ٨ سنتيمترات ، ذات شعر لاتقل غزارته ونموه عن المتوسط الطبيعى (اى لايكون الشعر نحيلا وضعيف النمو) . وبعـد ذلك يجرى له العمليـة بالمخـدر الموضعى (ولكن فى ظل تعقيم تام) ، فيحلق شعر العنق فى المساحة المطلوبة ، ثم ينتزع نحو ٢٥٠ شريحة من الجلد، بشعرها، بحيث يكون قطر كل شريحة بين ٣ - ٤ ملليمترات ، وطولها بين ٦ - ٧ ملليمـترات ، فاذا زاد القطر ملليمترا واحدا عن ذلك ، تموت جذور الشعر فى وسـط الشريحة .. ثم تبرد الشرائح الى درجة معينة ، للاحتفاظ بحيويتها وتستغرق هذه المرحلة من العملية نحو ساعة ونصف ساعة .

١٠ - ثم يخيط الجراح اطراف الجروح الجلدية فى العنق بارق خيط من النيلون ، ويرش عليها طبقة من البلاستيك المعقم ، ثم يغطيها بشريط معقم ، (ولا يظهر اثر للعملية بعد التئام الجرح ، سوى خط رفيع عرضه ملليمتر واحد ، لايلبث الشعر الباقى ان يغطيه) . وبعدئذ تبدأ المرحلة الثـانية بان يثقب الجـراح فى الرأس الاصلع ثقوبا تخترق الطبقة الخارجيـة للجـلد ، والطبقـة الداخلية ، ثم غشاء الجمجمة .. ثم يزرع فيها شرائح الجلد والشعر المنتزعة من العنق . ويسـتغرق زرع ٢٥٠ شريحة فى الثقوب نحو ساعتين ونصف ساعة ، تراعى فيها الدقة فى سـد الثقـوب تماما بالشرائح المستعملة ، بحيث لايبقى بعدها فى الثقوب اى فراغ .. وبعد ذلك تغطى المساحة الصلعاء بطبقة من البلاستيك المعقم ، وعدة طبقات من اشرطة الجراحة المعقمة

١١ - ويستعمل الجراح وهو يجرى هذه العملية نظارة مكبرة ، تكبر الرؤية اربعـة اضـعاف ، وتبقى الاشرطة المعقمة على الرأس بضعة اسابيع ، لمنع تلوث الثقوب اثناء نمو الخلايا وتلاحم الشرائح مع جلد الرأس ، وبعد نحو ثلاثة اشهر (هى التى تحتاجها الغدد الدهنية وغدد العرق كى تتاقلم فى محيطها الجديد) ، يبدأ الشعر الجديد فى الظهور من تحت الجلد (وخلال هذه المدة يضع البعض على رؤوسهم شعرا مستعارا) ، وبعد نحو عام آخـر يبلغ طول

الشعر عشرة سنتيمترات ، (فمعدل النمو الطبيعى للشعر هو نصف ملليمتر كل ٢٤ساعة) ، وتحتاج أعصاب الجلد الى ٩ أشهر من تاريخ العملية كى تألف الوضع الجديد ، وتنال القسط الكافى من الراحة .

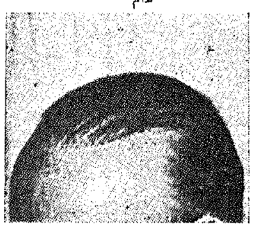
١٢ ــ ويراعى الجراح فى انتزاع الشرائح من جلد العنق أن تحتوى كل شريحة على نحو ٥ ــ ١٥ شعرة ، بجذورها ، واذا كان الراس كامل الصلع فانه يحتاج الى ٣ عمليات ، وأحيانا الى أربع ، تجرى خلال مدة تتراوح من ٥ ــ ٦ أسابيع ، يزرع فيها من ٧٥٠ ــ ١٠٠٠ شريحة .

١٣ ــ وفى زرع الشعر لايوجد اى احتمال لرفض الجسم للخلايا والانسجة الجديدة المزروعة فيه ، (كما يحدث فى زرع الكلى ، والقلوب) ، لان الانسجة فى هذه الحالة تنقل من جزء الى جزء آخر من نفس الجسم ، فى نفس الشخص . وينبغى ان لايستعمل الشخص الذى زرع له شعر جديد اى مستحضر من الشامبو أو الكريم ((المضاد لقشور الرأس)) فانها تحوى مواد تزيد من افراز الدهنيات وتسبب سقوط الشعر ، ويكتفى باستعمال نوع عادى من الشامبو البسيط المعد لغسل الشعر فحسب .

١٤ ــ ويقرر البروفيسور ((انجستراند)) فى ختام حديثه للمجلة بأنه بدأ يمارس عملية شق غشاء الجمجمة (للاحتفاظ بالشعر الباقى لمن بدأ شعرهم فى



سائق القطارات«هارى برولينده (٥١ سنة) . كان أصلع الرأس منذ ٢٠ سنةحين أجرى لهالبروفيسور « انجستراند » منذ عامعمليتين زرع له فيهما ٤٠٠ شريحة شعر من عنقه فلم يلبث أن نبت شعره كما ترى فى الصورة الاخرى لرأسه بعد مضى عام .



رأس السائق « هارى برولينده » كما بدت بعد عام من العملية ، وقد نما شعره حتى بلغ طوله ١٠ ــ١٢ سنتيمتر !

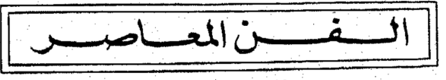
السقوط) منذ عام ١٩٦١ ، وقد أجرى نحو ١٢٠٠ عملية من هذا النوع ، نجحت منها نسبة ٧٠ــ٨٠ فى المائة ، اذ احتفظ أصحابها ببقية شعرهم بعد أن توقف سقوطه ، ومنذ عام ١٩٦٤ بدأ البروفيسور يمارس عملية زرع الشعر لذوى الصلع الكامل ، وقد بلغ عددهم ٢٤٠ شخصا ، منهم عدد ضئيل من النساء ، وقد زرع لهؤلاء حوالى ٢٦٠ الف شريحة ، ونجحت نسبة ٩٨ فى المائة من هذه الحالات .. ولم تفشل سوى الحالات التى كان شعر العنق فيها نحيلا ، ضعيف النمو ..



شريحتان منجلد العنق قبل زرعهما فى الرأس الاصلع ، وهما مكبرتان ٣٠ ضعفا ، وترى كل شعرة داخل كيسها الذى يخترق ٣ طبقات من جلد الرأس عند زرعها • وفى أسفل كل شعرة جذرها ، وفى الجذر توجد خلايا المادة الملونة للشعر « الخضاب » ، فاذا توقفت هذه الخلايا عن العمل يدرك الشعر الشيب ويصير أبيض

١٥ ــ وتبلغ تكاليف زرع ٢٥٠ شريحة ، مبلغا يتراوح بين ١٢٥ ــ ١٤٥ جنيها ، تضرب فى ثلاث أو اربع مرات اذا كان الصلع كاملا بحيث اقتضى ٣ ــ ٤ عمليات . ومما هو جدير بالذكر ان سلطات التأمين الصحى فى السويد تساهم فى نفقات هذه العمليات اذا أصاب الصلع شبانا فى مقتبل العمر •

ومن يعش يره !



« ابوللينير » •• وملهماته !

* احتفلت الدوائر الفنية فى كافة أنحاء العالم أخيرا بذكرى انقضاء ٥٠ عاما على وفاة الناقد الفنى والشاعر الفرنسى المعروف « أبوللينير » (واسمه الكامل « جيوم (وليم) أبوللينير »)



((أبوللينير)) فى عـــام ١٩٠٨ ، بريشة صديقته «مارى لورينسان»

الذى يعد من أشهر فنانى الطليعة . وتخليدا لذكراه نظم « معهـــد العلوم المعاصرة » مهرجانا ومعرضا للمستندات والصور والرســـوم واللوحات التى تتابع حياة وأعمال هذا الفنان الذى بلغت شـــهرته أبعادا تكاد تكون أســـطورية .. فقد كان من أبعد الفنانين نظرا فى باريس ما قبل الحرب العالميـــة الاولى ، وساهم بنصـــيب فعال فى الاحداث الفنيـــة لعصره ، فكتب بانفعال عن شتى المدارس الجديدة للفنون التشكيلية التى لاحت فى الجو يومئذ ، ولعله كان آخـــر ذلك الجيل من عمالقة تلك الحقبة من القرن العشرين ، بحيث يمكن القول أن العالم لم ير بعده ناقدا فنيـــا آخر فى مثل حيويتـــه ، وحماسته ، ومستوى مواهبه ..

وقد مات ((أبوللينير)) ســـنة ١٩١٨ فى عامه الثامن والثلاثين ، فى قمة تفوقه ونبوغه ، وترك وراءه عـــددا من الكتابات الهـــامة « والجريئة » التى ما تزال تعتبر أكثر تحررا حتى بالنسبة لافواقنا المتحررة المعاصرة . ومن محتويات المعرض والمهرجان نسخ من جريدة (ليـــالى باريس) التى كـــان يحررها ، وكذا صور جميع النساء اللواتى وجه اليهن أشعاره الغزلية ومنهن : (مارى) البلجيكية ابنة صاحبة المقهى .. و (آنى بليدن) المربية الانجليزية التى تبعها عبر القناة الانجليزية (بحر المانش) الى بلادها ، بلا جـــدوى .. ثم (مارى لورينســـان) التى كانت له معها علاقة عاصفة اســـتمرت خمســـة أعوام .. و « لويز دى كولينى » أو « لو » التى التقى بها فى احدى ســـهرات تعاطيه الافيون فى مدينـــة (نيس) ..



ابوللينير

و « مادلين باجيس » التى التقى بها فى قطار وغازلها بخطاب ارسله اليها من خنادق ميدان الحرب .

ومن أشهر كتب ابوللينير كتاب (الرسامون التكعيبيون) الذى نشره عام ١٩١٣ ، وتناول فيه فن كل من (بيكاسو) ، و (براك) ، و (ديشون) او (ديشامب) ، وخليلته الفنانة (مارى لورينسان) .

مارسيل ديشون

* ومن المصادفات العجيبة ان الفنان (ديشون) هذا الذى كان معاصرا لابوللينير (واسمه الكامل مارسيل ديشون) قد عاش خمسين عاما كاملة بعد زميله ، وانه توفى (عن ٨١ عاما) أول اكتوبر الماضى ، قبل اسابيع معدودة من الذكرى الخمسينية لابوللينير .. وقد اشتهر ديشون بالسخرية « الباردة » من الحياة ، والتحصن ضد الغرور ، ومقاومة كل المحاولات التى بذلت لتمجيده كبطل لحركة الطليعة الجديدة . كما يعد صاحب أعظم تاثير لفرد واحد على تطور فنون القرن العشرين .

وقد كان هجره للرسم ، وهو فى قمة نجاحه ، عملا خارقا من اعمال الشجاعة . وفى ١٩١٢ رسم سلسلة من اللوحات العارية تعد تتويجا لتجارب المدرستين التكعيبية والمستقبلية . كما تعد لوحته « الكاس الكبيرة » التى بداها فى ١٩١٥ ولم يتمها ، أعظم «اسطورة» هندسية للقرن العشرين ، و « مفتاحا » يقاس به الفن الحديث .

مهرجان لعصر « الباروك »

* اقيم فى مدينة (بولونيا) بايطاليا « البينالى » السابع والاخير من سلسلة المهرجانات المخصصة لفن الرسم فى عصر الباروك ، وقد خصص هذا البينالى لاعمال الفنان الايطالى (جيوفانى فرانشسكو باربييرى) (١٥٩١ — ١٦٦٦) المعروف بلقب (ايلجوستينو) . ومن اشهر لوحاته (الضرب بالسياط) التى تعبر عن عقوبة الجلد بالسياط كعقاب دينى فى عصور اضطهاد الوثنيين للمسيحية .

الجديد فى العلم

الاتصال التلفونى بالعقل الالكترونى !

أذيع في مؤتمر صحفي عقده في الاسبوع الماضى السفير الايطالى « كاتانى » والمهندس « بترامى » فى ميلانو بايطاليا ، نبا علمى يقارنه العلماء من حيث الاهمية بانتشار الكهرباء فى أوائل هذا القرن ،

ويتلخص النبأ فى أن هـذا العـام سيشهد انتشار الاجهزة الالكترونية للمعلومات التى تسمح للسامع بأن يتصل تليفونيا بالعقـل الالكترونى بدون تدخل انسان، عن طريق جهاز « تايم شيرنج » الذى سيخصص لانتاجه هذا العام مبلغ ٣٥ مليون دولار لأوربا وحدها . ولا يوجد منه الآن غير ١٢ جهازا تخدم ١٤ دولة .. لـكنه سوف يعمم فى المدن الصناعية والمعامل الخاصة بل وفى اماكن الاقامـة بحيث يسـتطيع الجميع التحدث مع العقل الالكترونى عن طريق جهاز يركب فى التليفون !

الذرة عند ابن سينا والفارابى

● اذاع الباحث العربى الاستاذ نقولا شـاهين ، أستاذ الفيزياء السابق بجامعة بيروت الامريكيـة سلسلة أحاديث علميـة فى راديو لندن بعنوان « الانسان والذرة » ، بسط فيها للجمـاهير كل مايتصل بنظـرية الذرة منـذ ان عرفهـا الاغريق الى اليوم . ومن اهم ماجاء فيهـا أن الفيلسـوف اليونانى « ديمقريطس » كان أول من توصل (فى القرن الرابع قبل الميلاد) الى الجذور الاولى لنظرية الذرة .. لكن أرسطو رفض الفكرة ولم يسلم بها .. ثم جاء مفكرو العرب وعلى



ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) ،



أبو النصر محمد الفارابى « ٨٧٣ - ٩٥٠ » كما تخيله رسام تركى فى احدى خلواته الذهنية .

وقد أيد الفارابى فى الاخذ بنظرية « الفيض » التى تقول ان الذرة هى العنصر الاساسى فى تكوين الاجسام

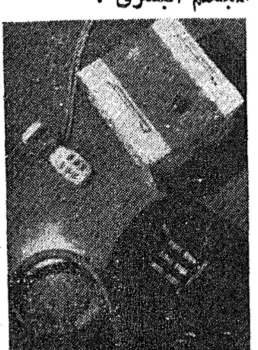
راسهم الفارابى وابن سينا ، فاقتنعا بأن الذرة هى العنصر الاساسى فى تكوين الاجسام ..الخ ثم طوى النسيان الابحاث الذرية الاولى حتى أوائل القرن ١٩ حين استأنفها العالم الانجليزى (جون دالتن) .

(والبحث طويل وممتع ، لكن مجاله المجلات العلمية المتخصصة ، فنكتفى منه بهذه الاشارة الى نصيب مفكرى العرب من الابحاث الذرية .)

جهاز تكييف الجسم البشرى !



آخر صيحة فى الاكتشافات العلمية جهاز «الهيبوثيرم» وهو جهاز تكييف صغير للجسم البشرى ، يمكن حمله ويعمل بالترانزستور، ويستطيع أن يشيع البرودة أو الدفء فى أى جزء من الجسم ، من درجة ٢٠ مئوية تحت الصفر حتى درجة ٥٠ فوق الصفر . وقد انتجه علماء الطبيعة فى « أذربيجان » وتم اختباره فى معهد الجراحة التجريبية والاكلينيكية فى موسكو . ويقول بوريس بتروفسكى عضو الاكاديمية العلمية السوفيتية أن الجهاز سيساعد فى تسهيل اجراء جراحات القلب .



الفيلم المعاصر

« رباعية الاسكندرية » تتكلف ١٠ مليون دولار !

● يكاد العمل ان ينتهى فى هوليوود فى اخراج فيلم من أضخم الافلام الحديثة تكلفة ونفقات ، وهو فيلم ((جوستين)) المقتبس عن الرواية الاولى من الروايات الاربع الطويلة التى كتبها الروائى الانجليزى المعاصر ((لورانس داريل)) بعنوان (رباعية الاسكندرية) .. وقد استوحاها من حياته فى عاصمة مصر الثانية قبيل الحرب العالمية الثانية ، حيث كان يعمل مدرسا للغة الانجليزية فى احدى المدارس الثانوية بالاسكندرية . وكان يقيم



أنوك ايميه (جوستين) مع ديرك بوجارد (الدبلوماسي البريطاني) الذي يلتقي بها ، لكن عاطفته نحو شقيقته العمياء تقف حائلا بينهما !

في حي ((اللبان)) ، ويختلط بالعامة من أفراد الشعب ، وبالغانيات ونساء الهوى من الاجنبيات المتمصرات . ومن هنا جاءت شخصيات رواياته الاربع خليطا من المصريين والاجنبيات .

وتقوم ببطولة الفيلم النجمة الفرنسية الصاعدة ((آنوك ايميه)) — بطلة فيلم ((رجل وامرأة)) — في دور ((جوستين)) ، المتزوجة من ثري مصري يدعى ((نسيم)) ، بينما تؤدي النجمة الدنمركية الشهيرة ((آنا كارينا)) بطلة فيلم ((الراهبة)) الذي أثار ضجة في فرنسا دور راقصة الكباريه ((ميليسا)) ، ويؤدي ((جون فيرنون)) دور ((نسيم))» و ((ديرك بوجارد)) دور الدبلوماسي البريطاني الشاب الذي تسيطر عليه عاطفة شاذة نحو شقيقته العمياء ، فيقول لأنوك ايميه ((حين تتزوج اختي ، سأقتل نفسي)) !

ويتولى اخراج الفيلم المخرج العالمي ((جورج كوكور)) ، الذي اخرج فيلم ((سيدتي الجميلة)) ، ومن قبله اخرج أشهر أفلام جريتا جاربو (غادة الكاميليا) ، وكاترين هيبرن ، وايفا جاردنر (التي كانت مرشحة لدور جوستين) ثم اودري هيبرن .

وقد استغرق انتاج فيلم جوستين ٨ سنوات ، (ولعلها أطول مدة استغرقها فيلم في العالم !) ، ويرجع ذلك الى ان السيناريو اعيدت كتابته ٨ مرات ، بواسطة كتاب مختلفين ، حتى آمكن الحصول على سيناريو يحتفظ بروح المؤلف وجو الروايات الاربع للرباعية . وقد دفع لكتاب السيناريو الثمانية ٧٠٠ الف دولار ، كما تقاضى مؤلف الرباعية ٥٠ الف دولار ، كحقوق تأليف ،

وهكذا بلغت نفقات الفيلم كلها عشرة ملايين دولار ! .. ويقيم لورنس داريل مؤلف الرباعية منذ عام ١٩٥٧ فى مدينــــة (نيم) بفرنسا ، بعد ان أذاعت الرباعية صيته واصابه الثراء العريض .

وقد اختيرت ((أنوك ايميه)) لدور جوستين لان أنوثتها الطاغية التى لفتت الانظار فى ((رجل وامرأة)) رشحتها لدور الزوجة المغــامرة التى يفوح من حيــــاتها عطر الحريم .

وقد صورت المناظر الخارجية للفيلم فى تونس ، وتتلخص قصته فى أن جوستين قد نشأت منذ سن ١٢ سنة فى جو بنات الهوى ، وحين تتزوج فيما بعد من الثرى المصرى ((نسيم)) تعترف له : ((كنت وأنا مراهقة امنح نفسى للرجال مقابل كأس من النبيذ ، وأحيــانا مقــابل ((بلوزة)) رخيصة ! .. وحين غدا حسى مرهفا صرت أطلب تذكرة مقعد فى الاوبرا !))

وتعــلم جوســتين أن زوجهــا يهرب الاسلحة لمحــاربة الانجليز الذين يستعمرون بلاده ، وتخشى عليــه من مغبة ذلك ، فتمنح نفسها لكل من تتوسم فيه أملا فى انقاذ زوجها من مصيره ، أو التجسس على خصومه للحيلولة دون القبض عليه .. وفى أثنـاء



الشاعر دارلى (ميشيل يورك) ينقذ الراقصه ميليسا (انا كارينا) التى اعتدى عليها البحارة السكارى فى أحد شوارع الاســـــكندرية

ذلك تتورط فى مغامرة مع شاعر انجليزى يدعى دارلى — ويؤدى دوره الممثل الصاعد ميشيل يورك — فتصحبه فى رحلة الى الريف المصرى كى تحصل منه على معلومات لمصلحة زوجها الذى تحبه .. وعلى شاطىء بحيرة تبهره بحسنها حين تخلع ثيابها وتلقى بنفسها الى الماء عارية ! .. ثم تسخر من حيائه حين يصر على الاستحمام مرتديا البنطلون « الشورت » ، لخجله من العرى الكامل . وهنا يسلط المخرج « كوكور » الكاميرا على قبلة ملتهبة من انوك ايميه للشاعر الخجول .. لكنهما يفيقان من قبلتهما على ضوء انعكاس الشمس عليهما من مرآة تلسكوب يراقبهما بها زوجها نسيم من غرفة بعيدة تطل على البحيرة !



« أنوك ايميه » وميشيل يورك فى مشهد غرامى من فيلم (جوستين)



النجمة الدانمركية « أناكارينا » (الراقصة ميليسا) مع أحد عشاقها الاجانب العابرين ، وهو يرتدى طربوشا .. !!

اما راقصة الكباريه ميليسا — آنا كارينا — فيطاردها البحارة السكارى فى شوارع الاسكندرية حتى تخر منهارة ، عرضة للموت ، لو لم يخف لنجدتها الملحق الفرنسى (فيليب نواريه) ، ثم ينقلها الشاعر دارلى (ميشيل يورك) الى مسكنه المتواضع . انها الوحيدة التى تستطيع بواسطة صلاتها العديدة بكبار الشخصيات ان تكتشف أسرار المؤامرة ضد الزوج « نسيم » .

لكنها تقع فى هوى الشاعر ، فبفضله تسترد — وهى العاهرة — اعتبارها وكبرياءها كامرأة ، وتحاول ان تثيره ضد جوستين ، وتشعل جذوة رغبته فيها : « هب انى جوستين . اشرح لى أفانين سحرها ومطارحتها الهوى . ان

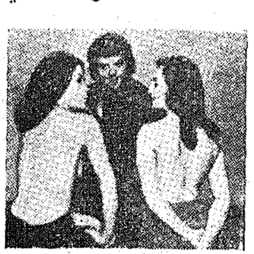
النساء كلهن ، في الظلام ، سواء !))
ويجيء أوان تصوير مشهد آخر من مشاهد الغرام العنيف ، في الفراش ، بين أنوك ايميه وميشيل يورك ، فنرى المخرج كوكور يصدر اليهما تعليماته ، وهو يشرب القدح العاشر من القهوة في يومه : ((ينبغي أن تشترك شفاهكما وأسنانكما وأظافركما .. كلها لا بد ان تشارك في تصوير هذا الغرام المجنون !)) .. وينفذ النجمان تعليماته ، فيجيء مشهد تلاحم الجسدين لوحة فنية ..
وتقابل جوستين الشاعر في مخدعه ، ويتبادلان الحب ، لكنها تصارحه بأن عواطفها الحقيقية مع زوجها ، الذى فشلت المؤامرة ضده ، وانهما سيسافران الى سويسرا لينجوا بنفسيهما من الخطر .. فيسألها الشاعر متوسلا : ((اذن فأنت لم تبادليني أدنى عاطفة حقيقية ؟!)) .. فتجيبه : ((في لحظات ، كنت ـ ببساطة ـ أعبدك))
وهي اجابة ـ في نهاية الفيلم ـ تكشف عن دخيلة قلب جوستين ، ودخائل قلوب كثيرات من النساء !

المسرح المعاصر

المسرح العاري في امريكا !

يبدو ان المسرح يتجه الآن الى منافسة السينما في الميدان الذى تخصصت فيه أخيرا وهو استغلال الاجسام العارية الجميلة ، الذى أصبح قاسما مشتركا في اغلب أفلام الاعوام الاخيرة .. فقد لوحظ ان عددا من المسرحيات الامريكية الجديدة اخذت تلجأ الى اسلوب الاجسام العارية على خشبة المسرح ، ولعل مسرحية ((ايروس الحلو)) Sweet Eros

ـ نسبة الى ايروس اله الحب والجنس عند الاغريق ـ اصدق نموذج لهذه الموجة الجديدة من مسرحيات العرى في امريكا ، التى يعتبرها النقاد بمثابة ((ثورة مسرحية)) . ويقول ((تيرنس ماكنالي)) مؤلف مسرحية ايروس الحلو انه يعتقد ان ظهور أبطال المسرحية عراة لا يكون مناسبا الا اذا كان مقنعا من الناحية



مشهد من مسرحية «الاوز»

الدرامية ، لا لمجرد الاثارة والاغراء .. أما سام بليزر الذى يقوم ببطولة مسرحية أخرى عارية هى « ديونيســـوس فى عام ٦٩ »
Dionysus in «69»
فانه يرى ان هناك لحظات يكون فيها العرى على المسرح منطقيا حقا ، على ان يتم ذلك بصورة بالغة الجدية ، وان يستهدف دعم بنيان المسرحية ، لا كطعم لاجتذاب المتفرجين .

وقد بلغ من اقبال الجمهور على هذا النوع من المسرحيات ان احداها وهى مسرحية « الاوز » Geese بلغت ثمن التذكرة فى المقـــاعد الامامية فيها عشرة دولارات !



« فالــيرى فرتـــش » فى دورها بمسرحية (عشيق الام)

٧٠ عاما على تأسيس فرقة ستانسلافسكى

● احتفلت الدوائر الفنية فى الاتحاد السوفيتي بالعيد السبعين لانشـــاء الفرقة المسرحيــة ذات الشهرة العالمية ، المعروفة باسم « مسرح موسكو الفنى » ، التى أسسها منذ ٧٠ عاما رائد التمثيل والاخراج فى روسيا ، وصــاحب أشهر مذهب و « مدرسة » للفنون المسرحيــة الــدرامية فى العصر الحديث : « ستانسلافسكى » .

وكان ستانسلافسكى قــد شرح أهداف الفرقة فى أول اجتماع لها ، بقوله : « ان المهمة التى اخـذناها على عاتقنا هى مهمة اجتماعية فى المقام الاول ، وليست مشروعا تجاريا ، فلا تنسوا ان هدفنا هو ان ندخل النور والبهجة على الحياة المظلمة التى يعيشها الفقراء ، ونتيح لهم بعض اللحظات السعيدة من المتعة ، عن طريق تذوق الفن والجمال . »

وكانت تلك نقطة الانطلاق الى اصلاح شامل لمفهوم الفن المسرحي فى العالم .

ولمولد الفرقة قصة طريفة : فذات يوم تلقى ستانسلافسكى من المثقف الروسى « دانشــينكو » دعوة لتناول الغداء معه فى احد مطاعم البازار ــ سوق المدينة ــ فالتقيا ، عن غير سـابق معرفة شخصية أو صداقة ، واستمر اجتماعهما لمدة ١٨ ساعة متوالية ، من الثانية ظهرا ، حتى الثامنة من صباح اليوم التالى ، وفى تلك

((الجلسة)) ، وضعا أساس مشروع الفرقة ، التى تزاملا فى ادارتها منذ ذلك التاريخ ، لمدة ٤١ عاما بلا انقطاع !

وكانت أول رواية مثلتها الفرقة ، ورفع عنها الستار للمرة الاولى فى مساء ٢٧ اكتوبر ١٨٩٨ ، هى مسرحية ((أليكسى تولستوى)) المعروفة باسم ((القيصر فيودور ايوانوفتشى)) .. ومن أشهر الروايات التى مثلتها الفرقة خلال السبعين عاما التى انقضت من عمرها حتى الآن ، هذه الروائع : الشقيقات الثلاث (تشيكوف) ـ الحضيض ، أو الاعماق السفلى (جوركى) ـ مارى ستيوارت (شيللر) ـ بستان الكرز (تشيكوف) ـ الاخوة كارامازوف (دستويفسكى) ـ الاعداء ، ويجور بوليشوف (جوركى) ـ المفتش العام (جوجول) ـ أوراق بيكويك ، ودومبى وابنه (تشارلس ديكنز) ـ زواج فيجارو (بومارشيه) ـ أنا كارنينا (تولستوى) ، وقد اعجب بها الاديب الفرنسى ((رومان رولان)) أثناء جولة الفرقة فى باريس ، فصعد الى الكواليس ليهنىء مخرج الفرقة وممثليها .

وقد عادت الفرقة أخيرا من جولتها فى اليابان ، وفى خلال السنوات الماضية التى انقضت منذ وفاة مؤسسها العظيم ستانسلافسكى ، قامت بجولات فى : الولايات المتحدة الامريكية ، النمسا ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، بريطانيا ، فرنسا ، المجر ، بولندا ، رومانيا ، يوغوسلافيا . وفى كل مكان كانت تقابل بترحيب واقبال منقطعى النظير . حتى فترات الصمت أثناء التمثيل يحسها المتفرج تنبض بخفقات القلوب

وقد اخرجت الفرقة حتى الآن ١٩٧ مسرحية ، من روائع الدرامات العالمية .

ولى عهد بريطانيا يمثل على المسرح !

هل تعرف من هو أغلى ممثل كوميدى فى انجلترا اليوم ؟ أنه ولى عهدها (الامير تشارلز) الذى اقبلت الجماهير على مشاهدة أدوار البطولة التى يمثلها مع فرقة كليته ، حتى ارتفع ثمن التذكرة فى السوق السوداء من ٤ شلن الى جنيهين ، أى ١٠ أضعاف ! ومن أشهر الادوار التى مثلها أخيرا دور ((شرلوك هولمز)) (الذى تراه فيه فى هذه الصورة)




بمناسبة
.. وغير
مناسبة
بقلم
المحرر

أثمن عشر لوحـــات فى العــــالم !



جنيفرا = ٣ ملايين جنيه !

عزيزى القارىء ..

● قوبلت محاولة تشويه ثلاث من لوحات المعـــرض الفرنسي الذي اقيم في القاهرة أخيرا باســـتنكار شـــديد وامتعاض بالغ ، فى سائر الدوائر الفنية والادبية ..

فقد كان المعرض يضـــم مجمـــوعة من آندر واقيم ما أبدع الرســـــــامون الفرنسيون من لوحـــات ، دقق القائمون على المعرض فى انتقـــائها كى يتمتع بمشاهدتها جمهور القاهرة من محبى الفنون ودارسيها .. وفى العام الماضى ، سرقت من احد متاحف القـــاهرة لوحة من ريشة الفنـــان الخالد « روبنز » ، ثم عثر عليها فى اليوم التالى مخبأة فى ارض مهجورة بضاحية الهرم ، وقيل يومئذ ان قيمتها قدرت بثلث مليون جنيه ..

وبهذه المناسبة ، لعلك تحب أن تقرأ معى هذا الاحصاء الطريف لأثمن عشر لوحات فنية فى العالم ، وقيمة كل منها ، واسم الفنان الذى أبدعها ، ومكانها وحائزها الحالى ، والجهة أو الشخص الذى باعها اليه :

● اللوحة الاولى : جنيفرا ، للفنان ليوناردو دافنشي

وقد اشتراها متحف ((ناشيونال جاليرى)) بواشنطون، فيعام ١٩٦٧ ، من أمير ليشتنشتاين الاوربى ، بمبلغ يساوى ٣ ملايين و ١٢ الف جنيه استرلينى .

● اللوحة الثانية : ((أرسـطو)) يتأمل تمثال هوميروس ، الفنان رمبرانت

وقد اشتراها متحف متروبوليتان بنيويورك ، فى عام ١٩٦١ ، من مجموعة ((اريكسون)) بالولايات المتحدة ، بمبلغ مليون و ١٥٠ الف جنيه استرلينى

● اللوحة الثالثة : صورة ((تيتوس)) ، الفنان رمبرانت

وقد اشتراها المليونير الامريكى نورتون سيمون ، فى عام ١٩٦٥ من اللورد فرانسس كوك ، بمبلغ مليون و١١٧ الف جنيه استرلينى .

● اللوحة الرابعة : المستحمات الحسان ، للفنان سيزان

وقد اشتراها متحف ناشيونال جاليرى بلندن من اسرة ((بيلليرين)) بباريس فى عام ١٩٦٤ بثلاثة ارباع مليون جنيه استرلينى .

● اللوحة الخامسة : القارئة ، الفنان فراجونار

وقد اشتراها متحف ناشـيونال جاليرى بواشـنطون من مجموعة ((اريكسون)) الامريكية فى عام ١٩٦١ بمبلغ ٤٣٧ ألف جنيه استرلينى .

● اللوحة السادسة : بيوت فى حى ((استاك)) ، للفنان سيزان

وقد اشـتراها المليونير الامريكى ((بول ميللون)) من مجموعة مدام زاباس فى عام ١٩٦٥ باربعمائة الف جنيه استرلينى .

● اللوحة السابعة : تعبد المجوس ، للفنان روبنز

وقد اشترتها كاية الملك بجامعة كمبريدج البريطانية من مجموعة دوق وستمنستر الانجليزى فى عام ١٩٥٩ بمبلغ ٢٨٥ الف جنيه استرلينى .

● اللوحة الثامنة : القديس جورج والتنين، للفنان فان درفيدن

وقد اشتراها متحف ناشيونال جاليرى بواشنطون من مجموعة خاصة فى عام ١٩٦٦ بمبلغ ٣٠٨ آلاف جنيه استرلينى .

● اللوحة التاسعة : الصبى ذو الصدار الاحمر، للفنان سيزان

وقد اشـتراها المليونير الامريكى بول ميللون من مجموعة ((ادوين جولدز سميث)) فى عام ١٩٥٨ بمبلغ ٢٦٤ الف جنيه استرلينى .

● اللوحة العاشرة : فوق الصخرة ، للفنان مونيه

وقد اشترتها مجموعة سويسرية من مجموعة مدام جورج مينييه فى عام ١٩٦٥ بمبلغ ٢٥٢ الف جنيه استرلينى .

وفى الاعداد القادمة نقرأ معا قصة كل لوحة من هذه اللوحات العشر الثمينة ..

((مترو)) باريس .. ومحظية ملك بلجيكا !

((تبحث السلطات المصرية في هذه الايام مشروع انشاء شبكة أنفاق تحت أرض مدينة القاهرة يسير فيها مترو سريع يساهم فى تخفيف ازمة المواصلات .. وهو الحل المحتوم الذى سبقتنا اليه جميع العواصم الكبرى المزدحمة بالسكان : فلجأت اليه لندن منذ ١٠٦ سنوات ، ونيويورك منذ ١٠١ سنة وبرلين منذ ٩٤ سنة ، وباريس منذ ٦٩ سنة .. الخ . . وبهذه المناسبة ، اقدم لك فيما يلى قصة انشاء مترو باريس الذى تفخر به العاصمة الفرنسية منذ مطلع هذا القرن ، والذى اكتنفت تنفيذه ملابسات غريبة وشائقة كما سترى .. ثم اروى لك قصة مترو (لندن) ، فمترو (موسكو) :

معارضة النواب للمشروع !

● **عندما** دخل المهندس الفرنسى ((فولجانس بيانفينو)) مكتب رئيس المجلس البلدى فى باريس ، فى ذلك الصباح من عام ١٨٩٣ ، ليعرض عليه مشروعه لانشاء مترو يسير تحت الارض فى العاصمة الفرنسية ، كانت لندن قد سبقت الى هذا المضمار منذ ثلاثين عاما ، ونيويورك منذ ٢٥ عاما ، وبرلين منذ ١٨ عاما .. أما باريس ، فكانت قانعة فى مواصلاتها بالعربات ((الحنطور)) التى تجرها الجياد ، وبالامنيبوس ، لا لسبب الا لاختلاف ساستها بصدد هذا المشروع ، وعدم اقتناعهم به ..

فقد كان بعض نواب البرلمان الفرنسى يتصايحون كلما اثيرت فكرة الاقتداء بمشروع مترو لندن : ((**لن نحتمل أن يلقى بمواطنينا من أهل باريس فى باطن الارض ليتنفسوا هواء مشبعا بروائح ((المجارى)) !**)) .. وكان آخرون يعتقدون ان الاهالى سيصابون بالاختناق تحت الارض كما يحدث أحيانا لعمال المناجم ، وغيرهم يؤكد انهم سيصابون

بمرض السل .. وفريق رابع كان يخشى أن تتهدم الانفاق تحت ثقل عربات المترو ، ومن شدة الاهتزاز الذى يحدثه سيرها السريع وهى تنهب الارض نهبا !.

وازاءهذه المعارضةالجماعية للفكرة ، ظل المشروع «فوق الرف» طيلة ثلاثين عاماً ، كان خلالها يناقش المرة تلو المرة ، دون جدوى ..

وكانت سلطات المدينة قد احست منذ عام ١٨٥٥ بحاجتها الى حل حاسم لمشكلة المواصلات فجندت لهذا الغرض مجموعة كبيرة من المخترعين، لكن المشروعات التى تمخضت عنهاعبقرياتهم كانت يبز أحدها الآخر فى الجرأة والغرابة :

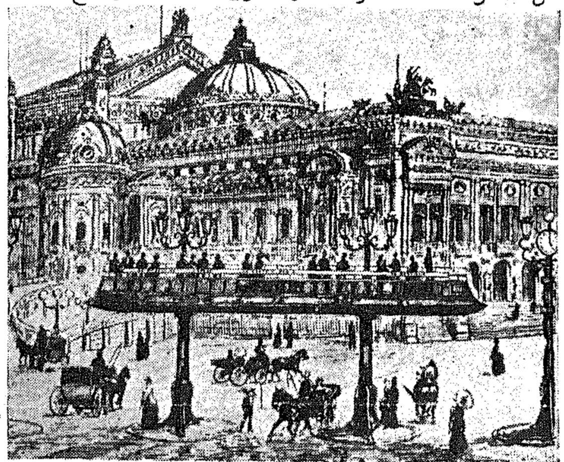


المهندس فولجانس بيانفينو «(والد)» مترو باريس !

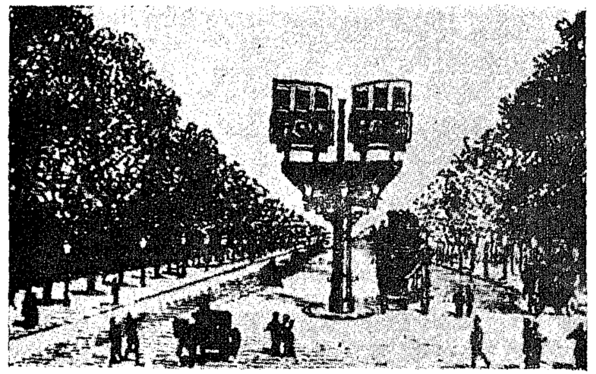
١ ــ **كان** منها مشروع المهندس « لويس هونزيه » الذى أوصى بتسيير قطار بخارى فى الشوارع على قضبان مرفوعة على طريقة المترو الهوائى ، وكان من مقتضى هذا المشروع ان يؤثر تأثيرا ملحوظا على جاذبية شوارع باريس الفسيحة وفى مقدمتها « الشانزليزيه » .

٢ ــ **واقترح** آخر ، ويدعى « مسـيو لارتيج » مشروع قطار ذى قضيب واحد معلق ، يثبت بأعمدة تغرس فى وسط الشوارع ، ويبلغ ارتفاع الواحد منها ١٥ مترا .

٣ ــ **وفكر** مخترع ثالث يدعى « مازيه » ، وكان ضابطا قديما فى الجيش ، فى وسيلة للانتقال لا تتطلب قضيبا ، ولا عربة ، ولا كبارى ، ولا انفاقا .. وانما كان اختراعه ينصب على صنع مترو على شكل « سفينة » تنزلق فى الهواء على مجموعة من الاعمدة تقام على الارصفة ، ويبعد الواحد منها عن الآخر مسافة عشرة أمتار . وفى منتصف ارتفاع هـذه



مشروع المهندس ((مازيه)) : مترو على شكل سفينة تنزلق على بكرات بين أعمدة مصابيح الغـاز . وتحتها عربات الحنطور التى كانت وسيلة المواصلات فى أواخر القرن الماضى .



تصميم مشروع يرجع تاريخه الى عام ١٨٨١ : مترو معلق على صف واحد من الاعمدة فى وسط الطريق .

الاعمدة (أى على ارتفاع ثلاثة أمتار من الارض) تقام شرفة مزودة ببكرات تنزلق عليها السفينة ، التى تثبت فى جزئها العلوى بجهاز « بكرات » آخر ..

٤ ـ **أما** مسيو « آرسين أوليفييه » فقد اقترح انشاء جسور عملاقة تمر فوق العمارات على ارتفاع ٢٠ أو ٣٠ مترا وتخترق باريس فى خط مستقيم .. وهو مشروع كان سيجعل العاصمة تبدو من الطائرة أشبه بشبكة ضخمة من « الكلمات المتقاطعة » !

٥ ـ **ولو كان** المشروع الخامس الذى تقدم به « مسيو ريفان » قد حاز القبول ـ وقد أطلق عليه اسم « العربات ذات المحرك الذاتى » ـ لشهدت باريس نوعا من المترو يشبه العربات التى توجد فى مدينة الملاهى ، تتسع العربة

منها لراكبين فقط ، وتعلق على عجلة تحملها بمحاذاة قضيب شديد الانحناء حتى توصلها الى قمة مرتفعة على أعمدة تتوالى كل مائة متر ، ومن هذه القمة تنزلق الى أسفل ثم تصعد بقوة الاندفاع الى القمة ، أو المحطة التالية ، وهكذا !

٦ ـ **وأخيرا** كان هناك مشروع السادة « ديبوى ، وفيلار ، وفيرايون » ، الذى كان يتلخص فى انشاء خط حديدى يمر فى داخل المنازل فى مستوى الطابق الاول ، ولا يخرج منها الا ليعبر الشوارع ، وقد كانت أهم مساوىء هذا المشروع الذى يحول العمارات التى يمر بداخلها الى أنفاق ، الضوضاء الشديدة والاهتزازات التى تحدثها القطارات أثناء مرورها .

عزيمة .. تصمد أمام المثبطات !

● وقد درست كل هذه المشروعات بعناية وجدية ، الواحد تلو الآخر ، ولو كان صاحبنا ـ « فولجانس بيانفينو » ، مبتكر فكرة المشروع السابع ـ أقل عزيمة واصرارا ، فربما كان أحد هذه المشروعات الستة الاخرى قد نفذ بالفعل ، بدلا من مشروعه .. ولكنه كان رجلا صلب الارادة ، شأن أبناء مقاطعة (بريتانى) الفرنسية ، وكان يؤمن ايمانا لا يداخله الشك بأن الوسيلة الوحيدة التى تحقق الغرض المنشود ـ فى عاصمة تنمو وتتسع بصفة مستمرة مثل باريس ـ هى خط حديدى كهربائى يشق « تحت الارض » ، **وقد ظل يدافع عن فكرته سنوات ، فى وجه سلطات مترددة ، ونواب ساخرين .. حتى خيل اليه ، فى عام ١٨٩٧ ، انه وجد الحجة القوية التى تبرر تنفيذ مشروعه ، قال لخصومه : « كيف ستنقلون ملايين الزائرين الذين سيتوافدون على باريس خلال مدة معرضها العالمى ، عام ١٩٠٠ ؟ »**

فكان جواب السلطات الرسمية : « ولكن زوار المعرض

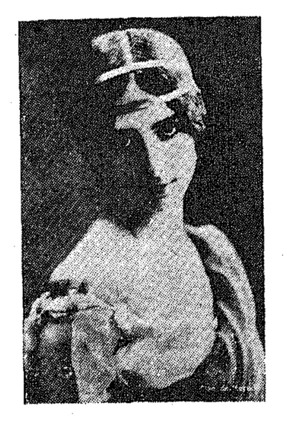
سيحرصون على النزهة في شوارع « الشان دى مارس » وليس فى أنفاق تحت الارض ! .. ثم ان المعرض لن يستمر سوى فترة محدودة . وحين ينتهى ، فلا شيء سوف ينقذ مشروعك من الافلاس ، كلا ؛ ان فرنسا لا تملك اموالا تبددها وتلقى بها الى الضياع ! » .

بل لقد جابهه احد النواب بالقول : « ان فكرتك لا بأس بها ، ولكنها لا تصلح للتنفيذ فى باريس . ان انشاء مترو تحت الارض فى مدينة ما ، يجب أن يسبق انشـاء المدينة ذاتها . اما فى المدن الموجودة بالفعل فان مشروعك ينطوىعلى عقبات مادية ومالية لا يمكن التغلب عليها ! »

فهل استكان « بيانفينو » لهذا التثبيط ، وبحث عنبقعة خالية ينشىء تحتها مشروعه ، على أمل أن تنشأ فوقهامدينة جديدة ذات يوم ؟

كلا ، بل انه واصـل الصراع .. فوضـع تصميمات ومقايسات لانشـاء الشبكة التى كان يحلم بها ، وبلغت النفقات التى قدرها لواحد من هذه التصميمات مليـارا ونصف مليـار من الفرنكات ! .. وعندئذ صاح به احد النواب : « أمام هذا الرقم الذى يثير الذعر ، اقترح انتقفل باب المناقشة ! » — (ومما يذكر أن انشاء الكيلو متر الواحد الجديد من انفاق المترو يكلف الآن مليارين من الفرنكات !)

.. اما وقد أبى الساسة الفرنسيون أن يقتنعوا ؛ فقد شد « فولجانس بيانفينو » رحاله واستقل القطار الى .. بلجيكا . كلا ، انه لم يفكر فى الهجرة ، أو الذهاب الى المنفى ، فبرغم المرارة التى كانت تملأ نفسه ، فانه كان يحب فرنسا ويعشق بأريس .. وانما كان بسفره يلبى دعوة تلقاها من « ليوبولد الثانى » ملك بلجيكا .



الراقصة الفرنسية الحسناء « كليو دى ميرود » ، صاحبة الفضل فى انشاء مترو الانفاق باريس ، ومعذلك فان اسمها لم يطلق على اية محطة من محطاته !

ما دخل ملك البلجيك بهذا الموضوع ؟

ان لذلك قصة ، وقصة واقعية طـــريفة ، كما سنرى : كانت فرنسا قد ((أهدت)) الى ((ليوبولد الثانى)) جزءا من مستعمراتها الافريقية (الكونغو) ، فجلس الملك البلجيكى يسامر احدى محظياته الحسان ــ وكانت هذه المحظية هى الراقصة الباريسية الشهيرة ((كليو دى ميرود)) فسألها ، على سبيل المزاح : ((ما هى الطريقة التى تقترحينها ، لشكر فرنسا على هديتها القيمة ؟)) .

وكانت الراقصة تحب باريس ، وتحن اليها ، فأجابته : ((سمعت أن مهندسا فرنسيا يتحمس لمشروع انشاء مترو تحت الارض فى العاصمة ، فلعلك تستطيع مساعدته على تحقيق حلمه !؟)) .

.. ولم تمض أيام . حتى كان « فولجانس بيانفينـو » يعرض رسومه واوراقه على الملك البلجيكى ، وكان يحضر المقابلة رجل يصغى لما يقال ويدون بعض الملاحظات ، دون ان ينطق بحرف ، كان ذلك الرجل هو « البارون امبان »(١) العميل المالى للملك ، ومحتكر امتياز مترو باريس فيما بعد!

وفى الحال . اتصل الملك بأصدقائه الساسة الفرنسيين ، ليوصيهم خيرا ــ ويا للسخرية ــ بمواطنهم « بيانفينو ! » . واكراما لفضل بلجيكا فى ايواء الجمهوريين العظـام الذين لجأوا الى حماها فى عهد الامبراطورية ، وافقت سـلطات مدينة باريس على دراسة مشروع المترو تحت الارض دراسة جدية . وفى ٣٠ مارس ١٨٩٨ صدر قانون بانشاء شبكة من خمسة خطوط ــ بصفة مبدئية ــ طولها ٦٥ كيلو مترا ، واعطاء امتياز تشغيلها للثرى البلجيكى الوصولى « البارون امبان » !

أول ضربة معول !

● ورغم الحملة العجيبة التى شنت ضد « بيانفينو » ومشروعه ، فقد بدأت أول ضربة معول لحفر الانفاق فى يوم ٤ أكتوبر ١٨٩٨ ، فى مكان محطة المترو الحالية المسماة باسم الرئيس الامريكى « فرانكلين روزفلت » ، (والتى كانت تدعى فى الماضى محطة « ماربوف ») .. ومنذ ذلك اليوم ، صار « بيانفينو » يواجه كل يوم بلا اسـتثناء عشرات المشكلات والعقبات التى راحت تلاحقه فى كل موقع من مواقع العمل العديدة التى فتحها فى وقت واحد على طول المسـافة من (بوابة فانسـين) الى (بوابة « مايو ») ، وكانت اهمها

---

(١) وهو بعينه البارون « امبان » الذى اشترى بعد ذلك بسـنوات معدودة أراضى ضـاحية (مصر الجديدة) ، بمليمات ، ثم باعها للاهالى باسعار مضاعفة بعد أن انشأ بها شركة و « مترو » مصر الجديدة .

مشكلات التربة الرطبة ، فى أرض سبق أن حفر فيها قبل ذلك الكثير من المجارى والمحاجر والكهوف ، بالاضافة الى شبكة معقدة من القنوات .

واخيرا ، وفى اليوم المحدد بالضبط ـ ١٩ يوليو من عام ١٩٠٠ ـ احتفل بافتتاح الخط رقم (١) ، وكان طوله ٥ر١٣ من الكيلو مترات .. لكن القوم العقلاء من أهل باريس نظروا الى بضـــعة الركاب الذين جازفوا بركوب المترو فى دورته الاولى ، نظرتهم الى « حمقى » متهورين ، برغم أن هؤلاء حرصوا على أن يتدثروا بثياب ثقيلة ، خشية الاصـــابة بالنزلات الصدرية من جراء التيـــارات الهوائية المتوقعة فى الانفاق تحت الارضية !

وقد وصف احد الصحفيين رحلته الاولى بالمترو يومئذ بقوله : « كنت أعتزم الهبوط من المترو في محطة (الباليه رويال) ، لكنى ـ مدفوعا باغراء جدة المشروع ، وطرافة أحاديث رفاقى فى الرحـــلة ، واصلت رحلتى حتى (بوابة فانسين) ، ثم عدت من نفس الطريق » .. ثم ختم الكاتب مقاله باسداء نصيحتين ثمينتين الى قرائه :

١ ـ احكموا أزرار ستراتكم أو قمصانكم قبل الهبوط فى احدى محطات المترو ، فانها كهوف حقيقية رطبة .

٢ ـ ولا تعبروا القضـــبان على أقدامكم ، لئلا تدهمكم القطارات المنطلقة باقصى سرعتها !

ولكن ، لما كان انطباع « الرواد الاوائل » الذين جازفوا بتجربة هذه المواصلة الجديدة قد جاء طيبا ومشجعا ، فقد شهد اليوم التالى جموعا غفيرة تزاحمت على الركوب ! .. ولم يلبث المترو تحت الارض أن صار مقصدا لطلاب النزهة والترويح ، شأنه شأن « العجلة الكبرى » فى مدينة الملاهى !

وفى نهاية العام ، كان المترو قد نقل سبعة عشر مليونا وسبعمائة الف من الركاب ! ..

خط يحفر تحت مجرى نهر السين !

● على أن انشاء ذلك الخط الاول لم يكن سوى البداية وبمضى الايام ، صار على « فولجانس بيانفينو » أن يحل ألف مشكلة ومشكلة : من ذلك انشاء خطوط وانفاق تحت مجرى نهر (السين) .. وانشاء محطة سان ميشيل ـ فى الحى اللاتينى ـ الامر الذى تطلب فتح فجوة ضخمة توازى مساحة الميدان كله .. ثم تجفيف اراض كانت بها مستنقعات .. الى غير ذلك من العقبات التى لا يمكن حصرها ..

واليوم ، تنزلق عربات المترو فى باريس على عجلات من المطاط ، ويأمل المشرفون على هذا المرفق أن يتفوق فى المستقبل على أمثاله فى عواصم العالم الاخرى ، بالمزيد من وسائل الراحة والمتعة .. **ويشعر الفرنسيون بأنهم مدينون بهذا الفخر الى ((فولجانس بيانفينو)) ، ولو ان اسمه لم يطلق على احدى محطات المترو الذى انشأه ، الا فى عام ١٩٣٧ فقط .. كما انه لم يحظ بالتكريم المادى الذى يستحقه فقد مات آخر الامر ((فقيرا)) !**

ومن أطرف ما قاله يوما ، ردا على تهنئة له بتوفيقه فى انجاز مشروعه : « لم أكن املك الحق فى ان اخطىء ، فان مثل مشروع مترو الانفاق ، عمل لا يمكن أن يتكرر ! » ..

واليوم ، يبلغ طول خطوط مترو باريس الذى يسير فى أنفاق تحت الارض ٢٠٢ من الكيلو مترات ، أى خمسة عشر ضعفا لطول الخطوط الخمسة الاولى التى بدأ بها المشروع فى عام ١٩٠٠ ، **وتقطع قطارات المترو على هذه الخطوط (فى رحلاتها المتكررة خلال الاربع والعشرين ساعة) ١٢٠ الف كيلو متر كل يوم ، أى ثلاثة أضعاف محيط الكرة الارضية ! .. وهى**

تنقل كل عام نحو مليار ونصف مليار (١٥٠٠ مليون) من الركاب ! .. وقد نقلت منذ انشائها حتى اليوم عددا من الركاب يوازي خمسة عشر ضعف عدد سكان الكرة الارضية جميعا ! ..

مترو لندن ..

ينقل ٧٠٠ مليون راكب سـنويا !

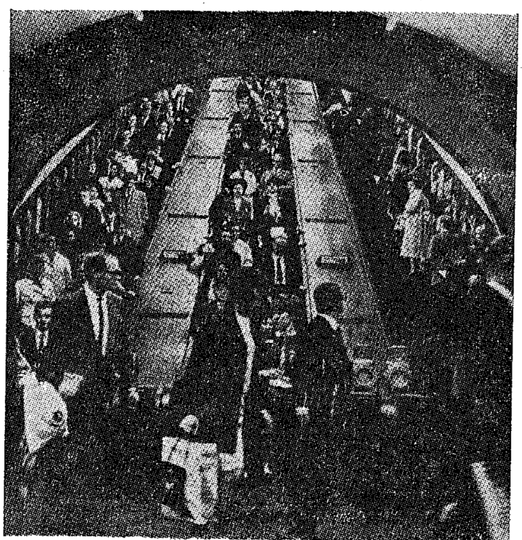
● أما ((مترو)) العاصمة البريطانية ، فله بدوره قصة أخرى .. ففي عام ١٨٤٢ اقترح محام يدعى ((تشارلز بيرسن)) - كان يعمل لحساب بلدية لندن - انشاء خط حديدي يربط بين محطتي (كينجز كروس) و (بادنجتون) ، لمواجهة شدة الازدحام ولا سيما في ساعات ذهاب الناس الى اماكن اعمالهم وعودتهم منها . واقترح أن يمد هذا الخط عبر خنادق تحفر في باطن الارض كي تكفل سرعة الوصول ، بشرط أن ((تسقف)) هذه الخنادق لمنع دخان القاطرات ((البخارية)) من تلويث هواء المدينة ، (فقد كانت الكهرباء يومئذ ما تزال بعد في مهدها).

واهتمت شركتا السكك الحديدية التي تنتهي خطوطهما عند المحطتين المذكورتين بهذه الفكرة ، ولكنهما جابهتا اعتراضات شديدة من جهات اخرى ، وظل الجدل حول المشروع قائما ، يخفت حينا ويشتد احيانا ، الى ان وافق البرلمان على تنفيذه فأصدر مرسوما بذلك في عام ١٨٥٣ ، أى بعد عشر سنوات من نشأة الفكرة الاولى للمشروع .

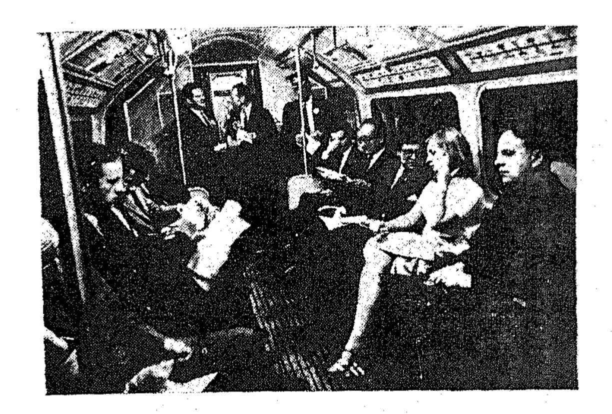
.. لكن اجراءات تنفيذ ذلك الخط الاول - وكان طوله نحو ستة كيلو مترات - استغرقت عشر سنوات أخرى ، فلم يفتتح الا في ٩ يناير من عام ١٨٦٣ . ورغم أن اكثر الناس كانوا قد تكهنوا بفشل المشروع ، فانه استطاع - رغم قصر خطوطه - أن ينقل في العام الاول تسعة ملايين ونصف مليون راكب ! .. وشجع نجاحه الشركتين على أن تتبنيا مشروع خط طويل يربط ضواحي لندن كلها بقلب المدينة ، وهو الخط الذى اطلق عليه اسم ((المتروبوليتان)) - ثم اختصر الى ((المترو)) ، وهو الاسم الذى صار يطلق عليه في البلاد الاخرى بعد ذلك - وكان ذلك الخط أول خط من نوعه في العالم يمد في جوف الارض . وادى نجاح هذا الخط بدوره الى مد خطوط أخرى مماثلة ، خصوصا بعد أن مكن انتشار الكهرباء والتقدم الهندسي من شق انفاق عميقة وطويلة في باطن الارض ، وتسيير القاطرات الكهربائية على تلك الخطوط .

وقد تم افتتاح الخط ((الكهربائى)) الاول فى لندن فى عام ١٩٠٥ ، وما ان حل عام ١٩١٣ حتى حلت القطارات الكهربائية محل القطارات البخارية على جميع الخطوط الجوفية ، وشبه الجوفية ، والارضية ، التى تؤلف الشبكة المعقدة الممتدة التى تعرف اليوم باسم ((قطارات تحت الارض)) ، والتى قررت الحكومة البريطانية تأميمها منذ عام ١٩٤٨ .

وفى عام ١٩٦٢ تقرر انشاء خط جديد طوله ٤٠ كيلو مترا يعرف باسم خط فيكتوريا ، يمتد جزء منه تحت قاع نهر التيمز ، وقد افتتح الجزء الاول منه فى أول سبتمبر الماضى (١٩٦٨) ، وينتظر افتتاح الجزء الباقى منه فى أوائل عام ١٩٧٠ ، بما فى ذلك أنفاق المحطات والسلالم المتحركة



٣ سلالم كهربائية متحركة تنقل أفواج الصاعدين والهابطين من والى محطة ((الاندر جراوند)) فى حى بيكاديللى بلندن .



مقاعد مريحة فى قطارات المترو الجوفيـة
الفاخرة على خط فيكتوريا الجديد بلندن

ومجارى التهوية .. ويقدر مجموع نفقات هذا الخط بنحو ٨٠ مليون جنيه استرلينى . ويعتبر أحدث الخطوط الحديدية فى العالم وأكثرها تقدما فى المجال التكنولوجى ، اذ يشرف على تسيير كل قطار من قطاراته والاشراف عليه رجل واحد فقط ، لا يفعل أكثر من مراقبة اغلاق الابواب ، وبمجرد اغلاقها يسير كل شىء فى القطار تلقائيا بواسطة أجهزة خاصـة تتولى زيادة السرعة وتخفيفها والوقوف فى المحطات ثم الانطلاق منها دون تدخل انسان ، بالاعتماد على اشارات كهربائية يلتقطها القطار عبر الخط الحديدى الذى يسير عليه بطرق آلية .

وقطارات هذا الخط من أحدث طراز ، ذات مقاعد مريحة ، ونوافذ زجاجية مزدوجة ، ومكبرات الصوت تلقى على الركاب مختلف البيانات والاعلانات ، بطرق جذابة ومريحة للاعصاب . وفى ساعات الازدحام تتوالى القطارات على هذا الخط كل دقيقتين ، وبذلك يستطيع ـ بعد اتمام القسم الباقى منه ـ نقل ٢٥ الف راكب فى الساعة الواحدة ، فى كلا

الاتجاهين . وتتخلل الخط عشرات المحطات ، يفضي بعضها الى محطات السكك الحديدية الرئيسية لمدينة لندن .. وابواب جميع هذه المحطات تفتح وتغلق تلقائيا بواسطة تذاكر ذات رموز ممغنطة ، كما تتولى هذه الابواب مراقبة دخول الركاب وخروجهم . وفي بعض هذه المحطات دوائر تليفزيونية مغلقة ، تساعد على مراقبة حركة الركاب وتدفق سرعتها في ساعات الازدحام .

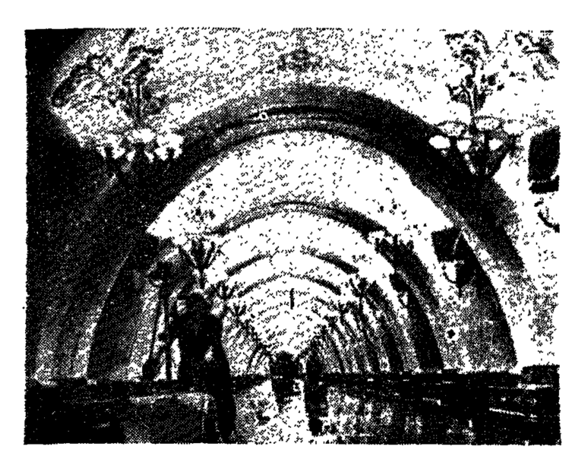
وباكتمال مراحل هذا الخط الجديد ، يبلغ طول شبكة خطوط مترو العاصمة البريطانية ٤٨٠ كيلو مترا ، يمتد نصفها على الاقل داخل انفاق جوفية ، شقتها الآلة ويد الانسان . وتقوم عليها اكثر من ٢٨٠ محطة ، في شتى أحياء لندن وضواحيها . وتقوم هذه الشبكة بنقل حوالى سبعمائة مليون شخص كل عام . ويصل عمق الانفاق في بعض اجزائها الى ثلاثين مترا تحت سطح الارض ، ويهبط الركاب من الشارع الى المحطات أو يصعدون منها بواسطة سلالم متحركة ومصاعد كهربائية ، وقد انشيء أول سلم متحرك منها في عام ١٩١١ ، ويبلغ عدد هذه السلالم الآن ١٨٠ سلما . وفي بعض المحطات تتعدد الطوابق وتتفرع الانفاق والخطوط فوق بعضها البعض ، في اتجاهات متقاطعة ، وتنقل السلالم المتحركة الركاب بين مختلف الطوابق في حركة دائبة لا تنقطع ! (كما رأيت في الصـــــورة)

وبعد أن عرفنا قصة انشاء مترو باريس ، ثم مترو لندن .. تعال نقم بزيارة لمترو العاصمة السوفيتية ، موسكو :

مترو موسكو
ينقل ٤ ملايين راكب يوميـا !

● ذات صباح من شهر مايو عام ١٩٣٥ ، انطلقت العربات الزرقاء لمترو العاصمة السوفييتية ، في رحلة افتتاح أول خط كهربائي تحت الارض ، تقل أول فوج من الركاب من محطة (سوكولنيكي) ، في الطرف الشمالي الشرقي لموسكو ، الى شارع (كومينتيرن) في وسط العاصمة ..

ولم يكن شق انفاق أول خط في موسكو ، بالمهمة السهلة ، فان التربة ذات الطبيعة المراوغة الخداعة ، والقنوات الجوفية العديدة ، شكلت صعوبات جمة بالنسبة للقائمين على تنفيذ المشروع ، لكنهم تغلبوا على تلك العقبات بجلب عمال المناجم ذوي الخبرة من مناطق جبال (الاورال) و (الدونباس) ، كما أن عشرات المصانع في شتى انحاء البلاد أمدت المشروع الضخم بالآلات والادوات اللازمة لحفر الانفاق ، وما يلي ذلك من عمليات انشائية واسعة النطاق .



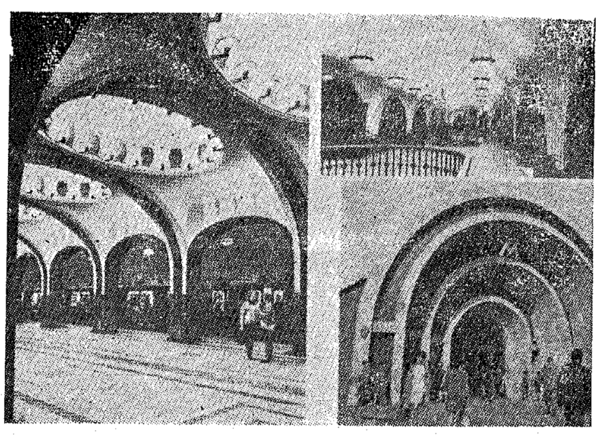
النجفات الفاخرة والجدران من الرخام فى البهو الاســـفل لاحدى محطات مترو موسكو .. وعاملة تغسل ارض المحطة بالصابون بعد توقف آخر مترو فى نهاية الليـــل .

وفى سبتمبر من عام ١٩٣٨ تم افتتاح الخط الثانى من خطوط مترو موسكو ، وقد كسيت جدران محطاته بالرخام الفاخر ، وزينت بالثريات الكهربائية الرائعة (كما ترى فى الصورة) ، وبالتماثيل واللمسات الفنية التى جعلتها شبيهة بأبهاء القصور .. كما زودت بلوحات لاشهر الرسامين المعاصرين ، تمثل أهم أحداث تلك الحقبة من الثلاثينات ، مثل غزو المساحة الشاسعة من القطب الشمالى ، ورحلات الطيران بدون توقف من موسكو الى الشرق الاقصى ، ثم الى أمريكا ..

وفى عام ١٩٤١ ، حين هاجم هتلر الاتحاد السوفيتى ، فرضت الحرب على موسكو قيود الاظلام التام .. وبينما راحت الانوار الكاشفة لمراكز

الدفاع ضد الغارات الجوية تذرع سماوات العاصمة ، بحثا عن الطائرات المغيرة ، وتمزق أستار الضباب ، فى تلك الليالى الكئيبة من الخريف الدامى ، صارت أنفاق المترو بمثابة ((البيت الثانى)) لكل انسان ، ينام فيها الاطفال آمنين من غارات الالمان ، ومن دوى المدافع المضادة للطائرات .. وحين يستيقظون ، كانت تطالعهم السماوات الزرقاء المرسوما على سقوف الانفاق ، وتحيط بهم من كل جانب شتى المناظر المريحة للاعصاب .

ثم انتهت الحرب .. فصار سكان العاصمة يتدفقون فى الامسيات الباردة – بعد يوم من العمل الشاق – عبر الشوارع والميادين ، الى حيث تضيء اللافتات الحمراء المرسومة على شكل حرف (M) – الحرف الاول من كلمة ((مترو)) – فوق واجهات مداخل المحطات ، كعلامة تبعث فى أوصالهم الدفء والراحة ..



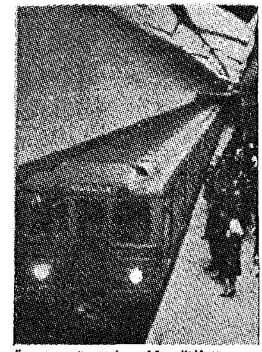
ثلاث صور تمثل فخامة انفاق المترو فى موسكو (وفى الصورة اليمنى السفلى : المدخل العلوى المفضى من الشارع الى محطةالمترو تحت الارض ، وعليه حرف M ، الحرف الاول من كلمة « مترو »)



الشباب السوفيتى من الجنسين فى احدى عربات المترو ، وشاب يمسك بآلة موسيقية ..

ويحمل مترو موسكو كل يوم ، فى المتوسط ، اربعة ملايين و ٢٠٠ الف راكب . وقد قدرعدد الذين أقلتهم عرباته خلال الاعوام الثلاثة والثلاثين التى انقضت منذ انشائه ، بنحو ٢٥ ألف مليون راكب . وثمن التذكرة على أى خط من الخطوط موحد ، وهو خمسة ((كوبيك)) ، (وتساوى قرشين بالعملة المصريه) ، والتذكرة تبيح للراكب أن يستعملها لاية مسافة مهما طالت ، كما تبيح له أن يبدل القطارات وينتقل بها من خط الى خط كما يشاء .

ويبلغ طول خطوط مترو موسكو ١٢٣ كيلو مترا ، ويجرى العمل لمد ٥٦ كيلو مترا أخرى من الخطوط قبل عام ١٩٧٥ . وتتخلل هذه المسافات ٨٢ محطة . وفى ساعات الزحام تتوالى القطارات كل دقيقة ونصف دقيقة ، اما فى بقية الاوقات فيمر قطار كل ثلاث دقائق . ويعمل المترو من الساعة السادسة صباحا حتى الواحدة بعد منتصف الليل ، وفى أيام العطلات والاعياد يمتد سيره الى الثانية صباحا . وتسير قطاراته بسرعة أربعين كيلو مترا فى الساعة ، فى المتوسط ..


مترو الانفاق الذى شق تحت مدينة (باكو) السوفيتية ، واقفا على رصيف احدى محطاته فى جوف الارض ، والركاب يتأهبون لركوبه .

والى جانب مترو موسكو ، توجد أنفاق للمترو فى أربع مدن سوفيتية أخرى ، هى ليننجراد ، كييف ، باكو ، «تيبلسى» عاصمة جمهورية جورجيا) ، وهى العاصمة التى احتفلت اخيرا بمرور ١٥٠٠ سنة على انشائها .. ويجرى الآن شق الانفاق لمشروع خامس مماثل ، تحت شوارع مدينة (خاركوف) الكبرى ، عاصمة جمهورية اوكرانيا . وقد بلغ احصاء الركاب الذين نقلهم مترو (باكو) خلال عامه الاول الذى انقضى ٣٠ مليون راكب ! .. وقد اقيمت عليه ٦ محطات حتى الآن ، ويجرى العمل فى ١٢ محطة اخرى ..

.. والعقبى للقاهرة باذن الله !

سخرية الجاحظ !

يؤثر عن « الجاحظ » قوله ، فى السخرية من أحد خصومه ، انه :

يسمع غير ما قيل ... ويفهم غير ما سمع ..
ويكتب غير ما فهم ... ويقرأ غير ما كتب !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزي القاريء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد السابقة ، من الروايات الطويلة العالمية ، الروائع التالية :

مانون ليسكو (الاب بريفو) ، مراهق (البرتو مورافيا) ، مرتفعات وذرنج (برونتى) ، الوحل (زولا) تاييس (أناتول فرانس) ، آسيا (ترجنيف) ،التلميذ (بول بورجيه)، الشيطان علىالارض (برتراند رسل)، أفروديت (بيير لويس) ، لحن كرويتزر (تولستوى) ، البجعة السوداء (توماس مان) ، المعطف (جوجول) ،قلبعذراء (جالزورثى)، أشجان فرتر (جيته) ، العانس (موباسان) ، الافق المفقود (جيمس هيلتون) ، الذئبة (فيرجا) ،الجريمة والعقاب (دستويفسكى) ، أبناء وعشاق (د.هـ. لورنس) ،الشيطان فى الجسد (راديجيه) ، أموك ، ورسالة من مجهولة (زفايج) ، الزوج والعشيق (موم) ، جين اير (برونتى) احدىنوتردام (هوجو)، العالم كما يسير (فولتير) ، صباح الخير أيها الحزن (ساجان) ،قلب البطل (جودكى) .. الخ

وفى هذا العدد أقدم لك هذه القصة الطويلة من الادب الانجليزى المعاصر : « صعلوك فى حى سوهو » .

صعلوك .. فى حىّ "سوهو"!

قصة "ضياع" الشباب المعاصر فى إنجلترا

للروائى الغاضب

"كولين ويلسون"



ADRIFT IN SOHO

مصدرة بمقدمة عن حياة المؤلف وأدبه

كولين ويلسون

● فى اثناء الحرب العالمية الثانية ، ظهر جيل من الشباب الانجليزى يعرف فى تاريخ الادب الانجليزى المعاصر بجيل ((البنجر)) . ويرجع اصل هذه التسمية الغريبة الى أن افراد هذا الجيـل كانوا يعملون فى جمع محصول البنجر لصناعة السكر لمدة بضعة اسابيع ، ويتقاضون عن عملهم هذا اجورا كبيرة يعيشون عليها طوال العام . واهم ما يميز هذا الجيـل احساسه بالغربة عن مجتمعه وبانه طريد هـذا المجتمع . وينحدر ((كولين ويلسون)) ــ الذى يعتقد بعض النقاد انه أول اديب غاضب فى انجلترا المعـاصرة ــ من ((جيل)) البنجر ، فهو يعبر عن غربته ، كما يعبر عن احساسه بالضياع .

ولعل من النادر ان نجد اديبا يختلف النقاد فى تقييمه كما يختلفون فى تقييم ((كولين ويلسون)) . على أن هناك حقيقتين ثابتتين لا يختلف بصددهما اثنان : الحقيقة الاولى ان كولين ويلسون ((وجودى)) النزعة .. والحقيقة الثانية انه يناصب المادية العلمية العداء ، ويدعو الى المثالية الرومانسية ، كما أنه يرى فى ((الدين)) حلا لكل ما تواجهه الانسانية من مشكلات ..

حياته فى سطور

● وقـد ولد ((كولين ويلسون)) فى (ليسستر) بانجلترا فى ٢٦ يونية عام ١٩٣١ ــ فهو اليوم لم يجاوز السابعة والثلاثين من عمره ــ

وبعد أن أتم دراسته الثانوية الفنية ، ترك المدارس فى عام ١٩٤٨ ليلتحق بسلاح الطيران الجوى البريطانى خلال عامى ١٩٤٩ — ١٩٥٠ .

وفى عام ١٩٥٠ ترك سلاح الطيران الى الحياة المدنية ، ليعمل محصلا للضرائب . ثم انتقل الى لندن فى العام التالى (١٩٥١) حيث تزوج من ((دوروثى بيتى تروب)) ، وكان يومئذ فى العشرين من عمره .

وخلال العامين التاليين تنقل بين عدة وظائف ، وقضى فترات فى كل من (باريس) ، و (ستراسبورج) بفرنسا . وفى عام ١٩٥٤ عاد الى لندن حيث بدأ — فى ديسمبر من ذلك العام — فى تاليف كتابه الاول (اللامنتمى) ، الذى كان السبب فى شهرته وذيوع صيته ، وقد فرغ منه واصدره فى عام ١٩٥٦ . وطوال تلك المدة التى استغرقها اعداد الكتاب ، والتى كان يتردد خلالها على مكتبة (المتحف البريطانى) ليستعين بما فيها من مراجع لازمة لبحثه ، اضطر الى الاقامة فى ((خيمة)) اعدها بنفسه على أرض (هامستيد) المجاورة للمتحف ، كى يوفر الوقت ويقتصد فى النفقات !

ولم تكن تلك أولى المشاق التى تحملها ((كولين ويلسون)) ، كى يشبع نزعته الى البحث والاطلاع ، فقد تحمل الى جانبها شظف العيش ، اذ كان عمله السابق المتواضع فى احدى المكتبات لا يترك له فسحة من الوقت يمارس فيها هواية القراءة والتاليف ، فاضطر الى التخلى عن وظيفته المنهكة لينصرف بكل طاقته الى حياة البحث والاطلاع ، واجبرته الحاجة أن يكسب قوته من غسل الاطباق !

نجاح ساحق لكتابه الاول : اللامنتمى

● على ان تضحياته تلك لم تذهب سدى ، فلم يكد يصدر كتابه الاول (اللامنتمى) — The Outsider — حتى أصاب نجاحا ساحقا ، هبط عليه من السماء كالغيث المنهمر ، بطريقة مفاجئة أدارت رأسه ، وسببت له اختلالا فى توازنه .. فدفعه ((الثراء)) السريع الذى حققه

له ذلك النجاح الى الافراط فى الانفاق ، الى الحد الذى جعله ينفق الفين من الجنيهات فى فترة لا تتجاوز الشهرين ، دون أن يشترى أو يقتنى شيئا باقيا سوى بعض الكتب والاسطوانات .. ولا تزال هواية جمع الاسطوانات تلازمه حتى اليوم ، واخص ما يحرص عليه منهـا اسطوانات ((الاوبرات)) العالمية المشهورة .

وعلى اثر ذلك النجاح الذى أحرزه كتـابه الاول ، انهالت على كولين ويلسون عروض لا حصر لها لالقاء المحاضرات ، والاشـتراك فى شتى البرامج الاذاعية والتليفزيونية .. لكن النجاح يكون عادة ذا وجهين ، فهو يغرى بعض الناس أحيانا بمناصبة صاحبه العداء . ومن امثلة هذا العداء الذى شكا منه كولين ويلسون يومئذ ، انه حين نشر نقدا لاحد اعمال الاديب ((د. هـ. لورنس)) فى مجلة (ذى ليسينر) المعروفة ، تلقى محرر هذه المجلة سيلا من الخطابات الساخطة التى نعت كاتبوها كولين ويلسون باقذع العبارات والاوصاف !

ورغم تعاطف الكثيرين من مندوبى الصحف والمجلات معه حين أدى نجاحه الى انتشـار ((موضة)) نشر الاحاديث معه و ((التحقيقات الصحفية)) عنه فى مختلف الصحف ، الا ان بعض أولئك المندوبين كان يتعمد الاساءة اليه عن طريق اقتطاع مقتطفات من بعض اقواله الصارخة التى تتسم بالغرابة والشذوذ ، ونشرها بمعزل عن بقية السياق الذى وردت فيه ، بغية اظهاره بمظهر ((المعتوه)) ، او الرجل الذى لا يتمتع باى قدر من الاحساس بمسئولية التصريحات التى يتفوه بها ! .. من ذلك ان احدهم نشر على لسانه قوله انه ((ينوى أن يعيش حتى يبلغ سن الثلاثمائة !)) ، دون أن يذكر الصحفى ((الخبيث)) أن هـذه العبارة انما وردت فى سياق الكلام عن كتاب ((برنارد شو)) المشهور (العودة الى متوشالح) ، الذى اعرب كولين ويلسون عن اعجابه الشديد به . ومعروف ان ((متوشالح)) الذى جاء ذكره فى ((التوراة)) انما يضرب به المثل فى طول العمر ، فقد عاش نحو تسعمائة سنة !

فشل ذريع لكتابه الثاني : الدين والمتمرد !

● على أن نجاح كولين ويلسون الساحق فى كتابه الاول ، اعقبه رد فعل عكسى فى كتابه الثانى ((الدين والمتمرد)) Religion And The Rebel الذى اصدره فى العـــام التالى ١٩٥٧ ، فقد منى الكتاب الجديد بفشل ذريع ، وأجمع كبار النقاد على مهاجمته والنيـــل من مؤلفه : فهاجمه الناقد ((فيليب توينبى)) بقسوة ، كما حمل عليـــه الفيلسوف الكبير ((ا. ج. أير)) ــ أبو الوضعية المنطقية فى انجلترا ــ حملة عنيفة مدمرة .. الامر الذى جعل كولين ويلسون يضيق بالشهرة ويتبرم بها ، بل ويرى فيها نقمة وشرا يحيقان بمن تصيبه .. وفى ظل هذه الصدمة وما صاحبها من خيبة امل ، ومرارة نفسية ، غادر ويلسون لندن الى مدينة ((كورنوال)) الصغيرة ، حيث استقر بعيدا عن الاضواء، يمارس الحياة الخاصة التى تروق له ، ويستمع الى اسطواناته المفضلة لساعات طويلة متصلة ، ويقرأ ما يشاء من الكتب . ورغبة منه فى تجنب الزوار ، وفى اعتزال الحياة العامة ، حرص على قضاء بقية وقته فى لعبة (الاسهم) فى الحانة الصغيرة المحلية التى يتردد عليها صيادو السمك فى ((كورنوال)). وفى تلك الفترة النكدة امتنع عن الخـوض فى اية مناقشات فكرية ، حتى مع اخلص أصدقائه . ثم شد رحاله الى النرويج والمانيا لالقاء بعض المحاضرات على طلبة الجامعة . وفى هذين البلدين سره أن يهتم مندوبو الصحف والمجلات باستجلاء آرائه وأفكاره ، دون الخوض فى حياته الخاصة .

وبالرغم من ان ((كولين ويلسون)) ــ فى برمه بالنقاد ــ قطع وعدا على نفسه الا يعود الى تأليف الكتب النقدية ، فقد دفعه العناد والرغبة فى استثارة النقاد الى اصدار كتابه النقدى الثالث (فى عام ١٩٥٩) بعنوان ((عصر الهزيمة)) ، يشجعه على ذلك يقينه من ان النقاد لن يستقبلوه بصدود أكبر من الصـــدود الذى استقبلوا به ((المتمرد والدين)) . وكان النقاد اكثر رفقا به فى هذه المرة ، فقد كان هجومهم

على ((عصر الهزيمة)) خاليا من لهجة التعنيف والزجر التى تناولوا بها كتاب ((الدين والمتمرد)) .

روايته الاولى : ((طقوس فى الظلام))

● وفى تلك الاثناء فرغ ((كولين ويلسون)) من تاليف رواية ((طقوس فى الظلام)) التى كان قد بداها وهو فى التاسعة عشرة من عمره . ولكن الناشر ((جولانز)) رفض أن ينشرها ، بسبب جرأتها فى معالجة المسائل الجنسية ، الامر الذى اضطره الى ادخال بعض التعديلات عليها حتى تصبح لائقة للنشر . وحين نجحت هذه الرواية ، قرر ((كولين ويلسون)) أن ينقطع للتاليف الروائى، اقتناعا منه بان الكاتب الذكى يستطيع عن طريق الحيلة ان يعرض واجهة من الافكار والآراء النقدية التى يراها، فى قالب روائى.

ويخطىء من يظن أن ((كولين ويلسون)) — الوجودى — يدعو فى أدبه الى الانحلال الجنسى ، لان وجوديته ذات نزعة دينية ، ترى فى العقيدة الدينية حلا للمشكلات التى خلقتها المادية العلمية .

وحين نجحت ((طقوس فى الظلام)) ، اتبعها ويلسون بروايته التالية ((صعاولك (أو منحرف) فى حى ســوهو)) — التى نلخصها لك فى الصفحات التالية — والتى يحمل فيها على الانحلال والضياع اللذين تردى فيهما الشباب الانجليزى ، عن طريق الكشف بصراحة عن ألوان هذا الانحلال والضياع ، وصوره ، ومداه ..

والى جانب هاتين الروايتين ، أصدر كولين ويلسون ثلاث روايات أخرى ، هى : ((دنيا العنف)) ، و ((رجل بغير ظل)) ، و ((الشك الضرورى)) .. علاوة على مسرحيتين مثلتا بنجاح على المسرح ، هما : ((أستراحة فى فيينا)) و ((الزهرة المعدنية)) .. ثم عاد الى الكتابة فى النقد ، فاصدر فى عام ١٩٦٢ كتابا بعنوان ((القوة على الحلم)) .

وفى عام ١٩٦٦ أصدر ويلسون كتابا جديدا فى نقد المجتمع ، بعنوان : ((الجنس والمراهق الذكى)) .. وبالاضافة الى الكتب التى يصدرها ، فانه يكتب بين الحين والآخر لاشهر صحف الاحد الانجليزية الاسبوعية .

حوافزه الى الكتابة .. ورأيه فى نفســـه .. !

● ويتعرض كولين ويلسون للحوافز التى تدفعه الى الكتابة ، والى الاستمرار فيها ، فيقول ان حافزه الوحيـد الى الكتابة هو اقتناعه الراسخ بأن لديه شيئا هاما يريد ان ينقله الى الناس . اما حافزه الى الاستمرار فى الكتابة ، فهو اقتناعه ــ اقتناعا لا يقل رسوخا ــ بعبقريته : فهو يعد نفسه أول كاتب نفسى حقيقى ظهر فى التـاريخ الاوربى بعد نيتشه ! .. وفى رأيه ان الادباء المعاصرين لا تنقصهم الموهبة او العبقرية ، بل ينقصهم الوثوق بالنفس .. وهو يكن اعجابا شديدا ب ((دانتى)) ، و ((جوته)) ، و ((شكسبير)) ، و ((نيتشه)) ، و ((شو)) ، لان هؤلاء الادباء جميعا لم يشكوا للحظة واحدة فى عبقريتهم وفى انهم اطفال الآلهة المدللين ، فى حين أن الكاتب المعاصر يشعر بهزيمته ويحس بضآلته حتى قبل أن يشرع فى الكتابة ، ومن ثم كان جدب الادب المعاصر وخواءه . ومما لا شك فيه أن احساس ((كولين ويلسون)) بعبقريته هو الذى دفعه الى الاستمرار فى الكتابة بالرغم مما اعترض طريقه من فشل وعوائق منذ أن شرع فى الكتابة وهو فى التاسعة عشرة من عمره . ففى مطلع حيـاته الادبية كان الناشرون يرفضون كتاباته دون أدنى تردد . ولكن ذلك لم يثبط من همته أو يفل من عزيمته ، بل زاده عنادا واصرارا على الصمود والتحدى .. واقنع نفسه انه حتى لو بدأ الناشرون فى قبول كتاباته وهو فى الخمسـين من عمره ، فان اعراضهم عنه طوال هذه الفترة سيتيح له فسحة من الوقت يقضيها فى المزيد من الخبرة والانتاج . وهذا ما حدا به الى ان يكتب ويكتب كانسـان أصابه مس من جنون ، فى حين تخـاذل الكثيرون من أقرانه الادباء الناشئين وآثروا الانسحاب من المعركة !

وبعد هذا التعريف السريع بكولين ويلسون ، تعال نتعرف على أدبه من خلال روايته الطويلة التى نلخصها لك فيما يلى ..

- ١ -

● **وصلت** الى لندن بعد الظهر ، واتجهت من فورى الى « بيت الشباب » الذى يقع فى شارع (جريت أوزموند) . ومع أننى زرت لندن قبل ذلك مرتين ، الا أننى لم أمكث فيها أكثر من يوم واحد فى كل مرة .

وما أن فرغت من قيد اسمى : « هارى بريستون » ، فى سجل الفندق ، وكتبت أمام خانة الوظيفة « متعطل » ، حتى مضيت الى الشارع ، ورحت أتجول بين المـارة ، وسرعان ما انتابنى احساس بالغربة وسط ذلك الخليط من الموظفين المتأنقين ، والفتيات اللاتى يشبهن عارضات الازياء .

وأخيرا ، استقرت بى قدماى فى حانة رخيصة فى حى (توتنهام) ، حيث تناولت وجبة متواضعة تتألف من بيضة واحدة وبعض البطاطس . ووقعت عيناى على نسخة من صحيفة « ذى ستار » ـ تركها أحد رواد الحانة سهوا ـ ملقاة على أحد المقاعد . واذ نشرتها أمامى ، وقع بصرى على نبأ وفاة الممثل « جيمس دين » فى حادث سيارة . ولم تكن بينى وبين هذا الممثل صلة ، ولم أشعر نحوه بأية ضغينة ، ولكن موته بدا لى شيئا طيبا ! وفكرت : ما أهمية زيادة أو نقصان واحد من ممثلى السينما ؟

وجلست فى مقعدى وأنا أشعر بالقنوط ، ولمحت شابا له لحية يدخل الحانة ، وبرفقته فتاة بدت على سيماها ملامح الفنانات ، ترتدى جوربا سميكا أحمر اللون ، **فابتسمت لها ، لكنها أشاحت بوجهها بعيدا وتجاهلتنى . واذ ذاك أدركت سبب احساسى بالتمرد على لندن ، التى تمثلت لى كما لو كانت محور مؤامرة كبيرة تشعر المرء بأن لا وجود له !**

وسرى الملل والسأم الى نفسى بعد قليل ، فنهضت وخرجت

من الحانة ، وسرت قليلا فى شـوارع المدينة ، ثم عـدت الى غرفتى فى بيت الشباب • وما أن ارتديت ثياب النوم ، حتى ألفيت بجسدى فوق الفراش ، لكننى لم أجد الى النوم سبيلا ، فقد عادت بى الذكريات الى الماضى القريب ، الى أول يوم أعفيت فيه من الخدمة فى سلاح الطيران ، يوم وجدت فى جيبى مكافأة توازى مرتب شهرين ، فقفزت الى ذهنى آلاف المشروعات التى خيل الى أنه يمكن استثمار أموالى فيها •

وخطرلى ــ حينذاك ــ أن أتفرغ ، لمدة خمسة شهور مثلا ، لتأليف رواية أو مسرحية ناجحه • لكننى لم ألبث أن أدركت ــ بعد قضاء يومين فى المكتبة للاطلاع على بعض المراجع ــ أن كتابة المسرحيه ليست مجرد صب الكلمات فوق الورق ، مثلما يلقى الانسان بزهر النرد آملا أن يأتيه الحظ دائما برقمى « ستة » ! •• وتملكتنى اذ ذاك رغبة ــ كرغبة البخيل ــ فى تعويض المبلغ الذى أنفقته فى سبيل ذلك الاكتشاف ، فتوجهت فى اليوم التالى الى مكتب العمل ، باحثا عن وظيفة ما •••

وحاولت أن أتغلب على ملل الانتظار بمطالعة كتاب من تأليف « ماركوس أوريليوس » (١) • **وفجأة خطر لى أن « أوريليوس »**

---

(١) ماركوس اوريليوس أمبراطور وفيلسوف رومانى ، ولد فى روما عام ١٢١م وتوفى فى فيينا عام ١٨٠م .وقد خلده كتابه الفلسفى ((تاملات)) اكثر مما خلدته حياته السياسية كامبراطور لاعظم دولة فى العالم فى ذلك العصر . وقد تولى ((اوريليوس)) عرش روما لمدة ١٩ عاما (١٦١ ــ ١٨٠) ، تميز فيها حكمه بالانتصارات الحربية على البرابرة ، وتحسين احوال العبيد ، وتوطيد النظام ، ونصرة العدالة ، واصلاح القوانين المدنية .. كما تميز شـخصه بانكار الذات ، وسعة الاطلاع ، وطيب الخلق . والشـائبة الوحيدة التى تنسب اليه هى عداوه واضطهاده للديانة المسيحية التى كانت ناشئة فى ايامه . وكتابه (التاملات) الذى كتبه باللغة اليونانية اثناء اقامته فى المعسكر خلال حروبه ضد البرابرة يتضمن مجموعة من مبادىء الاخلاق العملية ، وهو يعد من اشهر كتب الفكر الفلسفى الخالدة على مر الزمن

لم يصبح فيلسوفا الا لانه كان امبراطورا ، وأنك لن تستطيع أن تكون فيلسوفا ، اذا كنت خالى الوفاض !

وعندما عدت الى منزل الاسرة يومذاك ، أخبرت والدى بأننى عثرت على عمـل يدوى ، يدر دخـلا لا بأس به ، فبدت على وجهيهما الغبطة .. ولكننى شعرت ــ فى أول يوم لاستلامى العمل ــ بأننى فى حالة يرثى لها من الضيق والقلق ... لقد ولدت فى مجتمع يتشدق بالحرية ــ اذ فى وسع المرء أن يسرق رغيفا من الخبز ، دون أن يتعرض للعقاب الذى تعرض له « جان فالجان » ، بطل قصة البؤساء ــ ولكن أين هى هذه الحرية التى تنحصر فى طريقين لا ثالث لهما : اما أن أكتسب قوتى بعرق جبينى ، واما أن أموت جوعا ؟!

وفى بادىء الامر قمت بعملى دون تفكير ، كنت أمسك بالمعول بلا دراية ، مثل تلميذة صغيرة لا تدرى أين تضع أنفها حين يقبلها رجل !

وابتسمت اذ تذكرت العمال الذين شاركونى ذلك العمل ، لا سيما « تيرى » الذى كان يجد لذة فى سرد أدق تفاصيل علاقاته بزوجته البدينة ، التى لا تكف عن الشجار ، وترفض أن تعطيه « حقوق الزوجية » ، ما لم يسلمها أجره كاملا !

غير اننى ما لبثت أن أحسست ــ بعد ثلاثة أسابيع ــ بالسأم والضيق ، وفقـدت كل اهتمام بزملائى العمـال ، وغـدت قصصهم وأحاديثهم ــ التى أدركت أن معظمهـا من نسـج خيالهم ــ تثير فى نفسى احساسا بالضجر . لكننى ، فى كل مرة شرعت فيها فى ترك العمل ، كنت أحجم عن اتخاذ هذه الخطوة فى آخر لحظة ، بسبب حاجتى الى الأجر الذى أتقاضـاه منه .. بيد أن حادثة فاصلة جعلتنى أقـدم على ذلك : فقد عدت ذات يوم ، لاجد مأتما قد أقيم بالمنزل : لقد مات جـدى الذى كان يحوطنى بحدبه ويغمرنى بعطفه !

والواقع أن الوفاة ، فى حد ذاتهـا ، لم تسـتطع أن تثير مشاعرى ، ولم أشعر ـ حقيقة ـ أن جدى قد توفى ، ورحل عن عالمنا ٠٠ وسـاءلت نفسى : ما هو الموت ؟٠٠ كيف يمكن أن يختفى انسان ـ هكذا فجأة ـ من عالم الوجود ؟ ٠٠ انسـان كان منـذ قليل ينبض حيوية وحركة ٠٠ فاما أن جـدى لم يمت ، واما أنه لم يوجد على ظهر الارض أصلا !٠٠ **ان الناس فى أحوال كهذه لا يفتأون يحدثون أنفسهم بأن شيئا لم يحدث، وبأن الحياة ماضية فى طريقها ، وهذا ما يجعلهم يستيقظون من نومهم كل صباح فيخرجون لمباشرة أعمالهم ، ويتزوجون من فتيات يخيل اليهم أنهن على قدر من الفتنة والجاذبية !**

٠٠ وفى الصـباح ، كنت قد اعتزمت ترك ذلك العمـل ليدوى ! ٠٠ فسلمت أمى خمسة جنيهات ، وركبت قطارا الى لندن ، وفى يدى كيس من الورق ، وحقيبة غاصة بالكتب ٠٠ رغم أن العالم استعاد ـ فى نظرى ـ هدوءه ومظهره المألوف ، الا أن حياتى كانت قد اتخذت لها سبيلا جديدا !

⊙❖⊙

● **وفى** الصباح التالى كان على أن أبحث عن غرفة ، فما أن تناولت افطارى ، وسددت قيمة مبيت الليلة فى بيت الشباب ، حتى وليت وجهى شطر مقهى متواضـع ، حيث مكثت هنـاك بعض الوقت ، ثم ابتعت نسـخة من جريدة « لنـدن ويكلى أدفرتايزر » ، وركزت انتباهى على صفحة الاعلانات المبوبة ٠ وأخيرا وقع اختيارى على عنوان منزل به غرفة خاليـة فى حى (ايرل كورت) ٠

غير أننى اذ بلغت العنوان ، خيـل الى أننى أخطـأت فى القراءة ، اذ كان المنزل ضخما ، أشبه بقصر احدى شخصيات

« أوسكار وايلد » . لكنى ما لبثت أن استجمعت شجاعتى ، وضغطت الجرس ..

وفتحت صاحبة المنزل الباب ، وكدت أطير فرحا لما علمت أنها تطلب للغرفة الحالية ايجارا قدره جنيهان وخمسة عشر شلنا فقط فى الاسبوع ! .. **لكن فرحتى لم تدم طويلا ، فقد واجهتنى بالشروط الجائرة التى وضعتها لمستاجرى مسكنها ، والتى تحرم على الساكن أن يطهو طعامه فى غرفته ، أو أن يستقبل زوارا بعد العاشرة مساء ، وخاصة اذا كانوا من الجنس الآخر !.. وأضافت ، ان منزلها يتمتع بسمعة محترمة ..**

وفى غرفتى ، بمنزلها ، قمت باحصاء ما معى من نقود ، فوجدتها نحو عشرين جنيها .. وتبينت أن على العثور على عمل بأسرع ما يمكن ، والا تعرضت للتشرد .. ورحت أعلل نفسى بالأمانى ، متخيلا نفسى وقد وفقت الى عمل أجد فيه لذة ، كأن يكون فى المسرح مثلا ، أو فى احدى دور النشر .

ولكن القدر الذى قذف بى الى ذلك المنزل ، لم يكن يرجى منه ــ فيما يبدو ــ أن يفتح أمامى أبواب السعادة !

وحاولت أن أضع لنفسى خطة للانفاق ، حتى لا تنفد نقودى بسرعة ، ووجدت أن أفضل طريقة لذلك ، هى أن أمكث بالمنزل أطول مدة ممكنة ، وأن أقتصد فى نفقاتى .. وبدأت فعلا فى تنفيذ الفكرة فى نفس اليوم ، فلم أخرج من المنزل الا بعد الظهر ، حيث قضيت نحو ساعتين فى مكتبة (كينسنجتون) الشعبية ، أحاول أن أشغل نفسى بالقراءة .. ولكن ما أن خرجت من المكتبة ، وسرت فى شوارع المدينة دون هدى ، حتى ملأنى منظر الجماهير السائرة فى الشوارع المضيئة اضطرابا .. فتوجهت من فورى الى (هايد بارك) ..

وهناك استعدت صفو مزاجى ، وهدأ بالى قليلا ، فغـدا فى وسعى أن أتأمل ـ فى هدوء ـ الألوان والاضـواء التى كانت تحوطنى من كل جانب ، وأن أدع نفسى تحت رحمـة تيـــار الجماهير ـ الذى كان يشبه نهرا من الدماء ـ يجرفنى أمامه الى حيث طاب له ذلك !

وركبت حافلة أقلتنى الى زاوية شـــارع (شافنتسبيرى) ، حيث توقفت بعض الوقت ، متأملا منظر رجلين يرقصان على نغمات « الاكورديون » ٠٠ ثم دخلت احدى الحانات ، واذ كان الوقت مبكرا ، لم أر بها روادا كثيرين ٠ وانتقيت لنفسى مائدة فى أحد الاركان ، حيث احتسيت كوبين من البيرة ، وبعد قليل سئمت الجلوس وحيدا ، وأخذت أفاضل بين أن أقصـــد حانة أخرى ، أو أن أقف فى طابور أمام احــد المســارح لاشـاهد مسرحية كانت تعرض هناك ـ من تأليف « اليوت » ـ اسمها « الكاتب الخصوصى » ٠٠ وطوال تفكيرى هذا ، كانت أنظارى معلقة بباب الحانة ، وكأننى أنتظر قدوم صـــديق مجهول ، من حيث لا أدرى ، أو وقوع حادث هام ، قد يكون له دور كبير فى تغيير مجرى حيـــاتى ٠٠ **وفعـــلا ، لم يمض وقت طويل حتى دخلت الحانة فتاة تنـاهز العشرين من عمرها ، ووقفت فترة قصيرة ، تذرع الجالسين بنظراتها ، كما لو كانت تبحث عن شخص ما ، ويبدو أنها لم تجد بغيتها ، فقد اتجهت نحو البـار وراحت تتحدث الى الساقى حـديثا لم يصل الى أذنى ، لكننى لمحته يهز رأسه علامة النفى ٠ واذ لمحتنى جالسا بمفردى وقد انهمـكت فى قراءة كتاب ، تقـدمت منى ، وجلست على المقعد المجاور لى !** ٠٠ ومع أننى تعمدت ألا ألتفت اليها ، فيبدو أنها استجمعت شجاعتها وسألتنى عما اذا كانت تلك الحانة هى الوحيـدة فى الميـدان ؟ ٠٠ فرفعت رأسى عن الكتاب ،

وأجبتها بأننى لا أدرى ، وان كان من السهل أن أستفسر لها !
•• وقبل أن أفرغ من كلامى ، دخل رجل يمسك فى يديه مجموعة أوراق ، وتوحى ثيابه المشعثة ، وذقنه التى لم تمسسها موسى منذ زمن طويل ، بأنه فنان ، ويبدو أنه اذ رآنا نجلس معا ، حسبها صديقتى فتطوع بأن يرسم لها صورة ! •• وأجبته فى حيرة : « انها ليست صديقتى » ، وما لبثت الفتاة أن انتهزت الفرصة ، ووجهت للرسام السؤال الذى وجهته الى منذ هنيهة ، فأجابها بأن ثمة حانة أخرى قريبة • وعلى الفور هرعت الفتاة الى الخارج ، تاركة حقيبة يدها على المائدة !

وسحب الفنان لنفسه مقعدا ، وجلس الى جوارى ثم قال : « انهن دائما ينتظرن صديقا • ان منظرها يوحى بأنها سائحة أمريكية » • وقبل أن أجيبه ، عادت الفتاة قائلة انها لم تجد صديقها هناك أيضا •• وأعاد الفنان ــ الذى عرفت انه يدعى « جيمز ستريت » ــ عرضه بأن يرسم لها صورة ، قائلا انه لن يتقاضى منها مقابل ذلك سوى نصف جنيه !

وسرعان ما أخرج قلم فحم من جيبه ، وراح يحملق فى وجه الفتاة تارة ، ويخطط بقلمه على الورق تارة أخرى • وفجأة لمحت الساقى يرمق « جيمز » بنظرات شذراء ، اذ لم يكن قد طلب شرابا ، فطلبت له كوبا من البيرة •• ورغم أننى كنت جالسا بين رجل غريب وفتاة لم يقع نظرى عليها من قبل ، فاننى أحسست بجو من الألفة ، وكأنما قد جمع بيننا تجاوب روحى وعاطفة انسانية !

ودار بيننا حديث عرفت منه أن الفتاة تدعى « دورين تايلور » ، وانها نيوزيلندية ، وليست سائحة أمريكية كما حسب « جيمز » •• وفجأة أشارت « دورين » الى شاب كان

يقف أمام البـاب باحثـا بنظراته فى أرجاء الحانة ، وقالت : « ها هوذا » ! ٠٠ ، فأدركت انه الشاب الذى كانت تنتظره ٠ ولمح الشاب « دورين » فأسرع متجها الينا ٠٠ وبادرها «جيمز» يهمس فى اذنها قائلا : « هل بوسعـك أن تحضرى غـدا فى نفس الوقت كى أتم رسم الصورة ؟ » ٠٠ واذ وصل صديقها الى مكاننـا ، لم تسـتطع أن تجيب ، فأومأت برأسها علامة الموافقة ٠

وما أن خرجت من الحانة مع صديقها ، حتى التفت « جيمز » نحوى قائلا :

ــ يا للاسف ٠٠ لقـد ضاعت منـا فرصة لا تعوض ٠٠ ولكن يوجد دائما أمل فى المستقبل ٠٠ ما رأيك فيها ؟

ــ رائعة !

ــ ألست تعتقد انها تبدو مثقلة ؟

ــ مثقلة ؟!

ــ بالمال طبعا ٠ وأرجح أن تكون سائحة ثرية !

ــ ولكنك لا تهتم ــ بالتأكيد ــ بمـا اذا كانت غنيـه أم فقيرة !

ــ أوه ٠٠ كلا ٠٠ عندما أشارك احدى الفتيات الفراش ، لا يعنينى البتة ما اذا كانت مفلسة أم ثرية ٠٠ ولـكنى أعتقد أن المـال يضفى على المرأة ــ أية امرأة ــ جاذبية فائقة !

وسألته أن يتناول على حسابى كوبا آخر من البيرة ، فرفض بحجة انه لم يذق طعاما منذ الصباح ٠ وهكذا رأيت من واجبى أن أدعوه لتنـاول بعض الطعـام ، فقبل دعوتى شاكرا ، ثم اقترح على اسم أحـد المطـاعم ٠ وراودنى خاطر سريع ٠٠ قلت لنفسى : لقد وقعت فى شراك محتال من المحتـالين الذين يغص بهم حى « سوهو » ، لـكننى ما لبثت ــ بعـد خمس

دقائق ـ أن أحسست بالخجل من سوء ظنى به ، فقد وجدته يقودنى الى « بدروم » كئيب على مقربة من ميدان (شافنتسبيرى) ، وبالبدروم مطعم يقدم أرخص الوجبات ٠

وما أن فرغنا من تناول الطعام حتى سألته :

ـ انك تتمتع بصوت جميل وأداء رائع ، فلماذا لا تحاول الالتحاق باحدى فرق التمثيل ؟ ٠٠ وان لم تجد فى لندن ٠٠ فليكن ذلك فى الاقاليم !

ـ ولكن منذا الذى يرغب فى العمل بالاقاليم ؟ ٠٠ ان المسرح يحتضر هناك ، واننى أفضل أن أموت جوعا وأصبر ، حتى يعترف حى (الويست اند) بمواهبى !

ـ اذن ٠٠ لماذا لا تعرض عليهم مواهبك ؟

ـ آه ٠٠ لاننى لا أحب المطاردة ٠ لا أحب أن أطارد أى شىء ٠٠ ما عدا النساء بالطبع ، وحتى فى هذا المضمار لا أحبذ المنافسة ، فان كانت الفتاة راغبة فحبا وكرامة ٠٠ والا فالنساء كثيرات !

وبعد قليل انتقلنا الى حانة أخرى استطاع جيمز فيها أن يقنع رجل أعمال بأن يرسم له صورة ، وما أن قبض ثمنها حتى أصر على دعوتى الى كأس من الويسكى ، فقلت له :

ـ ربما تحتاج الى هذه النقود ٠٠

لكنه أشاح بيده فى حركة مسرحية قائلا :

ـ أوه ٠٠ لقد تناولت اليوم طعاما ٠٠ !

وقبل موعد اغلاق الحانة بنصف ساعة ، دخل الحانة فوج من طلبة كلية الفنون ، فنهض جيمز واتجه نحوهم ، وسرعان ما اندمج معهم فى حديث طويل ٠٠ وما لبثت أن أحسست بالضيق ، فنهضت بدورى منصرفا ، ولكن جيمز لحق بى أمام الباب ، وسألنى ان كنت أعرف شيئا عن الادب الروسى ،

فلما أجبته بالايجاب فرح الى أقصى حدود الفرح ، وطلب منى أن أشاغل واحدا من الطلبة يحضر رسالة عن « دستويفسكى » وذلك حتى يتسنى لجيمز أن يخلو بصديقة الطالب الاديب !

وسحبنى جيمز الى الداخل مرة أخرى ، وقدمنى الى فتى ذى لحية سوداء ، وفتاة قصيرة القامة ، ممتلئة الجسم ، وانتهز جيمز فرصة انهماك الفتى فى الحديث معى ، واختفى مع الفتاة .. ولم يبد على صديقها أى اهتمام ، بل انطلق يشرح لى .. فى اطناب ـ نظريته فى أن « دستويفسكى » قتل أباه لان ثمة علاقة شائنة كانت تربطه بأمه !!

ووجدت مشقة فى التخلص من الفتى ، ثم انصرفت فى طريقى الى مسكنى ، لكننى ما كدت أبلغ ناصية ميدان (راثبون) ، حتى أمسك شخص بذراعى ، واذا به جيمز ، وبصحبته تلك الفتاة القصيرة القامة الممتلئة الجسم ، وكان اسمها « ميرا » . وبكل بساطة طلب منى أن أسمح لهما بقضاء بعض الوقت فى غرفتى .. !

وتصورت وجه صاحبة المنزل الذى يذكرنى دائما بوجه البومة .. وحسبت لحظتئذ ان من كرم الاخلاق تلبية طلب جيمز ، ولم تنقض خمس دقائق حتى كنا جميعا نتسلل على أطراف أصابعنا الى غرفتى .. !

وكان النعاس يثقل أجفانى ، بينما انطلقت « ميرا » تحكى لنا قصة صديقة لها احترفت الدعارة بعد أن اغتصبها أبوها عنوة وهو مخمور .. وحاولت أن أطرد النعاس عن عينى ، فرحت بدورى أقص عليهما قصة مشابهة ، غير أننى ما لبثت أن أدركت انهما كانا يصغيان لى من قبيل المجاملة ، فقد لمحت كلا منهما يتحسس جسد الآخر ، فى شوق ولهفة ، من أسفل الغطاء الوحيد الذى لدى ، والذى التحفا به وتركانى بدون

غطاء ! وأدركت أن وجودى ليس ضروريا فى تلك اللحظات بالذات •• فتصرفت كأحسن ما يكون التصرف فى مثل هذه الظروف : دخلت دورة المياه •• ولعلنى نعست هناك حوالى نصف ساعة •

ولما عدت بعد غيبة كافية ، أخبرنى جيمز ان « ميرا » تقيم فى حى بعيد ، وان قطار منتصف الليل فاتها •• وكان ردى الطبيعى أن استضفتهما حتى الصباح •• وخرجت « ميرا » من تحت الغطاء لتستكمل خلع ما بقى من ملابسها قطعة فقطعة ، دون أى احساس بخجل أو حرج ، ثم عادت الى الفراش ، لا يستر جسدها سوى شعرها الغزير المتناثر هنا وهناك •• وبعد لحظة وجدتها تلقى بشىء على الارض •• كان أول قطعة من ثيابها الداخلية خلعتها أثناء وجودى فى دورة المياه ، وبدا كان وجود هذه القطعة بينهما فى الفراش كان يضايقهما •• !

وتركتهما يستكملان عبثهما فى فراشى ، بينما افترشت أنا سجادة على الارض ، وجعلت من ملابس « ميرا » وسادة لى •• !

واستيقظنا على صوت صاحبة المنزل وهى تصيح بنا غاضبة ، محتجة على اصطحابى رجلا وامرأة الى الغرفة •• وقالت انها قررت أن أجمع حاجاتى فورا وأرحل عن بيتها « الشريف » •••

وفى الطريق ، راح جيمز يعتذر لى عن تسببه فى طردى من المنزل ، لكننى ـ فى الحقيقة ـ لم أكن غاضبا أو مستاء ، فقد سئمت تحكم تلك المرأة ! •• والتهمنا افطارنا فى عجلة ، ثم ركبنا حافلة ، ورأيت على شفتى جيمز ابتسامة غامضة ، وكأنه يهنىء نفسه على مغامرته مع الفتاة متهكما ••

- ٢ -

● **وتركني** جيمز كي يذهب الى المتحف البريطاني ، ليعقد احدى « صفقات » رسومه ، بعد أن واعدني على اللقاء بمقهى « الفرنسى » ، فرحت أتسكع فى الشوارع دون هدف معين ، واسترعت انتباهى — فى واجهة احدى المكتبات المتواضعة — مجموعة من كتب « نيتشه » ، الفيلسوف الالمانى ، مترجمة الى اللغة الانجليزية . وسرعان ما دفعت خمسة عشر شلنا ، فربطها الكتبى وحملتها معى ..

وما لبثت برودة الجو أن دفعتنى الى مقهى « الفرنسى » حيث وجدت « جيمز » جالسا فى انتظارى ، وتساءل عن الربطة التى أحملها ، فقصصت عليه ما فعلت ، فرمانى بالبلاهة والحمق اذ دفعت مبلغا ضخما .. ثلاثة أرباع الجنيه .. ثمنا لبعض الكتب الحقيرة ، كما وصفها .. واذ سمع اقتراحى بأن نتوجه الى احدى الحانات لنتناول بعض الشطائر والنبيذ ، لبى الدعوة مرحبا ، وقد أشرق وجهه بالابتسام .. وقضينا الساعتين التاليتين فى التنقل من حانة الى أخرى ، وخلال ذلك عرفنى جيمز بنماذج عجيبة من البشر .. مثل « أوسكى » الذى يدير مطعما ، لا يقدم فيه سوى السمك ، واذ كان بلا رأس مال ، فقد كان يطلب الحساب من العميل مقدما ، ويرسل تابعا له لشراء السمك ، وعلى العميل أن يصبر على الجوع ، حتى يفرغ « أوسكى » من طهوه !

ونموذج آخر قدمه جيمز لى : « فارتى روبرتس » ، أمهر لاعب شطرنج فى العالم ! .. وكان روبرتس ، فيما بدا لى ، واسع الثقافة ، برغم ملابسه الممزقة ومظهره الزرى .

وغيره .. وغيره .. وكدت أسقط اعياء ، بعد أن قضينا عدة ساعات فى التجول على الاقدام .. وكانت السماء قد

أمطرت ، وسرت الرطوبة الى جسدى ، فشعرت بحنين الى ان تكون لى غرفة خاصة ، لا يشاركنى فيها أحد ، دافئة ، أستطيع أن آوى اليهـا لأتمتع بقـدر من النوم .. فأخـذت استحث « جيمز » على أن يتركنى ويرحل حتى يمكننى أن أستأجر غرفة ، غير أن هذه الفكرة أثارت استياءه ، وما لبث أن سألنى عما تبقى معى من نقود ، فلما أخبرته بأنها لا تزيد على العشرين جنيهـا ، فاجأنى باقتراح غـريب : فما دامت تلك النقود لا تكفينى لأكثر من أسـبوع ، فانه يقترح أن نعيش معا على ذلك القدر من المال لمدة عشرة أيام ، ثم يتكفل هو بى لمدة أسبوعين ! .. والغريب أننى سرعان ما اقتنعت بمنطقه ، ووافقت دون تردد ، فابتسم وقد لاح على وجهه الرضـا والسرور ، وقال : « والآن .. أتشعر بحاجة الى النوم ؟ .. حسنا .. سأعثر لك على غرفة ! »

وعبرنا شارع « أوكسفورد » ، ثم عرجنا على شارع « بيرسى » مخترقين ميدان « راثبون » ، وهناك توقفنـا أمام أحد المنازل ، وأخبرنى جيمز أن احـدى صديقاته ــ وكانت تعمل « كموديل » للفنانين ــ تسـتأجر غرفة فيه ، وأن بوسعى أن أنام فى غرفتها حتى السابعة مساء ، وهو موعد عودتها من العمل !

وكانت الغرفة فى الطابق العاشر ، ولما فتح جيمز البـاب بمفتاح كان يحتفظ به فى جيبه ، وجدت الغرفة فى حالة من الفوضى لم أر مثيلا لها من قبل ، وقد تناثرت فى أرجائها العلب الفارغة ، وأعواد الثقاب المطفأة ، والاوانى القذرة .. الخ ..

وانسحب جيمز متعللا بأنه ذاهب الى المتحف القومى ، وسيعود بعـد ساعتين ، وما أن وجـدت نفسى بمفردى فى الغرفة حتى أخذت حماما ، وحلقت لحيتى التى طال شعرها ،

فأحسست بانتعاش ، واستلقيت فى استرخاء فوق الفراش وأنا أحاول النوم ، ولكن دون جدوى ، اذ لم أكن قد ألفت جو الغرفة ، فالتقطت كتابا من كتب « نيتشة » ، وقضيت ساعة أقرأ فيه ، وبعدها سمعت وقع خطوات تصعد الدرج ، فظننت أنها صاحبة الغرفة قد عادت .. ولكن ما ان فتح الباب حتى فوجئت بجيمز واقفا أمامى يقول انه أحضر معه فتاة تدعى « جنيفر » ، وطلب منى أن أتظاهر أمامها بأننى مستأجر الغرفة ..

كانت الفتاة فى نحو السابعة عشرة من عمرها ، ترتدى ملابس أنيقة ، وفى حديثها لكنة أهالى (الميدلاند) ـ وهى لكنة بنى وطنى ـ وقدمنى « جيمز « اليها على اننى واحد من ألمع أدباء لندن ، وينتظرنى مستقبل باهر • وأدركت أنه متلهف على أن يخلو بالفتاة ، فارتديت معطفى وغادرت الغرفة ، وقد غمرنى احساس بالحسد والغيرة .. فقد كانت الفتاة فاتنة حقا .. !!

وما ان وصلت الى الطابق الارضى حتى تذكرت الفتاة التى تواعدنا على لقائها فى الحانة ، كى برسمها ، فرفعت رأسى وصحت : « لا تنس اننا مرتبطان بموعد بعد ساعة فى الحانة ، مع الفتاة النيوزيلندية ! » .. وجاءنى صوت جيمز من أعلى : « أوه ، يا الهى ، لقد نسيت .. سأحاول أن اذهب ، ولكن اذا لم أحضر فى الموعد ، فاذهب بمفردك للقائها » ..

وخرجت الى الشارع وقد اجتاحنى احساس غامر بالارتياح ، ووجدت نفسى أتمنى أن يجد جيمز نفسه مشغولا لعدة ساعات أخرى ! .. وبينما انا أسير فى شارع (توتنهام رود) استولى على فجأة شعور غريب ، وكأننى أصبت بشلل فى تفكيرى ، فكدت أعجز عن عبور الشارع ! . .

ولا شك أن الغيرة لعبت دورا كبيرا فى ذلك ، اذ عادت الى ذاكرتى أحداث الساعات الاربع والعشرين الاخيرة : جيمز مع « دورين » .. ثم جيمز مع « ميرا » ، ثم مع «جنيفر» ! **وغمرنى احساس شديد بالخجل ، بل بدا لى تلهفى على مقابلة الفتاة النيوزيلندية أمرا مزريا .. وبدت لى المدينة أشبه بكتلة من الاسمنت المسلح الاصم ، فى أنكارها للحقائق .. ماذا لو أننا كنا من ابناء جيل يتمسك بالاخلاق الطيبة ، لا من جيل لا أخلاق له !** .. وتساءلت : ماذا يجب علينا أن نفعل ؟ هل ننسف المدينة كما اقترح « مارتى » ، بطل العالم فى الشطرنج ؟ .. وبدا لى الامر معقولا ! ..

ولما وصلت الى الحانة وجدتها تكاد تخلو من الرواد . ولم أكد اجلس فى أحد الاركان ، وأطلب لنفسى قدحا من البيرة ، حتى دخلت «دورين » ، ولاح على وجهها السرور لرؤيتى ! .. لكن فرحتى لمحافظتها على الموعد ما لبثت أن تلاشت عندما أدركت أنها جاءت فقط لرؤية « جيمز » ، فاعتذرت لها بأن أمرا طارئا منعه من الحضور .

وراحت تستدرجنى فى الحديث ، حتى علمت بأمر الصفقة التى عقدتها مع « جيمز » ، فصاحت بى : « أتعنى أنك ستأتمنه على مالك ؟ » .. وأجبتها : « وما المانع ؟ أتظنين أنه سيغدر بى ؟ اننى لا أجازف بالكثير ، على أى حال .. ثم اننى لا أرغب الآن فى الالتحاق بعمل ! » ..

ـ لكنك ستضطر الى العمل ان آجلا أو عاجلا .. أم تراك تنوى أن تعيش على التسول .. ؟ !

وبعد فترة سألتها عن صديقها الذى كان معها فى الليله الماضية ، فأجابت بأنها تخلصت منه بعد أن حاول أن يجردها من ملابسها بالقوة فى سيارة الاجرة ! .. ثم عادت تتحدث من جديد عن موضوع عثورى على عمل ، فأجبتها بأننى

لا أرغب فى الالتحاق بعمل فى أحد المكاتب ، فهذه الاعمال تثير فى نفسى الشعور بالملل ، فسألتنى عن نوع العمل الذى أرغب فيه ..

وهنا انطلقت أحدثها عما كنت أحلم به دائما .. مجتمع من الفنانين والادباء ، يستخدم كل فرد فيه مواهبه وذكاءه ليقوم بأود زملائه ، حتى لا يضطروا للعمل لدى الغير .. فلو أننا استطعنا العثور على عدد من الناس يدينون بهذا المبدأ ، لكان فى امكاننا أن نشترى بمبلغ زهيد منزلا قديما ، نحوله الى مايشبه ((ديرا)) للفنانين ، نتقاسم فيه العمل بالتساوى ، فاذا ما نجح احدنا فى نشر كتاب له ، أو بيعت له صـورة ، فانه يســاهم بجزء من المبلغ فى الانفاق على الآخرين ..

وعندئذ سألتنى ، أين يمكننى أن أعثر على أحد يؤمن بهذا الرأى ؟ .. فأجبتها بأن حى « سوهو » يغص بعشرات منهم فى هذه اللحظة . ولكى أثبت لها ذلك رافقتها فى جولة فى حانات الحى ، وعرفتها ببعض الشخصيات التى قابلتها فى الليلة الماضية ، وقد علقت « دورين » على تلك النماذج البشرية ضاحكة بقولها : « يا لغرابة أصـدقائك ..! هـل يتحدثون جميعا مثلما تحفل به الروايات .. ؟! »

وأخيرا أبدت رغبتها فى العودة ، ثم أعطتنى رقم تليفونها كى أتصل بها فيما بعـد ، فودعتها وعدت الى احدى تلك الحانات .. وهناك وجدت جيمز جالسا ، ولما سألته عن الفتاة التى كانت برفقته أجاب بأنها تدعى « تشارفنج جنيفر » ، وأنه قابلها فى المتحف القومى ، وهى تعمل فى أحد المكاتب بحى (توتنهام) ، وقد خطبت « لباشكاتب » فى أحد مكاتب البلدية ، ولما كانت تريد أن تستمتع بآخر لحظات « العزوبية » فقـد رحبت فورا باقتراح جيمز أن تصـحبه الى منزل أحـد

أصـــدقائه ، بعـــد أن قال لها انه لا يجدر بهـــا أن تدع ذلك « الباشكاتب » ـ الذى كان أشبه « بجثة محنطة » ـ ينقلها من عالم الفنيات العذارى الى عالم النساء ٠٠!!

وحاولت أن أخفى معالم الغيرة من وجهى ، وسألته : « وهل استمتعت هى برفقتك ؟ » ٠

ـ لا أظن ٠٠ بل ولا أنا أيضا ٠٠ ان مشاركة العـــذارى الفراش عمل شاق ٠٠!

وتناولنا قدحين من البيرة ، مال بعدهما جيمز الى الخلف بكرسيه وهو يهتف : « ايه ، أيتها الحرية !٠٠ انك الشىء الذى لا يفهمه أولئك الكلاب البورجوازيون ٠٠ ولنضرب مثلا بذلك « الباشـــكاتب » اللعين : **انه يتمتع بكل الصفات التى يقدرها المجتمع : وظيفة مرموقة تدر عليه ايرادا كبيرا ، ومنزلا يملكه فى الضـــواحى ، وكل ما تشـــتهيه امراة ٠٠ ولكن « جنيفر » تفضـــلنى عليه ! ٠٠ أتدرى لمـــاذا ؟ لان رائحة « الحرية » تفوح منى ! ٠٠ بل لقد بلغ بها الامر الى حـــد أن قالت لى انها تتمنى أن تحمل منى ٠٠ لانها تفضل أن أكون أنا والد طفلها !** »

ولم أتمالك نفسى من الضحك ، وسألته : « ولكن ، مافائدة « الحرية » اذا كنت لا تعرف أين ستجد وجبتك التالية ؟! »

ـ ولكنى أعرف ! ٠٠ سأتناولها على حسابك ؟!

ـ ٣ ـ

● واذ كنا لا نعرف مأوى نبيت فيه ليلتنا ، فقد قضيناها راقدين فى القطار ، ولم يكلفنا الامر أكثر من ثمن بطاقة دخول المحطة ٠ وفسر لى جيمز بعض آرائه عن مفهومه للحرية ، فقال ان جميع الناس ـ فيما عدا البوهيميين بالطبع ـ منافقون

.. انهم ينفقون حياتهم فى السعى الى الحصول على جهاز تليفزيون أو « غسالة » كهربائية ، لكن الشىء الوحيد الذى يعجزون عن الحصول عليه هو « الكرامة الانسانية » .. ذلك أن العبد لايستطيع أن يذوق طعم الكرامة..وهذا هو السبب فى كراهيتهم للبوهيميين ، الذين يرفضون أن يبيعوا أنفسهم للوهم الاكبر .. ولا يقبلون التزوير أو التدليس ! . . « ان الناس لا يفهمون أن كبار المصلحين عاشوا مشردين ، ليس لهم مأوى .. والا فهل يمكنك أن تتصور « المسيح » فى سيارة « كاديلاك » ؟! بالطبع لا .. ذلك آنه عاش مثلنا .. متجولا فى الحقول .. !! »

ثم اقترح جيمز ان يعرفنى ببعض أصـــدقائه من الفنانين والفنانات ، الذين يشـــاركهم الاقـــامة فى مسكنهم احيانا ، ولما ارتقينا الدرج ، كدت أتعثر أمام الباب فى رجــل وامرأة افترشا حشية على الارض . وقفزنا فوق النائمين ، وفتح جيمز الباب بمفتاح كان يحمله فى جيبه أيضا ، فتعثرت قدماه بحشية أخرى ، وصاح أحد النائمين : « من هناك .. ؟ » ، بينما جاء صوت آخر من الداخل صائحا : «أغلق الباب أيها اللعين ..؟»

وأضاء جيمز النور ، فوقع بصرنا أول ما وقع على الرجل الذى تعثرت فيه قدما جيمز . كان رجلا بدينـــا ، ذا لحية سوداء طويلة ، ورأس أصلع . وفى الناحية اليسرى رأيت فراشا مزدوجا احتله ثلاثة أشخاص ، وفى الوسط استغرق اثنان فى النوم فوق حشية مصنوعة من المطاط ، وفجأة برز من تحت الغطاء رأس أحـــد الثـلاثة الذين يشغلون الفراش المزدوج ، فاذا هى فتاة شاحبة الوجه ، ذات شعر طويل أسود فاحم ، ولما وقع بصرها على جيمز طلبت منه أن يعد الشاى ! !

وما لبثت الفتـــاة ان تسللت من بين الرجلين اللذين كانت

ترقد بينهما ، وهبت واقفة على قدميها ، فكدت أصعق اذ رايتها لا ترتدى من الثياب الا قطعة واحدة هى مشد الصدر « السوتيان » .. فلما لمحتنى التقطت معطفا سترت به جسدها العارى ، وراحت تتثاءب وتتمطى ! .. وبدا أنها لم تكن قد نالت قسطا كافيا من النوم فى تلك الليلة ، اذ سرعان ما عادت الى الفراش قائلة انها ستنام حتى يفرغ جيمز من اعداد الشاى . ولما كنت غريبا عنهم ، فقد دفعها الخجل والحياء (!) الى أن تسدل الغطاء فوق جسدها ، قبل أن تخلع المعطف وتلقيه بعيدا عنها .

وفى تلك الاثناء استيقظ الآخرون ، وعاد جيمز من المطبخ حاملا أبريق الشاى ، فوزعت « فيرا » ـ وهذا اسم الفتاة ـ الشاى علينا مع شطائر الجبن ، ورأيت أن أساهم فى ثمن الافطار فدسست فى يد « فيرا » عشرة شلنات ، غير أن هذا التصرف أغضب جيمز ، فقال انه يخشى أن ينظروا الى بعد ذلك وكأننى « مليونير » أبعثر أموالى ذات اليمين وذات اليسار .. !

وفى الطريق أخبرنى جيمز ان سكان ذلك البيت هم جميعا من الفنانين والادباء العاطلين ، الذين لا مورد لهم ، فيما عدا الرجل البدين الاصلع الرأس ، الذى كان صحفيا مشهورا يدعى « هوفمان » .. فلما سألته عما يفعله مثل هذا الرجل بين ذلك الجمع الغريب من الناس ، أجابنى بأنه يخشى ـ فيما يبدو ـ أن تدركه الشيخوخة قبل أن يستمتع بملذات الحياة الى أقصى حد ، ومن ثم فهو يتردد بين الحين والآخر على ذلك المنزل ، كى يستمتع فيه بالحرية ، والخمر ، و « الحشيش » ، والنساء !

ثم أخبرنى بأن رساما مغمورا يدعى « ريكى بريلاتي » يدير

شئون المنزل ، وهو يدين « بالشيوع المطلق » في معاشرة النساء ، فهو يرى أن لكل رجل الحق فى اقامة علاقة جنسية مع أية فتاة يشتهيها ، وترضى به !
ـ ولكن .. ماذا يحدث لو اشتهى رجلان فتاة واحدة ؟
ـ فى هذه الحالة تترك حرية « الاختيار » للفتاة نفسها ، أما اذا كانت من طراز « فيرا » ، فانها تقتسم الفراش مع الرجلين معا .. !!

ـ ٤ ـ

● **وفى** اليـوم التالى ، تركنى جيمز فى احـدى الحانات ليذهب الى المتحف البريطانى ، عله يجد هناك من يطلب منه رسم صورته ! .. وجلست وحيدا أجرع كؤوس الخمر كأسا تلو الاخرى ، وبعد قليل شعرت بدوار ، فخرجت الى الطريق ، لكن لذعة الهواء البارد زادت حالتى سوءا ، فسرت أترنح ذات اليمين وذات اليسار ، وفجأة لمحت « دورين » تحملق فى .. **وبنظرة واحدة منها الى أدركت أننى قد أفرطت فى الشراب ، وخشيت أن يصيبنى سـوء اذا سرت فى الطريق بمفردى ، فامسكت بذراعى وسارت الى جوارى ، حتى بلغنا مسكنها .. وهناك أدخلتنى الحمام ، وأجلستنى على حافة « البانيو » ثم قدمت لى شرابا لتهدئة المعدة ، فشربته فى جرعة واحدة ، ثم قادتنى الى غرفة نومها ، وما أن لامس جسدى فراشها حتى استغرقت على الفور ، فى نوم عميق .. !**
.. وعندما استيقظت كانت الغرفة تسبح فى ظلام دامس .. ولم أجد « دورين » ، فأدركت أنها خرجت . وكان تأثير الخمر قد زال عنى ، وسرت الى أنفى رائحة عطرية منبعثة من الوسادة ، فطبعت قبلة عليها ، ثم عدت الى النوم العميق .. وعندما فتحت عينى مرة أخرى وجدت « دورين » واقفة أمام

الباب ، مرتدية معطفا بلله المطر · وألقيت نظرة سريعة على « المنبه » فاذا بها الساعة السابعة ·· يا الهى ! لقد نمت سبع ساعات كاملة !!

وسألتنى « دورين » عما اذا كنت جائعا ·· وبعد أن تناولت قليلا من الطعام تذكرت أننى كنت قد اتفقت مع جيمز على لقائه فى محطة (واترلو) ، ولكن « دورين » منعتنى من الخروج قائلة ان بوسعى أن أقضى الليلة فى مسكنها ، هذا اذا كان النوم فوق أريكة لا يضايقنى ·· !

وحلقت ذقنى التى طال شعرها ، وقضيت فى الحمام وقتا طويلا أنثر الماء حولى كطفل صغير ·· فلما خرجت أحسست كأننى أولد من جديد ، وقد سرى الانتعاش والراحة الى جسدى ، واذا بى أرى شابا وفتاة جالسين فوق الاريكة ! ·· وعرفتنى « دورين » بهما ، كان الشاب يدعى « رود » والفتاة «تامى» ، وكانا خطيبين على وشك الزواج · وبعد قليل عثرا على « الجرامفون » فوضعا فوقه اسطوانة راقصة ·· وعلى أنغام الموسيقى ورنين كئوس الشراب ، دار الرقص وشرب الخمر حتى سقط الاثنان اعياء وثملا ·· فلم تجد « دورين » مفرا من أن تعد لهما الاريكة التى كنت أمنى نفسى بالنوم فوقها ·· !

وأعدت لى « دورين » فراشا على الارض من بعض البطاطين ، ولما تهيأت للنوم ، أمسكت بيدها تعبيرا عن شكرى وامتنانى ، فانحنت على وطبعت على شفتى قبلة خاطفة ، ثم خرجت بسرعة وأطفأت النور ·· !

وبينما كنت أستمع الى صوت انسياب الماء فى الحمام ، شرد ذهنى الى الاحداث العجيبة التى وقعت لى خلال الايام الثلاثة الماضية ! ·· لكن غطيط « رود » ـ الذى كان اشبه بصوت قطار سريع ـ قطع على تسلسل أفكارى ·· وبعد خمس

دقائق فتح باب الحمام ، وظهرت « دورين » مرتدية غلالة نوم شفافة ٠٠ !

وراحت « دورين » تهز « رود » فى عنف ، لكن صوت غطيطه ازداد ارتفاعا ، فانضممت اليها ٠٠ ويبدو أنه ظن اليد التى تهزه هى يد « تامى » ، فانه قبض عليها وأدناها من شفتيه ، وطبع عليها قبلة ٠٠ فانفجرت « دورين » ضاحكة ، وأخيرا تمكنت من تخليص يدى من قبضته ، بعد أن دفعت اليه بدلا منها بيد « تامى » ! ٠٠ واذ ذاك التفتت « دورين » الى قائلة : « أعتقد أنه لا مفر من أن تنام فى حجرتى » ٠٠ ولم أكن فى حاجة الى الحاح منها ، فحملت بطاطينى وهرعت الى غرفتها ـ قبل أن تغير رأيها ! ـ وسألتها : اين سأنام ؟

ـ هل تعد بأن تلزم حدودك !

ـ بالطبع ٠٠ !

ـ اذن ٠٠ بوسعك أن تنام فى فراشى !

٠٠ ووضعت وسادة تفصل بيننا ، فرقدت على الجانب الذى حددته لى ، بينما نامت هى على الجانب الآخر ٠ وراحت الافكار تتضارب فى رأسى ٠٠ ولم أجد تعليلا للسعادة التى غمرتنى ٠٠ لم يكن ما أحسه نحوها شهوة حسية ، لكن مشاعرى كانت تفيض عاطفة وحنانا ٠٠ كلا ٠٠ لم أكن أعشقها ، ولا كانت تتملكنى رغبة فى الزواج منها ٠٠ وانما كان احساسى نابعا من شغفى بالانوثة فى ذاتها ، شغفا لم يهبط الى مستوى الشهوة !

وخيل الى ان القـدر شـاء أن يعوضنى عن متاعب الايام الثلاثة الماضية ، فأغدق على تلك اللحظات التى تفيض خيالا وسموا بالروح ٠٠ وسرعان ما أدركت أن الحياة التى يطلق عليها الكتاب « الحياة البوهيمية » انما هى حياة جرداء ، تبعث على السأم والضيق ٠٠ ورحت أسائل نفسى : لماذا يبدو رقادى الى جوار « دورين » أمرا غريبا ؟ وهل كان الامر سيبدو

كذلك لو كانت الفتـــاة هى « ميرا » ـ مثـــلا ـ وليست « دورين » ٠٠ ؟

وفى السادســة صباحا غفوت اغفــاءة قصــيرة ، مفعمــة بالسعادة ! ٠٠ غير أننى استيقظت بعد ساعتين على صوت فتح الباب ، فوقع بصرى على امرأة عجوز تنظر الينا من فرجة الباب، فأدركت ـ على الفور ـ أنها صاحبة المنزل ، الا أننى لم أر جدوى من ايقاظ « دورين » ، فخرجت الى الصالة ٠٠ وهناك رأيت « رود » و « تامى » مستغرقين فى النوم ، وقد انحسر ثوب « تامى » الى خصرها ، فــكشف عن جورب حريرى شفاف ، وفخذين عاريتين فى بياض الثلج ٠٠ !!

وعدت على أطراف أصــابعى الى الفراش ، وفى هذه المرة ألقيت بالوسادة التى تفصلنى عن « دورين » بعيدا ، ورقدت ملتصقا بها ٠٠ وكانت هى مستلقية على ظهرها ، وقد ألقت باحدى ذراعيها خارج الفراش.. وسرعان مااستغرقت بدورى فى النوم ، وقد أحطت خصرها بذراعى ، وشفتاى ملتصقتان بوجنتها ٠٠

وأيقظتنى « دورين » بعد ساعة ، لتقدم لى قدحا من القهوة ، ثم عادت الى جوارى فوق الفراش ، دون أدنى احساس بالخجل ٠ وأخبرتنى أن صاحبة المنزل ثارت غضبا لاستضافتها « رود » و « تامى » ، وأنها أنذرتها بمغادرة المنزل ٠٠ وعلى الفور خطر على ذهنى منزل شارع « نوتنج هيـــل » ٠ وبرغم أننى كنت أشك كثيرا فى أن تقبل السكنى فى ذلك المنزل ، الا أننى لم أر ضيرا فى اقتراحه ٠٠ وكدت أرقص طربا عندما وافقت على الفور دون أن تبدى أية معارضة ، ورحت أهنىء نفسى على هذا ٠٠ فعلى الاقل ، أصبح بوسعى الآن أن أحتفظ بها لنفسى لمدة يومين !

٠٠ وشعرت بسعادة لم أشعر بها منذ جئت الى لندن !

- ٥ -

● **وتركت** « دورين » تعد حقائبها ، وذهبت الى (المقهى الفرنسى) كى أعتذر لجيمز بسبب تخلفى عن لقائه بالامس ، لكنه استقبلنى بود وترحيب ، ثم قصصت عليه كيف قابلت « دورين » ، وما كان من قضائي الليلة فى مسكنها ، ثم تفكيرى فى أن أستأجر لها غرفة فى منزل « نوتنج هيل » ..

وعدت متأخرا لأجد « دورين » تنتظرنى بفارغ الصبر ، فانها خشيت أن يكون جيمز قد أقنعنى بأن أنفض يدى من أمرها ! .. ولما وصلنا الى المسكن الجديد ضغطت على الجرس ، ولكن أحدا لم يجبنا ، فصعدنا الى الطابق الاول ، واذ لم نجد أحدا هناك تابعنا الصعود الى الطابق الاعلى حيث يقطن « ريكى بريلاتى » ، الرسام الذى أخبرنى « جيمز » بأنه المشرف على شئون المنزل .

ووجدناه شابا فى مقتبل العمر ، ضخم الجثة ، ذا لحية سوداء مشعثة ، ويرتدى سروالا قذرا من « الفانيلا » ، يثبته باحدى « كرافتاته » بدلا من الحزام ، وجاكتة « بيجامة » ملطخة ببقع الألوان . وما أن عرف بغيتنا ، وأن « دورين » على جانب من الثراء ، حتى وافق على الفور على تأجير غرفة لها ، وكانت الغرفة فى حالة يرثى لها ؛ لكنى حين عرفت أن ايجارها جنيه ونصف الجنيه في الاسبوع فقط ، بادرت الى دفع قيمة ايجار ثلاثة أسابيع مقدما .. وحاولت «دورين» أن تعيد الى الحجرة شيئا من النظام ، فالتقطت من الارض أعواد الثقاب المستعملة ، وقطع الزجاج والصينى المتناثرة على الارضية ، ثم جلست تعد قائمة بالاشياء التى نحتاج اليها ، وقالت لى انها أعجبت بالرسام ، فأجبتها بأن رسومه توحى بأنه يملك موهبة فذة !

وبرغم أنني كنت قد واعدت « جيمز » على تناول طعام الغداء معه ، الا أن التعب حل بى ، فاســتلقيت فوق الفراش بكامل ملابسي ، وما لبثت « دورين » أن رقدت بجواري • وبعث فى ذلك ، في بادىء الامر ، احساســا بالانفعل أطار النوم من عيني ، ولــكن ما أن لففت ذراعى حولها ، وضــغطت هى على يدى ، ثم جذبتها الى صدرها ، واستغرقت فى النوم ، حتى سرى الخدر الى جســدى كله ، فاستغرقت أنا الآخــر فى نوم عميق ••

واستيقظت على صوت « جيمز » يصيح من الخارج ، فتسللت من الفراش بهــدوء وخفة ، فطلب منى أن أذهب معه الى حى المسارح ، حيث اعتاد أن يقدم ، من وقت لآخر ، احدى التمثيليات أمام رواد المسرح الذين يصطفون فى طابور أمام «شباك التذاكر» •• وحين وصــلنا الى هنـــاك راح « جيمز » يردد ، فى أداء مسرحي بارع ، مقتطفات من احدى مسرحيات شكسبير ، فصفقت له الجماهــير اعجابا وطربا ، أما أنا فقــد سرت أمام الطابور وفى يدى ورقة لفت على شكل قبعة ، ألقى كل منهم فيها قطعة نقدية صغيرة .. فلما أحصينا النقود ، فى أحد المقاهى ، وجدناها تربو على عشرة شلنات • وسألت « جيمز » لماذا لايرتزق من هذه المهنة ، مادام يتمتع بموهبة فى التمثيل ، فأجابنى بأن المرء اذا كرر الشىء نفسه كل يوم ، فقد اللذة التى يشعر بها فى بادىء الامر ، وصار محترفا بدلا من أن يكون هاويا •• ثم أنه يعرف خمسين طريقة أخرى لكسب المال •• !!

•• وانطلق يشرح لى فلسفة الحرية التى يعتنقها قائلا : « دعنى أشرح لك كيف بدأت حياة «الصعلكة» : لقد جئت الى حى « سوهو » فور تسريحى من الجيش ، وأنا لا أملك من النقود الا جنيهين ، وفى الليلة الاولى التقيت في احدى الحانات

بفتاة من طالبات مدرسة الفنون ، لمحت في عينيها الرغبة في قضاء بعض الوقت معي ٠٠ !! لكنني لم أكن أعرف مكانا أصحبها اليه ٠ وأخيرا دلنا أحد الاشخاص على مكان كان يستخدم فيما مضى كدار للسينما ، ولما لم يكن في المكان مقاعد، فاننا افترشنا الارض ، وكانت السماء تمطر فاضطررنا الى تغيير موضعنا عدة مرات ٠٠

« وبعد أن ودعتها سرت أتسكع في شوارع المدينة ، منعما النظر في أولئك المساكين الذين يسعون الى رزقهم ٠ كانوا في طريقهم كي يكسبوا مزيدا من المال ولكن لحساب أصحاب الاعمال الاغنياء ، فوقعوا بين تروس الآلة الضخمة ، دون أن يفقهوا شيئا عن معنى الحياة والحرية ٠٠ ! »

وفرغ جيمز من سرد ذكرياته ، فانتقلنا ـ هو وأنا ـ من المقهى الى أحد الكهوف التي يغص بها حي « سوهو » ، وهناك جذب انتباهي رجل تبدو عليه مظاهر الثراء ، فأخبرني « جيمز » أنه من هواة الفن ، وله نفوذ كبير في دنيا الصحف التي تنشر الانتاج الادبي والفني ، وأنه يدعى « سير ريجنالد بروبتر » ٠ ووجد جيمز في مقابلته فرصة لتقديم خدمة لصديقه الرسام « ريكي بريلاتي » ، فاصطحبه الى المنزل ، وهناك وجدنا « دورين » جالسة وسط « المجموعة » كلها ، وقد انهمكوا في الشراب وتدخين « الحشيش » ، وسررت اذ لاحظت أن « دورين » تجلس على مقعد مستقل ، ولم تفعل مثل الفتيات الاخريات اللائي انتثرن فوق الحشايا ، وسط عدد أكبر منهن من الرجال ، وطلب « جيمز » من « دورين » أن تحضر احدى اسطوانات الموسيقى من غرفتها ، فتطوعت أنا بالذهاب معها ٠٠ وبينما كانت منهمكة في اختيار الاسطوانة ، أدرتها فجأة نحوي ، ثم طبعت على شفتيها قبلة حارة ، ولكنها تملصت مني

قائلة : « أرجوك ·· لا تفعل هذا ، فقد يروننا ! » · لكننى ما أن ضممتها الى صدرى ثانية ، حتى شعرت بجسدها الدافىء يلين بين ذراعى ، وانفرجت شفتاها لتلتقيا بشفتى ·· ورحت أقبلها فى كل مكان من جسدها ، وأنا أحس بالحرارة تنبعث من جسدينا ··

·· وأخيرا ، دفعتنى عنها وهى تقول : « أتريد أن نفعل مثل أولئك الذين يعيشون فى الطابق الاعلى ؟ » ·· فأجبتها ، وأنا أحاول أن أخفى اضطرابى : « لماذا ؟ ·· ماذا يفعلون ؟ »

ــ لا شىء ·· لكنهم لا يحاولون اخفاء علاقاتهم ! ·· لقد افرطت تلك الفتـــاة « فيرا » فى الشراب ، ثم راحت تقبـــل « تومى » وفمها ملىء بالنبيذ ! · · وما لبثـــا أن غادرا الغرفة متعانقين · وأعتقد أنهما لو كانا أكثر ثملا ، لما ترددا فى اطلاق العنان لشهواتهما أمام الآخرين ·· !

وبعد أن أعطينا الاسطوانات لبقية أفراد المجموعة ، صعدت مع « جيمز » و « دورين » و « سير ريجنالد » الى الطابق الأعلى لزيارة الرسام « ريكى » · وطرقت بابه ، ولكن أحدا لم يرد ، ففتحته بهـدوء وتسللت الى الداخل ، وهنـــاك لمحت « ريكى » واقفا على بعد ست أقدام من لوحة كان منهمكا فى رسمها ، وقد بدا كأنه منوم تنويما مغناطيسيا ، وبالقرب منه جلس فتى هندى صغير ، عاريا كما ولدته أمه ، متربعا فوق البساط ·· .

ووقف « جيمز » مستغرقا فى تأمل اللوحة ، فانضممت اليه ، واذ ذاك أدركت السبب الذى جعل الرسام يبدو كأنه منوم تنويما مغناطيسيا · لقد كانت اللوحة تحفة رائعة ، تنبىء بوضوح بمدى الجهد والموهبة الخارقة اللذين بذلا فى اتمامها · وما لبث « جيمز » أن ضرب الرسام على ظهره صائحا : « أيها

الفنان الملهم •• لقد خلقت تحفة لا مثيل لها •• ألا توافقنى على ذلك ياسير ريجنالد ؟ » •

وأفاق « ريكى » من غيبوبته ، ونظر الينا فى فضول يخلو من أى شعور بالعداء ، متسائلا كيف دخلنا ؟ ثم أخبرنا أنه أطلق على اللوحة اسم « نارينــدا » •• ولما سأله « سير ريجنالد » عما اذا كان يرغب فى بيعها ، أجابه فى جفاء : « كلا •• كلا » •• لكن « جيمز » خف الى نجدته قائلا انها لم تنته بعد •؛

وبعد قليل سمعت جيمز يهمس فى أذن سير ريجنالد : « لا تطلب منه أن يبيعك واحدة من لوحاته •• انتظر حتى نعرفه أكثر ! » •• فلم أملك الا أن أشعر بالاعجاب بقدرة « جيمز » على اتمام الصفقات ••

ولاحظت أن « دورين » كانت ترمق « ريكى » بنظرات تنم عن الاعجاب بشخصه ، أكثر من اعجابها بلوحاته • ورغم أننى كنت أشاركها ذلك الاعجاب ، الا أننى شعرت بالغيرة تنهش قلبى •• !

- ٦ -

● **لقد** استطعت حتى الآن أن أسرد على القارىء كل الأحداث التى وقعت لى منذ اليوم الأول الذى وصلت فيه الى لندن ، حسب تسلسل وقوعها ، ولم يكن ذلك عسيرا فقد كانت تلك الايام مزدحمة بالاحداث •• ولكن ما أن وصلت الى اقامتى فى غرفة واحدة مع « دورين » حتي وجدت نفسى فى حاجة الى التدقيق فى اختيار الأحداث التى ينبغى أن أدونها هنا •• فلم يمض وقت طويل حتى عثر « جيمز » على عمل مؤقت فى حى (لوتون) ، ولم يعد يتردد علينا كثيرا ،

مما جعلنى أتنفس الصعداء ، فقد كانت « دورين » غير مرتاحة الى علاقتى به ، وما بدا من نفوذه على ..!

واذ أصل الى هذه المرحلة ، أشعر بأنه ينبغى لى أن أتحدث فى اسهاب أكثر عن ((دورين)) ، **وليس بوسعى ان ادعى اننى كنت أعرفها جيدا ، قبل أن اشاطرها المسكن . ولما كنت قليل الخبرة بالنساء ، فان تعلق ((دورين)) بى وقبولها ان اشاطرها غرفة واحدة ، افقدانى توازنى .. !**

لقد حاولت لعدة سنوات أن أقنع نفسى بأن الثمن الذى ينبغى للمرء أن يدفعه مقابل كونه شاعرا وفيلسوفا ، هو عدم أهليته وكفاءته فى الشئون الدنيوية .. وأن أنظر الى النظام كأنه بمثابة تجويع للشهوات البشرية .. وفجأة ، اذا بدورين تولينى ثقة وطمأنينة لم تقدمهما لاحد غيرى .. !

لقد كان أبوها يدير عدة متاجر فى (نيوزيلندا) ، وكان سريع الغضب ، ذا حاسة ذواقة للجمال ، وكان يعاملها معاملة خاصة ، ولهذا تعلقت به .. الى أن علمت ـ ذات يوم ـ أن له عددا كبيرا من العشيقات !.. أما أمها فلم تعر الامر أهمية بالغة ، بل راحت تشغل نفسها باعطاء دروس فى الموسيقى فى جمعية خيرية للعمال ، وكرست « دورين » فترة من وقتها كل يوم لتتلقى دروسا فى العزف على البيانو ، على يد مدرس يبلغ عمره ضعف عمرها .

وقد استطاع ذلك المدرس ان يوهمها بأن تعشقه . لكنه كان متزوجا ويخشى ان تفقده الفضيحة وظيفته فى الجامعة . ومن ثم حاول ان يقنعها بالانتقال معه الى مسكن آخر ، وان تعيش معه كعشيقة .!

وشاء طالعها الحسن أن يكتشف أبوها الامر قبل أن تبت

بقرار فيه ، فثار ثورة عارمة ، وشهر مسدسه في وجه المدرس مهددا • ثم أرسلها الى انجلترا بعد أن زودها بمبلغ من المال يكفيها لمدة ستة أشهر ، ولم تكن قد قضت فيانجلترا الا أسبوعا واحدا عندما التقيت بها •

وأدركت من عشرتي معها أنها تتصف بالوداعة ودماثة الخلق ، ولذلك كان الرجال الاقوياء الشخصية ــ من طراز « دون جوان » ــ يثيرون فيها التوجس والخوف ، كما أنها كانت تحس دائما بالوحشة والوحدة ، وبأنها في حاجة شديدة الى صحبة الناس . فلما تعرفت بي وجدت في كل ما كانت تبحث عنه : كنت على عكس أبيها في كل شيء ، وقد أحضرتها لتعيش في منزل يغص بالناس الذين يثيرون الاهتمام ؛ في نفس الوقت الذي قمت فيه بدور الدرع الواقي ضد تماديها في اقامة علاقات معهم ••!

ولا شك أن « جيمز » كان سيضحك ملء شدقيه لو علم أنني ظللت أرقد معها في سرير واحد دون أن أصبح ــ بالمعنى المألوف ــ عشيقها ••!! لكنني كنت أرى في ذلك ، بعد أن فشل مدرس الموسيقى في اغوائها ، ثقة غالية منها ، فلم أحاول أن أستغل الفرصة • ولا يعني هذا أن « دورين » كانت باردة المشاعر ، أو انها لم تكن تجد لذة في اقامة علاقة جنسية معي ، الا أنها كانت أشبه بفتاة مصابة بمرض المشي أثناء النوم ، وقد استيقظت فجأة وهي على حافة هاوية سحيقة ••!

لكن احساسي بغرابة موقفي ما لبث أن ازداد ، وخشيت أن تحس بأنني فرضت نفسي عليها •• صحيح أنه كان بوسعي أن أتخلص من هذا الاحساس بعدة وسائل ، كأن أدفع نصف ايجار الغرفة ، أو اشترى لنفسي سريرا صغيرا

من النوع الذى يستخدم فى الرحلات ٠٠ كنت فى حاجة الى أن أخلو بنفسى قليلا ، وفى نفس الوقت كنت أخشى أن تظن « دورين » أننى أقدمت على مثل هـذه الخطوة بسبب رغبتى فى اقامة علاقة جنسيـة مع «فيرا» ، أو غـيرها من الفتيات اللائى كن يترددن على المنزل من آن لآخر ٠٠

واتجهت بمشكلتى الى الرسـام « ريكى » ، فأخبرنى أن أحد الطلبة قد استأجر غرفة بالمنزل ، ودفع ايجارها لمدة شهرين مقدما ، الا أنه لم يضع قدمه فيها منذ عدة أسابيع. وعرض على « ريكى » أن أشغل هذه الغرفة ٠ وبرغم أنهـا كانت تستخدم من قبل كدورة مياه الا أننى وجـدت فيهـا بغيتى ، وزاد من سرورى أن علمت أن ايجارها لم يتجاوز خمسة شلنات فى الاسبوع ٠

الا أن مشكلة واجهتنى هى كيفية عثورى على مورد للرزق، فشعرت بحاجة ماسـة الى الالتحاق بعمل منتظم ، وكانت وسائل « جيمز » العبقرية فى سبيل التهرب من العمل تتطلب من المرء مجهودا أكبر مما يبذله فى العمل ذاته !٠٠ وازددت اقتناعا بهذا الرأى عندما وجدت نفسى جالسا بغرفة المطالعة فى المتحف البريطانى ٠٠ فقد شرعت فى كتـابة مذكرات صغيرة ، تمهيدا لنشرها فى كتاب تناولت فيه التناقض بين رأيين فى الحرية : الرأى الدينى والرأى الاجتماعى ٠ وفى القسم الاول من الكتاب كنت أرغب فى بحث موضـــوع المبشرين الدينيين ، وأن أشرح رأى اليهـــود فى التنبؤات الواردة عن عودة المسيح ثانية ، وفى القسم الثانى أسـجل نمو الآراء الاجتماعية عن الحرية ، مبتدئا بكتاب « اليوتوبيا » أو المدينة الفاضلة ، لمؤلفه « توماس مور » ، « ومدينـــة الشعب » لكامبانيلا ٠ أما الموضوع الرئيسى فيرتكز على كتاب

« ولد الانسان حرا » للكاتب « جان جاك روسو » .
ولما جلست على مقعدى تلاشت رغبتى فى العمل ، فقد رأيت أمامى عددا كبيرا من الكتب ، واحترت أى كتاب أختار ..

وبدلا من أن أكتب شيئا وجدت نفسي أحملق في فتاة فاتنة تجلس بجوارى . وما لبثت نظراتي أن تسللت داخل ردائها . واكتشفت أنها لم تكن ترتدى أية ملابس داخلية ، ورحت أسائل نفسي كيف أركز ذهني في موضوع نشأة الدين المسيحي بينما هو مشغول في مثل هذا الموضوع الحي الساخن ؟! فأغلقت الكتاب وعدت الى المنزل .

ولم أجد « دورين » فى غرفتنا ، فصعدت الى شقة « ريكى » ووجدته واقفا يضرب بريشته فوق لوحة ضخمة وقد رقدت أمامه فتاة عارية كما ولدتها أمها ، فى السابعة عشرة من عمرها .. ولما لمحنى « ريكى » طلب من الفتاة ـ وتدعى « ميلانى » ـ أن ترتدى ملابسها ، وذهبت « ميلانى » لتعد لنا الشاى ، فأخبرنى بأنها ابنة صاحبة المنزل ، ولما سألته عما اذا كانت قد أصبحت عشيقته أجابني بأنها ترغب فى ذلك ، ولكنه يرفض أن تكون له أية علاقة بفتاة عذراء ..!

ثم انطلق يشرح لى نظريته قائلا : « اننى أومن بأن الجنس وهم ، بل هو أكثر الاوهام جاذبية .. فلو أننى كان لدى الوقت الكافى ، أو كنت مثلك كاتبا ، لكرست حياتى لدراسته ، الا أننى أعتقد أنه لا يوجد أمام المرء الا طريقان لا ثالث لهما : اما أن يبحث عن فتاة شريفة فيتزوجها ، واما أن يلهو مع فتيات من طراز « فيرا » .. فتيات يستمتعن بالعلاقة الجنسية ، ولا يجدن في ذلك غضاضة أو خجلا ، أما لو

سايرت « ميلانى » فلن تمضى أربع وعشرون ساعة حتى تحاول أن تفرض على شروطها ورغباتها ، محاولة التدخل فى شئونى الخاصة ، وبذلك لن تكون لى حياة خاصة مستقلة بى » .

وقضيت مع « ريكى » ثلاث ساعات نزلت بعدها الى غرفة « دورين » ، ولما أبلغتهـا بأننى استأجرت الغرفة التى أمام غرفة « ريكى » انهـارت فوق الفـراش ، ثم انفجرت تبكى بحرقة ، فأحطتها بذراعى فى حنان ، وأخذت أحاول أن أشرح لها أن انتقالى من غرفتها لم يكن وليد رغبة فى هجرانها .. وأخيرا بدت كما لو كانت قد اقتنعت بمنطقى ، وعاد الهدوء والسكينة الى فؤادها .. وما لبثنا أن احتفلنا — فى صمت ! — بعودة الصلح بيننا ، وغمرنا احساس جارف بالحنان والهدوء ، وكأننا نعرض أنفسنا لنسمة الصباح الباكر بعد حمام ساخن .. وأعدت لى «دورين» وجبة دسمة ، ثم أطفأنا النور واستلقينا فوق الفراش !

ولم تمض خمس دقائق حتى استغرقت هى فى نوم عميق ، وخيل الى أن وجهها كان يبدو — على ضوء النـار المتوهجة فى المدفأة — فى براءة الاطفـال ، ووضعت يدى فوق خصرها ، وشرد ذهنى فى آلاف الخواطر ... «ريكى» .. «ميلانى» .. و « جيمز » .. لم يكن قد مضى اسبوعان منـذ هبطت فى محطة لنـدن ، ورأسى مشحون بالرغبة فى طلب الحرية ، وما لبثت أن أخذت أسائل نفسى متعجبا عما اذا كان البحث عن الحرية يقود المرء — لزاما — الى فراش امرأة ..؟!!

— ٧ —

● **واستيقظت** على صوت دقات على النافذة ، فتسللت من الفراش فى هدوء ، خشية ايقاظ « دورين » ، واذا بى أفاجأ « بجيمز » واقفا مع فتاة متوسطة الجمال ، وان كانت تتمتع

بقوام ممشوق ، وكانا يحمــلان عددا من زجاجات الخمر ٠٠ واستقبلته «دورين» فى برود ، وأخبرنا «جيمز» بأنه تطوع بأن يكشف للفتاة ـ « جوان » ـ ما تحفل به حياة الفنانين البوهيمية ، المغرقة فى الجنس ، من متعة وبؤس ٠٠!

ولحق بى « جيمز » فى دورة المياه ، وهمس فى أذنى طالبا منىأنأترك له ونصديقته ركنا فىالغرفة ليبيتا فيه ، فأجبته بأننى أترك له غرفتى فى الطابق الأعلى ، ليستخدماها كيفما يحلو لهما !

ولما صعدنا الى غرفة الفنــانين ، وجدناهم يستعدون لحفلة المساء ، وما أن وقع بصرهم على زجاجات الشراب التىيحملها « جيمز » حتى راحوا يهتفون فى صخب ٠٠ ووجدت متعة فى مراقبة «جوان» وهى تتأمل طريقة حديثهم وشرابهموصخبهم، وبدا عليها الاهتمام والشعور باللذة فى بادىء الامر ، لكنها ما لبثت أن أحست بالغثيــان عنــدما أدركت أن الوعاء الذى تناولت فيه الطعــام كان معدا ، فى الاصل ، لكى يقضى فيه المرء حاجتــه !٠٠ وأدركت أنه لولا وجود « دورين » ـ التى انهمكت معهـــا فى حــديث طويل ـ لما بقيت « جوان » بين أولئك الفنانين وقتا طويلا ٠٠ ٠

وبعد قليل خرجت الى الصــالة ، فسمعت صوت طرقات على البــاب الأمامى ، واذا برجل كنت قد قابلته ذات مرة مع « سير ريجنالد » ـ ويدعى « أوزوالد بليكشتين » ـ يقف مع جماعة منالرجال يحملونتابوتا ضخما ٠ وأخبرنى «أوزوالد» أن التابوت ملىء بزجاجات الشمبانيا ، وأنه كان يقصد غرفة « ريكى » ٠٠ وساعدت الحمالين حتى وصلنا بالتابوت سالما ، وهناك انضم الينا الباقون فى هرج ومرج بالغين ، وسرعان ما فتحت زجاجات الشمبانيا ، ودارت الكئوس على الجميع ٠

لكن الحمالين ما لبثوا أن عادوا بعد قليــل حاملين ، هذه

المرة ، جهازا للتليفزيون . وحاول « ريكى » أن يحتج ، ولكن احتجاجه لم يجده فتيلا ، وفتح أحدهم الجهاز ، واذا بسير ريجنالد يبدو على شاشته ، فهرعت لاستدعاء « ريكى » الذى تبعنى دون أن ينبس بكلمة ، وقد أحس بأن حدثا خطيرا على وشك الوقوع ، وعندما وصلنا كان السكون مخيما على الحاضرين ، فيما عدا صوت مذيع التليفزيون الذى كان يتجه بحديثه الى رجل آخر بجوار سير ريجنالد ، قائلا : « والآن يا مستر «رويهمر» .. هل تتفضل بأن تخبرنا عما اذا كنت توافق على ملاحظات «سير ريجنالد» عن اللوحة ؟» .. فأجاب هذا فى لهجة ألمانية واضحة ، قائلا انه لا يوافق اطلاقا على أن اللوحة تمثل الاتجاه الصوفى فى الرسم .

.. وانتقلت الكاميرا بعد ذلك لتعرض لوحة « ريكى » التى رفض أن يبيعها لسير ريجنالد منذ أيام !.. واذ ذاك ارتفع صوت « ريكى » صائحا فى غيظ وحنق : « ذلك الاحمق اللعين ! » ... ثم دارت عيناه فى أرجاء الغرفة ، باحثتين عن أوزوالد ، لكن هذا كان قد اختفى تماما !.. وختم معلق التليفزيون حديثه قائلا : « حسنا ! أعتقد أن المشاهدين يوافقوننى ، اذا قلت ان سير ريجنالد أقام الدليل - مرة أخرى - على قدرته الفذة فى كشف النقاب عن الرسامين الجدد الموهوبين ... ونحن فى الواقع نأسف لان الرسام نفسه ليس موجودا بيننا الآن ! »

وما أن أغلق « ريكى » الجهاز ، حتى اندفعت « ميلانى » نحوه ، وألقت بذراعيها حول عنقه وراحت تمطر وجهه وشفتيه بقبلاتها الحارة ، وما عتم الآخرون أن انضموا اليها مهللين مهنئين بالنصر الذى أحرزه ريكى ، ولكنه لم يشاطرهم رأيهم، بل بدا عليه الضيق والانزعاج !.. واذ رأت « دورين » ذلك خرجت به الى غرفتنا حيث لحقت بهما هناك ، وما أن أغلقت

البـاب حتى انفجر « ريكى » صـائحا : « ذلك الخائن ! لقد حضر الى ذلك الخنزير « رويهيمر » وطلب منى أن أقرضـه احـدى اللوحات ، لتزيين غرفته • والآن انظرا ماذا فعل ؟! »
فأجابته دورين : « لكنهم يحاولون اسداء خدمة اليك ! » •
ــ كلا •• بل انهم لا يخـدمون سوى أنفسهم ، اذ يعود اليهم الفضل ــ بهذا الذى فعلوه ــ فى اكتشافى !
ــ انك تملك موهبة نادرة ، ومن حق الجماهير أن تشاهد انتاجك !
ــ لست مستعدا بعد !
ــ ولكن ماذا يضيرك من هـذا كله ؟•• انه لا يعنى شيئا سوى أن هنالك من يهتمون بأعمالك ••• ولن يعوقك ذلك عن التقدم !
ــ انك لا تفقهين شيئا فيعالم الفن •• أتعلمين ماذا حدث لرسام يدعى « سوندرز » ؟•• لقد أقام معرضه الاول منـذ خمس سنوات ، فكتبتجريدة التايمز تقول انه أحسنرسام فى انجلتـرا •• وقد در عليـه ذلك المعرض ثلاثة آلاف من الجنيهـات ، لكنه ظل بعد ذلك سـتة شهور وهو لا يكتسب شيئا سوى المديح والتقريظ •• واذا ببعض النقاد يهاجمونه زاعمين أنه قد استنفد طاقته • ولما أقام معرضه الثانى ، باء بالفشل الذريع ، فأدمن علىالشراب ، ومنذ ذلك الحين لمتنتج ريشته لوحة واحدة •• !
ــ ومع هـذا أعتقـد أنه ينبغى ألا تحـكم على نفسك على أساس ما حدث لآخرين ••
ــ اننى لا أصدر حكمى علىنفسى ، بلعلىعالم الفن اللعين، ولست أرغب أن يعلق انسان يجهل الفن علىأعمالى بملاحظات وقحة ، زاعما أنه أدرى بما ينبغى ان أرسم ••!
ــ علىأية حال لا أعتقد أنالامر يبلغهذا القدر منالسوء •

ولا ريب أنه من الممتع أن يكون الانسان رساما مشهورا ٠٠!
فوضع « ريكى » يده فوق كتف دورين ، قائلا : « يافتاتى العزيزة ٠٠٠ لم تبادرنى أبدا بادرة من الشك فى أننى سأصير ذات يوم رساما ناجحا ٠٠ فعندما كنت فى السادسة عشرة تنبأ لى أحدهم بأننى سأصبح مشهورا ، فأجبته حينذاك بقولى : « اننى أعلم ذلك » ٠٠٠ وكنت أشعر منذ ذلك الحين بالثقة فى نفسى وبأننى سأحقق نصرا ، لكن التجارب علمتنى ماذا يأتى من التسرع اذا لم يكن الواحد منا على تمام الاستعداد لا للنجاح ولكن للمحافظة عليه ٠٠٠ »

وساد الصمت ، وتقدم « ريكى » نحو الباب ، فوضع يده فوق المزلاج ، ثم التفت الينا قائلا :

ـ سأقضى الليلة عند « ميلانى » ٠٠٠ لكنى لا اريد أن يعلم احد بذلك ٠٠!

- ٨ -

● **وأصبت** بالأرق فى تلك الليلة ، ولم أجد وسيلة الى النوم سوى استخدام الاقراص المنومة ، وكانت الساعة العاشرة عندما استيقظت ، فوجدت « دورين » تعد الشاى ، وقالت لى : « لقد عاد ريكى ليطلب منك أن تساعده فى أمر ما ، وقد اتصل سير ريجنالد تليفونيا ، قائلا انه سيحضر لزيارة ريكى ، ولكن صديقنا ريكى عزوف عن رؤيته ! »
كانت شمس الصباح المشرق قد غيرت شكل الغرفة ٠٠ حقا ، كان الاثاث لا يزال مغطى بالتراب ، والجدران فى حاجة الى تزيين ، لكن شيئا منعشا انبعث من خلال الاصوات الصادرة من الخارج ٠٠٠ أصوات الباعة المبكرين ينادون على بضائعهم ، وأصوات المشترين يساومون فى الاسعار ، وأصوات الاطفال يصخبون ويمرحون !

وبينما كنت احتسى الشـاى ، مسندا ظهرى الى الجدار ، متاملا خيوط الغبار السابحة فى شعاع من ضوء الشمس ٠٠ رحت اتأمل «دورين» وهي منهمكة في تنظيف الغرفة ، وقد علقت « مرولة » فوق فستانهـا ، فبـدت لى فى هيئة دبة المنزل ٠٠ وسالتها :

ـ هل تعتقدين أن جوان اعتـادت أن يشـاطرها الاغراب فراشها !؟

ـ اننى واثقة من أنها ليست من ذلك الطراز من النساء ٠

ـ وهل تحبذين تحرر الجيل الجديد وانطلاقه ؟

ـ كلا اننى أجد متعة فىمراقبتهم ، لكننى لا أطيقانتفكير فى أن أعيش حياتهم !

ـ اذن لماذا سمحت لى أن اشاطرك غرفتك ؟

ـ لأنك لست على شاكلتهم !

وأدركت بالطبع ما ترمي اليه ، وتأكدت من أمر واحـد ، وهو أننى مهمـا حاولت تغيير طبعى ، فاننى لن أستطيع أن أغير من الواقع شيئا ، ولن أستطيع أن اعيش وفقـا لنمط حيـاة « جيمز » وفلسفته عن الحرية ، واننى سواء أردت أم ابيت ، أعيش بعقلية البورجوازى ٠

ووصل سير ريجنالد بعد قليل ، وأبلغته دورين أن ريكى لا يرغب فى استقباله ، فأجاب بقوله : « اننى أقدر خوفه من هجوم النقاد عليه ، ولكن الامر ليس من المحتم أن يسير فى ذلك الطريق ، وأنا شخصيا أعتقد أنرسوم «ريكى» ممتازة ، وتنبيء عن موهبة دفينة ٠٠ » ثم التفت الى قائلا : « دعنـا من أمر « ريكى » مؤقتا ٠٠ أخبرنى : أترغب فى العمل معى ؟ »

ـ العمل معك ؟!

ـ أجل ، لقد ابتعت دارا صغيرة للنشر ٠٠

ـ لست أدرى ما نوع العمل الذى تطلبه منى ؟

ـ انني أعتزم نشر الانتـــاج الفنى والفلسفى ٠٠٠ ومن الطبيعى أن أتوقع من أصدقائى أن يسـاعدونى بمجهودهم ٠ ولن يكون العمـل طول النهـار ، بل سيكون ثلاثة أيام فى الاسـبوع وحسب ٠٠ ويتلخص المطـلوب منك فى أن تقرأ الأصول الواردة ، وأن تراجع البروفات، وهكذا ٠٠٠

ووجدت صعوبة فى تصديق أنالحظ قد ابتسم لى أخيرا ، لكنى حاولت أن أخفى لهفتى متظاهرا باللامبالاة ، وأجبته : « متى أبدأ ؟ » فقال : « من الغد » ٠٠٠ ولمحت النظرة التى بدت فى عينى دورين ٠ لم تكن أقل منى غبطة وسرورا ٠٠

وطلبت منى دورين أن أحاول اقناع « ريكي » بالتعـاون مع سير ريجينالد ، فبـادرت بالصعود الى غرفة « ريكى » ، الذى رفض فى بادىء الامر الاصغـاء الى منطقى ، وأصر على عدم مقابلة أحد ، ثمقال انه يعتزم الرحيل عنالمنزل ، باحثا عن مكان هادىء يستطيع فيه أنيتفرغ لعمله ، دون أنيزعجه أحـد ٠ فاقترحت عليه أن يقيم لنفسه قلعـة حصينة داخل المنزل ، يعجز الزوار عناقتحامها ٠ وعندئذ بدا الاهتمام على وجهه ، ثم قال :

ـ حقا اناقتراحك يبدو معقولا ٠٠٠ فبوسعى أن أقيم بابا بأعلى الدرج ، وأن أشيد هنا حاجزا ٠٠٠ ولكن هذه العملية تتكلف نحو عشرين جنيها لا أملك منها بنسا واحدا !

٠ ٠ فاقترحت عليه أن يقترض المبلغ من سير ريجنالد ٠٠ وهرعت الى أسفل وقد هزنى الطرب لنجاحمسعاى ، فوجدت سير ريجنالد يحملق فى قلق عبر النـافذة ، ودورين منهمكة فى تنسيق الفراش ، وأفضيتاليهما بنتيجةمسعاى ، فوافق ريجنالد فورا على اعطاء « ريكى » المبلغ ، ثم صعدنا جميعـــا الى غرفة « ريكى » ، واعتذر اليـه سـير ريجنالد عن اقدامه على عرض لوحته دون استشارته !

وكان ريكى اذا اقتنع بفكرة بادر بتنفيذها على الفور ، وهكذا نزل فى الحال وابتاع ألواحا خشبية وورقا مقوى ، وساهم كل منا قدر استطاعته فى تحصين القلعة ، حتى سير ريجنالد لم يجد غضاضة فى مساعدتنا فى دق المسامير .

وفى المساء فرغنا من البناء ، فطلب منى ريكى أن أستدعى « دروين » ، كى نشرب معا كأسا فى نخب « العزله فى القلعة » ، واذ كنا نحن الثلاثة نحتسى الكأس فى صمت ، سرى الدفء متوهجا فى قلبى .. انها كبرياء الرضا .. وتوهج الاحساس بالنجاح ، وبأن المرء حقق شيئا حيويا خالدا ، وكان أكثر ما أرضى كبريائى هو سلوك « ريكى » الذى ترك التزمت واتخذ من «دورين» ومنى صديقين حليفين، وهتف بى هاتف يقول انعلاقتى قد توثقت ـ أخيراً ـ بشخصين يستحقان أن يحتلا فى حياتى مكانا دائما !!

ورن جرس الباب مرتين ، فنظرت من النافذة ، وقلت لريكى : « انها فتاة ترتدى « بيريه » أخضر اللون » .. وصاحت دورين : « **ياللعنة .. نسيت أن أبلغك أن فتاة تدعى « بربارا » ، اتصلت بنا تليفونيا قائلة انها ستحضر بعد الظهر !** »

ـ بربارا ... ! لست أعرف أحدا بهذا الاسم ... قولى لها اننى لست بالمنزل .. !

ـ قالت انك وعدتها أن تستخدمها كنموذج لك ..

فضغط يده على صدغه وقال : «أوه يا الهى !! لقد تذكرت .. يحسن بنا أن ندعها تدخل .. »

وعندما خرجت « دورين » لفتح الباب ، نظر الى ريكى ، وقد ارتسم على وجهه تعبير الأسى والاستسلام ، ثم قال :

ـ أوه ... ها نحن نبدأ من جديد !!

الخالدون

عظماء.. في غير السياسة

عزيزي القارىء ...

في الاعداد السابقة قدمت لك في هذا الباب قصص حياة : ديفاليرا ، غاريبالدي ، باستير ، زولا ، ماركوني ، تشايكوفسكي ، فلورنس نايتنجيل ، مصطفى كمال اتاتورك ، مدام كوري ، شوبان ، موباسان ، كليوباترة ، ليدي هاملتون ، مختار ، ديكنز ، ماري أنطوانيت ، سارة برنار ، بيتهوفن ، موسوليني ، شيللي ، بلزاك ، بودلير ، تولوز لوتريك ، دستويفسكي ، موليير ، كونفوشيوس ، جوته ، بوذا ، موسى ، المسيح ، محمد ، رمسيس الثاني ، الملكة كريستينا ، د. ه. لورنس ، مدام دي بومبادور ، الكسندر ديماس ، مايكل انجلو ، ماري ستيوارت ، موزار ، سومرست موم ، مستنجيت ، شوبنهاور ، محمد عبده ، كاترين مانسفيلد ، ابو بكر الصديق ، مكيافيللي ، مريم المجدلية ، كاترين العظمى ، ريشليو ، دزرائيلي ، جواهر لال نهرو ، جوبلز ، فان جوخ ، اينشتاين ، والتر رالي ، سوزان انتوني ، فولتير ، قارون ، لافاييت ، عائشة زوجة الرسول ، صلاح الدين الايوبي ، المركيز دي ساد ، القديس بولس ، رفاعة الطهطاوي ، باسترناك ، بيكاسو ، فرانز ليست ، شفايتزر ، سارتر ، فلمنج ، سيمون بوليفار ، الامام الغزالي ، توماس مان ، تاجور ، انديرا غاندي ، بيكت ، مورياك ، جوركي ، العذراء مريم .

وفيما يلي اقدم لك حياة الموسيقى الايطالي : فيردي ..

من قصص حياة أساطين النغم

چيسپّي ڤيردي

واضع ألحان أوپرا "عايدة" و"ريجوليتو"

وعشرات من الأوپرات العالمية



VERDI (By : J. WARRACK)

الموسيقى الذى خلدته أوبرا ((عايدة)) ..

كان احد الحانه يوما اللحن الرسمى لدولتنا ، فيما قبل الثورة (السلام « الملكى » المصرى السابق) .. وكانت احدى « اوبراته » ـ وهى الاوبرا المصرية الفرعونية «عايدة» ـ رمزا لحدث هام فى تاريخنا ، هو افتتاح قناة السـويس . ومع ما اقترن بالعهد الذى كان اللحن يرمز اليه، وما صاحب الحدث الذى كانت ((الاوبرا)) من معالمه البـارزة . مع ما اقترن بهما من ذكريات أليمة ، فان الاذن لا تزال تطرب لذلك اللحن كمجموعة من الانغام المتناسقة ، المنسجمة ، التى تدل على عبقرية فنية .. وما زالت ((الاوبرا)) تشهد له بانه اعظم استاذ للاوبرا الايطالية .. بل العالمية .

ذلك هو ((جيسيبى فيردى)) .. وقد لا تعرف عنه الكثير، برغم علاقته هذه بتاريخنا الحديث ، فيما قبـل الثـورة ، وبرغم ما كان له من دور رئيسى فى تحرير بلاده !

فتعال معى نتعرف عليه فى الصفحات التالية :

العبقرى .. بين حياته العامة والخاصة

● من العباقرة من تطغى أعماله على اسمه وسيرته بعد موته ، فأنت قد تعرف أعماله ، ولكنك لا تكاد تعرف الكثير عنه هو شخصيا .. ومن هؤلاء « **جيسيبى فيردى** » . فهو قد يغيب عن أذهان الكثيرين من عشاق الفن الذى برز فيه ـ وهو التلحين للاوبرا ـ ولكنهم حين يسمعون شيئا من موسيقـــاه ، التى وصفت بأنها « أكثر اشكال الموسيقى استثارة للمشاعر » ، تهفو أذهانهم اليه ، وتتطلع عقولهم اليه فى اعجاب وتقدير ، كواحد من أعظم ملحنى الاوبرا فى العالم ..

ذلك لان « فيردى » لم يحاول أن يقلد سواه ، ولا أن يتحدى غيره ممن كانوا لامعين فى عالم الموسيقى ٠٠ **وانما كان يتأمل الحياة الانسانية بعين واعية ، نفاذة الى الاعماق ، ثم يعكس ما يرى على ذهن واع ، ميال الى المرح** ٠٠ وكانت حيــاته على نقيض حياة معظم المبرزين فى ميدان التلحين : كانت طويلة، مليئة بالاعمال الموفقة ، والانتصارات المجيدة ، وألوان التكريم ٠٠ فاستطاع ــ وهو على قيد الحياة ــ أن ينتزع اعجاب قومه واكبارهم ، واستطاعت أعماله أن تبقى بينهم ــ بعد موته ــ تراثا قوميا ، وان تنتشر خارج بلادهم لتصبح تراثا ثقافيــا للانسانية كلها ٠٠

وكانت عظمته شخصية وفنية فى آن واحــد ، لم تشبهــا كراهية أو سخط فى أى من ناحيتيهــا ، ولم تضــف عليهــا الانفعالات العاطفية رواء مصطنعا ، كما فى حياة كثيرين من العظماء ٠٠

مولده فى ظل مذابح النمسويين !

● **فى الدقائق** الفاصلة بين التاســع والعــاشر من شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ ٠٠ وفى فندق بسيط ، يعلو حانة صغيرة، فى قرية متواضعة من ريف ايطاليا تدعى (ليــه رونكولى) ــ بالقرب من مدينة (بوسيتو) ، بدوقية (بارما) ــ ولد « جيسيبى » ، لوالد كان يمتلك ذلك الفندق ٠٠

وكانت ايطاليا اذ ذاك مقسمة الى اقطاعيات ودوقيات صغيرة، تشيع فيها الفرقة ويستشرى فيها النفوذ الاجنبى ، فان بدء أفول نجم نابليون جعل القوات النمسوية والروسيــة تنطلق لتجتاح كل أثر بقى من نفوذ الفرنسيين ٠٠ ومع أن (ليــه رونكولى) كانت قرية منزوية ، الا انها لم تغب عن أنظار القوات

النمسوية ، فاذا بفصائل من هذه القوات تندفع الى القرية .. ولاذ بعض أهلها بالفرار ، بينما لجأ بعض آخر الى حمى كنيسة القديس ميشيل . واذا الجنود يهاجمون الكنيسة ، فيعملون التذبيح فى النساء والاطفال المحتمين بها !

امرأة واحدة من نساء القرية كانت اذكى من سواها ، فان اعتزازها بحياة وسلامة طفل صغير كانت تضمه الى صدرها ، دفعها الى أن تتسلل الى برج الاجراس ، فتنكمش بطفلها فى ركن من أركانه ..

تلك كانت زوجة صاحب الفندق الصغير والحانة المتواضعة .. وكان الطفل هو « جيسيبى فيردى » .

القيثارة التى أدخلته الى عالم الموسيقى

● **ونشأ** « فيردى » بين قوم بسطاء ، متواضعين ، يعمل الرجال منهم فى الحقول ، حتى اذا آبوا آخر النهار ، لم يجدوا ندوة تضمهم خيرا من حانة « كارلو فيردى » — والد الطفل — حيث تغسل كؤوس النبيذ متاعب النهار .. ولم يكن فى تلك البيئة ما يذكى فى الطفل موهبة ونبوغا ، ولكن كانت فيها قيم بسيطة ، واضحة المعالم ، درسها واستوعبها منذ حداثته .. فقد كان « فيردى » ذكيا ، محبا للعزلة ، لا يخالط أقرانه ولا يشاركهم ألعابهم ..

والهم القدر أباه ، اذ لاحظ كيف كان الصبى يصغى فى شغف الى عازف كمان متجول ، كلما مر أمام الحانة ، فابتاع لجيسيبى أداة صغيرة ذات أوتار ، أشبه بالقيثارة .. فاصبحت خير زميل للصغير فى وحدته . وقد ظل يحتفظ بها طوال حياته.

.. ومن الطريف أنه كاد يحطمها يوما ، لسبب عجيب . ذلك انه كان يعبث بأوتارها ، فاذا بأحد هذه الاوتار يصدر

نغما طرب له الصغير أيما طرب ٠ فعاد يحاول الحصول على هذا النغم مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع ٠ وفى غيظه واستيائه، هم بأن يحطم اداته الحبيبة ، لولا ان وفد عليه أبوه مصادفة، فأنقذها من نقمته ، وعلمه ان الانسياق للغضب لا يمكنه من أن يتعلم شيئا !

يعزف الارغن وهو فى العاشرة

● **ومرة أخرى** ، أراد أبوه أن يرضى شغفه بالموسيقى ، وان يعده - فى الوقت ذاته - للمستقبل ، فأرسله الى قس القرية ليعلمه كى ينشأ فى خدمة الكنيسة ، وليكون كذلك على مقربة من الارغن ٠٠ ولكن الغلام كان أكثر اهتماما بأنغام الارغن منه بالطقوس الكنسية ٠٠ وقد حدث يوما أن بهرته الانغام ، وهو ممسك بالماء والنبيذ للقس ، فانسكبا منه ، فما كان من القس الا أن أخرجه من نشوته بركلة جعلته يتدحرج على سلم المذبح !

وعلى يدى « بايستروتشى » - عازف ارغن الكنيسة - أخذ الغلام يتلقى دروسا استوعبها بسرعة مدهشة ، فحذق العزف على هذه الآلة ، حتى اذا مات « بايستروتشى » ، حل محله بسهولة ، وهو فى العاشرة من عمره !

وفى تلك الاثناء ، أرسله أبوه الى بلدة (بوسيتو) ، ليتردد على مدرستها ٠ وقدر له أن يقيم لدى بدال يدعى « انتونيو باريتسى » كان عضوا عاملا فى جمعية محبى الموسيقى بالبلدة ، مما أتاح للغلام أن يصغى الى الموسيقى ، والى حديث الموسيقى ، وأن يتدرب على العزف ٠٠ وفى يوم الاحد من كل أسبوع ، كان يقطع على قدميه ستة أميال ، ليصل الى قريته ويعزف على أرغن الكنيسة ٠٠

يؤلف الالحان وهو فى الخامسة عشرة !

● **واخذ** « باريتسى » يرعاه ويشجعه ، حتى اذا ألف فرقة موسيقية ، وأحضر لها « بيانو » من (فيينا) ، انفسح المجال امام الصغير .. **كان يسمع الالحان ، ويتدرب على العـزف ، ويشترك فى نسخ (النوتة)** .. وكان فى البـلدة مسرح ، اشتركت الفرقة الموسيقية مع الفرقة التمثيلية التى كانت تعمل فيه ، فاتيحت لجيسيبى تجربة جـديدة ، هى تطويع الالحان لتتمشى مع التطورات «الدرامية» لما كان يمثل على المسرح ..

وبدأت موهبـة التأليف تتفتق فى نفسه ، فشرع ـ فى سنة ١٨٢٨ ـ يؤلف ألحـانا للفرقة .. **وعنـدما اخرجت « حـلاق اشبيليه » على مسرح البلدة ، كانت الافتتاحية التى سـبقت الفصل الاول ، من تأليف « جيسيبى فيردى »** ! .. وكانت من الروعة بحيث استأثرت بالاعجاب الذى أخذ ينمو فى البلدة ، فيشد من أزر الموسيقى الصغير ، ويشجعه على المضى فى تأليف الالحان .

ولم تحن سـنة ١٨٣٢ ، حتى كان الفتى قد بلغ التاسـعة عشرة من عمره ، وكان قد استوعب كل ما يمكن أن يتيحـه « باريتسى » وجمعية محبى الموسيقى له من معرفة ، وبدت عليه مخايل تنم عن أن موهبته الموسيقية لا تزال دفاقة ، ومن الغبن أن تظل حبيسة فى جداول الفرص المحدودة التى كان يوفرها مجتمع البلدة المحلى ..

كل هذا لاحظه « باريتسى » الذى أحب الفتى ، لا سيما حين لاحظ تآلفا قويا يجمعه بابنته « مرجريتا » .. لذلك لم يتردد الرجل فى أن يدفع الفتى قدما ، فأوفده الى (ميلانو) ، المدينة الكبيرة التى كانت ـ ولاتزال ـ العاصمة الموسيقية لايطاليا .. وتكفل بنفقات تعليمه واقامته هناك .

وفى (ميلانو) ، حاول « جيسيبى » أن يلتحق بمعهد الموسيقى . ولكنه أخفق فى الامتحان الذى عقد له ، **فكان لهذا الاخفاق وقع أليم على نفسه ، كاد أن يثبط من تحمسه ، لولا أن الممتحنين أشادوا بموهبته ، وعزوا رسوبه الى جهله بالقواعد والنظريات ، فأقبل يدرس القواعد الاولية للموسيقى على أستاذ فى ميلانو يدعى (لافنيا) ، كان يرأس فرقة دار أوبرا « لاسكالا » .**

وقضى فيردى عامين فى دراسة دائبة ، دون أن يشغله هذا عن أن يؤلف لحنا ، بين وقت وآخر ، يغذى به فرقة « باريتسى » فى (بوسيتو) .. الى أن سنحت فرصة كانت خير دعاية له . فقد صادف أن كانت « جمعية ميلانو الوترية » تجرى التجارب فى دار الاوبرا ، لاخراج أوبرا للموسيقى « هايدن » . وذات يوم تغيب عازف « البيانو » ، فدعى « جيسيبى » الى العزف بدلا منه .. وألفى نفسه يعزف بيد واحدة ، ليشير باليد الاخرى للفرقة يقودها ، مما بهر « ماسينى » المخرج ، فعهد اليه بالعزف فى الحفلة العامة التالية !

فتاة احلامه .. والاوبرا الاولى

● **على أن** الحنين الى « مرجريتا » الحسناء كان لا يفتأ يلح عليه كى يعود الى (بوسيتو) ، ثم وجد ما يحفزه الى العودة فورا عندما نعى اليه عازف أرغن كنيسة البلدة ، فلم يتوان فى أن يضحى بالاضواء التى كانت قد بدأت تسلط عليه ، وأسرع الى (بوسيتو) .

ولكن الاحداث التى صادفته فى البلدة كادت تخيب آماله : اذ صادف منافسا على منصب عازف الارغن ، ولم تكن منافسة عادلة ، اذ كان المسئولون فى الكنيسة يحابون غريمه . ولكن

كفاءة « فيردى » استطاعت أن تكفل له الفوز بالمنصب .. ثم أعقب ذلك فوز أكبر .. فوزه بمرجريتا الحسناء ، فعقد قرانهما فى مايو سنة ١٨٣٦ .

ولم ينسه عمله ، ولا شغلته عروسه عن الحلم الذى كان يراوده .. حلم وضع « أوبرا » يسكب فيها اشهى أنغامه . واستطاع « فيردى » أن يفرغ من أول « أوبرا » من تاليفه ـ وهى « أوبيرتو » ـ فى سنة ١٨٣٩ ، فحاول أن يعرضها فى (بارما) ، ولكنه لم يجد ترحيبا ، فلم يلبث أن حملها واصطحب زوجته ـ التى كانت اذ ذاك فى الثامنة عشرة ـ وسعى الى (ميلانو) . وهناك ، وجد عناء حتى اقتنع مدير دار أوبرا « لاسكالا » بقيمتها الفنية ، فتقبلها منه ، بعد أن كاد الشاب يستسلم لليأس ، ويرتد بعروسه الى (بوسيتو) .

وعرضت أوبرا « أوبيرتو » فى نوفمبر من ذلك العام ، فلقيت نجاحا لا بأس به ، أغرى مدير دار الاوبرا على أن يتعاقد مع « فيردى » على ثلاث أوبرات جديدة ـ احداها هزلية ـ يقدمها على فترات مداها ثمانية أشهر لكل واحدة .

سلسلة من الصدمات ..

● **وكان** عليه أن يفرغ من « الكوميديا » أولا ، فعكف ـ فى تحمس واستغراق ـ على العمل فى الاوبرا ، التى عرفت فيما بعد باسم « ملك ليوم واحد » . ولكن النحس شاء أن يرافقه فى تلك الفترة : فقد لازمه المرض ، ونفدت نقوده ، واضطرت « مرجريتا » الى أن ترهن الكثير من حليها وأمتعتها .. ثم استأثر الموت بالطفلين اللذين كانا ضياء بيت الزوجين ..

ولكن سوء الطالع لم يكتف بكل هذا ، فاوعز الى الموت

فاختطف « مرجريتا » بعد مرض شديد •• وبقى « فيردى » وحيدا ، معلولا ، ذاوى القوى •• جسديا ومعنويا وروحيا •
لذلك لم يكن ثمة عجب فىأن تفشل الاوبرا الكوميدية • وكان فشلها صدمة جديدة زعزعت مابقى للارمل الشاب من رجاء ، فقرر أن يكف عن التلحين ، وأن يتكسب عيشـــه بتدريس الموسيقى ، واعداد المغنين •

ولكن « ميريللى » ـ مدير أوبرا « لاسكالا » ـ كان يرعاه عن كثب ، فى ارتقاب فرصة مناسبة يرده فيها الى صوابه ، ويذكى ـ من جديد ـ جذوة نبوغه •• وذات مساء ، دفع اليه بقصة شعرية عن « نبوخذ ناصر » ، وما زال به حتى أقنعه بأن يقرأها • وشرع « فيردى » فى قراءة القصة ـ فى ذلك المساء ـ من قبيل الفضول ، فاذا أسلوبها يبهـره ، فلم يدعهـا حتى أتى عليها ، ثم ظل بقية ليله يفكر فيها ، وفى خياله أنغام تتدافع !

الخيط الرفيع •• بين اليأس والنجاح !

● **بيد أن** النهار جلب معـــه الهموم ، فعادت تثقل روح الموسيقى المحزون ، واذا به يرد القصة الى « ميريللى » • ولكن هذا أبى أن يقبل منه أى اعتذار ، ولم يدخر وسعا فى مقاومة القنوط الذى كان مستوليا على « فيردى » •• وقد صدق حدسه ، ونال جزاءه بعد أيام ، اذ أتاه « فيردى » وهو يتأجج حماسا وحمية ، **ثم راح يعمل كالمحموم ، حتى أخرج الاوبرا التى عرفت باسم « نابوكو » ، والتى افتتحت فى « لاسـكالا » فى مارس سنة ١٨٤٢ ، فاذا بها تصيب نجـاحا هائلا ، كان بداية مجد « فيردى » كملحـن (أوبرا)** •• ولم يكن قد انقضى عامان على فشل « ملك ليوم واحد » ، حين وجد الموسيقى الشاب نفســه .

محمولا على أمواج المجد الذى ظن ـ فى أويقات أساه ووحشته ـ أنه قد طلقه !

ولقد تبدو ألحان « نابوكو » اليوم ـ بعد ١٢٠ سنة من وضعها ـ بسيطة .. ولكنها عندما وضعها « فيردى » ، أتاحت للايطاليين ماكانوا يحبونه ويتوقون اليه : ألحانا واضحة ، صافية ، سهلة الاداء والغناء ، يشيع فيها الشجن المستعذب . وثمة شيء آخر استهوى الايطاليين اذ ذاك : فان الذين استمعوا الى « الاوبرا » وشاهدوها كانوا شعبا حزينا ، أمضه الهوان ، وأذله الخضوع لجور محتل أجنبى ، فوجد فى أنين شعب مغلوب على أمره ـ فى القصة ـ صدى لأنينه .. ووجد فى مصير ذلك الشعب حافزا له على التربص للغاصبين ..

الحان تحيى روح الثورة فى النفوس

● **وجاءت** « الاوبرا » التالية تذكى روح التحفز أكثر وأكثر .. كان عنوانها : « اللومبارديون » ، وكان موضوعها يحرك زهو أبناء (**لومبارديا**) ـ وهم من الايطاليين ـ ويذكرهم بدور أجداد لهم فى الحملة الصليبية الاولى .. فاذا الحمية تدب فى نفوسهم ، مما أثار جزع السلطات ، فحاولت أن تجرى فيها تعديلات تخفف من قوة ماكان فيها من تحريض : **ولكن «فيردى» أبى كل الاباء ان يغير كلمة واحدة أو نغما واحدا !.. وهنا ارادت السلطات ان تصادر « الاوبرا » ، ولكن « ميريللى » استطاع ـ بلباقة ودهاء ـ أن يقنع المسئولين بأن المصادرة جديرة بان تنبه القوم ، وأن تثيرهم ، وان تكون وقودا جديدا للثورة !**

وظلت « الاوبرا » تعرض ، وألحانها تغوص فى أعماق الناس وفي أذهانهم ، ثم تروح تتردد على ألسنتهم ، فيزدادون اكبارا

لمؤلفها ، وينظرون اليه كثائر ، وليس مجرد موسيقى .. ثائر يعبر عن ثورته بالانغام !.. وهكذا امتزجت السياسة بالفن. وكثيراً ماتمتزج السياسة بالفن تحت ضغط أو قهـر ، ولكنه يكون امتزاجا مصطنعـا ، زائفـا ، فى أغلب الحـالات .. **أما امتزاج فن « فيردى » بالسياســة ، فكان نابعا من عاطفة قوية ، أصيلة ، منبعثة من أعماق قلبـه ونفسـه** .. ولم يكن « فيردى » مضطرا الى أن يذلل معايير الفن من أجل السياسة ، لأن موسيقاه كانت تصدح بولائه الطبيعى لوطنه .

« أوبرات » تلهب الروح الوطنية

● **واتبع** « فيردى » أوبرا « اللومبــارديون » ، بأوبرا « هرنانى » المأخوذة عن رواية (فيكتور هيجـو) الخالدة .. وكانت المشاعر الســياسية قد هاجت فى صدور الايطاليين وعقولهم ، **فلم يروا فى « هرنانى » مجرد قصة غرامية ، وانما رأوا فى فرار البطلة من عاشق لجوج ، لحوح ، رمزا لبـلادهم وهى تصد النمسويين ، وترفع عنها النير ..**

ولقد كانت « هرنانى » من الناحية الفنية ، مرحلة من مراحل تقدم « فيردى » وتكشف عبقريته .. ولكن الايطاليين انساقوا الى المغزى السياسى الذى استخلصوه لانفسهم منها ، وكان هذا ـ فى حد ذاته ـ دليلا على تململ النفوس وحيرتها . فقد كانت آية محاولة لطرد الاجنبى بالقوة ، خليقة بأن تقابل بقوة أشد ، وببطش جبار لا رحمة فيه .. **على أن « ماتزينى » ـ البطل الوطنى الذى عانى جور المستعمرين ـ كان قد نفث آراءه فى « فيردى » ، فلم يعوز « فيردى » السلاح ، بل أنه صاغه من موسيقاه ، فاذا به أقوى من السيف والمدفع ..**

وأصبح الجمهور يبحث عن المغزى السياسى فى أوبرات

« فيردى » ٠٠ فلما ألف أوبرا « اثنان من فوسكارى » ـ المأخوذة عن مسرحية لبايرون بهـذا الاسم ـ ثم أتبعهـا بأوبرا « جان دارك » ، رأى الايطاليون فى الاثنتين قبسـا من الامل فى أن السماء قد تساعدهم ، فتهبهم القدرة على الجهـاد فى سـبيل وطنهم ٠٠

ومع ذلك ، فان هذه « الاوبرات » المتتابعـة ، لم يكن سبب نجاحها أن « فيردى » تعمد أن يجعلها مواعظ أو دعوات وطنية على حساب الفن ، وانما لأن عواطفه الوطنية كانت تنساب فى أنغامه وهو يحاول أن يرقى بفنـه الى أعلى مراقى الابداع ٠٠ وهذا ـ فى حد ذاته ـ كان دليل العبقرية الكامنة فى أعماقه ٠

يرجىء المجد ٠٠ فى سبيل الخبرة !

● **ولم يكن** « فيردى » متسرعا فى سعيه الى المجد ، بل لعله كان يتعمد أحيانا أن يبطىء السعى ، ريثما يستوثق من خطاه ٠٠ وقد شرح نهجه هذا ـ فيما بعد ـ بقوله : « لست موسيقيا عظيما ، وانما أنا موسيقى واسع الخبرة » ٠٠ **وهكذا كان أهم أهدافه أن يكتسب الخبرة والتجربة أولا ٠٠ وكان هذا ـ فى حد ذاته ـ يعجل بتقدمه ، برغم ما كان يتعمده من ابطاء !**

وبينما كان فيردى يكتسب براعة فى وضع « الاوبرات » ، كان صيته يذيع وينتشر فى كافة أرجاء ايطاليـا ٠٠ ولم يعد الاخفاق يثبط عزيمته ٠ فان فشل « الاوبرا » التى أعقبت « جان دارك » ـ وكان اسمها « السيرا » ـ لم يفت فى عضده ، كما حدث عنـد فشل أوبرا « ملك ليوم واحد » ، بل زاده نشاطا وهمة ، **فلم تنقض سبعة اشهر ، حتى خرج على الناس بأوبرا « اتيلا » التى كانت نصرا جديدا ٠٠ ثم اتبعها ، بعد عام ، بابدع أوبراته الاولى جميعا ، وهى « ماكبث » ، التى**

عرضت فى فلورنسا فى مايو سنة ١٨٤٧ .

ولم يكن « فيردى » يعرف الانجليزية ، ولكن ترجمة متقنة لمسرحية « ماكبث » كانت قد وقعت بين يديه ، فأرست فىقلبه حب « شكسبير » الى آخر حياته .. وقد بلغ فى هذه « الاوبرا » مستوى أرقى من كل مابلغه فى سابقاتهـا ، اذ كان الترابط بين الموسيقى والقصـة أقوى وأوثق . **ومع انهـا ليست أروع انتاجه على الاطلاق ، الا أنها تعد أسمى تحفة فى انتاجه حتى سن الثالثة والثلاثين . كما أنها كانت بداية نهـج جديد فى أسلوبه ..**

وقد بلغ من تأثر « فيردى » بماكبث ، أنه لم يرض عنها كل الرضا ، بدليل أنه عاد فأجرى فيها تنقيحا ـ فى سنة ١٨٦٥ ـ فجعلها بالشكل الذى ظلت عليه بعد ذلك ، الى يومنا هذا .

موعد مع المجد ..

● **وعرف** « فيردى » عالما أوسع من حدود بلاده .. فسـافر الى لندن ، ومنها الى باريس .. ولكن الحـانه لم تلق الا نجاحا متوسطا .. وبينما كان فى باريس ، نمى اليه أن فى بلاده محاولة جدية للتخلص من ربقة النمسويين ، فأسرع بالعودة . وانصرف عن محاولات كان يبذلها ليجعل من مسرحيتى شيكسبير « الملك لير » و « هامليت » مادة لتحفتـين جـديدتين من أوبراته ، وعكف على أوبرا ذات مضمون سياسى ، يذكى ثورة قومه ، وقد اختار لموضوعها الفترة التى هزم فيها حلف ولايات (لومبارد) امبراطور النمسا « فردريك برباروسا » ، فى سنة ١١٧٦ . وفعـلا قوبلت أوبرا « **معـركة لنيانو** » بحماس هائل . بيـد أن الثورة أخنقت فى سنة ١٨٤٨ ، وتبدى الأسى القانط الذى

اكننف نفس « فيردى » فى الاكتئاب الذى ســـاد أوبرا « لويزا ميلر » ..

ولكن الأسى كثيرا ما يكون تمهيدا لتالق المجد .. وهذا ما صادف «فيردى» فعلا ، فما أن عرضت أوبراه التالية « ريجوليتو » ـ فى سنـــة ١٨٥١ ـ حتى أذاعت صـيت الموســيقى الايطالى ، فى كل مكان .. وكان قد أخذها عن قصة فيكتور هيجو : « الملك يلهو » .. وقد أثار موضوعها شكوك السلطات ، فلم يستطع « فيردى » أن يتغلب على معارضتها الا بعد مفاوضات طويلة . وذهل الناس للترابط الرائع بين الالحان والشخصيات . ولم يلق لحن من ألحان «فيردى» ما لقيه لحن أغنية «المرأة المتقلبة» فى هذه الاوبرا .. لا ســيما فى نهايتــه الدرامية ، التى صاحبها ـ على المسرح ـ انهيــار المهرج الأحدب على الـكيس الذى كان يعتقــد أنه ضم جثـــة الدوق الذى غرر بابنتـــه ، فاذا به يكتشف انه انما قتـل ابنته ذاتها خطأ ، اذ انهـا ضحت بنفسها لتفتدى حبيبها !

« لاترافياتا » و « التروفاتورى » بعد « ريجوليتو » !

● **وكانت** « ريجوليتو » طالع الســعد له ، فاذا أوبراه التالية «**التروفاتورى**» ـ الشاعر الهائم ـ تلقى نجـاحا باهرا فى سنة ١٧٥٣ .. وتعزز هذا النجاح ـ فى العـام ذاته ـ بأوبرا أخرى ، هى « **لاترافياتا** » ، التى أخذها عن « غادة الكاميليا » .

ومن الطريف حقا أن « لاترافياتا » صادفت فشلا عنـد عرضها للمرة الاولى ، ثم ظهر أن فشـلها كان راجعا الى عدم ملاءمة المغنين للادوار ، فلما أعيد عرضها ، بدأت مفاتنها الموسيقية تتألق .

وكان ((فيردى)) يجاوز الاربعين من عمره ، وقد بلغ القمة بعد عناء وكفاح.. فآثر أن يستجم ـ خلال السنوات الخمس التالية ـ فى ضيعته بجهة « سانتا أجاتا » ، حيث انصرف الى الفلاحة والسياسة .. فيما عدا فترات زار فيها باريس ، ووضع بعض الالحان ، منها ((الليالى صقلية)) ، التى كلفته الحكومة الفرنسية بوضعها خصيصا للمعرض الكبير الذى أقيم فى باريس فى سنة ١٨٥٥ . بيد أن مؤلفاته ـ فى تلك الفترة ـ لم تلق النجاح الذى يتناسب مع نجاحه فى « ريجوليتو » و « لاترافياتا » ، بسبب شواغله السياسية ..

الزوجة الثانية .. أحبته حب الأم !

● وفى تلك الاثناء ، كان الحنين الى الحب قد راود قلب « فيردى » ، فتعلق بالمطربة التى قامت بالدور الاول فى «اوبيرتو» ـ احدى أوبراته الاولى ـ فقد كانت «جيسبينا ستريبونى» تعطف على فيردى وتشجعه . وكان هو يرتاح الى صحبتها ، حتى أنهما لم يلبثا أن وحدا معيشتهما ، وعرفت « جيسبينا » باسم « سنيورا فيردى » لسنوات طويلة ، قبل أن يتوجا ارتباطهما بالزواج فى سنة ١٨٥٩ .

والحق ان «جيسبينا» كرست كل حياتها لزوجها الذى كان صعب المراس ، وراحت تستحثه على الانتاج ، وتحرص على ان تكون أول من يغنى كل لحن يضعه .. واستطاعت أن تفهمه حق الفهم ، فتنظم له حياته أدق تنظيم ، وتوفر له الجو الذى يحفزه على الانتاج ، ويبعث فيه الالهام .. ولم يكن مقدرا لها أن تنجب أبناء ، فاتخذت من زوجها ابنا توفر له حدب الأم ورعايتها ... وهكذا لم يكن زواجهما

زواج عاطفة ورغبة ، وانما كان حبا حقيقيا عميقا ، وزمالة صادقة وطيدة .

وكان الشيء الوحيد الذى أخفقت جهودها فيه ، هو تحسين ذوقه وحمله على توسيع ثقافته وتعميقها . فقد ظل «فيردى» وفيا لفطرته الريفية ، متشبثا بالتواضع والبساطة ، مقدرا لقيمة النقود ، وان لم يجعله هذا التقدير ضنينا ، فكان يهب الكثير للبر والخيرات ، حتى أنه وقف ما تدره ألحانه بعد موته ، للانفاق على ملجأ للموسيقيين المسنين ، لا يزال قائما فى داره بسانتا اجاتا .

أوبرا « عايدة » : التاج الاكبر لمجده !

● **وكان** رسول المجد الثاني لفيردى ، بعد «ريجوليتو» ، أوبرا ((**عايدة**)) ، التى قدر لها أن تكون من أشهر الاوبرات العالمية ، والتى كلفته حكومة (مصر) باعدادها لحفل افتتاح دار « الاوبرا » بالقاهرة ، بمناسبة افتتاح قناة السويس ، وعرضت (لأول مرة فى العالم) فى القاهرة ، فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٧١ .

وبالرغم من المبلغ الضخم الذى عرض على فيردى باسم «الخديو» ، فان «فيردى» رفض — فى البداية — الاضطلاع بالمهمة ، سيما أن مؤلف القصة « مارييت » (١) كان يومئذ

---

(١) ماريت ((اوجست ادوار)) (١٨٢١ — ١٨٨١) ، او ((مارييت باشا)) ، هو العالم الفرنسى الذى تخصص فى آثار بلادنا ، وتولى ادارة مصلحة الآثار المصرية ، وسمى باسمه الشارع الملاصق لمبنى المتحف المصرى بميدان التحرير بالقاهرة . و ((مارييت باشا)) هو مكتشف معبد (السرابيوم) بالقرب من سقارة، ومقابر (عجول ابيس) ، فى عام ١٨٥١ . وهو مؤلف قصة أوبرا ((عايدة)) الفرعونيه التى وضع ألحانها الموسيقى الايطالى (فيردى) .

سجينا في باريس التي حاصرتها الجيوش الألمانية . **بيد أن روعة القصة وابهتها لم تلبثا أن استهوتا «فيردي» ، فقبل المهمة ، وانصرف اليها بكل قلبه وعبقريته ، فجاءت بمثابة التاج الذي كلل حياته الفنية ..**

والحق أن «فيردي» كان قد استكمل نضجه الفني ، وسيطر على أساليب التركيب الدرامي ، والتصوير الموسيقي ، والجمع بين العنصرين في اتزان يزيدهما قوة وروعة ، بدلا من أن يسمح لأحدهما بأن يطغى على الآخر ..

وكان زميله الموسيقي « روسيني » قد مات قبل أن تعرض « عايدة » بثلاث سنوات ، فاقترح « فيردي » أن يشترك كبار الموسيقيين الايطاليين — عن بكرة أبيهم — في وضع موسيقى قداس لتكريمه . وبينما تقاعس زملاؤه في أداء هذه المهمة ، راح هو يبني لحنه شيئا فشيئا ، حتى اذا توفي الشاعر الايطالي « اليسندرو مانسوني » ، لم يحتمل «فيردي» أن يحضر جنازته ، لفرط حبه اياه .. وعندما تمالك نفسه ، ذهب الى قبره .. **وبجوار القبر «تصاعدت صيحة من قلبي تدعوني لان ابذل كل ما في طوقي لتكريم هذه النفس العظيمة » . فعكف على لحن القداس يتمه في الذكرى الاولى للشاعر ، فاذا له روعة اعترف بها كبار موسيقيي العالم .**

بيد أن اللحن ، في ذاته ، أثار طائفة من الاحقاد ضد « فيردي » الذي استجمع فيه كل ما اكتسبه من خبرة بفنون المسرح ، في التصوير الموسيقي الدرامي ليوم الحساب ، في وضوح تام ، رهيب ، كاد يمس فيه الامجاد القدسية ، وكشف لكثيرين من الذين كانوا يلتفون بأستار التدين ، عن حقيقتهم ، فتجلت لهم نفوسهم عارية مجردة ..

الايمان يعود الى قلبـــه .. اخيرا .

● **وكان** من حسنات « عايدة » أن جمعت بين «فيردى» والأديب«بواتو»الذى أوتى من عمق الثقافة وروعة النظم ما جعل أوبرا «نيرون» وأوبرا «ميفيستوفل» تحفتين ..

ثم عاود « فيردى » الحنين لشيكسبير ، فاستهوته « **عطيل** » .. لكنه تردد ازاءها متهيبا ، وقد اخذت الشيخوخة تثبط حميته .. ثم لم يلبث أن اقدم عليها ، معتزما أن تكون آخر اعماله . وكان مجرد تسرب نبأ هذا العزم سببا فى اثارة ضجة وشوق لدى الرأى العام ، الى أن قدر لها أن تعرض فى (ميلانو) فى فبراير سنة ١٨٨٧ .

.. واجتمعت عبقرية شيكسبير ، وبواتو ــ الذى ترجم الحوار الشعرى ــ وفيردى ، فاذا «عطيل» تصل بالاخير الى السماء العليا للمجد ..

ولم يستطع «فيردى» أن يبر بوعده ويهجر التـــأليف بعدها .. وكان « روســـينى » قد عاب عليه يوما أنه لم يكن ليجرؤ على أن يعـــالج «اوبرا» كوميدية ، فاذا به يختـــار «**فالستاف**» .. وقدر لها ــ من الناحية الموسيقية ــ أن تسجل تقـــدما يفوق الذى أحرزه فى « عطيـــل » .. بيد أن «فيردى» ــ الذى كان قد بلغ الثمانين ــ لم يغفل عن أن الجمهور قد استقبلها بحماس قل كثيرا عما اســـتقبل به « عطيل » و « عايدة » . ومن ثم قرر ــ مرة أخرى ــ أن تكون آخر انتاجه .. وانصرف بعدها الى بعض الالحان الدينية القصيرة ، التى نمت عن أن الايمان عاد يغمر قلبه .

مائتا ألف يشيعون جنازته

● **وعنـدما** توفيت زوجته الثانية « جيسبينا » ـ فى نوفمبر سـنة ١٨٩٧ ـ ظل فترة يجوس خلال داره وهو يغمغم : « مسكينـة بيبينـا ·· راحت ! » ·· ثم أحس أن نهايته هوالآخر قد دنت.. وتحالف الحزن ، مع الشيخوخة والعجز ، فاذا صحته تتدهور .. وفى أواخر سنة ١٩٠٠ ، بدأ يشكو من قلبه ، ومن الأرق المستمر ..

وبينما كان يرتدى ثيابه فى (ميلانو) ، ذات صباح ـ أثناء زيارة قام بها للمدينة فى ينـاير سنة ١٩٠١ ـ أصـيب بالفالج .. **وأخذ البريد يحمل الرسـائل الملهفة من كافة ارجاء أوربا ·· وتجمعت الحشود حول الفندق ، ممسكة انفاسها فى صمت وقلق رهيب ·· بينما كان فيردى يناضل فى بطء ووهن ·· حتى لفظ آخر انفاسه فى ٢٧ يناير من ذلك العام ·**

وفى شوارع (ميلانو) ، احتشـد أكثر من مائتى الف شـخص ليشيعوا الموسـيقى العظيم ، الذى عاش بطـلا ، ومات بطلا ، وخلف وراءه أكثر من عشرين « أوبرا » ، لاتزال ست منها تخلد الحانه على مسارح العـالم حتى اليوم ، وهى : ريجوليتو ، والتروفاتورى ، ولاترافياتا ، وعايدة ، وعطيل ، وفالستاف ·

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمي
(التمثيلي - والغنائي)

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات التالية : حطيا احب (وايلد) ، سلطان الظلام (تولستوى) ، المفتش العام (جوجول) ، ليسستراتا (اريستوفان) ، فولبون (بن جونسون) ، لوكريسيا بورجيا (هوجو) ، جيوكندا (دانونزيو) ، مدرسة الفضيحة ، سيرانو دى برجراك ، لعبة الحب والموت (رومان رولان) حلم ليلة صيف (سكسبير) ، مروحة الليدى وندرمير (وايلد) ، فاوست (جوته) ، اوديب (سوفوكليس) ، وليم تل (شيلر) ، الام (جوركى) ، ريجوليتو (هوجو) ، الجنس الالى (كابيك) ، الابن الاكبر جالزوردى) ، هرنانى (هوجو) ، ٦ شخصيات (بيرانديللو) ، ترتوف (موليير ، بيرينيس (راسين) ، سالومى (وايلد) . مدرسة الزوجات (كوكتو) ، برهان الحب (أنوى) ، السيد (كورنى) ، حلاق اشبيلية ، تشيترا (تاجور) ، كاليجولا (كامو) ، هيدا جابلر (ابسن) ، البخيل (موليير) ، اندروماك ، مدام بترفلاى ، الشقيقات الثلاث (تشيكوف) ، سر سيدة القصر (اندريه جيد) ، ترويض الزوج (موم) ، مهنة مسز وارين (شو) ، الجحيم هو الناس (سارتر) ، عربة اسمها الرغبة (تنيسى وليامز) ، توسكا ، بلقيس ملكة سبا ، موت قومسيونجى (آرثر ميلر) .

واليوم اقدم لك فيمايلى : يوميات محتال ..



DIARY OF A SCOUNDREL

الفصل الاول

● **يرفع** ستار المشهد الأول عن غرفة استقبال بمسكن شاب روسى يدعى « جلوموف » . . غرفة مؤثثة تأثيثا بسيطا ، ينم عن فقر مدقع بعد ثراء غابر ، وبها بابان : أحدهما الى اليمين ويفضى الى الصالة ، والثانى الى اليسار ويؤدى الى بقية غرف المسكن . عندما يرفع الستار يظهر الشاب « جلوموف » واقفا الى جوار امه « مدام جلوموفا » التى انهمكت فى كتابة بعض الخطابات . . . وقد وقف الخادم « ستيويكا » ساكنا .

جلوموف : استمرى فى كتابة هذه الخطابات يا أمى .

مدام جلوموفا : ليس فى المنزل مايقيم أودنا .

جلوموف : لو نجحت خطتى ، فسيكون لدينا من الطعام ما يزيد على حاجتنا !

وتأمر « مدام جلوموفا » الخادم بأن يذهب الى المطبخ ، حيث مكانه الطبيعى .. لكنه يعيرها بأنه لم يتسلم مرتبه منذ توفى زوجها ، وان من واجبها أن تذكر له فضله فى القيام بخدمتها وخدمة ابنها دون مقابل ! . . ثم يستطرد قائلا انه ما كان ليظل فى هذه الخدمة ، لولا ثقته بأن مخدومه الشاب كفيل بأن يعيد للأسرة مجدها !

وكان « جلوموف » الشاب قد رسم خطته بالفعل .. فقد وجد نفسه ــ عقب وفاة أبيه ــ معدما ، فى مجتمع لايتطلب النجاح فيه ، سوى ذكاء ولباقة وادراك للغاية التى يسعى المرء اليها (١) **وقد وجد الشاب هذه الغاية فى الزواج من فتاة**

---

(١) يقصد المؤلف المجتمع الروسى منذ مائة عام !.. فقد عاش « اوستروفسكى » (١٨٢٣ – ١٨٨٦) فى عنفوان العصر القيصرى ، وسخر منه ــ فى الخفاء ــ عن طريق كوميدياته العديدة ، واشهرها هذه التى نقدمها اليوم لقراء (كتابى)

رائعة الجمال ـ تدعى ((ماشينكا)) ـ تقيم فى رعاية عمة عجوز هى « مدام تورسينا » ، ويدخر لها أهلها بائنة ضخمة تحظى بها عند زواجها ، تربو على مائتى ألف روبل !

ولقد كان صفوة أثرياء (موسكو) يسعون الى التقرب من هـذه الفتاة ، ولكن شابا من أبناء عمومة « جلوموف » ـ ويدعى « خورشايف » ـ كان أكثرهم حظوة لديها . . وقد عـول « جلوموف » على أن يزيحه من طريقـه بأى ثمن ، فأوعز الى أمه بأن تكتب الى عمة الفتـاة خطابات ـ بدون توقيع ـ تتهم « خورشايف » بكل نقيصة ، وتصمه بالطمع فى ثروة « ماشينكا » ! .

وكان ثمة هدف ثان لجلوموف ، هو الحصول على منصب مرموق فى السلك السياسى .. وكان لزاما عليه أن يتعرف بنجوم المجتمع الراقى ، لكى يظفر بالمنصب . وقد اهتدى الى أن لأبيه ابن عم يدعى « مامايف » ـ هو فى الوقت ذاته عم لخورشـايف ـ يعتبر من أقطـاب المجتمع الراقى فى (موسكو) ، فكان عليه أن يتقرب اليه ويكتسب مودته ، دون أن يشعره بغايته . وكان الطريق الى ذلك هو تدبير لقاء بهـذا العم ، يبـدو وكأنه وليـد المصادفة . وقد علم أن « مامايف » أسير هوايتين : أولاهما تفقد المساكن المعروضة للايجـار دون أن يكون بحاجة الى استئجارها . . والثانية ازجاء النصح والمواعظ لكل من يلقاه ..

ومن ثم بوعز « جلوموف » الى خادمه « ستيوبكا » بأن يستدرج العم الى مسكنه ، بزعم أنه معروض للايجار . .

⊙❖⊙

● **ويصل** « مامايف » مع خادمه ، فما أن يتفقد المسكن حتى يبدو عليه الاستياء .. ثم يسأل « جلوموف » عن سر رغبته فى تأجير مسكنه . .

جلوموف : لانه فوق طاقتي المالية !

مامايف : وما الذى دعاك الى استئجاره منذ البداية .. أو بعد أن ألفت المسكن الفسيح ، تضطر الى البحث عن غرفة متواضعة ؟

جلوموف : بل انني أبحث عن مسكن أكثر اتساعا ..

ويدهش « مامايف » من أمر الشاب ، فيزعم هـذا أنه محروم ممن يخلص له النصح ..

مامايف : أليس لديك من يرشدك ؟

جلوموف : ليس لى سوى والدتى ...

ويتردد لحظة ، ثم يقول : « ولى أيضا عم فى موسكو .. سمعت أنه يبـذل للناس نصائح أثمن من الدرر واللآلىء ، ولكنـه لايعرف عنى شيئا ، وما من قوة تغرينى بالذهاب اليه ! » .

مامايف : ولماذا الكبرياء الزائفة ؟

جلوموف : كلا ياسيدى .. أنك تسىء فهم الموقف . فما كنت لأتردد فى الركوع عند قدميه ، وتقبيل أطراف ثوبه ، لو أنه كان فقيرا مثلى . ولكن الامر على النقيض .. فكيف لى أن أقنعه بأنى لا أنشد من ماله شيئا ، ولكني أطمع فى نصحه وارشاده .. **احتاج الى مواعظه « السماوية » ! .. ليته كان فقيرا ، فكنت الازمه ملازمة الطفل ، غير طامع الا فى الانصات اليه ليل نهار !**

ويسأله « مامايف » عن اسم هذا العم ، فيقول : « أعتقد أنه يدعى ماما .. أجل ، مامايف .. نيل فيـدروسيتش مامايف » . فيكشف له الرجل عن شخصيته .. ويتظاهر الشاب بالاغتباط ، وبندفع مناديا أمه ، التى تصطنع البكاء تأثرا للمفاجأة ، ثم تقول لابنها : « **لكنه لا يشبه الصورة !** »

مامايف : ماذا تعنين ؟ .. آية صورة ؟

مدام جلوموفا : صورة رسمها لك « ايجور خورشايف » .. انه ابن اخيك ، اليس كذلك ؟ .. أره الصورة يا ايجور !
ويقدم اليه جلوموف الصورة ، وهو يعتب على أمه . .
مامايف (ينظر الى الصورة) : ماذا ؟ .. فرس البحر ! وماذا كتب باسفلها ؟
جلوموف (ينظر الى الصورة من فوق كتف عمه) : عمى .. فرس البحر المتكلم !
مامايف (ينفجر ثائرا) : لو ان ذلك الشاب جرؤ على المجىء الى منزلى مرة أخرى ، .. للقنته درسا لن ينساه . اذن ، فهذا هو الاعتراف بالجميل ، بعد كل النصائح والعظات التى ألقيتها عليه .. أواه ، واحسرتاه على الجهد الذى بذلته لهدايته الى الطريق القويم ! .. ولكن ، أشكر الله أن فتح عينى أخيرا !
ولا يلبث العم أن يستعيد هدوءه ، فيدعو جلوموف وامه الى زيارته فى منزله . ويظهر جلوموف فى بادىء الامر تمنعا واباء ، الا أنه لايلبث أن يقتنع . وما ان ينصرف مامايف حتى ينفجر الجميع ضاحكين ، فهاهى ذى خطتهم تسير فى طريقها المرسوم ، وقد مهد « جلوموف » لنفسه طريقا للاندماج فى الوسط الارستقراطى ، بعد أن أزاح غريمه عن طريقه !

⊙❖⊙

● **وننتقل** ـ بعد هذا التمهيد ـ الى المشهد الثانى . . فيرفع الستار عن حفلة راقصة ، فى البيت الريفى لمامايف ، أقامها هذا لتقديم « جلوموف » الى المجتمع الراقى .. وفى غرفة جانبية ـ بجوار قاعة الرقص ـ نجد أم الشاب فى صحبة « كلبوباترا ايفوفنا مامايفا » ـ زوجة العم مامايف ـ ولا حديث لهما سوى اطراء جلوموف ، الذى تعجب « كليوباترا » به ، وبدماثة خلقه ..

مدام جلوموفا : لكم انت طيبـــة معنا ، ياعزيزتى كليوباترا . . ان جلوموف يعبدك عبادة ! . . انه مشغوف بشيئين : عقل زوجك الفذ . . وجمالك الصـــاعق . . انه يؤمن بأن هذا الجمال جدير بأن يخلد فى لوحات ! . . **ترى كيف اشرح لك الأمر ؟ . . انه شاب صغير السن ، وهو عاطفى بطبيعته . . لقد جافاه النوم منذ وقع بصره عليك !**

كليوباترا : اراك تحبينه كثيرا . .

مدام جلوموفا : كيف لا ، وهو ابنى الاوحد ؟

كليوباترا : اذن ، فلنغمره معا بحبنا وحناننا !

ويقبل « جلوموف » ، فما ان يرى زوجة عمـه ، حتى يتظاهر بالخجل والتراجع ، ولكن هذه تناديه وتشجعه . . وتنسحب الأم ، وفق الخطة المدبرة !

كليوباترا : اشعر أن ثمة مايشغل بالك . . أرى فى عينيك ــ أحيانا ــ نظرة شاردة . . لماذا لاتبوح لى بسر متاعبك ؟

جلوموف : أواه ! لو كان هذا بوسعى . . لو انك كنت . . ؟

كليوباترا : كنت ماذا ؟

جلوموف : امرأة فى منتصف العمر . . أو لست على هــذا القدر من الجمال !

كليوباترا : اتعنى اننى لو كنت فى منتصف العمر ، لتخلصت من خجلك ؟

جلوموف : أجل ، فان المرأة الشابة الجميلة ، لديها من أسباب المتعـة ما يلهيها عن متـاعب أقربائهـا الفقراء . أما المرأة النصف فليس لديهـا شىء آخر ، وهى تجـد فى التجول بين أرجاء (موسكو) ــ مستخدمة نفوذها لصالحهم ــ فرصــة لتعريف أصدقائها بمقدار العطف والحنان اللذين يفيض بهما قلبها !

كليوباترا : لو افترضنا اننى امرأة فى منتصف العمر ، فماذا

كنت تطلب مني اذ ذاك ؟

جلوموف : كنت أطلب منـك أن تتوسطى لدى « أيفـان جرودولين » كي يعينني في احدى وظائف السلك السياسى • وأنا واثق من أنه سيجن فرحا وغبطة •• فهو غارق فى حبك حتى أذنيه !

كليوباترا : حسنا ، سأتحدث اليه فى الامر !

جلوموف : أرجـو الا تفعـلى • فانه سيعتبر هذه الخـدمة بمثابة رشوة ، ولست أقبل أن أكون مدينا لك • انني لا أملك ما أكافئك به •

كليوباترا : وكيف تكافىء امرأة •• فى منتصف العمر ؟

جلوموف : أوه ، هذا شيء يسير !•• بوسعى أن أمهد لها الطريق لملاقاة عشاقها ، وأن أتملق نزواتها ، وأحمل لها كلبها •• ولا أكف عن تقبيل يديها ، والهمس فى أذنها ــ آناء الليل وأطراف النهار ــ بأنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها يوما واحدا •• **ومن يعلم ؟ •• ربما عشقتها مع مرور الايام !**

كليوباترا : أو ليس بوسعك أن تغرم بامرأة شابة جميلة ؟

جلوموف : بالطبع يمكنني ، ولكنى لا أجرؤ ••!

كليوباترا (من خلف مروحتها) : أخيرا ••!

ويقطع عليهما خلوتهما مقدم « جرودولين » ، وهو من أقطاب موسكو ، ويشغل وظيفة هامة فى وزارة الخارجية ، فينسحب جلوموف •• واذ يشرع الرجل فى مغازلة « كليوباترا » تسأله هذه أن يعين قريبها الشاب فى وظيفة فى السلك السـيـاسى • ويرى « جرودولين » فى طلبها بادرة من التجاوب لعاطفتـه ، فيوافق فى حماس ، ويعدها بتحقيق رغبتها •

وما ان ينصرف « جرودولين » ، حتى يعـود جلوموف الى الغرفة ، فيجد أسارير « كليوباترا » متهللة •• ولا تكادتبشره

بقرب تحقق امنيته ، حتي ينحنى على يدها يقبلها ٠٠ وتسأله عما اذا كان سعيدا ، فيقول انه يكاد يطير فرحا ؛

كليوباترا : لست أصدقك ٠٠ أتريد منى ان أقتنع بأنك مجرد انسان مادى ، لا يطمع من دنياه فى أكثر من وظيفة حقيرة ؟

جلوموف (متوسلا) : كليوباترا !

كليوباترا : أتريد منى أن أصدق ان قلبك لا يخفق بأية عاطفة ، وانك تستغرق فى سبات عميق لا تتخلله أحلام أو رؤى ٠٠ وانك لا تحب أحدا ؟!

جلوموف : كلا ٠٠ لم أقل ذلك ٠

كليوباترا : اذن ، فمن هى التى فازت بحبك ؟

جلوموف : أرجوك ٠٠ لا تسأليني !

كليوباترا : بل أصر على ذلك ٠٠ اننى أراك تتعذب كثيرا !

جلوموف : كليوباترا ٠٠ أرجوك !٠٠ لست أحتمل ذلك ، فلربما ضعفت وبحت لك باننى ٠٠

كليوباترا : أريد أن أعرف من هى حبيبتك وسالبة رشدك ٠

جلوموف : بحق السماء ، ارحمينى ٠

كليوباترا : اخبرنى ٠٠ أهى جديرة بحبك ؟ ٠٠ أتراها تستجيب لعاطفتك ؟

جلوموف : كلا ، لن أجيب ٠٠ اقتلينى بيديك ، ولكن لا تطلبى منى ذلك ٠

كليوباترا : اهمس لى باسمها ٠٠

جلوموف (يسقط على ركبتيه) : انها ٠٠ أنت !

كليوباترا : آه !

جلوموف : لا ريب فى اننى فقدت رشدى ٠٠ لم أعد قادرا على التحكم فى عواطفى ٠٠ أوه ، يا الهى ٠ يا لى من تعس

بائس .. ماذا قلت ؟ .. اغفرى لى .. اغفرى لى !
(يلقى بنفسه عند قدميها ثم يقبل طرف ثوبها)
كليوباترا : لقـــد غفرت لك يا ايجور ! **(تمرر يديها بين خصلات شعره)**

واذ ذاك ينهض جلوموف على قدميه ، ويحيطها بذراعيـه ، ثم يحتضنها فى قوة ، ولا تلبث شفاههما أن تلتقى فى قبلة حارة عنيفة !

الفصل الثانى

● **أما** ستار المنظر الاول ـ من الفصل الثانى ـ فيرفع عن حجرة الجلوس بمنزل « **مدام تورسينا** » ، التى تعيش ابنة أخيها الثرية « **ماشينكا** » فى كنفها .. والسيدة عجوز ، متدينـة ، تؤمن بالخرافات والاحلام الى أبعد حد .. حتى انها لتعدل عن نزهتها اليومية لان قطة بيضاء اعترضت طريقهـا .. ولكن « ماشينكا » تلح فى طلب الخروج ، فتقول العمة : « **اعلم سبب تلهفك على الخروج ، فانت تبتغين لقاء ايجور خورشايف ، برغم أنه ماجن ، فاسق ، لا يؤمن جانبه . وقد تلقيت اليوم رسالتين اخريين تكشفان عن طبيعته الفاجرة** » !

ولا يلبث أن يحضر مستر « كروتنتزكى » ، فتسأله أن يرشدها الى شاب صالح ، تقى ، يصلح زوجا لابنة أخيها .. ويتذكر الشاب الطيب ، المليح ، الخجول ، الذى التقى به فى منزل « مامايف » ، **فلا يلبث أن يرشح لها « جلوموف »** .. ثم **يحضر** « جرودولين » ، فتسأله نفس السؤال .. ويبـادر من فوره الى ترشيح « جلوموف » ، ارضاء لكيلوباترا الفاتنة ! وترى « مدام تورسينا » فى اجماع رجلين على ترشيح هذا

الشاب فألا حسنا ، وشهادة طيبة لجلوموف ٠
وما أن ينصرف « جرودولين » ، حتى تحضر « مدام مانيفا »، فارئة الطالع ، فتستقبلها صاحبة الدار في اجلال ٠٠ ولا تلبث الدجالة أن تتظاهر بأنها تغيب عن وعيها ، وان روحها تحلق لتستكشف الغيب ٠٠

مدام تورسينا : هل ترين شابا ؟

مدام مانيفا : أرى سحابة ٠٠ السحابة تنقشع رويدا ٠٠ آه ، ان « ايجور » يقف فى وسطها !

ماشينكا (هامسة لعمتها) : ايجور هو الاسم الاول لخورشايف !

مدام تورسينا : صه ! **(لمدام مانيفا)** ومن يكون ايجور ؟

مدام مانيفا : ستعرفانه بمجرد أن ترياه ! ٠٠ آنه أشقر الشعر ٠٠ وهو يقترب الآن من البوابة ! ٠٠ لقد وصل ! **(يسقط رأسها فوق صدرها)**

وفى تلك اللحظة ، يعلن الخادم مقدم « مامايف » مصطحبا شابا من أقاربه ٠٠ وتكاد مدام تورسينا أن تقفز طربا وانبهارا، حين تعلمأنه شابأشقر٠٠حقا انه أمر يبدو أقرب الىالمعجزات!

وينقلنا المنظر الثانى الى منزل « جلوموف » ، وأمه خارجة لزيارة مدام تورسينا ، بعد أن وثقت علاقاتها بصديقتين حميمتين لها ــ هما « ماتريوشكا » و « لوبينكا » ــ **واجزلت لهما العطاء لتشهدا بانهما رأتا الشاب فى احلامهما زوجا لماشينكا !**

ويقبل « كروتتزكى » ، ليسأل « جلوموف » عن مقال كان قد عهد به اليه ليصوغه فى أسلوب قوى ٠٠ فيشكره الشاب على أنه رشحه للزواج من ربيبة مدام تورسينا ٠٠

كروتتزكى : وهل خطبتها رسميا ؟ أنها بالغة الثراء !

جلوموف : لست أفقه شيئا من أمور المال .. ولكنى أعشق الفتاة لذاتها !

وفي دهاء ماكر ، ينزل الشاب عن أجر المقال ، اكتسابا لود الرجل ، ثم يستبقيه ريثما يستدعى مركبة تقله . **وفي تلك الاثناء ، تتسلل « كليوباترا » الى الداخل ، فتفاجأ برؤية الرجل على غير توقع** .. غير أنهما يجلسان معا ، ليتجاذبا أطراف الحديث ، ريثما يحضر جلوموف .

كروتتزكي : ان قريبك هذا لمن أكثر شباب موسكو أدبا وتواضعا .. اننى أتنبأ له بمستقبل باهر .. لكنك تفرطين في تدليله وافساده !

كليوباترا : تدليله وافساده ؟ .. كيف هذا ؟

كروتتزكي : بتدبيرك هذا الزواج الرائع له .. يالها من فتاة ساحرة !

كليوباترا : أية فتاة ؟ .. عمن تتحدث ؟ .. من تعنى ؟

كروتتزكي : ماشينكا بالطبع ، ابنة أخى صوفيا تورسينا . كأنك لا تعلمين شيئا عن الامر .. بائنة تبلغ عشرين ألف روبل !

كليوباترا (تنهض واقفة) : اوه ، يا الهى ! .. لا اصدق ذلك .. ليس صحيحا .

كروتتزكي : ولكنها الحقيقة .. لم تمض لحظات قليلة منذ أن قال لى : « ليس المال كل شيء يا مستر كروتتزكي .. اننى أعشق الفتاة » !

كليوباترا (في أنين) : أواه ! .. اننى مريضة . دعنى بمفردى .. اخرج (**تصرخ**) دعنى ! اذهب ! .. اذهب !

ويركض كروتتزكي خارج المنزل مفزوعا ، بينما تتهالك كليوباترا في أقرب مقعد . ولا تلبث أن تسترد وعيها

فتقول : « لاريب أن ثمة سوء تفاهم فى الامر .. آه ، لو كان بوسعى أن أتبين الحقيقة ! » .. ثم تنهض وتجول فى أرجاء الغرفة ، باحثة عن خطابات أو أوراق . **وبينما تفتح أحد الادراج ، يقع بصرها على يوميات جلوموف ، فما أن تشرع فى قراءتها ، حتى تسمع وقع خطواته صاعدا الدرج ، فتعيد اليوميات الى مكانها ، وتمسح عبراتها** . وما أن يلمحها « جلوموف » حتى ينفرج ثغره عن ابتسامة ..

جلوموف : كليوباترا ، يا لها من مفاجأة سعيدة ! .. أهذه انت حقا التى تشرفين مسكنى المتواضع ؟ .... كأنك ربة من ربات الجمال هبطت من السماء !

كليوباترا : حضرت لزيارة أمك . ولكن يبدو أنها ليست موجودة .

جلوموف : انها قد خرجت منذ قليل .. آوه ، دعينا نتجاذب أطراف الحديث . ما لى أرى على وجهك معالم التعاسة والشقاء ؟

كليوباترا (تجلس) : أجل .. والسبب فى ذلك : أحد الرجال .

جلوموف : ومن يكون هذا الشقى ، ذو القلب الاسود ؟ .. بالتأكيد لست أنا !

كليوباترا : بودى أن أتأكد من هذا !

جلوموف : ماذا ؟ .. أتشكين فى حبى واخلاصى ؟ .. أنظرى الى عينى ! .. اننى أفضل أن أموت على ان اصيبك بسوء ؟ .. لقد كنت ـ قبل أن أراك ـ فتى ساذجا ، خجولا ، تعوزه الثقة فى نفسه .. كنت أعانى وحشة كادت تفقدنى صوابى ، وكانت حاجتى ماسة الى امرأة تفهمنى ، وأستطيع أن أبثها أحلامى وآمالى .. **كنت فقيرا ، تافها ، تنفر النساء**

مني . فما أن شاهدتك حتى توقف قلبي – في بادىء الامر – عن النبض ، لكنه ما لبث أن راح يخفق في عنف ٠٠ لقد كنت أخشى ان يفرق جمالك وشبابك وسمو مركزك بيننا ٠٠ وفى ذلك اليوم الذى فقدت فيه صوابى فصارحتك بغرامى ، رأفت بحالى ولم تطردينى خارجا ٠٠ أواه لو تعلمين !

كليوباترا (فجأة) : ومتى يتم الزفاف ؟

جلوموف (يباغت ، فينهض واقفا فى ارتباك) : الزفاف ؟ ٠٠ ماذا تعنين ؟

كليوباترا : سمعت أنك ستتزوج .

جلوموف (بعد لحظة تردد) : كنت على وشك أن أشرح لك الامر ، يا كليوباترا ٠٠ ان زوجك يريدنى أن أتزوج . أما أنا ، فالفكرة – فى حد ذاتها – تثير اشمئزازى !

كليوباترا : لا بد أنه مشغوف بك كل الشغف ، حتى أنه يسعى لاسعادك ٠٠ على الرغم منك ! ٠٠ أخبرنى ، هل تعجبك الفتاة التى وقع اختياره عليها ؟

جلوموف : ان نفسى تنفر منها ٠٠ بل ، من كل امرأة ٠٠ عداك !

كليوباترا : أحقا ؟ ٠٠ اذن فانت لا تحبها ؟

جلوموف : لكم تعذبيننى بشكوكك ! ٠٠ لست أطيق أن تسيئى بى الظن الى هذا الحد . ألا تخجلين من نفسك ؟

كليوباترا : بلى ، لقد أسأت الفهم ، فاغفر لى !

جلوموف (بحماس) : يجب أن تعلمى أننى ملك يديك ٠٠ فقط أرجو ألا تثيرى الموضوع أمام عمى أو اى انسان آخر ٠٠ دعى الامر لى !

كليوباترا : بالطبع ٠٠ بالطبع !

واذ ذاك يطرق الباب ، فيطلب جلوموف من كليوباترا أن تختبىء في غرفة أمه ٠٠ وما أن يفتح الباب حتى يجد شابا ـ يدعى « جلوتفين » ـ يقتحم الغرفة وعلى محياه امارات الشراسة ، ويقول انه قد أعد مقالا طويلا ، كشف فيه عن حقيقة « جلوموف » ، وأطماعه وآماله ودسائسه ٠٠ لكنه على استعداد لان يمزقه اذا ما دفع له جلوموف مبلغا من المال ٠٠ واذ يخشى « جلوموف » مغبة الرفض ، يعطيه عشرين روبلا ، ثم يصحبه الى الخارج ٠

وتسمع كليوباترا صوت اصطفاق الباب ، فتخرج من مكمنها ٠ واذ تجد الغرفة خالية ، يعاودها الفضول ، فتبادر الى اخراج اليوميات ، وتبدأ في تصفحها ٠٠ ولا تلبث أن تقرأ في احدى الصفحات : « **ان ماشينكا ساحرة ٠٠ وهى خير جزاء لى ، على تجلدى وتحملى مغازلة زوجة عمى العجوز المسكينة كليوباترا ، التى تشبه وجه الحصان !** »

وتثور ثائرة «كليوباترا» ، فتنفجر باكية ، ثم تجفف النقمة دمعها ، فتقرر أن تتقاضى من جلوموف ثمن الاهانة غاليا ، وأن نجعله يزحف عند قدميها طالبا الصفح والمغفرة ٠٠ وفيما هى تعاود قراءة ما كتب ، تخطر لها فكرة للانتقام ، فتدس اليوميات فى حقيبتها ، وتستجمع رباطة جأشها اذ تشعر به قادما ٠

ويدخل « جلوموف » ثائرا لما لقيه من الشاب الذى كان يهدده ٠ فما أن تسأله كليوباترا عما به ، حتى ينفجر قائلا : « لقد كتب مقالا ينضح بالافتراء والتعريض بى ، وراح يهددنى بارساله الى الصحف ، اذا أنا امتنعت عن امداده بالمال ! »

كليوباترا : لست أعلم ماذا أصاب الناس فى هذه الايام !

.. وهل أعطيته نقودا ؟

جلوموف : لقد قنع ـ أخيرا ـ بروبلات قليلة .

كليوباترا : اذن ، فلماذا تقلق ؟

جلوموف : الذى يقلقنى ويكربنى ـ حقيقة ـ هو عدم ثقتك بى .. **هل كنت تتصورين ـ حقا ـ أننى أقبل التفريط فيك ، مقابل كل ثروات العالم ؟**

كليوباترا : أتعنى هذا حقا ؟

جلوموف : من كل قلبى !

كليوباترا : حسنا ، لقد اقتنعت بأنك نبيل الخصال .. اقترب منى ، ودعنى أقبلك !

ويركع عند قدميها ، فتحيطه بذراعيها ، وتضمه اليها فى قوة ـ كأنها تريد أن تخنقه ـ ثم تقبله فى عنف ، وكأنما كانت تفرض عليه عقابا .. وبعد فترة تفلته من بين ذراعيها . وتتاهب للانصراف ..

جلوموف : كليوباترا .. متى أراك ثانية ؟

كليوباترا : سأنتظرك الليلة (**تستدير نحو الباب**) الى اللقاء !

وما أن تنصرف حتى يتنهد جلوموف فى ارتياح .. لقد دفع ثمن سكوت « جلوتفين » ، واستطاع « ترويض » كليوباترا الى حين .. وفجأة يتذكر اليوميات ، فيبحث عنها فى كل مكان ، دون جدوى .. واذ ذاك يخطر له خاطر رهيب : **ماذا لو كان جلوتفين قد سرقها ؟** .. ليته كان السارق ، فان الامر لن يكلفه ـ فى هذه الحالة ـ سوى روبلات قليلة . **ولكن ، ماذا لو كانت كليوباترا هى التى .. ؟** .. ويهتف فى ذعر : « يا الهى ! لقد كتبت أنها تشبه وجه الحصان !! »

الفصل الثالث

● **ويرفع** ستار الفصل الثالث عن « ماشينكا » تجلس الى « خورشايف » ، فى منزل عمتها مدام تورسينا ، والفتاة تروى له كيف ظهر « جلوموف » فى حياتها ، وكيف تنبأت بمقدمه مدام « مانيفا » العرافة ، التى تؤمن عمتها بأنها قديسة ..

خورشايف (واجما) : الذنب ذنبى ، فأنا لم أتبع الطريق القويم فى حياتى .. وها هو ذا جزاء الشر .. ولم يعد أمامى سوى أن أختفى من حياتك فى هدوء !

ولا يلبث « جلوموف » أن يفــد ، فيخف « خورشايف » لاستقباله ، وهو يصطنع الحبور .. ثم يتوافد الناس ، فالليلة حفــلة الخطبة ! .. ولا يلبث « جلوموف » أن يســتدرج « ماشينكا » الى الحــديقة ، بينما تمضى مدام تورسينا فى التحدث الى الحاضرين عن وفرة حظها ومبلغ سعادتها .. واذا بخادم يحمل اليها رسالة تســارع الى فضهــا ، فاذا فيهــا « يوميات » جلوموف ، وبضع أوراق فى شكل صحيفة ..

ويتناول « مامايف » هذه الاوراق ، ثم يهتف : « **هاهوذا مقال بعنوان : كيف تشق طريقك فى الحياة ، تتوسطه صورة كتب تحتها : زوج مثالى! .. ياالهى ، انها صورة جلوموف» !**

وتصيــح مدام تورســينا بأن الامر لا يعدو مؤامرة قذرة ، وترمق « خورشايف » فى اتهام .. بينما تنبههم « كليوباترا » الى بقية الاوراق ، فيتأملها « مامايف » ، ثم يهتف : « انها بخط جلوموف .. دعونى اقرا بعض فقراتها « **مــدام مانيفا ٤٥٠ روبلا .. انهــا تزاول قراءة الطالع برغم أنها لا تكاد تفيق من الشراب . لقد قضيت ساعات طويلة فى محاولة تلقينها كلمات دورها** .. لــكم أنا مشــوق لمعرفة المبلغ الذى

سوف تبتزه من مدام تورسينا ، التي أرجح أنها تعانى اختلالا فى قواها العقلية » .

مدام تورسينا (تسقط على المقعد ، وقد كاد يغشي عليها) : أوه ، اوه .. لست اطيق ذلك .. لست اطيق ذلك !

كليوباترا : استمر فى القراءة ، فمن الخير ان تعلم مدام تورسينا الحقيقة بأكملها !

مامايف (يستمر في القراءة) : ٣٠ كوبيكا ، مقابل ارسال ستة خطابات غير موقعة الى مدام تورسينا !

ماشينكا : اذن ، فهو الذى كتب تلك الخطابات !

مدام تورسينا : عفوك يا حبيبتى . ما كان لى أن أحاول تسيير دفة حياتك . لقد تأكدت الآن من أننى لا أملك القوة ولا العقل اللازمين .. ومن الآن فصاعدا ، بوسعك أن تفعلى ما يحلو لك ، وأن تتزوجى من تشائين .

مامايف (مستأنفا القراءة) : ثلاثة روبلات لخادم مستر مامايف كى يستغل هواية العم العجوز فى تفقـــد المساكن الخالية ، ليستدرجه الى مسكنى .. أرجو أن يستنزف الكثير من ذلك الخرتيت العجوز ! .. وها هى ذى فقرة عن كروتتزكى .. « أول زيارة لــكروتتزكى العظيم .. ولننشــد أعــذب الاناشيد فى تقريظ ومدح مشروعاته الخطيرة .. أخبرنى أيها العبقرى الخــالد : كيف وصلت الى سن الســتين ، وما زلت تحتفظ بعقل طفل فى السادسة ؟! » .

كروتتزكى : اصمت ، هذا تشهير .. اعطنى المظروف ! .. هيا (**يسحب اليوميات من يد مامايف بالقوة**) آه .. أرى بعض الكلمات عن جرودولين ..

مدام تورسينا : أعيدوا هذه المذكرات الى صاحبها ، ودعوه يغادر هذا المكان فى هدوء ، وبأسرع ما يمكن !

ويدخل جلوموف اذ ذاك قادما من الحديقة ، فما ان يقع بصره عليهم ومذكراته فى أيديهم ، حتى يدرك أن أمره قد انكشف ! .. غير أنه لا يلبث أن يستعيد رباطة جأشه ..

جلوموف : لا تزعجي نفسك يا مدام تورسينا ، فلست راغبا فى اثارة أية ضجة ، ولن أحاول الدفاع عن نفسى .. غير أننى أرغب فى توضيح نقطة قد تغيب عن فطنتكم ، وهى انكم اذا ما طردتمونى من مجتمعكم ، فانما ترتكبون خطأ جسيما !

كروتتزكي : لسنا فى حاجة الى أمثالك أيها الشاب . اننا قوم شرفاء ، أمناء !

جلوموف : ومن منكم الذى قرر أننى لست شريفا ؟ .. اهو أنت يا مستر كروتتزكى ؟ .. الأننى كنت أقوم ـ بدلا عنك ـ بكتابة مقالاتك ؟ .. ولو لم تقع مذكراتى فى يدك ، لظللت الى الآن تشيد بموهبتي وذكائى وحسن منبتى !

ويتحول الشاب الى مامايف ، قائلا : « وأنت يا عمى العزيز .. **منذ متى قررت انني لست اهلا لمجتمعكم ؟ .. احينما كنت تلقنني درسا في تملق مستر كروتتزكى ، او في مغازلة زوجتك عسى أن تقنع بعشيق واحد فقط !؟ ..** لقد كنت تعلم جيدا أن تلعثمى فى الحديث ، وشدة حيائى ، انما كانا تظاهرا وخداعا .. غير أن هذا كله ما كان ليعنيك فى شيء ، ما دمت تبدو رجلا محنكا ، ذا دراية وحنكة فى أمور الدنيا ! »

مامايف : حسنا .. لا ضرورة لاثارة هذه الموضوعات على الملأ .. لا تنس اننا ننتمى الى عائلة واحدة !

جلوموف (لمدام تورسينا) : أما أنت يا مدام تورسينا ، فأعترف بأننى خدعتك .. غير اننى لا آسف على ذلك ..

فأنت فى الواقع تطلبين من الناس أن يخدعوك ، بل انك تستمتعين بذلك .. لقد وقع اختيارك على زوج لابنة أخيك ، ليس لديه من المميزات سوى أن مدام مانيفا ـ قارئة الطالع ـ قد رشحته لديك !

مدام تورسينا : أوه .. لقد أصبح العالم مليئا بالشرور .

جلوموف (لجرودولين) : حسنا .. وماذا عنك يا ايفان ؟

جرودولين : ولا كلمة .. اننى أكن لك اعجابا لا مزيد عليه .. **هاك يدى ، فأنت لم تتجاوز الحقيقة فى كل كلمة تفوهت بها عنا جميعا .. أو على الاقل عنى أنا بالذات ؟**

جلوموف : وهكذا يتبين لكم ـ سهداتى وسادتى ـ انكم جميعا فى حاجة الى ، وانكم لا تستطيعون الحياة بدون امثالى !

مامايف : انك تستغل سعة صدرنا معك يا جلوموف !

جلوموف (فى أدب) : أرجو ألا يسوؤك يا عمى ، اذا قلت لك انك لست فى غنى عنى ، فان خدمك أنفسهم لا يطيقون ـ مهما أجزلت لهم العطاء ـ الاستماع الى خطبك ومواعظك المملة .. بينما كنت أنا أستمع اليها دون مقابل ! .. لا داعى للغضب .. لا داع ! (**يستدير الى جرودولين**) وأنت أيضا لست فى غنى عنى !

جرودولين : اعترف بذلك .

جلوموف (لكليوباترا) : وأنت أيضا يا زوجة عمى ، لا تستطيعين الاستغناء عنى .

كليوباترا : بوسعى أن أغفر لك كل شىء ، ما عدا اهانة معينة ، يحسن بى أن أنساها .

كروتتزكى : لقد شككت فى أمره من أول مرة وقع بصرى عليه فيها .

مامايف : وأنا أيضا ·

جلوموف : بل انكما لم تشكا فى أمرى لحظة واحدة ، الى ان قرأتما يومياتى ·· لست أعلم كيف أوقعها سوء الطالع بين ايديكم ، غير أن أذكى الناس قاطبة ، يرتكب ـ أحيانا ـ هفوة تودى به ! ·· وأود أن تعلموا ـ سيداتى وسادتى ـ اننى لم أنطق بعبارة واحدة صادقة ، سوى ما كنت أخطه فى هذه اليوميات ·· **وها قد أفسد سارقها الخطة التى رسمتها ، فانا الذى يجب أن يثور غضبا واحتجاجا** ! ·· انكم لستم أهلا لان تستمتعوا بصحبة انسان مهذب شريف مثلى ! **(يوليهم ظهره ويخرج الى الباب الذى يؤدى الى الحديقة ، فيسود السكون)** ··

مامايف : حسنا ·· ربما لم يكن من الواجب أن ندعه ينصرف هكذا !

كروتتزكى : قد يكون عملنا هذا خطأ جسيما ·

كليوباترا : لا أعتقد انه من الفطنة أن ندعه يذهب ··

ماشينكا : لست أرغب فى الزواج منه الآن ، لكننى لا أعتقد أن من الحكمة أن ندعه يذهب ·

مدام تورسينا : لقد بدأت أرى الامور بنظرة مغايرة !

جرودولين : فلننـاده ! **(يجرى الى الشرفة صائحا : « جلوموف !·· جلوموف ! ·· عد » ··**

مدام تورسينا (لخورشايف) : الحق به قبل أن يصل الى السور ! **(خورشايف يركض خلفه)** ·

كليوباترا (تنضم الى الاثنين) : جلوموف ! ·· جلوموف !

الجميع : جلوموف ، عد يا جلوموف ! عد ·· عد !

ويسدل الستار


من روايات
تاريخ الإسلام
فتاة غسان
تأليف المرحوم: جرجي زيدان
مؤسسة "الهلال"

هذه القصة

● ((فتاة غسان)) هى أولى الروايات التاريخية التى وضعها المرحوم ((جرجى زيدان)) مؤسس مجلة الهلال ، وتتناول الرواية حال العرب قبيل ظهور الاسلام ، وكيف بدأ الاسلام ونهض به النبى الكريم .. ثم فتح مكة ، وحوادث العرب والمسلمين الاول حتى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وما تم فى ذلك العهد من فتوحات فى العراق وفارس والشام ، ومن هذه الفتوحات : فتح فلسطين وطرد الرومان منها ، وكيف اهتم عمر بهذا الفتح حتى رحل من الحجاز الى القدس على ظهر ناقة ودخلها بنفسه على رأس الجيش ليتسلم مفاتيحها من ((بطريقها)) ـ بطريركها ـ ثم اقام فيها عشرة أيام ، وضع خلالها اساس المسجد الاقصى واقام بها الحكم العربى . ويعرض ((جرجى زيدان)) هذه الاحداث من خلال قصة حب رائعة يلعب ابطالها دورا فى بعض هذه الاحداث ، كما تؤثر هذه الاحداث فى حياة ابطالها ، تفرق بينهم حينا وتجمع شملهم حينا آخر .. الخ .

وفيما يلى عرض وتلخيص لهذه القصة التاريخية العاطفية التى تقع طبعتها الكاملة فى نحو ٤٠٠ صفحة .

ـ ١ ـ

● فى نحو السنة السابعة للهجرة ، كان على الشام ملكان شقيقان من آل « غسان » ، هما « الحارث بن أبى شمر » فى (بصرى) و « جبلة بن الايهم » فى (البلقـاء) . **وكان ل ((جبلة)) ابنة بارعة الجمال تدعى ((هند)) ، ربيت منذ حداثتها على ظهور الخيل ، فشبت مولعة بركوبها ، ومجاراة الفرسان فى حلبة السباق ، حتى ذاع صيتها فى القبائل ، وأصبحت حديث القوم قبل بلوغها العشرين** . وكانت « هنـد » تقيم معظم أيامها فى (صرح الغدير) ، وهو قصر بديع شاهق يقع

فى أطراف (حوران) ـ مما يلى (البلقاء) ـ تحدق بحجراته البساتين وتجرى من تحتها الجداول • وبجوار القصر سهل واسع الارجاء خصصوه لسباق الخيل فى مواقيت معينه من السنه ، يشترك فيـه أمهر فرســان البلقاء ، وحوران ، وبصرى ، وقد ينضم اليهم فرسان من بلاد اخرى • وكان الملك « جبلة » والد هند يخلع على الفائزين خلعـا ويمنحهم جوائز ثمينة يعدها قبل الشروع فى السباق •

وفى تلك السنة أقام «جبلة» سباقا اشترك فيه عدد كبير من الفرسان ، كان من بينهم « ثعلبة » ابن الملك « الحارث » • وكان أهل (غسان) يشرثرون باشاعه مؤداها قرب عقد قران « هند » وابن عمها « ثعلبة » ، لما بينهما من القرابة . وكان « ثعلبة » كثير الاعتداد بنفسه ، وربما حدثته خيلاؤه أن يترفع عن « هند » لو خوطب بشأنها ، اما هى فكانت خاليه الذهن من أمر الزواج ، ولم تكن معجبة بأخلاق ابن عمها ولا ميالة اليه ، ولولا القرابة ما خاطبته ولا جالسته ؛

وقبيل السباق نصب سرادق « جبلة » فى صدر الحلبة ، **وخرجت « هند » من قصرها تحف بها جواريها ، وقد عرف الناس بخروجها من رائحة طيبها قبـــل ان يروها ، ومرت بحديقة القصر حتى خرجت من بابها ، واعين الفرسان شاخصة اليها ، وأكثرهم انما يأتى الى السباق ليتمتع بنظرة منها • وكانت « هند » ممشوقة القوام ، ممتلئة الجسم مســتديرة الوجه ، قمحية اللون مشربة بحمرة ، ســوداء العينين مع كحل ، وكان شعرها اسود مضــفورا قد أرسلت ضــفائره خصلة واحدة على ظهرها ، وجعلت على راســها تاجا صغيرا مرصعا وضعته مائلا نحو اليمين ••**

وصلت « هند » الى السرادق الذى كان يتصدره أبوها ، وعلى يساره « ثعلبة » • ورحب بها أبوها وأجلسها الى يمينه ،

فقد كان مولعا بها حتى تسلطت على عقله ورأيه . ولما تمت معدات السباق نودي على الفرسان ان يتهيأوا للسباق ، فركبوا جميعا وجاءوا واحدا واحدا يلقون التحية الى ملكهم « جبله » وابنته « هند » ، وثعلبة بن الحارث . وفيما كانت هند تنظر في وجوه الفرسان في حذر ، كأنها تتوقع رؤية فارس تعرفه ، وقع نظرها على أحدهم . كان أنضرهم وجها ، في نحو العشرين من عمره ، يظهر من لباسه وملامح وجهه أنه ليس من (غسان) ، وكان ربع القامة ، أسود العينين ، حاد النظرات ، يرتدي عباءة عربية ويضع على رأسه ملفحة من الحرير المزركش ، شد فوقها عقال . وكان الناس قد عرفوه باسم « حماد » . وعرفوا أنه وفد من العراق مع ابيه الامير « عبد الله » للوفاء بنذر قديم في دير الراهب « بحيراء » .

وأعطى « جبلة » اشارة بدء السباق ، واندفع الفرسان يستقبلون حلبة السباق بصدور جيادهم ، وقد علقت عينا « هند » بـ « حماد » ، وتبعته ببصرها حتى توارى ورفاقه ، ولبثت تنتظر عودتهم حتى عادوا وقصبة السباق في يد « حماد » ، فانقبض وجه « ثعلبة » ، وقال مخاطبا عمه « جبلة » : « هذا فارس غريب ! » .. فالتفتت هند وقالت في هدوء : « وما يمنع أن يكون الفائز غريبا ؟ » .. فكان لكلام هند وقع السهام على قلب ثعلبة ، واتقدت الغيرة في صدره ، فتبسم وقال : « لن يكون له مسابق سواي ، ولأعلمنه الفروسية منذ هذا اليوم ! » .. قال ذلك وملامح الغدر وسوء القصد ظاهرة على وجهه ، فخافت هند أن يكون قد نوى بالفارس الشاب سوءا ، أما « جبلة » فقد أمر باقامة شوط آخر بين « ثعلبة » و « حماد » ، وقد ساءه أن يفوز بجائزة هذا السباق ــ وهي درع سلمانية ــ فارس غريب .

وانطلق الفارسان ، ولم يمض الا قليل حتى عاد « حماد »

وفي يده قصبة السبق ، ووراءه « ثعلبة » يسوق جواده الى الفسطاط ، وابتدر عمه قائلا : « لم يسبقني هو بل فرسه ، فانها من خيـل الجن ، ولو ركبتها انا ما اسـتطاع أحد ان يسبقني ! » .. فلما سمعه « حماد » نزل عن جواده وقال له : « اليك جوادي فاركبه واعطني جوادك ! » . . **وكانت ((هند)) تنظر اليهما فخافت ان تنقلب الاية على « حماد » ، وقد شعرت ان حبه تمكن من قلبها في تلك الساعات القليلة بما لا يساوي في اعوام ! .. اما « ثعلبه » فقال ما قاله انتحالا** لعذر يغطي به فشله وخجله ، وهو لا يظن « حمادا » سيعطيه جواده ، فلما تنحى له عنـه لم ير مفرا من الركوب ، فركبا ونزلا في ساحة السـباق حتى تواريا عن الابصار ، فلبث الناس ينتظرون عودتهما وكأن على رؤوسهم الطير ، وكانت الشمس قد مالت نحو المغيب فأرسلت بقية أشعتها الارجوانية على السـهول وما وراءها من الجبال والاودية ، وقد هـدأت الطبيعة وسكن جأش النهار . فلما أبطأ الفارسان كثر اللغط بين الناس حتى هم بعضهم أن يلحق بهما ليرى سبب التأخير ، وكانت « هند » أكثر الناس قلقا فقد خافت غدر « ثعلبة » ! .. ثم ما لبثت أن شاهدت الغبار ، وظهر من ورائه فارسان هما « حماد » و « ثعلبة » ، والقصـبة في يد حماد ، فما صدقت عينيها ، وكاد قلبها يطير من الفرحة . أما أبوها فشق عليه أن يكون الفائز رجـلا غريبا ، ولكنه رحب به . وتقدم حماد من هند وقدم لها قصبة السبق ، فرأتها هند قصـيرة فتأملتها فاذا هي مقطوعة بنصل براها برى القـلم ، فأرادت السؤال عن السبب فنظر اليها « حماد » خفيـة كأنه يقول لها : « لا تفعلي » فسكتت وفي نفسها أن تعرف السبب .

وجاء رجال « جبلة » يحملون الدرع ، ووقفت « هنـد » ووجهها يطفح بالسرور ، وتقدمت الى حيث كان يقف « حماد »

وقد نزع عن رأسه الملفحة والعقال ، فبانت ملامح وجهه جيدا ، فازدادت « هند » هياما به ولكنها استغربت منه امرا ، استغربه كل من شهد الاحتفال ، ذلك أن « حمادا » لما نزع ملفحته ظهر شعر رأسه طويلا حتى غطى ظهره ، فلم يفهموا معنى ارسال شعره على هذه الصورة ؟! .. والبسته هند الخوذة والدرع ، وانتهزت فرصة انشغال الناس بالتفرج وهمست في اذنه قائلة : « نلتقي غدا في دير بحيراء ! »

وعادت هند الى القصر تاركة اباها و « تعلبة » يتحدثان في أمر ذلك الفارس الغريب ، والتقت هند بأمها « سعدى » التى كشفت لها عن سر القصبة المبتورة ، فقد ذهبت الى أطراف حدائق القصر لتشهد نهاية السباق من هناك ، وقالت تروى ما حدث : « رأيت حمادا وثعلبة في شوطهما الاخير ، ورأيت حمادا وقد وصل الى القصبة قبل ثعلبة ، وفيما هو يقتلعها اذ بثعلبة قد هجم واستل سيفه وهم بقتله ، فتلقى حماد السيف بالقصبة فقطعت ، ثم رأيت حمادا وقد اقتلع ثعلبة من صهوة جواده ورماه أرضا وجثا على صدره ، فخفت أن يقتله وسمعت ثعلبة يستعطفه ، فنهض عنه وتصافحا وعفا عنه وعادا » .

فما أتمت « سعدى » حديثها حتى اختلج قلب هند اعجابا بشهامة حماد ، وازدادت احتقارا لثعلبة !

— ٢ —

● عاد حماد من (صرح الغدير) وهو لا يفكر الا في هند ولايزال يرن في أذنيه قولها : «سنلتقى غدا في دير بحيراء» . والتقى حماد بأبيه « عبد الله » ، ودار بينهما حوار أدرك منه عبد الله أن حمادا متيم بهند — بنت « جبلة بن الايهم » —

ويود الزواج منها • وبدا الوجوم على وجه « عبد الله » وأبدى نفورا من هذا الزواج ، فلما حاول حماد أن يستوضحه رأيه قال له : **« انني لا أستطيع أن أقول رأيي الا في اليوم المضروب لوفاء النـــذر ، وهو يوم (احد الشعانين) ، ونحن الآن في الصوم الكبير ولم يبق الا بضـــعة أيام فتتم السنة الحادية والعشرون من مولدك فنقص لك شـــعرك ، ونكشف حقيقة امرك ، فتدخل عالما جديدا وتطلع على أسرار ربما كان فيهـــا ما يحول بينك وبين هند ! »**

ويزداد عجب حماد ويشتاق الى مجيء يوم الشعانين شوقا زائدا ، وهو يفكر فيما سمعه من أبيه الامير عبد الله ، ولكنه يقول في نفسه : « وماذا عسى أن يحول بيني وبين هند وقد تمكن حبها من قلبي ، ان هذا لن يكون أبدا ! »

وفي صباح اليوم التالي ركب حماد جواده وأسرع به الى دير « بحيراء » الذي يقع في ظاهر مدينة (بصرى) ــ وهي تبعد حوالي تسعين كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من دمشق ، وهي مدينة قديمة العهـــد عاصرت دول اليهود فاليـــونان فالرومان ــ وبلغ « حماد » المدينة وقصد منها الى الدير حيث سأل عن صومعة الراهب بحيراء فدلوه عليها ، وهناك التقى بناسك عجوز كان تلميذا لبحيراء ، فرحب به لما علم أنه من أهل العراق ، وأخبره بقصة القافلة التي جاءت من مكة للتجارة ونزلت شرقي هذه الصومعة التماسا للراحة فخرج « بحيراء » للتحدث اليهم فشاهد بينهم غلاما جميـــلا تلوح عليه ملامح المهـــابة والنجابة والذكاء ، فلمـــا رآه بهت وقال لمن حوله : « انظروا الى هذا الغلام فانه مولود في البرج الذي قلت لكم عنه وهو الذي سيهدي بني اسـماعيل ! » •• ثم سأل كبير التجار عنه ، فتقدم رجل كهل تتجلى في وجهه دلائل الجلال والوقار ، وقال : «هو ابن أخي» ، فأنبأه « بحيراء » بمستقبله

وقال له : « احذر اليهود فانهم اذا عرفوه كادوا له كيدا » .
ثم عرف أن اسم الفتى « محمد » واسم عمه « أبو طالب » .
وأقام أولئك الركب فى الدير حينا ثم ساروا الى (بصرى)
فالشام وعادوا بعد ذلك الى مكة ، ثم كانوا كلما مروا بالدير
أقاموا به كالعادة .

فقال حماد : « وهل صحت نبوءة بحيراء ؟ »

قال : « نعم فان ذلك الغلام القرشى أصبح نبيا كبيرا تسمى ديانته الاسلام ، وقد انتشرت سطوته فى كل جزيرة العرب . ويحدثنا التجار القادمون من الحجاز عن أعماله وحروبه وانتصاراته » .

فقال « حماد » : « أظنني سمعت شيئا عن هذا النبى يوم كنت فى العراق ، فما رأيك اذا حل على الشام والعراق ؟ »

فبهت الشيخ الناسك وفكر برهة ، واغرورقت عيناه بالدموع وقال : « آه يا ولدى ، أظنه يستولى عليهما جميعا لما نعلمه من اختلال الاحوال ، فان قيصر الروم لم يكد ينتهى من حروبه مع الفرس بعد ، وهذه قلاعنا وحصوننا لا تزال متهدمة ، وحكامنا فى شاغل عن ترميمها بالانقسامات الدينية التى هى أصل الشقاء ، ألا ترى بطاركتنا فى جدال دائم على أمور ما أنزل الله بها من سلطان ، فبطريرك الاسكندرية يقاوم بطريرك القسطنطينية ، وبطريرك « أنطاكية » يخالف هذا وذاك . وترى الشعوب مقسمة أيضا مثل هذا الانقسام ، ناهيك باليهود وهم ألد أعداء الدولة وقد يبذلون أموالهم وأرواحهم فى سبيل خرابها » .

وما أتم الراهب الشيخ كلامه حتى أنهكه التعب ، وأثر فى أعصابه ما قاله عن حال الروم وما خافه عليهم من سطوة العرب ، فتململ وتزحزح عن مكانه كأنه يريد أن يبكى ، فتركه « حماد » لشأنه ونهض فسار الى شجرة وارفة

اسند ظهره على جذعها وأخـذ يفكر فيما سمعه من ذلك الراهب ، فغلبه النعاس وهو لم ينم أمس الا قليلا ، ثم أفاق على صوت صهيل الخيـل ، **فالتفت فاذا بفارستين بلباس أميرات (البلقاء) وراءهما خادمانوقفتا تحتشجرة بالقرب منـه ، فنهض على الفور فرآهما ملثمتين ، ولكنـه عرف من الفرسـين انهما ((هنـد)) واحدى خادماتها ، فمشى نحو الصومعة وبعد قليل لحقت به ((هند)) ، وقالت وقدتوردت وجنتاها : ((جئت لاهنئك بتلك الدرع دليل سبقك ، فانت الفائز ، وفى الاشارة غنى)) .**

قال : ((أما تلك الدرع فانها أثمن مانلت وما سأنال من خيرات هذا العالم ، فهى تقينى نوائب الزمان ، وهى تعويذة أتقى بها حبائل الشيطان ، ولكن من أين لى أن أكون السابق وأنا رجـل غريب لاتعرفون من أمرى شيئا ، والمقـام مقام ملوك ؟)) . فنظرت اليه بطرف عينها وقد ذبل جفناها ، وأبرقت حدقتـاها وقالت : ((ولكن لكل مجتهد نصيب ، وما الملك يا ((حماد)) الا من ملك القلوب وتسلط على العواطف لا من جمع المال وحاز حطام الدنيا الفانية)) .

فالتفت اليها وقد شعر بميلها اليه وقال : ((ذلك سخاء عهدناه فى بنى (غسـان) ، فهل تعطفين على أسيرك بكلمة تشفى غليله وتبرد لظاه ؟)) .. فتنهدت وقد اشتـد بهـا الهيام ، وقالت : ((ماذا أقول وكل جارحة منجوارحى تنطق بما فى قلبى ، ولكن مالى أرى ((حمـادا)) يبخل علينـا بكلمة ؟)) .

قال : ((بماذا يبخل حماد ولم يبق له مايجود به ، ولايرى حاجة الى القول ، فكل جوارحه قد كتب عليها أنه أسـير حبك ، وأن رضاك أكبر أمانيه !)) . فنظرت اليه وقد أخذ الحياء منها مأخذا عظيما وقالت : ((اعذرنى ياحمـاد

على ضعفى فجنس النساء مهما تبلغ قوته ضعيف ، فاشفق وقل كلمة ! » .

فمد يده الى يدها فاذا هى باردة كالثلج ، وخيل له انها ذائبة بين أصابعه ، وما لمسها حتى شعر بقشعريرة تسرى كالكهرباء فى سائر أعضائه ، ولا ريب أنها شعرت بمثل ذلك أيضا ، فجعل يدها بين يديه وقال : «أقول كلمة وأرجو الا تكون ثقيلة عليك » . . فأطرقت ثم قالت : « قل ، لقد نفد صبرى واخشى أن يخوننا الوقت » . قال : « اعلمى أنى اسـير حبك ، ولا أبغى من هذا العـالم الا رضاك ، فماذا تقولين ؟ » . . قالت : « انك تعبر عن عواطفى » .

وفيما هما يتناجيان اذ سمعا صهيل خيل خارج الدير ورأيا الرهبان فى جلبة ، فوقفت « هند » فجأة فقال حماد : « ما الذى راعك يا حبيبتى ؟ » . . قالت : « أظن « ثعلبـة » قادما الى الدير ، فلعله علم باجتماعنا فجاء يريد بنا سوءا ، فالأجدر أن نفترق قبل فوات الأوان ! » .

وما اتمت كلامها حتى دخل عليها جماعة من جند (بصرى) وأحاطوا بحماد وهموا بالقبض عليه انصياعا لصوت يقول : « امسكوا هذا الرجل وائتونى به حيا أو ميتا ، انه جاسوس ذميم ! » . . فعرف حماد صوت « ثعلبة » فخرج الى جهة الصوت والجند يفرون من أمامه ويتفرقون حوله ولم يستطع أحد أن يمسكه فصاح بثعلبة : « تقدم أنت ياجبان لنرى من هو الخائن » ، واستل حمـاد خنجره وهجم على الجند والناس يبحث عن « ثعلبـة » فلم يعرفه بينهم فاعترضه أحدهم وهم بالقبض عليه فطعنه حماد طعنة أصابت كتفه فصاح من شدة الألم ، فتفرق الناس ، فأراد حماد الفرار خوف الفضيحة لولا انه تذكر « هندا » فخاف أن يفتك بها ذلك الخائن فعاد اليها وقال لها : « انجى بنفسك لئلا تقع

كلانا وفى وقوعك عار علينا . » فقالت : « لن أتركك بين ايدى هؤلاء اللئام ، والله لن يظفروا منك بطائل » ، وهمت بأحدهم فاستلت حسامه وهجمت على الجند وكانوا عديدين فتفرقوا فقالت : « خسىء الأنذال هلم الى » وخرجا معا والليل قد أسدل نقابه فاسرعا الى فرسيهما فركباهما وانطلقا . .

— ٣ —

● **ودع** حماد هندا قبل أن يصلا الى (البلقاء) وسار فى طريق العودة الى داره ، وفيما هو سائر بين الأشجار والطريق كثيرة الحصي سمع وقع حوافر جواد مسرعة نحوه فأصاخ بسمعه وحدق بعينيه جهة الصوت وهو يقترب منه والظلام حالك ، فلما دنا القادم سمع صوتا يناديه : «حماد» فعرف أنه صوت « سلمان » خادمه ، فوقف حتى تقابلا فقال حماد : « ما الذى جاء بك الآن ؟ » .

قال : « جئت بأمر من سيدى أبيك لكى تفر فى أقرب فرصة من (البلقاء) الى (عمان) . قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لان صاحب (بصرى) بعث شرذمة من رجاله فقبض على أبيك واستولى على كل ما فى البيت ! » .

فبهت « حماد » وقد أدرك السبب ولكنه تجاهل وقال : « ولماذا فعلوا ذلك ؟ » قال : « زعموا أنه جاسوس من ملك العراق فساقوه مخفورا الى بصرى ، وسمعت الرجال يسألون عنك فى بادىء الأمر ، فلما لم يروك قبضوا على سيدى ونهبوا المنزل ، ولم يتركوا شيئا ، فأسر الى أبوك أن اقتفى أثرك ثم نفر الى عمان ننتظره هناك شهرا فان أبطأ بحثنا عنه فى بصرى . »

فانقبضت نفس « حماد » وكادت تخنقه العبرات ، وعلم أن الذين قبضــوا على أبيه هم « ثعلبة » ورجاله ، فحدثته نفســـه أن يلوى عنان جواده الى (بصرى) وقد كبر عليه الفرار ولكنه أطاع أمر ابيه وسار مع « سلمان » صامتا يفكر فى حاله مع « هند » وكيف ساقه الحب الى هذه العاقبة !

⊙❖⊙

● **أما** الأمير « عبد الله » فقد أرسل الى قائد جند الروم فى (بصرى) لمحاكمته متهما بالتجسس ، وهناك وجدوا معه خاتما باسم « النعمـــان بن المنذر » ملك العراق الســابق وحليف الفرس ، فكاد هذا يثبت صحة اتهامه وخاصة أنه لم يبح بسر وجود الخاتم معه . ولما أصر على عدم الاعتراف بشىء أرسله القــائد الى دمشــق ليمثل أمام الامبراطور « هرقل » وكان قد عاد لتوه بعد انتصارساحقعلىالفرس ، ولما وصل « عبدالله » الى دمشق كان الامبراطور قد غادرها مشيا على الاقدام الى (القــدس) وقد نذر هذه الرحلة لانتصاره ، فتبعه الجند ومعهم عبد الله الى القدس ، **وبعد أن فرغ الامبراطور من احتفالاته قدم له عبدالله متهما بالتجسس ودليل التهمة الخاتم الذى يحمل اسم « النعمان بن المنذر » . وحاول الامبراطور حمله علىالاعتراف بسر هذا الخاتم ولكنه أصر علىالكتمان فكاد هذا يثبت صحة اتهامه لولا أنه اعترف بسر وجــود الخـــاتم للبطريرك الاورشليمى فاكد الأخير للامبراطور أن سر الخـــاتم لا عـــلاقة له بأمن الامبراطورية الرومانية وسلامتها ، فاعلنالامبراطور براءته وأمر«الحارث» حاكم بصرى أن يعطيه كتاب الأمان** ، وفى أثناء ذلك جاء الى « هرقل » كتاب من صاحب الشريعة الاسلامية يدعوه فيه الى الاسلام ، وكان « أبو سفيان بن حرب » قد جاء من مكة

الى غزة للتجارة كعادته فاستقدمه هرقل واستمع منه لسيرة النبى العربى الجديد منذ نشأته الى أن انتشرت دعوته . وكان عبدالله يقوم بالترجمة بينه وبين أبى سفيان.

وبعد انتهاء مقابلة « هرقل » وأبى سفيان رافق عبد الله قافلة أبى سفيان مزمعا السفر الى عمان كى يلتقى بابنه حماد ، ولكنه وجد مع القافلة جواد ابنه وعلم انهم عثروا عليه عند قدومهم ضالا فىالصحراء بالقرب من (الزرقاء) المشهورة بسباعها الضارية ، ثم وجدت فى تلك المنطقة بقايا عباءة ابنه وسرج جواد خادمه « سلمان » فتحقق انهما راحا فريسة السباع ، وحاول « أبو سفيان » التخفيف عنه واحياء الامل فى نفسه ولكن بلا فائدة ، وعرض عليه أن يصحبالقافلة الى الحجاز ولكنه آثر البقاء ، وقبل أن يدخل (عمان) بعد تخلفه عن القافلة التى واصلت سيرها الى الحجاز ، وقع فى اسر الجيش الذى أرسله النبى لقتال « بنى غسان » الذين اهانوا رسوله ، فقد أرسل النبى كتابا يدعوهم الى الاسلام ووصل كتابه الى « الحارث » فمزقه وامتهن حامله فشق ذلك على صاحب الدعوة فأنفذ جندا من رجاله لقتالهم فاستعد « الحارث بن أبى شمر » و«جبلة بن الأيهم» ــ ملكا غسان ــ لمواجهة هذا الجيش .

وكان حماد وسلمان قد مرا بـ (الزرقاء) وهما فى طريقهما الى عمان حيث تواعدا مع الامير عبد الله علىاللقاء ، وقد نجوا بأعجوبة من أسد لقيهما فى الطريق . . فقد أسرعا بتسلق شجرة وتركا جواديهما . . ففتك الاسد بجواد سلمان وفر جواد حماد ، وظل يضرب فى الصحراء ضالا حتى عثرت عليه قافلة أبى سفيان ، وواصل حماد وسلمان سيرهما الى عمان وظلا فيها فترة من الزمن انتظارا لعبد الله ، فلما لم يظهر له أثر فيها عادا الى البلقاء . وذهب حماد لمقابلة هند

وأمها « سعدى » وكانت هند قد باحت لامها بسرها وأعلنت رفضها لقبول ((ثعلبة)) زوجا لها ، واعلمتها انها تؤثر الموت على الحياة اذا أصر أبوها على أن تتزوج من هـذا الخائن ، واستطاعت ((سعدى)) بحسن حديثها أن تحول ((جبلة)) الى صف ((هند)) وقد أثارت فيه عواطف الابوة ، ووافق جبلة على ان يرفض طلب ثعلبة ويقبل حمادا زوجا لابنته .

غير ان جبلة وسعدى اشترطا على حماد ان يقدم لهند مهرا عزيزا وهو قرطا « مارية » بنت ظالم ، وقيل لحماد ان هذين القرطين موجودان فى الكعبة . وكانت « سعدى » هى التى فاتحت «حمادا» فى أمر القرطين . . فقد قالت له بعد أن بشرته بقبول جبلة : « رأينا أن تعمل عملاً نقترحه عليك لايعظم على باسل مثلك ، فاذا فعلته قطعت ألسنة المعترضين وزدتنا اعجابا وفخرا » . فثارت الحمية فى نفس حماد وقال : « قولى ياسيدتى ، انى فاعل ماتقولين . . ولا يثقل على أمر ترضى به هند » . قالت : « نقترح عليك أن تلبس « هندا » يوم زفافها قرطين فيهما لؤلؤتان كل لؤلؤة منهما قدر بيض الحمام ! » .

فقال : « لعلك تعنين قرطى مارية ؟ »

قالت : « اياهما أعنى ، هل تدرى مكانهما ؟ »

قال : « سمعت أن « مارية » جدتكم أهدتهما الى الكعبة منذ أجيال ، فهل هما باقيان هناك حتى الآن ؟ »

قالت : « أظنهما لايزالان هناك ، وفى الاتيان بهما من الكعبة بسالة واقتدار جديران بك ! » .

فلما سمع ((سلمان)) ذلك اضطرب قلبه خوفا على سيده لعلمه أن الكعبة أمنع من عقاب الجو ، ولكنه أسلم أمره الى الله ، وكان يرجو ان يلتقى بالامير عبد الله فى الحجاز ، وقد علم

انه كان يرافق قافلة ((أبى سـفيان)) فى طريق عـودته الى الحجاز .

وقضى حماد وسلمان يوما فى (صرح الغدير) ، قضـاه حماد مع هند وقضاه سلمان يستعد لرحلة الحجاز . لكن هندا لم تهنأ بذلك اليوم لخوفها من الفراق العاجل وقرب الخطر الشديد ، على أنها شغلت بحديث حبيبها وأنستها رؤيته كل المخاوف ، فلم يكن يوم أسعد عليها من ذلك اليوم. وودت لو انه لاينقضى . ولاتسل عن حماد وسروره وقدسهل عليه المسير الى الكعبة أمله فى لقاء أبيه هناك .

وفى صباح اليوم التالى رحل حماد وسلمان ووصلا الى مكة للبحث عن القرطين المطلوبين ، وعن عبد الله ، وهناك شـهدا فتح مكة وتحطيم الاصنام التى كانت فى الكعبة بيد النبى ، وأخذ حماد وسلمان يبحثان عمن يدلهما على مكان القرطين حتى اسـتدلا الى رجل عجـوز من (خزاعة) ، قال لهما : ((ان حكاية هذين القرطين أصبحت فى خبر كان . لأن الكعبة هدمت وبنيت مرارا بعد اهداء القرطين ، ولا يعلم أحد بمكانهما ، والارجح انهما بيعا الى أحد التجار الجائلين)) .

وانقبضت نفس حـماد وحاول سلمـان أن يسرى عنه بعبارات التعزية ، ومناه بوسيلة يتخذها للتعويض عن هذين القرطين أمام هند ، على أن ذلك لم يكن ليخفف شيئا من قلق حماد . وكان حماد كلما تصور فشله فى مهمته اشتد به اليأس والحزن ، وعظم عليه أن يعود الى (البلقاء) صفر اليدين ، فحدثتـه نفسه بأن يعتزل الناس ويأوى الى دير يقضى فيه بقية حياته . وكان يناجى هندا فى خياله ضارعا : ((آه منك ياهنـد ، بل آه من هـذا القلب الذى عصـانى وأطاعك ، ونعم مافعل ، فانك والله جديرة بحبه ، ولكن أباك ــ آه من أبيك ــ أراد مستحيلا فطلب مهرا ، العنقاء أقرب

منه منالا ، وكأنى به لايرضانى له صهرا . وعذره مقبول مادام نسبى مجهولا ، ان القرطين لم يوجدا ، فأنت بعيدة المنال منى . آه يا « هند » ، اأعود اليك بصفقة المغبون ؟ واذا عدت كذلك فماذا يكون رأيك فى ؟ لاريب عندى أن أمر القرطين لا يهمك ، فأنت لاترضين أن أشقى فى سبيل البحث عنهما الا مجاراة لوالديك ، ولكن كيف أقابل أباك ، وماذا أقول له ؟ كلا . . لن أعود الى (البلقاء) على هذه الحال وقد فقدت أبى فى بلاد لا أعرف فيها أليفا . ومن يدرينى أين هو ؟ وأين النذر ووفاء النذر ؟ ياليته قص شعرى قبل أن أفقده ، فقد وعدنى أنه متى وفى النذر وقص الشعر يطلعنى على أمور تهمنى وقد يكون لها شأن بزواجى ، فأين أبى الآن؟ من يعلمنى أين مقره فأطير اليه مسرعا ، أما اذا يئست منه ومن هند فلن يعود لى فى الحياة مأرب ؟ » .

وكان حماد فى شاغل من هواجسه عن هند ، والقرطين ، وأبيه ، فلم ينتبه الا وسلمان ينادى بأعلى صوته : « مولاى الأمير ؟ مولاى الأمير ؟ » فالتفت حماد فاذا هو أمام أبيه « عبدالله » ، فنهض كما نهض سلمان وضم عبد الله «حمادا» وراح يقبله ودموع الفرح تتساقط على وجهه ، «وسلمان» يقبل يد « عبد الله » ويهنئهما كليهما ، فانبسطت وجوه الجميع وزال منها العبوس .

وعلم حماد من عبد الله أن الجيش العربى الذى أرسله النبى لتأديب الغساسنة أسره وجاء به الى مكة ثم أطلق سراحه عندما تأكد لقائد الجيش أن عبد الله ليس من الغساسنة وأنه عراقى ، وظل يسعى فى مكة حتى قادته المصادفة السعيدة الى حيث كان حماد وسلمان . وقص سلمان حكايته مع حماد والاسد وكيف نجوا منه بتسلق الشجرة ، وما وقع بعد ذلك من حديث هند وأبيها وحب حماد لها ، ثم ماكان

من خطبة حمــاد وما اقترحه عليه « جبلة بن الأيهم » على لسان زوجته « سعدى » مهرا لابنته ، وما لاقاه حماد فى سبيل ذلك من الاسفار والاخطار حتى جاءا (مكة) وشهدا فتحها ، وكيف يئسا من وجود القرطين هناك حتى تجدد الأمل بما علمه سلمــان من أحد التجار من أنهما فى خزانة « النعمان بن المنذر » فى (الحيرة) .

— ٤ —

● **وعاد** الثلاثة الى (البلقاء) للوفاء بالنذر من ناحية ، ومعرفة أخبار « هنــد » من ناحية أخرى . وبعث حمــاد بسلمان الى (صرح الغدير) لمقابلة هند وامها ، ولما عاد كان حماد فى انتظاره ، فاستقبله وهو يتفرس فى وجهه لعله يقرأ فى ملامحه مايبشره ، فرآه يبتسم ووجهه منبسط الأسارير ، فرحب به وسأله عن الخبر فقال : « ابشر يامولاى ان الله قد محا كل شــقاء كتب علينا ، وزالت كل الموانع التى كنا نخاف وقوعها بينك وبين هند ! » . . فقال : « وكيف حال هند ؟ هل هى مسرورة برجوعى ؟ وهل علمت أننا لم نعثر على القرطين ، وماذا قالت ؟ » . . فضحك سلمان وقال : « ان القرطين لم يعد لهما دخل فى أمر زواجكما ، فقد تغير وجه المسألة بموت « الحارث بن أبى شمر » وهوان « ثعلبة » من بعده ! . . واذا شئت الاقتران بهند فى صباح الغد امكنك ذلك لأن الفتاة وأبويها راضون بك ولا يريدون منك شيئا ! »

واسرع حماد الى (صرح الغدير) وكانت هنــد أول من التقى به من سكان القصر ، فبادر نحوها ومد يده مسلما ووجهه يطفح سرورا وعينــاه شاخصتان اليها تشعان حبا

وهياما ، فمدت يدها وهي تنظر الى الأرض خجلا . . ولكن الابتسام غلب عليها ، ولما أمسكت يده شعرت بقوة انبثت فى كل أعضائها ، ثم توردت وجنتاها وأبرقت أساريرها . .
فقال حماد : « كيف أنت يا « هند » ؟ فقد أطالت البعد عنكم ، ومعذلك فقد عدت بخفى حنين ! » فغلب عليها الحياء ولكنها نظرت اليه بعينين براقتين تنبعث أشعة الوله منهما ، وقالت : « لا حاجة بنا الى الخفين ولا القرطين ، وحسبنا عودتك سالما ، فالحمد لله على ذلك » .

وتقابل حماد بعد ذلك « بسعدى » والملك جبلة ودار الحديث بينهم على ماجرى له ولأبيه ، ثم تكلموا فى أمرالزواج، فطلب حماد تأجيل الزواج الى مابعد الوفاء بالنذر فى يوم الشعانين ، على أن يتم فى يوم عيد القيامة .

وعاد « حماد » الى أبيه الذى كان قد سبقه الى دير « بحيراء » استعدادا للوفاء بالنذر ، فحكى له حماد مالقيه من التكريم والاحتفاء ، وما دار بينه وبين « جبلة » مما لم يكن يحلم به . وكان حماد يتوقع أن يرى من أبيه بعد هذا الحديث اعجابا وسرورا ، فلم ير وجهه يزداد الا انقباضا ، ولم يجب بكلمة ، فاعتقد أن مسلكه هذا له علاقة بسره .. فلبث ينتظر يوم الشعانين بفارغ الصبر !

◎❖◎

● **وأخيرا** جاء يوم الشعانين ، وطلب عبد الله من راهب صومعة « بحيراء » أن يقص شعر « حماد » وأن يؤدى الشعائر الدينية الخاصة بهذه المناسبة ، وبعد أن تم ذلك كله ، وفى حضور الراهب وحماد وسلمان ، كشف عبد الله السر الذى كان ينتظر الثلاثة معرفته ، فاذا بحماد هو فى

الواقع « ابن النعمان بن المنذر » واسمه الحقيقى «المنذر» ، وكان جنينا فى بطن أمه عندما قبض « كسرى » على أبيه وسجنه ، وفى سجنه أفضى الى « عبد الله » ــ وكان من رجاله المقربين ــ بأنه ينتظر مولودا من زوجة له ، فعليه اذا كان المولود ذكرا أن يتولى تربيته كأنه ابنه حتى يبلغ الحادية والعشرين من العمر ، ثم يعلمه بسره ، وأن أباه النعمان قد نذره لينتقم له من « كسرى ، !

.. وسلم « عبد الله » « حمادا » كتابا بخط أبيه النعمان جاء فيه : « من النعمان نزيل دار البقاء الى ابنه المنذر ، المقيم بين الاحياء ، أما بعد فهذا كتاب كتبته وانا فى عالم الوجود وأنت فى دار الفناء ، وستقرؤه بعد رجوعى الى عالم الغيب وبروزك فى عالم الاحياء ، فاذا قرأته وقد وفيت نذرك وعرفت حقيقة نسبك **فاعلم أن عظامى تناديك من ظلمة القبر وتستحلفك بشرف اجدادك المناذرة من آل لخم الا تقرب امرأة ولا تشرب خمرا حتى تنتقم لابيك من أكاسرة الفرس ، فاذا فعلت ذلك فانك مبارك انت ونسلك .. وان لم تفعل فان رفاتى ترتعش حنقا ونفسى تتالم وهى تنظر اليك من منافذ الآخرة تراقب حركاتك ، وسيجمعنى واياك موقف نتحاسب فيه والسلام »** .

وكان عبد الله ينتظر ما يبدو من حماد ، فلما رآه صامتا قال له : « هذا هو السر يا سيدى قد اطلعتك عليه ، فألقيت عن عاتقى حملا حملته عشرين عاما ونيفا ، وكنت أخاف أن أقضى نحبى قبل افشائه ، فانظر ماذا تفعل » . فقال حماد: « لقد ألقيت عنك حملا أثقلتنى به ، وارجو أن أوفق فيما عهد به الى ، والله منجدى ونصيرى » .

وخرج الثلاثة من الدير صامتين وكأن على رؤوسهم الطير لهول ما سمعوا ، وحماد أكثرهم ذهولا لانه اصبح لا يدرى ماذا يفعل ، وهل يسير الى « هند » ليطلعها على سره ـ وليس فى ذلك السر الا ما يوجب كدرها لانه حائل بينها وبين الاقتران به ، الى اجل غير معين ، وان يكن فى اطلاعها على حقيقة نسبه ما يسرها ـ أم يخاطب « جبلة » فى الامر لعله يشير عليه أو ينجده . أم يقصد العراق فينزل (المدائن) ساعيا فى الانتقام من كسرى ؟ .. فلما فكر فى مسيره الى هناك تهيب ، لعلمه بما يحول بينه وبين ذلك من العقبات ، فان الاكاسرة اهل بطش ومنعة .

وذهب حماد لمقابلة هند واطلعها على سره ، بالرغم من تحذير « عبد الله » له بألا يفعل . وفرحت « هند » ولم تستطع كتمان السر ، فاطلعت عليه أمها ، واغتبطت « سعدى » ولم تستطع كتمان السر فاطلعت عليه زوجها « جبلة » ، ولكن « جبلة » لم يقابل هذا السر بالفرحة وانما اغتم لذلك ، وقد ادرك أن عرش الغساسنة سيصير الى منافسيه من آل لخم اذا تزوج حماد من ابنته وليس له وريث غيرها ، ودبر « جبلة » امره (وكان هرقل قد استدعاه كى يلحق به ومعه رجاله الى دمشق استعدادا لمواجهة الجيش العربى الذى يزحف الى الشام بقيادة « خالد بن الوليد » و « عبيدة بن الجراح ») ، فطلب جبلة من حماد أن يبقى فى (بصرى) هو والامير عبد الله وسلمان على أن يسير هو وزوجته وابنته « هند » الى دمشق حتى تنتهى المعركة مع المسلمين . وأدرك عبد الله أن جبلة يريد التملص من وعده لحماد ! ..

— ٥ —

● **وأصبح** « حماد » ذات صباح فاذا « بهند » وأمها قد غادرتا « صرح الغدير » الى دمشق ، فعلم أن جبلة قد نفذ خطته ، ولكنه وجد « هندا » قد تركت له رسالة تقول له فيها : « لا يضعف عزمك ما رأيته من أبى ، وأصبر أن الله مع الصابرين » .

وأخذ حماد يستعد للانتقام لابيه ، ولكن الاخبار التى جاءت من العراق قد كفته مؤونة هذا الانتقام ، فقد قوض العرب ملك كسرى واستسلمت لهم العراق والمدائن بعد هزيمة القائد الفارسى « رستم » فى موقعة (القادسية) الحاسمة .

وبات حماد ينتظر ما تسفر عنه الحرب بين العرب والروم ، وكان الروم قد تجمعوا عند دمشق واستعد العرب لقتالهم عند نهر (اليرموك) . ودارت الدائرة على الروم فى موقعة اليرموك وكتب الله لخالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح انتصارا عظيما .

ولما علم حماد بأخبار الهزيمة وفرار الروم اسرع الى دمشق للبحث عن هند حيث تركها والدها مع أمها فى أحد الاديرة هناك ، فلم يعثر لهما على أثر ، وعلم أنهما ذهبتا مع من ذهب الى القدس ، فأسرع الى هناك فى الوقت الذى كان فيه العرب يحاصرون المدينة المقدسة . والتقى حماد بالبطريرك الذى كان يستعد لمقاومة العرب ، وعرض عليه حماد أن يتوسط بينه وبين العرب لدخول المدينة من غير قتال ، حفاظا على آثارها الدينية المقدسة .. وبعد تردد وافق البطريرك ، وقام حماد بهذه الوساطة بعد أن اشترط

البطريرك ان يسلم المدينة للخليفة عمر بن الخطاب ، وجاء « عمر بن الخطاب » راكبا ناقة وتسلم المدينة ، وتم للعرب فتح بيت المقدس . ولما فرغ حماد من هذا الامر أستعان بالعرب فى البحث عن « هند » ، واستمر يبحث عنها حتى علم أنها قصدت دير هند الصغرى بـ (الحيرة) ، وقد وهبت نفسها للدير بعد أن يئست من لقاء حبيبها حماد ، وبعد أن ضاع الملك من ابيها وسقطت الشام فى يد العرب .

واسرع « حماد » الى الدير .. وكان لقاء بين الحبيبين .. واستطاعت « هند » أن تترك الدير ، سيما أنها لم تكن قد مارست الشعائر الاخيرة للتبتل .

وجمع الله شمل الجميع : هند ، وحماد ، وامها ، وأبوها «جبلة» وعبد الله وسلمان ، وقد استقر الرأى بينهم جميعا على أن يعقدوا قران « هند » و « حماد » ، ثم ينتقلوا الى القسطنطينية (مقر الامبراطور « هرقل ») حيث يقضون بقية العمر هناك ، بعد أن لم يعد لهم مقام فى العراق أو فى الشام .

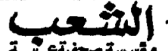
وبعد عقد القران و « الاكليل » ، ركب الجميع ، وسافروا متنكرين نحو « القسطنطينية » .. فوصلوا اليها بعد بضعة عشر يوما ، وأقاموا بها حتى قضى الله بما شاء ..

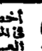
محتويات العـــــدد

الموضــــوع	الصفحة

كتابى

تصدر عن







الإدارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة - ت ٣١٨١٠ ● مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١

التوزيع : مكتبة دار الشعب

المطابع : قصر العينى - ت ٣١٨١٠ - ٣١٨١٨ - ٣١٨١٩ دير النحاس - تليفون ٨٤٤٨١٠

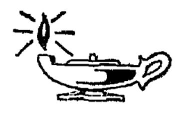
رئيس مجلس الإدارة السيد ابراهيم


كتابى
عدد ممتاز
لكل امرأة.. قصة!
حلمى مراد
زوجة البخيل
قصة من روائع الروائى العالمى
ستيفان زفايج
أخرى

كتابي

مجلة شهرية للثقافة العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد



الكتاب رقم ١٠٠

التحرير : ٢٣ شارع عرابى (توفيق سابقا) ، شقة ١١١ ، القاهرة ــ تليفون ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ــ ٩٢ شارع قصر العينى ، القاهرة ــ تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

لوحة الغلاف

بريشة الفنان « هبة عنايت »

هـذا العدد ..

عزيزي القارىء ..

● عندما شرعت في التحضير والتخطيط للسلاسل العديدة المتفرعة من « كتابى » ومطبوعاته ، (والتى ترى قائمة بها فى ظهر غلاف هذا العدد) ، اشفق الاصدقاء والزملاء الذين حدثتهم عن هذا المشروع ، من فداحة الجهد والنفقات التى يتطلبهـا اخراجه الى حيز التنفيذ ، والتى تفوق نطـاق الامكانيات الفردية وحدها .. لكن هذه العقبات ـ التى لم اكن اجهلها ـ لم تصرفنى عن الفكرة ، وان أخرت تنفيذها .. حتى التقى ايمانى بها ، وتحمسى لها ، مع خطة (دار الشعب) فى عهدها الجديد ، تحت ادارة الصديق الفاضل الاستاذ السيد ابراهيم ، الذى لمس القراء فى كل مكان نهوضـه بمطبوعات « دار الشعب » فى الآونة الاخيرة ، هذا النهوض الناجح المشرف ، الذى دل على مبلغ ايمانه برسالة النشر الثقافى ، ودوره فى خدمة القارىء العربى ..

.. ولعلك لا تعلم ان هذا ليس أول لقاء بين « السيد ابراهيم » وبين « كتابى » ، بل بينه وبينك أيها القارىء ـ ولا تعجب ! ـ فقد كان اللقاء الاول بين ثلاثتنا منذ نحو ١٤ عاما ، يوم كان « السيد ابراهيم » مديرا عاما لشركة الجمهورية لتوزيع الصحف والمجلات الدورية ، فساهم بجهد مشكور فى دفع عجلة «كتابى»وتيسير وصوله الى يديك ، لاكثر من عشرين عددا على التوالى ..

.. ثم كان اللقاء الثانى منذ نحو عامين ، حين كان « السيد ابراهيم » مديرا عاما « لدار التعاون للطباعة والنشر » ، وكنت أبحث عن مطبعة موفورة الامكانيات ، توفر لى احتياجات كتـابى من الورق ، وآلات جمع الحروف ، والطباعة ذات المستوى الجيد .. فوجدت عنده يومئـذ فى تلك الدار كل معاونة مشكورة ..

واليوم ، يجىء لقاؤنا الثالث الذى نستهله هذه الايام على نطاق أوسع ، وأقوى تعاونا ومشاركة ، والذى أوثر أن أترك لأعداد كتابى الجديدة أن تحدثك عنه بنفسها ، عددا بعد عدد .. والذى أرحب ـ كعادتى معك دائما ـ بأن اتلقى كل ما يعن لك من ملاحظات وتوجيهات بشأن كل عدد ، أولا بأول ..

مكتبة المرأة .. أو موسوعة المرأة .. أو ؟

● وأول عدد اود أن اتلقى ملاحظاتك بشأنه هو هذا العـدد الذى بين يديك ، وهو العـدد « المئوى » من أعداد « كتابى » ، من ناحية .. لكنه ، من الناحية الأخرى ، العدد « الأول » من سلسلة الأعداد الخاصة الجديدة عن المرأة ، (التى اشرت اليها فى احدى فقرات ظهر غلاف هذا العدد) .. وهى السلسلة التى حيرتنى فى تسميتها ، اكثر مما حيرتنى فى اختيار مادتها :

ترى هل اسميها ((مكتبة المراة)) ؟.. لكن القارىء قد يشعر من هذه التسمية ان موضوعاتها لا تهم غير النساء ، فى حين أعتقد انها تهم الرجال مثلما تهم النساء ، وربما أكثر !

ام هل اسميها : موسوعة المراة ، أو دائرة معارف المرأة ؟.. ولكن هذه التسمية قد توحى بأن مادتها ((أكاديمية)) متخصصة ، أقرب الى الأسلوب العلمى منها الى الطابع الأدبى ، والقصصى ، والتاريخى ، الذى عهدته فى كتابى !

فماذا تقترح ـ أو تقترحين ـ على أن أسمى هذه المجموعة من الأعداد الخاصة الجديدة ؟ هذا ما ارجو أن اتلقى رأيك بشأنه فى أقرب فرصة .. ولكى ايسر عليك مهمة اختيار الاسم الانسب ، أحدثك قليلا عن بعض أبواب هذه الموسوعة ، الأولى من نوعها باللغة العربية فيما اعتقد ، (وهى أبواب لم تتسع صفحات هذا العدد الا لبعضها فقط ، فاضطررت لارجاء بقيتها الى الأعداد التالية من السلسلة باذن الله) ..

كل شىء عن النساء ، ولكن ليس ((للنساء فقط)) !

● واليك ما يحضرنى الآن من أبواب هذه الموسوعة :

النساء فى جميع العصور (منذ حواء حتى اليوم) .. وفى جميع الشعوب (من المراة المصرية القديمة ، والصينية ، الى المراة اليابانية الحديثة ، والايطالية .. الخ) .. محاكمات النساء .. بطولة النساء .. خيانة النساء .. رسائل النساء .. اعترافات النساء .. الحب المكبوت عند النساء .. المرأة ملهمة العباقرة .. ٩ حريات للنساء .. المرأة عند اشهر كتاب الغرب والشرق .. كيف تنجح مع النساء (فى ضوء علم النفس) .. نساء عصاميات : الرائدات الأوائل فى كل الميادين : أول طبيبة ، أول سفيرة ، أول فلكية ، أول محامية ، وقاضية ، وطيارة ، وقرصانة ، وخبيرة صحفية ، ورحالة ، ومتسلقة جبال ، ورسامة ، ونحاتة ، وموسيقية ، وممثلة ، وراقصة ، ولاعبة رياضية ، وشاعرة ، وعالمة رياضيات ، ومحاربة ، وحائزة على وسام جوقة الشرف ، واستاذة جامعة .. وأول مكتشفة مناجم ، وأول من قفزت بالباراشوت .. وأول من طالبت بحقوق المرأة .. الخ .. الخ .

وفى انتظار الأعداد القادمة من هذه الموسوعة ، أقدم لك فى الصفحات التالية العدد الأول منها ، راجيا أن اتلقى رأيك التفصيلى فى موادها جميعا وفى الفكرة ذاتها على وجه العموم .. فى أقرب فرصة .

والله ولى التوفيق .

حلمى مراد

المـرأة .. ملهمة العباقـرة !

نساء .. فى حياة برنارد شو

للكاتب الإنجليزى المعاصر "هسكيث پيرسون"



عرض وتلخيص : حلمى مراد

G.B. SHAW - WOMEN : HESKETH PEARSON

شذوذ العباقرة !

• **العبقرى** انسان من نوع خاص ، نسيج وحده ، لذا لا يمكن أن يكون سلوكه مثل سائر البشر العاديين ، حتى فى أشد مظاهر السلوك شيوعا بين الناس ، واقواها التصاقا بطبيعة ذلك الكائن الحى الذى يسير على قدمين ، والذى نطلق عليه اسم الانسان !

خذ الطعام مثلا : أهناك فى هذه الدنيا ما هو أشيع منه واشد ضرورة لسائر بنى آدم ؟ لقد كان شو يأكل بالطبع ، ولم يكن له مناص من هذا ، ولكنه لم يكن يأكل مثل معظم الناس ـ اعنى معظم الناس فى مجتمع البلاد التى ولد وعاش فيها ـ **فهذا الأوربى العبقرى كان ((نباتيا)) كأشد الهندوس تمسكا بتحريم أكل الحيوان .. ولذا كان يتوقع أن تكتظ جنازته بالوف الديكة الرومية والحملان والعجول التى أبقى عليها فلم يستهلكها كما يفعل بقية ((الهمج)) من مواطنيه أكلة ((جثث)) الحيوانات والطيور والأسماك !**

وماذا بعد الطعام مباشرة فى مراتب اللزوم الضرورى لحياة الحيوانات الآدمية ، من نباتيين وغير نباتيين ؟ انه الجنس بطبيعة الحال ! ولم يكن شو فى هذا أيضا مثل سائر خلق الله من البشر . والمعروف أن العباقرة لهم فى الجنس شطحات متطرفة : فهم اما مسرفون اسراف الافراط أو اسراف الشذوذ ، واما مسرفون اسراف الزهد ومعاداة النساء بالفعل والقول ، كشاعرنا الفيلسوف أبى العلاء مثلا . ولكن برنارد شو كان ذا نمط خاص ، لا ينتمى الى هؤلاء ولا الى أولئك : فحياته حافلة بمغامرات الغرام ، ولكنها علاقات

ذات لون فريد ، كأنما التكوين « الفنى » و « الفكرى » لذلك الايرلندى ـ الذى يخفق قلبه لكل وجه مليح ! ـ يأبى الا أن يتمثل حتى فى نزوات الرغبة وأحلام الهيام !

رأيه فى الجنس ..

● **منذ** مطلع شبابه ، كانت الأفكار الاجتماعية والمسائل الفنية تشغل ذهن « شو » وحواسه .. فلم يلبث أن اعتنق الاشتراكية ووهب نفسه للدعاية لها . ولولا أن أمه كانت تعطى دروسا فى الموسيقى لمات « برنارد » جوعا ، فقد ظل حتى التلاثين من عمره تقريبا لا يكاد يكسب « شلنا » من عرق جبينه !.. فهو انما يقضى نهاره فى المتحف البريطانى قارئا ومتأملا ، ويقضى لياليه اما فى كتابة روايات ذهنية يردها اليــه الناشرون معتذرين أو غير معتذرين ، واما فى حضور الاجتماعات الاشتراكية ، حين كانت الأفكار الاشتراكية بدعة تضارع الكفر !

فهل بقى بعد هذا للاهتمام بالمرأة موضع فى حياة هذا الشاب ؟ انه يعترف ـ بصراحته المعهودة ـ أن المرأة لم تكن لها فى أى مرحلة من عمره الأهمية الأولى . فالمكانة العظمى كانت دائما للفكر والسياسة والفن . ولكنه يعوض المرأة عن هذا « البخس » العملى باضفاء الأهميــة العظمى عليها فى أعماله الفنية ، فى مسرحياته . وهكذا يحقق ـ كما يقول ـ العدل والتوازن بين حياة الواقع وحياة الخيال ! وهو يبرر ذلك السـلوك المختلف عن سلوك الناس العاديين بأن المرأة كانت دائما تثير خياله أكثر مما تثير حواسه وغريزته الجنسية بكثير .. بكثير جدا !

كان منذ يفاعته الأولى يحلم بالنساء الحسان ، ولكنــه كان يشفق من الاتصــال الجسدى الذى يخيب غالبا آمال

الخيال واحلامه . وحتى فى مجال الرغبة الجسدية الخالصة كانت رغبته غير مشخصة ، لا تنصب على شخصية معينة ، ولذا كان يلوذ بعالم الخيال كى يحقق فيه أشواقه ، متساميا بخبراته الجسدية الى مستوى الأحلام الفنية !.. ودفع ذلك السلوك « المزمت » بعضهم الى سؤاله : « ألعلك تنتمى عمليا الى طائفة المتطهرين (البيوريتان) ؟ » فأجاب برنارد شو بلا تردد :

ــ ان العملية الجنسية فظيعة وجارحة للذوق والحياء . ولست أفهم كيف يتسنى لرجل وامرأة لديهما أى قدر من احترام الذات أن يواجه أحدهما الآخر فى ضوء النهار بعد أن قضيا الليل معا !

.. وفى مناسبة أخرى قال ان خلق الانسان فيه خلط عجيب يخالف كل عقل وكل ذوق ، ودليله على هذا ذلك الجمع الشائن فى جهاز عضوى واحد بين وظيفتى الجنس والتبول ، وبالتالى ذلك الجمع المتناقض بين الحب الجنسى والخزى !

والحل الموفق السعيد فى رأى برنارد شو أنه ينبغى الا يعرف الأطفال من الذين أنجبوهم . ولا الذين أنجبوهم يجب أن يعرفوا شخصيات بعضهم البعض ! وأفضل طريقة لذلك أن يجتمع عدد من الرجال والنساء الأصحاء فى الظلام الحالك ، ثم يأخذون فى المضاجعة عن طريق الصدفة . حتى اذا انتهى الأمر تسللوا فرادى ــ فى الظلام الحالك أيضا ! ــ بحيث لا يعرف أى منهم وجه من كان بين ذراعيه خلال تلك الساعة السوداء !

.. وهو فى حياته . شخصيا ، لم يكن يؤمن بامكان قيام علاقة حميمة دائمة بين شخصين على أساس من الدافع

الجنسى .. بل يقول : « أن ما يسميه الناس حبا لأنه اشباع جنسى أمر مستحيل الا فى صورة نكتة بين غريبين التقيا عرضا فى خان أو فى درب من دروب الغابة ! »

ومن هنـــا كان اعتقاده الجازم ــ على ضــوء تجربته الشخصية ــ أن الحب الخيالى يقوم فى حياة الانسان بدور اهم من الحب الواقعى ، لأن الخيال يثرى الواقع ، ولأن التــلامس الجسدى بديل هزيل عن الأحلام التى تســتطيع النساء أن تثيرها فينا بسهولة . وكثيرا ما أكد ــ عن تجربة أيضا ــ أن العلاقة الغرامية المثالية هى تلك التى تتم عن طريق المراسلة ! وهو يدلل على ذلك بقوله : « ان الرسائل المتبادلة بينى وبين « الين تيرى » كانت علاقة غرامية مرضية لكلينا كل الارضاء . وكان فى وسعى أن اجتمع بها فى أى وقت أشاء ، ولكنى لم أرد أن أفسد هذه الصلة البديعة بتعقيدات الممارسة الجسدية . لقد سئمت هى خمسة أزواج ، أما أنا فلم تسأمنى قط . وعلاقتى بمسز باتريك كامبل كانت أبرأ من البراءة . وكانت قد « استهلكت » زوجين ، أما أنا فآخر خطاب كتبته الى ــ قبل وفاتها مباشرة ــ خاطبتنى فيــه بعبارة « يا عزيزى الأعز » ..!

والى نشاط خياله الخارق يرجع فرط حساسيته بجمال المرأة وسحرها ، ولا سيما حينما يكون هذا الجمال وهــذا السحر ماثلين أمام وجدانه المرهف فى أطار من الفن . ولذا تراه يعشق « الين تيرى » الممثــلة لا المرأة .. وأما « ماى موريس » فقــد وقع نظره عليها أول مرة وسط مؤثرات عاطفية شديدة الوقع على خياله .. ولكن قصة حبه لمــاى موريس تستحق أن تروى لطرافتها فى حد ذاتها :

لقاء .. من تدبير السماء !

⊙ من هى « ماى موريس » أولا ؟

انها ابنة صديقه وليم موريس رجل الفن والاشتراكية الشهير الذى فتح بيته لأنصار الاشتراكية ، وكان يقيم بقاعة ملحقة به ـ كان يستعملها المالك السابق « عربخانة » ! ـ مناظرات ومحاضرات يسهم فيها ألمع المؤمنين بالاشتراكية المتطرفة ، بين كهول وشبان . وما أكثر ما كان الناس يستمتعون بخطب وليم موريس العملاق العنيفة واشارات ذراعيه ، حتى اذا احتدم غضبه على صديقه الشاب ومناظره وضيفه برنارد شو ، لوى ذراعيه خلف ظهره باصرار ، كأنما يمنع نفسه بصعوبة من خنق هذا المناظر الايرلندى الساخر الذى يفتن الناس ببراعته .. كان موريس عنيفا صخابا كالعاصفة . أما شو فكان ساخرا رشيقا كمن يبارز بالسيف وهو يأتى بحركات بارعة تضحك المشاهدين من خصمه ! ـ حتى لقد نعته احدهم بأنه خليط من الشيطان والقديس ! ـ فهو شيطان برغم طيبته ودماثته : اذا ما هاج موريس وماج وهدر كالفحل ، لجأ شو الى الابتسام ، برقة وعذوبة ! ومع ذلك كان موريس يحب شو الشاب الألمعى كثيرا .. بل لقد توسط بنفوذه الكبير فى دوائر الفن والأدب والصحافة فرتب لشو عملا فى النقد الفنى والمسرحى يدر عليه جنيهين عن كل ألف كلمة ، أى بحساب مليمين للكلمة الواحدة . وهو أجر هزيل جدا حتى فى شباب شو .. ولكنها كانت البداية التى لفتت اليه الأنظار وأتاحت له أن يفتن الناس بسخريته اللاذعة فى النقد الذى يشبه التشريح !

ويقول شو فى مقال كتبه بنفسه بعد تلك الفترة بأربعين سنة ، عن قصة تعرفه الى « ماى » ، ابنة موريس : « حدث

هذا مساء يوم الأحد ، بعد أن فرغت من المحاضرة وتناول العشاء على مائدة موريس ببيته المشهور فى (هامرسميث) ، ووقفت على عتبة الباب والنفث مودعا . **فى تلك اللحظة أقبلت ((ماى)) من قاعة الطعام الى البهو ، ونظرت اليها مبتهجا بجمال ثوبها وجمال شكلها اللطيف الأنيس ، ونظرت هى الى بامعان شديد ، وعن عمد أومات بعينيها ايماء الاقرار والرضا . وأدركت على الفور أن خطبتنا قد تمت فى السماء على طريقة أهل التصوف** .. وأن اتمامها بالزواج لا بد أن يتأخر ريثما تزال جميع العقبات المادية ويكون فى مقدورى استنقاذ وضعى من مهاوى الفاقة والفشل . أما وضعى كعبقرى فلم يكن يخالجنى فيه شك ! ولم أكن أشك فى الوقت نفسه فى أنها كانت تعرف أيضا قدر نفسها ، وبالتالى تعرف القدر الحقيقى لكل انسان . ولم يخطر لى ببال اطلاقا أن من الضرورى أن أقول لها شيئا بلسانى . وأما والدها وليم موريس فلم أر من اللائق ولا من الممكن اجتماعيا أن أذهب اليه لأصارحه بأنى استغللت ادخاله اياى الى بيته بصفتى رفيقا اشتراكيا لايقاع ابنته الصغرى فى حبائل الزواج بشخصى المفلس !.. **بل ولم يخطر ببالى فضلا عن هذا أن اخلاصى لهذه الخطبة الصوفية السماوية الصامتة يمكن أن يتعارض مع السياق العادى لعلاقاتى بالنساء الأخريات !** أجل لم تبدر منى بادرة على الاطلاق ، لأنه لم يداخلنى أدنى شك فى أن ارتباطنا قد سجل فى صحيفة كل منا ، هناك فى السماوات العلى ! وعلى هذا لم يحدث شىء على الاطلاق بيننا ، فيما عدا اجتماعنا فى الاضطرابات الاشتراكية بين الحين والحين ، كذى قبل . »

والواقع أن دخل شو ــ عندما حدثت هذه « الرؤيا » الرومانسية ! ــ كان قد وصل الى أربعمائة جنيه فى السنة ،

من كتاباته الصحفية فى النقــد والصحافة الفنية . ولكن المستوى فى بيت آل موريس الأثرباء كان فوق ذلك بكثير ، بحيث تبــدو الحياة على مستوى الأربعمائة جنيه غاية فى الحقارة !

افظع نكث للعهد ، فى تاريخ الرومانسية !

◎ **ويستطرد** شو قائلا : « ولئن لم أقدم على الزواج من الابنة الحسناء ، فقد كان فى وسعى على الأقل أن أملأ عينى وابهــج قلبى بمحاسنها ، وأنا خلى البال من التــكاليف والقيود . ولكن هــذه الخفة لم تلبث أن لقيت جزاءها ، اذ علمت فجأة ــ لدهشتى البالغة حد الذهول ، ولدهشة والدها وليم موريس أيضا فيما أرجح ــ أن البنية الحسناء تزوجت من احد الرفاق ، وكان اسم ذلك المحظوظ « هنرى سبارلنج » ، وهو شاب اشتراكى كان موريس قد أوجد له عمــلا فى مطبعة (كلمسكوت) . والواقع أن ما حدث كان طبيعيا للغاية ، وأن الخطأ كان خطئى أنا وحدى ، لأنى اعتبرت خطبتنا الصوفية السماوية الصامتة أمرا مفروغا منه . ومع هذا فقد اعتبرت حينئذ ــ وما زلت أعتبر ، رغم أنف المنطق السليم والبداهة السوية ــ أن زواج ماى موريس أفظع نكث للعهد فى تاريخ الرومانسية كله ! ولا سيما أن « سبارلنج » كان أقل جدارة منى ، فهو ليس خيرا منى من الوجهة المالية ، كما أن احتمال لمعانه فى المستقبل كان أقل بكثير مما ينتظر لى ، ولو أنه كان مؤمنا راسخ الايمان بالاشتراكية ، ومتحدثا منتظما فى النــدوات الاشــتراكية ، ينــافح بحماســة عن « القضية » ، وخلقه لا غبار عليه . وهكذا لم يكن بيدى حيلة الا قبول الأمر الواقع . وبدا لى أن خيالى الذى لا يعرف له حد قد خدعنى فى مســألة الخطبة المسجلة فى الســماوات

العلى ! الا أن العكس لم يلبث أن تبين لى : فالانغماس فى الدعاية السياسية ، والانهماك فى الأنشطة الفنية ، وما يستتبع ذلك من اضطراب التغذية وأحوال المعيشة وأوقاتها عموما ، نتج عنه ارهاق شديد لجسمى وأعصابى ، مما أحوجنى الى راحة عاجلة وتبديل للجو . **ودعانى العروسان الشابان للاقامة معهما فترة من الوقت . وقبلت الدعوة ، فألفيت نفسى مستمتعا بالراحة وحسن الرعاية فى بيتهما الذى يحمل طابع موريس السحرى ، لأن « ماى » كانت قد ورثت حاسة والدها الجمالية وموهبته الأدبية . وسار كل شىء على ما يرام زمنا فى هذه العائلة التى صارت ثلاثية بوجودى .** وكانت الزوجة جذلة بوجودى معها ، والزوج بدوره كان مسرورا لأنى كنت أشيع المرح والانشراح فى نفسها ، ولأن وجودى جعلها تبدع وتتفنن فى الطهو ، على مستوى لا يستثيره وجود زوج ليس الا ! ولعل هذه الفترة كانت أسعد فترات الحياة بالنسبة لثلاثتنا !.. ولكن ، بمرور الوقت ، اذا بخطبتى المنتهكة غدرا تثار لنفسها ، وكانت الظروف قد مهدت لذلك بأن جعلتنى محور البيت منذ حلولى فيه . ولما عوفيت تماما من الارهاق ولم يبق ثمة مبرر لمكثى مع الزوجين ، اللهم الا ان كنت أريد أن أظل عالة متطفلا عليهما بصفة دائمة ، اذا بزواجها الشرعى يتقوض وينهار ، شأن كل بناء يقوم على أساس من الأوهام ! وصار على اما أن أحول خطبتى السماوية الى زواج حقيقى ، أو أختفى عن الميدان تماما ! **وكان سبارلنج من جهته يعتقد ويعلن أن صديقه وضيفه « شو » قد خان عهده ، وصارح أصدقاءه بأن شو نذل غرر بزوجته ، فلما تم له الاستيلاء على لبها كل الاستيلاء اختفى فجأة** ، (فلم تكن لديه بالطبع فكرة عن الخطبة المسجلة فى السماء !) .. والحقيقة أن هذه الخطبة كانت كل

ما يربطنى بماى .. **فاما صار الاحتفاظ ببراءة هذه الخطة وطهارتها ، غير ممكن ، تعقد الموقف جدا : فالزوج قبل كل شىء صديق وفى ، وكان سلوكه معى لا غبار عليه فى جميع الأوقات . واذن فالنزول ببيته ثم سلبه زوجته عمل ينافى احساسى بالشرف ، ولا يغتفره المجتمع اطلاقا** . فانى وان كنت حر الفكر الى أقصى حد يصل اليه آدمى سليم العقل صحيح النفس ، فيما يتصل بأمور الدين وامور الجنس . الا انى لم اكن ممن تخدعهم خزعبلات البوهيمية الفوضوية التى كانت متفشية أشد التفشى فى بيئات الاشتراكيين والأوساط الأدبية فى ذلك الحين ، بل كنت على يقين من أن انفجار الفضيحة خليق بأن يلحق الأذى والخسائر بكلينا ، وبالقضية الاشتراكية أيضا .. ولعله كان يسهل — فى ضوء ما صرت اليه من مكانة ويسر بعد ذلك — أن أناقش ماى وزوجها ، بهدوء ودى ، فى أمر الطلاق ، كما يجمل بأصدقاء قدامى .. بيد أن ظروفى يومئذ لم تكن تسمح لى بالزواج . ثم انى كنت دائما — وما زلت — مبغضا لفكرة الزواج بالطرق العادية المبتذلة ، فما بالك بزواج أساسه المساومة ، وشبهة المنفعة المادية (فموريس كان ثريا) . وما أبعد هذا كله عن الخطبة السماوية الصوفية التى ربطتنى بماى ابتداء !

.. وهكذا كنت كلما أمعنت فى تقليب المسألة ، تبينت قبحها وسماجتها ، فكففت عن بحثها ، واختفيت كما تتلاشى الأشباح ! **ولكن الرواية لم تتم فصولا ، والمأساة تحولت فجأة الى مهزلة ، لأن الزوج — الذى لمس برودا لدى زوجته ازاء أى اتصال جنسى به — اختفى أيضا !**.. وكان البيت الذى ظل مزدهرا طروبا على عهد الأسرة الثلاثية ، قد بات لا يطاق على عهد الأسرة الثنائية !.. وهكذا شقى الزوجان المسكينان عندما انسحبت من بينهما . ولست أعلم شيئا عن التفاصيل ،

ولكنى أعرف فقط أن الزوج فر الى أوربا ، ورضى أن ترفع ضده دعوى الطلاق باعتبار أن الخطأ صــدر عنه ، مع أن الوضــع القــانونى ــ فى ظل ظاهرة البرود الجنسى ــ كان يسمح له بعكس ذلك ، (وكان هناك من أعدوا له العدة لرفع الدعوى لو شاء !) .

.. وعلى أثر طــلاقه تزوج بامرأة أكثر ملاءمة لطبعه ، وسعد معها كثيرا ، ولكنه بدلا من أن يشكرنى لأنه لولا تدخلى لما انتقل الى أحضان هذه المرأة التى أسعدته ، فانه ظل يغلى بالحقد على حتى نهاية حياته ! .. أما الحسناء « ماى » فانها أخرجته من حياتها ، بل انتزعته من جذوره انتزاعا ، ندما على سوء اختيــارها وتكفيرا ، واســتردت اسم عائلتها . ولكنها فى الوقت نفسه ألغت وجودى أنا كذلك من حياتها . ولعلها خيرا صنعت ! »

المرأة التى أعلنت عليه الحب !

● **ولم تكن** ماى موريس الأولى ، فى حياة شو ، ولم تكن الأخيرة . . . ــ فقد كان من دأبه أن يشغف غراما بكل ممثلة مبدعة تقوم بالبطولة فى رواية له ، ولكنه كان يصر على الابتعاد عن كل ملامسة ، ما استطاع ! .. ولذا رفض دعوة آلمــا موراى ــ بطلة روايته « الانسان والسلاح » ــ لمناقشة الدور فى بيتها ، وكتب اليها يقول : « ما من امرأة أمتعتنى ــ كمــا أمتعتنى أنت بتمثيلك أمس ــ الا ووقعت فى غرامهــا وقوعا عنيفا . فدعينى بعيدا عن بيتك ! »

والعبــارة الأخيرة من دعابات شــو المــأثورة التى كان يستخدمها مع كل امرأة يتحبب اليها ــ وكان يتحبب الى كل امرأة جميلة تقريبا ! ــ وهى مغازلات بريئة تشبع خيــاله الوثاب ، الا أن تأثيرها على النســاء مدمر فى بعض الأحيــان ،

لانهن لسن مازحات خياليــات مثله ، ولا يرضــيهن الكلام والأحلام التى كانت خير زاده ، وأمتع لذاته !

ومن بين ضــحاياه الكثيرات « آنى بيزانت » ، أخطب خطيبات جيلها . وكانت على نقيضه ، جادة لا تعرف الفكاهة ولا تفهمها . ما أسرع ما تتحمس لآلهة فكرية ، وما أسرع ما تتركها لآلهة جــديدة بمثل حماستها الســابقة . بحيث يخسف الاله القديم فى ضوء الاله الجديد كأن لم يكن ! ولقد دهش من سمعوها تبشر بالالحاد تحت تأثير « برادلو » ، ثم تبشر بالتطور تحت تأثير « آفلنج » .. ثم تبشر بالاشتراكية تحت لواء شو .. وأخيرا ، اذا بها تنتهى الى التبشير بالمحبة الالهية تحت راية « مدام بلفاتسكى » !

وعندما التقت « آنى » ببرنارد شو أول مرة ، ابغضته بغضــا شديدا بسبب مرحه وخفتــه . وفجأة انقلبت من الخصومة فى الرأى — وهى خصم خطير فوق المنابر — الى التأييد الشديد ، وطلبت اليــه أن يزكيها لعضوية الجمعية الفابية الاشتراكية . وبعد ذلك دعته لقضاء السهرة فى بيتها حيث شــاركته العزف الثنائى على البيانو . وبدأت تنشر رواياته الطويلة — التى رفضها الناشرون — مسلسلة فى مجلتها ((ركننا)) (أور كورنر) وعينته ناقدا فنيا بها . ولما غضب لذلك ممولوها الماليون ظلت تدفع مرتبه من جيبها الخاص وهو لا يدرى ، فلما عرف ذلك أصر على حذف اســمه من كشف المرتبات ؛ وواصل الكتابة لديها بدون مقابل . وكانت تصحبه دائما عنــد الانصراف من النــدوات السياسية الى البيت ، ولكن تلك المرأة الموهوبة فى الخطابة كانت صفرا على الشمال حين تغادر المنبر ، فلا يفتح الله عليها بكلمة ، ولا تفطن لنكتة . وذلك شىء لا يطيقه متحدث خفيف الروح مثل شو ، ومن ثم لم يلبث أن سئم صحبتها . فما لم يعزفا معا على

البيانو ، لم يكن يدور بينهما حوار حى ، وانما يسود الصمت السمج المرهق للأعصاب . **وأخيرا ألفت نفسها تنتظره كالعادة فى المساء ، ولكن بغير جــدوى .. وبدأت الهجوم الصريح للاستيلاء على هذا المتأبى !**



الممثلة التى أحبها شــو فى شــبابه : ((ايلين تيرى)) ، أشهر ممثـلات عصرها . (من تصوير أشهر مصورات عصرها ، ((جوليا مرجريت كاميرون)))

.. ولما كان زوجها على قيد الحياة ولم يطلقها ، فلا سبيل الى زواج شرعى مع شو ، ولكن ذلك لم يفت فى عضدها ، بل دبجت عقدا الزواج العرفى طلبت اليه أن يوقعه بامضائه ثم يعيشان معا كما يعيش الأزواج . ولما قرأ فقراته صاح بها :

ـ اعوذ بالله ! هذا شر من جميع العهود والمواثيق الموزعة على كل كنائس الأرض ! وخير لى ألف مرة أن أتزوجك زواجا شرعيا . خير لى وأرحم !

وأصرت على عقدها الذى كانت تتوقع منه ان يوقعه بمداد من دماء قلبه ، فلما ضحك من نصوصه وهزأ بها طلبت منه جميع خطاباتها .. فردها اليها ، وردت اليه خطاباته ، وانتهت علاقتهما !

.. ويقول شو أن ساعة الفراق هذه كانت « ربع ساعة فى غاية السوء » ! ولكن المسألة بالنسبة للسيدة المسكينة كانت أكثر من « ربع ساعة فى غاية السوء » .. فها شعرها قد شاب بعد ذلك بسرعة ، كأنما سرت النار فى كومة من القش ، وبلغ بها الأمر ان فكرت فى الانتحار !

شو وزوجات الأصدقاء !

● **وبعد** تلك « المغامرة » ، أو فى أواخر مراحلها ، كانت زوجة زعيم بارز من زعماء الجمعية الفابية آخذة فى الاستسلام لفتنة برنارد شو . انها « مسز هيوبرت بلاند » ، الشاعرة والقصصية ، وكان زوجها ضابطا متقاعدا عنيدا ، ذا نزعات « ميتافيزيقية » على منوال الشاعر كولريدج ، ثم انتهى به الأمر الى اعتناق الكاثوليكية . وكان له من الشخصية والعناد وصلابة الراى ما مكنه من حفظ التوازن داخل مجلس ادارة الجمعية ، مع انه كان بمثابة « حزب مستقل » بمفرده ضد الأغلبية المنحازة الى « وب » . وكان هو على طرف النقيض من « وب » فى الطباع والآراء . ولكم

اوشك الخلاف المتصل بينهما أن يصل الى حد العراك ، لولا تدخل شو بينهما لاعادة السلام بنكتة تبدد جو الأزمة المتوتر ، وان لم تفلح طبعا فى اقامة الوئام بين النقيضين !..
واستطاع شو أن يحتفظ بمودة « بلاند » لأنه كان يعامله نفسيا لا منطقيا ، وعلى أساس من هذا الفهم كان يشاركه فى رياضة الملاكمة ، وينازله أحيانا ، وسعى لالحاقه بالعمل فى احدى الصحف ناقدا رياضيا ، ثم كاتبا استطاع أن يحقق لنفسه شهرة صحفية .

وكانت زوجة بلاند ، الشاعرة الرقيقة التكوين ، تعانى من قوة زوجها وحيويته البدنية الخارقة ، اذ كان يرهقها بمطالبه الجسدية الملحة المتلاحقة . ولم يكفه هذا ، بل ألقى على عاتقها رعاية « زوجتين اضافيتين » كان عليها أن تساعدهما فى الوضع ومتاعب الأمومة (غير الشرعية) ، لأن فحولته الهرقلية لم تكن تكفيها زوجة واحدة يلتزم بالاخلاص لها .. وبالتالى لم يكن من العدل أن يطالب زوجته الشرعية بالوفاء له وحده ! ولم يكن لديها — من جانبها شخصيا — أى تحرج من الوقوع فى غرام برنارد شو ، الذى وصفته بأنه « عادى الوسامة ، ولكنه من أشد الرجال الذين التقيت بهم فتنة وجاذبية » : فان قامته المديدة الرشيقة ، وصوته الفنى ، ولهجته الايرلندية ، أحدثت أثرها فى نفسها وحواسها على الفور ، ولم تتردد فى التعبير عن مشاعرها هذه نحوه فى قصائدها تعبيرا كاملا صريحا ! ولم تكن غافلة عن عيوبه ، واستهانة الرجال أو تظاهرهم بالتقليل من شأنه — وان كانوا يعجبون به فى سرائرهم ! — وكان أهم عيوبه فى نظرها كثرة اطرائه للنساء اطراء مكشوفا . ولكم حاولت تجسيم عيوبه لتتخلص من تأثرها به . بيد أن هذا كله ذهب أدراج الرياح ، واكتسحت عاطفتها المشبوبة كل شيء ، فامتلأت أشعارها

بالحديث عن « وجهه الذى يثير الجنون » .. وجعل شو يقرأ القصائد ، ويسرس عواطفها برفق الى شاطىء الأمان ـ الأمان لها . وله أيضا ! ـ وعلق على ذلك بقوله :

ـ انه لمن الطبيعى أن يقيم المرء علاقات ودية مع زوجات اصدقائه ، ولكنه ـ ان كان عاقلا حصيفا ـ يجب أن يخرج الجنس من دائرة هذه العلاقات تماما !

والحقيقة أن بلاند فهم شو تمام الفهم ولم يسىء به الظن مطلقا ، وقدر له ولاءه وصداقته المخلصة . ورغم تفرق الشمل منذ سنة ١٩١١ ، الا أن بلاند ظل على ثقته بشو : فلما حضرته الوفاة بعد ذلك بسنين طويلة ، وساوره الشك فى كفاية ما خصصه لتعليم ولده الأثير لديه فى جامعة كمبريدج ، قال لابنته :

ـ ان لم يكف هذا المبلغ ، الجأى الى « شو » كى يقوم بالباقى !

واما علاقة شو بمسز بلاند فانتقلت ـ بفضل نزاهته وحسن توجيهه وكياسته ـ الى صورة من الصداقة المتينة الباقية على الزمن . وكانت تقول كلما اعربت امرأة عن بغضها لشو : « هذه شنشنة أعرفها من تجربتى مع نفسى ! وأراهن انها غارقة فى حبه الى أذنيها ! »

..وكان هذا أيضا رأى عدد كبير من النساء ، فهذه « مسز سدنى وب » تصرح بأنه ما من امرأة ـ فيما عداها شخصيا ـ يمكن أن تقاوم سحر شو . وهى فى الوقت نفسه مقتنعة بأنه يغازل ويداعب المدلهات به ، لا لشىء الا الحصول على « مادة » تصلح لمسرحياته !.. والواقع أن شو يعترف بذلك بصورة او بأخرى حين يقول :

ـ ان النساء لا يفتقدن عندى الأشياء الصغرى ، بل الكبرى ! فجيوبى ملآنة دائما بما يمكن أن نسميه ((الفكة))

الصغيرة من عملة الحب ، وعمليات الغزل والتودد . ولكنها نقود سحرية ، وليست نقود حقيقية ! ذلك أنى مغرم بالنساء ، شغوف بهن ، لكن شغفى ينصب على أمور تختلف كل الاختلاف عن « الحب » ، و « الجنس » !.. ولدى معظم النساء يكفى رجل واحد ، وعمر واحد ، كى تتم لهن الدنيا التى ينشدنها بأكملها ! أما أنا فأحتاج الى ملايين البشر والى أحقاب تاريخية برمتها كى تستحوذ على اهتمامى الجدى ، وتجعل الآلة الكاتبة (فليس برنارد شو سوى آلة كاتبة) تعمل بأقصى سرعتها [illegible] فتها . فما الحب عندى الا تلهية فراغ وترفيه .. !

ولكم شكا شو من أن النساء اللواتى وقعن فى غرامه كن يقلقنه ويزعجنه ويعذبنه ، وفى الوقت نفسه يتعذبن ويشقين ويفقدن راحة البال ويتشاجرن معه ــ حقا لا تمثيلا وتصنعا ــ أما هو فكان يحذق أن يتصنع الغضب والشجار ، وما أكثر ما لجأ الى ذلك !

وكانت مسز سدنى وب من المعجبات بقدرته على التمثيل فى تلك المواطن ، وقد وصفت هذه القدرة بقولها : « ما من شخص ، لا « يعيش » الدور حقا ، يستطيع أن يمثله بهذا الاتقان . **ولكن ما من امرأة يمكن أن تقنع بعشق (شبح) ، وشو فى مسائل الغرام هذه كان يتحول الى شبح حينما يجد الجد وتصر الواحدة منهن على تحقيق العلاقة العاطفية تحقيقا ماديا .. فاذا به ليس شخصا حقيقيا !** وتقوم القيامة طبعا ! »

تجربته الأولى .. فى عالم الجنس !

● **والواقع** أن ردود فعله الجسدية فى مجال الجنس لم تكن على غرار ردود الفعل المألوفة عند الرجل العادى . وقد قال صراحة فى هذا الصدد ، ذات مرة :

ــ لم اقع فريســة التأثير الجنسى الطاغى الا مرتين فى حياتى كلها : المرة الأولى فى شبابى ، والمرة الأخرى فى أواسط عمرى . وقد ظللت الى تمام التاسعة والعشرين من عمرى « بكرا » مستمسكا بالعفــة تمام الاستمســاك ، اللهــم الا فى الأحلام اللاارادية ، وهذه أيضا لم تكن كثيرة الحدوث ، بل نادرة أشــد الندرة . ولكن عفتى هذه لم تكن نتيجة تحــرج خلقى على الاطلاق !

وهو يعزو هذه العفــة الى استنكافه الاتصــال بنســاء الطرقات . والى أن مظهره كان يدل على فقر و « بهدلة » عمومية وهو شاب تعوله أمه رغم اقترابه من الثلاثين ، وليس له مورد يساعده على التأنق ، فلما وجد أول عمل فى الصحافة واشترى ثيابا جــديدة (ليست فاخــرة ولا أنيقة ، ولكنها نظيفة ولائقــة) **لم تتردد احدى تلميذات أمه فى الغنــاء والموسيقى ــ وهى أرملة تدعى ((جيني باترســون)) ــ فى دعوته الى الشاى .. وهناك ، قبل أن تدعه يكمل فنجان الشاى الأول ، كانت قد ((اغتصبته)) عمليا ! وهكذا ــ كما يقول ــ فقد بكارته ، بعد تماسك طويل ..!**

وانه لمن الطريف أن نورد هنــا تعليقه على ذلك الحادث الفريد :

ــ لقد سمحت لهذه الأرملة المدربة ، الملتهبة الحواس ، المقتحمة التى لا تتردد فى المبادأة كأنها رجل .. سمحت لها أن تهتك عفافى المصــون ، لسبب فكرى على الأرجح ، وهو رغبتى فى معرفة هذا الشىء الذى كان يراودنى فضول شديد بصدده ، لأنى كنت أجهل هذا الجانب من النشاط الحيوى الأساسى عند زملائى من أبناء آدم . ولما كنت لا أعتبر نفسى ــ على الأقل حتى ذلك الحين ــ ذكرا جذابا بشكل خاص ،

فقد أدهشني اشتهاؤها لى بهذا الشكل ، الى حد هجومها على لتنالني عنوة واقتدارا ، شأن من ليس لها على ما تريد صبر ، لشدة ما بها من الرغبة . ولكنى تمكنت من اخفاء دهشتي واستطعت أن أحفظ المظاهر بنجاح تام . وكان الفضل يرجع اليها فى « قيادة العمليات » تلك المرة الأولى ، مما لم يترك فرصة لافتضاح جهلي بموضوع البحث ! **ولم يعد يدهشني — بعد هذه التجربة الصارخة المفاجئة — كلما تركت وحدى فى حجرة مع امرأة حساسة ، سريعة التأثر بجاذبية الرجال الجنسية ، أن تلقى بذراعيها حول عنقى ، وتصارحني أنها تعبدني حبا !** ولما كنت أعتقد ان الخبرة الجنسية عامل ضروري لتتميم النمو البشرى ، فقد استحسنت أن أحصل على هذه التجربة من أستاذة فى هذا الفن ، لديها الكثير مما تفضى به وتلقنه دفعة واحدة — وفى اقصر وقت ممكن — لشاب جاهل مثلى ، بل « متخلف النمو » فى هذا الميدان عن معظم أقرانه . وهكذا تركتها تغويني ، وتطيح بعفتى ، لأغراض « تعليمية » قبل كل شىء !

القصة التى وصف فيها حادث « اغتصابه » !

● **وعلى لسان** « دون جيوفانى » فى قصة قصيرة كتبها « شو » بعد ذلك « الحادث » بسنتين ، يعلق على هذه التجربة بقوله :

« لقد ادهشت الأرملة غباوتى ، فلم تجد بدا من اللجوء الى الهجوم المباشر ، فألقت بنفسها على .. وتملقت المفاجأة غرورى — ولكنها أذهلتنى فى الوقت نفسه ! — ولم تواتنى الفظاظة الكافية لدفعها بعيدا عن صدرى ، فتركتها تمضى فى

اندفاعها .. ثم ظللت بعد ذلك ــ لمدة شهر على وجه التقريب ــ أستمتع بلا تحرج باللذائذ التى كانت الأرملة تفيضها من شخصها الأنثوى على . وكنت أحضر اليها كلما خلا وقتى من الانشغال بما هو أهم وأجدى من ذلك العبث الجنسى الجارف . ومع أن الأرملة الشابة لم تجد ــ طوال سنتين بعد ذلك ــ ما يبرر شكواها من اخلاصى لها ، **فقد وجدت الجانب الرومانسى فى تلك الممارسة الجنسية العنيفة ــ التى يبدو أنها لا تفقد جدتها ورونقها بالنسبة لها ــ ينحدر بسرعة الى السخف وتجاوز الحدود المعقولة** ، بل وجدته أيضا شيئا متكلفا بالنسبة لى ، وخاليا من الصدق الوجدانى ، اللهم الا فى لحظات متباعدة ــ ولكن تلك المرأة لم تكن بالتى تقنع باللحظات المتباعدة ! ــ وفى تلك اللحظات وحدها كان الهيام يضفى عليها الجمال ، جسدا وروحا .. وسرعان ما تحول سرورى بتلك اللقاءات الى تقزز . وعندئذ أساءت تأويل نفورى ، وبدأت تصب على شواظ غيرتها .. ! »

والحقيقة أن « جينى باترسون » لم تكن امرأة نهمة لا تعرف الشبع جنسيا ، فحسب ، بل كانت أيضا بركانا من الغيرة الجنونية . ولما كان شو لا يكف عن « المغازلة » ، فان غيرتها كانت تجد دائما ما يشعلها !. ولكن ذلك أجدى على شو كثيرا ، لأنه زوده بالمادة الغزيرة لتصوير مشاحنات الغيرة تصويرا واقعيا ومتنوعا فى قصصه ومسرحياته ، حتى صار ذلك من أهم خصائصه الممتازة .

غيرتها ، ومشاجراتها ، توحى له بمسرحية !

● **واذا** تأملنا الفصل الأول من مسرحية شو التى أطلق عليها عنوان « المغازل » ، نجده مستوحى من مشاجرة فظيعة للغاية بين الأرملة الغيور وبين الممثلة الحسناء « فلورنس

فار » . ويقول شو ، بصدد مشاجرات « مسز باترسون » بدافع من غيرتها : « اننى خلال تلك المشاجرات لم أكن أفقد أعصابى ، بل كنت أحتفظ بضبط النفس ساعات وساعات ، بيد أن التوتر العصبى الذى تحملته مقابل ذلك كان مرهقا جدا ولا يمكن أن ينسى . ولم أر مسز باترسون بعد ذلك مطلقا ، ولا رددت على أى خطاب من خطاباتها وبرقياتها التى انهمرت على كالاعصار العاصف على مدى الشهور التالية . ولم تغفر هى لى ذلك قط . أما أنا فلم أحمل لها أى ضغن ، بدليل أننى تركت لها فى وصيتى مائة جنيه ، لم يقدر لها أن ترثها عنى ، لأنها ماتت منذ وقت طويل . وهذه الهبة تركتها لها — أو كنت أريد أن تنالها منى — لرقتها معى وتلطفها خلال اتصالاتنا الحميمة ... ولكن شكرى لرقتها شىء ، **وشىء آخر أن أمضى فى حياتى تطاردنى غيرة امرأة لا تتحكم فى مشاعرها ، وتثير شجارا سوقيا كلما كلمت امرأة أو داعبتها بكلمة مجاملة !.. والحق أنها كانت عارمة الغيرة فى كل شىء ، لا فى أمور الجنس فحسب** . وأنا انسان يجيد ضبط مشاعره ازاء الاساءات العادية . ولكن الويل كل الويل لمن يتجاوزون فى اساءاتهم — مثل چينى باترسون — حد الاحتمال .. »

.. وفى خطاب الى فلورنس فار (بتاريخ أول مايو سنة ١٨٩١) كتب شو يقول : « ان الزهو الأبله الذى يعتريها عند كل انتصار ، كلما أخذت منى بغرور الغزاة الفاتحين ما أقتطعه لها من أحشائى ، لا يلبث أن يتحول الى صواعق تنقض على مكانتها عندى .. والأنكى من ذلك سيل شتائمها ، كقولها : « ..... » أوه ! ولكنى لا أستطيع أن أسطر هذه الألفاظ على الورق ! عليها اللعنة ! »

واختفت چينى باترسون من حياة برنارد شو بعد بضع سنوات من « الممارسة الجنسية العاصفة » . ومع أنها لم

تغفر له قط هذه القطيعة ، فانها عندما توفيت ، سنة ١٩٢٤ ، تركت كل ثروتهـا لاحد ذوى قرباه ، بدلا من ابن أخيها ، الوريثه الشرعى لها !

« فلورنس فار » .. العشيقة المثالية !

وأما « فلورنس فار » ، سبب هذه القطيعة ، فكانت الممثلة التى ادت دورين رئيسيين فى مسرحيتين من مسرحيات شو الباكرة ، وكانت لها مع شو علاقة جنسية حميمة .. كما كانت لها شخصية فريدة فى بابها ، يصفها برنارد شو بقوله :

ـ هى امرأة شـابة من العـاملات ، ذات طابع عمـلى واستقلال فى الفكر والسلوك . وقد أتاح لها هذا كله حرية استثنائية فى صلاتها الاجتماعية فى المحيط الفنى بلندن . ولما كانت ذكية بارعة ، لبقة ، مرحة ، دمثة ، وبارعة الحسن الى أقصى حد ، لم يكن غريبا أن يقع كل أصدقائها الرجال فى هواها . وتواتر ذلك بكثرة حتى ضاق صـدرها ونفـد صبرها ازاء التمهيدات الأولية المترددة التى يلجأ اليها غير المدربين من عباد حسنها ، ولذا كانت عندما تجد أحدهم وقد بدا عليه أن نفسه تحدثه بتقبيلها ، لكنه متردد لا يدرى هل يقبل أو يحجم ، وتأنس من نفسها أنه غير قبيح أو منفر الى الحد الذى يجعل تعطفها عليه واباحة رغبته أمرا ثقيلا على نفسها أكثر مما يجب ، عندئذ تحسم الأمر كى تنتهى من هذا الازعاج ، وتجر المتيم المتلعثم من معصمه بعنف قائلة له : « قم بنا كى ننتهى من هذه المسألة ! » .. حتى اذا « انتهت المسألة » (أحيانا بالقبلة المشتهاة ، وأحيانا بما هو أكثر !) ، قالت له : « الآن وقد هدأ بالك ، لنجلس ونتحدث بصـفاء ذهن فى أمور أعم من هذا .. فى الفن . فى المجتمع . فى الفكر . فى السياسة ... »

ولا عجب أن يجد شو فى هذه « المرأة اللطيفة ، الودود ، السمحة ، ذات الحاجبين نصف الدائريين ، تغييرا مستحبا ، وعشيرا يختلف كل الاختلاف عن جينى باترسون ، **فهى تنظر الى الجنس النظرة التي يتمناها كل رجل ((يستملح)) المرأة التى لا يكن لها حبا حقيقيا !.. فتعطيه المتعة الجنسية بسماحة خالية من سماجة الغيرة والتعلق المزعج . فهى عاجزة تماما عن الغيرة ، ولم تسبب لى قلقا أو هما .. »**

وقد تسامع الناس أن لدى فلورنس فار عددا كبيرا من رسائل شو ، ولما سئل فى ذلك قال بدهشة :

ــ انى لم أكتب اليها رسالة واحدة ، ولو من سطر واحد . فقد كنت أرى فلورنس فار كثيرا جدا ، وفى فترات متقاربة للغاية . ولم تكن تقيم من الوزن للعلاقات الغرامية كما تسمونها ــ وهى فى الواقع اتصالات جنسية محضة ــ الا بقدر ما كان رجال من أمثال كازانوفا وفرانك هاريس يقيمون وزنا لهذه الاتصالات : مجرد ملهاة ليست لها جذور عميقة ، ومع ذلك فهى متعة مطلوبة لما تحدثه من لذة حيثما اتفق ... ذلك أن « فلورنس » كانت أطيب قلبا من أن تضن على اى رجل تستلطفه بأى شىء يطلبه منها ، صراحة أو تلميحا !.. وأحسبها كانت معتزة مزهوة بقائمة من ضاجعتهم ، وهى لعمرى قائمة طويلة جدا ــ ففيها أربعة عشر اسما فى سنة ١٨٩٤ وحدها ، على سبيل المثال ! ــ وكنت قد قابلتها فى احدى السهرات السنوية التى تقيمها جمعية « هامرسميث » الاشتراكية . وكانت حينئذ تتعلم هواية التطريز مع « ماى موريس » . وتوثقت صلتى بها قبل ان تمثل « الانسان والسلاح » .

ولكن اتضح بعد ذلك أن الذاكرة خانت شو بعض الشىء ، فقد نشرت بعد وفاته رسائله القليلة الى فلورنس فار ، وفيها

أحيانا عبارات شاعرية بريئة لم يكتب مثلها لأى من « الين تيرى » أو « مسز كامبل » ـ وكانت علاقته بهما خالية من الجنس ـ ومن هذه العبارات المتألقة فى رومانسيتها قوله :

« ان هذا لدليل على أنك أعز وأفضل حب فى حياتى ، فقد جددت شباب قلبى ، وصرت أقدس مباهج روحى ، وكنزى ، وذخرى ، وخلاص نفسى ، وواحتى ، ومثوبة اجتهادى ، والصغرى المحبوبة الأثيرة بين أطفالى ، ولمحتى الخفية لأنوار السماء ، وملاكى ! »

والواقع أن صلة شو الجنسية بفلورنس فار كان لها من ضآلة التأثير الوقتى عليه مثلما كان لهذه الصلة عليها من أثر ، وفى هذا يقول :

ـ على المدى الطويل ، ومن وجهة الدوام والجد أعترف أن غرامياتى المتحققة فى الجسد كانت تستهلك ذاتها بهذا التحقق ولا يقام لها وزن أو اعتبار بالقياس الى الغراميات التى لم تتحقق جسديا ، أو التى كانت تنتهى بالقطيعة أو النبذ قبل ذلك التحقق ..!

اعترافات .. لا تنقصها الصراحة !

● **ولا عجب !** فهو يرى الجنس أساسا لا يركن اليه ، ولا أمل فيه للعلاقات الانسانية الدائمة ، وهو لم يفكر قط فى الزواج على أساس الرغبة الجنسية . وقد كتب الى فرانك هاريس ـ بطل « الجنس للجنس » فى الأدب الحديث ـ يقول :

ـــ تستطيع أن تحصى على أصابع يدك الواحدة أولئك النساء اللواتى أشبعن رغبتى فيهن . ولكنى لا أعلق ـ نسبيا ـ أدنى أهمية على هذا الصنف الذى نلت منه كل ما اشتهيت ، وانما الأخريات هن اللواتى بقى أثرهن فى وجدانى ..

ومع هذا كان شو يحظى بجانب من المتعة والسرور الوقتى

من تلك العلاقات السطحية ـ « العارضة » ، مهما طال امدها ـ ويقول بصراحة :

ـ كنت استعذب الاتصال الجنسي لما فيه من قدرة خارقة على ابداع فيض سماوى من الانفعالات والنشوة بالوجود . وهو فيض مهما يكن وقتيا ؛ ونشوة مهما تكن طارئة ، يمنحانى أنموذجا صغيرا لما يمكن أن يكون عليه الوجود البشرى يوما ما ، عند ما تصبح النشوة الفكرية فى متناوله ..

ثم يروى العجيب من تصرفاته أثناء الاتصال الجنسى :

ـ وكنت دائما أطلق أثناء الممارسة الجنسية أعنف التعبيرات وأشدها جموحا عن هذه النشوة الوجودية التى تفتح أمامى الأمل فى قوة النشوة الفكرية يوما ما ... وكان هذا التعبير الجامح يتخذ شكل تأوهات وصيحات وطوفان من الألفاظ .. ذلك انى ـ الى حد ما ـ كنت أرى من حق المرأة التى أضاجعها أن تعرف ما أشعر به من اللذة بين أحضانها ، ولأنى كنت بالتالى أريد لها أن تشارك فى النشوة التى تثيرها لدى . ولكن ما كان أشد خيبة أملى ! فربما باستثناء مرة واحدة فحسب ، لا أعتقد اننى استطعت ابلاغ المرأة التى اضاجعها الى نصف النشوة الجارفة التى أوصلتنى هى اليها ؟!

ولعله لو كان لزم الصمت ، كان حريا أن يصل بهن الى نهاية الشوط المنشود ، لأن ضجته التى لا تتوقعها المرأة من رجل فى هذا الموقف خليقة أن تدهشها وتبدد انتباهها وتصرفه عن التركيز فيما تشعر به ، الى مشاهدة هذا المهرجان غير المألوف !

الذين تحدوا ((طغيان)) الجنس !

● **والواقع** أن الجنس كان دائما بالنسبة لبرنارد شو ـ حتى فى فورة شبابه ـ شيئا ثانويا جدا فى نظره وفى

سلوكه . كان يهوله أن معظم الناس يستعبدهم الجنس ، ولا يقف عند مجرد استهوائهم ، وكان يعارض هذا الاتجاه الهمجي البهيمى ، ويعجب كيف يرى هؤلاء حياة العزوبة والعفة مستحيلة ، وكيف يرون فى العفيف العزوف عن الجنس مخلوقا أشبه بالوحش الخرافى ؟

ـــ انهم ينسون ، أو يتناسون ، انه ليس الكهنة الرسميون وغير الرسميين فحسب ، ابتداء من بولس الرسول الى « كارلايل » و « رسكين » ، قد تحدوا الجنس وطغيانه الأعمى ، بل أيضا هناك أعداد كبيرة من المواطنين العاديين من الجنسين ــ اما طواعية أو تحت ضغط ظروف كان من اليسير التغلب عليها ــ ادخروا طاقاتهم الحيوية لوجوه من النشاط أقل بدائية من مجرد اشباع الغريزة الجنسية اشباعا مباشرا !

والحق أن واجبات شو العامة لم تتعرض مرة واحدة على الاطلاق للاهمال بسبب امرأة ، لأنه ما من امرأة كانت تستطيع أن تستوعب اهتماماته وطاقاته كلها . وهو فى هذا يقول :

ـــ انا لا اشعر بوجودى الخاص أو ابتهج بحياتى الخاصة الا اذا شعرت بأن هناك موضوعا يستغرقنى ويستخدم طاقاتى . **وكل علاقاتى الغرامية انتهت نهايات مأسوية لأن المرأة عاجزة عن استخدام كل طاقاتى . فكل ما تحسنه المرأة هو الاستلقاء أو الاضطجاع ، ثم تترك لى أنا مهمة تخيل أى شىء أشاء عنها ! والنتيجة التى لا مفر منها ان اشعر بعد قليل بتعاسة رهيبة ، واعياء روحى شامل ، وملل لا يوصف .** وعندئذ لابد لى من تركها لأنشد شخصية أخرى لعلها تكون أقدر على استخدام كل طاقاتى . فكل شىء فى الحياة يقوم على قانون الحاجة . وأنا حاجتى تعجز المرأة عن توفيرها لى . هذا ما أثبتته التجربة المرة تلو المرة !

ابنة « كارل ماركس » تهجره ، لتعشق نذلا !

● **وثمة** مفامرات أخرى فى حيــاة برنارد شو الطويلة ، بيد أنها قد لا تستحق الاشارة اليها هنا ، خلا مغامرة واحدة هى التى قد تفسر لنا لمــاذا كان برنارد شــو لا يفتر مطلقا بالجاذبية الجنسية التى كان يلفى نفسه مصــدرا لها بازاء النساء .. فعندما كان فى العقــد الثالث من عمــره (ما بين العشرين والتاسعة والعشرين) وقع فريسة جاذبية شديدة مصدرها « اليانور » ، صغرى بنات كارل ماركس ، وكانت ذات شــكل يستدعى الأنظــار ، وعلى ذكاء خارق . وكثيرا ما رآها فى قاعة المطالعة بالمتحف البريطانى تجمع المعلومات من المراجع وتنسخ الفقــرات التى تطلب منها مقابل ثمانية عشر بنسا فى الساعة ، وهى ما يعادل ثمانية قروش ! ولمــا اعتنق شو الماركسية وارتقى المنابر دفاعا عن « القضية » ، تم التعارف بينهما باعتبارهما رفيقين اشتراكيين ، **وقامت بينهما صداقة وطيدة حارة ، ولكن قبل أن تتطور العلاقة من جانبها الى شىء أعمق ، ظهر فى الأفق منافس اختطف قلبها وسلب لبها ! واذا باليــانور تعلن الى أصدقائها أنها قررت « احراق مراكبها » والحياة مع رفيق آخر هو الدكتور ادوارد آفلنج ، الحاصل على الدكتوراه فى العلوم .**

وكان آفلنج رجــلا من العسير أن تجد له نعتا مناسبا ، فقــد كان على حد تعبير برنارد شــو نفســـه : « ذا نزاهة لا يتطرق اليها الشك أو الفساد ، باعتباره مناضلا ملحدا ، ومن أتبــاع شــيلى ، ومن أنصــار داروين ، ومن المؤمنين بماركس ، وهو على استعداد للتوجه الى المقصلة ، أو مواجهة الاحراق حيا ، دون أن يتنازل عن قيــد أنملة من معتقداته هذه . أما باعتبــاره مقترض أموال ومحتالا ونصابا ومغويا

للنساء فهو بطل لا يشق له غبار ! ولا يتورع عن النصب على أفقر الناس ليحصل منه على ستة بنسات هى كل ما كان هذا يملكه لقوت يومه ! .. وكان موهوبا فى اعداد طلاب العلوم



جورج برنارد شو ، فى شبابه

و « اعدادى » الطب للامتحانات ، ولكن كان ينقصه الشرف فى تنفيــذ التزاماته ، فربما استدانت الطالبات أو تعــاون بالاكتتاب فيما بينهن ليؤدين اليه ـ مقدما ـ أجره عن اثنى عشر درسا . وحسنات الحظ منهن من كان كل حظها بعد ذلك « زوغانه » من اعطائها الدروس !.. أما سيئات الحظ ـ ذوات التشكل المقبول ، أو نصف المقبول ـ فكأن يغويهن ! وربما اختلس ميكروسكوباتهن « فوق البيعة » !

وعندما اتفق مع اليانور ماركس أن يعيشا معا ، بدون زواج ، كان متزوجا ، هاجــرا لزوجته ، وكانت الجمعيــة الفابية كلها قد قاطعته لسوء سلوكه الفاضح ، لكن اليانور تحدت الجميع وانضمت معه الى العصبة الاشتراكية التى لم تلبث أن نبذته أيضا . وحاول الانضمــام الى حزب الأحرار المستقل فى بداية تأسيسه ، ولكن رئيسه لم يكن بحاجة الى نصابين بين اعضائه !

وأخيرا ماتت زوجة آفلنج ، فاعتقد الجميع انه سينتهز الفرصة ويتزوج ابنة ماركس ، زواجا شرعيا .. **ولكنه استغل حريته فى الزواج فجاة من فتاة اخرى !.. وهددته اليانور بالانتحار ، فلم يكترث ، ولم يتخذ اى خطوة لمنع هذه المأساة ، بل انه سهل لها ذلك بكل الوسائل التى لا تدينه !.. وانتحرت فعلا !** وكانت أختها الكبرى قد انتحرت من قبلها لمجرد رغبتها فى تحاشى الشيخوخة ... وهكذا أصبح آفلنج النذل الأكبر فى نظــر جميع أحــزاب أوربا الاشتراكية . ولــكن ذلك لم يزعجه ، ومضى فى سيرته السابقة كأن شيئا لم يحدث . وكان الأطباء قد صارحوه بأنه مصاب بمرض خطير لا شفاء منه ، فراح يمارس كل لحظة من حياته بلا وازع ، منتظرا لحظة الموت بلا ندم ولا خوف ..

رجال دميمون .. عشقتهم النساء !

● نرى ما الدرس الذى استفاده شو من هذه المغامرة المؤسيه لا الدرس هو أن آفلنج هذا كان ساحرا للنساء ، بحيث يبدو أنه ما من امراة استعصت عليه ، مع أنه لم يكن وسيما ، فطوله أقصر من المتوسط ، وله عينا سحلية ، وسحنته فيما يقال تصلح لمتحف للحيوانات ، فى قسم الزواحف ، لا فى قسم الآدميين !.. وقد حرم من كل المميزات الجسدية ، فيما عدا صوته الرخيم رخامة غير عادية . **وكان شو يعلم ان ميرابو اشتهر بنجاحه الساحق مع النساء رغم الجدرى الذى يشوه سحنته . وان كازانوفا كان قبيحا ، بوجهه آثار الجدرى ايضا . فاذا أضاف الى هذين صاحبنا آفلنج وغزواته التى أودت بشرف عشرات العذارى وعشرات النساء ـ وهن كالمنومات المسحورات ! ـ لم يعد مما يشرف شو فى نظر نفسه ان يفتن النساء ، وأن يتهافتن عليه . وهكذا وعى شو درسه !**

وقد سئل شو : هل كان آفلنج النموذج الوحيد الذى عرفه شخصيا لذلك النوع من الناس ؟ فقال انه كان على صلات ودية بثلاثة آخرين على غراره : وهم « كولونيل » متقاعد ، ورجلان من رجال الدين ، بينهم سمة مشتركة هى النفور من العنف والايذاء البدنى ، ومع ذلك فثلاثتهم يتمتعون ـ مثل آفلنج ـ بانعدام تام للضمير فيما يتصل بالمسائل المالية ، والمسائل الجنسية .. كأنهم أنواع من الحيوانات لديها غريزة خاصة بالنصب واغواء النساء ، بلا وازع أو تورع . ومن عجب أن النساء كن ينسقن لهم كالمنومات ، رغم خلوهم من كل علامات الجمال ..!

وليس معنى هذا أن شو كان شديد التزمت ، فهو قد اعترف بنفسه أن تعففه لم يكن عن تدين أو خلق . وهو يقر بأن قوانين الزواج فى زمنـــه جائرة ومكبلة للحيـــاة بصورة غير معقولة . ولكنه فى الوقت نفسه لا يقـــر التحلل الجنسى والخروج على كل قانون . لأن القانون نظام . وفساد النظام لا يقابل بهدمه بل باصلاحه . وقاعدته الذهبيـــة هى أنه : **((ليس من الحصافة أن تريق الماء العكر الا بعد أن تحصل على الماء النقى . وكذلك ليس من الحصافة أن تحطم تقليدا قديما الا بعد أن تقيم تقليدا جديدا)) .**

والحق أن شو كان دائما يحافظ على المظاهر اللائقة ؛ فلم يعش قط مع امرأة ممن كانت بينه وبينهن علاقة جنسـية . وكان يرى من النذالة أن يسىء الى سمعة امرأة بالحياة غير الشرعية معها ما لم يكن مستعدا للزواج منها زواجا قانونيا .

.. واذا كان لنا أن نضيف شيئا يتمم الصورة ، فهو زهد شو فى الأبوة . وكان مثله الأعلى فى ذلك الفيلسوفان « كانط » وشوبنهاور . ولعل هذا هو السبب الرئيسى فى أنه لم ينجب من زوجته « شارلوت بيين تاونسهند » ، (التى تزوج منها فى سن ٤٢ ، وكانت فى مثل ســنه تقريبـا ، ثرية ، وربة بيت ممتازة ، فوفرت له السكينة التى أعانته على التفرغ للانتاج الأدبى) . ويقال انها كانت تنفر بطبعها من الاتصال الجنسى ، وان ذلك وافق هوى من نفس برنارد شو ، فأخلد فى كنفها للابداع الفنى ، ولانجاب عدد هائل من المخلوقات الفكرية التى جادت بها قريحته الوقادة ، وخيـــاله المحلق الذى لا يعرف الحدود ..!

....

المرأة .. عند سلامة موسى

فى هذا العدد الخاص عن « المرأة » ، لا يفوت « كتابى » أن يحلى صفحاته بهذه الفقرات من آراء المفــكر والمصلح الاجتماعى المصرى الراحل « سلامة موسى » ، وهى الآراء التى نادى بها وما فتىء ينادى طوال حياته ، واليه يرجع كثير من الفضل فيما حققته المرأة المصرية من مكاسب ، وتطور ، ونهوض :

أيتها المرأة .. لا تكونى لعبة !

« انى أدعوك ، أيتهـــا المرأة المصرية ، الى أن تثبتى وجودك الانسانى والاجتماعى فى الدنيا بالعمل والأقدام ، وأن تختارى حياتك واختباراتك ..

أدعوك أن تدربى ذكاءك ، وتربى شخصيتك ، وتستقلى فى تعيين سلوكك ، وتزدادى فهما وخيرا ونضجا بالسنين ..

لا تكونى لعبة نلعب بك نحن الرجال ، للذتنا نشترى لك الملابس الزاهية ، والجواهر المشخشخة ، ونطالبك بتنعيم بشرتك ، وتزيين شعرك ، وكأن ليس بك فى هذه الدنيا من سبب للحيـــاة سوى انك لعبتنا ، نلعب بك ونلهـو . ليس شك أن أنوثتك جميلة ، وليس شك انك تعتزين بجمالك وتعنين به ، ولكن لا تكونى لعبة . انت انســان لك جميع الحقوق الانسانية التى للرجل ، فلا تقبلى أن ينكر عليك احد هذه الحقوق ، وان يعين لك طراز حياتك . انت انسان لك حق الحياة واقتحام التجارب البشرية ، وحق الاصابة والخطأ ، لانك ــ بغير ذلك ــ لا تحصلين على تربية انسانية ، اى لا تكبرين ولا تنضجين، بل تبقين طفلة ولعبة ولو بلغت الستين او السبعين من العمر .

سيقال لك أن البيت هو دائرة نشاطك ، وهو كذلك اذا شئت انت ، ولكن ليس لان هناك حكما سماويا قهريا يجبرك على الطاعة وعلى البقاء فى البيت ، ثم اذكرى انه ليس فى الدنيا بيت يمكنه ان يستوعب كل نشـــاط المرأة . البيت اصغر من أن يســتوعب كل انسانيتك ، وكل عقلك ، وكل قلبك ، لان الدنيا الواسعة هى بيتك

(البقية صفحة ٥٨)

ستيفان زفايج

زوجة البخيل!



LA RUELLE AU CLAIR DE LUNE : STEFAN ZWEIG

تلخيص : عميد الامام

— ١ —

◎ **تأخرت** السفينة عن موعدها ـ بسبب العاصفة ـ فلم تصل بنا الى الميناء الفرنسي الصغير الا فى ساعة متأخرة من الليل ، ففاتنا القطار الذى كنا سنعود به الى المانيا ، وأصبح لزاما علينا ان ننتظر الى مساء الغد فى ذلك الميناء ، حتى يحين موعد القطار التالى ..

وشعرت بضيق شديد لهذا التأخير ، وأحسست انى اختنق بين جدران الفندق الذى نزلت فيه ، فغادرته ـ بعد أن تناولت عشائى ـ لأستنشق من جديد ، فى شوارع المدينة ، هواء البحر المنعش الذى كنت قد اعتدت عليه خلال الرحلة . وقادنى الشارع الذى يقع فيه الفندق الى ميدان مزدحم ، يتفرع منه شارع كبير ، كثير الأنوار . فسرت فى ذلك الشارع ، وكان مزدحما بأهالى البلدة الذين خرجوا للنزهة فيه .. ووجدت متعة ـ أول الأمر ـ فى الاستماع الى ضحكات الناس ، وضجيج أحاديثهم ، ولكنى كنت مرهقا من اثر الرحلة البحرية الشاقة ، لم يزايلنى الشعور بأننى واقع تحت تأثير مخدر ، فما لبثت أن أحسست بدوار شديد ، خشيت معه من الوقوع على الأرض .. وآثرت أن أهرب من الضجة لكى أتخلص من الدوار ، فسارعت الى الدخول فى شارع جانبى صغير لم أعن بقراءة اسمه . ومضيت أسير فيه على غير هدى ، ثم انتقلت منه الى شوارع أصغر ، متصلة به .. وكلما ابتعدت الشوارع التى سرت فيها عن الميدان المزدحم ، قل اتساعها وخفتت أنوارها .. الى أن وجدت

نفسي ــ فى النهاية ــ فى حارة ضيقة ، لا يكاد يضيئها غير نور القمر الذى كان خافتا فى ذلك المساء .

ومن اصــوات الموسيقى العربيدة التى كانت تنبعث من منازل تلك الحارة ، ومن الأنوار الحمــراء التى كانت تضيء ابوابها ، ومن الضحكات الخليعة المكتومة ، المختلطة بصيحات السكارى التى كانت تتردد من حين لآخر وراء جدرانها .. ادركت انني قد وصلت ــ من غير قصــد ــ الى احدى تلك الحوارى التى لا يخلو منها ميناء ، والتى تزدحم بالبيوت التى تبيع المتعة للبحارة ، وغيرهم !

وبينما أنا سائر ، كالنائم ، فى الحارة التى كانت خالية تماما من المــارة فى ذلك الوقت ، وأثر الدوار لا يزال يسيطر على حواسى ، طرقت سمعى كلمــات أغنية المانية معروفة ، يرددها صوت نسائى جاف !.. وكان الغناء رديئا للغاية ، ولكنى وجدت فيه سحرا عجيبا ، فقد كفانى أنه يردد أغنية من أغانى بلادى ، كلماتها هى أول كلمات المانية أسمعها منذ اســابيع عديدة .. واحسست أن الأغنية التى أسمعها هى تحية حارة موجهة الى ، شخصيا ، تنقل ريحــا من وطنى ــ الذى طال حنينى اليه ــ الى هذه البقعة الغريبة ..

وتساءلت : ترى من هى هذه التى تتكلم لغة بلادى هنا ، واية ذكريات تدفعهــا الى أن تخــرج من قلبهــا هذا اللحن الشجى ، لتتردد أصداؤه فى هذه الحارة الضائعة الفاجرة ؟.. واحسست نفسى مدفوعا الى البحث عن مصــدر الغنــاء ، فأخذت اتطلع الى البيوت التى كان يبــدو عليها من الخارج وكأنها شبه نائمة ، بينما هى تضج بالعربدة فى الداخل .. الى أن تعرفت على البيت الذى تنبعث منه الأغنية الالمانية ، فترددت لحظة ، ثم دخلت من بابه المفتوح الى ممر صغير تفصله ستائر عن داخل البيت .

ولكن قبل أن أمد يدى لأزيح الستارة وأدخل ، **رأيت فجأة شيئا حيا يتحرك فى ظلال الممر . وتبينت أنه رجل ملتصق بالحائط ، يرتعد خوفا واضطرابا . وعلى ضوء المصباح الأحمر الخافت الذى كان يضىء الممر ، رأيته ينظر الى بعينين فزعتين ، ثم يتمتم ببعض كلمات الاعتذار ، ويخرج بسرعة الى الحارة .. وأدهشتنى حركات هذا الرجل الغريبة ، فتابعته بنظراتى ، غير أن ظلام الحارة سرعان ما ابتلعه !**

وكانت الأغنية الألمانية لا تزال تتردد فى الداخل ، وتشدنى اليها ، فأزحت الستارة ودخلت . ولكن الغناء توقف بمجرد دخولى ، وكأنما قطعته سكين . ووجدت نفسى فى حجرة تكاد تكون خالية من الأثاث ، اذ لم يكن بها الا مقصف ومنضدة واحدة . وخلف المقصف كانت تقف امرأة بدينة ــ لا شك انها صاحبة المنزل ــ ومعها شابة عادية الجمال ، بينما جلست الى المنضدة ــ واستندت بمرفقيها اليها ــ شابة أخرى طويلة كانت تبدو عليها علامات الارهاق الشديد ، رغم المساحيق الثقيلة التى كانت تغطى وجهها ..

— ٢ —

وخيم صمت ثقيل على الحجرة عند دخولى ، أحسست معه بحرج شديد ، وبرغبة قوية فى الخروج . ولكننى خجلت من أن أتصرف على هذا النحو ، ولم أجد أمامى الا أن أتقدم الى المنضدة الوحيدة وأجلس اليها ، بجوار الشابة الطويلة . ونظرت المرأة الى ، بغير اكتراث ، وسألتنى عما أحب أن أشربه . وكانت تتكلم الفرنسية بلهجة خشنة ، عرفت منها أنها ألمانية الجنسية ..

وطلبت كأسا من الجعة ، فنهضت الشابة فى ملل واحضرت كأسين ، وبحركة آليــة قربت مقعــدها من مقعدى ورفعت كأسها لتقول لى : « فى صحتك » . ولاحظت أن عينيها لم تكونا تريانى أثنــاء نظرها الى ، فقــد كانت مشــغولة عنى بأفكارها الخاصة . فأخذت أتأمل وجهها بلا حرج ، ما دامت هى لا تشعر بوجودى !.. **وتبينت أنها لا تزال جميلة ، وان تقاطيعها متناسبة وحلوة ، ولكن شيئا « داخليا » فى نفسها شوه منظر وجهها وجعله يبدو وكأن عليه قناعا !.. أما صوتها فكان « محروقا » ، بتأثير السجائر والخمر . وكانت تبدو ــ فى مجموعها ــ انسانة هدها التعب ، الى حد لم تعد تبالى معه بشىء ، ولم تعد تعيش الا بحكم العــادة ، وبشكل آلى محض !**

وبمزيج من الخجل والرعب ، وجهت اليها سؤالا عاديا ، ردت عليه ــ دون أن تلتفت الى ــ بلهجة ملؤها السأم وعدم الاهتمام . وفى نهاية الحجرة كانت صاحبة المنزل تتثائب ، والشابة الأخرى تنظر الى وكأنها تتوقع منى أن أناديها !.. وكنت أريد أن أغادر المكان ، ولكنى كنت أحس ــ فى الوقت نفسه ــ بمزيج من الفضول و « القرف » يشدنى الى البقاء !.. وفجأة أطلقت الحسناء الطويلة ــ التى كانت تجلس بجانبى ــ ضحكة عالية أفزعتنى ، وفى الوقت نفسه اهتز نور المصباح ، فأدركت أن الباب الذى كان ورائى قد فتح . وقبل أن أستدير لأرى الداخل ، سمعت جليستى تصيح فى سخرية وقسوة ، بالألمانية :

ــ أهذا أنت مرة أخرى ؟.. الا تزال تحوم حول المنزل ، أيها اللص العجوز ؟!.. هيا أدخل . ادخل . لن أفعل بك أى شىء !

ونقلت بصرى من الشابة التى كانت تصيح بهذه الكلمات ـ وكأن النار مندلعة فى جسمها ـ الى الباب ، فرأيت عنده الرجل الذى كنت قد قابلته فى الممر عند دخولى ، **وفى عينيه نفس نظرة الفزع والمذلة التى رأيتها فيهما من قبل ، وكان يمسك بقبعته بين يديه فى ارتباك ـ كالمتسول ـ ويرتعد تحت وقع ضحكات الحسناء ، وكأنها سياط تنهال عليه !**

.. وأخيرا تحرك الرجل من مكانه وتقدم من منضدتنا ، فى خطوات وجلة ، فصاحت فيه جليستى وهى لا تزال تطلق ضحكاتها الهستيرية :

ـ أجلس هناك مع الفرنسية . الا تستطيع أن ترى انى جالسة مع هذا السيد ؟

وعلى الرغم من أن صاحبة المنزل والشابة الفرنسية لم تكونا تفهمان الألمانية ـ التى كانت جليستى تتحدث بها مع الرجل ـ فانهما كانتا تضحكان وهى تكلمه ، وقد بدا عليهما أنهما تعرفانه .. وصاحت المرأة الألمانية فى زميلتها الفرنسية : « قدمى اليه الشمبانيا يافرانسواز .. ومن أغلى نوع ! » .. ثم التفتت الى الرجل وأضافت فى سخرية : « اذا كنت تجد الشمبانيا غالية عليك ، فابق فى الخارج أيها الشحيح التعس ! انى أعرف أنك كنت تريد أن تستردنى مجانا ، فأنت تريد أن تحصل على كل شىء فى هذه الحياة ، بغير مقابل ! » .

ووقف الرجل بجانب المقصف مع الحسناء الفرنسية ، دون أن يرد بكلمة واحدة على زميلتها الألمانية ، ولكن كان واضحا أن كلماتها تسبب له أعنف الألم والاضطراب ، حتى لقد خيل الى أن ظهره كان يوشك أن ينكسر مع كل كلمة تخرج من فمها !.. وأخيرا مد يدا ترتجف الى زجاجة الشمبانيا وملأ منها كأسه . **وكان واضحا أن به رغبة ملحة فى أن ينظر الى جليستى الألمانية ، ولكنه لم يجرؤ أبدا على**

ان يرفع عينيه اليها ، فظل يحوم بهما فى اضطراب عنيف نحو الأرض !

.. وعندئذ فقط تمكنت من رؤية وجهه فى وضوح ، لأول مرة ، فتبينت انه رجل تجاوز الأربعين ، قد ارتسم البؤس على تقاطيعه جميعا ، ورغم أن ملامحه كانت تثير الشفقة ، غير أنها لم تكن تخلو — فى الوقت نفسه — من معالم الشر !

ونظرت الحسناء الألمانية الى ، وقالت : « لا تهتم بأمره . انها قصة طويلة تلك التى بينى وبينه ، وليست بنت اليوم .. » ، ثم عادت تخاطبه من جديد ، صائحة : « نعم ، ايها الوغد العجوز ، انك تود أن تعرف ما الذى أقوله للسيد !.. فلتعلم اذن انى قلت له أننى أفضل أن ألقى بنفسى فى البحر على أن أعود اليك ! » .

وهنا عاودت صاحبة المنزل والحسناء الفرنسية ضحكهما ، كما لو كان هذا المنظر شيئا مسليا مألوفا لديهما ، قد اعتادتا مشاهدته كل يوم !.. ورأيت الفرنسية تلتصق بالرجل وتداعبه فى خلاعة ، بينما كان هو يرتعد دون أن يجد الشجاعة لصدها عنه !.. والتقت عيناه بعينى ، للحظة خاطفة ، فارتعت لما رأيته فيهما من خوف ، وخجل ، ومذلة !

— ٣ —

ولم تكن المرأة الألمانية قد كفت عن اطلاق الضحكات العالية « الهستيرية » منذ وصول الرجل — بعد أن كانت أشبه بالنائمة قبل ذلك ! — الى حد أن ضحكها وسخريتها منه أثاراني ، وملآني بالاشمئزاز ، فألقيت ببعض النقود على المائدة وهممت بالخروج .. ولكن المرأة استوقفتنى قائلة :

« اذا كان هذا الكلب يضايقك ، فانى مستعدة لأن أطرده ! انه لا يستطيع أن يعصى لى أمرا .. فاجلس وخذ كأسا أخرى معى .. » .

ثم اقتربت منى وأخذت تتودد الى فى حنان مصطنع ، ادركت انها لا تتكلفه الا لتعذب « الآخر » !.. فبين كل حركة وأخرى من حركاتها ، كانت تنظر خلسة الى الرجل الثانى ، الذى كان يتلوى ألما لكل حركة تأتيها !.. ولاحظت أنه بدأ يغلى غضبا ، وانه يشتعل غيرة ورغبة ، ولكنه كان يخفى شتى انفعالاته كلما وجهت الحسناء نظراتها اليه !.. وأخرجت سيجارة لأبعد وجه جليستى — الذى اختلطت فيه رائحة المساحيق برائحة العرق — عن وجهى ، ولكن قبل أن أخرج علبة الكبريت ، صاحت هى فى الرجل : « تعال وأشعل له السيجارة ! » .

فأربكنى طلبها — أكثر مما أربك الرجل الآخر ! — وأخذت أبحث عن الكبريت فى عجلة ، ولكن قبل أن أعثر عليه ، كان الرجل — الذى لسعته كلماتها كضربة السوط — قد تقدم منى فى خطى سريعة ، ورمى ولاعته على المنضدة ، وكأنه يخشى أن تحرقه نارها !

والتقت عيناى بعينيه ، للحظة خاطفة ، فرأيت فى نظرته خجلا هائلا ، وغيظا رهيبا . وأحرجتنى نظرته ، فقلت له بالألمانية ، وأنا أشعر — بدورى — بالخجل للمعاملة المهينة التى يلقاها من جليستى : « أشكرك ، ولكن ما كان ينبغى أن تكلف نفسك هذه المشقة » ، ثم مددت يدى لأصافحه ، فتردد طويلا قبل أن يمسك بها ، وأخيرا ضغط عليها فى امتنان ..

وهممت بأن أدعوه الى الجلوس معنا ، تحديا للمرأة ، ولكنها — وكأنما أدركت رغبتى هذه — قالت له بسرعة ، فى

لهجة آمرة : « عد الى مكانك ، ولا تضايقنا » .. واجتاحنى احساس قوى بالاشمئزاز من صوتها الوقح ، ومن تصرفاتها القاسية ، ومن خنوع ذلك الأبله لها ، ومن الجو القذر المشبع بالرذيلة الذى اقحمت نفسى فيه بلا هدف ولا غاية !.. فنهضت من مقعدى ، وهممت بالخروج ..

— ٤ —

ومرة ثانية حاولت المرأة أن تتشبث بى ، ولكنى أبعدتها عنى فى حزم ، هذه المرة ، فشعت فى عينيها نظرة حقد عنيف ، وحولت نظرها عنى الى الرجل الآخر . ونظرت اليه بدورى . فرأيت أنه قد سارع الى اخراج حافظة نقوده من جيبه ليدفع حسابه ، وانه يهم بمغادرة المكان ايضا . **وكان واضحا انه يخشى أن يظل بمفرده مع المرأة !.. ومن شدة اضطرابه لم يستطع أن يفتح حافظة نقوده بسرعة ، فصاحت فيه جليستى الألمانية : « انظروا كيف يرتجف خوفا على نقوده ! الا تريد نقودك الخروج ؟!.. انتظر قليلا ! » .**

وتقدمت نحوه خطوة ، فتراجع الرجل فى فزع ، فقالت له فى اشمئزاز لا حد له : « لن آخذ منك شيئا .. اننى أبصق على نقودك .. أنا أعرف تماما أنك أحصيتها جيدا ، وانك لا تقوى على الافتراق عن قطعة واحدة منها الا بالاكراه ! » ، ثم استطردت قائلة فى سخرية قاسية : « ولكن ليست النقود التى تحتويها الحافظة هى أهم ما تحمله . فأهم منها عندك الأوراق التى تخفيها داخل بطانة سترتك ، خوفا من أن يسرقها منك الناس ! » .

فرفع الرجل يده بحركة لا ارادية مذعورة الى صدره ، وتحسس مكانا معينا فى سترته .. فبصقت المرأة على الأرض وهى تقول : « بخيل قذر ! » .. فاحمر وجه الرجل فجأة ، والقى بحافظة نقوده الى المرأة الثانية ، الفرنسية ، بعنف ..

ثم جرى خارجا من المكان ، كما لو كان يهرب من حريق ! ..
وظلت الحسناء الألمانية واقفة فى مكانها برهة ، وعيناها تلمعان ببريق الغيظ والشر ، ثم عاد الذبول الى جفنيها وبدا عليها الارهاق مرة أخرى ، بعد أن ظلت أعصابها مشدودة متوترة طول مدة وجود الرجل فى المكان ! .

ورمتنى بنظرة حيرة وذهول .. **كانت تقف أمامى وكأنها مخمورة افاقت لتوها من سكرها وهى تحس احساسا غامضا بالخزى .. ثم قالت : « انه سوف يولول الآن على نقوده ، وربما ذهب الى الشرطة وادعى اننا قد سرقناه .. ولكنه غدا سوف يكون هنا ايضا ! .. غير انه لن ينالنى .. جميع الرجال يمكن أن ينالونى ، ما عداه هو ! » .**

واستدارت وتوجهت نحو المقصف ، وقذفت فوقه قطعة نقود فضية ، وصبت لنفسها كأسا من الكونياك تجرعتها ، وفى عينيها نظرة شريرة خالطتها دموع الخجل والغيظ .. فشعرت بشىء من الشفقة عليها ــ وان لم تستطع هذه الشفقة أن تطردما أثارته فى من اشمئزاز ! ــ ثم قلت لها مساء الخير بالألمانية وخرجت ، فلم تلتفت الى ، واكتفت باطلاق ضحكة عربيدة ، فيها سخرية واستهزاء !

وكان القمر ــ عند خروجى ــ قد احتجب وراء السحاب ، فغرقت الحارة فى ظلام دامس . وبينما كنت أحاول أن اقتحم بعينى الظلام ، باحثا عن مخرج من تلك الحارة ، وجدت الى جانبى فجأة شبحا يقول لى بالألمانية ، فى صوت عرفت فيه صوت الرجل نفسه : « معذرة .. أظنك لا تعرف الطريق ، فاسمح لى أن أرشدك . قل لى أين تقيم » .. فأخبرته باسم الفندق الذى أنزل فيه ، فعرض على أن يوصلنى اليه ..
وسار الى جوارى ، دون أن يتحدث الى . ولكن كان من

الواضح أنه يريد أن يقــول لى شيئا ، ولا يعرف كيف يبدأ الحديث . فقد كنت أرى شفتيه تتحركان فى الظلام ، واسمعه يسعل ــ بين لحظة وأخرى ــ ليدارى ما هو فيه من اضطراب .. وأخيرا أمكنه أن ينتزع الكلمات من فمه ، فقال فى صوت متهدج : « انك يا سيدى قد شاهدت ذلك المنظر الغريب ، ولا بد أنه بدا لك عجيبا .. ان تلك المرأة هى .. » .

ولم يستطع اكمال كلامه ، وكان يبدو عليه أنه يختنق .. ولكنه لم يلبث أن استطرد قائلا ، بعد أن بذل مجهودا عنيفا لاخراج الكلمات :

ــ ان هذه المرأة هى فى الواقع .. زوجتى !!

ويبدو اننى لم استطع اخفاء دهشتى ، فقد مضى يقول بسرعة : « أعنى أنها « كانت » زوجتى . كان ذلك منذ خمسة أعوام .. لا ، بل أربعة أعوام .. فى قريتى (جراتزهايم) ، بمقاطعة (هيس) . **اننى لا أريدك يا سيدى أن تسىء الظن بها ، وربما كان الذنب ذنبى فيما وصلت اليه !.. انها لم تكن هكذا دائما . أنا الذى عذبتها !..** لقــد تزوجتها وهى فقيرة جــدا ، ولم يكن لديها حتى الثياب .. لم يكن لديها شىء بالمرة ، بينما أنا غنى ، أعنى ميسور الحال ــ أو هكذا كنت فى وقت ما ــ وربما كنت أيضا « مقتصدا » ، كما قالت هى ، ولكن ذلك كان فى الماضى يا سيدى .. قبل الكارثة .. وانى لألعن نفسى لأنى كنت بهذه الصفــة .. أما هى فقــد كانت ــ رغم فقرها ــ تحب الأشياء الجميلة ، وتحب الاسراف . وكنت ألومها على ذلك دائما .. ولكنى أعرف الآن انه ما كان ينبغى أن أفعل ذلك ، فهى متكبرة شديدة الكبرياء . وليس صحيحا أنها .. مثلما تبدو ، فهذه أكذوبة . وهى تسىء الى نفسها لمجرد الرغبــة فى أن تسىء الى ، وتعذبنى .. وأيضا لأنها تشــعر بالخجل .. وربما تكون قــد أصبحت سـيئة

السيرة ، ولكنى لا أصـدق ذلك ، لأنها كانت طيبـة جـدا يا سيدى ، طيبة جدا ! » .

وتلبه التأثر فعجز عن مواصـلة الكلام ، وأخـذ يمسح الدموع من عينيه ، ثم استطرد قائلا ، بعد أن تمالك نفسه قليلا : « نعم يا سيدى . لقـد كانت طيبة جـدا .. **وكانت تحمل لى شعورا قويا بالامتنان ، لانتشالى اياها من بؤسها ، وكنت أعرف ذلك ، ولكنى كنت أحب أن أسـمع اعترافهـا بالجميل من فمها !.. كنت أريد منها أن تقول لى ـ دائما ـ كم أحسنت اليها ، وأن تعرب لى عن شكرها باستمرار !.. وكنت أجد فى سماع ذلك متعة كبرى ، فانه لمن الممتع جدا أن يسمع الانسان أنه الأفضل ، فى حين يعلم فى قرارة نفسه أنه الأسوأ !..** وكنت مستعدا لأن أدفع أموالى كلها مقابل أن تكرر لى ـ بلا انقطاع ـ عبارات شكرها وامتنانها .. ولكنها كانت شـديدة الكبرياء ، وكلما لاحظت أنى أطالبهـا بابداء الامتنان لى ، قل ميلها الى فعل ذلك !.. وكان من أجل هذا ـ ومن أجل هذا فقط ـ انى كنت أجبرها على أن تتوسل الى !.. كنت لا أعطيها شيئا الا اذا ألحت فى طلبه !.. وكنت أجد سعادة عظيمة فى أن أراها تضطر الى أن ترجونى ـ كما لو كانت متسولة ! ـ كلما أرادت أية قطعة من الملابس ، أو احتاجت لأى شيء على الاطلاق !.. وظللت أعذبها على هذا النحو ، ثلاث سنوات ، بل كان تعذيبى لها يزداد مع الأيام .. ولكن ذلك لم يكن يحـدث الا لأنى كنت أحبهـا !.. كانت كبرياؤها تسرنى ، ومع ذلك كنت أود دائمـا أن أذلها !.. وكلما طلبت منى شيئا كنت أتظاهر بالغضب ، ولكنى لم أكن أغضب فى قرارة نفسى ، بل كنت أسعد بسنوح فرصة جديدة لاذلالها !.. وكان سبب ذلك كله أنى .. أنى لم أكن أعرف كم أنا أحبها !! » .

وتوقف الرجل عن الكلام مرة ثانية ، وهو ماض في سيره الى جانبي ، وكأنه يمشي وهو نائم !.. وكان واضحا انه قد نسي وجودي .. ثم استطرد يحدث نفسه في صوت كان يزداد ارتفاعا وحدة : « .. لم أعرف ذلك الا عندما .. في ذلك اليوم الملعون .. كنت قد رفضت أن أعطيها نقودا لأمها ، وكان المبلغ الذي طلبته ضئيلا جدا .. والحقيقة انى كنت قد أعددت ذلك المبلغ ، وكان في نيتي ان أعطيه لها ، ولكنى كنت أريد أن أجعلها تسعى الى ثانية ، وتعاود طلبها ، قبل أن أعطيها أى شيء !

« نعم ، يومئذ عرفت كم أحبها .. عندما عدت الى البيت في المساء ، ووجدتها قد رحلت !.. بعد أن تركت لى على المائدة قصاصة ورق كتبت عليها : « احتفظ بنقودك اللعينة ! انى لم أعد أريدها .. لم أعد أريد منك اى شيء ! » .

« لك أن تتصور يا سيدى كيف عشت كالمجنون خلال ثلاثة أيام ، وثلاث ليال !.. لقد قمت بتفتيش النهر ، والغابة ،ودفعت مبالغ كبيرة لرجال الشرطة ، لأحثهم على مساعدتى في البحث .. وكنتُ أجرى الى الجيران وأسأل عنها ، فكانوا يضحكون ويسخرون منى ، ولا يخبروننى بشيء !.. وأخيرا جاءنى من حمل الى نبأ من قرية مجاورة : قال لى انه شاهدها مع أحد الجنود ، في القطار المتجه الى برلين ..!

« وفي اليوم نفسه سافرت وراءها .. تركت أعمالى ــ وخسرت نتيجة لذلك آلاف الماركات ، فقد سرقني العمال والموظفون الذين كانوا يعملون عندى ! ــ ولكنى أقسم لك يا سيدى ان ذلك لم يهمني في كثير أو قليل !.. وامضيت في برلين اسبوعا قبل أن أتمكن من الاهتداء الى مكانها .. فهرعت اليها .. واقسم لك انى لم اوجه اليها كلمة قاسية

واحدة .. لقد بكيت ، وارتميت عند قدميها .. وعرضت عليها نقودا .. بل عرضت عليها كل ثروتى ، وقلت لها انى مستعد للتنازل لها عن ادارة كل اموالى ، فقد تبينت أننى لا أستطيع العيش بدونها .. اننى احبها حبا جنونيا ، ومع ذلك فقد كنت انا .. أنا وحدى .. الذى القيت بها فى الوحل !

« وكان قد شحب لونها ، حتى بدت كالموتى ، عندما رأتنى أدخل عليها فجأة ـ فقد رشوت صاحبة المنزل الذى كانت تقيم فيه لتسمح لى بالدخول عليها ، دون استئذان ! ـ واستندت بظهرها الى الحائط وهى فى لون الثلج .. وأعتقد يا سيدى أن حضورى لم يغضبها ، بل أثار فيها ما هو أشبه بالارتياح .. ولكن عندما تحدثت عن المال ـ وأقسم لك اننى ما فعلت ذلك الا لأقنعها بأن المال لم يعد يهمنى ـ عندما تحدثت عن المال ، تغيرت حالها فجأة ، وأخذت تبصق على .. ثم نادت عشيقها ـ بعد أن رفضت أن أخرج ـ وأخذا كلاهما يسخران منى !

« ولكنى يا سيدى عدت فى اليوم التالى ، وفى الأيام التى تلته .. وعرفت من سكان المنزل الآخرين أن الوغد الذى هربت معه قد تخلى عنها ، وانها أصبحت فى حاجة الى المال .. فذهبت اليها مرة أخرى ، ولكنها طردتنى من جديد ، ومزقت ورقة مالية كبيرة وضعتها لها على مائدتها .. وعندما عدت اليها ثانية بعد ذلك ، كانت قد رحلت !

— ٥ —

« **ولم أترك** شيئا لم أفعله بغية العثور عليها .. وأقسم لك أنه مضى على عام كامل لم أذق خلاله طعما للحياة ، بل لم أفعل طواله شيئا غير البحث عنها بلا انقطاع !..

ودفعت أموالا طائلة للمكاتب المختصة بجمع المعلومات .. الى أن عرفت أنها فى الأرجنتين .. فى بيت .. مشبوه ! »

وآلمه نطق الكلمات الأخيرة ، فتوقف عن الحديث برهة ، ثم استطرد قائلا فى انفعال : « لقد تملكنى اليأس فى اول الأمر .. **ولكنى بعد أن فكرت مليا فى الأمر ، ادركت انى انا وحدى الذى دفعتها الى هذه الهاوية .. وتصورت مبلغ العذاب الذى لابد أن تكون المسكينة قد عانته ، وهى التى تتميز بأن الكبرياء أبرز صفاتها !** .. ثم كلفت محامى بالاتصال بالقنصل الألمانى فى الأرجنتين ، وبارسال نقود اليها عن طريقه ، دون أن تعرف مصدر النقود !

« وخلال ذلك كله قام القنصل بترتيب أمر عودتها .. وأخيرا تلقيت برقية عرفت منها ان مساعيه قد نجحت ، وعرفت اسم الباخرة التى استقلتها قادمة من الأرجنتين ، فسافرت الى (أمستردام) لأكون فى استقبالها هناك ..

« **ووصلت الى ذلك الميناء الهولندى قبل موعد وصول الباخرة بثلاثة أيام ــ فقد كنت لا أطيق الانتظار ! ــ وأخيرا رست الباخرة فى الميناء ، وخيل الى انى سوف أموت من الفرح قبل أن تنزل هى منها !** .. ولكنى لم أستطع التعرف عليها فورا عندما رأيتها تهبط سلم الباخرة فى النهاية .. فقد تغيرت كثيرا : أصبحت تغطى وجهها بالمساحيق ، وأصبحت ملامحها مثلما رأيتها أنت الليلة ! .. وعندما وجدتنى فى انتظارها ، شحب لونها وكادت تقع من السلم ، لولا أن اثنين من البحارة سارعا الى الامساك بها .. وعندما وصلت الى الأرض ، تقدمت منها دون أن أنطق بكلمة واحدة ، وسرت معها فى صمت وراء الحمال الذى نقل حقائبها .. ولم تنطق هى أيضا بكلمة ، لفترة طويلة ، ثم توقفت عن السير فجأة والتفتت الى لتسألنى ــ فى صوت حزين مزق قلبى ــ

اذا كنت ما زلت أريدها زوجة لى ، بعد كل ما حدث ؟ ..
فلم أستطع أن أجيبها بشىء ، لشدة تأثرى ، وانما أمسكت بيدها ، وواصلت السير معها ، وهي ترتجف وراء الحمال ..

« وأخذتها الى أحد الفنادق ، والفرحة تملأ قلبى ..
وساعدتها على استبدال ثيابها ، ثم نزلنا معا الى المطعم حيث طلبت أفخر عشاء ـ **فقد كانت تلك فى نظرى هى ليلة زفافنا الحقيقية التى يجب ان نحتفل بها على أروع وجه !** ـ وأكلنا وشربنا ، وكنا فى قمة السعادة . وكانت هى مثالا للبهجة والرقة ، والطيبة والحنان .. وتحدثت عن بيتنا ، وعن مستقبلنا معا فيه .. »

— ٦ —

● **وفجاة** توقف الرجل عن الحديث ، وارتفعت يده فى حركة من يريد أن يضرب أحدا .. ثم قال فى صوت ازداد كآبة وحنقا : « كان يخدمنا على المائدة نذل شقى شرير ، ظن انى قد سكرت ـ لكثرة ضحكى وطغيان الفرح على ـ فأعاد الى بقية نقودى ، عندما دفعت له الحساب ، ناقصة عشرين فرنكا .. فوبخته وطالبته باعادتها الى .. فارتبك ووضع العشرين فرنكا على المائدة .. **ولكن فى تلك اللحظة انفجرت هى ضاحكة فى صوت غريب ، والتفت اليها فوجدت أن وجهها قد تغير تماما .. وبعد أن كانت تبدو كالطفلة الصغيرة السعيدة ، ظهرت عليها امارات القسوة ، والسخرية ، والشر .. ثم سمعتها تقول لى فى برود واستهزاء : « كم انت بخيل دائما ، حتى فى يوم فرحنا ! »**

« فاضطربت ، ولعنت بخلى ، وأجبرت نفسى على أن أضحك من جديد ، ولكن مرحها كان قد تبدد ، وحلت محله سحابة كثيفة من الكآبة والضيق . ثم طلبت منى أن أستأجر

لها مخدعا مستقلا ، تقضى فيه ليلتها على انفراد ، فأجبتها الى طلبها على الفور — وهل كنت أستطيع أن ارد لها أى طلب ؟ ! — وقضيت الليلة فى مخدعى ، بمفردى ، افكر فى الهدية التى قررت أن ابتاعها لها فى الصباح ، لأثبت لها انى لم أعد شحيحا ، وانى لن أبخل عليها بشيء قط ! .. وبمجرد شروق النهار ، أسرعت الى مخدعها ، ففوجئت به خاليا .. مثلما حدث فى المرة السابقة ! .. وتوجست اننى سأجد قصاصة ورق على المنضدة ، فهرعت نحوها وانا أدعو الله أن يخيب ظنى ، ولكنى وجدت عليها بالفعل ما توقعته : وجدت ورقة كتبت لى فيها : « ابتعد عنى . انك تثير اشمئزازى ! »

وتوقف الرجل عن الحديث ، الى أن وصلنا الى منطقة الميناء ، وهناك أمسك بذراعى بقوة وقال : « ولكنى لن اغادر هذه المدينة بدونها ! .. لقد عثرت عليها أخيرا — بعد أشهر طويلة من البحث المحموم — ومن المحال أن اتركها .. انها تستعبدنى ، فأتوسل اليك يا سيدى .. تحدث اليها .. قل لها انها يجب أن تعود الى .. انها لا تصغى الى كلامى ، وانا لم اعد أستطيع أن أحتمل هذه الحال أكثر مما احتملت .. لم أعد أستطيع رؤية جميع هؤلاء الرجال الذين يترددون عليها ، والانتظار خارج المنزل الى أن يخرجوا سكارى معربدين ! .. ان كلّ الحارة قد أصبحت تعرفنى ، وجميع الناس يضحكون ساخرين وهم يروننى أقبع فى الانتظار !.. انه أمر يدفعنى الى الجنون ، ومع ذلك فاننى أعود فى كل مساء ! .. اننى أتوسل اليك يا سيدى .. كلمها .. انك لا تعرفنى ، ولكنى أستحلفك بالله ، وبكل ما هو مقدس ، أن تسدى الى هذا الجميل . »

واشتد ضغط يده على ذراعى ، فتخلصت منها بحركة

لا ارادية ، ظن معها الرجل انى أدفعه عني ، فجثا على ركبتيه فجأة أمامى ، فى وسط الطريق ، واخذ يقبل قدمى وهو يقول فى حرقة مؤلمة : « انى أتوسل اليك يا سيدى .. يجب أن تكلمها .. يجب .. والا .. والا فسوف يحدث شيء رهيب .. لقد أنفقت نقودى كلها فى البحث عنها ، ولا يمكن ان أتركها فى هذا البيت المشبوه .. لن أتركها على قيد الحياة على الأقل .. لقد اشتريت سكينا .. ولا أريدها أن تظل هنا ، حية .. انى لا استطيع احتمال هذا العذاب أكثر مما احتملت .. ارجوك يا سيدى ، أرجوك .. كلمها .. »

وكان يتمرغ كالمصروع عند قدمى وهو يتكلم ، وانا لا ادرى ماذا افعل له .. الى ان لمحت اثنين من رجال الشرطة قادمين نحونا من بعيد ، فرفعته عن الأرض بعنف واوقفته على قدميه .. فنظر الى لحظة بعينين مخبولتين ، ثم قال بصوت مختلف ، وفى لهجة جافة : « لو سرت فى هذا الشارع ثم اتجهت الى اليمين ، فسوف تصل الى فندقك .. »

ثم اختفى فى الظلام !

— ٧ —

وفى الصباح التالى ، لم أكن واثقا تماما مما اذا كانت أحداث الليلة الماضية قد وقعت فعلا ، أو انى كنت احلم .. وكان بى شوق كبير الى أن أتحقق من الأمر ..

وظللت أطوف بمعالم المدينة طول النهار ، ولكن ذكرى الليلة السابقة ظلت مستولية على بلا انقطاع ، تشدنى الى البحث عن تلك الحارة ، وذلك المنزل .. **ولكن أمثال هذه المساكن لا تحيا الا فى الليل ، ولا يبدو عليها اى اثر من آثار الحياة فى النهار ، ولذلك كان من المستحيل على أن استدل عليها مهما بحثت** .. فعدت مرهقا الى الفندق فى آخر

النهار ، وذهنى لا يزال مشغولا بأحداث الليلة السابقة ، الشبيهة بوهم من الأوهام !

وكان موعد تحرك قطارى فى التاسعة مساء .. فتوجهت الى المحطة ـ وراء الحمال الذى كان ينقل حقائبى ـ وانا أشعر بالأسف لمغادرة تلك المدينة التى كانت زيارتها مثيرة بالنسبة لى ..

وفجأة توقفت عند ملتقى بعض الشوارع ، وقد شعرت بما هو أشبه بالصدمة ، فقد تعرفت هناك على الشارع الذى قادنى الى حارة الليلة الماضية ! .. وللفور طلبت الى الحمال أن ينتظرنى ، وسرت فى الشارع لألقى نظرة أخيرة على الحارة المتفرعة منه !

.. ووجدتها غارقة فى الظلام ، كما كانت بالأمس .. وعلى ضوء القمر الباهت ، تبينت باب المنزل الذى دخلته فى الليلة الماضية . واردت أن أقترب منه ، ولكنى رأيت فجأة شبحا يخرج من الظلال المحيطة به ، عرفت فيه ـ وأنا أرتعد ـ رجل الأمس ، الذى وقف على عتبة الباب وأخذ يشير الى ان أتقدم ..

.. غير أن خوفا غريبا استولى على ، فاستدرت وعدت مسرعا ، خشية أن أتورط فى أمور تعوقنى عن اللحاق بالقطار .. لكنى لم أملك نفسى من أن أتلفت خلفى ، عند نهاية الحارة ، للمرة الأخيرة : فرأيت الرجل يشد قامته ، ويدفع الباب فى تصميم ..

وفى تلك اللحظة لمحت شيئا معدنيا يلمع فى يده ، غير أنى لم أستطع أن أتبين على البعد اذا كان هذا الشىء الذى لمع ، فى ضوء القمر ، هو قطعة نقود .. أم هو السكين التى كان قد حدثنى عنها ! !

المرأة .. عند سلامة موسى

« بقية المنسور صفحة ٣٨ »

الاول . انت لست خادمـــة الرجل يلعب بك ويلهـــو ، وتنجبى له الأطفال ، وتطبخى له الطعـــام .. أنت شريكتـــه اذا شئت ولست خادمته . أنت أم الرجل ، واخته ، وزوجته ، وزميلته ، ولكن يجب الا تكونى خادمته أو لعبته .

انت ثمرة ألف مليون سنة من التطور ، ولك قدرة على الفهم لم يرتفع اليها حى فى كل هـــذه السنين ، فلا تبخسى قدرك وتحيلى شخصيتك الى لعبة . ولا ترضى أن تكونى خادمـــة الرجل ، اذ هو لا يمتاز عليك بأية ميزة . وانت تخونين روحك .اذا لم تستقلى فى هذا الكون ، وتحيى الحياة المستقلة ، وتنظرى النظرة المستقلة الى شئون العيش ..

ان الرجال يتهمونك بانك غير ذكية ، غير شجاعة ، غير سخية ، غير بصيرة ، لم تتفوقى فى الاختراع أو الاكتشاف ، ولم تبرزى فى العلوم والفنون . وكل هذه التهم صحيحة ! .. ولكنها صحيحة لانك تمضين حياتك محبوسة بين اربعة جدران فى البيت ، ولو قدر لنـا نحن الرجال أن نحبس كذلك لكنا فى هذه الحال التى تتهمين انت بها.

ذلك أن الذكاء والشجاعة والسخـــاء والتبصر والاخـــتراع والاكتشاف ، كل هذه الاشياء هى بعض أوجه النشاط الاجتماعى التى يدعونا اليها المجتمع ، ويبعث فينا ، حين نختلط به ونتفاعل معه ، تلك العواطف التى تحثنا على النشاط الذهنى أو الجسمى . انت معطلة الذهن لانك لا تهدفين الى الاهداف الاجتماعية العظيمة التى يهدف اليها الرجل ، وهو نتيجة لذلك يدرب ذهنه فيكون ذكيا بل عبقريا ، أما أنت فلا تدربين ذهنك بل تعطلينه ..

أيتها المراة المصرية ، يجب أن تزاملى الرجل فى العمل ولا تعملى وحدك ، بل يجب أن تبـــدأى الزمالة من الطفولة ، تتعلمين وانت حبيسة مع الصبايا ، وأنت فتاة مع الشبان ، ثم تزاملى الرجل فى المكتب والمتجر والمصنع . نحن الرجال والنساء يجب الا ينفصل احد جنسينا عن الاخر ، لاننا عندما ننفصل نقع فى شذوذات جنســـية

(البقية صفحة ٨٢)

سيجموند فرويد يحلل

"هستيريا" الحب المكبوت عند النساء

(الآنسة لوسي ، والرائحة الوهمية !)



STUDIES IN HYSTERIA : SIGMUND FREUD

ترجمة توضيحية بقلم : الأستاذ الدكتور نظمى لوقا

فرويد .. وهذه الدراسة الممتعة

● فى السادس من شهر مايو سنة١٨٥٦ ولد « سيجموند فرويد » ، فى بيت متواضع عتيق البناء ، مكون من طابقين ، منفصل عن سائر البيوت ، وليس لواجهته منظر جذاب . وكتب لهذا الطفل أن يشب ليكون صاحب ثورة من أكبر الثورات العلمية وابعدها أثرا فى تفكير الناس وفى سلوكهم . ولعله من اكبر صناع الموجة الجديدة التى تسود عالمنا المتطور . فهو الذى رفع عن الجنس حصارا ضربته عليه التربية والتقاليد والاديان ، أجيـــالا يخطئها الحصر .. وجعل منه مسالة طبيعية علمية مثل التغذية ، والتنفس ، والدورة الدموية ! فان كنت لا تخجل ايها الانسان العصرى من تنفسك ، ومن جوعك وسعيك الى الطعام ، ومن نبضات عروقك .. فلمـــاذا ـ يقول سيجموند فرويد ـ تخجل من نزعاتك الجنسية ؟ انها اصيلة فى تكوينك ، ومسيطرة على دوافع سلوكك ، شئت ان تعترف بهذا او لم تشا ! وان لم تعترف بذلك فانت المخطىء وانت الخاسر فى نهاية المطاف . لأن هذا التجاهل لاصل طبيعة تكوينك ، وهذا الخزى من نشاطه ، سيؤدى بك الى الخروج عن السلوك السوى ، وهو السبب الحتمى لكل أنواع الاختلالات النفسية والعصبية !

ومن الطريف ، أن هذا العالم الذى عنى بالشذوذ النفسى ، نشأ فى أسرة تضم الكثير من المفارقات غير المالوفة : فامه الحسناء الورعة الرقيقة كانت ، حين أنجبته ، فى التاســعة عشرة من عمـرها ، اما ابوه فكان قد تجاوز الخمسين . وكانت لهذا الاب زوجة سابقة ماتت عن اولاد ـ هم أخوة عالمنا « سيجموند » من أبيه ـ اكبر ســنا من والدة سيجموند ، زوجة ابيهم الجديدة ! .. بل ان لسيجموند ابن اخ اكبر منه فى العمر بسنة !.. ولذا كانت علاقته بابيه اقرب الى علاقة الحفيد بالجد ، وعلاقته باخويه الكبيرين اقرب الى علاقة الابن بابيه ، وعلاقتـــه بابن اخيه اقرب الى علاقة الأخ الأصغر . ووضعه بالنسبة لابن اخيه يعطيه مع هذا الحق فى الاحترام « من

الوجهة الرسمية » . ولكن الواقع انه كان يتلقى ـ وهو العم المفروض انه محترم ـ اللكمات والصفعات من ابن اخيه « جونى » كلما اختلفا فى اللعب ، فيمتلىء قلب سيجموند بالغيظ ويظل قلقا وفى حرب مستمرة معه ، لاسترداد هيبته السليبة ! والأب القاسى يثير الخوف فى وجدان الطفل الذى تدلله امه ، فيضمر سيجموند لأبيه الحقد لأنه يزاحمه فى عناية امه وحنانها ! ..

ويظل هذا شعوره الى ان يبلغ الثامنة من عمره ، فيتغير سلوك أبيه ، ويصحبه معه فى نزهاته ، وتنشا بينهما صداقة وطيدة تزداد مع الأيام توثقا ، من غير ان تمحو من نفس سيجموند ضغائن الطفولة وحسدها ، فاذا نفسه اليافعة مسرح لصراع الحب والبغض ، ولتناقض الواقع مع المفروض ...

فاذا اضفنا الى هذا أن شقيقته ولدت فى العام الثـــالث من عمره ، اذركنا اهمية شعوره المبكر بالغيرة . ولذا ظل فرويد الى ختام حياته يقول ان اجمل واسعد أيام عمره هى السنوات الثلاث الأولى التى كان حب امه خالصا له فيها . وظل يحلم بمشاهد من تلك المرحلة الى ما بعد ذلك باربعين عاما تقريبا .. أحلاما واضحة كانت عنصرا اساسيا من عناصر نظريته فى تفسير الأحلام !

وفى (فيينا) قيض له القدر استاذا عظيما فى ابحاث وظائف الأعضــاء تتلمذ عليه لست سنين ، وجهه فيها الأستاذ الى دراسة المخ والأعصاب ، فاستغرق فى هذه الدراسة حتى تخلف عن اجازة الطب ثلاث سنوات . وبعد تخرجه لم يعمل بالطب الا قليلا ، وحصل على منحة دراسية فى باريس لدراسة الأمراض العصبية على يد « شاركو » ، وهناك بدات عنايته بعلاج الأمراض النفسية ، وخطر له مذهبه فى التحليل ، على ذلك الأساس الخطير الذي يجعل كل اختلال فى النفس نابعا من الكبت الجنسى الذى يعتبره فرويد مصدر جميع العلل والشرور النفسية ، حتى حينما يبدو المرض ابعد ما يكون عن الجنس ، ظاهريا ، كما هو الحال فى هذا النموذج البديع من نماذج مذهبه الفذ فى التحليل :

الآنسة لوسى ، والرائحة الوهمية !

● **كنا** فى أواخر العام عند ما حول الى طبيب من زملائى شابة انجليزية ذات تكوين رقيق وبشرة شاحبة اللون ، تدعى « لوسى » ، فى نحو الثلاثين من عمرها .. وكان يعالجها من التهاب تقيحى متكرر فى الأغشية المخاطية .. ثم ظهرت عليها فى النهاية أعراض جديدة شكت اليه منها، بيد أن هذا الطبيب الراسخ فى العلم لم يستطع تفسير هذه الأعراض الجديدة بأية اصابة عضوية موضعية . وكانت الفتاة قد فقدت قبل ظهور هذه الأعراض بمدة كل قدرة فى حاسة الشم لديها ، فقدانا تاما ،ولكنها صارت الآن تشكو باستمرار تقريبا من احساسات تتصل بحاسة الشم تنبع من ذاتهــا ، أى ليس لها مصدر موضوعى فى الأشياء المحيطة بها . وكانت تتأذى تأذيا شديدا من هذه الاحساسات التى تتعقبها وتسبب لها كربا بالغــاً . يضاف الى هذا أنها كانت تعانى فى الوقت نفســه من ارهاق عصبى ، وهبوط شديد فى الروح المعنوية ، وثقل فى الرأس ، ومن نقص مطرد فى الشهية ، وضعف فى الهمة والكفاية للعمل.

وكانت هذه الشابة تعيش فى بيت المدير الادارى لأحـد المصانع فى ضواحى فيينا ، حيث تعمل مربية ، وكانت ــ فيما عدا علتها الأنفية ــ تتمتع بصحة جسدية طيبة . وقد أكدت لى عباراتهــا الأولى ما كان الطبيب قد ذكره لى عن حالتهــا جملة وتفصــيلا . وفيما يتعلق بالأعراض الهســتيرية ــ أى الاحســاسات الشمية الوهمية المكربة ــ تبين لى أن أنفها فاقد كل احساس بالألم بوجه عام ، وان لم يفقد الحساسية للمس. وتأكدت بعد الفحص الاجمالى ان ذلك المرض الأنفى لم يقلل من مجالها البصرى . ووجدت أنفهــا عاجزا عن التأثر حتى بالمثيرات النفاذة مثل رائحة النوشادر !

الرائحة المتكررة التى تطاردها !

● **وكان** لابد فى محاولاتنا الأولى لفهم علتها أن نفسر تلك الاحساسات الشمية الوهمية المكربة بأنها أعراض هستيرية مزمنة ، ما دامت هذه الأوهام لها صفة التكرار والتواتر . أما انحطاط قواها المعنوية فلعله كان نتيجة للصدمة التى أحدثت الهستيريا ، وينبغى فى هذه الحالة أن يتسنى لنا العثور على تجربة حدثت لهـــا فى الماضى تتضمن تلك الروائح بالذات ، بصفة فعلية موضوعية ، ثم تحولت لديهـــا الآن الى روائح وهميـــة تنبع من ذاتهـــا ، فلابد أن تلك التجربة كانت هى الصدمة التى ترمز لها فى ذاكرتها هذه الاحساسات الشمية المكربة . وينبغى أن نعتبر هذه الهلوسات الشمية المتكررة ، مع ما يصاحبها من انحطاط القوى المعنوية ، بمثابة « نوبات هستيرية » . ومن الجوهرى أن ندخل فى حســابنا أن هذه الروائح الوهمية لابد أن يكون لها مصدر خاص محدد يسمح بانبعاثها ، ابتداء من موضوع « واقعى » بالذات .

وسرعان ما صدق ظنى . فعندما ســـألتها ما هى هذه الرائحة المكربة التى ما تفتأ تلح عليها ، اجابتنى :

ـ انها رائحة حلوى « بودنج » محروق !

وبذلك لم أعد بحاجة الى مزيد من الاستقصاء عن فحوى التجربة التى سببت لها الصدمة الهستيرية . فالمفروض ان رائحة بودنج محترق صاحبت هذه التجربة ، وانه لمن الخارق للمألوف بلاشك أن يقع الاختيـــار على الاحساسات الشمية لتكون رموزا فى الذاكرة للصدمات الهستيرية . بيد أنه ليس من العســـير العثور على تعليل لهذا الاختيـــار غير المألوف . فالمريضة كانت مصابة بالتهـــاب تقيحى متكرر فى الأغشـــية المخاطية ، ومن ثمة كان انتباهها مركزا على أنفها واحساساتها

الأنفية . وكان كل ما أعرفه عن ظروف حياة المريضة مقصورا على أن الطفلتين اللتين ترعاهما لم تكن لهما أم ، فقد ماتت هذه الأم بعلة حادة خاطفة قبل ذلك ببضع سنين .

وهكذا قررت أن أجعل رائحة البودنج المحروق نقطة الانطلاق للتحليل . وسأعرض سياق التحليل كما لو كان جرى فى ظروف مواتية . والحقيقة أن الجلسة الوحيدة التى كان مفترضا أن يتم فيها كل شيء امتدت فصارت عدة جلسات ، لأن المريضة لم يكن متاحا لها أن تزورنى الا فى مواعيد عيادتى ، مما جعلنى عاجزا عن تخصيص وقت طويل للقائها . ثم ان المناقشة الواحدة من هذا القبيل كانت تستغرق عدة زيارات ، يتجاوز موعدها الأسبوع الواحد ، لأن عمل المريضة لم يكن يسمح لها بموالاة الرحلة من المصنع الى دارى مرارا متلاحقة جدا ، ولذا كان علينا أن نقطع حديثنا بسرعة مراعاة لضيق الوقت ، مجازفين باستئناف الحديث فى المرة التالية ابتداء من نقطة مختلفة .

عجزه عن تنويمها مغناطيسيا !

● **وحاولت** أن أستخدم « الاستهواء » لتنويمها مغناطيسيا ، ولكن الآنسة لوسي لم تستغرق فى النوم . ولذا استغنيت عن التنويم الاستهوائى وسرت فى خطوات التحليل كلها والمريضة فى حالة يقظة طبيعية ..

ولابد لى هنا من الاشارة الى قصتى مع منهج التنويم المغناطيسى فى العلاج : فقد كان شائعا فى العقد الأخير من القرن الماضى أن التنويم المغناطيسى أقوى وأنجع وسيلة للعلاج النفسى . وحاولت أن أتعلم هذا المنهج الذائع الصيت على يد « برنهايم » فى عيادته ، وكان مشهورا بأنه من أساطينه ، وله فيه تلاميذ . **ولكن ما أن حاولت استخدام التنويم المغناطيسى**

مع مرضـاي حتى تبين لي أن قدراتي الشخصية على الأقل محدودة جدا في هذا المجـال ، وانني ما لم أفلح في تنويم أي مريض بعد تكرار المحاولة مرتين ، فلن يكون في مقدوري فرض النوم عليه . وكانت النسبة المئوية للحالات الناجحة بين مرضاي أقل كثيرا جدا من النسبة التي اذاع برنهايم أنه حصل عليها في تجاربه .

ولم ألبث أن أقلعت تماما عن اختبـار مدى نجاحي في تنويم المريض ، لأن ذلك الاختبـار يثير في كثير من الحالات مقاومة المريض ويزعزع ثقته بي . وأنا بحاجة الى هذه الثقة للمضي في الجانب الأهم من العمل النفسي . وفي مرحلة تالية بدأت أسأم اطلاق الأوامر والتأكيدات من قبيل :

ــ ستنام .. أنت تشعر الآن بالنعاس . نم !

لأن المريض كان في معظم الحالات يصيح محتجا :

ــ ولكني لست نائما يا دكتور !

فاشعر بالحرج ، وان كنت اعتقد أن الكثيرين من الأطباء الذين يمارسون العلاج النفسي في وسعهم أن يخرجوا من مثل هذه المآزق ببراعة تتجاوز مقدوري [1]. اما انا فوجدت ان خير ما أفعله هو التظاهر بالتخلي عن التنويم ، عنـدما افشل في فرضه على المريض في المحاولة الأولى ، واكتفي منه بالتركيز ، وألح فيه عليه ، فآمره بالاسـتلقاء ، والاسترخاء البدني ، واغلاق عينيه استكمالا للتركيز المطلوب منه . ولعلني بهـذا الأسلوب أحصل بأيسر جهد على أعمق مستوى للاسـتهواء يمكن الوصول اليه في حالة هذا المريض بالذات .

وقررت أيضا ــ مهتديا بخبرتي ومحاولاتي ــ أن أفترض ابتـداء أن مرضاي يعرفون كل ما له علاقة بالمرض النفسي الذي يعانون منه ، وأن المسألة كلهـا تتوقف على نجاحي في اجبارهم على الادلاء بكل ما يعرفونه في هذا الصدد . **وعندما**

كنت اصل الى الحد الذى تجيبنى فيه المريضة عن سؤال من قبيل : ((منذ متى يصيبك هذا العرض ؟ أو ما مصدره ؟)) ، بقولها : ((الحقيقة انى لست أدرى .)) .. كنت أتصرف على النحو التالى : اضع يدى على جبهة المريضة ، أو آخذ يدها بين يدى كلتيهما ، واقول لها :

ـ ستفكرين فى هذا تحت ضغط يدى . وحينما أرخى يدى واكف عن الضغط سترين شيئا ما أمام ناظريك المغلقين ، أو يمر بخاطرك شىء ما . تشبثى بهذا الشىء ، لأنه سيكون ضالتنا التى ننشدها .. والآن ماذا رأيت لتوك ، أو ماذا خطر ببالك ؟؟

وقد أدهشنى شخصيا أن هذه الطريقة عندما أستخدمتها لأول مرة (وكان ذلك مع مريضة أخرى غير الآنسة لوسى) افادت على بالضبط النتائج التى كنت بحاجة اليها . وفى وسعى أن أقول ان هذه الطريقة لم تخذلنى على الاطلاق تقريبا منذ تلك التجربة الأولى . بل كانت توجهنى دائما الى المنحى الذى ينبغى أن يسلكه التحليل ، وكانت تتيح لى دائما أن أمضى فى كل تحليل من هذا القبيل الى ختامه الطبيعى الصحيح بغير حاجة الى التنويم المغناطيسى أو الاستهوائى .

عندما تكتم المريضة اسرارها .. عن الطبيب !

● **وبمرور** الوقت صرت أشد ثقة بطريقتى هذه ، حتى لقد بلغ بى الأمر حينما يكون جواب مرضاى : « لست أرى شيئا . ولم يخطر ببالى شىء . » ، أن ارفض هذا القول واعده مستحيلا ، وأوكد لهم أنهم على التحقيق فطنوا الى المطلوب ولكنهم رفضوا الاقرار بأنه هو ضالتنا (أى مصدر العرض المرضى) ولذا لم يدلوا به الى . ثم أقول لهم انى مستعد لتكرير الضغط بيدى على أيديهم ـ أو جباههم ـ ما شاؤا من

المرات ، وهم يقينا سيرون ذلك الشيء المرفوض بعينه فى كل مرة . وكان يتضح بالتجربة أن ما ذهبت اليه صحيح فى جميع الاحوال . وأن ملكة النقد لديهم لم تكن مسترخية ، ولذا رفضوا الذكرى التى برزت فى وجدانهم ، أو الفكرة التى خطرت لهم ، على أساس أنها غير ذات مدلول ولا علاقة لها بالموضوع ، ولا يمكن أن تخدمه . ولكن بعد أن يدلوا بها الى كان يتبين على الدوام أنها الضالة المنشودة ! .. وكان المريض احيانا ــ بعد تكرير طريقة الضغط بيدى ثلاث مرات أو اربعا ــ يعقب على نجاحى فى استخراج المعلومات منه ، بقوله :

ــ الواقع يا دكتور انى كنت على وعى بهذا الشيء منذ أول محاولة ، ولكنه بالضبط مالا أود الافضاء به !

أو يقول : « ولكنى كنت آمل الا يكون هذا هو المطلوب ! » .

والحقيقة أن طريقتى المجهدة ــ الأشد اجهادا على الأقل من استجواب المريض وهو واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى أو الاستهوائى ــ امتازت مع هذا بأنها كفلت لى الاستقلال عن ذلك التنويم ، وزودتنى بالبصيرة النافذة الى الدوافع التى تتحكم أكثر الأحيان فى « نسيان » الذكريات الهامة . وبوسعى أن أؤكد أن هذا النسيان متعمد ومرغوب فيه من جانب المريض فى أغلب الأحيان . وان نجاحه لا يمكن الا أن يكون ظاهريا . أى أننا متى ألححنا ، اكتشف المريض ما كان يظنه نسيا منسيا !

ولقد بلغ بى الأمر فى تطبيق هذه الطريقة حدا أدهشنى أكثر من هذا عندما استخرجت على هذا النحو الأرقام والتواريخ الدقيقة التى كان يبدو فى ظاهر الأمر أنها نسيت منذ أمد طويل . وهكذا ثبت لى الى أى مدى غير متوقع يمكن أن تبلغ الذاكرة البشرية فى دقتها ! .. واستخلص مما تقدم

أن الخبرات التى كان لها علاقة هامة بنشأة المرض ، هى وكل ما يلازمها أو يقترن بها ، محفوظة فى ذاكرة المريض حتى حينما يبـدو أنها منسـيـة تماما ، بحيث يعتقـد أنه عاجز عن استرجاعها .

وبعد هذا الاستطراد التوضيحى ، أعود الى حالة الآنسة لوسى ..

عندما تتداعى الذكريات !

● **لم تثمر** محاولاتى فى الايحاء ـ كما ذكرت آنفا ـ ولم أفلح فى تنويم الآنسة لوسى ، وقصارى الأمر أنهـا استلقت بهدوء فى درجة مواتية لاستقبال تأثيرى عليها ، مغلقة العينين طيلة الوقت ، وملامح وجهها متصلبة الى حـد ما ، لا تتحرك فيها خلجة ، من فرعها الى قدمها ، فسألتها :

ـ أتذكرين أول مناسـبة شممت فيهـا رائحة البودنج المحروق ؟

ـ أجل . أعرفها بالضبط . كان ذلك منذ شهرين ، قبل عيـد ميـلادى بيومين . وكنت مع الطفلتين فى قاعة الدرس ألعب معهما لعبة الطهو . وجىء الى بخطاب كان ساعى البريد قد تركه لى . ورأيت من طابع البريد ومن الخط الذى كتب به العنـوان على المظـروف أنه من والدتى التى تعيش فى (جلاسجو) بانجلترا . وأردت أن أفضه ولكن البنتين اندفعتا نحوى وانتزعتا الخطاب من يدى صائحتين : « كلا ! لا ينبغى أن تقرئيه الآن ! فلابد انه موجه اليك بمناسبة عيد ميلادك ! سنحتفظ لك به ! » . وفيما كانت الطفلتان تلعبان هذه اللعبة معى ، دهمتنى رائحة قوية على حين غرة : فقد غفلتـا عن البودنج الذى كانتا تطهوانه فأخذ يحترق . ومنذ ذلك الحين وتلك الرائحة تطـاردنى . فهى هناك على الدوام ، ولكنهـا تشتد عندما يعترينى اضطراب .

ـ أيبدو لك هذا المنظر بوضوح امام عينيك الآن ؟

ـ بحجمه الطبيعى ،وعلى نحو ما مرت بى خبرته بالضبط!

ـ فماذا عسى أن يكون فيه اذن مما أثار اضطرابك الى هذا الحد ؟

ـ لقد تأثرت لأن الطفلتين كانتا ودودتين معى بهذا الشكل .

ـ أو لم تكونا هكذا دواما ؟

ـ بلى ! ولكن هذا حدث منهما حينما وصلنى خطاب امى .

ـ لست افهم لماذا توجد المفارقة بين مودة الطفلتين وخطاب والدتك . فهذا ما يبدو من مضمون كلامك !

ـ كان فى نيتى أن أعود الى بيت أمى ، وكان التفكير فى فراق البنتين العزيزتين يملأ جوانحى بالحزن .

ـ وما خطب والدتك ؟ هل استوحشت من الوحدة وأرسلت تدعوك اليها ؟ أم تراها كانت مريضة فى ذلك الحين ؟ أكنت تتوقعين منها أنباء ؟

ـ كلا . انها ليست قوية البنية جدا ، ولكنها ليست مريضة بالضبط . وهى تعيش مع مرافقة .

ـ لماذا اذن كنت تزمعين فراق البنتين ؟

ـ لم يعد فى مقدورى تحمل البقاء فى تلك الدار ، فمدبرة البيت والطاهية والمربية الفرنسية كن يحسبن فيما يبدو انى اضع نفسى فوق منزلتى الحقيقية ، فتضامن فى مؤامرة صغيرة ضدى وتقولن على شتى الأقاويل لدى جد الطفلتين ، ولم اظفر من السنيدين بكل التأبيد الذى كنت أتوقعه عندما شكوت اليهما الأمر . فأشعرت المدير (والد الطفلتين) بعزمى على ترك العمل بعد فترة حددتها ، ريثما يتدبر الأمر ويستبدل بى غيرى ، وكان جوابه وديا للغاية . قال لى أنه يحسن بى أن اتروى فى الأمر اسبوعين قبل أن أطلعه على قرارى النهائى .

وكنت في حـالة تردد وعدم ثقة في ذلك الوقت فخطر لي أنه ينبغي على أن أغادر البيت ، ولكن الأمر انتهى بي الى البقاء .

ــ أثمة شيء معين كان يربطك بالفتاتين فيما عدا شغفهما بك ؟

ــ أجل . كانت أمهما الراحلة على قرابة بعيـدة بأمي . وكنت قد وعدتها وهي على فراش الموت انني سأقف حيـاتي وما أملك من قوة على رعاية الطفلتين ، وأنني لن أفارقهما ، وسأحل لديهما محل الأم . ولا شـك في أني قد نكثت بهذا العهد عندما أبلغت والدهما برغبتي في الرحيل !

الكبت المتعمد .. والسر الكامن وراءه !

● **وكانت** هـذه الاجابة تبـدو ختام تحليل ظاهرة الاحساس الشمي الوهمي لدى مريضتي . فها قد تبين أن هذا الاحساس الذاتي الوهمي يرجع أصله الى احساس شمي موضوعي ، هو احتراق البودنج بالفعـل في أول مرة . وهو احساس له صلة حميمة واقتران وثيق بتجربة هي في الواقع مشهد درامي اصطرعت فيه عواطف متعارضـة . الا وهي تحسر المربية على فراق الطفلتين من جانب ، والصغائر التي كانت رغم كل شيء تحفزها الى اتخاذ قرار حاسم بهذا الفراق من الجانب الآخـر . وكان من الطبيعي أن يذكرها خطـاب والدتها بما لديها من أسباب لاتخـاذ هذا القرار الأليم ، لأن نيتها كانت معقودة على اللحاق بأمها متى غادرت ذلك البيت . وقد أدى التعارض بين عواطفها ، الى تصعيد وتحويل لحظـة وصول خطاب والدتها الى صـدمة . وبقيت الرائحة التي اقترنت بهذه الصدمة عالقة ملحة ، باعتبارها رمزا للصدمة !

ومع هذا كان لم يزل من الضروري أن أجد تفسيرا لوقوع الأختيار على هذه الرائحة لتكون رمزا دون سـائر المدركات

الحسية التى قدمها لها ذلك المشهد . وكنت على استعداد للاستعانة بالالتهاب المزمن فى أنفها على تفسير هذه النقطة . وردا على سؤال مباشر قالت لى أنها فى ذلك الوقت بالضبط كانت مصابة بنوبة أخرى من البرد فى أنفها ، بحيث لم يكن فى وسعها تقريبا أن تشم شيئا على الاطلاق . ومع هذا فهى ـ لاضطرابها الشديد ـ استطاعت أن تحس رائحة البودنج المحروق التى تغلبت على فقدانها العضوى لحاسة الشم .

بيد أني لم أكن راضيا عن هذا التفسير الذى وصلنا اليه بهذه الطريقة . كان كل شيء يبدو مقبولا جدا وعلى درجة عالية من الرجحان ، **ولكن شيئا ما كان يريبنى . كان ينقصنى تعليل كاف لكون هذه الاضطرابات العاطفية وهذا التعارض بين الانفعالات تؤدى الى تكوين أعراض الهستيريا ، دون أى أعراض أخرى لشيء آخر** . لماذا لا تستدعى الى ذاكرتها دواما المشهد نفسه ، بدلا من ذلك الاحساس المصاحب له الذى أفردته دون غيره حين اختارته رمزا لتلك الذكرى ؟ فالآنسة لوسى لم تصبها الهستيريا الا منذ تلك الصدمة ، أو على الأقل منذ تلك الحكاية الصغيرة عن متاعبها .

وكنت على علم من قبل ـ على هدى تحليل حالات مشابهة ـ انه لا بد من تحقق شرط جوهرى قبل الاصابة لأول مرة بالهستيريا . وأعنى بهذا الشرط أن تكون فكرة ما قد كبتت حتما وعمدا واقصيت عن مجال الشعور الواعى ، وبالتالى عن كل الظروف الشعورية المرتبطة بها (وربما شمل هذا الاجراء أيضا جانبا من هذه الظروف ، امعانا فى كبت الفكرة الأصلية) . وأساس الكبت نفسه لا يمكن الا أن يكون شعورا بعدم الارتياح ، بسبب عدم التوافق بين الفكرة الواحدة المطلوب كبتها وبين الكتلة المهيمنة على الشخص من الأفكار الاخرى ، فتأخذ الفكرة المكبوتة ثأرها بأن تصبح مصدرا للمرض !

وبناء على هذه النظرية استنتجت من وقوع الآنسة لوسى فريسة للتحول الهستيرى فى تلك اللحظة انه لابد أن يكون من بين عناصر الصدمة عنصر حرصت عامدة على تركه طى الخفاء، وبذلت جهدها كله كى تنساه !.. فاذا ما أخذنا فى الاعتبار تعلقها بالطفلتين ، وحساسيتها فى الوقت نفسه بخصوص أقاويل زملائها وزميلاتها من العاملين الآخرين فى البيت .. لم تبق الا نتيجة واحدة لا محيص منها !.. وكنت من الجرأة بحيث ذكرت لمريضتى ذلك التأويل . قلت لها :

ـ لا أستطيع أن أعتقد أن هذه هى كل أسباب مشاعرك نحو الطفلتين . **بل اعتقد انك فعلا واقعة فى حب مخدومك المدير ، وان لم تفطنى الى ذلك شخصيا !.. وبذلك تضمرين الأمل فى الحلول محل امهما على وجه الحقيقة ، حلولا ماديا فعليا كاملا . ثم علينا أيضا أن نتذكر الحساسية التى تشعرين بها الآن بازاء الخدم بعد أن عشت معهن سنوات فى سلام ودعة . ذلك انك تخشين ان يكون لديهن فكرة غامضة عن آمالك وأمانيك فى هذا الصدد . وانهن يسخرن منك فيما بينهن !**

فأجابتنى بطريقتها المقتضبة المعتادة :

ـ أجل . أظن ان هذه هى الحقيقة !

ـ ولكن ان كنت تعرفين أنك تحبين مخدومك ، فلماذا لم تذكرى لى هذا ؟

ـ لم أكن اعرف انى أحبه . أو على الأصح لم أكن اريد أن أعرف هذا . بل كنت اريد ان أخرج هذه الفكرة من رأسى ولا أعود للتفكير فيها . وأعتقد انى أفلحت فى هذا آخر الأمر ..

وليس فى مقدورى ـ ولا أنا حاولت ـ أن أقدم وصفا أفضل من هذا لتلك الحالة العقلية الغريبة التى يعرف فيها المرء شيئا ما ولا يعرفه فى الوقت نفسه ! وواضح انه من

المستحيل على اى انسان أن يفهم ما تعنيه هذه الحـــالة من الثنائية أو الازدواج النفسى ما لم يكن هذا الانســـان قد مر بمثل هذه الحالة شخصـــيا . أما أنا بالذات فقد مرت بى تجربة بارزة الأهمية من هذا القبيـــل لا تزال ماثلة فى ذهنى بوضوح . ولذا فهمت ما تعنيه الآنسة لوسى ، وسألتها :

ــ ولماذا لم تكونى ميالة للاعتراف بهـــذا الحب ؟ اتراك تشعرين بالخزى من حبك رجلا ؟

ــ لا . لا . أنا لست مفرطة الحياء ولا أجاوز فى احتشامى حدود المعقول . واعلم اننا لسنا مسئولين عن مشاعرنا على كل حال . كل ما فى الأمر انه ثقل على نفسى واورثنى الهم أنه مخدومى ، وانى فى خدمته وأعيش تحت سقفه وفى كنفـــه . ولذا لا استطيع أن أشعر بالاستقلال ازاءه شعورى بالاستقلال ازاء أى شخص آخر . **ثم انى بعد هذا وذاك لست الا فتـــاة فقيرة ، وهو رجل طائل الثراء ومن أسرة راقية . فما من شك أن الناس حريون أن يسخروا منى لو أنهم فطنوا الى شىء من هذا !**

ولم تبدر منها بعد هذا مقاومـــة لالقاء الضوء على أصل هـــذا الميل الذى شعرت به نحو مخدومها ، فقالت لى انهـــا عاشت السنوات القلائل الأولى فى داره سعيدة هانئة هادئة النفس ، تقوم بواجباتها فى طمأنينة خلية البال من الرغبـــات التى لا سبيل الى اشباعها . وكان مخدومها رجلا جاداً ، لديه من الشواغل فوق طاقته ، ومســـلكه ازاءها كان على الدوام مطبوعا بالتحفظ . الا أنه ذات يوم شرع معها فى حديث ــ أو على الأصح فى مناقشة ــ حول الخطوط العريضة التى يجب أن تتحراها فى تنشئة البنتين . وفى هذه المناســبة تخلى عن الرسميات قليلا واضحى ودودا أكثر من المألوف منه .. وقال لها كم هو معتمد عليها فى رعاية طفلتيه اليتيمتين .. **ونظـــر**

صوبها وهو يقول هذه العبارة نظرة ذات معنى .. ومنذ هذه اللحظة بدأ حبها اياه . وسمحت لنفسها ان تهدهد وتنعش الآمال التى شيدت صروحها على اساس هذا الحديث . ولكنها عنـدما لم تجد منه ما يدل على اتخاذ خطوات ايجابية ، بل وذهب سدى كل ما توقعته بنفاد صبر ، فلم يدعها لجلسـة ثانية يتبادلان فيها وجهات النظر ، قررت اقصاء المسألة كلها من ذهنها !

وقد وافقتنى الآنسة لوسى تمام الموافقة على أن النظـرة التى رأتها منه أثناء حديثهما لعلها كانت ناجمة عن تفكيره فى زوجته الراحلة ، وذكرياته العاطفية عنها . وأقرت بلا تردد وبوضوح تام أنه لم يكن ثمة ما يدعو اطلاقا للظن بأن مشاعرها الحارة نحوه يمكن أن تكون متبادلة !

وتوقعت أن هذه المناقشة قد تتمخض عن تغيير جوهرى فى حالتها . بيد ان شـيئا من هذا لم يحدث فى تلك الآونة ، فظلت روحها المعنوية هابطة ، وشعورها بالكرب وثبوط الهمة مستمرا . أجل كانت تشعر بشىء من الانتعـاش فى الصباح بفضل علاج مائى وصفته لها فى ذلك الحين ، ولكن رائحـة البودنج المحروق لم تختف كل الاختفـاء ، وان أمست أقل انتيابا لها ، وأضعف وطأة . وقالت لى انها لم تعد تلم بهـا الا حينما تكون مضطربة النفس اضطرابا شديدا جدا .

البحث عن أسرار أخرى .. فى العقل الباطن !

● **وقادنى** الحاح هذا الرمز التذكارى الى الارتيـاب فى أن هذا العرض يمثل ــ بالاضافة الى المشهد الأساسى المكون للصدمة الرئيسية ــ صدمات كثيرة أقل شـأنا ، متفرعة من ذلك المشهد . وعلى هذا الأساس طفقنـا نفتش عن أى شىء آخر يمكن أن تكون له علاقة بمشهد البودنج المحترق . وخضنا

لهذا الغرض فى موضوع الخلافات البيتية مع الخـــدم ، وفى مسلك جد الفتاتين ، وما الى ذلك . وفى غضون هذه الفترة تعرضت معالجتها النفسية للانقطاع بعض الوقت لاصابتهـا بنوبة جديدة من المتاعب الأنفية ، وأدى فحصها فى ذلك الحين الى اكتشاف وجود تسوس فى عظام تجويفها الأنفى .

.. وعند عودتها لاستئناف العلاج ، أبلغتنى أنها تلقت فى مناسبة عيد الميلاد هدايا كثيرة جدا من السيدين ربى البيت ، بل ومن الخـــدم أيضــــا ، وكأنهم جميعا كانوا متلهفين على مصالحتها وترضيها ، ومحو كل ما علق بذاكرتها من مشكلات وشوائب الشهور القلائل الأخيرة . بيد أن كل هذه العـلائم الدالة على النيات الطيبة نحوها لم تترك فى نفســها أثرا على الاطلاق !

وعندما سألتها مرة أخرى عن رائحة البودنج المحروق ، قالت لى انها اختفت تمام الاختفاء ، **الا أن رائحة أخرى مماثلة اخذت تزعجها . وهى رائحة تشـــبه ما ينبعث من دخـان السيجار . وأضافت أنها تظن أن هذه الرائحة كانت موجودة أيضا من قبل ، بيد أنها لم تكن ظـاهرة لأن رائحـة البودنج المحروق كانت طاغية عليها . اما الآن فقد خلا لها الجو فبرزت منفردة .**

ولم اكن لأرضى عن نتائج العــــلاج بهـذه الصورة . فما صنعت شيئا سوى انى اجليت عن الميدان عرضا معينا للمرض كى يحل محله على الفور عرض آخر ، وهذا ما يؤخذ دائمـا على كل علاج ينصب على الأعراض دون غيرها . وعلى الفور لم اتردد فى بذل كل ما فى وسعى للتخلص من هذا العرض التذكرى الجديد ، وعن طريق التحليل أيضا . ولكن الآنسة لوسى لم تكن تدرى من أين جاءها هذه المرة ذلك الاحســـاس الشمى الذاتى (الوهمى) . ولا ما هى المناسبة الهامـــة التى كانت

المصدر الموضوعى (الواقعى) لهذه الرائحة الجديدة . وقالت لى فى ذلك الصدد :

ـ الناس يدخنون السيجار كل يوم فى دارنا ، ولست ادرى على الحقيقة هل هذه الرائحة التى أحسها مرتبطة بمناسبة خاصة ،أو غير مرتبطة .

وعندئذ لجأت الى طريقتى المعهودة ، فألححت عليها أن تحاول التذكر تحت تأثير يدى الضاغطة على يدها . وكنت قد لاحظت أن ذكرياتها ذات طابع تشكيلى شديد الحيوية ، وأن ذاكرتها من النمط البصرى . وبالفعل برزت ـ تحت الحاحى ـ أمام ذهنها تدريجا صورة ما . وكان هذا البروز جزئيا ، وعلى مراحل ، وفى تلكؤ شديد . وكان المشهد الذى تراءى لها بهذه الصعوبة يمثل حجرة المائدة فى البيت الذى تعمل به ، حيث كانت مع الطفلتين فى انتظار عودة السيدين من المصنع لتناول الغداء :

ـ كنا جميعا جلوسا حول المائدة : السيدان والمربية الفرنسية ، ومدبرة البيت ، والطفلتان ، وأنا . ولكن هذا شبيه بما يحدث كل يوم ..

ـ واصلى تأمل المشهد الذى برز أمام ذهنك ، فسوف تكبر هذه الصورة وتتضح ، وتغدو أكثر تحديدا ودلالة !

ـ أجل ! معنا بالفعل ضيف ! انه رئيس الحسابات . وهو شيخ مسن ، شغوف بالطفلتين وكأنهما حفيدتاه . ولكنه يحضر الى الدار لتناول الغداء فى أحايين كثيرة جدا ، فليس فى هذا أيضا مغزى خاص ..

ـ اصبرى وثابرى على تأمل الصورة التى برزت أمام عين ذاكرتك ، فلابد أن شيئا معينا سيحدث ..

ـ ما من شيء يحدث . ها نحن ننهض عن المائدة . وها

هما البنتان تسلمان مودعتين للانصراف . وتصعدان كالعادة الى انطابق العلوى .

ــ ثم ماذا ؟

ــ انها لمناسبة خاصة بعد كل شيء ! هاأنذا اتعرف على المشهد الآن . ففيما كانت الطفلتان تلقيان تحيتهما للانصراف **حاول رئيس الحسابات ان يقبلهمـا . واستشاط مخدومى غضبا وصرح فى وجه الرجل فعلا ، صائحا به : ((لا تقبـل الطفلتين !))** . . وشعرت بطعنة فى قلبى . ولما كان السيدان فى تلك اللحظة قد شرعا فى تدخين السيجار ، فقد التصقت رائحة ذلك الدخان بذاكرتى !

هذا اذن مشهد ثان كان كامنا فى طبقة من النفس ابعـد غورا من سابقتها ، ولكنه كالمشهد الأول سواء بسواء ، من حيث أنه قام بدور الصدمة وخلف وراءه رمزا تذكاريا . ولكن الى اى شيء ترجع فاعلية هذا المشهد ؟

وسألت الآنسـة لوسى : « اى المشـهدين وقع فى زمن سابق على الآخر : مشهد التدخين فى غرفة المائدة ؛ أو المشهد الذى احترق فيه البودنج ؟ »

ــ بل هذا المشهد فى حجرة المائدة الذى حدثتك بخبره الآن ،كان أسبق فى الزمن على مشهد البودنج المحروق بنحو شهرين .

ــ اذن لماذا شعرت بتلك الطعنة فى القلب حينما أوقف والد الطفلتين ذلك المحاسب المسن عن تقبيلهما ؟ فى حين أن توبيخه وزجره لم يكونا موجهين اليك ! ؟

ــ لم يكن محقا فى صياحه وزجره لشيخ مسن من أعز أصدقائه ، ثم انه فوق هذا وذاك كان ضيفا عليه فى داره . وكان بوسعه أن يقول ما يريد بهدوء .

ـ اذن فهو العنف واللهجة الحادة ما آلمك ؟ أشعرت بالضيق والحرج لأجله ، أم عساك قلت فى نفسك : « لئن كان بوسعه أن يكون بهذا العنف الشديد فى صدد شيء هين كهذا ، ومع صديق قديم ، وضيف تجب له الرعاية والتكريم ، فما احراه اذن أن يكون أشد امعانا فى العنف معى لو أننى كنت زوجته ! »

ـ كلا ! ليس الأمر هكذا .

ـ ولكن له صلة على كل حال بعنفه . أليس كذلك ؟

ـ بلى . وبصدد تقبيل الطفلتين . فقد كان يكره ذلك على الدوام .

قبلة الضيفة على فم الطفلتين !

● وشرعت بعد الوصول الى هذه النتيجة (أعنى المشهد الثاني من المشاهد المطمورة المكونة للصدمة) أمارس معها طريقة الضغط على يدها وهى مسترخية مغمضة العينين ، تحت ايحاء بتذكر مزيد من الصور والمشاهد ، واذا بمشهد ثالث ـ أسبق زمنا أيضا من المشهدين السابقين ـ يبرز أمام ذهنها : وكان هذا المشهد الصدمة الفعالة حقا التى أضفت على مشهد حجرة المائدة ورئيس الحسابات المسن فاعنيته التى جعلت منه صدمة ظاهرية :

وقد وقع هذا المشهد الثالث قبل مشهد حجرة المائدة السالف ذكره ببضعة أشهر ، حينما حضرت سيدة من معارف مخدومها للزيارة ، **وعند انصرافها قبلت الطفلتين على ثغريهما . وكان والدهما حاضرا ، بيد أنه تمكن من كبح لسانه عن توجيه اللوم أو المنع الى السيدة الضيف . ولكنها ما أن غادرت الدار حتى انفجرت مراجل غضبه المكظوم على رأس المربية المسكينة ((لوسى))** ، وقل لها انه يعتبرها مسئولة لو أن اى شخص قبل الطفلتين فى فمهما . وان

واجبها الا تسمح بذلك ، وسوف تكون مذنبة مخلة بواجبها ان هى أذنت لأى انســان أو تركته يصنــع ذلك الصنيع . وانذرها انه سيعهد بتربية طفلتيه الى غيرها ان تكرر ماحدث !

وقد جرت أحداث هذا المشهد فى الفترة التى كانت فيها لا تزال على اعتقادها بأنه يحبها ، ولذا كانت تعيش على امل ، بل على توقع ، أن يطلب اليها الاجتماع به مرة أخرى لتبادل الحديث الودى عن البنتين . واذا بهذا المشهد يحطم آمالها ، فقالت فى نفسها :

ـ لئن كان فى مقدوره أن ينفجر غاضبا فى وجهى على هذا النحو ، موجها الى التهديدات لأمر تافه كهذا ـ لا يمكن أن اكون مسئولة عنه بأى شكل من الأشكال ـ فأنا اذن مخطئة فيما جنح اليه ظنى من حبه اياى . ومن رابع المستحيلات ان يكون قد طاف بوجدانه أى شعور دافىء نحوى ، والا لمنعه هذا الشعور من زجرى بغير حق ، ولعلمه كيف يعاملنى بمزيد من الرعاية والتلطف !

وكان هذا الأثر الأليم بغير شك هو الذى عاودها فى صورة طعنة أصابت القلب منها عندما حاول رئيس الحسابات تقبيل الطفلتين ، فزجره والدهما .

الكابوس .. الذى تبدد !

● **وبعد هذا** التحليل الأخير بيومين ، جاءت الآنسة لوسى لزيارتى التالية ، فلم أستطع منع نفسى من سؤالها :

ـ ما الذى جرى فجعلك تبدين سعيدة بهذه الصورة ؟

والحق انها كانت تبدو كما لو كانت شخصا آخر ، فهى باسمة الثغر رافعة الرأس ، حتى لقد ومض فى ظنى أنى ربما أكون أخطأت تصور الموقف ، وأن مربيــة الطفلتين صارت

اخيرا ـ رغم كل افتراضاتي ـ خطيبة والدهما !.. ولكنها بددت هذا الظن قائلة :

ـ لم يحدث شيء . كل ما في الأمر أن الفرصة لم تتح لك كي ترى وجهي الحقيقي ، فأنت لم ترني الا عليلة واهنة الهمة مكتئبة مكروبة .. بينما أنا في حالتي الطبيعية مرحة على الدوام . وعندما صحوت صباح أمس ألفيت نفسي خالية البال ، وقد انجاب عن راسي ما كان يعانيه من ثقل ملازم له منذ زمن ، وشعرت بأني صرت صحيحة النفس ، ناعمة بالسكينة . واني لكذلك منذ تلك اللحظة ، متفتحة للحياة .

ـ وماذا عن مطامحك ومشروعاتك المستقبلة بالنسبة للدار ومن فيها ؟

ـ ذهني مستقر تماما وبكل وضوح في هذا الصدد . فانا مدركة كل الادراك أنه لا مطمح لي يتجاوز وضعي الراهن في ذلك البيت ، ولن أشقي نفسي أسفا ولا تحسرا على شيء من هذا !

ـ وهل تراك ستتعاملين مع الخدم الآن بغير متاعب ؟

ـ اعتقد ان فرط حساسيتي كان المسئول الأوحد عن معظم ما حدث بيني وبينهن .

ـ ومخدومك ؟ أما زلت تحبينه ؟

ـ بلى ! اني احبه قطعا . ولكن هذا لا يقدم ولا يؤخر في الموضوع . ففي وسعي بعد كل شيء أن أحتفظ لنفسي بأفكاري ومشاعري الخاصة .

وعندئذ فحصت انفها فتبينت أن حساسيته للألم وللاثارة قد ارتدت طبيعية تماما على وجه التقريب . وصار في مقدورها ايضا أن تميز بين الروائح ، وان كان هذا التمييز غير حاسم ، ولا يحدث الا في حالة الروائح القوية . وليس

فى مقدورى أن احدد الى أى مدى كانت علتها الأنفية (الالتهاب المزمن التقيحى فى الأغشية المخاطية) ذات أثر فى اضعاف حاسة الشم لديها بهذه الصورة .

•• وشفيت المريضة نهائيا من الهستريا !

● **وقد** استغرق علاج مس لوسى بالتحليل تسعة اسابيع ، من مبدئه الى منتهاه . وبعد أربعة أشهر التقيت بمريضتى السابقة مصادفة فى أحد المصايف ، فوجدتها منشرحة الصدر مرحة ، وأكدت لى أن شفاءها لم تضطرب معالمه ، وان النوبات الهستيرية الشمية لم تعاودها على الاطلاق !

ولست ميالا للتقليل من اهمية هذه الحالة التى وصفت مراحلها آنفا ، مع أن المريضة لم تكن تعانى الا من هستيريا خفيفة ، قليلة الأعراض . ذلك أنى أعتبر هذه الحالة انموذجا لذلك النمط من الهستريا الذى يمكن أن يصاب به شخص تخلو وراثته من الاصابة بأى نوع من انواع الهستيريا ، وأن تأتى اصابة هذا الشخص نتيجة خبرات أو ضروب من التجربة عنيفة الأثر . ولست أعنى بخلو أسلاف الشخص من الهستيريا أنه خال شخصيا من كل استعداد للاصابة بها . فما من هستيريا ــ مهما كانت خفيفة ، كما فى هذه الحالة ــ يمكن أن تصيب شخصا ، ما لم يكن لديه استعداد بتكوينه النفسى للاصابة بها . وكل ما هناك ان الاستعداد الكامن لا يمكن التعرف عليه قبل أن تحدث الاصابة فعلا ..

....

المرأة .. عند سلامة موسى

(بقية المنشور فى صفحة ٥٨)

بشعة ، بل نقع فى شذوذات ذهنية وعاطفية ، فلا نحسن التفكير ، ولا نستطيع معالجة اى موضوع انسانى بذكاء ، فضلا عن عبقرية . ان الفصل بين الجنسين ، وقصر نشاطك الذهنى والجسمى على البيت ، قد ملأ هذا المجتمع المصرى بآثام وشرور كادت تحيل افراده أو بعض افراده الى حيوانات .

ثم قارنى بين المرأة المخدرة التى تلزم بيتها وتتبرج لزوجها وبين المرأة المنتجة العاملة : الاولى انفرادية تحمل فى نفسها جميع المساوىء التى تنشأ من الانانية الانفرادية ، فضلا عن تحديد ذهنها بالمحظورات والمحرجات ، اما الثانية فاجتماعية تحمل فى نفسها جميع الفضائل الاجتماعية ، وأولها حرية التفكير ، وحرية التجربة ، وحب الخير العام ..

ان اخطر ما تعملينه فى حياتك أيتها الفتاة هو اختيارك لزوجك ، ذلك انك بهذا العمل قد اخذت رجلا سوف يحيا معك ويعاشرك طيلة عمرك ، وسوف يكون أبا لابنـــائك ، وعلى قدر ما فيه من ميزات بيولوجية مثل الذكاء الفطرى والصحة الجسمية وجمـــال القوام والوجه سيكون كل ذلك أو معظمه فى ابنائك بالوراثة . ثم على قدر ما فيه من اخلاق وطموح وعادات سيكون كل ذلك أو معظمه فى ابنائك بالقدوة . فلا تهملى الدقة فى الاختيار ، واجعلى هدفك ان يكون هذا الرجل الذى تختارينه زوج العمر ، زوج الحياة ، بحيث لا تشكين أو تخافين من أن يسامك ويتزوج غيرك بعد سنة أو سنتين .

ولن تعرفى ذلك الا اذا كنت قد تعرفت عليه قبل الزواج بجملة شهور ، أو بعام كامل ، تدرسين اخلاقه واهدافه وفلسفته فى الحياة ، وآراءه الاجتماعية والانسانية ، ولذلك لا تتعجلى ولا تغترى ، بل تمهلى واستأنى .

والكلمة الاخيرة : لا تنفصلى عن المجتمـــع . فاذا استطعت أن تحترفى حرفة وانت متزوجة فافعلى ، واذا لم تستطيعى ذلك فلا تكفى عن الاشتراك فى النشاط الاجتماعى ، بان تكونى عضوة فى جمعية خيرية او هيئة اجتماعية ، تزيد احساسك الاجتماعى وتربى ضميرك ، وتفتا تذكرك بانك انسانة ، قبل أن تكونى انثى !

البطولـة امـرأة!

جولستان الحسناء

قصة من التاريخ الفارسى القديم



بقلم : ابراهيم المصرى

هذه القصة ..

كان « البارتيون » ـ وهم قبائل انحدرت من شمال غرب آسيا ـ يحكمون بلاد فارس حتى عام ٢٢٦ للميلاد . ولكن البطل الفارسى الصميم « ارتكزرسيس » أعلن الثورة عليهم وحاربهم وحقق استقلال بلاده . ففى ذلك العام نفسه ، وفى قصر من القصور المجاورة لسهول مدينة (كرمان) حيث كانت رحى القتال ما تزال دائرة بين البارتيين وجيوش الفرس الاحرار ، وقعت حوادث هذه القصة التى يفخر بها التاريخ الفارسى .

– ١ –

كان الشريف الفارسى « سـيروس » كهلا فى نحـو الستين من عمره ، أشيب الشعر ، غليظ الأنف ، محدودب الظهر ، تبدو عليه مظاهر شيخوخة مبكرة ، يحاول ما استطاع ان يلطفها بروحه المرحة وحديثه العذب . وكان هذا الكهل الدميم يحب صبية فى الثانية والعشرين من عمرها هى النبيلة الشائقة الحسن « جولستان » زوجة السيد الرائع الجمال « رستم » . كانت هذه المرأة آخر حب فى حيـاة الكهل سيروس . وكان قد التقى بها لأول مرة فى احدى الحفـلات بعد أن توفيت زوجتـه ، فهام بهـا ، وأسرع فتعرف الى زوجها ، واتصل به ، وأصبح صديقا حميمـا له ، وظل ثلاثة أعوام كاملة يزور قصر رستم دون أن ينطق لسـانه بكلمة واحدة تنم عن حبه الخارق وعذابه العميق !

ولم يكن سيروس ينشد فى هذه الدنيا غير التطلع الى وجه جولستان ، وتأمل عينيها السوداوين الساحرتين ، والاستماع

لصوتها الساكن الرخيم ، ومراقبة ابتسامتها الرقيقة الحلوة وهى تنبثق من شفتيها الحمراوين أشبه بزهرة عجيبة لا تلبث ان تتفتح حتى تملأ الجو كله عبيرا وبهجة وطربا ..

والحق ان كتمان الحب ، وتقديس الحبيب ، والصبر على العذاب ، كانت فضائل تصدر عن عقيدة الشرف الراسخة التى كان يمجدها سيروس ويأخذ بها ؛ سواء فى عواطفه الخاصة او فى سلوكه مع الناس ، أو فى وطنيته الصادقة التى طالما برهن عليها بسعيه المطرد لاستقلال بلاده ، وبذل امواله لنصرة المجاهدين فى سخاء لا يبارى .. فعقيدة الشرف : فى المعاملة ، وفى الوطنية ، وفى الحب ، كانت شعاره . وكان هذا الشعار هو فخره وملاذه ، يحرص عليه فى دقة وصرامة وكبر ، ويستمد منه القوة يخنق بها غرامه فى أطواء نفسه وهو يبتسم فى المجتمع ويضحك ، ويتلوى فى الوحدة ويجأر ويبكى .. وكان يعلم علم اليقين أنه كهل ودميم ، وأن حبه عاطفة مستنكرة ومخبولة ومستحيلة التحقيق ، ومع ذلك فقد كان يتحمل ويرضى ، مكتفيا بنعمة النظر الى جولستان ، منتشيا بسماع صوتها الرخيم ، صامتا ثابتا متجلدا ، لا يشكو ولا يتململ ...

بيد ان مأساته لم تكن فى شعوره بلوعة ضعفه ، وحسرة عجزه ، ومرارة يأسه ، بل كانت فى شعوره بأن جولستان نفسها تتألم ، وأنها تاعسة ومنكودة ، وانها تحب زوجها الى حد الهوس ، وان زوجها الرائع الجمال رستم ، يغرر بها ، ويضللها ، ويخدعها ، ويتبع كل حسناء عابرة حتى ولو كانت متبذلة وفاجرة ومن شر الغوانى .. فحب جولستان لزوجها كان لا يعذب الكهل العاشق المسكين بقدر ما كانت تعذبه خيانات الزوج الفاضحة ، وصورة الألم العميق المرتسم على محيا جولستان . وكان الكهل يعبدها ويتمنى أن يراها

سعيدة . وكان زوجها ينبذها ويأبى الا أن يجعل منها أشقى النساء . فهذا الشقاء هو الذى كان يحز فى صدر سيروس ، ويضاعف حبه ، ويملأ حياته كآبة وغما .

ولم يكن فى وسعه أن يبصر جولستان وهى تتـألم . لم يكن فى مقدوره أن يلمحها وهى تبكى ، وتسبل أهدابها الطويلة على عينين ذابلتين منقرحتين بائستين . وأمضه عذابهـا ، وضاق صدره ذرعا بمسلك زوجها . فوطن النفس على بذل المستحيل كى يرد رستم الى جولستان ويسعدها ..

ولم يتردد ، وشرع يكافح . شرع ينصح الزوج ويرشده ، ويهديه ويوجهه ، ويبرز له محاسن امرأته ، ويشيد باخلاصها وولائها ، ويقارن ويفاضل بين مفاتنها البريئة الطاهرة وبين ما يكمن فى طباع الغوانى من غرائز منحرفة وفاتكة ، سداها العشق المبرح ، ولحمتها الخبث والدهاء ، والطمع والغدر .

وكان العاشق الكهل ينصح وهو يتجـلد ، ويوفق وهو يتفطر ، ويحاول أن يقرب ويصلح والحسرة توشك أن تعتصر فؤاده ، وتفجر من عينيه الدموع . ولكن الزوج لم يتأثر ولم يحفل ، سخر من صديقه ، وصد عن امرأته ، وعاد يعب ظامئا من ملذاته دون ما وازع من رحمة ، أو رادع من خلق أو ضمير !

— ٢ —

● **وكان** رستم موزعا حياته بين النساء والحرب . ينخرط فى سلك النبلاء المتطوعين ويقاتل أعداء بلاده فترة ، ثم تستبد به شهواته فيهرع الى الغـوانى ، ويظل أياما بطولها يعبث ويلهو ، حتى تعاوده نزوة الحرب فيكر راجعا الى ميـدان القتـال !

فهذا التوزع المنكر فى شخصيته ، هـذا التوزع المقرون بالتجرد المطلق من فكرة الواجب وعقيدة الشرف ، كان هو

الرذيلة التي حاول الكهل سيروس أن يخنقها فيه ويحرره منها . غير أن رستم كان طائشا بالفطرة ، عربيدا بالسليقة ، لا يتذوق الحياة الا اذا عاش فى الفوضى ، وأطلق العنان لشتى فرائزه . فلما لم يكترث رستم لنصح سيروس واشتد اقباله على معاشرة الغوانى ، احتدم سخط جولستان وثارت كبرياؤها ، ونهشت قلبها الغيرة ، فشاع فى أخلاقها الوديعة الرقيقة تجهم طارىء سرعان ما اقترن بسهوم واجم مرهوب !

تحولت جولستان وتبدلت هى الأخرى . بدات تنظر الى الحياة ، وتصبو الى الدنيا ، وترمق الشباب المعجبين بها ، وتفكر هى أيضا فى أن تعيش وتكيد وتنتقم ! .. زايلتها براءتها الناضرة ، وعزتها الراسخة ، وكرامتها الشامخة ، وراودتها الخلاعة ، وخالسها التبذل ، وأوشكت جاذبية الاغراء أن تجرفها وتجعل منها وهى السيدة النبيلة ، شبه غانية !

واحس العاشق الكهل بتحولها وارتجف ! هاله أن تتدهور . هاله ان تتلوث . هاله أن يتحطم المثل الأعلى الذى صاغه منها واحبه فيها . فجثا على الأرض ذات يوم أمامها ، وتوسل اليها أن تصون عرضها وتظل أفضل وانبل من زوجها، عساها أن تخجله يوما بصنيعها ، وتسترده فى النهاية وتنقذه وتنقذ نفسها ! .. بيد أن المرأة كانت قد استحالت الى مخلوقة موتورة حاقدة متربصة ، اظمأ ما تكون الى الثأر والتشفى ! .. واستشعر الفرسان الشباب تغيرها ، فترامو عند قدميها متسابقين . فتأملتهم والكمد يدفعها ، والخوف يلجمها ، وبقية باقية من عفة وحياء تحول بينها وبين القيام بالخطوة الفاصلة ، التى يتلهف قلبها الحاقد عليها . ولكن حقدها كان أقوى منها فضعفت ، وميزت من بين الفرسان شابا ، أقبلت عليه مختارة ، وهمت بأن تتصل به !

.. وعنـــدئذ لم يتردد الكهل سيروس ، وحزم أمره ، واقسم أن ينقذها . آلى على نفسه أن يصرف الفارس الشاب منها ، ولو تنكرت له المرأة ، وابغضته ، وطردته ! .. واتصل بالفارس الشاب فعلا وحذره . توعده بمكاشـــفة الزوج عن حقيقة نواياه . ففزع الشاب ، وتراجع واختفى .. فتبهت جولستان وادركت أن ســـيروس هو الذى فعل هــــذا . فاستهولت جرأته ، ونقمت عليه ، وقام بنفسها أن تتنكر له وتطرده . ولكن الرجل كان رقيقا ، وكان طيبا ، وكان فى حبه المخلص وغايته النبيلة شريفا حقا وعظيما . فأشفقت عليـــه جولستان ، واكبرت عاطفته ، وضنت بصداقته ، ولم يغضبها فى قرارة نفسها أنها حرصت بفضله على شرفها ، لأنها كانت فى الحقيقة ما تزال تحب زوجها ، وتأمل وهى تفكر فى الثـأر منه أن يثوب يوما الى رشده ، فيرتد اليها قبل أن تزل بهـا القـــدم .

غير أن رستم الخليع كان فى خلال هذه المحاولات جميعا لا يرى ولا يسمع ولا يعى . كان ممعنا فى اعراضه ، سادرا فى غيه ، مطلقا العنان لشهواته ، مستغرقا لا فى اللهو فقط بل فى الحب .. كان قد وقع فى حب غانيـــة مشهورة تدعى ((امسترس)) ، خلابة سلابة رواغة ، عرفت كيف تحتال عليه وتبتز ماله ، وتتفوق على اترابها جميعا وتتصيده .

وكان رستم قد تورط ورهن خفيـــة بعض أملاكه ، وباع البعض الآخر لينفق عليها . فعلمت بذلك جولستان ، فاشتد سخطها وهياجها ، وطالعها شبح الخراب .. فعزمت أن تغامر بحبها وحياتها ، فاما أن يقهر زوجها غرائزه ويهجر عشيقته ، ويصبح لها وحدها ، واما أن تضحى به غير آسفة وتنفصل منـــه !

واحس سيروس أن الكأس توشك أن تفيض ، وأن ثورة جولستان قد تجرف فى طريقها كل شيء . فالتمس اليها أن تتعقل ، والتمس اليهـــا أن تتريث ، وأن تدعه هو يتصل بزوجها ، ويحاول مرة أخرى أن ينبهه ويرشده ، ويوقظ فيه روح الشرف وحاسة الضمير . ولكن المرأة كان قد نفـــد صبرها ، فانتهرت الكهل المسكين ، وصبت عليه جام غضبها ، وطردته ذات ليلة ، ثم استجمعت قواها وانتظرت مقـــدم زوجها ، وتهيأت لمكاشفته بما علمت وبما استقر عليه عزمها !

وكان سيروس ينظر اليها مسلوب الحـول طائر اللب ، ولا يستطيع حيال عزمها القاطع أن يعترض حتى بكلمة . فلما صرفته زاجرة آمرة ، خرج وهو مطرق الراس عاجزا وذليلا ، وتنفست هى الصعداء ، ومضت فاستلقت على احدى الأرائك وراحت تفكر فى ماضيها وحاضرها ، وما يمكن أن ينتهى اليه فى غد مصير حياتها ..

– ٣ –

● غير أن كل شيء تبدل فى لحظة مروعة خاطفة ، ووقع ما لم يكن فى الحسبان : **تصاعد من الخارج فجاة صوت زوجها ، وكان الصوت أبح مزعجا متحشرجا ملهوفا . فاجفلت جولستان ونهضت ، وظلت واقفة شبه ماخوذة تتطلع وتلهث وتنتظر .**

ودخل رستم .. دخل جاحظ العينين ، غائر الوجنتين ، مشعث الشعر متهالكا ومنسحقا . فاندفعت اليه جولستان بالرغم منها ، وتلقته مذهولة بين ذراعيها ، واختلجت وانخلع قلبها . نسيت فى لحظة كل شيء .. نسيت ذلها وغيرتهـــا وعذابها . نسيت حقدها وثورتها وعزمها ، وضمت زوجهـــا فى عنف الى صدرها ، وهتفت به وقد استفاق حبها وغمرها بالشفقة واللهفة والحنان :

ــ ما بك ؟ تكلم ... ما بك ؟

فأجال رستم فى امرأته بصرا زائغا ثم دس فى جيبه يدا مرتعشة وأخرج منه كيسا مملوءا بالنقود ، ألقى به على المنضدة وصرخ :

ــ من اجل هذا المال .. من اجل هذه الثروة .. بعت انا يا جولستان كرامتى وضميرى وشرفى !

فحدقت اليه كمخبولة وحاولت أن تتكلم ، ولكنه لم يمهلها ورفع راسه جاهدا ، والتقط انفاسه ، ومضى يقول وكلماته تتقطع وتتعاقب فى سرعة محمومة كأنها سيل منهمر :

ــ الوطنيون يطاردوننى ! انهم الآن فى أثرى .. اتفهمين ؟ كنت فى حاجة الى مال .. الى مزيد من المال أنفقه على « امسترس » .. على عشيقتى .. فلم أتورع ، وتجردت من سلاحى ، وتركته فى مخدع امسترس ، ثم انسللت الى خطوط اعدائنا ، أعدائنا البارتيين ، واتصلت بهم ، وساومتهم على أسرار جيشنا ، وبصرتهم بكمين كان قد أعده لهم بعض جنودنا . فأطبق البارتيون فجأة عليهم وجردوهم من سلاحهم وذبحوهم .. ذبحوهم .. **ولكن قائدهم الفارسى نجا باعجوبة فابصرنى .. لمح طيفى فى الظلام الدامس وانا اكر راجعا الى خطوطنا والوذ بالفرار . فايقن من جريمتى ، وتعقبنى ليعرفنى ، فانطلقت أركض كمعتوه عساى أن أصل الى هنا قبل أن يتبين الرجل موقع بيتى ، ولكنه رآنى .. رآنى وانا ادخل البيت . رآنى وان كان لم يعرفنى ، فطفق يصرخ ويتوعدنى . ولما كان أعزل من السلاح فقد انكفا راجعا وتغلغل فى بطن الظلام واختفى .** فهلع قلبى ، وصعدت الدرج وثبا ، فالتقيت بسيروس وهو خارج من عندك . فتشبثت به وقصصت عليه فى بضع كلمات ما حدث ، والتمست منه أن ينقذنى ، فذهل الرجل وظل يرتجف ، ثم سبح فترة وشرد ؛ ثم أطرق

برأسه والقى على نظرة رثاء مزقتنى . ثم وعدنى بأن يذهب الى عمدة القرية ويستخدم نفوذه لديه لانقاذى .. انقاذى ؟ أممكن هذا ؟ ان سيروس لن يلوث شرفه ويشفع لى ! اما العمدة فلن يستطيع أن يتنكر لواجبه وينقذنى . وأما أنا فلو فررت فستثبت التهمة على ! لا بد اذن من الخضوع والتسليم ! سيكون القائد ورفاقه هنا بعد لحظات .. وسأحاكم .. سأحاكم وأعدم شنقا يا جولستان .. فاشفقى على ، واصفحى عنى . فأنا سأموت ولكنى أعلم بأنى أستحق ان اموت ! لقد عذبتك واشقيتك ، وجلبت عليك العار ! لقد ختم الحب الأثيم على بصرى . لم تكن لى فى الحياة غاية غير شهواتى . أجل كنت وضيعا . كنت حقيرا . كنت دنيئا . **ومع ذلك فانا أشعر الآن أن ندمى الصادق يمحو جرائمى ، وان حبل المشنقة لا يخيفنى ، لأنى كرهت نفسى وكرهت الحماة الملعونة التى كنت أتمرغ فيها راتعا فى رذائلى ! فاشفقى على يا جولستان ولا تحزنى ! لا تحزنى بل ابتهجى . ابتهجى ليقظتى ، وقدرى توبتى وندمى واصفحى عنى !**

وانتفض انتفاضا عنيفا وبكى . فأرسلت جولستان صيحة ملتاعة ، واتجهت ببصرها نحو خنجر صغير كان مثبتا فى الحائط ، فانتزعته وقالت :

ــ بهذا سأقضى على نفسى لو قتلوك يا رستم !

فصاح وهو يجردها من السلاح ويلقى به على المنضدة :

ــ بل يجب أن تعيشى لأمضى أنا مثلج الصدر قريرا ، شاعرا على الأقل بأننى قد أنقذتك منى وأسعدتك !

فتمزق قلب المرأة ولم تجب . وتحسست بدن زوجها فى خبال ، وروعها أن يعود اليها نادما مستغفرا متساميا ثم تفقده . فطفقت تقبله وتضمه الى صدرها . وانهمرت دموع الحسرة من عينيها ، واحتواها اليأس والرعب .. ولبث

الزوجان فترة طويلة تائهين شاردين متعانقين ، يلوذ الواحد منهما بالآخر ، وينصت كلاهما الى وقع أنفاسهما المتعاقبة المتهافتة ، وهما يختلسان النظر الى الباب وينتظران حكم القدر . .

– ٤ –

● **وفجأة** ، ومن خلال الصمت الزافر كأنه ضباب عاصفة ، ترامت الى سمعهما حركة بعيدة ، ضجة غريبة مشوشة وغامضة . فاقشعر بدن رستم ، واستبد الرعب بجولستان ، وفتحت النافذة الكبيرة وحدقت الى السهل الفسيح . . وانجذب زوجها الى منطلق الصوت فتبعها ، وتفرس فى الظلام الحالك مثلها ، وحاول أيضا أن يسمع ويتبين ويرى . .

وفى تلك اللحظة ، وبينما الزوجان يطلان على السهل الفسيح ، اشتدت الجلبة واحتدمت الأصوات ، ثم خفتت بغتة وتصاعد من بينها صوت بعيد . صوت عميق . صوت فيه أمر وفيه قضاء . فارتعشت جولستان ونظرت الى زوجها مستفسرة ، ثم اتقد وجهها على الفور ، واندلعت عيناها ، وملكتها فكرة لم تستطع أن تقاومها . فاندفعت نحو الباب وفتحته ، وهمت بأن تهبط الدرج . ولكنها لم تكد تفعل حتى تراجعت وهبط قلبها فى صدرها .

أبصرت فلاحة من خدمها مقبلة عليها ، تلطم وجهها بكفها ، وتلهث وتجهش بالبكاء . فثار ثائر جولستان وصاحت بها :

ــ كيف تركت بيتك وزوجك فى مثل هذه الساعة ؟ ما الذى أيقظك وماذا حدث ؟

فتطلعت الفلاحة فى ذعر الى سيدتها وقالت وهى تبكى :

ــ لقد قتلوا سيدى الشريف سيروس !

فصرخت جولستان

ـ ماذا تقولين ؟

ففمغمت المرأة :

ـ لقد اعترف ، امامنا .. اعترف بانه هو .. هو الذى بصر العدو بالكمين الذى قد اعده له جنودنا . فحاكمه القائد ورفاقه وأعدموه الآن شنقا فى الساحة الكبرى !

ففـام الجو فى عينى جولستان ، واحست كأن الأرض تميـد تحت قدميها .. فصرفت الفـلاحة ولبثت لحظـة شاردة .. ثم التهب فكرها واضطرم خيالها وازدحمت فى ذهنها الأطياف والرؤى ، وتمثل لها سيروس .. تمثل لها الكهل المسكين ،بشعره الأشيب ، وفمه الغليظ ، ووجهـه الدميم . فتأملته وهى ترتعش . وخيل اليها أنه يدنو منها ، ويطيب خاطرها ، ويسرى عنها ، وأن فيضا ساحرا من النور يتدفق منه وينسكب عليها . فاختلجت وأدركت الى اى حد بلغ حبه العظيم لها ، ولأية غاية سامية ضحى الرجل بنفسه وقضى . فأغمضت عينيها خاضعة ومعجبة ، مشفقة ومكبرة ، ثم تحركت واسـتدارت ومشت كمن يحـلم ، واتجهت نحو قرينها ، اتجهت نحو رستم ولكنها ما أن قاربته وواجهته وحدقت فيه ، حتى بهتت .. بهتت وارتعدت .. ارتعدت وفغرت فاها كبلهاء .. أبصرت زوجها ، زوجها نفسه ، زوجها الذى كان يتخبط الآن ويجار ويبكى ، مشرق العينين ، ملتمع الوجنتين ، متألق التقاطيع ، ينظر اليها فى سكون هانىء واثق مطمئن ، ويحرك شفتيه فى لهفة محتجزة كأنما هو يهم بأن يهتف أو يبتسم . فطاش صوابها ، وأمسكت به ، وهزته من ذراعه هزا عنيفا ، وقالت :

ـ ألم تسمع ؟ الرجل قد مات ! مات من أجلنا ! ضحى بنفسه من أجلنا ! فما الذى اعتزمته ؟ وماذا فى نيتك تحن أن تفعل ؟

فلم يستطع رستم كبح عواطفه ، وغلبته فرحته فابتسم فعلا ، ثم لوح بيديه تلويح اليأس وقال :

ـ وهل فى وسعى أنا أن أرد اليه الحياة ؟

فتفرست فيه جولستان لتفهم ، فلم يعبأ بها واستطرد يقول :

ـ انى لأقدر عظمة الرجل وقيمة نبله وتضحيته ، وفهمه لمعنى الصداقة . بل اشعر أن خسارة انسان مثله لا يمكن ان تعوض . ولكن ما حيلتى ؟.. ما ذنبى ؟.. ان ما يعزينى هو أنه كان رجلا طاعنا فى السن ، ولم يكن فى مقدوره أن يعيش اكثر مما عاش ... على أنه قد مات بمحض ارادته ، ولست انا المسـئول عن تضحيته . ان واجبى الآن هو أن أذكره بالخير وأهتم بحياتك وحياتى فقط .. فاياك أن تنسى يا جولستان أن الشبهة ما تزال حائمـة حولنا .. حول بيتنا .. وان القائد قد يحقق معنا فى أية لحظة . فاضبطى أعصـابك ، وانظـرى الى الواقع .. انظـرى الى زوجك ومستقبلك .. صحيح انى قد أسأت اليك فى الماضى وعبثت بك وخدعتك ، وبددت معظم ما أملك على الغوانى . ولكن هذه الحادثة بدلتنى .. ايقظتنى .. فانا أقسم ، أقسم لك يا جولستان أنى سأظل وفيا لك طوال حياتى ، وأنى لن أخون عهدك بعد اليوم أبدا .. سأكون لك وحدك ! وسأتخذ من هذه الثروة .. من هذه النجدة .. هذه النجـدة غير المنتظرة ، وسيلة لانقاذ نفسى من الخراب واسعادك .

فلم تصدق المرأة سمعها وذهلت . خيل اليها أنها قد فقدت رشدها . فأشارت الى المنضدة الجاثم فوقها كيس النقود وصرخت :

ـ أفى نيتك ان تستولى على هذا المال ؟

فاجاب ضاحكا :

ـ وهل تريدين أن أسلمه الى القائد وأموت ؟

فقالت وهى ترتجف :

ـ ولكن هـذا المال هو ثمن خيـانتك ، هو ثمن ارواح اخوانك ، وثمن جثة الرجل العظيم الذى مات شهيدا من أجلك !

فقال ساخرا :

ـ واذن فيجب أن أبعث الأموات ، وأقتل الأحياء ، والقى بهذه الثروة من النافذة ؟

فعاجلته بنظرة صاعقة وقالت :

ـ لا بل يجب أن تهبها لأسر ضحاياك ! لزوجات وابنـاء جنودنا الذين قتلوا بسببك !

فعيل صبر رستم وقال :

ـ لست من الغبـاء بحيث تسعى الى النعمة فأركلهـا بقدمي ! انت امرأة عاطفية حمقاء . اما انا فلن أتغفل نفسى ولن أتنكر لحظى ولن أفرط فى هذا المال أبدا !

فدنت منه جولستان ، وتأملته . تأملت عينيه المتقدتين ، وشفتيه المتلهفتين ، ووجهه المتصلب المتورم المحموم ، وهالها تبدله الطارىء المنكر المخزى . هالها اسفافه واصراره وطمعه وغلظتـه . فارتدت عنـه متأبية مستنكرة ، ثم قالت وقد تحـولت عواطفها ، وأخـذ الاشمئزاز بمخنقها ، ودوت فى صوتها عوامل الحنق والسخط والاحتقار :

ـ لو كنت شهما لما ترددت فى أن تفرط فى كل شىء .. فى المال وفى حياتك أيضا !.. كان الواجب يقتضيك بعد أن مات سيروس حافظا عليـك شرفك وحاملا عنـك عبء جريمتك ، أن تكفر انت عن هذه الجريمة النكراء بنبذك المال الذي جنيته منها وانخراطك فورا فى صفوف المجاهدين !

هذا ما كنت أتوقعه منك بعد أن سمعت اعترافك ! هـذا ما كنت أعتقد انه لا بد أن يصدر عنك بعد توبتك ! ولكنك لم تتغير ! أتسمع ؟ لم تتغير .. لقد خدعتني مرة أخرى ! ولقد صدقتك . . صدقتك أنا . . صدقت توبتك وندمك لأنك أنت كنت تصـدق نفسك . . كنت تمثـل على نفسك . . كنت وأنت تخدعني تخـدع في الوقت ذاته نفسـك وأنت لا تدري ! أجل . أنت مجبـول على التـلون كحرباء . أنت مطبوع على سرعة التقلب كغانية . . كغانية لا تفتأ ترقب الريح لتتبعها متى هبت في مصلحتها ! **فانت ما زلت أنت ! الحياة عنـدك أغلى من الشرف ، والمال أثمن من الضمير ! وغاية ما تنشده في صميم نفسك هو أن تعود الى عشيقتك وتنبذني ، وتنعم بالمال والعشيقة ومظهر الشرف على حسابي وحساب ضحيتك وضحاياك !.. فاين ، أين أنت من عظمة سيروس ؟ أين أنت من عظمة الشهيد المسكين ؟ انك لغـير خليق بأن تعقد له رباط حذائه ! أتظن أنه قد ضحى بنفسه لتعيش أنت ، انت ايها الخائن المجرم ؟** لا .. لقـد ضحى بنفسه لتدرك أنت واجبك ، فتكفر عن جرمك بأن تنبذ المال وتقاتل في صفوف جنودنا مختاراً وتموت ، فيسـلم شرفك وشرفي ولا يقال عنك أنك كنت خائنـا واني أنا كنت زوجة لخائن ! هـذا ما أراده الشهيد ! هـذا ما أراده لأنه كان يحبني !.. أتسـمع ؟ كان يحبني في شرف ، ويأبى الا أن تموت أنت في شرف وأعيش أنا في شرف ولو فقدتك ! ولو أنه رآك الآن وأنت تضن بحياتك على وطنك وتريد فوق هذا أن تقبض ثمن ضحاياك ، لبصق في وجهـك الحقير الدميم ثم قتلك ! لا .. لن أدعك تمد يدك الى هذا المال وفي صـدري نفس يتردد !

فذهبت الاهانة بلب رستم ، ومشى الى المرآة متحفزا وصاح :

ــ هذا المال فى حوزتى ، وساحرص عليه جهدى ، فحذار ..

واندفع وهم بأن يمد يده الى الكيس . **ولكن المرأة غافلته وهو مذهول ، واستلت الخنجر الجاثم فوق المنضدة ، ثم انشبت فى الكيس أصابعها واختطفته ، ثم عدت صوب الباب وقالت فى صوت غائر وحشى وهى تلوح بالخنجر فى وجه رستم وتهدر :**

ــ هذا الكيس يحمل شعار أعدائنا ويتهمك ! وما دمت تؤثر الحياة وتأبى الا أن تظفر بهذا المال الملوث على حساب شرفك ، فأنا .. أنا أيضا لن أحفل بسمعتى وشرفى ولا بأن يقال عنى انى كنت زوجة لخائن ! سأضع العدل فوق الشرف . بل سأجعل الشرف فى خدمة العدل ! أنا .. أنا التى سأبلغ عنك يا رستم !

وقبل أن يلحق بها وينقض عليها ، مرقت من الباب كالسهم ، وأسرعت فأوصدته خلفها بالمفتاح . فجن جنون الرجل وطفق يضرب الباب ويدفعه فى عنف حتى حطمه ، ثم انطلق فى الظلام الدامس يصرخ وينادى امرأته . وما ان لمحها وهى تركض حتى حث الخطى فى أثرها ، وظل يصرخ متوسلا ويناديها . **ولكنها كانت قد قطعت الطريق كله ، واجتازت السهل الفسيح ، واشرفت على خيمة القائد ، وبلغت خطوط المجاهدين .. فغشى الظلام عينى رستم ، وطوح به اليأس والرعب ، فتوقف متهالكا وجمد . ثم خارت قواه بغتة ، وتداعى ، وسقط على الأرض مغشيا عليه !**

وفى الليلة نفسها ، حوكم السيد النبيل ((رستم)) ، واعدم شنقا فى الساحة الكبرى عند مطلع الفجر !

....

المرأة .. عند توفيق الحكيم

مع ((حواء)) !

● **ضغطت** العصا على زر الجهاز الذى يصل الأحيـــاء بالأموات ، وطلبت حواء .. فسمع صوت آت من بعيد :

ـ انا حواء .. من يطلبنى ؟

ـ هنا الدنيا ! .. نهارك سعيد .

ـ نهارك سعيد ؟ أى نهار تعني يا هـــذا ؟ .. وما معنى النهـــار ؟

ـ عفوا ؟ .. نسيت أنه لا يوجد عندكم نهار ولا ليل ! بماذا أجيبك اذن يا أم البشر ؟ كيف يسلم بعضكم على بعض فى الآخرة ؟

ـ لا حاجة بنا الى ذلك .. ماذا تريد منى ؟ .. لا تضيع الوقت فى التافه من الكلام .

ـ هل آدم معك ؟ .. ليكن فى علمك انى طلبت محادثتك على انفراد .

ـ اطمئن .. انه اعتاد من زمن طويل ، منـــذ كنا على الأرض ، أن يسد أذنيه عن محادثاتى الخاصة .

ـ وهل كانت لك محادثات خاصة على الأرض ؟

ـ طبعا .. ومن قبل أن نهبط على الأرض .. ألم أحادث الحية طويلا ؟ لقد كان آدم يرى كل شىء ويتظاهر بالصمم . وعند ما أخبرته بجمال شجرة التفاح سمى عملى اغــراء .. وعند ما سئل عن حديثى مع الحية قال : انه لا يستطيع منع امرأة من الحديث والثرثرة !

ـ حقا .. انه يلقى عليك أنت كل التبعة فى اخراجه من الجنـــة !

(البقية فى الملزمة الأخيرة من هذا العدد)



الخيانة في المرأة!
"هيلينا" الحسناء
قصة من مآسي وأمجاد تاريخ الإغريق القدماء

بقلم : ا . م .

.. وهذه القصة !

عزيزى القارىء ..

فى القصة السابقة قدم لنا الكاتب الكبير ابراهيم المصرى قصة بطولةامرأة . وهو هنا يستوحىلنا منالتاريخقصة .. خيانةامرأة !

.. ففى الحرب التى نشبت بين اليونان والفرس فى سهل (ماراتون) ، عام ٤٩٠ قبل الميلاد ، دافع اليونانيون عن استقلالهم دفاعا مجيدا . وخلال تلك الحرب وقعت حوادث هذه القصة ، التى كان لها اكبر الاثر فى النصر العظيم الذى احرزه اليونانيون بزعامة قائدهم القدير « ملتيادس » ، على اعدائهم الفرس .

– ١ –

● فى مساء ذلك اليوم الساكن الهادىء ، وقبل نشوب معركة « ماراتون » بثلاثة أيام ، كان الشريف اليونانى « هرمس » ــ عمدة قرية ماراتون ــ وأولاده الشبان الثلاثة ، مجتمعين فى احدى حجرات بيتهم يتشاورون فى أفضل خطة يمكن أن يأخذوا بها للنزول على أمر قائدهم « ملتيادس » ، والتسلل الى صفوف العدو ، واشعال النار فى احدى سفنه الكبرى المرابطة فى ميناء ماراتون .. ولم يكن فى وسع العمدة الكهل هرمس أن يغامر بمسئوليات منصبه ، وينهض فى تلك الليلة بمثل هذا العمل الخطير ، مستهدفا لموت محقق ، فعهد بالمهمة الى ابنه الأكبر « شالكاس » ، رغم اعتراض ولديه الآخرين ، اللذين تمنى كل منهما لو وقع اختيار والده عليه !

وبعد أن أفضى هرمس بتفاصيل الخطة الى ابنه الأكبر ، جذبه من كتفه ، وقاده الى تمثال صغير للاله ابولون ، وطلب اليه أن يؤكد تضحيته بقسم ، فأحنى الشاب رأسه ، ورفع

ذراعه ، وأقسم بالاله العظيم أن يذعن للأمر ، ويكتم السر ، وانه يقبل التضحية . **وكان يجب على الشاب أن يتنكر فى زى جندى فارسى هرب من الأسر ، وأن ينطلق هذه الليلة فى الظلام الدامس ، مزودا ببعض المواد المحرقة ، فيزحف على بطنه ساعات طويلة حتى يبلغ السفينة ، فيغافل حراسها ، ويصعد اليها ، ويضرم فيها النار ، ويموت مع جنودها وملاحيها وربانها أمير البحر الفارسى الشهير باسم ((هزاد)) .**

وكان الشاب يؤدى القسم ، واخواه ينظران اليه فى خشوع واعجاب ، وأمه السيدة الشريفة الرائعة الجمال ((هيلينا)) تنظر اليه من خلال أهدابها الوطفاء ، وتهز رأسها هزا خفيفا ، وتبتسم ابتسامة آسفة مشفقة ، وهى تعض بأسنانها البراقة على شفتيها الحمراوين الناتئتين .. فلما فرغ الشاب من تأدية القسم ، تحول نحو أمه وقبلها . فقبلته بدورها ولم تتكلم . فاستغرب الكل جمودها ، ولكنها غالبت نفسها ، وكبحت عواطفها ، وأعربت لابنها الأكبر عن اعجابها بوطنيته الصادقة .. ثم ضمته الى صدرها ، وقبلته قبلة ثانية ، حاولت جهدها أن تجعلها حارة مشبوبة !

وتفرق الجميع ، وذهب العمدة هرمس الى مقر منصبه . واستدعى الاخوة الثلاثة زوج عمتهم المهندس المعمارى ((أوريون)) وانطلقوا فى صحبته الى المعبد المجاور لبيتهم ، حيث تحتم التقاليد على الأخ الأكبر أن يؤدى صلاة قصيرة تهبه العزم والقوة ، قبل اقدامه على التضحية والفداء . أما الأم فقد لبثت فى مكانها ساهمة شاردة ، ثم تحاملت على نفسها فجأة ونهضت . نهضت وأغلقت أبواب الحجرة ثم عادت وارتمت على مقعد ، ونظرت فى مرآتها ، ثم انتزعت من صدرها قلادة يتدلى منها شبه قلب من ذهب ، سرعان

ما فتحته وتأملت فيه رسما لرجل ، وطفقت تقبل الرسم ويدها ترتعش ، وأعضاؤها تختلج ، وعيناها تلمعان !

— ٢ —

وفي تلك اللحظة نفسها كانت « ديميترا » أخت زوجها ، قابعة في غرفة بعيدة من غرف البيت ، تتأمل هي أيضا رسما آخر ، عثرت عليه في أحد أدراج خزانة صغيرة ، اعتاد قرينها المهندس المعماري « أوريون » أن يضع فيه رسومه وأوراقه ورسائله . وكانت الشكوك قد ساورت ذهن ديميترا منذ أسابيع . كانت تحس احساسا قويا عنيفا أن هناك علاقة أثيمة منكرة تجمع بين قرينها « أوريون » وزوجة شقيقها الحسناء الفاتنة « هيلينا » . فاصطنعت لخزانة أوريون مفتاحا ، وتمكنت في مثل لمح الطرف من معرفة كل شيء !

وها هي ذي ديميترا تحدق الى الرسم وترتجف . بل ها هي ذي تنعم النظر في أوراق زوجها ورسائله ، وتقرؤها ، وقلبها المطعون يكاد ينزف دما .. فالرسم فظيع ، وقد أبدعه ولا شك فنان ماهر . كان الرسم يمثل قرينها أوريون وزوجة شقيقها هيلينا ، متعانقين عناق الشهوة الفاضحة ، والحب المحرم ، والهوى الأثيم !

أما الرسائل فأمرها كان أعجب وأخطر وأفظع . لم تكن رسائل حب بين العاشقين فحسب . بل كانت فوق ذلك رسائل نقمة وتمرد على القائد ملتيادس ، وخيانة للأمة والوطن !.. كانت هيلينا تقول في رسائلها لعشيقها انها معجبة بحضارة الفرس أعداء بلادها ، وأن الفرس يجب أن يقهروا اليونان ليمدنوها ، وأن الحرب ضد الفرس لا جدوى منها ، وأن على عشيقها اذا كان حقا يحبها أن يسرع فيتصل

بالوجيه اليونانى « هيباس » الذى يتزعم ، فى الجبال ، حركة التفاهم مع الأعداء ، وأن يسانده فى كفاحه ، بغية عقد صلح يجنب اليونانيين ويلات الحرب ، ولو قضى القضاء المبرم على كل أمل لهم فى الحرية والاستقلال !

وادركت ديميترا من فحوى الرسائل أن زوجها أوريون قد عمل بنصيحة عشيقته ، وانه اتصـــل فعـــلا بالخائن هيباس !.. فضمت يدها على الرسائل كأنها تقبض على عنق عدو لتخنقـــه . وامتقع وجهها ، وغلى الدم فى عروقهـــا ، وأصـــابها من فرط الحنق والغيرة والاستنكار والذعر شـــبه خبال . **كيف ؟ ايخونها زوجها مع امرأة شقيقها ، ثم يختم الهـــوى على بصره ، فيخون أيضـــا بلاده ، وهى بين الموت والحياة ؟.. وهيلينا ؟ هيلينا ؟ كيف استحلت لنفسها أن تغوى رجلا هو قرين شقيقة زوجها ؟ كيف أقدمت على هذا العمل المروع وهى أم لثلاثة أبناء ؟** نعم . كل كلمة من كلماتها تدل أبلغ الدلالة على أنها هى التى اغرت أوريون وهى التى فتنته ، وهى التى أفسدت خلقه ، ولوثت ضميره ، وقتلت فيه روح الزوج المخلص الوفى ، وروح الوطنى الصادق النزيه !

وتدفقت الخواطر فى ذهن ديميترا ، ولم تعد تدرى ماذا يجب عليها أن تفعل . انها تستهول العواطف التى تشـــعر الآن بها . انها تكره نفسها . انها تحس بالرغم منها أن قلبها ما يزال يصبو الى زوجها . ولكن كيف يمكنها أن تصمت ؟ كيف يمكنها أن تتحمل ؟ كيف يمكنها أن تخون هى أيضـــا ؟ أفى مقدورها أن تغلب فى قلبها نداء الحب على نداء الواجب ؟ أفى مقـــدورها أن تصفح عن خيـــانة زوجها لأمتها وبلادها ؟ وهل فى وسعها فوق ذلك أن تغض الطرف عن خيـــانة ثابتة مزدوجة ومروعة ارتكبتها زوجة شقيقها ؟ كلا . هذا فوق طاقتها . هذا خزى يعافه ضميرها . الواجب يقتضيها أن

تتكلم ، أن تصارح ، أن تجهر بالحقيقة كلها . والا غامرت بحياة شقيقها ، وحياة أبنائه الثلاثة ، وحياتها هى أيضا .
وملكتها الفكرة ، واستبدت بها ، وطغت عليها .. فنهضت من فورها ، ودست الرسم والرسائل فى صدارها ، واستجمعت قواها وتقدمت بخطى ثابتة نحو الجناح الأيمن من البيت حيث يقيم شقيقها العمدة هرمس . وكان الرجل قد عاد من مقر عمله ، وانكب على دراسة خريطة صغيرة تعين موقع المعركة المنتظرة ، فأوصدت ديمترا الباب ، وأحكمت رتاجه . ثم دنت من شقيقها ، وأخرجت الرسم والأوراق من صدارها ، ودفعت بها اليه وقالت :

ـ أنظر .. أنظر واقرأ !

فتطلع اليها ، وتناول منها الرسم والرسائل وهو مبهوت .. فرددت :

ـ أنظر واقرأ !

فلم يكد يلقى على الرسم نظرة حتى جحظت عيناه وجمد ، ثم تنبهت حواسه واستضاء فكره ، فأكب على الرسائل ، وشرع يقرأ ، وبصره الحاد يلتمع ، ووجهه المحتقن يتغضن وينقبض ، وأعضاؤه كلها تختلج اختلاجا عنيفا ، ثم تتراخى فى انهيار طارىء ، كأنما قد أصابها شلل .

وحاول أن يتكلم ، ولكنه أحس أنه يختنق ، فندت عنه صرخة ، وانهمرت من عينيه دمعة . لم يستطع أن يصدق . لم يستطع أن يتصور . فظل تائها شاردا مذهولا يحدق فى الرسم والورق ويرتجف !.. بينما ارتمت ديمترا على مقعد ، وقالت فى صوت غائر أجش :

ـ لم يسعنى أن أصمت ! المسألة لا تتعلق بنا وحدنا بل تجاوزنا الى ما هو أخطر وأعظم ! لقد خان كل من زوجتك

وزوجي عهد الزواج وعهد الوطن ! وانا اضع مصيرهما بين يديك ، فاحكم .. احكم الآن بما يمليه عليك ضميرك !

وصمتت وهى تلهث . فأطرق الرجل منسحقا ، ولبث مطرقا وهو يزفر . ثم أرسل نفسا طويلا . ورفع راسه فى بطء وقال بعـــد فترة ، وعينـــاه المتقرحتان مصوبتان الى شقيقته :

ـ أما زلت تحبين زوجك يا ديميترا ؟

فهتفت : « لقد ملأ الحقد قلبى فلم يعد فيه للحب اى مجال ! أنا أشعر أن عقلى أصبح أقوى من عواطفى ؛ وواجبى أقوى من حبى . ولو أن هذا الحب كان قد خنق وطنينى لما سعيت اليك وصارحتك بكل شيء ! يجب .. يجب ان نقتص من المجرمين بأنفسنا ، والا فقد يعلم بأمرهما القـــائد فتحوم الشبهات حولنا نحن أيضا ، فنلوث ونتهم ونستهدف جميعا للموت والعار ! »

فقال هرمس ، وهو يتلوى :

ـ أنت على حق ! لن أشفق أبدا ! لن أتسامح ! ولن أمرغ جهاد حياتى كله فى التراب ، ولن أموت مجللا بالعار حرصا على زوجة زانية ومواطنة خائنـــة ! وما دمت أنت وضعت واجبك فوق حبك ، ورأيت أن ضميرك يقتضيك الاقتصاص من زوجك ، فسأقتدى بك أنا أيضا . ولكن .. ولكن امراتى والدة . انها أم ، أم لثلاثة ابناء . فكيف يمكننى أن أعاقبها بدون علم منهم ؟ ماذا يمكننى أن أقول لهم لو غافلتهم وقضيت عليها ؟ أية حياة ستكون حياتهم لو حرمتهم فجأة ، وباجراء تعسفى شخصى ، من عطف أمهم وحنانها ! يجب أن يعرفوا كل شيء ! أتسمعين ؟ يجب أن أصارحهم بكل شيء ! يجب أن اكاشفهم بعارى وعارهم ، وأشركهم معى فى الحكم على أم تنكرت لأقدس واجباتها ، وأصبحت زوجة زانيـــة ومواطنة خائنة !

وارتعد الرجل ، وردد فى عنف : « يجب أن أصارحهم . يجب أن يكونوا هم القضاة ما داموا هم الضحايا ! يجب أن تحاكم امرأتى على مشهد منهم ، وكذلك زوجك يا ديميترا ! »

فحنت المرأة رأسها مشيرة بالايجاب . وعندئذ سمعت فى الخارج جلبة وأصوات ، فهب الرجل واقفا وصرخ :

ـ ها هم !.. لقـــد عادوا من المعبـــد وفى صحبتهم « أوريون » . سأناديهم وسأفصل الساعة فى الأمر دون تردد !

واندفع كالمخبول ، فنادى أبناءه وزوج شقيقته ، وأرسل الى امراته يامرها بان تلزم حجرتها حتى يدعوها اليه !.. ثم اغلق الأبواب ، وطلب الى الجميـــع أن يجلســـوا ، والتقط انفاسه ، وشرع يتكلم !

وكان أبناؤه الثلاثة يستمعون اليه ، وينظرون فى الرسم والرسائل ، وقد امتدت أعناقهم واندلعت عيونهم ، وتعاقبت أنفاسهم ، وملكتهم دهشة مستهولة مشمئزة ، يشوبها غضب مستنكر ، وحقد هائل كظيم . أما أوريون فقد تصبب العرق من جبينه ، وشحب وجهه شحوب الموتى ، وظل واقفا عن بعد ينقل الطرف فى امرأته وأهلها ، ويرتعد كريشة فى مهب الريح !

وبعد أن أتم هرمس قراءة بعض الرسائل ، التفت الى أولاده الثلاثة وقال وهو يهدر : « البينة أمامكم ، والجريمة المزدوجة اقترفتها أمكم ، واشترك فيها هذا الرجل الذى هو زوج عمتكم . ان امرأته قد فضحته ، وتهيـــأت لتـــأدية واجبها . فهل ترددون أنتم فى تأدية واجبكم ؟ »

فلم يتمهل الابن الأكبر « شالكاس » ، واندفع نحو باب الصدر وفتحه وصرخ مناديا أمه وهو يرتعش !

- ٣ -

ودخلت هيلينا .. شامخة الراس ، محلولة الشـعر ، متقدة البصر . **ولكنها لم تكد تتقدم الى وسط الحجرة وتلقى على الرسم والرسائل نظرة ، حتى اندفق الدم الى محياها ، وانكمشت ولم تتكلم** . فصاح بها ابنها الأكبر وهو يومىء الى الرسم والورق ويوشك أن ينقض عليها :

ـ **أتنكرين ؟**

فغمغمت وهى تتراجع : « لا أنكر شيئا ! انا أحب هذا الرجـل وهو يحبني . وكلانا فوق ذلك يؤمن بأن بلادنا ضعيفة ، وأن اسـتقلالها محال ، وأن لا خلاص لها الا اذا وضعت السلاح وتحالفت مع الفرس ، واذعنت للواقع ، وسلمت للأقوى ! »

فجن جنون « شالكاس » وصرخ :

ـ أفجور وخيانة ؟ !.. أفى اللحظة التى تقدم فيها بلادك على معركة رهيبة وتوشك أن تطاول النصر ، فى اللحظة التى اعتزمت فيها أنا ولدك أن أغامر بشبابى وحيـاتى وأذهب فأضرم النار فى احدى سفن الأعداء ، وأموت شهيدا من أجل وطنى . فى هذه اللحظة العصيبة أراك أنت ، أمى ، تشمخين وتستكبرين ، وتجاهرين بخيانتك المزدوجة دون ما وازع من خلق أو ضمير ؟

فقالت الأم فى سكون : « وما جدوى الكذب والنفاق ؟ أقتلونى اذا شئتم . وحسبى من الحياة انى قد أحببت ، وسعدت ، وعشت ! »

فنهض « ليزياس » ـ الابن الثـانى ـ وصـاح وهو يرتجف : « هذه الأنانيـة الغليظة القاسية ، هذه الأنانيـة الوقحة المتحدية ، هذه الأنانية الجنائية المنكرة ، تستحق منا ولا ريب أقسى عقاب . وأنا ، انا ولدك أيتها السيدة سأقتص

بنفسي لشرف أسرتى وشرف بلادى من خليلك وشريكك فى الجريمتين : الزنا ، وخيانة الوطن ! »

فصرخت هيلينا : « ماذا تقول يا ولدى ؟ »

فقالت ديميترا على الفور : « وانه لحكم عادل ، وانا أرحب به ! »

فتقهقرت هيلينا ملتاعة ، وقالت :

ـ لا !.. لن يموت الرجل الذى احبه بيد ولدى !

فصاح زوجها :

ـ اذن فناولها السلاح يا « ليزياس » ، ولتعطه هى لعشيقها الخائن !

فجثت هيلينا على الأرض ، وقالت ودموعها تنهمر :

ـ انى اذا قبضت على هذا السلاح فلن اغمده الا فى صدرى !

فقال الابن الثانى : « اذن فسأعرف أنا كيف أقوم بواجبى ! »

فاندفعت المرأة نحوه ، وطوقته بذراعيها ، وصاحت وهى تلثم يديه وتقصيه جهدها عن عشيقها : « **لا .. لا تقتله يا ليزياس ! !** »

ولكن « أوريون » الذى كان قد فقد الأمل فى كل شيء وآثر أن يقضى على نفسه بنفسه مختارا ، ولا يجبن أمام عشيقته ويقتل قتلا ، أسرع ولحق بها . وفى مثل لمح الطرف ، وقبل أن يتنبه ابنها أو أخواه أو والدهم أو ديميترا ، اختطف الخنجر من ليزياس ، وألقى نظرة وداع على هيلينا ، ثم أغمد النصل فى عنقه ، وهوى على الأرض صريعا يتخبط فى دمه !

وأرسلت هيلينا صيحة مدوية ، وظلت ديميترا جامدة كتمثال .. بينما رمى الأبناء الثلاثة ووالدهم جثة المجرم

بنظرة ملؤها الزراية والحقد ، ولم يحفلوا بها .

وانثنى هرمس الى زوجته ، وقال فى صوت حاد القاطع باتر النبرات : ((**اليك خنجرى وتشجعى .. عاقبى نفسك بدورك وكفرى . انقذى من صورتك فى نفوس أبنائك ولو بقية من عزة وكرامة وكبرياء !))**

فترنحت هيلينا وصرخت كمعتوهة : ((**لا .. لا اريد ان أموت !))**

فغشى الدم وجه زوجها ، وقدح الشر من عينيه . وارتمى عليها ، وهم بأن يقتلها بيده . وعندئذ . وقع شيء غريب ، شيء مباغت ، شيء لم يكن أبدا فى الحسبان : تقدم الابن الأصغر « سولون » الذى لم يكن قد نفوه حتى تلك اللحظة بكلمة ، وأمسك بذراع والده . وأنهض المرأة المتداعية المحطمة ، وقال فى صوت هادىء ثابت عميق :

ـ هذه المرأة هى أمى . وأنا ابنها الأصغر . وهى أحب الناس وأعزهم وأغلاهم الى نفسى . ومع ذلك فأنا لا أريد منكم أن تصفحوا عنها ! لا أطلب منكم أن ترحموها ! بل التمس فقط أن تدعونى أخاطبها لحظة واحدة قبل أن تموت !

فصاح الوالد : ((**أتضعف يا ((سولون)) وتحرجنى ؟))**

فقال الشاب : « أريد ان أبرىء ذمتى ! أنا أنشد القوة لا الضعف يا والدى ، فصبرا . تقدمى يا أماه .. أمعنى النظر فى كلامى وارهفى السمع وتأملى . لقد خنت زوجك فأنكرت وفاءه ، وجحدت تضحياته ، ومزقت كرامته ، وسممت البقية الباقية من حياته ، ثم اذللت أولادك ، وخلفت فى نفوسهم وصمة عار لا تمحى .. ولم يكفك هذا ، فأمعنت أيضا فى غيك وخنت بلادك واتصلت بأعدائها ! **وأنا مؤمن بأنك لو كنت عامرة القلب بحب وطنك ، ما سولت لك نفسك أبدا خيانة زوجك . لأن من يخلص حقا لوطنه لا بد أن يخلص**

أيضا اشرفه وعرضه ، فهذه الوطنية المقدسة ، وطنية الوفاء الكامل للأرض التى أوجدتنا ، ولعرضنا الذى هو رمز كرامتنا ، هذه الوطنية هى التى أريد أن أضرمها الآن فى صدرك يا أماه . هى التى أريد أن أعلمك اياها ، عساى أن أرد اليك اعتبارك فى نظر نفسك ، وأهبك شجاعة العزم ، وشجاعة التكفير ! . . ولقد حدثتك عن خيانة العرض وما يعقبها من شقاء ، وسأحدثك عن خيانة الوطن وما نجره من كوارث . . كيف تنادين بالتحالف مع العدو ؟ كيف تزعمين أن تحالفنا مع العدو ينقذنا ؟ اننا لو أعرضنا عن قتاله وسالمنا ؛ أصبح هو الأقوى ، فتنكر لنا ، واستباح حقوقنا ، وفرض سلطانه علينا ، وسامنا فى غدر وخبث شر ضروب الخسف والهوان !. . اليونان أمة متحضرة يا أماه ، وليست فى حاجة الى وصى يمدنها ! **نحن ورثة المصريين العظماء ، عنهم قبسنا النور ، ومنهم تناولنا المشعل ، وفى ضوئهم منحنا العالم فلاسفة وعلماء وشعراء ، فأبدعنا حضارة وخلقنا مدنية ! فكيف نستحل لأنفسنا اليوم أن نتراجع ونجبن ونغمد السلاح ، وندع تراثنا الانسانى المجيد ينسحق ويموت تحت سنابك خيل الفرس** ؟ الواجب هو أن نقاتل يا أماه ، نقاتل من أجل ازدهار حياتنا ، نقاتل من أجل نمو تراثنا ، نقاتل من أجل أسلافنا وأحفادنا ، نقاتل عدونا حتى النصر . ومتى تحقق النصر ، فقد يمكن التفاهم بعد ذلك فى ظل المساواة ! هذه هى الكرامة ، وهذه هى الوطنية ! الوطنية من أجل الخلود يا أماه : خلود روحنا ، خلود جنسنا ، خلود عبقريتنا فى العالم وفى أصلابنا من بعدنا ، ولكن الخلود محال يا أماه بدون موت ! بدون موت اختيارى خصب ، تغذيه الشجاعة ، ويذكيه الايمان ، ويلهبه البذل والتضحية ! فانبذى معتقداتك الشائنة القديمة يا أماه ، وآمنى بالوطن والعرض ، واثبتى

الساعة ونقدمى ! كونى خليقــة بأمتك وشعبك . **بل كونى جديرة بابنــك الأكبر الذى اختار أن يموت هذه الليــله مستشهدا فى سبيل شىء أعظم من نفسه ، وأبقى من شخصه ، وأغلى من حياته وحياتنا نحن جميعا ! اطعنى صدرك بالخنجر راضية يا أماه ، لنستطيع ـ برغم عارنا ـ أن نكرم ذكراك ، ونرفع فى الأ رءوسنا !**

ونراجع الشــاب وجلس . فلم تتكلم هيلينا ، ولم نحرك ، وظلت فى مكانها ذاهلة . لم تتقدم خطوة . ولم تتجه نحو زوجها . لم تتناول منه خنجره . بل أجالت فيمن حولها بصرا زائغا حالما تائها ، ثم استقرت ببصرها لحظة على ابنها الأصغر ، ثم تحولت به صوب ابنها الأكبر ، ثم حدقت الى الشاب طويلا وأشرق وجهها اشراقا طارئا عجيبا ، وتألقت عيناها ، وانفرجت شفتاها . وانسكب فجأة على كيانها كله ضوء غامر صاف قرير ...

ولوحت بذراعها بعد فترة وتمتمت : **((لا .. لن أموت هكذا .))**

فحملق فيها الكل مستغربين مستفسرين ، فرددت فى عزم :

ـ لن أموت هكذا !

فلم يفهموا واشتد عجبهم ، وخيل الى زوجها أنها تريد أن تحتال عليهم وتخدعهم ؛ فدنا منها حانقــا ودفع اليها بالخنجر مستصرخا متوسلا . ولكنها أقصته عنها فى رفق ، ونصبت قامتها ، وقالت فى صوت واضح قاطع جهير . وهى ما تزال تسبح فى حلمها وغيبوبتها :

ـ لن أقتل نفسى . ليس هذا بعقاب ولا بتكفير !

واتسعت حدقتاها . وصرخت بغتة :

ـ لقــد استيقظت . حديث ولدى الأصــغر أيقظنى وهدانى ! كنت صماء فسمعت . كنت عمياء فأبصرت . كنت

ميتة فبعثت ! لن أقتل نفسي ! لن تذهب حياتى هباء ! لن أموت رخيصة والا ارتكبت خيانة ثالثة ! سأموت كما علمنى ولدى ! سأتبعه نحو الخلود الذى أراه الآن نصب عينى ! سأموت لأخلد . لأخلد فى أمتى ووطنى ! هذا هو العقاب الذى يمكن أن يشفع لى ويرفعنى . وهذا هو التكفير الذى يمكن أن يخدم بلادى ويطهرنى !

وتلفتت صـوب ولدها الأكبر وصاحت : « **لن تذهب الليلة الى هناك ! »**

فأحاط الجميـع بها ، وتألبـوا عليها ، واشرأبوا اليها بأعناقهم مبهوتين . فصرخت فيهم وصوتها يدوى :

ــ أنا .. أنا التى سأنهض بالمهمة التى وكلت الى ابنى الأكبر ! أنا التى سأذهب الى الميناء من فورى ! أنا التى سأقتحم سفينة العدو ، وأنا التى سأضرم فيها النار ! هذه الميتة وحدها هى التى ترضينى ! فصونوا أنتم أنفسكم لواجبات أجل وأخطر ، ودعوا هذه المهمة العاجلة لى !

ورفعت رأسها فى عزة وأردفت « اعطونى المواد الحارقة ! لن أجد أية صعوبة فى اقتحام السفينة ! ان ربانها الفارسى لن يشك فى أمرى ، فهو يعرفنى ، ويعرف أنى كنت بالأمس من صنائع الفرس ، ومن أتباع المارق هيباس . أعطونى المواد الحارقة وثقوا بى ! »

فوجم الزوج واضطرب . وهجس فى روعه أن هـذا التدبير قد يكون حيلة من امرأته ، ووسيلة للتخلص والفرار . فهم بأن يتكلم ويعترض . ولكن الابن الأصغر ارتمى على أمه ، وطوقها بذراعيه ، وصاح بأخويه وهو يهدر :

ــ ألا تثقون فى أمكم ؟

فقال الابن الأكبر فى هدوء : « دعوها ترحل ! انا واثق فيها ، مؤمن بأنها قد أصبحت الآن أما وزوجة ومواطنة ! »

فاندفعت اليه هيلينا وعانقته ، ثم قبلته وقبلت أخويه ، ثم انحنت ولثمت يد زوجهـــا ويد شقيقته . فاستوقفتها ديميترا وقبلتها . فاختلجت هيلينا ، وأوشكت أن تبكى . ولكنها تمالكت نفســها ، واتشحت بمئزرها . ودست المواد الحارقة فى صــدارها . ثم تحفزت ، واستنهضت قواها ، وخرجت الى الظلام الدامس ، منصوبة القــامة ، مرفوعة الرأس ، متصلبة الوجه ، دون أن تتلفت أو تحاول النظر مرة أخيرة الى أولادها !

ولم تكد تختفى ، حتى أسرع الجميع وصعدوا الى سطح البيت ، وظلوا هناك صامتين ، قلقين ، متلهفين ، يتطلعون الى السماء الحالكة ، ويرقبون الميناء حيث تجثم سفينة العــدو .

وبعد ساعات طويلة ، وقبل أن يطلع الفجر ، **ترامت الى سمعهم صرخات مدوية متقطعة ، ثم انشق فجــأة حجاب الليل ، وشوهد فى الأفق البعيد لهب متصاعد ينهب فسحة الفضــاء ، ثم لاحت السفينة فى ضوء اللهب المتأجج هيكلا متصــدعا متداعيا ، سرعان ما ترنح وتطــوح والتهمتــه النيران !** . . فهتف الشبان الثــلاثة هتافا مدويا متواصلا ، وانثنوا الى والدهم يشــهدونه على نوبه أمهم ، وصــدق وطنيتها ، وعظمة تكفيرها . فألفوا الرجل يبكى . . يبكى بكاء الفرح والكبر والغفران . فتهافتوا عليه ، وهدءوا من روعه ، وقبلوه . فانحنى عليهم وتفرس فيهم باعجاب . ثم ضمهم جميعا الى صدره ، وقال لهم فى سكون وهو يشرق بالدمع ويبتسم :

ـ عودوا . . عودوا الى المعبد يا أولادى . وصلوا . . صلوا من أجل أمكم !

المرأة .. عند « المازنى »

مقتطفات من مذكرات حواء

السبت : وجدت أن ما أغرانى به آدم من كتابة المذكرات اليومية قد شغلنى عنه ، وأتاح له أن يطوف فى الجنة وحده ، وهو لا يفتأ يصبحنى بالسؤال عن مذكرات اليوم السابق هل دونتها . وينصح لى بأن أكتبها قبل أن أنسى ما حدث ، ولا أكاد أشرع فى الكتابة حتى أراه ينسل ويذهب لا أدرى الى أين ، ومن أجل هذا عقدت النية على الا أكتب الا فى الليل بعد أن أنام ..

الاثنين : آدم لغز لا أكاد أفهمه ، لم يكن يعرف حتى أن اسمه آدم ، ومن قوله أنه لا يشعر بالحاجة الى اسم ما ، ولما قلت له يوما أن أسمى حوّاء قال « ربما ! » . أليس هذا منه عجيبـا ؟ وأعجب من ذلك أنى قلت له أن عليه من الآن فصاعدا أن يدعونى باسمى ، فأنه أعذب فى أذنى من « هش هش » التى لا يزال يفتح فمه بهـا على ، فقـال انه يقصد ــ حين يصيح بى « هش هش » ــ ان أذهب عنه لا أن آتى اليـه ، وأنه لا يحتـاج أن ينادينى أو يدعونى لأنى لا أكاد أفارقه ، فمن العبث أن يكون لى اسـم اذا كانت فرصـة استعماله لا تعرض أبدا ، فلما احتججت عليه بأن لكل شىء فى الجنة اسمه الذى يعرف به ، زعم أنى أنا التى اخترعت هذه الأسماء وأطلقتها على مسمياتها ، وأنه لا يدرى لمـاذا أجشمه حفظ هذه الأسماء كلها وتصديع رأسه بها !

وهذه أول مرة سمعت من آدم مثل هذا الكلام ، فحز فى نفسى وآلمنى ، فبكيت وتوجعت ، ولشد ما كانت دهشتى حين نهض آدم ودنا منى ورفع وجهى اليـه وجعـل يتأمل

(البقية فى الملزمة الاخيرة من هذا العدد)



قصة مؤلف المسرحية بقلم : **محمد بدر الدين خليل**

عرض وتلخيص المسرحية بقلم : **الدكتور أنور لوقا**

(أستاذ الادب الفرنسى المساعد بكلية آداب عين شمس)

مسرحية .. مستمدة من الواقع !

● **هذه** مسرحية من أروع ما جاد به المسرح «الرومانتيكى» على الأدب الفرنسى فى القرن التاسع عشر . وهى التى بلغت بكاتبها « ألفريد دى فينى » أوج الشهرة عام ١٨٣٤ . فقد أخرجتها (الكوميدى فرانسيز) فى العام التالى ، وقامت بأداء دور البطلة فيها ممثلة ساحرة هى « مارى دورفال » ــ المرأة التى هام الشاعر بحبها(والتى تقرأ قصته الكاملة معها فى نهاية هذه المسرحية) .

وهذه المسرحية المؤثرة دفاع مجيد عن « الشاعر » و « المفكر » فى عصرنا الحديث ــ عصر المادة الجامدة والآلة الغاشمة ــ دفاع ملتهب صدر عن قلب شاعر حكيم مؤمن برسالته .

وبطل هذه المسرحية شخصية واقعية ، فهو الشاعر الانجليزى ((توماس شاترتون)) الذى عاش فى القرن الثامن عشر ، وانتحر عام ١٧٧٠ وهو فى ربيع الشباب ــ فى الثامنة عشرة من عمره ــ للفرار من الفقر . وقد سبق « لألفريد دى فينى » أن أوجز قصة الشاعر البائس فى كتابه « ستيلو » Stello ، ولكنه هنا يبعثه حيا أمامنا ، فى اليوم الأخير من حياته ، لنشاطره أساه وفجيعته فى الدنيا ، ولتملأنا الحسرة الصادقة ثورة على جور المجتمع القاتل ، وعزما على الانتصاف لهذه الضحية البريئة باصلاح الأوضاع الفاسدة ، وتقدير العبقريات التى تسطع فى الليل الحالك من حين الى آخر .

وقد أحدثت صيحة « ألفريد دى فينى » الأولى ــ فى « ستيلو » ــ صــدى كبيرا ، سيما وقد انتحر فى باريس شاعران ، فى عام ١٨٣٣ ، عقب ما أصابهما من فشل . لذلك عاودت الفكرة ذاتها قريحة « فينى » ، والحت عليه ، وأذكت حميته وخياله ، فكتب هذه المسرحية ــ المركزة ــ فى سبع عشرة ليــلة متلاحقة ، وفى أسلوب رصين البــلاغة ، عميق الايمان ، شديد الوقع . واطلق قلمه فى الليلة الثامنة عشرة يروى حديثــا ذا شجون أصبح عند نشر المسرحية مقدمة لعمله ، وديباجة ناصعة يتدفق فى فيض عباراتها المضطرمة كل ما جاش فى قلب الشاعر من عواطف البر والرحمة والألم ، وكل ما دار فى عقله من خواطر وعبر .

* * *

هذا هو « شاترتون » ، فتى مرهف النفس موهوب نابغة ، يقرض شــعرا جزلا خلابا ، يجمع فيه بين سذاجة الطفولة وحكمة الشيوخ . ولكنه يتعثر فى حيــاته الجم ، فيظل نكرة مغمورا . ويضطر الى أن يقدم قصائده الى الجمهور ــ الذى لا يلتفت اليها ــ على أنها مقتبسة من شــاعر قديم ، شــاعر مزعوم لا وجود له فى واقع الأمر !.. وبعــد أن يغتصب اعجاب مواطنيه بهذه الحيلة ، يكشف لهم النقاب عن الحقيقة ، فلا يسعهم الا أن يعترفوا بفضله .. بيد أنهم يتركونه فريسة للفقر والحاجة ، وينصرفون عن نفحات فكره النبيل وفنــه الجميل الى مطاردة الأرباح واستثمار المال . فقــد أغرتهم الآلات المستحدثة ــ وهى فتــح اذ ذاك جديد ــ باستغلال مواردهم المالية ، وأصم ضجيجها آذانهم عن صوت الفــكر ووحى الشعر . أجل لقد أخرجت الثــورة الصناعية ذلك المجتمع عن أطواره وانسانيته .

ولهذا الفتى الشاعر صديق شيخ من طائفة « الكويكر » التى اشتهرت بعمق التقوى والورع ، والاستمساك بالقيم الروحية . وهذا « الكويكر » هو الذى يفهم مأساة « شاترتون » ولا يتخلى عنه كما تخلى عنه رفاق اللهو من ابناء طبقة الأشراف . و « شاترتون » يقيم الآن فى غرفة صغيرة استأجرها أخيرا ــ دون أن يكشف عن شخصيته ــ لدى « جون بل » ، وهو رجل من صغار رجال الصناعة غليظ القلب ، جشع ، لا يهتم بغير الكسب المادى ! **غير أن زوجته « كيتى بل » امرأة رقيقة وديعة ، تزيد من نقاء جمالها ورحمتها صورة طفليها الصغيرين اللذين يلازمانها . وتعطف « كيتى » على هذا الفتى الغريب ، فهل تراها تفلح فى انقاذه ؟ وعلام ينطوى شعورها بالعطف عليه ؟**

ان زهد المؤلف فى الأحداث وعنايته باجتلاء النفوس ، وكذلك حرصه على تركيز مسرحيته من ناحية الزمان فى يوم واحد ، ومن ناحية المكان فى منظر واحد ــ داخل بيت آل « بل » ــ ليضفى على المواقف « الرومانتيكية » هنا روعة الفن « الكلاسيكى » .

— ١ —

جون بل ــ الزوج ــ (فى عنف) : يا سيدة « بل » ! تعالى هنا .

كيتى بل ــ الزوجة ــ (فى خوف) : هأنا ذى .

جون بل : حساب امس من فضلك .. وهذا الشاب الذى يسكن فوق ، الا يدعي أكثر من « توم » أو « توماس » ؟.. أرجو أن يظهرنا على أمره قريبا .

كيتى بل : هو لم يكتب غير هذا الاسم فى سجلاتنا حينما

استأجر تلك الغرفة الصغيرة .. ها هو ذا حساب اليوم مع حسابات الأشهر الماضية .

جون بل (وهو يراجع الحسابات فى السجل) : كاربن ! لست دقيقة كما كنت أعهدك . **(يقطع حديثه ويحدق فى وجهها بارتياب)** انه بسهر سواد الليل هذا الفتى !.. امر عجيب .. ويبدو عليه البؤس الشديد . **(يعود الى السجل ويستعرضه بنظرة)** .. لست دقيقة كما كنت أعهدك .

كيتى بل : يا الهى ! لماذا تخاطبنى بهذا الكلام ؟

جون بل : هناك خمسة جنيهات أو ستة ناقصة ، انى واثق من ذلك ، من أول نظرة .

كيتى بل : هل لك أن تشرح لى كيف ؟

جون بل : تفضلى بدخول غرفتك ، لتقل شرود ذهنك . ان الأولاد فى بطالة ، وما أحب لهم الفراغ . لقد دب الاهمال فى بيتى .. هأنذا ، انى هنا ؛ راجعى هذه القائمة ، واضربى الحاصل فى سبعة .

ويدخل الغرفة متعقبا زوجته ، فلا نراهما ، بينما ترتعد الطفلة الصغيرة « راحيل » وهى تسمع صوت أبيها الغاضب ينتهر امها ، فتلوذ بالكويكر :

راحيل : انى خائفة !

الكويكر : من خوف الى خوف ستعيشين عيش العبيد . خوف من أبيك ، ثم خوف من زوجك فيما بعد ، حتى يحين لك الخلاص . العبى أيتها الطفلة الوديعة الى أن تصبحى امرأة . العبى دائما ولا تفكرى فى شىء .. تعالى على ركبتى ، تعالى . أتبكين وتخبئين رأسك فى صدرى ! انظرى ، انظرى هو ذا صديقك مقبل .

ويظهر شاترتون فيقبل راحيل التى تخف اليه ، ثم يصافح « الكويكر » ويحييه . ويلاحظ الشيخ عناءه وارهاقه منذ الصباح .

الكويكر : ان روحك تضنى جسمك أيها الفتى . يداك تحترقان ، ووجهك شاحب . كم من الأيام ترجو أن تعمر وأنت على هذه الحال ؟

شاترتون : أقل ما يمكن . أليست السيدة « بل » ههنا ؟

الكويكر : أو ليست حياتك نافعة لأحد ؟

شاترتون : على العكس ، حياتى عبء على الجميع .

الكويكر : أتؤمن جديا بما تقول ؟

شاترتون : ايمانك برحمة الله .

الكويكر : فما عمرك اذن ؟ ان قلبك نقى صبى كقلب « راحيل » ، وعقلك محنك شيخ كعقلى .

شاترتون : سأتم الثامنة عشرة غدا .

الكويكر : يا لك من طفل مسكين !

شاتريون : مسكين ؟ نعم . أما طفل ، فلا . لقد عشت ألف سنة .

الكويكر : لن تكفيك ألف سنة لكى تلم بنصف ما يملأ قلوب الناس من شر !

شاترتون : ولكنى كنت أظن أن السيدة « بل » ههنا . لقد كتبت الآن رسالة أرهقتنى جدا .

الكويكر : أخشى أن تكون مسرفا فى الطيبة . لقد نبهتك الى أن تأخذ حذرك من ذلك . فان الناس صنفان : شهداء وجلادون . وستظل أنت دائما شهيدا للجميع ، كأم هذه الطفلة !

شاترتون (بحماسة) : ان طيبة المرء لن تجعله ضحية الآخرين الا الى الأمد الذى يريد ، فخلاص المرء فى يده .

الكويكر : ماذا تعنى ؟

شاترتون (وهو يقبل راحيل ويقول فى أرق صوت) : أتريد أن تروع هذه الطفلة ؟ وعلى مسمع من أمها ؟

الكويكر : امها لن تسمع ، فان صوتا اقل رقة من صوتك يقرع أذنيها . هذه ثالثة مرة يلتمسها ..

شاترتون : انك تلومنى دائما ، فهلا قلت لى فيم لا يسلس المرء قياده لنفسه ، ما دام واثقا من ترك المباراة حين يدركه السأم ؟ أما أنا فقد عزمت على الا أتقنع وانما أن أكون أنا نفسى حتى النهاية ، أن أصغى فى كل شىء الى قلبى ، وأن أذعن لمصيرى فأتمه على خير وجه . وفيم تكلف الصرامة اذا كان المرء سمحا ؟ لو قد تكلفت غير خلقى لراى الناس بسمة رثاء تحت صرامتى المصطنعة ، ولما ظفرت بقناع غير شفاف . انى أرى الناس يخدعوننى من كل صوب ، ولكنى أستسلم لخداعهم ، احتقارا لنفسى وسآمة من الدفاع . انى لاحسد بعض الناس على ما يجدون من اللذة فى الانتصار على بكيدهم الخسيس ؛ ولكنى أراهم من بعيد يمدون خيوط الشرك ولا انحنى لأقطع خيطا واحدا ، فقد أصبحت لا ابالى بحياتى . وحسبى مع ذلك ضعتهم ثأرا لى ، فهى تسمو بى فى نظر نفسى ، ويبدو لى أن عناية الله لن تدع مثل هذه الحال تتصل طويلا . أفلم تكن لمشيئة الله غاية من خلقى ؟

الكويكر : لقد قتل فيك اتصال الأحلام نزعة الكفاح .

شاترتون : وهل فى ذلك من بأس اذا كان محصول ساعة من احلامى أكبر من محصول عشرين يوما من كد سواى ؟ ومن يستطيع أن يقضى بينهم وبينى ؟ أو لا يوجد للانسان الا العمل البدنى ؟ وعمل الرأس ، أليس خليقا بشىء من العطف ؟ سبحان الله ! هل علم الأرقام هو العلم العقلى الوحيد ؟

الكويكر : انى لا ألومك يا ولدى ، ولكنى أرثى لك .

شاترتون : أيها الكويكر الصالح ، أتشفقون فى جماعتكم — جماعة الاخوة الروحية — على من تعذبهم عاطفة الفكر ؟

اظن ذلك ؛ فانى أراك سمحا ترق لى بينما يقسو على الجميع ، وهذا يهدىء من روعى بعض الشىء . الحق انى منــذ ثلاثة أشهر أكاد أكون سعيدا فى هذا البيت ، فما من أحد هنــا يعرف اسمى ، أو يحدثنى عن نفسى ، وانى لأرى على ركبتى أطفالا وضيئى الوجوه ..

الكويكر : انى أحبك ، أيها الصــديق ، لجدك . فمثلك خليق باجتماعاتنا الروحية . وأحبــك لأنى أظن أن الناس جميعا يكرهونك . فان نفسا حالمة لعالة على أولئك المتعطلين المضطربين الذين يملأون الأرض ، وان الخيال والتأمل لعلتان لا يشفق على المريض بهما أحد !

شاترتون : ومع ذلك ، أفليس لى بعض الحق فى أن يحبنى اخوتى ، أنا الذى أعمل من أجلهم ليلا ونهارا ؛ **أنا الذى أنقب فى عنــاء ومشقة بين الآثار القومية عن بعض أزهار الشــعر لأستخرج لهم منها أريجا باقيا** ؟ آه لو تعرف ماذا أعمل .. لقــد جعلت من غرفتى صومعة ؛ وقدست حيــاتى وفكرى ؛ وانميت الســذاجة فى قلبى ؛ وتعلمت لغــة العصور القديمة الســاذجة .. بيد أنى لا أستطيع أن أزاول غير الكتابة . لقد حاولت أن أكون طوع كل شىء . وحدثونى عن الأشــــغال العمليــة ، فزاولتها ، غير أنى لم أستطع أن أؤديها . ليغفر الناس لله انه خلقنى هكذا !

الكويكر : والآن ماذا تعمل ؟

شاترتون : ليت شعرى !.. انى أكتب . ولماذا ! لست أدرى .. وانما ينبغى أن أكتب .

الكويكر : انه مرض عضال !

شاترتون : مرضى أنا ؟

الكويكر : لا . مرض البشرية .

شاترتون : « راحيل » ؟ أين « ماما » ؟

الكويكر (ينهض) : اتود أن تخرج معى ؟
شاترتون مناديا : راحيل !
الكويكر : الا تسمع رب البيت يثور ويرعد ؟
جون بل (فى الخارج) : . . لا لا يا سيدتى !
الكويكر : ان عينيك محمرتان ، فعليك بالهواء الطلق ، تعال ، فالصبح الرطيب خليق بأن يذهب عنك حرقة الليل .
شاترتون : ان تلك الزوجة الشابة لشقية حقا .
الكويكر : ذلك لا يعنينا . واود الا يكون احد هنا حين تأتى . فان هناك شئونا داخلية لا ينبغى ان يظهر المرء انه لاحظها . لنخرج . ها هى ذى .

وتدخل « كيتى » الرقيقة وراء زوجها المتجبر ، وهى تبكى وتستغفره .

كيتى بل : ناشدتك ألا تسألنى اين هذه النقود القليلة . وما قيمة ستة جنيهات لديك ؟ قدر يا سيدى أنى كنت أستطيع أن أخفى الأمر عليك بتمويه الأرقام . ولكنى لن أقترف الكذب حتى ولو كانت فيه سلامة ولدى الاثنين ، وانما قد آثرت أن أستأذنك فى الصمت ، اذ لا أستطيع ان اقول لك الصدق ولا الكذب من غير أن أرتكب اثما .
جون بل : منذ أن تزوجنا لم تعاندينى مثل هذا العناد !
كيتى بل : ينبغى اذن أن يكون سبب العناد مقدسا .
جون بل : أو آثما يا سيدتى .
كيتى بل (فى غضب) : الا تصدق ما اقول ؟
جول بل : انى حيث أرى سرا ، أرى خطيئة !
كيتى بل : فان لم تجد الا احسانا ؟ كم يكون ندمك !
جون بل : ان كان احسانا ، ففيم اخفاؤه عنى ؟
كيتى : لأن قلبك قد تقسى يا جون ، ولو كنت اطعتك لمنعتنى من أن أطيع قلبى . ومع ذلك ، فمن يمنح الفقير فانما يقرض الله !

جون : كان خيرا لك أن تقرضى بأرباح على رهائن مضمونة .

كيتى : ليغفر الله لك عواطفك وأقوالك .

جون : ولكنك لم تخبئى عنى حتى الآن شيئا .

كيتى : كثيرا ما يعلمنا الخوف أن نكذب .

جون : اذن فأنت تعرفين أن تصطنعى أكذوبة ؟

كيتى : لو كنت أعرف ذلك ، هل كنت ناشدتك ألا تسألنى عن الأمر ؟ انك قاض عديم الرحمة .

جون : عديم الرحمة ! سوف تقدمين لى حسابا عن تلك النقود .

كيتى : طيبه . أمهلنى لذلك الى غد .

جون : ليكن ؛ فالى غد لن أحدثك فى هذا الأمر .

— ٢ —

• وفى الفصل الثانى مشـــهد رائع بين الشيخ الحكيم وربة البيت الوديعة ، مشهد تتجلى فيه آية من النبل المؤثر :

الكويكر : انك معذورة يا كيتى !

كيتى بل : حقا .

الكويكر : وأنا أيضا .

كيتى : أنت أيضا ؟ أنت القوى الذى ما رأيتك يوما تتأثر لشىء !.. رباه ! ما هذا الذى لا أفهمه ؟ لقد خدعنا ذلك الفتى جميعا ؛ دلف الى هنا كفقير مع أنه غنى . فماذا أراد من اثارة عطفنا عليه ؟ ولكنه يبدو صادقا فيما يقول ، ويبدو عليه أنه بائس حقا .

الكويكر : من الخير أن يموت هذا الفتى .

كيتى : يموت ! لماذا ؟

الكويكر : لأن الموت خير من الجنون .

كيتى : أفتعتقد ؟

الكويكر : أعتقد أن أقوى عقل لن يستطيع أن يثبت لما يعانى هذا الفتى من شقاء . ينبغى أن أقول لك رأيى كله يا « كيتى بل » . ليس فى السماء ملاك أنقى منك . ومع ذلك فقد فعلت ، بلا قصد ، كثيرا من الشر فيما حولك .

كيتى : يا قوى السماء ! أذلك مستطاع ؟

الكويكر : أما كيف يصـــدر الشر عن الخير ، فهـذا ما لا تفهمين ، أليس كذلك ؟ اذن فاعلمى يا ابنتى العزيزة أن نظرة منك أوحتها اليك فضيلة الرحمـــة المقدسة قد كانت كافية لذلك . فان هذا الفتى الذى نضجت نفسه على الفور فى جذوة الشعر ، ما زال يحتفظ بقلب طفل ساذج . لقد فقد أسرته ، وهو يبحث ــ من غير أن يعترف لنفسه ــ عن أسرة . لقــد اعتاد العيش بالقرب منك ، ولعــله اعتاد أن يستلهم مرآك وجمال أمومتك . وليست خطيئة تقترفينها أنت ان كان يرى السعادة ، بعد أن نبذه الجميع ، فى لقاء حار ، حفى ، ولكن حياة الائتناس الصامتة العميقة قد أصبحت حياته على كل حال . فهل ترين من حقك أن تحرميه ذلك العيش ؟

كيتى : واحسرتاه ! أفتعتقد انه لم يخدعنا ؟

الكويكر : لقد سبرت أغوار شقائه . وانه لعميق .

كيتى : آه ! اذن لا تغضب ان عرفت ما فعلت وما هممت بأن أفعل .

الكويكر : بل انى لأريد أن أعرف ذلك .

كيتى : لقد أخفيت عن زوجى أمر مبلغ من المال أعطيته لـ « شاترتون » ولم أتسلمه حتى الآن . وقد لاحظ زوجى الأمر . ولعلى كنت فى هذه اللحظة معتزمة أن أصارح الفتى

بالأمر . فأشكرك لأنك أنقذتني من ارتكاب ذنب ! نعم ، فانها لجريمة تلك التى كنت مقدمة عليها ، أليس كذلك ؟

الكويكر : لو قد فعلت ، لآثر هو أن يجرم على ألا يرضيك . لا شك فى ذلك ، فانى أعرف كبرياءه . لنرفق به يا صاحبتى ولنراع نفسه . فانه مصاب بداء نفسى عضال يستولى بوجه خاص على نفوس الشباب المضطرمة ، الجديدة على الحياة ، المفتونة بحب العدل والجمال ، والتى نزلت الى الدنيا لكى تلتقى فى كل خطوة بكل جور وبكل قبح يطويه مجتمع فاسد الأركان . هـذا الداء هو بغض الحياة وحب الموت ، هو الانتحار العنيد .

كيتى : أوه ! ليغفر له الله !... أواثق أنت من ذلك ؟ قل لى الحقيقة ! قل لى كل شىء ! ما أريد أن يموت !.. ماذا فعل ؟ وماذا يريد ؟ فتى فى هذا الشباب ! روح سماوية ! نبل الملائكة وبراءة الأطفال ! روح ناصعة النقاء ! أينزل الى ارتكاب أنكر الآثام ، الى اقتراف هذا الاثم الذى قد يتردد الرحمن فى أن يغفره له ! لا ، فان ذلك لن يكون ، لن يقتل نفسه . الى م حاجته ؟ الى نقود ؟ سأحصل على نقود . خذ ، هذه جواهر لم أحفل يوما بأن أتحلى بها ، خذها وبعها كلها . أيقتل نفسه ! هنا ، أمامى وأمام ولدى !.. بع جواهرى بع . وسأقول ما أستطيع . سأبدأ التخفى من جديد ، وفى آخر الأمر سوف أرتكب جريمتى أنا أيضا ؛ سأكذب : هذا كل ما فى الأمر .

الكويكر : يديك ! هات يديك يا ابنتى أقدسهما ! (**يقبل يديها ويسترسل**) خطاياك بريئة . وسوف تبسط أخواتك القديسـات نقبهن لكى يسترن أكذوبتك ؛ ولـكن احفظى جواهرك ، فلن تجدى محاولاتى شيئا اذا أنا جاهدت خطيئته الوحيدة ، رذيلته تلك التى تكاد تكون فضيلة : كبرياء الفقر !

كيتى : ولكن ، ألم يتحدث عن رسالة لعـله كتبها الى امرىء ينتظر منه الاعانة ؟

الكويكر : آه ! هذا صحيح ! لقـد غاب ذلك عن عقلى ؛ ولكن قلبك قد سمع . نعم ، ها هى ذى مرساة من الرحمة ، سأعتمد عليها معه .

وتنسدل ستارة الفصل الثانى ، ونحن نتطلع الى سر تلك الرسالة ـ خيط الرجاء الغامض الذى تعلق به البطلان الشقيان .

— ٣ —

ه والفصل الثالث عامر بالأحداث ، يفتتحه شاترتون وقـد جلس على حافة سريره الاشعث ، فى غرفته المعتمة ، يحاسب نفسه :

شاترتون : انها لا تحبنى .. وانا .. لا أريد أن أفكر فى هذا الأمر منذ اليوم .. ان يدى مثلجتان ، ورأسى يحترق . وهأنذا وحيـد أجابه عملى .. ينبغى الآن أن تكون ارادتى قوية تقبض على نفسى وتزج بها فى جثث الشخصيات التى أدعوها لأبعثها ، وفى أشباح أولئك الذين ابتكرهم . **(تدق الساعة)** الساعة تنذرك ؛ اشتغل أيها الشقى ! انك تضيع الوقت فى التفكير . ليس لك أن تفكر الا فكرة واحدة ، وهى انك فقير . فكل دقيقة تجمع فيها حواسك انما هى سرقة ترتكبها ، ودقيقة مجدبة .. لا تفكر ، وانما اكتب ! فان الكلام هو المربح . رب لفظة تقدر بشلن ! أما الفكر فلا قيمة له فى هـذه السوق . أوه ! دعنى ، دعنى أيها اليأس المثـلوج ! ويا ازدراء النفس لا تجهز على الآن ! عنى ، عنى ! فالآن قد عرفوا اسمى ومحل اقامتى . وان لم أنجز هذا الكتاب غدا فقد هلكت ! نعم لسوف يقبضون على ، وأحاكم ، وأدان ،

وألقى فى السجن ! (١) يا للعار ! أكتب اذن أيها الشقى ، أهب اذن بعزيمتك !.. ما بالها ضعيفة فاترة ! هل يشلك أيتها النفس الكبيرة هذا الضباب اليائس الذى يتسرب الى هذه الغرفة المتصدعة ؟ يا للضباب الكثيف ! انه ممتد خارج نافذتي كأنه الستار الأبيض ، أو كأنه الكفن .. لقد كان كذلك ممتدا عند نافذة أبي ليلة موته . **(تدق الساعة)** آه ! لقد ضاق وقتي ؛ ولم أكتب شيئا ! ما هذا الذى كتبت ؟ « هارولد !.. » ومالى بحقك وما لهارولد ؟ بل أكتب ، أكتب بسرعة !.. أكتب لتعيش !.. يا للعذاب !.. وجدير بك أن تكتب فى هذا الضباب الذى استقر على نافذتك كما استقر على نافذة أبيك ! **(يتناول صورة أبيه)** .. هذه صورتك يا أبى ! هذا أنت أيها الملاح الشيخ الكريم !.. أترى ، أترى هذا الورق الأبيض ؟ انه أن لم يصبح مكتوبا ، فسأمضى الى السجن يا أبى ، وليس فى رأسي الآن لفظ أسود به هذا الورق ، لأنى جائع .. انى أنا الذى أخطأت اذ اعتقدت أنى شاعر . نعم ، ولكنى أقسم لك أن اسمى لن يذهب الى السجن . أنظر ، هو ذا محلول من الأفيون . فان تضورت من الجوع ، فلن آكل ، وانما سأشرب .

ويدخل فى تلك اللحظة « الكويكر » ، يحدوه القلق على شاترتون ، فيرى القنينة امامه ويفحصها .

الكويكر : انى أعرف هذا الشراب . ان فيه على الأقل ستين حبة من الأفيون . وذلك يمنحك اذا تجرعته شيئا من الهيام يروقك أول الأمر كشاعر ، ثم شيئا من الهذيان ، ثم رقادا ثقيلا لا يعقبه صحو .. هل مكثت وحدك وقتا طويلا يا « شاترتون » ؟

---

(١) كان القانون الانجليزى يومئذ يقضى بعقوبة الحبس لمن يتخلف عن سداد ديونه .

شاترتون : وان أردت أن أمكث وحدى الى الأبد ، أفليس لى الحق فى ذلك ؟

الكويكر : من الجبن أن تمضى — خوفا من القدر — فنختبىء فى حفرة تحت حجر غليظ .

شاترتون : أفتعرف كثيرا من الجبناء قتلوا أنفسهم ؟

الكويكر : لن أعارضك .. ولكن قد بدا لى هذا الصباح أنك كنت تأمل شيئا ما من رسالة كتبتها .

شاترتون : نعم ، كنت قد كتبت للعمدة ، لورد بكفورد ؛ وهو ممن عرفوا والدى معرفة حميمة .

الكويكر : لورد بكفورد من أشرف وأعلم رجال لندن . حسنا فعلت . ولكن لماذا عدلت عن رأيك !

شاترتون : فيم تريدنى على الهوان بلا جدوى ؟ اننى مضطر الى الخروج من الدنيا .

الكويكر : ليغفر لى المولى ما سأفعل . اصغ يا شاترتون ! انى شيخ مسن ، قد قضيت أيامى مع اخوتى فى التأمل والاحسان والصلاة . وسوف أقول لك ، بحق الله ، نبأ يقينا ، اذا قلته لك ألقيت — فى سبيل انقاذك — بقعة سوداء على شعرى الأبيض . شاترتون ! شاترتون ! تستطيع أن تزهق روحك ، ولكن ليس لك الحق فى ازهاق روحين . فان هناك نفسا قد تعلقت بنفسك . شاترتون ! شاترتون ! تستطيع أنت أن تشك فى الأبدية ؛ ولكنها هى لا تشك فيها ؛ وسوف يكون جزاؤك حسب شقائك وبأسك ، فلعلك أن ترجو الغفران ؛ وأما هى فقد كانت سعيدة وكانت تقية خالصة . أيها الفتى ، انى أسألك الرحمة ، من أجلها ، لأنها بمثابة ابنتى على هذه الأرض .

شاترتون : رباه !.. أبتاه ، ماذا تعنى ؟ أتكون اذن ..؟

الكويكر : لو أفضيت لها يوما بهذا السر أيها الشقى ،

فستصبح خائنا ، ولن تكون بك حاجة الى الانتحار ، فعندئذ انا الذى سأقتلك !

شاترتون : اذن فهى ..؟

الكويكر : نعم ، زوجة مضيفك ! أم الطفلين الوضيئين .

شاترتون : كيتى بل !

الكويكر : انها تحبك أيها الفتى . أتريد بعد ذلك أن تنتحر ؟

شاترتون : واحسرتاه ! أفلا أستطيع اذن أن أعيش ، ولا أن أموت ؟

الكويكر (بقوة) : ينبغى أن تعيش ، وأن تصمت ، وأن تدعو الله !

• ثم ننتقل الى قاعة الدار ، حيث نستقبل الوافدين من الخارج ، وأولهم اللورد الشاب « جورج تالبوت » .

جون بل : مرحبا بجناب اللورد تالبوت !

لورد تالبوت : أنت لم تخبرنى يا « جون بل » بهموم صديقى شاترتون وضائقته . فهل تعلم ــ وهل تعلم أنت أيها « الكويكر » الصالح ــ ما وقفت عليه الآن ؟ ان أشعار شاترتون الرائعة لم تمنحه قطعة من الخبز . وذلك طبعا لأنها شعر ، وشعر رائع .. ثم هناك رجل يدعى « سكيرنر » ..

جون بل : نعم أعرفه ، انه رجل غنى يملك عدة بيوت فى لندن .

لورد تالبوت : هذا الرجل المليونير يتعقب شاترتون لأن الفتى مدين له بايجار زهيد .. وكان شاترتون قد تعهد كتابة ، لكى يخرج من عنده ــ أوه ! لقد قرأت الورقة بنفسى ــ تعهد بأنه فى يوم ما (**وهذا اليوم يقترب**) سوف يدفع دينه !.. أما اذا مات قبل هذا التاريخ ، فانه يبيع لمدرسة الجراحة جثته لكى يوفى بالثمن دينه ؛ وقد اشترط

المليونير ذلك !

الكويكر : يا للبؤس ! يا للبؤس الفظيع !

لورد تالبوت : سوف أدفع كل شيء من غير أن يعلم ، انى أبغى راحته ، أفتفهمون ؟

الكويكر : وكبرياؤه ؟ ألم تقدر كبرياءه أيها الصديق ؟

لورد تالبوت : سيدى الكويكر ، اننى أعرفه من قبلك . واريد أن أقابله الآن .

ويلتقى الصديق الغنى المحسن ، بصديقه الشاعر العيوف :

لورد تالبوت : لقد اقبلت اليوم يا « توم » لكى أؤدى لك خدمة ، فهل تأذن لى ؟

شاترتون (فى وداعة الأطفال) : انى مذعن يا « جورج » الى كل ما يريده الناس . .

لورد تالبوت : فهل تورطت اذن مع « سكيرنر » الخبيث ؟ انه يريد القاء القبض عليك غداً .

شاترتون : لم أكن أعرف ذلك . ولكنه على حق .

لورد تالبوت : على حق ! ؟

شاترتون : على حق حسب القانون . فقد كان ينبغى امس أن أوفيه ما له على ، وذلك بثمن مخطوطة كنت قد بدأتها حين وقعت تعهدى ، فأما ان ألم بى الأسى ، ولم ينزل على الالهام فى ميقاته ، فذلك ما لا يعنيه . نعم ، ما كان يصح أن أعتمد على قواى الى هذا الحد ، وأن أوقت هبوط الهة الشعر وذهابها كما يقدر المتراهنون جرى الجواد فى حلبة السباق . لقد فرطت فى احترام نفسى الخالدة فأجرتها بالساعة وبعتها بالدراهم . انى انا المخطىء وانى لمستحق عواقب جريرتى .

لورد تالبوت : وهل اعتمدت حقا على « لورد بكفورد » ابن عمى ، انى لمندهش كيف لم تعتمد على أولا ؟

شاترتون : ان لورد بكفورد هو عمدة المدينة ، والعمدة فى نظرى هو الحكومة ، والحكومة هى الوطن يا سيدى اللورد ؛ فعلى بلادى أنا أعتمد .

ولا يلبث اللورد العمدة حتى يصل ، ويشترك فى الحديث :

لورد بكفورد : ها أنتم هؤلاء !

جون بل : يا سيدى العمدة ، انه لكرم من جنابك أن تتفضل بالحضور الى منزلى .

لورد بكفورد : جون بل ، ألا يقيم عندك شباب يدعى شاترتون ؟

شاترتون : هو أنا يا سيدى اللورد .

لورد بكفورد : آه ! أهو أنت يا عزيزى ؟ رحم الله أباك ، كان جنديا فقيرا ولكنه شق طريقه بشجاعة . أما أنت فقد جعلت تلهو بقرض الشعر يا صديقى الصغير ؛ وهذا خير اذا حدث مرة واحدة ، ولكن لا ينبغى أن يكرر المرء ذلك . لقد فعلت أنا مثلك فى شبابى ، فلم يعرف يوما « لتلتون » ولا سويفت » أن يكتب للحسان أرق ولا أظرف من أبياتى !

شاترتون : لا شك فى ذلك يا سيدى اللورد .

لورد بكفورد : ولكنى لم أكن أمنح ربات الشعر الا وقت الفراغ الضائع ، اذ كنت أعلم أن أجمل الهة شعر فى الدنيا كما قال « بن جونسون » ـ لا تستطيع أن تقوت رجلها ، وأن للمرء أن يتخذ هؤلاء الفتيات خليلات يلهو معهن ، لا زوجات يقترن بهن !

وينطلق اللورد الماجن ضاحكا ، مما يجافى ادب المجلس ، ورعبة الموقف ، ووقار الفتى الشاعر الذى يجاوبه بسخرية مريرة :

شاترتون : ما أصدق هذا القول يا سيدى اللورد ! فانى اليوم أرى ذلك .

لورد بكفورد : ان قصتك يا بنى هى قصة مئات الشبان .

انت لم تستطع أن تصنع غير أبياتك اللعينة ، فما نفعها من فضلك ؟ انى أكلمك كأب بر .. ما نفعها ؟ على المواطن الصالح ان يكون نافعا لبلاده . وعندى تعليمات فى شأنك .. بالصراحة .. و ..

لورد تالبوت : يا جناب اللورد ، أنه صديقى ، وانك لمحسن الى شخصى أن أحسنت معاملته ..

لورد بكفورد (يغير نغم الحديث) : أوه ! ايعنيك أمره يا جورج ؟ لسوف ترضى ، فقد فعلت من أجله شيئا ما . انها مائة جنيه فى السنة ، لا تتكلف الأنفة يا بنى ! وفيم ؟ .. لم يكن أبوك أخا الملك . انها بداية . وستكون معى حتى اراقبك عن كثب .

شاترتون : انى طوع أمرك بعد لحظة ، فان لدى بعض الأوراق أريد أن أحرقها .

لورد بكفورد : حسن ، حسن ! انه يتوب عن الشعر .

كيتى بل (على حدة) : لماذا يريد أن يمكث وحده ، يا الهى ؟

ويخلو الفتى الشاعر بنفسه ، وبخطاب تعيينه ، فنسمعه يقول :

شاترتون : عسير على أن أتمثل كيف يتغير مصيرى فجأة . ترى ما تكون تلك الوظيفة ؟ لأفض الغلاف . **(يصيح فى ازدراء)** وظيفة « حاجب أول » فى بيته ! خادم ! آه ! يا بلد اللعنة : يا أرض الحقارة ! لتنزل عليك اللعنة الى الأبد . ويأيتها النفس العزيزة ، لقد بعتك ، فلأفتدينك بهذا الشراب . **(يتجرع الأفيون)** الآن سأدفع دينى لسكيرنر .. وداعا أيها الهوان والعار ، وداعا أيها البؤس والشقاء وعناء القلب ! .. آه ، لو عرفوا هذا النعيم الذى ظفرت به الآن ، لما ترددوا مثل ما ترددت . أيها الموت ، يا ملاك الخلاص ، ما احلى سلامك ! أنظر الى ايها الملاك القاسى ، وامح من امامهم آثار خطاى على

الأرض ! .. (**يمزق أوراقه ويلقى بها فى النار**) هلمى أيتها الأفكار النبيلة التى كتبتها لأولئك الجاحدين . تطهرى فى جذوة النار واصعدى معى الى السماء .

وتلوح « كيتى » من بعيد ، مترددة الخطى ، ثم تقترب شيئا فشيئا :

كيتى (**لنفسها**) : ماذا يفعل ؟ ماذا يحرق ؟ هذه النار تخيفنى ، وان وجهه الذى يسطع عليه لهبها لوجه رهيب . (**لشاترتون**) أفلن تلحق بالسيد اللورد ؟

شاترتون : آه ! هذه أنت ياسيدتى ! رحمة بى ، انسينى !

كيتى : لماذا يا الهى ! ماذا فعلت ؟

شاترتون : انى راحل ! .. وداعا ! .. اسمعى : ينبغى ألا يخدعكن الشعراء ، انهم غير جديرين بالحب ، لأنهم قوم أنانيون . لا تقرأيهم ولا تنظرى اليهم ؛ واعلمى أنى قد كنت شر الشعراء جميعا !

كيتى : رباه ! لماذا تقول « قد كنت » ؟

شاترتون : لأنى لن أكون شاعرا بعد اليوم . وها أنت ذى ترين أنى مزقت كل شىء . وداعا ! .. اصغى الى : ان لك ابنة وضيئة ، هل تحبين ولديك ؟

كيتى : اكثر من حياتى .

شاترتون : أحبى اذن حياتك من أجل اللذين أعطيتهما الحياة .

كيتى : واحسرتاه ! فما أحبها الا من أجلهما .

شاترتون : أحبيهما يا سيدتى ، وحدهما ، وفوق كل شىء . عدينى بذلك !

كيتى : يا الهى ! ان عينيك تشرقان بالدموع .. وتبتسم ؟

شاترتون : وقى الله عينيك النجلاوين من البكاء ، وطبع على شفتيك ابتسامة دائمة ! آوه كيتى ! لا تدعى حزنا دخيلا يتسرب الى أسرتك الوادعة .

كيتى : واحسرتاه ! فهل نملك ذلك ؟

شاترتون : أجل اجل ! هناك أفكار بها يستطيع المرء أن يغلق قلبه . اسألى الكويكر ، يمددك ببعضها . أما أنا فقد ضاق وقتي ، دعيني أخرج .

كيتى : رباه ! كم تتألم !

شاترتون : بالعكس . لقد شفيت . رأسى فقط هو الذى يحترق . آه ! رحماك ! انك تؤلميننى أشد من تلك الآلام .. انهم ينتظرونك فوق . ماذا تفعلين هنا ؟

كيتى : ولو دعتنى الآن الأرض كلها ، انى لماكثة هنا .

شاترتون : اذهبى وسأتبعك حالا : وداعا وداعا !

كيتى : انك لا تريد أن تأتى .

شاترتون : سيدتى ان هـذا البيت ملكك . ولكن هذه الساعة ملكى أنا !

كيتى : فماذا تريد ان تفعل بها ؟

شاترتون : دعينى يا كيتى ...

كيتى : لن اعرف السعادة يوما ولا رآحة الضمير ان تركتك على هذه الحال .

شاترتون : هل اتيت لعقابى ؟ اى روح شرير ارسلك ؟

كيتى : خوف غامض .

شاترتون : سيروعك الخوف لو مكثت هنا .

كيتى : وهل انتويت شرا ؟ يا ربى !

شاترتون : أما أخبرتك بما فيه الكفاية ؟ .. كيف جئت الى هنا ؟

كيتى : وكيف لا أمكث ههنا ؟

شاترتون : ذلك لأنى أحبك ، يا كيتى ..

كيتى : آه ! .. ما دمت تقولها لى ، فلأنك تريد أن تموت !

شاترتون : من حقى أن أموت ..

كيتى : بل انها لجريمة منكرة ، لا ترتكبها !
شاترتون : لابد مما قدر على ..
كيتى : أنتظر يوما تفكر فيه فى روحك !
شاترتون : لقد فكرت يا كيتى فى كل شىء ..
كيتى : فانتظر ساعة واحدة تصلى فيها !
شاترتون : لا أريد أن أصلى الآن ..
كيتى : أسألك من أجلى أنا . فان موتك قاتلى !
شاترتون : لقد حذرتك ! لقد فات الأوان !
كيتى : وان كنت أحبك أنا ؟
شاترتون : لقد آنست ذلك ، ولذا فانى خيرا فعلت بموتى ! .. ومن أجل ذلك قد يغفر الله لى .
كيتى : ما الذى فعلت ؟
شاترتون : لقد فات الأوان يا كيتى . ان الذى يخاطبك ، ميت !
كيتى (مبتهلة) : يا قوى السماء ! ارحميه ، ارحميه !
شاترتون : اذهبى .. وداعا !
كيتى : لن أستطيع ..
شاترتون : صلى اذن من أجلى ، على الأرض وفى السماء .

ويقبل منها الجبين ، ويهرول على السلم صاعدا الى غرفته .. وتجد كيتى القنينة ، فتصيح مذعورة :

ــ يا الهى ! ما هذه القارورة ؟ اللهم اغفر لى !

ويهرع الكويكر ، فينهرها :

ــ ويحك ، ماذا تفعلين هنا ؟

اما هي فتستنجد به :

ــ أسرع يا سيدى ! أنقذه .. ان لم يكن قد فات الأوان !

فيصعد الشيخ السلم ، وهو ينهاها عن التقدم :

ــ مكانك يا ابنتى ! لا تتبعينى !

ونسمع من بعيد زفرات شاترتون يحتضر ، والكويكر يواسيه ويشجعه ، بينما تصعد كيتى درجات السلم فى عناء شديد وهى تئن . ثم ينطلق صوت « جون بل » المجلجل ينادى زوجته ، وإذ لا يجيبه يصعد درجتين ، فيراها ، ويتساءل :

ـ ماذا هى تفعل هنا ؟ وأين ذهب ذلك الفتى ؟

ثم يزمجر : « أحضروه ! » !

فيرد عليه الكويكر : بل قل « شيعوه » !

ـ فهل مات ؟

ـ نعم ، قضى نحبه فى الثامنة عشرة من عمره . لا تعجب ، لقد وجد من حسن استقبالكم ما دفعه الى الرحيل !

ـ ولكن ..

ـ حسبك ! رفقا يا سيدى بهذه المرأة . خذ الولدين وابتعد . أسرع لئلا يبصراها .

وتحتضر كيتى بين يدى الكويكر ، فقد شربت ما تبقى فى القنينة من السم . ويجثو الشيخ على ركبتيه ، رافعا عينيه نحو السماء يقول :

ـ يا رحمة الله ! تقبلى فى الفردوس هذين الشهيدين !

ويظل جاثيا حتى تهبط الستارة .

لكل مسرحية .. قصة

عزيزى القارىء ..

والآن ، وقد استمتعت ـ فيما أرجو ـ بقراءة هذه المسرحية الانسانية الرائعة للشاعر الفرنسى « ألفريد دى فينى » ، عن مأساة زميله الشاعر الانجليزى التعس « توماس تشاترتون » .. تعال نقرأ معا القصة التى وراء المسرحية .. قصة الغرام الذى ربط بين مؤلف المسرحية « فينى » ، وممثلة الدور النسائى فيها ، الفنانة الفرنسية الشهيرة « مارى دورفال » .. وقد روى قصة هذا

الغرام الكاتب الفرنسى « كامى ديتوش » فى كتاب له بعنوان : « الجلال والعبودية فى غراميات دى فينى » (١)

باريس .. ذات ليلة من خريف ١٨٢٩

• كانت حجرة « مارى دورفال » تزدحم بالمعجبين ، فى تلك الليلة من ليالى خريف سنة ١٨٢٩ ، فقد استطاعت الممثلة الفرنسية البارعة أن تخلب ألباب شباب علية القوم فى باريس .. لا لأنها كانت باهرة الجمال – فالحق أنهـا لم تكن نادرة الحسن – وانما كانت جياشة العواطف ، مشبوبة المشاعر ، بارعة فى تمثيلها ، لا تندمج فى دورها حتى تبكى النظارة !

وشق الزحـام كاتب فرنسـا الكبير « دوماس » ، وفى صحبته شـاب راح يتبعـه على استحياء .. وما ان رات « مارى » الكاتب الكبير – من وراء « البارافان » – حتى هتفت : « اهلا بك يا كلبى الطيب ! » .. ولكنها انتبهت فجأة الى الشـاب الذى كان يرافقه ، فأمسكت عما كانت تبغى قوله ، وصاحت : « لعمـرى !.. ها أنذا أخـيرا أعثر على رأس أحبـه ! » .. وحملقت فى الشاب لحظـة ، ثم أردفت لديماس : « عفوا ، ظننتك جئتنى بتمثال ، فاذا به سـيد حقيقى .. عفوا ، سأوافيكما بعد لحظة ! »

وسرعان ما وجد الشاعر الشـاب « الفريد دى فينى » أمامه امرأة ناضجة ، ليست بالفاتنة الوجه ، ولكنها خفيفة الدم ، خلابة الابتسـامة ، ذات نحر عريض ، وصدر ممتلىء .. ولسان زلق ، فقد بادرته قائلة : « أصحيح أنك الكونت الفريد دى فينى ؟ .. اذن فلسـنا بالصـديقين الحديثين ، فقـد صاحبتك فى أشعارك .. وكم بكيت وأنت تقول على لسان « اليوا » Eloa فى مقطوعتك عن « موسى » :

---

(1) Grandeur & Servitude Amoureuse de Vigny : Camille Destouches

« لكم جعلتنى يا رب قادرا ، متفردا ، فدعنى أنعم بنعاس اهل الارض ! »

الغرام « الثالث » فى حياته

• **وتضرج** وجه الشاعر الشاب .. وخفق قلبه اذ شعر أنها تردد شعره من أعماقها ، وأوشك دى فينى ان يهتف بها : « عجبا لك يا مارى !.. من تكونين ؟.. أهكذا أنت حقا على سجيتك ! » .. ولكنه أمسك ، اذ فطن الى الحضور ، فقد خشى أن توحى عباراته بأن الممثلة ـ التى كانت باريس بأسرها تهيم بها ـ قد فتنته ، وهو الذى لم يخفق فؤاده من قبل بغير غرامين : فلقد شغف يوما بالشاعرة الشابة « دلفين جاى » ، ولكنها لم تلبث أن تزوجت من « اميلان دى جيراردان » ـ مدير مجلة « لامود » ـ وتركته يطوى قلبه على جرح غائر .. ولكن الجرح لم يلبث أن اندمل بفعل الشباب وعواطف الشاعر وأحلامه ، فاذا القلب يصبو من جديد الى الهوى .. وفى هذه المرة ، أحب « ليديا » ، ابنة اللورد « بنبرى » الانجليزى .. وفى هذه المرة أيضا ، استطاع الزواج ان يوقعه فى شباكه ، فأصبحت « ليديا » كونتة دى فينى .. ولكن القدر لم يشأ للزواج والهوى أن يتعايشا معا ، فاذا الزوجة الشابة تقع صريعة مرض أبى أن يفارقها ، وألزمها الفراش ، فأخذ وجودها يتضاءل فى بيت زوجها وحياته ، حتى أصبح فؤاده يشعر بالخواء ..

كلتا التجربتين كانت أليمة .. فهل تراه يسمح لنفسه بالوقوع فى الهوى مرة ثالثة ؟.. وهوى من ؟.. هوى « مارى دورفال » ، معبودة باريس ؟

وشحب وجهه ، وراح يعتصر منديله فى حيرة ، بينما كانت « جورج صاند » تجاذب « مارى » أطراف الحديث ، و « دوماس » يعدها بالدور الأول فى مسرحية «انتونى» ، التى

كان يكتبها .. دور امرأة أرستقراطية ، تشغف بهوى رجل نكرة ، مجهول الأصل ، سيىء السيرة ، حتى اذا شعرت بأن زوجها يوشك أن يكشف أمرها ، آثرت الانتحار على الفضيحة !

وغاب « دى فينى » فى أفكاره المضطربة ، فلم يشعر بالحضور وهم ينصرفون تباعا . حتى سمع صوتها ــ أخيرا ــ يخرجه من غيبوبته ، فالتفت حوله ، ليرى أنهما وحيدان .. وكانت مارى تقول له : « أن فى قصتك (٥ مارس) موضوعا رائعا لمسرحية تظفر بكل نجاح .. وأعنى به موضوع غرام زوجة المارشال دانكر » .. وقبل أن ينتبه الى نفسه ، كان لسانه قد انطلق قائلا : « ما دمت ترين هذا ، فسأكتب لك المسرحية ! » .. ثم فطن الى قوله ، فهتف فى نفسه : «ويلى !.. هاقد ربطت نفسى بها .. وانى لمن الهالكين ولاريب!»

وأقبل فى تلك اللحظة أحد الصحفيين ، فأسرع « دى فينى » الى الانسحاب ، قائلا : « عفوا ، فان أمى تنتظرنى ! » . وكان عذرا كفيلا بأن يثير الضحك ، ولكن « ألفريد » لم يكن كاذبا .. فان مرض زوجته جعل أمه تسيطر على شئون بيته وحياته ، وان ظلت تقيم فى دارها الخاصة .. وكان يحرص دائما على أن يحييها قبل أن تأوى الى مضجعها ، وقد حانت ــ فى تلك الأثناء ــ ساعة نومها !

أول حب لها ، بعد أن هجرها زوجها !

◉ **وأخذ** الشاعر الشاب يتردد على المسرح كل ليلة ، وهو يشعر بأنه مشدود اليه بقوة خفية لا قبل له على مقاومتها .. وكان يقضى ــ بعد انتهاء التمثيل ــ ساعة أو ساعتين مع « مارى » فى حجرتها ، سعيدا بأن ينصت اليها وهى تحدثه عن ماضيها ، وكيف اندمجت فى الفن منذ حداثتها ، حتى انها قامت بدور ــ كراقصة باليه ــ فى « الناى السحرى » ، وهى

بعد فى الرابعة من عمرها .. كما اشتركت فى اوبرا « زواج فيجارو » وهى فى الرابعة عشرة !.. ومضى يروى له حياتها :
« ولا اكتمك اننى لم أحسن الغناء فى ذلك الدور . ولكنى اجدت التمثيل ايما اجادة .. حتى اذا بلغت السادسة عشرة ، تزوجت الممثل « آلان دورفال » . فانجبت منه ابنتى :
« جابرييل » و « لويز » .. **ولكنه اختفى من حياتى .. وبقدر ما أعرف الآن من رجال ، فلست انزلهم من نفسى أكثر من منزلة الأصدقاء .. أما قلبى ، فقد ظل خاويا ! »**
ولكن أصدقاءها لم يعودوا يرون قلبها خاويا .. ولا قلب « دى فينى » . فقد راحوا يرقبون تعلقها به . وغيرته عليها .. فقد أصبح يغار عليها من كل مخلوق !
ونبهته هذه الغيرة الى انه لم يقو على تفادى المصير الذى توقعه لنفسه ليلة لقائهما الأول .. نبهته الى انه قد أحبها ، وأوغل فى هذا الحب الذى كان يخشاه ويوجس منه .. حتى انه لم يتمالك ــ ذات ليلة ــ ان قال لها ، وهما وحيدان فى غرفتها بالمسرح : **« لكم تعذبيننى يا مارى ! . انك تضمين فى كيانك أكثر من امرأة ، وانى لأحبهن جميعا .. ولكنى ــ فى الوقت ذاته ــ أنفر منهن واوجس ! »** .
ولم تجب مارى ، بل رفعت اليه وجهها متطلعة اليه فى صمت ، وراحت تنتظر .. وشحب وجه ألفريد . وارتعدت فرائصه ، واتجه الى ركن من الحجرة تشاغل فيه عنها ، ليتحاشى الموقف .. وراح يقول لنفسه : « لا ، لن أضعف .. لا ينبغى أن أكون مجرد نزوة بين النزوات التى تحفل بها حياة هذه المرأة .. واذا لم يكن ثمة بد من أن أهواها ، فلأكن على حذر .. ولأعمل على تغييرها أولا ! »
وعندما قدمت اليه ذراعها ــ فى تلك الليلة ــ ليرافقها حتى باب بيتها الذى كان يبعد عن المسرح بحوالى ٢٠٠ متر فقط ،

هبط عليه وحي الشعر ، فأخذ يغمغم — في الطريق — بأبيات توافدت على خاطره ، لم تعرف طريقها الى النشر ، ولكنها وجدت مكتوبة بين أوراق ماري دورفال :

« دقت ساعة بالليل تعلن .. ان اليوم لفظ انفاسه اخيرا .. ومحا الظلام الهادىء آثار ضيائه وضوضائه .. واتشح مسرحك بالحداد عليهما ، فكانه قيثارة بلا اوتار .. نبذها امرؤ على عتبة الدار ! »

ولم تتمالك ماري نفسها ، فهتفت : « ان الهامك لا يقل نبلا عن دمائك يا شاعري ! » .. وداخلتها غبطة نشوانة ، فقد كان غيره من الشعراء ينظمون الشعر لتلقيه وتردده ، أما هذا الشاعر الشاب النبيل المحتد ، فكان ينظم الشعر من أجلها فقط ! واحست في أبياته بأن هواها قد ملكه اخيرا وسيطر عليـه !

تتحدى رجولته ، في صالون « جورج صاند » الأزرق !

● **وتوالت** الشهور ، وهما قانعان بغرام روحي .. أو — على الأصح — كان « دي فيني » وحده هو القانع بالرابطة الروحية .. أما « ماري دورفال » ، فكان لها موقف آخر ، لم تلبث أن كشفته : كانت قد وفقت ايما توفيق في دورها بمسرحية « انتوني » التي الفها « دوماس » ، والتي بدىء في عرضها في مسك ٣ مايو سنة ١٨٣١ . **وبلغ من توفيقها ان الموسيقي العبقري « فرانزليست » سألها ان تمثل المشهد الأخير في حفلة كان ينظمها ليمكن زميله « برليوز » من ان يتزوج وهو معدم لا يملك ثمن الفراش الذي يعده لعروسه ..**

وبعد انتهاء الحفلة ، صحب فريق من أهل الأدب والفن « جورج صاند » الى صالونها الأزرق .. وكان « دي فيني » يجلس بين « ليست » وكونته « داجو » الشقراء ، عندما

اندفعت « ماري دورفال » الى الصالون ، وهى لا تزال بثوب التمثيل الموشى بالماسات .

وصاحت **جورج صاند** : « لكم كنت رائعة !.. ما اجملك!»
.. فقالت ماري : « اما انني جميلة ، فلا . انني اخشى .. »
.. وقال أحد الحضور : « وما أبدع هـذه الماسات ! » . .
فهتفت : « أحسبك تريد ان تقول ما أدق زيفها. كل ما حولى زائف .. أليس كذلك يا شاعرى ، يا ابن الطبقة الراقية ؟ » .

وارتبك « ألفريد دى فينى » ازاء هـذا الهجـوم غير المرتقب ! .. **كان قد انقضى على تعارفهمـا عامان ، أصبح خلالهما يلاصقها كظلهـا ، ولكن علاقاتهمـا لم تتعد الرباط الروحي ، حتى انه لم يكد يبادلها القبلات خلال هذه المدة ..** فقد كان يخشى هذا الغرام ويوجس منه .. كان ما عرفه عن ماضيها ، وما قضت عليه من قلوب ، يجعـله غير مطمئن الى الانسياق لعاطفتها . كان الحب ــ عنده ــ يقتضى من المراة ان تتجرد من الشهوة ، وان تفيض على الحبيب حنـانا أمويا طاهرا ، كما فعلت « ايلوا » اذ نبذت السماء فى سبيل انقـاذ الملاك الخاطىء » فى قصته الشعرية « موسى » .

وفى غمرة الحرج الذى تولاه أمـام الحضور ، غمغـم فى ضراعة : **« حسبك يا ماري ! .. انني أحبك كل الحب ! »** .
ولكنها لم تحفل بتصريحه ، بل ثبتت يديها فى خاصرتيهـا ، وقالت بلهجة مسرحية : « ومتى يتكرم أهلك يا سيدى الكونت بالحضور ليخطبونى لك ؟! »

ووجد « ألفريد » فى أشد مأزق صادفه فى حياته .. وجد نفسه فى لحظة حاسمة ، فاما ربط حياته بحيـاة هذه المرأة الجريئة ، واما نبذها .. ولكن خوف الحرمان منها تغلب على

خوف الارتباط بها ، فاذا به ينهض وسط الحضور ، فيتناول يدها ، ويرفعها الى شفتيه . .

تطور الحب .. الي غايته المحتومة !

وانصرفا فى تلك الليلة معا ، وكأنهما عروسان ينطلقان فى شهر العسل ! . . وفى اليوم التالى ، كتب الشاعر فى مذكراته : ((**ان الحب يزداد عظمة وقوة بعد امتلاك الجسد ، اذا وجد الطموح الجامح الى الاستحواذ على كل ما لدى المرأة المختارة من افكار وآراء**)) !

واختارا للقاءاتهما مسكنا غير بعيد عن دار أمه ، فكان اذا غادر « مارى » سعى الى أمه ليقبلها قبل نومها ، ثم أوى الى داره ، فيقول لزوجته المعتلة : « لقد كنت عند أمى » . . وبذلك لم يكن بحاجة الى ان يكذب عليها !

ولكن « مارى » لم تقنع باستسلام الشاعر الشاب النبيل . . بل كانت لا تفتأ تشكو من ارتباطه بزوجته . وكانت تقول له : « سمعت أنك كنت مجنونا بزوجتك ! » . فكان يجيبها قائلا : « انني يا ملاكى اذ أعاشرها أشبه بمن يحاول أن يعزف على الحجر أنغام الكمان ! » . **واضطر الشاعر المفتون الى أن يخضع لرغبتها ، وان يطلع أمه ــ والملأ ــ على علاقته بها ! . . وكانت تلك أول لطمة لغرام الفريد ومارى . . فقد استنكر المجتمع ، وكثير من أصدقائهما ــ من أهل الأدب والفن ــ هذه العلاقة . .**

وكأنما شاء القدر أن يعلن بدوره استنكاره ، فاذا «مارى» تمنى بالفشل فى دورها فى « ماريون ديلورم » ، التى كتبها فيكتور هيجو . . وفى خوفها الجنونى من عاقبة هذا الفشل ، قامت بجولة فى أقاليم البلاد . . ولكنها لم تصب حظا كبيرا . . بل انها تعرضت لشواظ من غيرة دى فينى ، حتى انها قالت له يوما ، وقد ضاقت بهذه الغيرة : « ليس فى وسع امرأة أن

تخـــدع النابغين ! » .. فما كان منـــه الا أن أجاب بمرارة :
« ولكن التاريخ يثبت خطأ هذا الزعم ، للأسف ! »

ثم أوعز اليها الطموح أن تصر على القيام بدور البطولة ، فى المسرحية التى كتبها دى فينى ، عن الشـــاعر الانجليزى « تشاترتون » .. ولكن الدور كان قد استهوى ممثلة أخرى ذات حظوة كبيرة ، هى « مدموازيل مارس » ، فساقت مدير « الكوميدى فرانســيز » ، وأحــد الوزراء الى « دى فينى » لاقناعه باعطائها الدور ، دون « مارى دورفال » ! .. **بل ان الملك ((لويس فيليب)) طلب أن يقدم اليه الفريد ، فلما مثل بين يديه ، فى حفلة ما ، قال له : ((سيسر الملكة ويسرنى أن نصفق لمدموازيل مارس فى مسرحيتك عن تشاترتون)) ..**

ولكن فتنة مارى كانت قد أعمت ألفريد عن كل اعتبار ، فأجاب : « ليأذن لى صاحب الجلالة بان أقول ان الدور كتب لمدام مارى دورفال خصيصا » !

النقاد يخيفونها من دور ((كيتى بيل)) فى ((تشاترتون))

◉ **واتجهت** المحاولات نحــو مارى .. وراح أصدقاؤها من النقاد يصارحونها بأنها لم تعد تصلح لتمثيل دور « كيتى بيل » حبيبة « تشاترتون » ، التى لا تكاد تكتشف أنه انتحر ـ على ما رأينا فى تلخيص المسرحيـــة فى الصفحات السابقـــة ـ حتى تلحق به ، وتهوى ميتة .. وذهبوا فى الصراحة الى درجة اطلاعها على الفرق بين تهالك فتاة شابة ، غضـــة الاهاب .. وتهالك امرأة كبرت فى السن وترهلت فثقلت حركاتهـــا .. ولكنها تشبثت بالدور فى عناد .

وفى ١٢ فبراير بسنة ١٨٣٥ ، اقيمت حفـلة الافتتـــاح للمسرحية .. وشغل الملك وحاشيته الصفوف الأربعة الأولى من مقصورات المسرح .. وعندما آن للبطلة أن تهوى اذ رأت جثة حبيبها المنتحر ، على درجات السلم ، تهالكت فى رفق ،

ثم انزلقت علي الدرجات . . حتى اذا بلغت نهايتها ، اختلجت بحركة راقصة بقيت لهـا من بقية « الباليـه » الذي كانت تجيده ، **فهتف الملك : ((آه .. لقد سقطت كحمامة أردتهـا رصاصة صائبة !)) . وتناول باقة ورد كانت مع الملكة ، ورمى بها ((ماري دورفال)) !**

وظلت تؤدي الدور ١٠٣ مرات ، ثم تركتـه لمدموازيل مارس ، وقامت بعدة جولات تمثيلية فى الأقاليم . .

نهاية حب .. ثم نهاية حياة !

● **وجاءت** الضربة القاضية لغرام «ماري» و «دي فيني» فى ٧ اغسطس سنة ١٨٣٩ ، عندما توفيت أم الشاعر الشاب . . فقد كان شديد التعلق بأمه ، الى درجة جعلت وفاتها تهز كيانه ، بل تحطم نفسه ، فاذا به يعزف عن كل شيء ــ حتى عن هواه ــ ليجتر حزنه ، وينصرف الى نظم أشعار قاتمة .

وانصرف عن ماري ، أو ــ بالأحرى ــ « انتزعه الحزن منها » ، كما عبرت هي . . وسار كل فى طريقه . . فأخذ هو يصعد درجات المجد فى ميدانه ، بينما كانت هي تنحدر فى فنها . .

وبينما كان جالسا بين المعجبين به فى صبيحـة ٢٠ مايو سنة ١٨٤٩ ــ وكان قد بلغ الثانية والخمسين ــ وقع بصره على نبأ وفاة ((ماري دورفال)) ، فى ركن من احدى الصحف . .

وتحركت فى صدره العاطفة التى كانت قد خمـدت قبل عشر سـنوات . . فاذا به يسعى فى اليوم التـالي الى مقبرة (مونبارناس) ، حيث عثر على قبرها تحت فيض من الزهور . وعلى الصليب الذى كان يعلوه ، قرأ هذه العبـارة : **((ماري دورفال ــ ماتت حزنا))**

وانصرف وهو يردد أبياتا باكية كان قد نظمها فى شبابه .

.. ولأول مرة لم يزر ــ فى ذلك اليوم ــ قبر امه !



Une Etrange Jeune Fille (par: Roger Régis)

تلخيص : ماهر مينا

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى أعداد سابقة من كتـــابى ، ست حلقات من هـــذه السلسلة التى توفر على التأليف فيهـــا الكاتب والمحقق الفرنسى « روجيه ريجى » ، وجعل لها عنوانا مشتركا لجميع حلقاتهـــا ، هو « نساء ومآس فى ساحة العدالة» .. وهى مجموعة من المحاكمات التاريخية يجمع بينها قاسم مشترك واحد ، هو أن المجرم الحقيقى فى كل حلقة منها : امرأة ! .. وقد كتبها « روجيه ريجى » باسـلوب الاديب والمحلل النفســانى ، لا المحقق أو المؤرخ فحسب . وهكذا قرات فى العدد ٨٤ من (كتابى) مأساة « الغانية السمراء » ، وفى العدد ٨٥ : « الجثة الحائرة »وفى العدد ٨٨ : «العشق الحرام» وفى العدد ٨٩ : « الغانية الخطرة » ، وفى العدد ٩٠ : « عجز الملك عن انقاذها » ، وفى العدد ٩١ : « أضله الهوى » .

واليوم أقدم لك فيما يلى حلقـــة جديدة من هذه السلسلة من المحاكمات التاريخية الانسانية الممتعة ، « بطلتها » ـ اذا جاز هذا الوصف ـ حسناء شاذة الاطوار ، مريضة النفس .. كما ستبدو لك من خلال الصفحات التالية :

لم يعبأ بنصيحة كازانوفا !

عند ما تقدمت السن ب « كازانوفا » ، عكف العاشق الكبير على تدوين مذكراته الغرامية الحافلة ، مضمنا اياها طائفة من النصائح والارشادات التى وجهها الى الرجال ، كى تعينهم على التغلب على « مكائد النساء » ! .. وقد تضمنت تلك النصائح ـ فيما تضمنت ـ تحذيرا للمحبين «الناشئين» من الفتيات « اليافعات » ، غير المجربات ، وتوصـــية شديدة بتجنب طريقهن ، والابتعاد عنهن جهد الطاقة !

على أنه يبدو أن بطل قصتنا هذه لم يعز نصيحة العاشق المجرب أدنى التفات ، **فاذا بعدم تبصره يودى به الى مأساة ،**

لطخت شرفه بالخزى والعار .. وسرعان ما تطورت الى قضية كان لها دوى كبير فى فرنسا منذ أكثر من قرن من الزمان !

ففى عام ١٨٣٤ ، كانت مدينة (سومور) ـ مثل معظم المدن الفرنسية الصغيرة فى ذلك الوقت ـ تنعم بالهدوء والسكينة ، وتنفر من كل ما من شأنه أن يعكر صفو حياتها الرتيبة .. وكان لوجود سلاح الفرسان فى المدينة أثره ـ مع ذلك ـ فى تمتعها بنوع من النشاط والحيوية ، اذ كثيرا ما كان الفرسان الشبان يسيرون فى شوارع المدينة بملابسهم الزاهية الألوان ، وقد تمنطقوا بسيوفهم البراقة فى زهو واعتداد ، مما كان يخطف أبصار الفتيات ويلهب مشاعرهن !

وكان يتولى قيادة سلاح الفرسان الفرنسى فى ذلك الوقت ضابط فى السادسة والأربعين من عمره ، وسيم القسمات ، تبدو على وجهه امارات النبل والحسب ، يدعى « البارون دى موريل » . وكان له تاريخ عسكرى مجيد ، فقد أظهر بطولة فى حروب الامبراطورية ، وشارك ـ بعد عودة الملكية ـ فى الحملة على أسبانيا ، مما جعله يتمتع بشهرة واسعة بين أقرانه من الضباط . **ومع أنه كان دائم الانصراف الى عمله ، معروفا بصرامته المتناهية فى كل ما يتعلق بصون النظام بين الوحدات الخاضعة لقيادته ، فقد كان رجلا اجتماعيا من الطراز الأول ، يحظى بحب المدنيين ، وثقة مرؤوسيه من العسكريين على السواء .** أما زوجته ، فكانت امرأة تناهز الأربعين ، تنحدر من أسرة طيبة ، لها جمال مهيب يجعلها تشبه ربات الأساطير القديمة فى جلالهن ، ومظهر الوقار والحكمة البادى عليهن !

المأساة تبدأ فى حفلة عشاء !

وكانت للزوجين « دى موريل » ابنة تدعى « مارى » ، توشك أن تبلغ السابعة عشرة ، وابن اسمه « روبرت » لم

يكن يجاوز السادسة من عمره .. وخلال أشهر الشتاء ، كانت « مدام دى موريل » تمكث مع ولديها فى (باريس) ، حيث حياة الاستقبالات والحفلات التى تفتقر اليها مدينة (سومور) الصغيرة فى ليالى الزمهرير القارسة . ولكن لم يكن يحل فصل الربيع ، حتى كانت الزوجة تلحق بزوجها فى (سومور) ، حيث كان يقيم فى منزل كبير ذى طابقين ، يقع على ضفاف نهر (اللوار) ..

.. وقد بدأت فصول المأساة فى احدى حفلات العشاء التى أقامها البارون دى موريل وزوجته. **وفى تلك الليلة وجهت الدعوة ، لأول مرة ، الى ضابط شاب كان البارون قد ظل يغلق بابه فى وجهه ، نظرا لما كان يلطخ اسمه من سمعة مشينة !** .. كان الشاب المذكور يدعى الفيكونت « اميل دى لارونسيير » ، وكان ينتمى الى أسرة عريقة من العسكريين ، حتى أن أباه كان واحدا من كبار الضباط الذين أبلوا أحسن بلاء فى حروب « نابليون » . وكان طبيعيا أن يسير الشاب على نهج والده ، وأن يتطلع الى تسجيل اعمال بطولية فى الميدان ، ولكن لما كانت فرنسا تعيش اذ ذاك فى فترة سلم ، فقد بدأت حياة الثكنات تبعث الملل فى نفس الشاب « اميل » ، وتدفعه الى الانغماس فى اللهو ، والمقامرة ، ومعاشرة النساء !

على أنه ما من حدث يمكن أن يخفى أمره على فضول الناس ، ومن ثم ، فحين أقبل ضابط الفرسان الى مدينة (سومور) ـ قبل ذلك التاريخ بنحو عامين ـ كانت سمعته المزرية قد سبقته اليها ، **ولا سيما انه استباح لنفسه ان يصطحب معه خليلة تدعى « ميلانى » ، وأن يأويها معه تحت سقف واحد ، غير عابىء بما قد تثيره فعلته من اقاويل وامتعاض بين اهالى المدينة الوادعة !**

وكان لا بد لشاب يعيش على الملأ مع عشيقة له ، أن يبعث مسلكه على استنكار رؤسائه ونقمتهم . وحين أفهموه

ذلك ، أبى فى أول الأمر أن يصغى اليهم ، ولكنه ما لبث فى النهاية أن اذعن لفـراق حبيبته ، فعادت الى باريس ، مكتفية بالتردد عليه بين الحين والحين ، لقضاء بضعة أيام معه .

تقع فى هواه ، رغم سمعته المشينة !

واذ انقذ الشاب المظاهر ، عادت الأبواب المغلقـة تفتح فى وجهه مرة اخرى ، وعندئذ قرر الجنرال « موريل » أن يدعو مرؤوسه الى حضور مأدبة العشاء التى كان سيقيمها فى داره فى ذلك المساء . . وشاءت المصادفات أن يكون مجلس ابنته الآنسة « دى موريل » ــ التى كانت تظهر فى المجتمعات ليلتئذ لأول مرة ــ بجوار الفتى « اميل دى لا رونسيير » . . **وفى الحال ، راحت الفتاة تبدى اهتماما ظاهرا بجارها الشاب الذى اوتى ــ رغم انفه الممدود وعنقه القصير ــ طلعـة تفيض بالبهجة والسحر ، وصوتا عذبا رقيقا ، ولفتات اشبه بلفتات النساء !** . . على أن أشـد ما اجتذب الفتـاة اليه انما كان سمعته كشاب عابث اشتهر بمغامراته النسائية ، وغرامياته الفاضحة ، وديونه فى المقامرة . . فاذا هى تعجب به وتميل اليه ، دون سائر الضباط الآخرين الجالسين حول المائدة ، الذين كانوا ــ على العكس ــ شديدى الحرص على الظهور بمسلك قويم ، لا غبار عليه !

ومن هنـــا ، ما ان بدأ الحاضرون يتجاذبون أطراف الحديث ، حتى مضت الفتاة ــ « مارى » ــ تتحدث الى جارها بصوت هامس . . ولم تكن عباراتها فى بادىء الأمر تتعـدى بضـع كلمات مألوفة ، وخواطر عادية ، وأسـئلة لا أهمية لها . وكان « لارونسيير » يجاوبها فى أدب جم ، ولكن فى اقتضاب ظاهر ! . . كان ــ على ما يبدو ــ لا يظهر اكتراثا بحديث الفتاة ، ولا بالفتـــاة ذاتها ، رغم أنها بدت أشـد ما تكون فتنة واغراء ! . . ومن ثم راحت « مارى »

تعاود الكرة ، مستميتة فى محاولة الاستئثار باهتمام الشاب ، أو ــ فى القليل ــ لفت نظره اليها .. ولكنه ظل على اعراضه عنها ، منصرفا الى التحديق فى والدتها « مدام دى موريل » ، ربة الدار ، التى كانت تجلس ــ فى هيبــــة امرأة الأربعــين ووقارها ــ قبالة زوجها ..

تدبر له المكائد .. لاعراضه عنها !

وما أن انصرف المدعوون ، وانفردت « مارى » بوالديها ، حتى تجهم وجهها ، ولاح عليهــا الاكتئاب . واذ سألاها عن سبب ما ينتابها من حزن ، أجابتهما بقولها :

ــ اننى أريد أن اشكو لكما السيد ((دى لارونسيير)) .

ولما أبديا دهشتهما لقولها ، استطردت تقول : ((**انه لم يحترمنى ! أجل ، فقد قال لى : ((ان لك يا آنسة والدة فاتنة ، ولا بد أنك تعسة اذ لا تشبهينها الا فى القليل !))** .

ولعل الجنرال قد ارتاب فى مزاعم ابنته ، اذ ما لبث أن طيب خاطرها مؤكدا لهــــا أنه حتى لو كان الشاب قد تفوه بتلك العبارات بالفعل ، فلا شك أنه كان يقولها على سبيل المزاح ، وهو أمر لا يجدر بها أن تعيره أدنى اهتمام !.. وعلى اثر ذلك طلبت اليها والدتها أن تعـود الى غرفتها بالطابق الثانى ، حيث كانت وصيفتها فى انتظارها لتساعدها على أن تخلع ثيابها وتأوى الى فراشها .

ولكن ، لم تكد تنقضى أيام قلائل ، حتى عثرت ((مدام دى موريل)) ــ فى مكان ظاهر فوق ((تسريحتها)) ــ على رسالة مجهولة ، أو أريد لها أن تبدو كذلك ، وقعت بحرف ((الراء)) .. وكانت الرسالة تتضمن اعترافا غراميا موجها الى والدة مارى ، على حين وصمت فيها الفتاة بأقذع التهم وأحطها !.. أما من هو الشخص المجهول الذى تجرأ على مكاشــفة امرأة محترمة بحبه ، والنيل من ابنتها الوديعــة

الطاهرة الذيل ، فلعل أول ما خطر ببال « مدام دى موريل »
فى هذا الصدد هو أن تلك الفعلة ما كان ليرتكبها سوى أحد
الخدم الذين طردوا من المنزل ، أو واحد من العسكريين
الذين أنزل بهم زوجها الجنرال عقابا .. ومن ثم رأت الزوجة
من الحكمة أن تحرق الرسالة ، ولا تفاتح زوجها فى أمرها !

الرسائل المجهولة تتوالى !

على أن ذلك التصرف الحكيم ما كان ليجدى والدة
« مارى » شيئا ، اذ سرعان ما راح وابل من الرسائل الجديدة
ـ التى ذيلت تارة بحرف « الراء » وتارة أخرى بتوقيع
« أ دى ر » ـ ينهال على منزل الجنرال .. وكانت كلها
تفيض بالسباب والشتائم ضد الفتاة ، وتحوى أدق أسرار
أسرتها ، وأخص ما يدور بين أفرادها من أمور !.. **وذهب
بعضها الى حد اتهام ضابط يدعى « ديستويى » بالسعى
للزواج من « مارى » ، بقصد الفوز بثروتها !..** وما لبث
رب الدار أن عثر على واحدة من تلك الرسائل ، فبادر الى
اطلاع زوجته عليها ، ولكنه لم يخرج من مناقشته معها
بنتيجة ما ، اذ أخفق كلاهما فى الاهتداء الى شخصية صاحب
الرسائل ، ومعرفة الغرض الذى قصد اليه من وراء ارسالها !

.. وفى تلك الأثناء ، التمس « ديستويى » ـ الذى جاء
ذكره فى الرسائل المجهولة ـ مقابلة سرية مع رئيسه
الجنرال !.. كان قد تلقى بدوره عددا من تلك الرسائل التى
صيغت بنفس الأسلوب ، وكتبت بنفس المداد ، وكانت
الرسائل تتضمن النيل منه هو الآخر !

واستبد الجزع بالجنرال ، وطرأ على ذهنه فى الحال أن
يخرج من ملفاته تقريرا كان « دى لا رونسيير » قد سلمه
اليه مؤخرا ، حتى يضاهى خطه بالخط الذى حررت به
الرسائل اللعينة . فقد خيل للجنرال ولمرؤوسه الشاكى أن

اليــد التى خطت الرســائل والتقرير واحدة ، وأن « دى لا رونسيير » كان ولا ريب هو كاتب الرسائل !

وكانت المحكمة تقضى باستدعاء الشاب موضع الاتهام ، وبحث الأمر معه فى صراحة تامة ، بيـد أن الجنرال خشى الفضيحة ، فقرر — من قبيل الانتقام — أن يغلق بابه فى وجه الضابط غير المرغوب فيه ! .. فانتهز فرصة حضور الشاب فى احدى المناسبات ، وابتدره بقوله : **« لأسباب شخصية ، آمرك يا سيدى بالانصراف فورا ، وعدم دخول هذا البيت مرة أخرى ! »**

وامتقع وجه « دى لا رونسيير » ، ولكنه سرعان ما حيا الجنرال التحية العسكرية ، ثم دار على عقبيه وغادر المكان دون أن ينبس بكلمة . ولعله حسب أن رئيسه قد فطن الى ما كان يبديه من اهتمام زائد بزوجته ، فعمد الى التصرف معه على هذا النحو !

المهزلة تدخل طورا خطيرا !

ولم يكد ينقضى يومان على تلك الأحـداث ، حتى بدأت الأمور تتفاقم بشكل خطير : فقد استيقظت وصيفة الآنسة « دى موريل » فى جوف الليل فجأة على صوت أنين واستغاثة منبعثين من مكان قريب !.. فهرولت الى الغرفة المجـاورة ودخلتها ، فألفت الفتاة ملقاة على الأرض ، وقد لف منديل حول عنقها ، بينما رفعت غلالة نومها الى أعلى فخـذيها ، كاشفة عن آثار دماء فوق جسدها البض !

وارتاعت الوصيفة ، وتملكها الجزع من الحالة التى رأت عليها مخـدومتها ، واذ سـألتها عن سر اصابتها ، تمتمت « مارى » بصوت واهن : **« لقد مررت الآن بلحظات رهيبة !.. أنظرى ، لقد تحطم زجاج النافذة .. فمنـذ هنيهة ، دفع**

رجل بذراعه من خلال هــذه الثغرة ، واذا به يدير مقبض النافذة ثم لا يلبث أن يقفز داخل الغرفة وينقض على ، وهو ينفث كلمات تفيض بالحقد والكراهية ، ثم راح يحــاول أن يزهق انفاسي بهذا المنديل . واذ آخفق فى محاولته ، أصابنى بمديته فى فخذى ، قائلا فى حنق ((حسبك هذا !)) . وسرعان ما ولى الأدبار من حيث اتى !))

ـ ولكن ألم تتعرفى على هذا الرجل ؟

ـ بلى .. انه السيد دى لا رونسيير !

ولكن على الرغم من تأوهات ((مارى)) ، فان حالتها لم تكن تنذر بأى خطر ، واستطاعت الوصيفة ان تنزع المنديل من حول عنقها فى يسر ظاهر ، على حين لم تخرج آثار الدماء عن كونهــا مجرد خدوش سطحية !.. ولما اقترحت عليها الوصــيفة أن توقظ الجنرال وزوجتــه كى يســتدعيا لها الطبيب ، اعترضت على ذلك اعتراضا شــديدا ، وسألتها فقط أن تقضى ما تبقى من الليل بجوارها .

وما أن أشرقت أشعة الصباح ، حتى علم والدا الفتــاة بأمر الاعتداء الغريب الذى وقع على ابنتهما اثنــاء الليل ، فهرعا اليها ليقفا منها على جلية الأمر ، وطلبا اليها أن تروى لهما تفاصيل ما حدث . على أن الخوف من الفضيحة جعلهما لا يفكران فى استدعاء أى طبيب ليقرر ما اذا كان المعتدى قد عبث بضحيته البريئة أم لا ، ومن ثم اتفقا فيما بينهما على تكتم ما وقع لابنتهما ، حتى تكشف لهما الأيام ما خفى عليهما من أمور !

يبارز غريمه .. رغم انفه !

وفى ذات اليوم الذى تعرضت فيه ((مارى)) للاعتداء ، تلقى الضابط ((ديستوبى)) رسالة جديدة ، أشــد قسوة

واستفزازا من سابقاتها ، وكانت ممهورة فى هذه المرة بتوقيع « اميل دى لارونسيير . . » . وكان مرسلها يقول فيها : **« انك لتعس جبان !. . ولو كنت غير ذلك ، لجئت — بعد كل هذه الرسائل التى بعثت بها اليك — لتطلب منازلتى . ولكنك ، بدلا من ذلك ، آثرت أن تشى بى لدى الجنرال ! »**

وبالرغم من الوعد الذى قطعه « ديستوبى » على نفسه أمام الجنرال بعــدم الاقدام على أى شىء قد يزيد الأمور تعقيدا ، أو يستثير فضول أهالى المدينة ، فقد تولاه هــذه المرة غضب عارم جعله يبادر بتكليف صديقه الملازم « امبير » بالذهاب لدعوة « لا رونسيير » الى منازلتــه !.. على أن اجراءات المبارزة ، وما تتطلبه من استعدادات ، استغرقت وقتا . وكان « لا رونسيير » فى تلك الأثناء يأوى فى مسكنه عشيقته « ميلانى » التى كانت قد أقبلت لقضاء بضعة أيام فى (سومور) . ولم تكن تساوره أية ريبة فى الأمر ، كما لم يتوقع زيارة أى شــاهد يدعوه الى تحديد مكان المبــارزة وزمانها !.. حقيقــة ان بعض زملائه فى الجيش كاشــفوه بمـــا يحوم حوله من اتهامات وأقاويل ، بيد أنه لم يصــدق كلمة واحدة مما ألقوه على مسامعه ، **بل أكد لهم انه بريء بنفسه عن اقتراف مثل تلك الأفعال المزرية ، وانه كان قانعا سعيدا بحياته مع خليلته ، وما كان ليفكر لحظة واحدة فى « مدام دى موريل » ، أو ابنتها ، أو فى الضابط « ديستوبى » !**

.. وما لبث « امبير » أن التقى بـ « لا رونسيير » ، واستطاع بعد لأى أن يحدد معه شروط المبارزة التى اتفقا على أن تكون بالسيف ، فى مكان بعيد ، على أن يرتدى الغريمان الملابس المدنية ، حتى لا يثيرا انتباه الفضوليين !

وما ان بزغت خيوط الفجر ، حتى وقف الرجلان وجهــا لوجه فى المكان المقرر .. ولكن « لا رونسيير » رأى — قبل أن يلتحم مع غريمه « ديستوبى » — أن ينفى مرة أخرى ماوجه

اليه من تهم ، فراح يؤكد له أنه لم يكن صاحب الرسائل المجهولة ، وانه لم يبعث قط بأية رسالة ، لا الى أسرة « موريل » ولا الى أى شخص آخر !.. على أن غريمه ـ الذى كان متعطشا الى النزال ـ لم يحر جوابا ، واصر على أن يمضى فى الشوط حتى نهايته !.. وسرعان ما بدأت المبارزة ، ولما كان « لا رونسيير » بارعا فى استخدام السيف ـ سيما وأن حياته الغرامية الحافلة جعلته يألف مجابهة مثل هذه المواقف ـ فقد استطاع ان يصيب خصمه بجرح عميق فى فخذه ، وضع حدا للمبارزة !

واذ انصرف أحد الأطباء الى العناية بالجريح ، دنا « لا رونسيير » من غريمه ، باسطا اليه يده ، ناشدا الصلح والوئام . لكن « دستويى » تجاهل اليد الممدودة اليه ، وهتف بغريمه : « **لن اقبل اى تصالح معك ما لم تعترف بجرمك .. فاذا ما اعترفت ـ فى خطاب موقع عليه منك ـ بأنك صاحب الرسائل اللعينة ، فاننى اعدك بشرفى أن أطوى هذا الاعتراف فى صدرى ، وان اهيل عليه تراب النسيان .** أما اذا رفضت ، فاننى سأحيط الجنرال علما بالأمر ، وهو سيبادر بعرضه على القضاء ، واذ ذاك ستطرد من الجيش ، وسط عاصفة من الخزى والفضيحة ! »

يعترف كذبا .. صونا لشرف أسرته !

وقضى « لا رونسيير » سحابة يومه تمزقه الحيرة ازاء ما يجب عليه أن يصنعه كى ينجو من المحنة القاسية التى حلت به .. واذا بفكرة لم يستطع لها دفعا تسيطر على كيانه وتطارد ذهنه فى اصرار ، فقد راح يتساءل عما عسى أن يقوله والده ـ ذلك البطل ذو الماضى العسكرى المجيد فى عهد الامبراطورية ـ حين يعلم بأمر الاتهامات التى لطخت شرف ولده ! .. **واذ ذاك استقر رأيه ، درءا للفضيحة ، وحرصا**

على شرف أسرته وسمعتها ، أن يكتب الاعتراف المطلوب ! ..
وما ان بعث بالرسالة الى « ديستويى » ، حتى قرر أن يبتعد عن المدينة بعض الوقت ، فالتمس من رؤسائه منحه أجازة ، واذ بادروا باجابتــه الى طلبــه ، أسرع بمغادرة (سومور) قاصدا الى (باريس) !

على أن رحيل « دى لا رونسيير » ما كان ليضع حدا للمأساة .. اذ لم تلبث الرسائل المجهولة أن راحت تنهال مرة أخرى على منزل الجنرال ، متضمنة تفاصيل دقيقــة عن حياة أسرة « موريل » الخاصة ، معلنة أن « مارى » قد سلب شرفها ، وانها باتت ملطخة بالعار !

ولم يحاول الجنرال أن يحقق الأمر هذه المرة ، فقــد تغلب الغضب فى نفسه على الخوف من الفضيحة ، فاذا به يقدم بلاغا ضد « لا رونسيير » ، متهما اياه بالشروع فى قتل ابنته !.. وسرعان ما القى القبض على الشاب ــ الذى كان يقيم لدى أحد أعمامه فى (باريس) ــ ثم أودع السجن ، دون أن يسمح له بأى اتصال بالخارج !

المتهم البرىء !

وواقع الأمر ، أن « لا رونسيير » لم تكن له يد مطلقا فى الأفعال التى اتهم باقترافها .. اما المذنب الحقيقى فقد كان « مارى دى موريل » ذاتها ، أو ــ كما قال فيما بعد أحد الأطباء الذين درسوا حالتها ــ « تلك الفتاة الهستيرية التى تسببت فى ادانة أحد الأبرياء ! »

ذلك أن « مارى » ــ وهى فتــاة رومانتيكية النزعة ، مشبوبة العواطف ــ كانت قد تدلهت فى حب الضابط الشاب منذ لقائهما الأول ، فحاولت على الفور أن تدفعه الى حبها أو ــ فى القليل ــ الى اشتهائها . ولكنها سرعان ما اصطدمت بفتوره نحوها وعدم اكتراثه بها ، فى الوقت الذى لحظت فيه

شدة اهتمامه بأمهـا ، بالاضافة الى أن الفتاة كانت تعلـم أيضا أنه يعيش مع عشيقة له فى (سومور) نفسها . واذ ذاك استحال حبها الى نوع من الحفيظة ، ثم الى حقـد دفين لاهوادة فيه !.. **فاقسمت أن تنتقم لنفسها ، نظرا لما تعرضت له من ازدراء مهين من جانب الحبيب الغافل ..** فلما عثرت على التقرير المبعوث منـه الى والدها الجنرال ، شرعت فى استخدامه لتقليد خط صـاحبه ، وطفقت توالى ارسال الخطـابات الزاخرة بالاهانات الى والديهـا تارة ، والى « ديستوبى » الذى راح يلاحقها بغرامه تارة أخرى ، واليها هى نفسـها تارة ثالثة !.. وكانت هى التى تتولى ايداع الرسائل الموجهـة الى أسرتها فى أماكن مختلفة بالمنزل ! .. أما فيما يتعلق بالاعتداء المزعوم الذى وقع عليها ليلا ، فقد اختلقته من أساسه ـ كما أنها رتبت مشاهده « وأخرجتها » بنفسـها على نحو لم يثر شكوك احد ! ـ فكان أن اتهم « لا رونسيير » بالشروع فى قتل الفتاة « البريئة » ، وألقى فى غياهب السجون ، تمهيدا لمحاكمته !

« كان أهون على أن تقطع يدى ! »

وحين نظرت القضية أمام محكمة جنـايات (السين) ، كانت ثمة موجة سخط عاتية ضد المتهم ، وشعور عام بالعطف والاشفاق على « المجنى عليها » التعسة !.. ولم يكن أهالى (سومور) هم وحـدهم الملمون بوقائع القضية ، وانما كان يلم بها أيضا حى (سان جرمان) الباريسى الأنيق الذى كانت « مدام دى موريل » تغشى مجتمعاته .. **ومن ثم فقد كانت القضية « باريسية » بالمعنى الصحيح ، شهدها جمهور من علية القوم راح يتابع تطوراتها ، ويترقب نتائجها ، فى لهفـة واهتمام ظاهرين !** .. وكان يرأس المحكمة مستشار يدعى « مسيو فيرى » ، اشتهر بنزاهته الفائقة فيما يصـدره من

أحكام ، بيد انه فى تلك القضية بالذات أبدى عجزه عن مقاومة التيار الجارف المناهض لـ « لا رونسيير » ، حتى لقد صرح غداة اصداره الحكم فى القضية بقوله : « كان أهون على أن تقطع يدى من أن أوقع هذا الحكم ! »

وقد بدأت المحاكمة باحضار « لا رونسيير » الى قاعة المحكمة ، وبعد تلاوة قرار الاتهام ، شرعت المحكمة فى استجوابه .. واذ شعر المتهم بأنه بات فى حل من كشف أمر الاقرار الذى وقعه على نفسه تحت ضغط الضابط « ديستوبى » ، **فاجأ المحكمة بانكار ما جاء فى اعترافه ، وراح يسوق تفاصيل دقيقة دامغة عن الكيفية التى أمضى بها وقته فى ليلة الحادث** ، نافيا عن نفسه نفيا قاطعا كلّ ما وجه اليه من تهم . ولما سئل عما اذا كان هو صاحب الرسائل المجهولة ، أبدى ملاحظة لم تخل من منطق سليم ، اذ أجاب قائلا :

ـ لو اننى اردت حقا كتابة مثل هذه الرسائل ، لما كنت من الغباء والغفلة بحيث اوقعها بالأحرف الأولى من اسمى !

واستدعى الشهود للادلاء بأقوالهم . فتقدم مهندس استعانت به المحكمة ، مؤكدا انه حتى لاعب السيرك ما كان ليستطيع لو تسلق واجهة المنزل أن يبلغ غرفة الفتاة التى تقع فى الطابق الثانى !.. ولما نودى على عامل الزجاج الذى قام باصلاح اللوح الزجاجى المهشم ، قرر أن اللوح قد هشم من داخل الحجرة وليس من خارجها ، وأن الفجوة كانت ضيقة للغاية بحيث لا تسمح مطلقا بمرور يد رجل تسعى لتحريك مقبض النافذة !.. ثم جاءت شهادة خبراء الخط ، وكانوا أربعة ، **فأجمعوا على أن الرسائل المجهولة لم تكتب بخط الضابط الشاب ، وانما بخط « الآنسة دى موريل » ذاتها ، وأن الفتاة قد استخدمت فيها ورق خطاباتها الخاص !**

وكانت أقوال الشهود وحدها قمينة بأن تؤدى الى انهيار

الاتهام ، ولكن كيف السبيل الى اقناع رأى عام ــ متحيز فى حكمه ــ بأن مثل تلك المكائد يمكن أن تصــدر عن « ملاك طاهر » ، وان هذا الملاك لم يكن ليتورع عن استخدام أقذع العبارات ، وأشدها بذاءة !! ومن ثم لم يؤمن الحاضرون فى المحكمة بما ورد فى أقوال الشهود ، بل انهم لم يكادوا يلتفتون الى شاهد جاء ليقرر أن المتهم ذهب ليلة الحادث لمشاهدة احدى المسرحيات ، وان الوقت ما كان ليتسع أمامه لتغيير ثيابه للشروع فى تسلق منزل دى موريل !

« الضحية » .. تتكلم !

● **وبعد** أن أدلى الشهود بأقوالهم ، قررت المحكمة رفع الجلسة ، على أن تعقد مرة أخرى فى منتصف الليل ، لسماع أقوال .. المجنى عليها !

وفى الموعد المقرر ، وعلى الضــــوء المرتعش المنبعث من المصابيح ، ووسط فضــــول الحاضرين المتطلعين ، **تقدمت « مارى دى موريل » للادلاء بأقوالها .. وكانت ثمة وصيفة تمسك بذراعها حتى لا تسقط على الأرض ، اما هى فكانت تسير ــ مع ذلك ــ بخطوات وئيدة ثابتــــة ، وراحت تجول بأنظارها بين الحاضرين ، وقد افعمت نفسها بشعور بالارتياح والرضا ، لاحساسها بانها موضع اشفاق الجميع واعجابهم !..**
وسرعان ما أحضروا لها مقعدا ، فجلست عليه ــ فى رشاقة فتاة « الصالونات » وجلالها ! ــ وما أن سألها رئيس المحكمة أن تصف ما وقع لها فى حجرتها ليلة الحادث ، حتى انطلقت تكرر ــ بالحرف الواحد ــ ما سبق أن روته لوصيفتها ، ثم لوالديها ، فلم تتلعثم فى أقوالها ، بل لعلها استشعرت نوعا من « الغرور » إذ ألفت نفسها تقوم بذلك الدور « البطولى » !

ولم يحاول رئيس المحكمة ــ بدافع الحياء ! ــ أن يناقشها فى التفاصيل الدقيقة التى تضمنتها وقائع القضية ، فما لبث

أن أمر « لارونسيير » بالنهوض من مقعده ، ثم سأل الفتاة :
ـ هل المتهم هو الرجل الذى اقتحم غرفتك من النافذة ؟
ـ أجل ، انه هو !

وشحب وجه « لارونسيير » وهتف محتجا ، وقد ارتعدت فرائصه : **((اقسم امام الله والناس ان كل ذلك زيف وبهتان!))**

وفى اليوم التالى ترافع ممثل الاتهام ، فطفق يكيل للمتهم أعنف التهم ، متجاهلا ما ساقه الشهود من أدلة تبرىء ساحته ! .. ثم أعطيت الكلمة لمحامى الدفاع ، فراح يفند أدلة الاتهام ويدحضها ، الواحد تلو الآخر ، ثم ختم مرافعته مطالبا ببراءة موكله . ولكن جهوده ذهبت كلها سدى ، اذ كان المحلفون قد كونوا حكمهم بالفعل قبل المحاكمة ، مقتنعين بأن ابنة « الجنرال دى موريل » لا يمكن أن تكون فتاة عليلة النفس ، مصابة بالهستيريا !!

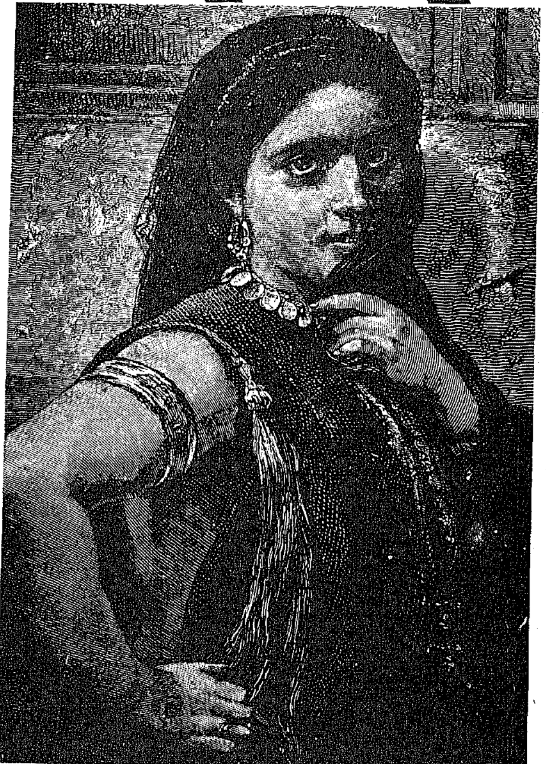
الحكم !

وخلا المحلفون الى أنفسهم لاصدار حكمهم فى القضية .. وبعد مداولة دامت ست ساعات ، عادوا الى قاعة المحكمة حاملين قرارهم ، وتلا رئيس المحكمة الحكم ، فاذا به يتضمن ادانة المتهم بالسجن عشر سنوات ، « لشروعه فى اغتصاب فتاة ، واصابتها بجروح ، مع التعمد وسبق الاصرار .. »

وقد قدر للارونسيير أن يقضى فى السجن مدة عقوبته بأكملها . فلما انقضت على خروجه منه أربعة أعوام ، وكانت نظرة الرأى العام المتحيزة ضده قد خفت حدتها ، رأى المتهم « البرىء » أن يتقدم بطلب لمحكمة النقض لاعادة النظر فى قضيته . **وما لبثت المحكمة أن انعقدت ونظرت القضية ، ثم أصدرت حكمها بنقض الحكم السابق ، ورد الاعتبار الى لارونسيير !**

(البقية صفحة ١٧٨)

المرأة.. هنا وهناك!



هذه الصفحات .. من عمل تاريخى ضخم !

عزيزى القارئ ..

● فى هذا العدد الاول من سلسلة أعداد ((كتابى)) الخاصة عن المرأة ، لا يفوتنا أن نورد هذه الصفحات ــ المحلاة بالرسوم النادرة لأشهر الفنانين الالمان ــ من السفر التاريخى الضخم الذى أصدره ، فى أغسطس عام ١٨٧٩ ، العالم الالمانى الاشهر المتخصص فى الآثار المصرية والتاريخ المصرى ((جورج موريتز ايبرز)) Georg Moritz Ebers ، وهو فى هذا الفصل يتحدث عن المرأة فى مصر فى عصور المماليك ، ويصف أحوالها ، وعاداتها ، وبيئتهـــا الاجتماعية ــ فى مختلف الطبقات ــ ويوضح ذلك كله ويزينه برسوم تاريخية نادرة رائعة (حرصنا على أن ننقل لك بعضها ، فى الصفحة السابقة والصفحات التالية) ، وقد رسمها عشرات من الفنانين الالمان الذين استعان بهم ((ايبرز)). فى زياراته المتعددة لمصر فى غضون القرن الماضى ــ تمهيداً لاصدار هذا السفر الضخم ــ فرسموها على الطبيعة رسما دقيقا يحاكى عدسة التصوير الفوتوغرافى، وان بزها فى القيمة الفنية بطبيعة الحال ..

وقد ولد ((ايبرز)) فى برلين فى أول مارس عام ١٨٣٧ ، ودرس القانون ، ثم أصيب فى عام ١٨٥٨ بمرض خلف بساقه عرجا ، فصرف النظر عن أن يصبح محاميا ، وأقبل على دراسة اللغات القديمة والآثار ، ثم انصرف انصرافا تاما الى تاريخ مصر القديم ، وجاء اليها حيث جال خلال مصر والنوبة وبلاد العرب ، وانتهى الى أن صار استاذاً للتاريخ المصرى بجامعة (ليبزج) ، حيث ظل حتى عام ١٨٨٩ .

وكان قد زار مصر مرة أخرى فى عام ١٨٧٢ ، حيث قام ببعض أعمال الكشف الاثرى الجليلة ، وأهمها اكتشاف البردية الطبية المشهورة التى ترجع الى القرن ١٦ قبل الميلاد ، والتى نسبت اليه فصارت تعرف باسم ((بردية ايبرز)) ، وقد نشر نصها عام ١٨٧٥ . ومن أشهر مؤلفاته الاخرى عن مصر رواية ((أميرة مصر)) التى نشرها فى ٣ أجزاء عام ١٨٦٤ (وقد لخصناها لك فى العدد ٣١ من كتابى) .. و ((مصر وكتب موسى)) (١٨٦٨) ، و ((زوجة شيخ البلد)) (١٨٨٢) . وقد توفى ايبرز فى ٧ أغسطس عام ١٨٩٨ عن ٦١ عاما .

صورة الصفحة السابقة : ((عائشة)) ، حسناء القاهرة القديمة بريشة الفنانين الالمانيين ((جوستاف ريختر)) و ((أدولف جنوت))



غجرية من ((غوازى)) القاهرة فى ذلك العصر
بريشة الفنان الالمانى ((جوستاف ريختر))

المرأة والحريم .. فى عصر المماليك !

((الحريم)) فى البيت المملوكى

● **كيف** كانت تحيا المرأة فى مصر فى عصر المماليك ؟..
يحدثنا الرحالة والمؤرخون الأوربيون الذين زاروا مصر فى القرنين الماضيين عن تلك الحياة العجيبة التى كانت تعيشها المرأة فى تلك « الأيام » ، وهى الحياة التى قد لا نجد وصفا « فنيا » لها الا فى أقاصيص « ألف ليلة وليلة » !

ومنذ اللحظة الأولى فرق هؤلاء الرحالة بين نساء الطبقة الدنيا ، ونساء الطبقتين المتوسطة والعالية : فالمرأة الفلاحة فى الريف ، والمرأة العاملة فى المدينة ، لم تكن تختلف عن نظيراتها فى مصر الحديثة والمعاصرة : **امرأة غير محجبة ، تظهر فى الأسواق عارية الرأس ، مكشوفة الوجه والذراعين ، تنادى على بضاعتها وخاصة الفواكه . وكان سوق (الموسكى) فى القاهرة يمتلىء بأولئك البائعات ، الفاتنات أحيانا** (كما ترى فى الصورة المقابلة) .

أما المرأة ذات المكانة الاجتماعية ، سواء كانت من نساء أفراد الطبقة الوسطى ـ كالتجار ، والمشايخ ، وأرباب الحرف الراقية ـ أو الطبقة العليا من الأمراء ، وكبار الموظفين ، وكبار التجار .. والأغوات والقواد .. فهذه المرأة كانت تحيا حياة تختلف تماما عن حياة المرأة المعاصرة !

.. ففى البيت كان لها جناح خاص ، وهو ما يطلق عليه اسم « الحريم » أو « الحرملك » .. وفيما عدا هذا الجناح ،



بائعة البرتقــال .. فى قاهرة عصر المماليك !
بريشة الفنان الألمانى « ليوبولد كارل موللر »

لم تكن النساء تظهر فى أى مكان آخر من البيت. **وعندما يدخل رجل غريب البيت ، كان لابد أن يصبح الخادم منبها ومحذرا النساء أن يبتعدن !.. والغرف الخاصة بالحريم لم يكن يدخلها احد من الرجال ــ حتى أقربهم صلة برب الأسرة ! ــ اذ كانت تعد مكانا ((شبه مقدس)) !..** وعندما كان يقال ان رب الأسرة « فى الحريم » ، فان هذا يعنى أنه قد أسلم نفسه لخاصة أسرته ، لزوجته المفضلة ، ولأطفاله ..

والرجل الشرقى عندما ينسحب الى « الحريم » فانما كان يفعل ذلك هروبا من عناء الحياة ومشاغلها(١) ، بحيث لم يكن يحب أن يزعجه أحد !.. والحريم فى نظر الرحالة الأوربيين أشبه بالسجن ، ولكنه سجن تدخله المرأة الشرقية طائعة مختارة ، راغبة ، واهبة نفسها لزوجها وأطفالها وبيتها .. وهى فى أوقات الفراغ تتسلى بتدخين النرجيلة ، وسماع النوادر وأحاديث الحياة التافهة ..

وكان جناح « الحريم » يقع فى الغالب فى الطابق الأعلى من البيت ، والغرفة الرئيسية فيه تسمى القاعة ، وتؤثث بالفراش الفاخر ، وهى تشبه « المندرة » التى تقع فى الدور الأول ويستقبل فيها الرجل ضيوفه .. ومن خلال فتحات « المشربية » تراقب النساء ما يجرى فى الطرقات ، بحيث لا يراهن أحد !

ولم تكن المرأة تهتم بمشاغل زوجها أو تتدخل فى أعماله أو نشاطه ، وانما تكرس وقتها له ولأطفاله ، وتجعل من نفسها الدمية الجميلة الناعمة التى تمنحه متع الحياة ، كما تمنحه الأطفال ، زينة الدنيا ..

---

(١) كما يفعل الرجل اليابانى حتى الآن حين يخلو الى نساء الجيشا » (وسنفرد لهن فصلا فى عدد قادم) .



في مخدعها بجناح ((الحريم)) ، كانت القاهرية تنصت الى أحاديث ((دادة))
بريشة الفنان ((دى جيرونديه))

الزواج عن طريق ((الخاطبة)) !

● **وكانت** العادة المقررة فى الشرق أن الغلام متى نبتت لحيته ، وأصبح قادرا على أن يكسب معاشه ، لابد له أن يتزوج . ولما كانت الحياة بسيطة ، وتكاليفها يومئذ زهيدة ، فأقل دخل كان يؤهل الشاب للزواج .. **لذلك كان من النادر ـ كما يقول احد الرحالة الأوربيين ـ أن تجد شابا فى العشرين من عمره ليس زوجا بل وأبا .. والشاب الذى يبقى من غير زواج ينعت بأسوأ النعوت ، ولا ينظر اليه باحترام ..** ولكن كيف كان الشاب يختار زوجته ؟.. انه لم يكن « يختارها » بالمعنى الصحيح ، لأن الانفصال كان تاما بين الجنسين ، وخاصة فى الطبقتين الوسطى والراقية . اذن كان لابد له أن يلجأ الى « الخاطبة » .. وكانت الخاطبة تقوم بدور هام فى العصر المملوكى ، وظلت كذلك حتى مطلع القرن الحالى ، وخاصة فى البيئات المحافظة . (أنظر الرسم المرافق)

وكانت الخاطبة تقوم بزيارة الأسرة التى يوجد من بين بناتها من هن فى سن الزواج ، **متظاهرة بأنها جاءت لتبيع الأقمشة الحريرية أو الحلى ، ولكن الأم لم يكن عسيرا عليها أن تكتشف مهمتها الحقيقية ، فكانت تقوم بتهيئة ابنتها لتجتاز ((الاختبار)) !..** وبعد الزيارة أو « المعاينة » تعود الخاطبة الى بيت الشاب بأوصاف الفتاة ، فتقوم والدته وأخته الكبرى بزيارة أسرة الفتاة للتأكد من صحة أوصاف الخاطبة ! .. واذا تم القبول من جانب الشاب وأسرته ، يتم الاتصال الرسمى بين الأسرتين ، وتبدأ مرحلة « المفاوضات » حول مهر العروس ، أو الصداق . وبعد الاتفاق على المهر والصداق يتفق على موعد كتب الكتاب .. ويتم كتب الكتاب فى بيت العروس وبحضور العريس وبعض أقاربه وأصدقائه ،

ولا تحضره النساء بحال من الأحوال !.. ثم لا يبقى الا ذهاب العروس الى بيت عريسها وهى ليلة الدخلة ..

موكب الزفة الى الحمام العام !

● وتسبق زفة العروس الى بيت زوجها فى ليلة الدخلة ، زفة أخرى تذهب فيها العروس الى « الحمام العام » فى الليلة السابقة لليلة الدخلة ، وهى « ليلة الحناء » .. **وتنتقل العروس الى الحمام سيرا على الأقدام فى موكب حافل يخترق الطرقات الضيقة المزدحمة ، ويتقدم الموكب عدد من الموسيقيين يعزفون على الطنبور والناى والأرغول ، وتسير أمام العروس النساء المتزوجات وهن يرفلن فى حللهن الحريرية ، ثم تتبعهن العذارى وعلى وجوههن الأحجبة البيضاء ، يحطن بالعروس نفسها وهى ملفوفة فى شال كشميرى أحمر لا يكشف منها شيئا !.. وتسير الى جانبيها اثنتان من ذوى قرباها ، وتعلوها مظلة مربعة مطرزة يحملها اثنان من العبيد !.. وفى مؤخرة الموكب يسير عدد آخر من الموسيقيين . وبدخل الموكب الحمام الذى يستأجره والد العروس لهذه المناسبة ، وفى ذلك اليوم يربط منديل على باب الحمام ، اشارة الى أنه مشغول بعروس ولا تدخله غير النساء !**

وفى داخل الحمام تسلم النساء أنفسهن للبلانات والمدلكات ، والماء الساخن ، وبعد أن يفرغن من الحمام يشربن القهوة الساخنة ويدخن النرجيلة ذات الرائحة الزكية ، ويستمعن الى المغنيات اللواتى يرددن أغانى الحب والشوق والوصال .

ليلة الحناء !

● وتقضى العروس مع النساء ساعات لهو ومرح داخل الحمام ، ثم تعود فى نفس الموكب الى البيت ، حيث تقام مأدبة

يحييها الموسيقيون والمطربات ، **وفى نهاية المأدبة تمسك العروس بقطعة كبيرة من عجين الحناء ، وتضع فيها الضيوف من النساء قطع النقود الذهبية ، ثم تخضب العروس يديها وقدميها بالحناء ، وتفعل الصديقات نفس الشيء .**

وفى اليوم التالى تشغل العروس نفسها فى أول النهار بالتزين ، وتتولى « البلانة » هذه المهمة ، وعند منتصف النهار تظهر العربات والجمال قادمة من بيت العريس لحمل العروس الى بيت عريسها . **وتركب العروس ومعها قريباتها عربة تسدل عليها الستائر الحمراء ، ويحشر الأقارب نساء وأطفالا فى باقى العربات ، أو على ظهور الجمال .** ويأخذ الموكب طريقه الى بيت العريس ، وفى المقدمة تعزف الموسيقى ويقدم الراقصون والراقصات ألوانا من فنهم ، ويشهد المارة رقصة « السقاء » ، ثم المصارعة ، ثم لعب « النقرزان » .

العشاء ، والذكر ، والطرب .. فى بيت العريس !

● **ويصل** الموكب الى بيت العريس الذى تزينه المصابيح والفوانيس المدلاة ، وتنصب أمامه « الدكك » الخشبية العالية ليجلس عليها الضيوف . وتوزع على الضيوف القهوة والنرجيلة والسجاير ، ويظهر العريس وقد خرج لتوه من الحمام ، بعد أن تطيب وارتدى أفخر الملابس ، ويحيى ضيوفه واحدا واحدا . **وعند غروب الشمس يقدم الطعام الى الضيوف الذين يجلسون حول « الصوانى » التى تحفل بأطايب الطعام .. ويستمر تناول الطعام حوالى ساعتين ، يشرب بعدهما الضيوف القهوة ، ويدخنون السجاير ، وتقام بعد ذلك حلقة ذكر ، وتختلط أدعية الذكر بأنغام القانون وألحان المغنيات فى جناح الحريم ..** وقبل أن يؤذن للعشاء تشعل المشاعل ، وينهض العريس ليذهب لأداء الصلاة فى المسجد ، ويسير وسط حلقة من أصدقائه وبأيديهم المشاعل

وهم ينشدون بعض الأناشيد الخاصـــة بهذه المناسبة . ثم يعود الموكب بعد الصلاة ، فيذهب العريس الي حيث تكون العروس فى انتظاره ، ومعها فى أول الأمر « البلانة » ، وأمها وأختها . ثم تنسحب الأم والأخت ولا تبقى غير البـــلانة . وتلقى البلانة « شالا » فوق وجه العروس ، وتعطى اشارة خاصة ، فيفتح الباب ويدخل العريس .. **وعندئذ تنسحب البلانة ، وينفرد العروسان ، فيكشف العريس النقـــاب عن وجه عروسه ، ليراها لأول مرة فى حياته !.. يرفع العريس النقاب وهو يتمتم : « بسم الله الرحمن الرحيم » .. ويقول مخاطبا عروسه : « ليـــلة مباركة » .. فترد عليه فى خفـــر وحياء : « ومباركة لك » !..** فاذا وجـــدها كمـــا يحب أن يراها ، يعلن فرحته بنداء خاص ، فتعلو الزغاريد فى الخارج ، معلنة فرحة الأسرة الكبرى بالدخلة المباركة السعيدة !

....

رسائل النساء !

للأديب الفرنسى الكبير « مارسيل بريفو »

.. وننتقل من هذه الصورة للمرأة فى مصر فى عصر المماليك .. الى الصورة التالية للمراة الفرنسية فى القرن المـــاضى ، كما يصورها قلم الأديب الفنان ، الروائى الفرنسى الكبير « مارسيل بريفو » ، فى هذه القصة القصيرة التى صاغها على شكل رسالة من رسائل النساء .

دعني .. !

(من السيدة « ديفرانس » الى السيد « جاك لولوب »)

ربّاه ! .. لكم ترددت فى الكتابة اليك يا سيد جاك ، لقد شرعت فى كتابة رسائل كثيرة قبل هذه الرسالة ، ولكنى سرعان ما كنت أمزقها الواحدة بعد الأخرى ! .. وانى أنبهك

من البداية بأنك سوف تكتشف فى رسالتى الكثير من الأخطاء الاملائية واللغوية ، التى مبعثها فرط اضطرابى ! .. فالواقع اننى لا أعرف ماذا أكتب لك ، لاننى لا أعرف ماذا أريد أن أقوله لك ، فلقد اختلط على الأمر . وذهبت بى أفكارى مذاهب شتى !

انك كثيرا ما كنت تدللنى ، تدليل المغازلة ، وأنت ترمقنى بعينيك النجلاوين ـ وما اجملهما ! ـ وبقدر ما كنت أستشعر السعادة الغامرة ، وأنا بقربك ، بقدر ما كنت أحس أننى أود النجـــاة بنفسى ، والانزواء فى ركن مظــــلم بحيث لا ترانى ! (وأننى لأتوسل اليك الا تسخر بى وانت تقرأ هذه الكلمات !)

لقد فكرت فى الأمر طويلا يا سيد جاك ، وأدركت أنه كان مصدر شقاء وتعاسة لزوجى المسكين لويس ، ولى أيضا ، أن تقابلا فى مدينة (كاليــه) ، وتقضيا معـــا ـ بحكم ظروف العمل ـ ثلاثة عشر يوما .. وأغلب الظن انك لم تجد فى كاليه غير زوجى تحادثه ، فهو لطيف المعشر ، وهو ـ فوق ذلك ـ يقدرك تقديرا كبيرا .. ولذلك لم يكن مستغربا أن تنمو بينكما الصداقة ، أليس كذلك ؟ .. ثم انتهت أيام غربتكما وعاد كل منكما الى بيته واستأنف حياته المألوفة ، وكان لابد أن يكتشف كل منكما ان الآخر ينتمى الى طبقة أخرى غير طبقته هو .. وانه ليس من مستوى صاحبه ، لا اجتماعيا ، ولا ماديا ! .. أوه ، يبــدو اننى لست سوى حمقـــاء صغيرة ، ومع هذا فاننى استطعت أن ألحظ دهشتك لمركزنا الوضيع ، عندما حضرت لتناول العشاء فى منزلنا لأول مرة .. رغم أننا بذلنـــا غاية الجهد للاستعداد لذلك اليوم ، وكنا لا نتحــدث فى شىء غير هذه الزيارة المرتقبة ، طوال ثمانية أيام كاملة .. ولكن لم يكن فى وسعنا بالطبع ان نبدل المنزل أو نغير الأثاث ، أو الخادمة .. سيما وأن مرتب زوجى من وظيفته الحكوميـــة لا يزيد على أربعة آلاف فرنك كما تعلم !

ولكم تألمت فى ذلك المساء ، وأؤكد لك انه خيل الى انك سوف تهزأ منى ومن زوجى لويس بعد خروجك ، وسوف تسخر من المنزل ومن أثاثه ، وكان لويس يخمن هذا أيضا ، غير أن أحدنا لم يجرؤ على أن يصارح الآخر بما كان يدور فى نفسه ، من فرط ما كان الحزن يملأ قلبينا وأفكارنا .. وخيل الى أن لويس كان يريد أن يقول : « لا ريب أنه تضايق منا لانه وجدنا فقراء ، وهو الذى ينعم كل يوم بصحبة السفراء والكبراء ، ولذلك فأغلب الظن أنه لن يعود ثانية ، ولن يلومه أحد اذا فعل ! »

ولكن .. ها انت قد عدت ، بل وعدت كثيرا .. وسعدنا نحن الاثنان لذلك — ولاسيما زوجى لويس — وكنت تخصنى بمعاملة خاصة . وسرعان ما تبين لى أن سعادتى تزداد بزيارتك ، وان خفى على فى البداية فهم ما يدعوك — وانت الذى تختلط كل يوم بعلية القوم ، وتشاهد الكثيرات من النساء الجميلات المثقفات المتألقات — الى أن تقضى الساعات الطويلة برفقتى .. أنا المرأة الجاهلة ، العاطلة من الأناقة !؟

.. الى أن حدث ذات يوم أن أمسكت بيدى ، وضغطت عليهما ، وهمست فى أذنى بأنك ترانى جميلة ، وأننى أشغل تفكيرك ، وأنك .. تحبنى !!

لقد خيل لى يومها أننى أحلم ! .. وكان حلما جميلا ، ما كنت أود أن أستيقظ منه .. رحت تحدثنى فى رقة ، وعذوبة ، وتقول لى انك تحترمنى ، وأنك تعلم أننى امرأة وفية ، وأنه ليس فى العالم ما يحملك على أن تدفع بى الى السقوط ، أو أن تلوث شرفى ، .. وأضفت الى ذلك قولك انك تحب زوجى لويس حبا يمنعك من أن تفكر فى أن تسلبه زوجته أو تمس شرفه ، ولذلك فانك لا تطلب منى الا أن أسمح لك بأن .. تحبنى !

فكيف كنت أستطيع أن أصدك ، أو أرفض حبه هذا العفيف ؟.. لقد اعتقدت وقتئذ أنه من الممكن أن نسير في طريق حبنا بحكمة ، ما دام كل منا يحب لويس ويخلص له .. وامكنك بهذه الوسيلة أن تحصل مني – في سكون ، وبلا أدنى مقاومة – على أشياء كنت أنكرها عليك وعلى نفسي في اليوم التالي لوقوعها ..!

آوه !. لابد أن أعترف أنك بارع في معاملة النساء !.. كنت وأنا بين يديك أشعر أنني مخلوق جرد من ارادته .. ولكن ، ماتكاد تخرج حتى كان يثوب الى رشدي ، وأكاد اجن من تقريع الضمير .. ترى هل من حقي أن أقول انني مازلت زوجة أمينة وفية ؟

.. يخيل لى ان لا ، ما دمت أعد نفسي مسئولة عن كل ماحدث .. ولكنى على الأقل لم أرتكب الجريمة الأخيرة الكبرى ، تلك الجريمة التى لا أجرؤ بعدها على النظر الى زوجى !

وها أنا اتقدم اليك ضارعة مستغفرة : بربك دعنى ، ولا تأتى على البقية الباقية من شرفى !

وبعد ، ها أنت ترى يا سيد جاك ، انك ينبغى الا تزورنى مرة أخرى ! اننى أحبك حبا ملك على نفسى ، وجعلنى لا أقوى على مقاومتك .. بل اننى أشعر اننى ملك لك .. ولذلك يخيل الى أنه فى أول مرة ستحاول معى .. ستكون النتيجة وبالا على !

ولن يكون فى هذا خير ، فان لويس المسكين يحبنى حبا عظيما ، وهو يحبك أنت أيضا ، وهو طيب القلب ، يتفانى فى عمله من أجلى !.. ثم ، ماذا أنا بالنسبة لك ؟ لست – فى الحقيقة – سوى لعبة صغيرة ، أو تحفة حقيرة لا يهمك أمرها كثيرا ، **وان كنت عند زوجى ، كل شىء..وليس له فى الوجود سواى ! .. واذن ، فلو قدر له أن يعرف شيئا عن علاقتنا ،**

فساموت أنا حزنا لأنني خنته .. أما اذا عرف الحقيقة كاملة، فسوف يموت هو ، ونكون نحن الاثنان قد اشتركنا فى قتله !

أصغ الى يا سيد جاك ، أنك تشعر نحوى بشىء من الميل، ولكن كل شىء سينتهى بعد أن ... أوه .. اننى على ثقة من ذلك ، وستهجرنى وتتركنى أتوجع ألما وعارا !.. ان الأخريات يعرفن كيف يحتفظن بك لأنهن من طبقتك ، متحذلقات متأنقات ، ويعرفن أشياء كثيرة لا أعرف أنا عنها شيئا ، والحقيقة أننى لست أكثر من امرأة سقيمة الفهم ، لا تعرف الا أن تحبك ، وأن تجزل لك الحب ..

أتدرى ماذا أقول لنفسى كلما استلقيت فى فراشى وجفانى النوم ، وأنا أفكر فيما تطلبه منى ؟. اننى أقول لنفسى : **« .. ان السيد جاك لا يحبنى حقيقة ، ولكنه يجد منى مقاومة لا يجدها من النساء الأخريات ، فاذا ما ظفر منى بما يريد ، وحطم مقاومتى ، لن يعود يرغب فى ، بل سينبذنى نبذ النواة .. انه يريدنى من أجل متعته وزهوه ، فقط ! »** .

.. وهذه الفكرة هى التى تجدد من عزيمتى ، وتمدنى بقوة المقاومة ، وتجعلنى أكتب لك هذه الرسالة .

وبعد ، فان كنت تريدنى من أجل متعتك وزهوك .. فاطمئن ، هب أنك قد ظفرت بى وانتهى الأمر ، ما دمت أنا التى أسألك العفو عنى ، وما دمت أضع شرفى بين يديك !

.. الا دعنى يا سيد جاك ، بل دعنا كلينا ، أنا وزوجى ، ولتظل محبوبا منا على الدوام .. **اننا لا نملك ، أنا وزوجى ، غير قدر ضئيل من السعادة ، حصلنا عليه بحبنا وثقتنا المتبادلة ، فتذكر هول الجرم الذى ترتكبه عندما تحطم بيدك هذه السعادة الصغيرة .. وافعل ما أرجوه منك !**

.. وستفعل ، وتبتعد عنا !.. أنا على ثقة من ذلك ، لأنك

مخلص وطيب القلب ، وليس هناك غير شيء واحد أخشاه ، وسأصارحك به ، بشرط ألا تسخر منى : أن كل ما أخشاه ، هو أن أكون واهمة فى ظنى بأنك تحبنى .. وان لا يكون لهذا الحب نصيب من الحقيقة ، بحيث لن يسبب لك فراقى شيئا من الألم !

اوه ! انك لا تكرهنى يا صديقى العزيز ، ومن ثم فلن تكره لى النجاة .. واذا سببت لك شيئا من الألم ، فلست أملك الا ان أطلب منك المغفرة ، سيما وأننى أقاسى بدورى آلاما عظيمة .

.. وفى الختام ، أتوسل اليك أن تحتفظ لصديقتك الصغيرة العزيزة بتذكار حب ، **وهى التى أجزلت لك الحب ، وكانت تود من صميم قلبها لو استطاعت أن تكون ملكا لك .. وسوف تفكر فيك دائما ، بعد أن تكون انت قد .. نسيتها !**

....

نساء فى ساحة العدالة : انتقام عاشقة

(بقية المنشور صفحة ١٦٢)

على أن المسكين لم يفكر ، بعد ان رد اليه اعتباره ، فى العودة الى الجيش . وسرعان ما قررت الحكومة الفرنسية ــ على سبيل التكفير والتعويض ــ أن تعينه مفتشا عاما فى (الجزائر) .. وان هى الا سنوات قلائل حتى عينته قائدا عاما فى جزيرة (تاهيتى) .. **وفى تلك الجزيرة النائية ، ذات الجو الساحر المعبق بأريج الأزهار ، قضى ((لارونسيير)) نحبه فى عام ١٨٧٤ (عن نحو ٦٥ عاما) ، بعد أن أنعمت عليه بلاده بنوط ((جوقة الشرف)) !**

....

كيف تنجح مع النساء !

العالم النفسانى الامريكى ((شيبرد ميد))

HOW TO SUCCEED WITH WOMEN,
WITHOUT REALLY TRYING
BY SHEPHERD MEAD

● وبعد ان قمنا بهذه الجولة فى دنيا المرأة فى القرن الماضى ، وما قبله .. سواء فى بلاد الشرق ، او الغرب .. تعال ننتقل الى المرأة العصرية ، فى هذا القرن العشرين ، لنقرأ عنها هذا الكتاب الذى قدم فيه مؤلفه الباحث النفسانى الأمريكى ((شيبرد ميد)) نصائح عملية لمعشر الرجال ، وهم ((الجنس الأضعف)) ـ كما يقرر المؤلف ! ـ ليخوضوا معركتهم الخالدة مع النساء . وهو يبدأ مع الرجل منذ بداية مرحلة العمر حتى مرحلة الزواج ، وهى أصعب مرحلة فى حياة كل رجل ، وخاصة عندما يواجه صعوبة الاختيار ، وصعوبة المعايشة ، وتحدى النجاح والفشل فى زواجه . وقد صاغ المؤلف كتابه كما سترى فى أسلوب جذاب ، يعرض أعمق الأفكار فى قالب فكاهى مرح :

تحذير ومقدمة : بقلم المؤلف !

⊙ **من الخطر** أن يقع هذا الكتاب فى أيد ليست مهيئة لقراءته ، اذ ينبغى أن يقرأه من يتحاون بقدر كاف من الأخلاق ! .. ونحن لا نزعم أننا نمدك بالأخلاق ، فعليك أن تحضرها معك ، والكتاب يكشف لك كيف تستخدمها ..

« ان القصد منه أن ينقذك ، أيها الرجل ، من الأخطار والمزالق العقلية والجسمية التى تملأ طريقك فى الحياة ، وأن ينقذك من نفسك .. ونحن نعقد عليك الأمل يا من تقرأ هذه « الوصفات » الجادة ، أن تكون أكثر نفعا للمجتمع ، وأكثر اخلاصا للمرأة التى تعزك !

« ومع أن هذا الكتاب موجه ـ صراحـة ـ الى الرجل ، فنحن لا نعارض فى بيعه للنساء ، ونأمل أن يرشدهن لمساعدة الرجال ؛ ليساعدوا أنفسهم ، ولا يدهشنكن أيتها النســـاء أن تكتشفن أن الرجال فى حاجة الى مساعدتكن . والا ما كنا نتعب أنفسنا فى تأليف مثل هذا الكتاب » !

الرجال .. هم الجنس الأضعف !

● **يجب** أن يعـرف الرجل منـذ البـداية انه الجنس الأضعف ، ولا تغرنه مظاهر القوة التي يبدو أنه يتمتع بهـا ، ولا يغرنه ايضا ما يحاط به من دعاية خاطئـــة بأنه الجنس الأقوى ... فمن المؤكد ـ حســبما تظهر الاحصاءات ـ أن الرجل مقدر له أن يعيش حياة تنغصها الأمراض ، وأن يلاقى الموت فى وقت مبكر بالنسبة للمرأة . فمتوسط عمر المرأة فى أمريكا ٧١ سنة ، بينما متوسط عمر الرجل ٦٥ ١/٢ سنة ، والمرأة تشفى من الأمراض بسرعة وبسهولة ، وعنـدها مناعة طبيعية ضد كثير من الأمراض ، وهى أقل من الرجل اصابة بالجلطة والشلل ، وبالأمراض النفسية والعقليـــة ، وزيارة سريعة لأحدى المصحات العقلية تقنعك بأن نسبة الرجال بين نزلاء هذه المصحات أكثر بكثير من النساء !

هل تفقد الأمل ؟

● **اذا** كان الأمر كذلك ، وأنت الجنس الأضعف فى معركة الحياة ، هل تفقد الأمل ؟ كلا .. فبعـد قراءة هذا الكتـاب سوف تشعر أن القوة بدأت تدب فى أعطافك ، وأن الثقـــة أخذت طريقها الى قلبك .

كيف تفوز باعجاب المرأة ؟

● **الرجل** ، اى رجل ، يهمه أن يفوز باعجاب المرأة ، أية امرأة .. والرجل يجب أن يبـــدأ معركته فى ســبيل الفوز

باعجاب المرأة وهو طفل ، ثم صبى ، ثم فتى ، فشاب .. عليه أولا أن يبنى جسمه ، فالمرأة تأخذها من النظرة الأولى قوة الرجل البدنية ، فقوة الرجل البدنية لها سحر لا يقاوم عند المرأة .. فأجعل للألعاب الرياضية مكانة خاصة فى حياتك .. ولا تهمل صحتك .. ولا تفرط فى قوتك ، ومارس لعبة رياضية أو أكثر ..

كن صريحا فى اظهار عواطفك !

◉ **والمرأة** يعجبها أن تظهر عواطفك فى صراحة وعلانية ، فلا تتردد فى اظهار عواطفك للمرأة التى وقع أختيارك عليها ، فانها تغفر لك جرائك فى التودد اليها ، ولكنها لن تغفر لك ترددك فى التقرب منها والتودد اليها !

تعمد اثارة المنافسة عليك !

◉ **ان** النساء فى منافسة وصراع دائم بعضهن مع بعض ، فاستغل هذه الحقيقة لمصلحتك .. فلا بأس فى أن تتودد الى أية امرأة ، ولكن الأفضل أن تفعل ذلك على مرأى ومسمع من امرأة أخرى ، فالغيرة وحب المنافسة سوف تفعل فعلها فى تلك المرأة !

اجعلها فخورة بك !

● **ان** الفتاة التى وقع اختيارك عليها تود أن تفخر بك ، فيسر لها ذلك .. وقد تقول لنفسك بعد أن تشرع فى تقييم نفسك أنه من المستحيل عليها ان تفخر بك .. لا تتعجل الأمور ، فقد تكون نظرتك فى نفسك صحيحة ، ولكن قليل من النساء من يملكن قدرة الحكم على الشخصية ، ولا توجد المرأة التى تراك كما ترى أنت نفسك ، فساعد فتاتك على أن تراك كما تحب هى أن تراك ، لا كما ترى أنت نفسك !

مظهـــرك ..

◉ **منذ** زمن بعيد فقدت المرأة الحكم على الرجل مجردا من مظهره .. فاهتم بمظهرك ، وهندامك ، ورونقك ، ولكن تعمد أن تترك فى مظهرك شيئا مهملا ، ان هذا الشىء المهمل ، كزرار غير مربوط ، وخصلة شعر مدلاة فوق الجبهة ، تجذب اليك المرأة بطريقة عجيبة ..

الرجل المثقف يجذب المرأة ..

◉ **كل** النساء يرغبن فى أن يكن فى صحبة الرجل المثقف ، فأجعل فتاتك تشـــعر بأنك من الطراز العقـــلى المثقف . ومن الأشياء التى تساعدك فى أن تبدو مثقفا ــ وان لم تكن كذلك فى الحقيقة ــ أن تدخن الغليون « البايب » . ضع « البايب » بين أسنانك ولكن لا تدخن ، فالنساء يحببنها ولكنهن يكرهن رائحـــة دخانها . أشـــعل الغليون بين الحين والحين ، ولكن اتركه ينطفىء بسرعة . وفى بيتك أجعل مكانا بارزا للكتب ، خاصة الكتب الأجنبية .. وأقتن مجموعة من الاسطوانات ، وضع فى جيبك أو فى حافظـــة أوراقك أو على مكتبك بطـــاقة دعوة لحضور ندوة أو معرض فنى ..

اختر لنفسك فنا !

● **لو كنت** كاتبا أو رساما أو موسيقيا لضمنت تسلطك على النساء .. فاذا كنت تعيش من دخل حر فاختر فنـــا ، وسرعان ما تجد النساء ، وخاصة العاطفيـــــات منهن يحمن حولك كالفراشات الهائمة ..

واذا لم تكن ذا موهبة فنية مؤكدة فاختر مهنة الكتابة ، فهى مهنة لا تحتاج ــ للتظاهر بها ــ الى أية موهبة حقيقية ، علاوة على أنها قليلة النفقات ، فكل واحد يستطيع كتابة بضعة سطور فى أى موضوع ، وكل ما تحتاج اليه قلم وورق ونظرة

سارحة ، ثم تجد النساء قد تجمعن حولك ، فالأدباء لهم سحر خاص على النساء !

لتكن رساما ..

● **ولكن** اذا كنت لا تعرف قواعد اللغة ـ والكثيرون لا يعرفونها ـ فعليك بالشعر الحديث ؛ أو الرسم حسب المذاهب الحديثة .. وقد تقدم الفن فى السنوات الأخيرة الى درجة أن الرسام لم يعد فى حاجة الى تعلم أصول المنظور ، والتشريح ، ومذاهب الرسم ، وغيرها من التفصيلات الفنية التى جعلت من الرسم ـ فى الماضى ـ فنا صعبا مقصورا على الموهوبين الجادين .. ونحن ننصحك أن تختار الفن التجريدى ، فالرسام التجريدى ـ بشىء من الألوان الزاهية واللسان الزلق ـ يقتحم طريقه فى عالم النساء فى يسر وبدون عناء .. وتذكر هذه القاعدة الذهبية : « **ارسم أولا ثم فسر ما ترسم بعد ذلك** » . والبدء بفكرة مسبقة عن رسم لوحة ليس خطرا وحسب ،ولكنه يشغلك عن متابعة الحديث الشيق مع صاحبتك وانت فى المرسم ، ارتد ملابس تجعلك تبدو كأنك خارج من فورك من رسم لوحة : تشكيلة من الألوان الزاهية ، قميصا من لون لا يتمشى مع لون البنطلون ، وكرافتة تسخر من بقية ألوان ملابسك . استخدم فى رسمك المزعوم ألوان الماء لأنها تجف بسرعة ، ومن السهل غسلها ..

كن موسيقيا .. ولكن ..

◎ **صحيح** أن الموسيقى تذيب القلوب ، ولكن من الأسف أنها لم تتقدم بالقدر الكافى بحيث يمكن لمن هب ودب أن يدعى اتقانها ، فدعها جانبا .. لأنها تتطلب ساعات طويلة من المران الشاق المضجر ، وشراء الآلات الموسيقية الغالية ، وتعرضك لنظرات الاستهجان من أصحاب البيوت والجيران ..

والموسيقى تعوق النجاح فى الحياة الاجتماعية : فحيثما تذهب تجد من يدعوك لعزف مقطوعة موسيقية ، فتجد نفسك أمام البيانو ترهق أصابعك بالعزف ، بينما ينفرد صديقك الكاتب أو صديقك الرسـام بصاحبته فى ركن من الأركان المظلمة يتطارحان الغرام على أنغامك الشجية .. فدع الموسيقى جانبا وأنت تخوض معركتك مع المرأة !

هل من الضرورى أن تظهر بمظهر الثراء ؟

⊙ **كثيرون** يسألون ويتساءلون : هل النساء ينجـذبن دائما الى المال ؟ والجواب : نعم .. فأغلب النساء فى حاجة الى المال ، واذا أعتقدن أنك تملك المـال جرين وراءك .. واذالم تكن ذا مال فلتتظاهر بأنك تملكه .. ويعتقد البعض أن التقرب من المرأة الغنية يكون بادعاء الفقر ، لأن هذا من شأنه أن يثير فيها غريزة الأمومة . وليس هذا صحيحا ، فأشد النسـاء عاطفة تخمد جذوة عاطفتهن اذا دخل المال فى الاعتبار . فاذا كانت فتاتك غنية فاجعلها تفهم إنك لا تهتم بالمال ، فأنت ارفع من ذلك .. وسوف تفوز بها ، وتفوز بالمال أيضا !

كيف أختار زوجتى ؟

● **اذا** قررت أن تتزوج ــ وهذا أمر متروك لك ، وأغلب الرجـال يتزوجون دون أن يعرفوا السبب فى ذلك ! ــ اذا قررت أن تتزوج ، فهنـاك أكثر من سـؤال تحب أن تعرف الاجابة عنه :

هل أتزوج من هى أقل منى ؟

⊙ **عليك** أولا أن تنظر الى نفسك نظرة موضوعية مجردة، حدد مزاياك وعيوبك بكل صراحة وامانة .. وبعد ذلك عليك أن تبنى أختيارك على هذه الحقيقة : « يجب أن تتزوج من هى أقل منك ، ولا سبيل غير ذلك » .. والمشـكلة بعـد ذلك فى

درجة نقصها عنك : الى أى مدى يجب أن تقل عنك ؟ .. وعلى أى حال فانها يجب الا تكون أقل منك بمراحل ، أى يجب الا يكون الفرق بينك وبينها واسعا .. فى السن .. فى الثقافة .. فى المكانة الاجتماعية .. فى الدخل ..

وتأتى بعد ذلك الصفات الطيبة فى الزوجة المثالية : الزوجة يجب أن تكون لائقة جسمانيا ، فلابد أن تكون الزوجة عملية ونافعة ، أى ليست لعبة أو رفيقة لعب ، فهى زوجتك التى سوف تشاركك فى سنوات الكفاح الأولى ، وعليها أن تقوم بدور الأم ، والطباخ ، والخادم ، والمربية ، والممرضة !.. فاختر زوجتك قوية الجسم ، لتحتفظ بمرحها بعد عمل طويل شاق .

وعلى الزوجة أن تكون مخلصة ، وتتمتع باحساس قوى بالواجب ، وأن تكون على استعداد لأن تسير معك فى الضيق واليسر ، فى أوقات الفرج وأوقات الشدة ، لا تنتظر منك الا القليل ، وتفرح بالهدية مهما صغرت ، وتسعد بكل كلمة طيبة .. وأحذر النوع المتآمر الذى يتظاهر بالاخلاص ليوقعك فى فخ الزواج !

الذكاء والثقافة ..

● **كثير** من الرجال يبتعد عن المرأة الذكية ، وهذا خطأ ، فلابد أن تكون الزوجة على شىء من الذكاء ومرونة التفكير ، وليست عنيدة .. ويعتقد الكثيرون أن التعليم ضار بالمرأة ، وهذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الحقيقة ، فكثير من الزوجات الجامعيات حققن زواجا ناجحا ..

لا تغفل عنصر الوراثة ..

◉ **يجب** الا تغفل عنصر الوراثة ، فالعرق دساس كما يقولون ، فعليك أن تدرس العائلة جيدا ، من هو أبوها .. هل

هو مرموق المكانة رفيع المركز ، وبالتالى ذكى ومجتهد ؟ .. ان المركز والمكانة لا يأتيان مصادفة !

والآن لك أن تسأل :

◉ **ما مدى** توفيقى فى العثور على مثل هذه الزوجة ؟
أخشى أن أقول لك ان فرصتك ضئيلة جدا : ولكن لا تيأس ، واذا عثرت على فتاة تتوافر فيها بعض هذه الصفات فلا تدعها تفلت منك ، فهى خامة طيبة ، تستطيع ، اذا أحسنت توجيهها وتدريبها ، أن تصنع منها زوجة صالحة ..

كيف تدرب زوجتك ؟

◉ أشغل وقتها دائما .. فى أعمال البيت ، وطلباتك ، وأحتياجات الأولاد .. ان الفراغ ضار بالزوجة الشابة ، والعمل يفيد الزوجة .. يقوى الجسم والأخلاق أيضا .

◉ ضع أمامها مقالا طيبا .. تحدث عن زوجة زميلك التى تتفانى فى خدمة بيتها وزوجها وأولادها .. وليكن حديثك بطريق غير مباشر ، وعابرا ..

◉ اجعلها تبتعد عن الأعمال والأشياء التافهة التى تضيع الوقت بلا فائدة : التطريز .. شغل الابرة .. التريكو .. رفى الجوارب .. مشاهدة التليفزيون .. قراءة المجلات السخيفة ، والتردد على المحلات ، والحلاق ،وتبادل الزيارات مع الجارات والصديقات الخاليات ..

◉ لا تعودها على أن تصطحبك فى مشترواتها .. ولكن لا ترفض بطريقة قاطعة فى أول الأمر .. اذهب معها .. ولكن تصرف بطريقة تجعلها لا تفكر فى أن تأخذك معها الى السوق مرة أخرى !

والآن لا تيأس ، وأنت تدرب زوجتك .. فلا بد أنك

ستواجه بعض الصعوبات .. لكن النتيجة المطلوبة مضمونة اذا بدأت البداية الصحيحة مع الخامة الطيبة ..

كيف تنجح مع زوجتك ؟ !

● **الحب والجنس** ضروريا للزواج ، ولكن ربمـــا كان الجنس أكثر ضرورة ، وليس من السهل التفرقة بين الحب والجنس ، فهــذا موضوع دقيق ، ولكن يجب أن تعـلم أن الجنس ليس كل شيء ..

● كن واثقا من نفسك . فالرجل الواثق من نفســه ، المطمئن ، يكسب نصف المعركة ، فلا تشــك لحظــة فى أنك الرجل المرغوب .. دعها تشعر بأنها محظوظة لأنها التقت بك ، وأنك متفضل عليها .

● لاتبخل عليها بالثناء .. ويتضمن الثناء والمديح أن تقدر كل صفاتها الظاهرة والخفية ، الحقيقية وغير الحقيقية ، وتفهمها انهــا تملك الكثير من الصــفات التى ترغب فيها .. واذا رغبت فى أن تتخلص زوجتك من صفة لا تعجبك ، أشر الى تلك الصفة فى حديثك ، ولكن بطريق غير مباشر !

● اصطحبها للغداء فى الخارج .. ان المرأة تشعر بنشوة وزهو ، وبأنها محبوبة ، اذا دعاها زوجها الى الغداء فى مطعم بين وقت وآخر .

● اشركها فى هواياتك واهتماماتك .. لا تجعل عالمك عالما مغلقا تحظر على زوجتك دخوله ، أشركها فى كل شيء ، ولكن بالقدر الذى لا يجعلها تنشغل عنك أو عن البيت ..

● تجنب الجدل ، فالجدل عقيم فى الحياة الزوجيــة ، ويدل على قصر نظر الزوجين ، وخاصة الزوج .. والجدل مع المرأة لا جدوى منه حتى لو استخدمت المنطق ، لأن المرأة لا تعرف المنطق . ان منطقها منطق العواطف .. واذا ثارت

زوجتك فاتركها حتى تهدأ ، وهى سرعان ما تهدأ ، لأن ثورة المرأة أشبه بعواصف الصيف : عنيفة ، ولكنها قصيرة الأجل !.. واذا ما بدأت الدموع تنساب من عينيها ، أتركها بحجة عمل عاجل ، ولكن أظهر لها شيئا من التعاطف . وتذكر أن العطف والاهتمام بزوجتك يحلان كثيرا من المشكلات ، ويجنبانك الجدل العقيم معها ، والزوج الأنانى الذى لا يراعى شعور زوجته ، ولايفكر الا فىمصلحته ، سرعان ماينهار بيته ..

... .

المرأة .. عند توفيق الحكيم

(بقية المنشور صفحة ٩٨)

ـ ولو علمت كيف سمم حياتى بعد ذلك طول وجودنا على الأرض ! .. أنه لا يريد أن يفهم أنه شريكى فى كل ما فعلنا ونفعل .. ولكننى فى نظره مخلوق وجد ليلقى عليه مصائبه وكوارثه .. وعواقب ضعفه ونزواته .. يالقسوته ! .. انه **لا يريد حتى أن يعتبرنى ضلعا من أضلاعه ! .. كلا ! .. ان له ساقين تحملان جسمه ، فلا بد من ثالثة تحمل ذنبه ووزره ! .. أنا هذه الساق ..**

ـ ولو عرفت كيف تكلف هذه الساق رجال اليوم ؟ انها تغلف فى جوارب من « النايلون » باهظة الثمن .

ـ ما هذا « النايلون » ؟ .. أهو نوع من ورق التوت ؟

ـ لا يا جدتى .. أنه نوع من ..

ـ **رجائى اليك ألا تنادينى بجدتك !** .. لست أدرى لماذا كان يثقل على أذنى هـذا اللفظ ؟ ثم انك لا يمكن أن تتصور مقدار ما كنت عليه من حسن !.. ثق أنى لم انجب ابنة قط فى مثل جمالى !.. **ومهما يكن فى آدم من عيوب ، فان له**

فضيلة لا تنكر ، وهى خضوعه لحسنى ، وافتتانه بجسمى ، واذعانه لرغباتى ، وتنفيذه لطلباتى .. ولو كنت أمرته ان يحضر لى هذا الذى يغلف الساق .. ماذا قلت عنه ؟

ــ جوارب النايلون !

ــ نعم .. حدثنى عن هذا النايلون .

ــ وما فائدة ذلك الآن .. ما دام آدم لا يستطيع أن يحضره لك فى العالم الآخر ؟

ــ صدقت .. انه لا يحضر لى شيئا .. لقد شاخ وهرم .. اقصد عندما كان فى الأرض ، لقد كانت الحياة معه لا تطاق .. لقد كثر سعاله ، وضاق خلقه ، وثقل ظله .. ولكن أين المفر لمسكينة مثلى ؟ لو أن فى ذلك العهد آدمين اثنين على الأقل ! .. ولكنه هو دائما أمامى آدم واحد ، بوجهه المقطب الجامد ، وحديثه الممل الذى لا يتغير .

ــ لا تحزنى ! مشكلتك كانت هينة الى جانب مشاكل المرأة فى العصر الحديث .. أخبرينى .. ما رايك فى موضوع منح المرأة حق الانتخاب ؟

ــ انتخاب من ؟ زوجها ؟.. أهذا ممكن ؟.. **انى لأغبط تلك المرأة التى تستطيع أن تنتخب زوجها وتختار رجلها ؟.. حسرة على !.. لم يكن لى حق انتخاب ولا اختيار .. كان رجلا واحدا ، فكان على كل حال خيرا من لا شىء .. وكان حتما على الرضا به والسكوت ..**

ــ لا ، لست أقصد حق اختيار الزوج .. فهذا فى يد المرأة اليوم ، ولكنى أقصد حقها فى أن تحكم وتسود وتقود !

ــ ومن قال لك انى لم أحكم ، ولم أسس ، ولم أقد ؟.. من الذى قاد آدم من يده وأخرجه الى الأرض ؟ لاتصدق امرأة تزعم غير ذلك . لكل امرأة تفاحتها التى تقود بها الرجل !

ـ قلت ذلك فلم يصدقوني .. لأننا فى عصر نصدق فيه النظريات ، ولا نصدق الحقائق .. فاذا شاع مذهب يقول : ان المرأة ضعيفة ، فيجب أن نصدقه ، حتى ولو رأيناها بأعيننا تمسك بيدها رجلا وتلقى به من حالق ..

ـ من ذا الذى يسميني ضعيفة ؟ يبدو لى أنى منذ عشت على الأرض حتى اليوم ، **وأنتم تعيشون فى غلطة تغذيها دائما بلاهتكم يا معشر الرجال !.. وهى أن المرأة ضعيفة .. ما من امرأة ضعيفة .. انها تتظاهر بالضعف ، كما يتظاهر الرجل بالقوة !**

ـ ماذا تقولين فى كثير من رجال اليوم الذين يسمونها كذلك : ليقال عنهم انهم مجددون ؟

ـ لهؤلاء تستطيع أن تنقل عنى هذه الضحكة الصغيرة سخرية بهم !

ـ عجبا ! يا لها من ضحكة ماكنت أظنها معروفة فى عهدك !

ـ من كنت تظنني اذن يا هذا ؟.. يا لك من ساذج !.. صدق ما توقعت منك وتوسمت فيك ! أو كان آدم يستطيع أن ينجب غير بسطاء من أشباهه !

(من ((عصا الحكيم)))

المرأة .. عند المازني

(بقية المنشور صفحة ١١٤)

عيني ! بل هم بأن يضع أصبعه فى عيني ، فنحيت يده عن وجهي وقلت له وقد غيض الغيظ والغضب عبراتي : « الا تكفيك قسوة لسانك حتى تريد ان تفقأ عيني ؟ »

فادعى أنه لا يفهم كلامي وزعم أنه انما كان يبغى أن يرى

من أين يجيء الماء الذى يسيل من هذين الثقبين فى وجهى ، وقال انه لم ير حيوانا آخر غيرى يفيض الماء من ثقوب وجهه ..

الثلاثاء : لا يزال آدم يضحك حتى كلما خرجت الى البركة لأنظر فيها الى نفسى ، ولا سيما بعد أن وقعت فيها وأنا أتأمل خيالى فى صقالها .. ليته ينظر فى مائها الصافى مرة ، اذن لكف عن هذه السخرية ..

الخميس : كل يوم يبدو لى من آدم خلق عجيب ، كنت الومه وأشكوه الى نفسى وأونبه على هروبه منى واختفائه بين الأشجار ، وأقول له فيما أقول « انى أنسى كل شيء حين أكون معك ، حتى الجنة لا أباليها ولا أحفل لما فيها ، وأن نسيم الصبح حين يهب بأصوات العصافير لذيذ ، وأنه ليس أطيب من ريا الأرض بعد أن يجودها من السماء هاطل ، ولا أرق من مقدم الليل علينا بنجومه الزهر وقمره السارى ، ولكن ما من شيء فى الأرض ولا فى السماء يروقنى أو يفتننى اذا لم تكن معى ، فالعجب لك كيف تطاوعك نفسك على مجافاتى والفرار منى وأنا بعضك ؟ » .

الجمعة : لم أكن أنوى أن أكتب اليوم شيئا ، ولكنى عثرت بقصاصة بخط آدم قرأت فيها هذه العبارة : « لقد كانت أيام الأسبوع كلها جمعا قبل أن يأتي هذا المخلوق الجديد الذى نفى عنى الراحة وهدوء البال .. »

« بقية الكلام من مذكرات حواء رديئة ، ويظهر أنها كتبت تعليقا على عبارة آدم بسرعة وانفعال ، على أنى مع هذا استطعت أن أقرأ الكلام ولكنى أعتذر للقراء فانى أعلى بأبينا الشيخ عينا ، وأعمق اجلالا من أن أسمح بنشر ما خطته أمنا المسكينة عنه فى ساعة من ساعات الغضب .. »

الأحد : مواظبة آدم على الكتابة تدهشنى ، وتعليله لذلك أبعث على الدهشة . فهو يقول انه يقتل الوقت بذلك وينفى عن نفسه الملل ، الملل حقا ؟ ألست معه أونسه ؟

الاثنين : مر اليوم بلا حادث يذكر سوى أن آدم وجدنى أتسلق الشجرة المحرمة فجذبنى بعنف وحذرنى من الدنو منها .

الثلاثاء : قمت من النوم فلم أجد آدم فذهبت أبحث عنه فلم أهتد الى مخبئه ، وهذه رابع مرة يهرب فيها منى . فعدت الى الكوخ متعبة وارتميت على الفراش الذى صنعته له من ورق التين ..

الأربعاء : لا يزال آدم هاربا وقد حفيت قدماى ، وأقلقنى هذا الغياب الطويل الذى لا عهد لى ولا له به ، أتراه ضل الطريق ؟ انه غريب الأطوار فلا يبعد أن يكون قد خرج من الجنة .

الثلاثاء : بعد اسبوع كامل قضيته فى البحث وجدت آدم فى أقصى الشمال .. لقد بنى له كوخا صغيرا هناك ، له الله ! فلولا الحية دلتنى على مكانه .. ولكن صبرا !

الأربعاء : لم أكن احسب أن الحية تتكلم .. وتا لله ما اطيبها ، وأعذب لسانها وأحلى حديثها ، لا أكاد أضمها الى صدرى حتى يصافح سمعى قولها : « يا فتنة الدنيا ، ويا أجمل ما فى السموات والأرض ويا أم البشر » ، ولكن آدم يكرهها ويخافها ويحذرنى منها ، ويقول انها نذير سوء ! وان كان لا يكتمنى سروره بأن وجدت من يحادثنى غيره .

الخميس : زينت لى الحية أكل تفاحة من الشجره المحرمة ، انها تقول ان فاكهة هذه الشجرة ليس لها نظير ، فبينت لها أن لنا أن نأكل ما نشاء من فاكهة الجنة ، خلا ما تحمل هذه الشجرة والا كتب علينا الموت ، فقالت لى الحية كلاما كثيرا معجبا مطربا شربته أذناى بلهفة ، فجعلت

أرمق الشجرة ، ومنظرها وحده غواية ، وأشم عبق فاكهتها الطيب ، وعضنى الجوع فامتدت يدى الى الثمرة فقطفت واحدة ثم ثانية ثم ثالثة ، فتفتحت عيناى وأبصرت العرى الذى أنا فيه .. وأدركت بفطرتى أن لا بقاء لى فى الجنة بعد ذلك ، ولكن كيف أحتمل العيش بعيدا عن آدم ؟ كلا ، انى أحب آدم ولا أقوى على الحياة بدونه ، فقطعت غصنا مثقلا بثمار الشجرة ومضيت أبحث عن آدم ..

الاثنين : بعد أربعة أيام طوال وجدت آدم فالقيت عند قدميه الغصن ، فنظر الى نظرة استغراب وسألنى عن هذا الورق الذى أستر به جسدى ، **فقلت ستعرف هذا متى أكلت من التفاح ، فانتزعه منى وعرانى ، فخجلت** ، فقال : لقد علمت أنك أكلت من الشجرة المحرمة فقد هاجت الوحوش ، وهمت بأكلى ، فركبت حمارا فارها لم يزل يعدو بى حتى عدا عليه نمر فنجوت بجلدى ، ورأيت المقام فى هذه الجنة مستحيلا فخرجت منها ، وسيان عندى الآن أن آكل أو لا آكل فهاتى ما عندك فانى جوعان .

وقضم قضمة وجعل يتذوقها ، ويقول ما أطيبها ، **ثم نظر الى نفسه فأدرك أنه عار واستحيا فستر نفسه بالورق الذى نزعه عن جسدى ونظر الى ثم أرخى طرفه** وهو يقول : « ماذا تعنين بالوقوف عارية هكذا ؟ اذهبى واسترى نفسك ! » ففعلت ..

الخميس : اعترف لى آدم بأنه كان لا يحسن معاملتى ونحن فى الجنة ، وقال ان عذره هو أن المرء لم يكن يستطيع أن يحسن شيئا فى تلك الجنة ، وقد كان يخشى ألا ألحق به ويتوقع أن تضنيه الوحدة ، وتسقمه الوحشة ، وقبلنى « وعرفنى » .. **لقد خسرت الجنة ولكنى ربحت آدم !**

....

محتويات الكتاب

كتابى

تصدر عن **الشعب** مؤسسة صحفية عربية

أخصائيون فى المطبوعات العاجلة



الإدارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة . ت ٣١٨١٠ ● مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١

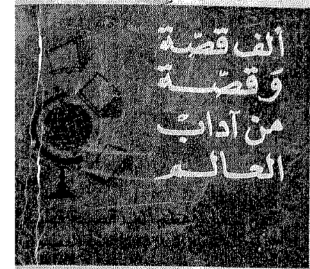
التوزيع : مكتبة دار الشعب

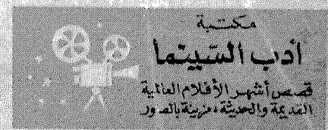
المطابع : قصر العينى ت ٣١٨١٠-٣١٨١٨-٣١٨١٩ دار النحاس - تليفون ٨٤٤٨١٠

رئيس مجلس الإدارة السيد ابراهيم


مكتبة الشباب
وتتفرع عنها هذه السلاسل:
١ - التراث العالمي للشباب
٢ - التراث العربي للشباب
٣ - قصص حياة الخالدين
٤ - لكل سؤال جواب


كتابي
ومطبوعاته

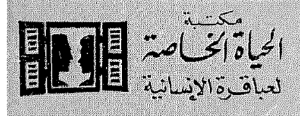

ألف قصة
وقصة
من آداب
العالم


مكتبة
أدب السينما
قصص أشهر الأفلام العالمية
القديمة والحديثة، مزينة بالصور


مكتبة
القصص الشعبي
أساطير فولكلورية
من شتى بلاد العالم


مكتبة
القصص العلمي
ترتاد بك عالم الغد
كما تتأهب له البشرية




مكتبة
الحياة الخاصة
لعباقرة الإنسانية


مكتبة
القصص الواقعي
اعترافات يرويها أصحابها
وتجارب يرويها أكبر علماء النفس


مكتبة
الرسائل والاعترافات
لأشهر المفكرين والعظ


دائرة معارف
المرأة
كل ما يهم المرأة أن تعرفه عن نفسها
.. وكل ما يهمك أن تعرفه عن نساء العالم
منذ فجر التاريخ .. حتى اليوم

